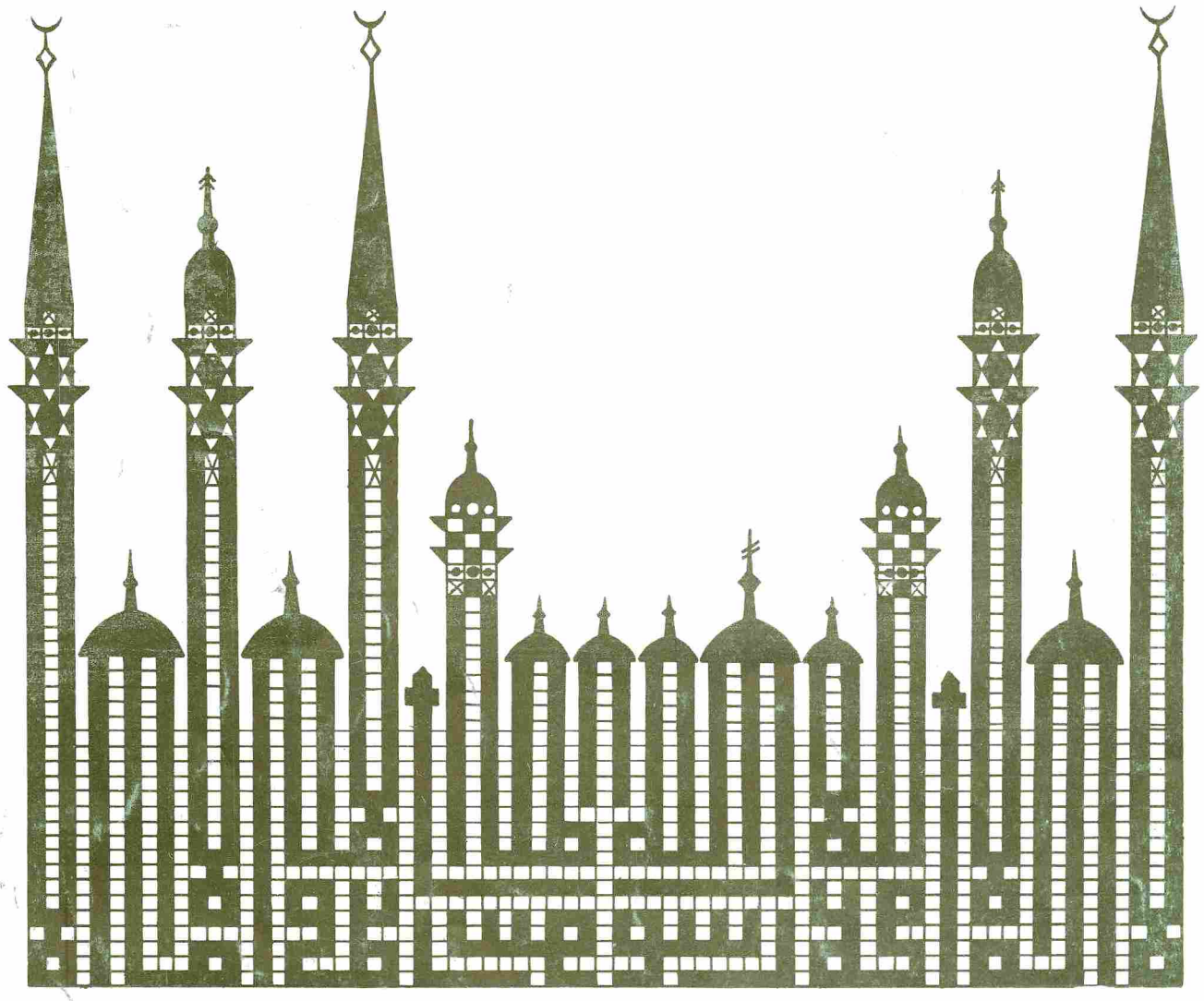


ولا يجرمنكم شنآن قوم على الاّ تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية



المجلد الثالث، العدد ١، مايو (أيار) ١٩٩٠

بسم الله الرحمٰن الرحيم

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الإسلامية الأحمدية

مدير الإدارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
مصطفى أحمد
إبراهيم عبد الستار
عبد اللطيف محمود

دار النشر والتوزيع
الشركة الإسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
اسلام اباد ـ بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
جوامع الكلم	٧
كلام الإمام	٨
على المؤمنين التبشير وعلى الله فتح القلوب	٩
متى ولد المسيح عيسى عليه السلام	١١
«أبو العطاء» (قصيدة)	١٢
بعض الخصائص المميزة للإسلام	١٣
بابا نانك مؤسس ملة السيخ كان مسلما	٢١
مقابلة هامة مع ممثل (سندي تائمز)	٢٤
أخبار الجماعة في باكستان	٣١
شكرًا.. وصلت رسائلكم	٣٥

ثمن النسخة : جنيه ونصف £1.5 والاشتراك السنوي £18 أو ما يعادل ذلك خارج بريطانيا ترسل قيمة الاشتراك باسم التقوى الى عنوان المجلة.

الافتتاحية

قراءنا الأعزاء،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعون الله تعالى وفضله تدخل مجلتكم (التقوى) في سنتها الثالثة، فالحمد لله على ذلك. لقد حاولنا جهدنا لتحقيق الهدف من تأسيسها، وهو تعريف الإسلام للعالم، منزهًا من الشوائب والبدعات التي شوهت وجهه، وبالتالي إعلاء كلمة الله ونبيه ﷺ في أرجاء المعمورة، وترسيخ التقوى في القلوب ما استطعنا إليه سبيلا. فندعو الله تبارك وتعالى أن يتقبل جهودنا المتواضعة قبولاً حسنا، وجعلنا من الذين ألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها.

نظرة واحدة، أيها القراء الكرام، إلى ما يأتي به المشائخ المتعصبون وأتباعه الجهال في باكستان من أفعال منكرة باسم الإسلام ضد أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية.. من تكفيرهم، وتحريش الناس والحكومة عليهم، ومضايقتهم بكل طريقٍ نفسيًا وبدنيًا، وهدم مساجدهم، ونهب ممتلكاتهم، ومنعهم من رفع الأذان، وإلقاء تحية السلام، والانتماء إلى الإسلام، والنطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله وبرسوله وبكلمته، فصدَّقوا بالمهدي المنتظر والمسيح الموعود عليه السلام.

بالله عليكم،أخبِرونا.. هل هذه الأخلاق من شرع الإسلام، أو من تعاليم القرآن، أو من خلق النبي محمد ﷺ؟ ألم يكن خُلُقُ محمدٍ ﷺ، وكان خلقه القرآن، غير خلقهم؟ ألم يكن السب والإيذاء والتكفير والإكراه والسلب والنهب من أخلاق أعدائه ﷺ؟ فإلى من ينتمون، وإلى أي دين يدعون؟؟ بيِّنوا توجروا، أيها المتقون!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[التحرير]

بسم الله الرحمن الرحيم

في عالم التفسير

من التفسير الكبير لسيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، الخليفة الثاني لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

[الذين يقيمون الصلوٰة ومما رزقنٰهم ينفقون*]. (البقرة).

إقامة الصلاة تعني المثابرة عليها بلا انقطاع، فالقيام على الأمر هو المداومة عليه والتمسك به. فالذين عناهم القرآن بقوله [يقيمون الصلوة] هم الذين يستمرون في الصلاة لا يتركونها ولا مرة واحدة. والصلاة التي يتخللها انقطاع أو إهمال لا يعتبرها الإسلام عبادة، لأن الصلاة ليست من الأعمال المؤقتة، بل هي لا تكتمل إلا إذا تواصلت مبتدئة من أول صلاة بعد البلوغ أو التوبة إلى آخر صلاة قبل الموت بلا انقطاع. والذين يَدَعون الصلاة تفلت حينا لآخر يضيعون صلاتهم، لأن الصلاة لقاء الله.. ومن يتهرب من هذا اللقاء يكذب نفسه بنفسه في ادعاء الحب لله تعالى.

وإقامة الصلاة تعني أيضا أداءها صحيحة.. فالمتقون يراعون جميع الشروط التي لا بد منها للمحافظة على مظهرها، ويتقيدون بالمبادئ التي بينتها السنة النبوية مثل صحة الوضوء، والمواقيت، وتمام الركوع والسجود، والتلاوة القرآنية، والتسابيح، والأدعية المسنونة حسب مواقعها.

والشريعة وإن أكدت على الالتزام بالشروط الظاهرية للصلاة، إلا أنها لا تبيح ترك الصلاة لنقص شرط من شروطها مثل عدم تيسر اللباس الطاهر وما إلى ذلك.. بل إن أداء الصلاة مقدم على كل الشروط. وإذن فلا يجوز أن تترك بعض النساء الصلاة من أجل الاشتباه في الطهارة بسبب ملازمة الأطفال، أو يعتذر بعض المسافرين عن الصلاة لعدم الاطمئنان إلى الطهارة أثناء السفر. فهذه كلها وساوس شيطانية، لأن الله تعالى يقول: [لا يكلف الله نفسا إلا وسعها]. (سورة البقرة: ٢٨٧). والشروط واجبة وتركها معصية عند استطاعة تحقيقها، لكن ترك الصلاة لأجل تحقيق الشروط معصية بلا شك، ومن يلتجئ إلى هذه الأعذار يعد تاركًا للصلاة. فعلى المؤمنين أن ينتبهوا إلى هذا المنزلق.

وإقامة الصلاة تعني جعلها قائمة ومحاولة أدائها بجميع شروطها. وفي هذا إشارة إلى المشاكل التي تحول دون أداء الصلاة بصورة كاملة والتي يتعرض لها بعض المصلين وكثير من المبتدئين. وهذه المشاكل تنتج عن العوامل الظاهرية والباطنية التي تلهي الإنسان عن صلاته وتجعله نهبا للوساوس.

ومن عادة الإنسان أن ينتقل تفكيره من أمر إلى أمر، والفكر الإنساني دائم التردد هنا وهناك، وقد يبتعد عما بدأ به، ويتيه في الفوضى المتواصلة من الوساوس، إلا إذا تعلق بحادث مهم أو حماس زائد أو عاطفة حب أو مثل ذلك من الأمور التي تؤدي إلى الاستقرار الفكري المؤقت. وإذا لم تكن للمرء سيطرة على أفكاره شغلته الأصوات الخارجية والحركات الجاهرة والخافتة، وخشونة مكان الصلاة ونعومته، وطيب الرائحة وخبثها وما إلى ذلك.. فقوله [يقيمون الصلوة] تشير إلى هذه المشكلة، وتشجع المؤمنين على مواصلة صلاتهم.. فلا ينزعجوا من هذه المشاكل، لأن الله يفتح لكل إنسان طريق التقدم حسب مستواه من الإيمان. ويجب على من يتعرض لمثل هذه المشاكل أن لا ييأس ولا يظن أن صلاته ضائعة.. فالله تعالى يطالب عباده بالتضحية حسب مقدرتهم. والمصلون الذين تتشتت أفكارهم أثناء الصلاة إذا استمروا وبذلوا جهدهم لأجل الاستغراق والاستقرار فصلاتهم مقبولة عند الله ولن يضيع أجرهم، لأنهم حاولوا وجاهدوا في إقامة الصلاة، وهم أيضا من المتقين.

كما وأن عبارة [يقيمون الصلوٰة] تومئ إلى المتقين الذين يحضون الناس على الصلاة، لأن ترويج الصلاة وترغيب الناس فيها هو أيضا من إقامة الصلاة. فالمتقون المتصفون بهذه الصفة لا يكتفون بإقامة الصلاة بأنفسهم، بل يستمرون في حث الناس عليها.. تنشيطا للكسالى وتذكيرًا للساهين. والذين يتطوعون لإيقاظ الناس لصلاة التهجد في شهر رمضان أيضا من الذين يقيمون الصلاة.

وإقامة الصلاة هي الإقامة المعروفة التي يعلَن بها بدءُ الصلاة، وهي إشارة إلى صلاة الجماعة. ولكن المسلمين عامة، وللأسف الشديد، قد أغفلوا ضرورة صلاة الجماعة. وهذا من أعظم ما دفعهم إلى الانشقاق والتفرقة، مع أن الله تعالى قد جعل لهذه العبادة منافع فردية وبركات اجتماعية. فقوله: [ويقيمون الصلوة] يعني أن المتقين يحافظون على صلاة الجماعة، ويدعون

الناس إليها. وليكن معلومًا أنه أينما ورد في القرآن الأمر بالصلاة كان بصيغة: [أقيموا الصلوة]، ولم يكن بصيغة [صلّوا]. وهذا دلالة على أن الأصل في الصلاة أن تكون جماعة. أما الصلاة الفردية فهي عند الاضطرار، كمثل الذي يصلي قاعدا إذا لم يستطع القيام.. ومن يستطع أداء الصلاة في جماعة، ثم يتركها فذنبه مثل ذنب الذي يصلي قاعدا وهو قادر على القيام. فالذين يتهاونون في صلاة الجماعة جدير بهم أن يتنبهوا لهذا، لأن التهاون يحرمهم من أجر عظيم.

ومن معاني [يقيمون الصلوة] أيضا أنهم يؤدونها بنشاط وانتباه، لأن التكاسل والتغافل يؤديان إلى تشتت الأفكار والحرمان من لب الصلاة، ومن أجل ذلك أمر الرسول ﷺ بالوضوء قبل الصلاة، ونهى عن الاسترسال والاعتماد فيها. (صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب كراهة الاختصار في الصلاة). ونهى عن وضع المرفق على الأرض عند السجود، وأمر بإقامة الصلب في الركوع، وأمر بإقامة الرجلين في القيام والركوع، وأمر بالسجود المعتمد على سبعة أعضاء. (الترمذي، أبواب الصلاة باب ما جاء في الاعتدال في السجود، وباب ما جاء فيمن لا يقيم صلبه، وباب ما جاء في السجود على سبعة أعضاء). وأمر بإبعاد البطن والظهر عن الرجلين. (النسائي، كتاب افتتاح الصلاة، باب صفة السجود والتجافي في السجود والاعتدال في السجود). وأمر بنصب القدم اليمني أثناء التشهد بحيث تكون أصابعها متجهة نحو القبلة. (الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء كيف الجلوس في التشهد).

هذه المعاني الستة التي ذكرناها لقوله: [يقيمون الصلوة] اعتمادا على الناحية اللغوية يصدقها القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ:

١. المداومة على الصلاة يقول الله تعالى: [الذين هم على صلوٰتهم دائمون*]. (سورة المعارج: ٢٣).

٢. وعن مراعاة الشروط الظاهرية والمعنوية يقول تعالى: [الذين هم في صَلٰوتهم خٰشعون*]. (سورة المؤمنون: ٣).

٣. وعن المحافظة على أدائها فلا نهمل ولا ننسى يقول: [الذين هم على صلوٰتهم يحٰفظون*]. (سورة المؤمنون: ١٠)

٤. وعن الدعوة إلى الصلاة يقول: [وَأْمُرْ أهلَك بالصلوٰة واصْطَبِرْ عليها*] (سورة طه: ١٣٢).

٥. وعن صلاة الجماعة يقول: [وإذا كنت فيهم فأقمتَ لهم الصلاة فلتقُمْ طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم...]. (سورة النساء: ١٠٢).

٦. وعن النشاط والانتباه في الصلاة يقول: [ويل للمصلين الذين هم عن صلوٰتهم سٰهون*] (سورة الماعون: ٦). [ولا يأتون الصلوٰة إلا وهم كُسٰلى]. (سورة التوبة: ٥٤). [يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد]. (سورة الأعراف: ٣٢). والزينة تشمل ما يلزم الإنسان من وضوء وما إلى ذلك مما يجدد النشاط. ويقول:

[يٰأيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكٰرٰى حتى تعلموا ما تقولون]. (سورة النساء: ٤٤). فترجأ الصلاة إذا كانت الأفكار مبلبلة إلى أن يكون المصلي واعيًا لما يقول، لأن المرء في حالة الاضطراب لا يدرك حقيقة كلمات الصلاة، والصلاة في مثل هذه الظروف لا تحقق النفع المطلوب.

ولكن لا يعني ذلك أن يتخذ الإنسان من اضطرابه عذرا يبعده عن الصلاة، وإنما المراد أن يحاول المرء جهده للابتعاد عما يسبب له الاضطراب الفكري، ويوطئ نفسه على النشاط والاستعداد للصلاة. وتحقيقا لهذا الهدف شرع الإسلام أن يؤذن للصلاة كي يتفرغ المسلمون من أعمالهم ويستعدوا للصلاة، وشرع الوضوء تنشيطا للبدن واستحضارا للنية، وحث على صلاة النفل في البيت قبل الذهاب إلى المسجد.. تسكينا للاضطراب.. وتمهيدا للاجتماع مع المصلين في المسجد، ووصى بذكر الله حتى يخرج الإمام للصلاة، وذلك لحصر الفكر في الصلاة ونبذ المشاغل الدنيوية. كل هذه الأمور تساعد على نفض الكسل والاضطراب، وتشتت الفكر في عدة أمور، لأن المسلم إذا سمع الأذان، وانقطع عن جميع أشغاله الدنيوية، واندفع فكره نحو العبادة، ثم ذهب إلى المسجد وصلاة الجماعة والذكر.. كان في ذلك استقرار لذهنه نحو الصلاة، وتوفرت له جميع الوسائل التي تساعده على تركيز فكره. ومن أجل هذا الغرض العظيم أمر النبي ﷺ الحاقن أن يقضي حاجته من بول أو غيره قبل الصلاة. (سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب أيُصلي الرجل وهو حاقن). وأمر بالأكل إذا وُضع أمام المصلي الجائع حتى لا يشغله أو يبلل فكره، فقال: إذا وُضع العَشاء، وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعَشاء. (البخاري، كتاب الأذان، باب إذا حضر الطعام وأُقيمت الصلاة).

وقد خصص العَشاء بالذكر لأنه يوافق وقت صلاة العِشاء، فلا يؤخر الطعام، بل يتناوله المصلي قبل موعد النوم بوقت كاف.. كي لا تخل معدته، ويضطرب نومه كما يحدث عادة لمن يأكل قبل النوم مباشرة.. والنوم الهادئ يتيح للمؤمن أن يقوم لصلاة التهجد نشيطا. ومخالفة هذا التوجيه المبارك يحول بين المسلم وصلاة الليل، فيضيع من الخير الكثير.

عرفنا لكلمة الصلاة معاني عديدة في اللغة، وقد استخدم القرآن العديد من هذه المعاني، بالإضافة إلى المعنى الاصطلاحي الدال على العبادة العامة المعروفة بصلاة المسلمين. ويأمرنا القرآن بالصلاة على النبي ﷺ، ومعناها طلب الرحمة والبركة والتعظيم.. والمقصود بها أن يدعو المسلمون لأجل رفع درجاته،

وإنزال رحمته عليه ويعظموه تعالى. فيقول الله تعالى: [إن الله وملائكته يصلون على النبي يٰأيها الذين ءامَنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما*] (الأحزاب).

وصلاة الله تعالى على الرسول تعني حسن الثناء، وصلاة الملائكة تعني الدعاء والاستغفار. وقد وردت الصلاة بمعنى الاستغفار في قوله تعالى: [وصلِّ عليهم إن صلاتَك سَكَنٌ لهم] (التوبة). وبمعنى الدعاء في قوله تعالى: «ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتخذ ما يُنفقُ قُرُباتٍ عند الله وصلوٰتِ الرسول، ألا إنها قربةٌ لهم. سيدخلهم الله في رحمته..]. (التوبة).

والصلاة، تلك العبادة الإسلامية المعروفة تتضمن عدة أمور أخرى: منها أنها دعاء يتحقق بها هدف الدين، وأنها استغفار وطلب للرحمة والبركة. وقد كشف القرآن عن الغرض الرئيسي في الصلاة في قوله تعالى: [اُتْلُ ما أُوحِيَ إليك من الكتاب وأقم الصلوٰة إن الصلوٰة تنهى عن الفحشاء والمنكر*]. (سورة العنكبوت). فقراءة القرآن وصلاة الجماعة تبعد المرء عن المساوئ الذاتية، كما أنها تردعه عن المساوي الاجتماعية. فالصلاة لم تفرض لتكون طقوسا وتقاليد، ولكنها عبادة تتكون من العناصر التي يترتب على أدائها الانتهاء عن المنكرات وتطهير الباطن. وأسلوب الآية يشير إلى طبيعة الصلاة من أنها تنهى المصلي عن المنكرات، فمن يداوم على الصلاة، ولكنه لا يشعر بالنفور من السيئات فلا شك أن صلاته ناقصة. كما أن وصف المتقين بأنهم [يقيمون الصلاة] يدل على أنهم لا يصلون لمجرد التقليد، ولكنهم يحاولون جهدهم إقامتها بصورة صحيحة.. لتكون دعامة ثابتة من دعائم البناء الروحاني.. وإذا كانت الدعائم لا تحمل البناء إلا ما دامت ثابتة كذلك الصلاة لا تدعم الكيان الروحي للمؤمن إلا ما دامت كاملة قائمة على أساسها. فينبغي على المؤمن ألا يكتفي بمجرد أداء الصلاة، بل عليه أن يجعلها قائمة كي تكون عمادا لتقواه.

والصلاة الإسلامية تتميز بكيفية خاصة، فقد فرض على المسلم أن يتوضأ لها، أو يتيمم عند الضرورة ليقوم مقام الوضوء. (سورة المائدة: ٦، والبخاري، كتاب الوضوء، والنسائي كتاب الوضوء). ومن مقاصد الوضوء توجيه فكر المصلي نحو العبادة. هو يفيد في النظافة الظاهرة، لأن الأعضاء التي تغسل هي التي تتعرض عادة للغبار والأوساخ. والوضوء، كما تشهد بذلك التجربة، يخفف عن الأعضاء ما أصابها من إجهاد، ويزيل ما بها من توتر، ويعيد إليها نشاطها بعد خمول، ويبدد حرارتها، ويهدئ اضطرابها. وكل ذلك تجديد للحيوية، وجمع لشتات الفكر وتركيز للعقل حول الصلاة.. فيتحقق بذلك للمصلي الطمأنينة والانشراح.

وهيئة الصلاة وأوضاعها من ركوع وسجود ليست من قبيل الطقوس الغامضة التي وضعت كيفما اتفق. بل الحق أنها أريدت لمغزى عميق وحكمة بالغة، ولا بد من توفرها لكمال الصلاة. إن التكوين البشري يقتضي تفاعل الروح والجسد، فيتأثر كل منهما بالآخر ويؤثر فيه. فمن يتباكى تدمع عيناه، ومن يتضاحك تنفرج كآبته، والمحزون يظهر أثره على وجهه وعينه، والمرعوب ترتبك أمعاؤه ويسيل عرقه. فمشاعر الإنسان تؤثر في بدنه، وحالات البدن تنعكس على المشاعر.

وقد جرت عادة الشعوب جميعها، المتمدن منها والبدائي، في القديم والحديث، على التعبير الجسدي عن مشاعرها من حب وكراهية واحترام وطاعة وما إلى ذلك. وقديما كان الفرس يقفون أمام ملوكهم الذين كانوا يعتقدون بأنهم مظاهر الألوهية في الأرض، رابطين أيديهم على صدورهم، كذلك كانوا يكتفون أحيانا بمجرد الوقوف. والأمم الغربية تعد القعود على الركبة منتهى الاحترام والتذلل. والهنود يتخذون الركوع وسيلة للتأدب والخضوع. كما أنهم يسجدون لعظمائهم وآلهتهم. وبما أن الإسلام للأمم كافة فلذلك فإنه قد جمع في عبادته كل هذه الأوضاع المتفرقة كي يجد فيه كل قوم طريقه الخاص الذي يؤديه إلى الخشية التي تلزم العبادة؛ لأنهم (أولا) سيتأثرون بهذه الهيئة الخاصة لأجل عادتهم القومية، (ثانيا) سيستفيدون بهذه الأوضاع المختلفة حسب حالتهم القلبية، لأن التغير الذي يحصل في قلب الإنسان قد يجعله يركع من شدة الحب أو مبالغة في التأدب، وقد يقعد على ركبته لنفس السبب، وقد يمثل مثولا، وقد يخر ساجدًا. فمهما يحصل في قلبه من التغير الروحي يجد له الوضع المناسب الذي يساعده على التحمس، والاستفادة من العبادة حق الاستفادة.

وثالثًا يتأثر الإنسان بهذه الأوضاع حسب ظروفه الجسمانية من المرض وغيره، مثلا مريض البرد يضطرب في السجدة، لكن القيام والقعود يساعدانه على التحمس للدعاء، لأن هاتين الهيئتين تتفقان وحالة مرضه. والرجل الذي يشكو ضعفا في رجله يطمئن في السجود ويستعيد التحمس.

وجملة القول إن الإسلام جعل من العبادة عملا اجتماعيا، واضطلع بمسئولية إصلاح الشعوب كلها، ولذلك جمع في هذه العبادة كل الأوضاع التي مارستها الشعوب في إظهار عاطفة التأدب والخضوع التي تنطوي عليها قلوبهم. وهكذا بلغت الصلاة الإسلامية من الكمال حدا لا تبلغه صلاة أية أمة أخرى.

ونظرا لما للصلاة من مزية فريدة أمر الإسلام بأدائها في جماعة، لأن اجتماع الناس، على اختلاف استعدادهم، يجعل قلوبهم تتفاعل بعضها ببعض، فيتأثر ضعيف الإيمان بقوي الإيمان، ويستمد منه القوة. وبما أن الإنسان قد يشعر بميل نحو

العبادة منفردًا فلذلك قد أمره بالنوافل، كصلاة التهجد، وبذلك أتاح له الفرصة لتحقيق هذه الرغبة الخاصة.

فخلاصة القول إن الصلاة الإسلامية جامعة لجميع الطرق المعروفة لدى مختلف الأمم لإيجاد حالة خاصة ضرورية للعبادة، وفيها قوة عظيمة لإصلاح الحالة القلبية لكل شعب وفرد، ولإيجاد حماس صادق للعبادة فيهم. والتزام مختلف الأوضاع في الصلاة لا يقلل من عظمتها، وإنما تكتمل بها، وتفوق بها على العبادات الأخرى.

وعلاوة على ما تقدم من أثر للمظاهر والأوضاع، فإن الصلاة تتضمن التسبيح والتحميد والتعظيم، وهي معان سامية تذيب قساوة القلوب، وتضم أدعية تسمو بالتفكير الإنساني، وتزيد أهدافه سموا ورفعة، وتثير عواطفه للتقوى والعمل الصالح، وتلهب في قلبه جذوة الحب الإلهي. وهذه الأدعية هي العنصر الروحاني للصلاة..

والفرق بين الصلاة وبين عبادة أية أمة أخرى عند المقارنة كالفرق بين الشمس وسراج الزيت. ولقد عزل الإسلام صلاته عن جميع مظاهر اللهو كالغناء والموسيقى والرقص التى نراها في العبادات الاجتماعية للأمم الأخرى، ولكنه زينها بالبساطة والحب الذي يقدم به المؤمنون تحيات إخلاصهم للحضرة الإلهية، ويلتمسون حبه عز وجل.

وتؤدي الصلاة الإسلامية خمس مرات في اليوم، نهاره وليله، وليس مرة واحدة في الأسبوع.. كما هو الحال عند بعض الديانات. ومع أن هذا العصر تكتنفه الاتجاهات اللادينية وتتمكن منه المادية الطاغية فإن صلاة المسلمين في اليوم الواحد تزيد عن صلاة غيرهم في أسبوع. وهذا خير شاهد على القوة الجاذبة في الصلاة.

ويتساءل بعض الناس: ما هي المصلحة في أمر الله بالعبادة، وهل هو بحاجة إلى عبادتنا، في حين أن التعظيم والتكريم لا يسر إلا الجاهل من الناس؟؟ والرد على هذا الزعم أن العبادة لا تهدف إلى إعلاء شأن الله تعالى، بل هي ترمي إلى إيجاد الصلة بين العبد وربه، حتى يتمكن من استمداد النور الإلهي. ومما لا يمكن إنكاره أن مجرد التفكير لا يُولد في الإنسان حماسًا لمحو ذاته في ذات الله تعالى، بل يحصل هذا عن طريق حب كامل جامح شديد، وهذا الحب، لا يحصل إلا بانكشاف تام لنعم المنعم الكامل. والصلاة تحقق هذا الغرض لأنها تقدم الوسائل الكاشفة لشأن الله عز وجل.

وإن قيل: إن الإنسان إذا أراد الاتصال بالله أمكنه ذلك في أي وقت شاء، فإذن لماذا حُدِّد المواقيت الخمسة للصلاة.

هذا الاعتراض ناشئ عن قلة تدبر، لأن الطبيعة الإنسانية إذا لم توجه إلى أهدافها مرارا أخلدت إلى الكسل. فالله تعالى، نظرا إلى تفاوت المصلين في القوة الإيمانية، أمرهم بالصلاة الجماعية.. كي يتمكن الضعفاء مع الأقوياء من الفرص التي تجلو قلوبهم، وتطهر نفوسهم.. وهذا بتغلغل العوامل الخفية التي تتسرب إليهم من أقوياء الإيمان.

يعترض بعض الناس أن الله أمر بالصلاة خمس مرات مع أن الأشغال في هذه الأيام قد كثرت لدرجة يصعب معها توفير هذا القدر من الوقت.

والرد على هذا الزعم أن الصلاة إذا كان هدفها إتاحة الفرص لانعكاس الصفات الإلهية بإذكاء الحب الإلهي.. فمن البديهي أن حاجة الصلاة تشتد كلما كثرت الشواغل عنها، لأنه من البين أن الشواغل عن الصلاة إذا قلّت، قلّت الحاجة إلى تذكير الإنسان مرة بعد أخرى، لكن إذا كثرت الملهيات وجب التذكير. فهذا العصر الذي كثرت فيه الأعمال وتنوعت أحوج ما يكون إلى الصلاة. لو كانت الصلاة مجرد مظهر للعقيدة لأقمنا لهذا الزعم وزنا، لكنها ليست كذلك، بل إنها تهدف إلى أن تستعد النفس الإنسانية استعدادا يمكنه الانتقال السريع عن العالم المادي إلى العالم الروحي، وأن لا يتخبط تفكيره في العلائق المادية فقط، بل يقدم على المثل العليا، كما يقول الله عز وجل: [إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر].. (سورة العنكبوت).. أي أن الصلاة ليست مجرد اعتراف بالعبودية، بل هي صقل القلوب ووقاية لها من السيئات والمنكرات، ويصير صاحبها نافعا لبني الإنسان وعنصرًا صالحا في المجتمع. فالعمل الذي يتضمن كل هذه المزايا لا تقل أهميته في العصر المادي الصاخب بل تتضاعف . والحق أن انتشار الاضطراب والقلق واعتداء الأمم بعضها على بعض في العصر الحاضر كل أولئك ترجع إلى عامل هام خطير وهو انصراف الناس عن العبادة الخالصة لله تعالى، ولو تمسكوا بها لأدى اتصالهم بالله الرحمن الرحيم إلى استبدال التواد والتعاطف بالتباغض والتنافر.

من جوامع الكلم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: «أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟»، قال: «تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفتَ ومن لم تعرفْ». (متفق عليه).

عن أبي عبادة البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبعٍ: بعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وتشميتِ العَاطِسِ، ونصرِ الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار القَسَمِ». (متفق عليه).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا. أَوَلَا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشُوا السلام بينكم». (رواه مسلم).

عن أبي يوسف عبد الله بن سلامٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس، أفشُوا السلام، وأطعِموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا والناس نيامٌ، تدْخُلُوا الجنَّةَ بسلامٍ». (رواه الترمذي).

عن أبي أُمامة صُدى بن عجلان الباهلِّي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أولى النَّاس بالله من بدأهم بالسلام». ورواه الترمذي عن أبي أُمامة قيل: يا رسول الله الرجلان يلتقيان، أيهما يبدأُ بالسلام؟ قال: «أولاهُما بالله تعالى».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذَا لَقِي أحدُكُمْ أخاهُ فليُسلِّمْ عليه، فإن حالَتْ بينهُما شجرةٌ أو جدارٌ أو حجرٌ، ثم لقِيهُ فليُسلِّم عليه». (أبو داود).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بُنيَّ إذا دَخلْتَ على أهلِكَ فسلِّم، يَكُن بركةً عليكَ وعلى أهل بيتكَ». (رواه الترمذي).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهى أحدُكم إلى المجلس فليُسلم، فإذا أراد أن يقوم فليُسلِّمْ فليست الأولى بأحقَّ من الآخرة». (رواه أبو داود والترمذي).

كلام الإمام

لسيدنا المسيح الموعود والمهدى المعهود عليه السلام

من هو الأعمى: ؟

إن القرآن الكريم يذكر جنتين، وإحداهما جنة دنيوية، وهي التلذذ من الصلاة. فالصلاة ليست بضريبة جبرية، بل إن للعبودية علاقة وجذبا مع الربوبية، وإبقاءً لهذه العلاقة فقد فرض الله الصلاة، وأودع فيها لذة لدوام هذه العلاقة. وكما أن الفتى والفتاة عندما يتزوجان إذا لم يجدا في لقائهما لذة لفسد الزواج، فكذلك لو فرغت الصلاة من اللذة لانقطعت هذه العلاقة. فيجب عليكم أن تغلقوا أبواب حجراتكم فتدعوا لدوام هذه العلاقة وتلك اللذة. فالعلاقة بين العبودية والربوبية عميقة جدا، ومملوءة بأنوار لايمكن تفصيلها، وما لم تحصل تلك العلاقة للإنسان فهو مثل العجماوات. ولو تلذذ الإنسان بتلك اللذة حتى ولو لمرتين أو أكثر لوجد نصيبا من تلك الحلاوة، ولكن الذي لم يحظ بها ولا لمرتين أو أكثر فهو من العميان، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى.

(ملفوظات، المجلد السادس، ص ٣٧١).

(والذين هم على صلواتهم يحافظون).. أي أن المؤمنين الحائزين على الدرجة السادسة المجتازين الدرجة الخامسة هم أولئك المؤمنون الذين يحافظون على صلواتهم بأنفسهم، فلا يحتاجون إلى تذكير من أحد أو ترغيب. بل حصل لهم التعلق بالله تعالى ، وأصبح ذكر الله محبوبا لديهم، وصار سبب راحتهم وحياتهم بحيث إنهم لا ينفكون محافظين عليه كل حين. فهم يقضون كل لحضة في ذكر الله عز وجل، ولا ينفصلون عن ذكره طرفة عين.

(ضميمة البراهين الاحمدية – الجزء الخامس ص ٥٤)

فخلاصة القول إن ذكر الله المملوء بحبه تعالى المسمى بالصلاة يصبح لهؤلاء المؤمنين بمثابة الغذاء الذي لا يمكن أن تستمر حياتهم بدونه، والذي هم يحافظون عليه كمسافر في فلاة لا زرع فيها ولا ماء، فيحافظ على بضعة أرغفة عنده وعلى قليل من الماء الذي في قِربته محافظه شديدة.

(ضميمة البراهين الاحمدية-الجزء الخامس ص ٥٤)

كيفية علاج عدم التلذذ من الصلاة:

وإذا حدث لأحد أن فقد ذلك الأنس و التلذذ أثناء الصلاة فعليه ألا يملّ ولا يتوانَى ولا تفتر عزيمته لأجل غلبة اليأس، بل يجب عليه الاعتناء والاهتمام بالبحث عن هذا المتاع المفقود بجد ونشاط . وعلاج ذلك هو التوبة والاستغفار والتضرع. ولا ينبغي ترك الصلاة لعدم التلذذ منها، بل لابد من الإكثار من الصلاة، مثل مدمن الخمر الذي إذا لم يسكر لم يقلع عن الإدمان، بل يشرب الكأس تلو الكأس إلى أن يتلذذ ويتمتع. فالذي يعاني من عدم التمتع والتلذذ من الصلاة فعليه بالإكثار منها.

(ملفوظات المجلد الخامس ص ٤٣٢).

ماهي الصلاة ؟ هي في الحقيقة بمثابة الدعاء في حضرة الكبرياء الذي من المحال أن يَحيَ الإنسان بدونه، وأن يتمتع بالعافية والراحة والسرور بغيره. ولما يتكرم الله تعالى عليه بفضله حينئذ هو يستمتع بالسرور الحقيقي والراحة الحقيقية، وعندئذ يحظَى بالتلذذ من الصلاة والتمتع بها. وكما أنه يتلذذ من تناول الأطعمة الشهية كذلك سيتلذذ من البكاء والنداء، وتتاح له هذه الكيفية أثناء الصلاة. وكما أن الإنسان يتناول الدواء المر للتمتع بالصحة الكاملة، فكذلك لابد من أداء الصلوات والدعوات وإن كانت خالية من التلذذ.

وخلال هذه الحالة الخالية من التلذذ يجب أن يدعو لطلب التلذذ قائلا: رب، أنت تراني أعمى وفي غاية العمى، وأنني الآن من الأموات كلية، وأعلم أنه سيناديني مناد عن قريب للمثول بين يديك، فعندئذ لايمكن أن يمنعني من ذلك مانع. ولكن قلبي أعمى وخالٍ من العرفان، فأنزلْ عليه من النور شعلة تزكي فيه نار أنسك وحبك، وتكرم علي بفضلك كيلا أُحشَرَ أعمى، وألْحَقَ بالذين لايبصرون.

حينما يدعو الإنسان بمثل هذا الدعاء ويداوم عليه سيرى أنه سيأتي عليه حين ينزل عليه من السماء أثناء هذه الصلاة الفارغة من التلذذ شئ يولد فيه رقة عظيمة.

(ملفوظات المجلد الرابع ٣٢١).

على المؤمنين التبشير وعلى الله فتح القلوب

ترجمة :
الأستاذ محمد صديق

خطبة جمعة ألقاها يوم ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٦ الموافق ١١ شباط سنة ١٩٣٨ م حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه الخليفة الثاني لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

قال حضرته بعد تلاوة الفاتحة :

«اعلموا أن من عادة المؤمنين أن يأخذوا لأنفسهم العبرة من كل شيءٍ، إذ أن أقل وأحقر شيءٍ في هذا العالم يجب على الإنسان أن يلفت نظره إليه وأن يفهم الحكمة من وجوده، وكذلك أكبر وأعظم شيءٍ في هذا الكون يكون للمؤمنين بمثابة أعظم درس يتلقونه ويستفيدون من حكمته. إننا بينما نرى الكفار ومكذبي العقائد وكذا الذين في قلوبهم مرض،لا يستفيدون من أكبر المعجزات في هذا العالم، بل يزدادون طغيانا على طغيانهم ويستكبرون استكبارًا، إذ بنا نشاهد المؤمنين المخلصين الذين صفت أرواحهم واتصلوا بالملكوت الأعلى يستفيدون من كل صغيرة وكبيرة من هذا الكون، ويتفكرون في خلق السمٰوات والأرض قائلين : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقِنا عذاب النار.

وقد ورد في الحديث الشريف أن النبي ﷺ كان ذات مرة مع بعض أصحابه في غزوة من الغزوات، وإذا بامرأة جاءت مسرعة إلى ميدان الحرب، وكان النبي ﷺ ينظر نحوها. فحينما وصلت إلى ساحة المعركة وكانت حامية الوطيس لم تبال بما يجري حولها، بل كان يظهر عليها الاضطراب، وكأنما تتفقد شيئا أضاعته. وإذا بها ترى طفلا صغيرًا، فسرعان ما حملته دون أن ترى من يكون هذا الطفل. ثم قبلته وضمته إلى صدرها ظنا منها أنه ابنها الذي كانت تنشده.

وبعد برهة تبين لها أن هذا ليس بطفلها، فتركته، وبدأت تفتش عن طفلها وهي شاردة اللّب مضطربة البال فاقدة الحس من جراء فقدان ابنها. وإذا بها تجد طفلا آخر. ففعلت به كما فعلت بالطفل الأول ظانة بأنه طفلها. ولما تبين لها بأنه ليس طفلها فلذة كبدها تركته. وهكذا ظلت مرة بعد أخرى تسير بين مشتجر القنا وضرب السيوف وفوق جثث القتلى والجرحى وهي غير مبالية بكل ذلك. نعم إنها كانت تسير في وسط هذه المعركة الحامية الوطيس دون أن تفكر في الخطر المحدق بها وهي تفتش بدون وعي عن ابنها وطفلها وفلذة كبدها. وكانت كلما وجدت طفلا تفعل به ما فعلت بالذي قبله،حتى وجدت طفلها الحقيقي، فأخذته، وجلست في نفس الموضع الذي وجدته فيه،وبدأت تُرضعه غير هيابةٍ من الخطر الذي يحيق بها من كل جانب. وكان ممكنا أن تقتل هي وطفلها في ساحة الوغي، ولكنها لم تبال بكل ذلك، بل هبطت عليها سكينة، وكأنها جالسة في جنة الخلد لا تفكر فيما حولها. وكان دماغها خاليا من أي فكر آخر سوى طفلها الذي كانت تظن بأنه لا يوجد في الميدان غيره وغيرها. وما دام طفلها موجودًا في حضنها فهي لا تبالي بأي شيءٍ لأن طفلها أكبر مملكة عندها.

وكان الرسول ﷺ متتبعًا جميع حركاتها وسكناتها. فتأثر النبي ﷺ من هذا المنظر وأعجبه حنان تلك الأم على طفلها. فالتفت إلى أصحابه وخاطبهم قائلا : «أرأيتم هذه الأم الرءوم كيف كانت تفتش عن طفلها وهي في اضطراب وقلق عظيمين. ولما وجدت طفلها الحقيقي اطمأنت وهدأت كأن لم يحدث لها أي حادث. وانفرجت أسارير وجهها بعد أن كانت كئيبة حزينة مقطبة الجبين؟ هكذا هو الله سبحانه وتعالى، فإنه كالأب الشفوق، لأن الخلق هم عيال الله، وكالأم الرءوم التي تشفق على أولادها، لأنه هو المربي لنا من المهد إلى اللحد. فلا تظنوا أنه لا يبالي بالذين يتركونه وينحرفون عن طريقه المستقيم، أو يشركون به ويهيمون في ظلمات الضلال ويتبعون زخرف الشياطين، بل الله عز وجل عندما يرى عبده ضالا وغارقا في الضلالة يمكننا عندئذ القول بلغة مثالية : إن الله يضطرب كما تضطرب الأم الحنون على ولدها.

فكروا في هذه الواقعة التي رآها النبيﷺ فاستنبط منها حكمة من أعظم الحكم وموعظة من أعظم المواعظ دون أن يفطن لها أحد غيره! إن المؤمن يتعظ بغيره، ويفكر في كل شيٍ في العالم، ويجد في كل صغيرة وكبيرة آية كبرى من آيات الله سبحانه وتعالى.

جاء سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام هاديا ومبشرا ونذيرًا، فأما المؤمنون فقد وجدوا في كل عمل يعمله موعظة. وأما المنكرون الذين في قلوبهم زيغ فلم يزدادوا إلا عتوًا واستكبارًا. ولكن هل يمكننا أن نترك هؤلاء وشأنهم؟ كلا!؟ ألا تعرفون أنهم ينسبون أنفسهم على كل حال، ولو باللسان، إلى حبيبنا وسيدنا ومولانا محمدﷺ؟

ألا أيها الإخوان الأحمديون! ذكِّروا وذكِّروا، فإن الذكرى تنفع المؤمنين. بشِّروا وبشِّروا، فإن البشارة والتبشير ينفعان المخلصين.

لقد قسم الله العمل بينه وبين عباده المؤمنين. فعمل المؤمنين التبشير وعلى الله أن يفتح القلوب وأن ينزل السكينة على من يشاء من عباده. فعلينا بالتبشير وعلى الله فتح القلوب.

جاء أحد من العرب في زمن الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام إلى قاديان. ويوجد من بين هؤلاء الذين يأتون من البلاد البعيدة ويمكثون في قاديان من يكون طالب جدوى. وقد ظن الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أنه من هؤلاء. فلما قصد السفر أراد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أن يصله بأجرة السفر، ولكن ذلك العربي أبَى وقال: إني ما جئت من أجل المال، ولكني أتيت لكي أبصر ما سمعته عنك بأنك ادعيت المهدوية. وأنا بعد أن مكثت هذه المدة لم يتبين لي صدقك. فقال له الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام: إذن عليك أن تبقى مدة أخرى عندنا مثل المدة التي قضيتها، وسترى صدق دعوتي إن شاء الله. ثم أشار حضرته عليه السلام إلى بعض كبار أصحابه بأن يناقشوه لكي يقنعوه في بحر تلك المدة. ففعلوا ذلك بضعة أيام واجتهدوا معه كثيرًا، ولكنه لم يقتنع. فأخبر الصحابة حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بالأمر وقالوا إننا لم نستطع إقناعه، ولكننا نجد فيه شوقا لمعرفة الحق، ورأينا أن تدعو له، ربما اهتدى بواسطة الدعاء. فدعا حضرته عليه السلام. فأخبره الله سبحانه بأن هذا العربي سيهتدي. وبالفعل حدث في تلك الليلة أن هذا العربي بينما كان جالسا وحده إذا به يقوم فجأة ويقول صائحا: نعم نعم، إن المسيح الموعود حق وصدق. ولقد اقتنعت بأنه صادق في دعوته.

ثم ذهب إلى الحجاز وأخذ يبشر القوافل ويقول بمجيٍ سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. حتى إنني لما ذهبت إلى الحج قبل خلافتي سمعت عن هذا الرجل بأنه كان يتبع القافلة المسرعة ويركض بجانبها ويبشر الحجاج. فكانوا يضربونه ضربا مبرحا حتى يسقط على الأرض مغشيا عليه، ويظل مطروحا على الأرض إلى أن تأتي قافلة أخرى، فيفعل معها مثلما فعل بالأولى. وظل يفعل هكذا طول حياته إلى أن توفاه الله، وذهبت روحه الطاهرة إلى خالقها.

فالهداية والإقناع في الحقيقة من الله تعالى، وأما التبشير وإبلاغ الدعوة فأمر موكول إليكم. فإذا لم تبلغوا حق التبليغ تكون المسئولية عليكم أنتم يوم القيامة، ولا على الذين لم تبلغهم الدعوة.

ولن يضركم سب المنكرين وشتمهم لأنكم بمثابة الأب الشفيق المربي الذي إذا أراد أن يصلح أولاده ويوجههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم فهو لا يبالي بهم إذا قاموا ضده وسبوه وشتموه.

ثم إن هؤلاء أيضا مثل الجنين في بطن أمه. وكما أن الأب يهتم به اهتمامه بالولد الذي خلق ووجد في هذا الكون، ويعتني بصحة أمه اعتناء عظيما غير مفكر هل يكون من نصيب هذا الجنين الحياة على وجه الأرض أم يذهب إلى القبر، فكذلك حالكم أنتم مع هؤلاء.. فهم كأجنَّتكم، ويجب أن تعتنوا بهم. فلربما يكون من نصيب بعضهم الحياة والهداية على أيديكم.

ولا تفكروا في سبهم وشتمهم، وإن لكم في رسول الله أسوة حسنة، فإنهﷺ عندما ذهب إلى الطائف يبشر قومه قابلوه بالإيذاء والضرب، وأدموه لدرجة تدفق الدم من ظهره وسال إلى حذائه، والتصقت قدمه بالحذاء لِتجمُّد الدم. وأطلقوا الكلاب وراءه تنوشه. وفي هذا الموقف نزلت عليهﷺ الملائكة وسألته إذا ما أحب أن يعذبوا قومه بعذاب أليم؟ ولكنهﷺ قال لهم: كلا!؟ إنهم قومي. ثم توجه إلى الله وقال: اللّهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

فيا إخواني الأحمديون! إني لأرجو أن تعتبروا بهذه الحوادث، وتفكروا دائمًا في كل ذرة من الذرات، وفي كلّ شيٍ من الأشياء، وأن تروا الله متجليا في جميع الحوادث التي تمر أمامكم. وإني أحضكم على التبشير وعلى الله سبحانه وتعالى فتح القلوب وتهيئتها إلى الإيمان الصحيح.

والله أسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

متى وُلد المسيح عيسى عليه السلام؟

بقلم: بشير أحمد أورتشارد
الداعية الإسلامي الأحمدي من الإنجليز
ترجمة: الأستاذ عمر القوني

المسيح هو ركيزة وروح اللاهوت المسيحي، ودون الاعتقاد عن مولده، فكل التسميات والتعريفات التي يضعها علماء اللاهوت تغير أساس المسيحية. خلال الألفي سنة الأخيرة، نجد أن ملايين المسيحيين وجدوا الدعم في اعتقادهم بحياة المسيح.. فصفة المعجزات التي ترتبط بمولده، والقصص عن المعجزات التي قام بها، واصطدامه بالرومانيين والإسرائيلين وغيرهم، ثم أخيرا صلبه.. كل هذا أرسى اللبنات الأولى والتي ما زالت تغذي هذه الديانة الرائدة في العالم الغربي إلى اليوم، ومنذ قرون مضت.

مع هذا فإنه يبدو غريبًا أن معظم الأحداث المهمة في حياته بقيت لغزًا وراء الحجاب. هل ولد من أم بكر؟ متى وُلد؟ لماذا اكتنف الغموض حياته منذ طفولته وحتى إعلانه النبوة؟ كم دامت رسالته؟ من هم المسئولون حقيقةً عن محاولة صلبه؟ قادة اليهود المعادون، أم الحكام الرومان؟ هل مات بعد قليل من صلبه، أم كان مغشيًا عليه عندما أخذ من الصليب؟ إذا كان قد بُعث، فمن هم شهود عيان، إن كان هناك؟ ما هي أهمية بقعات الدم على قطعة القماش التي كفن بها والتي توجد الآن بكاتدرال تورين، بإيطاليا. هل غادر فلسطين إلى الضفة الغربية لينجز ما قاله بأنه أتى من أجل القبائل الإسرائيلية المفقودة؟ هذه وكثير من مثل هذه الموضوعات عن حياة المسيح كانت ولا تزال تشغل وتتحدى طموحات الكثير من العلماء المسيحيين وغيرهم.

للتوضيح، دعنا نعلق على موضوع واحد فقط عن مولده، حيث ظل العالم المسيحي ومنذ القرن الثاني الميلادي يحتفل بمولد المسيح يوم ٢٥ ديسمبر. فالتقويم المسيحي يجعلنا نعتقد بأن المسيح وُلد في ذلك اليوم قبل حوالي ١٩٩٠ سنة. ومن ناحية أخرى، فالعلماء المسيحيون لم يُجمعوا بالضبط على السنة التي وُلد فيها، ولا حتى على التاريخ الذي وُلد فيه.

ديفد إي. اندرسون David. E. Anderson، الكاتب الديني يعلق: «يقول العلماء بأنه ليس هناك حادث ثابت أو واضح يحدد ميلاد المسيح بدقة، مع أن معظم خبراء الكتاب المقدس يجعلون مولد المسيح حوالي ٦ سنوات قبل الميلاد».

(أخبار اليوم (NEWSDAY)، ٢٢ ديسمبر ١٩٨٣).

معظم علماء الكتاب المقدس اليوم لا يقررون فقط من أن المسيح وُلد بست سنوات قبل التاريخ المعروف للناس، بل يرفضون الزعم بأن المسيح وُلد في يوم ٢٥ ديسمبر. كما أوضح ديفد إندرسون، من أن طقوس الاحتفال بعيد الميلاد جاءت كرد فعل لما كان يمارسه الرومان باحتفالهم بعيد الحصاد، والذي يعني نهاية فصل الشتاء وعودة الشمس والدفء، للزحل إله الحصاد. وبمعنى آخر، أصبح عيد الميلاد «يفهم كبديل لعبادة الشمس، بعبادة الابن».

ويضيف قائلا: «في العام ٥٢٩ م، بعد أن أصبحت المسيحية دين الدولة للأمبراطورية الرومانية، جعل الأمبراطور جستيان من عيد الميلاد عطلة مدنية منع فيها جميع الأعمال في ذلك اليوم».

منذ ذلك الحين أصبح الاعتقاد بعيد الميلاد راسخًا، وبالرغم من أن البرلمان الإنجليزي حرم تلك العطلة في ٣ يونيو ١٦٤٧م، إلا أن هذا البرلمان أُجبر لإلغاء ذلك القانون، وعاد الاحتفال بذلك العيد نتيجة ضغط الجمهور.

مما لا شك فيه أن الاعتقاد بسنة وتاريخ ميلاد المسيح خاطئ تمامًا ومعاكسًا تمامًا لما وجده المؤرخون والعلماء وخبراء المسيحية.

ويبقى السؤال: إذا كانت قصة البعث محاطةً بمثل هذه الخرافات والخزعبيلات، ألا يمكن أن تكون هذه ضربة قاضية على ركائز اللاهوت المسيحي، مثل الكفارة والتصديق بالمسيح كمنقذ؟

أبو العطاء

هذه الأبيات من نظم الأستاذ محمد إسماعيل رثا بها حضرة مولانا أبي العطاء الجالندهري رحمه الله، المتوفَّى في مايو ١٩٧٧. وهو أحد خوالد الأحمدية الثلاثة، وثاني الدعاة الإسلاميين الأحمديين بالديار العربية، حيث قام بخدمات مشكورة في فلسطين بين سنة ١٩٣١ إلى ١٩٣٦.

وتصديقاً بآلاء الإلٰهِ ... وشكراً وقتَ ضُرٍّ والعناءِ
نجيءُ بأمره دارَ الفناءِ ... ونَقفِلُ نحوه دارَ البقاءِ
ونشكرُ إنْ رَزَقتَ أبا العطاء ... ونصبر إذ أخذتَ أبا العطاءِ
دُهشتُ وذقتُ لوعاً إذ سمعتُ ... بموت الأُلمعيّ أبي العطاءِ
سُهيلاً كُنتَ في وقت الخصام ... طلعتَ بموتِ وُلد الأغبياءِ
وأعطاك الإلٰه لواء فتح ... مبين في ميادين الوغاءِ
بَرعتَ وفُقتَ في فصل الخطاب ... وَعُمتَ ومُجتَ في بحر المراءِ
سَموت وطُلتَ في أملاء أدبٍ ... وسُدتَ وقُدتَ في بحر الوَغاءِ
جَنَيْت الشهد من ثمر وزهرٍ ... ومحمسة لأسقامٍ وداءِ
خصامُ أبي العطاءِ مع الخصوم ... مصارعة الأساود والظباءِ
نسيم بشارةٍ للأصدقاءِ ... وصاعقة وبرق للعداءِ
ورَوحان وراحٌ للودود ... وسيف صارم للأشقياءِ
وخطَّ الصرح مجداً للموالي ... وخط اللحد ذلاً للعداءِ
وعَن دَرَنٍ نزعت مثال حرّ ... وأسرعتَ إلى قمم العلاءِ
وحُسنُ خطابه آنَ الخطاب ... كمثل الوبل في حرث الظماءِ
وسيف صارمٌ وقتَ النزالَ ... وغيم وابل وقت الدعاءِ
ومائدة العلوم بسطتَ بسطاً ... وأنواع المآكل والسقاءِ
رَحَلتَ وطرت كالبرق الوميضِ ... بروض ما رأت عين الذُكاءِ
خَفَى الخفّاش من جمع الأناسي ... إذا بَزغتْ ذُكاء أبي العطاءِ
سلامٌ وافرٌ وافٍ لطيرٍ ... يطير من الفناء إلى البقاءِ
تَخيَّم في ديار الصالحينَ ... تأبد في رياض الأولياءِ
ذكيٌّ ناقدٌ نِحريرُ وقتٍ ... وشُهرته وَعَى دانٍ وناءِ
فقيه فاضل رحب الخيالِ ... خصيب الذهن في علم المراءِ
سلام باهر باهٍ لخلٍّ ... سلاماً وقت صُبح والمساءِ
إلهي إن خلقتَ أبا العطاء ... فكثِّر من مثيل أبي العطاءِ
كما أبدعت خلق أبي العطاء ... كذا أتمِمْ فيوض أبي العطاءِ

ترجمة:
الحاج محمد حلمي الشافعي

بعض الخصائص المميزة للإسلام

كلمة سيدنا مرزا طاهر أحمد
إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية
ألقاها في جامعة كانبرا، أستراليا

عند الحديث في موضوع السمات المميزة لدين الإسلام فإن أول السمات وأشدها جاذبية وأخذا بمجامع الألباب، تلك السمة المحببة للقلوب، إذ يتنازل عن احتكار الحق، والقول بانتفاء مجيء ديانات صادقة أخرى، ولا يدعى بأن العرب هم وحدهم مناط محبة الله تعالى. فالإسلام هو الدين الأوحد الذي يرفض تماما فكرة أن الحق وقف على دين واحد بعينه أو على جنس معين من الناس، بل يعلن أن الهداية الربانية نعمة عامة تغذي الإنسانية في جميع العصور. يخبرنا القرآن المجيد في قوله: [... وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير] (سورة فاطر: ٣٥). أنه لم يُحرَم جنس أو قوم من بعثة الأنبياء والرسل من لدن الله تعالى.

وعلى العكس من وجهة النظر الإسلامية هذه بتجلي فضل الله على أمم الأرض جميعا.. تصدمنا حقيقة أنه لا يوجد كتاب واحد من كتب الديانات الأخرى يثبت، أو حتى يشير إلى، احتمال أن تكون الأقوام والأمم الأخرى قد تلقت النور والهداية من الله تعالى في أية مرحلة تاريخية. فالواقع أن التأكيد يكون قويا على صدق الديانة المحلية أو الإقليمية، مع تجاهل تام للديانات الأخرى، كما لو أن الله تبارك وتعالى حكر لدين واحد وقوم واحد وجنس واحد فحسب، مع استبعاد سائر سكان الأرض، وكما لو أن شمس الحق قد طلعت وغربت في أفق محدود لقوم بعينهم، وتركت بقية العالم منبوذين ومقضي عليهم بالظلام الأبدي.

وعلى سبيل المثال، فإن الكتاب المقدس عند اليهود يقدم فقط (إله إسرائيل)، ويردد قوله: (مبارك الرب إله إسرائيل). (سفر تاريخ الأيام ١٦: ٣٦). وهو لا يعترف، ولو اعترافا عابرا، بصدق الوحي الديني الذي أنعم به في بقاع أخرى وعلى أقوام أخر. فعقيدة اليهود بأن أنبياء بني إسرائيل أرسلوا لقبائل إسرائيل وحدها تتفق تماما مع فحوى ورسالة كتابهم المقدس.

وقد أعلن يسوع (سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام) أيضا أن الغرض من مجيئه كان هداية القبائل العبرانية وحدها، فقال: «لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة». وأوصى تلاميذه قائلا: «ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب». (إنجيل متى ١٥: ٢١ إلى ٢٥).

وكذلك توجه الديانة الهندوسية كتابها إلى ذوي المولد الرفيع فقيل: «إذا تصادف واستمع أحد من ذوي المولد الدنيء إلى الفيداس، وجب على الملك أن يسد أذنيه بالشمع والرصاص المصهور. وإذا تلا جزء من النص المقدس وجب قطع لسانه. فإن استمر في قراءة الفيداس وجب تقطيع جسده إربا». (جوتاما سمريت).

ولو أغضينا عن هذه التعاليم العنيفة، أو التمسنا لها تفسيرا أخف قسوة، لظلت الحقيقة أن الكتب المقدسة لدى مختلف الديانات لا تقول، ولو ضمنيا، بصدق ديانات البلاد أو الشعوب الأخرى.

ويبرز هنا سؤال أساسي: لو أن تلك الديانات جميعا ديانات صادقة حقا، فما هي الحكمة إذن في وصف الرب وتقديمه للعالم بمسميات محدودة محصورة؟ يقدم القرآن المجيد مخرجا سهلا من هذا المأزق، فيقول: إنه قبل الوحي القرآني وبعثة النبي محمد ﷺ أرسل الله تعالى أنبياءه إلى كل أمة وفي كل بقعة من الأرض، ولكن كان مجال دعوتهم إقليميا وكانت مهمتهم موقوتة. ذلك لأن المدنية البشرية لم تكن قد وصلت بعد إلى مرحلة التطور التي تستحق مبعث رسول عالمي يحمل رسالة كونية شاملة.

الدين الكوني

في الصفحة الأولى من القرآن الكريم حمد لله «رب العالمين»، وتحث السورة الأخيرة منه على الدعاء والاحتماء «برب الناس». وهكذا تعرض الكلمات الأولى والأخيرة من القرآن المجيد مفهوما عن الله يتعلق بالكون كله، وليس مجرد رب للعرب أو المسلمين وحدهم. ولا ريب أنه لم يشر أحد قبل نبي الإسلام ﷺ إلى الإنسانية جمعاء. ولقد جاء الإعلان الأول في حق نبي الإسلام ﷺ في العبارة التالية:

[وما أرسلنٰك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون*] (سورة سبأ: ٢٩).

ثم في قوله:

[قل يٰأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا..] (الأعراف: ١٥٩).

وإذا وصف القرآن نفسه بأنه: [.. ذكر للعٰلمين] (سورة التكوير: ٢٨)، فإنه بذلك يقيم من نفسه هداية متعلقة بالتطور والتقدم الحقيقي لبني البشر جميعا.

لقد تكرر وصف القرآن بكونه [مصدقا] للكتب الأخرى، وحث المسلمين على الإيمان بكل الأنبياء كما يؤمنون بنبيهم محمدﷺ. وفي ديننا تحرم التفرقة بين الأنبياء، أو الإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم الآخر. يقول القرآن المجيد:

[... كلٌّ ءامَنَ بالله وملٰئكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله] (سورة البقرة: ٢٨٦).

قد نكون في غنى عن البحث عما إذا كانت العالمية ميزة مرغوبة في الدين، ولماذا ألقى الإسلام عليها هذه الأهمية الكبرى. ومنذ أن جاء الإسلام برسالة الوحدة لبني البشر وإذا بها تسارع خطو المسيرة نحو هذه الوحدة بعجلة متزايدة في كل المجالات. ومثال هذه المسيرة ما نشهده في وقتنا الحاضر من إقامة المؤسسات والاتحادات الدولية المتنوعة. وما هذه الحقيقة إلا معالم رحلة طويلة ملتوية نحو وحدة بني البشر جميعا. فهذه الحاجة العارمة المحسوسة في إنسان اليوم المتقدم المتحضر قد سبق إنجازها بغرس بذورها في رسالة الإسلام منذ ١٤٠٠ عام مضت. ولا شك أن تقدم وسائل السفر والاتصال السريع قد زود هذه المسيرة بقوة دافعة جديدة نحو الوحدة بين الشعوب والأمم.

حقيقة الاختلافات والتناقضات بين الديانات

قد يرد هنا سؤال: إذا كانت الديانات كلها مؤسسة في الواقع بيد رسل الله تعالى، فلماذا توجد اختلافات بينها في تعاليمها؟

ويجيب الإسلام وحده على هذا التساؤل، وهذه أيضا إحدى سمات الإسلام المميزة لهذا الدين.. يقول الإسلام إن هناك سببين أساسيين لوجود هذه الاختلافات بين الأديان المتنوعة: أولا، التفاوت بين الظروف اقتضى تفاوتا بين التعاليم والقواعد، وقد كفل الله العليم الحكيم الهداية بما يناسب متطلبات كل الأعمار والأقاليم والأقوام. وثانيا، لقد اندرس محتوى الديانات المتنوعة بفعل تقلبات الزمن، ومن ثم لم تحفظ بصورتها الأصلية. وفي بعض الحالات أدخل أتباع الديانات أنفسهم بدعا وانحرافات لتلائم حاجتهم المتغيرة، ولهذا الغرض استمر التحريف يقع على الكتب الأصلية الموحى بها. ومن الواضح أن مثل هذا التزييف للرسالة الربانية استدعى هداية جديدة من لدن المصدر الأصلي. قال الله تعالى:

[يحرِّفون الكلِمَ عن مواضعه، ونَسُوا حظًا مما ذُكِّروا به...] (المائدة: ١٤).

وإذا بحثنا تاريخ الاختلافات بين الديانات المتنوعة على ضوء المبادئ التي بينها القرآن المجيد نجد أن هذه الفروق تتجه إلى التناقض كلما اتجهنا نحو المنبع نفسه. فمثلا إذا حصرنا المقارنة بين الإسلام والمسيحية في مسألة حياة يسوع المسيح والكتب الإنجيلية الأربعة لوجدنا فروقات ثانوية بين التعاليم الأساسية للكتاب المقدس وبين القرآن الكريم، ولكننا إذا مضينا بعيدا في طريق الزمن اتسعت هوة الخلاف أكثر وأكثر حتى يتعذر عبورها تماما. وما ذلك إلا نتيجة محاولات الإنسان لتعديل الوحي الأصلي. ويكشف تاريخ الديانات الأخرى نفس الحقيقة الأساسية أيضا. ونجد اتفاقا قويا مع وجهة النظر القرآنية؛ فاتجاه البشر إلى تغيير وتعديل الرسالة الإلهية كان من عبادة الإله الواحد إلى التعددية، ومن الحقيقة إلى الخيال، ومن الإنسانية على تأليه الإنسان.

ويخبرنا القران أن أضمن طريقة لتمييز الدين الحق، وإن لحقت به التحريفات، هي فحص مصدره الأصلي؛ فإذا كشف الأصل عن تعاليم وحدانية الإله، وتحريم عبادة غير الإله الواحد، وتعاطف صادق أصيل مع الإنسانية جمعاء، فمثل هذا الدين يعتبر صادقا وإن اعتراه التغيير، ومؤسسو هذا الدين الذين تنطبق عليهم هذه الشروط كانوا حقا أهل صلاح وتقوى، ورسل صدق من لدن الله تعالى، وينبغي لنا أن لا نفرق بين أحد منهم، وأن نؤمن بصدقهم إيمانا تاما. وهؤلاء لهم سمات أساسية معينة مشتركة فيما بينهم، بغض النظر عن فوارق العصر والمكان. ويُجمل القرآن الكريم سمات أهل طريق الحق في عبادة الله تعالى، وإخلاص الطاعة له، والاستقامة، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة حيث يقول:

[وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاءَ ويقيموا الصلوٰة ويؤتوا الزكوٰة وذلك دين القيِّمة]. (سورة البينة: ٦).

دين أبدي

ومن مميزات الإسلام، إلى جانب أنه دين كوني، أنه دين أبدي. وهو لا ينفك يبين كيف أنه يحقق اشتراطات مثل هذه الدعوى. وعلى سبيل المثال، فإن الرسالة لا تكون أبدية إلا إذا كانت تامة وكاملة في كل نواحيها، وأن يكون هناك ضمان لبقاء صحة فحواها، وبعبارة أخرى، يجب أن يكون لأسفارها المنزلة

ضمان ضد محاولات التعديل والعبث البشري. وفيما يختص بالقرآن المجيد فإن الله تعالى أعلن هذا الضمان بنفسه فقال:

[اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا] (سورة المائدة: ٤).

حفاظة القرآن

ليس التمام والكمال وحدهما بكافيين لتكون التعاليم أزلية، بل لا بد من الضمان الإلهي لحفظها في صورتها وحالها الأصلي. ويفي القرآن الكريم بهذا المطلب الأساسي وفاء تاما، لأن الله الذي أنزل القرآن أعلن ذلك بأجلى عبارة فقال:

[إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحٰفظون] (سورة الحِجْر: ١٠).

فالله تعالى تكفل بنفسه حفظ القرآن بحيث لن يسمح أبدا لأي عبث في نصه. ومن وسائل حفظه بحسب الوعد الإلهي أن هناك في كل عصر وجيل مئات الألوف ممن يحفظونه عن ظهر قلب، ولا يزال ذلك جاريا حتى اليوم. أما الوسيلة الأساسية للحفاظة على مضمون الرسالة وجوهرها فقد تكفلت بها سنة الله تعالى الجارية بإقامة المجددين في كل قرن، والإخبار عن مجيء مجدد عظيم في الزمن الأخير؛ يقيمه الله تعالى بنفسه إماما روحيا، يحسم الاختلاف والجدال بين أهل الإسلام بهدى من الله تعالى؛ وبذلك يصون روح الإسلام الحقة.

ومن الطبيعي أن ينشأ هنا تساؤل عما إذا كانت دعوى الحفاظة الواردة في القرآن لها ما يؤيدها من دليل؟ فمن الحجج الدالة على جواب هذا التساؤل أن جهود الباحثين غير المسلمين فشلت بالرغم منهم في العثور على أي عبث أو تغيير في نص القرآن بعد وفاة نبي الإسلام ﷺ، مهما كان طفيفا. والواقع أن كثيرا من الباحثين غير المسلمين، بعد بحوث مستفيضة في هذا المجال، وجدوا أنفسهم مضطرين ليؤكدوا صراحة بأن القرآن المجيد لا يزال باقيا على صورته الأصلية محفوظا مصانا. مثلا، يقول سير وليم موير في كتابه (حياة محمد):

«بناء على أقوى المعطيات نستطيع التأكيد بأن كل آية من القرآن هي الإنشاء الأصلي لمحمد بدون تغيير (ص ٢٨ .W. Muir, Life of Mohammad).

ويقول أيضا في نفس الكتاب:

«.. وإلا، فهناك كل الأمان داخليا وخارجيا، بأن ما بين أيدينا هو النص عينه الذي جاء به محمد واستخدمه». (حياة محمد، ص ٢٨).

ويقول نولدكه (Noldeke):

«قد تكون هناك أغلاط إملائية طفيفة، ولكن مصحف عثمان لا يحتوي إلا العناصر الأصلية، وإن كانت أحيانا في ترتيب غريب. وقد عجزت جهود الدارسين الأوربيين في إثبات وجود تحريفات متأخرة في القرآن.. (Enc. Brit. 9th ed. Quran)

دين كامل

وفيما يتعلق بدعوى تميز الإسلام وتفرده بكون تعاليم القرآن الكريم تامة وكاملة وقادرة على هداية البشرية في كل العصور هداية وافية، فتلك أيضا لها سندها المنطقي التام. ولا يمكن في هذا الوقت القصير تناول ذلك الموضوع بالتفصيل، لذلك سأكتفي بإشارة وجيزة إلى بعض المبادئ المرشدة والأمثلة الموضحة. وينبغي أولا أن ننظر كيف ينجح الإسلام في مواجهة متطلبات الزمن المتغيرة، وبذلك يحول دون أي حاجة لتنقيح تعاليمه. وإنه لمما يخلب اللب حقا أن يدرس الهدي التطبيقي الإسلامي في هذا الصدد. ولسوف أضع أمامكم بعض نماذج منها:

١. يضع الإسلام المبادئ الأساسية فحسب، ويمتنع عن اشتراط التفاصيل التي تتطلب تعديلات مرحلية كيما تتناسب مع تغيرات الزمن والظروف.

٢. يعي الإسلام تماما التطور الفكري والاجتماعي والسياسي في الإنسان، وتعاليم الإسلام جاهزة لمواجهة كل الأحوال المحتملة، وتدرك تعاليمه حقيقة وجود تطور مستمر بين الأمم، وتدرك أيضا حقيقة أن الشعوب ليست سواء في حالات تطورها عند مرحلة زمنية معينة، فمن الممكن مثلا أن يكون من بين سكان الأرض من يعيشون في العصر الحجري، ومنهم من هم متخلفون آلاف السنين عن عصرنا، ومع أن الجميع يشتركون في نفس الزمن إلا أن حال بعضهم قد ينتمي فعلا إلى عصر بعيد مضى. وإني على ثقة من اتفاقنا جميعا على أن فرض المفاهيم السياسية الحديثة على سكان أستراليا الأصليين أو على أقزام الكونغو عمل من أشد الحماقات.

٣. الإسلام عقيدة تنسجم مع الفطرة البشرية، وتفي بكل حاجات الإنسان، ولا ضرورة لإجراء أي تعديل في تعاليمه ما لم يحدث تغيير جوهري في فطرة الإنسان. وهذا احتمال نستطيع استبعاده في الوقت الحاضر.

وهذه بضعة مظاهر لمبادئ التعاليم الإسلامية، ولسوف أتناولها، إن شاء الله تعالى، بمزيد من التفصيل حتى يتبين قولي وينال حظه من الفهم التام.

الزكاة في مقابل الربا

يحرم الإسلام النظام الربوي في شتى صوره، ويحث على منعه تماما. ويحل محله الزكاة لتكون القوة الدافعة لدوران عجلة

الاقتصاد. ومن الجلي أني لا أستطيع تناول الموضوع بالتفصيل خلال هذا الوقت القصير، ولذلك سوف أوجز الكلام عن المنهج الذي أرساه القرآن لأقدم لكم جوهر تعاليمه في هذا المجال الهام.

الزكاة نظام ضريبي على رأس المال، يجمع من المتيسرين. وبصرف النظر عن حاجات الدولة، فإن هذه الضريبة مخصصة للوفاء بحاجات الفقراء والمعوزين، أو بعبارة أخرى: لا يقتصر هذا النظام على سد حاجة جهاز الحكومة وحسب، وإنما يضمن أيضا حاجات الخدمة الاجتماعية.

وكل ما تم هو إرساء القواعد الأساسية، تاركا وضع التفاصيل لأرباب الفهم والبصيرة بما يتفق والظروف السائدة في بيئة معينة وزمن بعينه. ويقول القرآن الكريم بأن هناك نصيبا مقررا في مال من يملكون أكثر من حاجاتهم الضرورية لمن لا يملكون ذلك، ويعدّون في مجتمعهم من المحرومين. وبذلك يتقرر بوضوح أن من حق كل شخص قدرا معينا من ضروريات الحياة الأساسية، يحصل عليه في أي بلد أو مجتمع، وأن المسئولين عن هذه الحقوق هم أولئك الذين يملكون فوق حاجاتهم الأساسية، ويؤدونها للدولة لتضع بمعرفتها طريقة العمل والتنفيذ، بما يكفل لنظام العدالة والمساواة والحق والكفاية لتحقيق هذا الهدف الأساسي.

توجيهات في العمل السياسي

والمسألة الخطيرة الأخرى التي تواجهنا اليوم هي تحديد شكل الحكومة في إقليم أو قطر ما. وهنا أيضا نجد مبادئ الإسلام وثيقة الصلة، عظيمة الشأن، ومن المرونة بحيث يبرز صدقها وصلاحيتها للتطبيق متحدثة عن نفسها. ولا يمكن لأحد إنكار أن اعتبار نوع معين من الحكومة مناسبا أو غير مناسب لا يكون إلا بعد استخدامه في ظروف معينة. كما أنه لا معنى لحسبان أن شكلا حكوميا معينا يوفي بحاجات كل الشعوب في كل العصور. لذلك لم يحدد الإسلام شكلا معينا للحكومة، ولا يقدم نمطا ديموقراطيا أو اشتراكيا، ولا يوصي بالملكية أو الدكتاتورية؛ ولكنه بدلا من الإطناب في مناهج إقامة الحكومات يعلن مبادئ العمل في الأمور السياسية والحكومية بطريقة معينة، ويضع الشروط لها. فمهما يكن شكل الحكومات فلا بد من أن تقوم بمسئولياتها بالعدل، والتمام، والتعاطف، والوفاء، والحفاظة على الحقوق الأساسية للإنسان. وهكذا، بدلا من التأكيد على الجزء الأول من تعريف الديموقراطية الشائع (حكم الشعب)، يؤكد الإسلام على أن يكون الحكم (لصالح الشعب) مهما كان شكل الحكومات. فعندما تذكر الديمقراطية بين نظم الحكم المتنوعة يكون التأكيد على النوعية، وينبغي ألا تكون ديموقراطية جوفاء، ولكن يختار الناخبون حكامهم من أهل الكفاءة، وتدفعهم أمانتهم إلى انتخاب من هم مؤهلون مناسبون لحمل مسئوليات مناصبهم. وهذا شرط لازم لكل منصب منتخب، وكما يقول القرآن الكريم:

[إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمٰنٰتِ إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل] (سورة النساء: ٥٩).

فالمنصب أمانة تؤدَّى إلى من هم أهل وكفؤ لها، وإذا ما تقلدوا المناصب حكموا بالعدل دونما تفرقة بسبب الجنس أو اللون أو العقيدة.

والآن أوجز لكم القوانين التي تقوم على القواعد الأساسية التي شرعها القرآن بشأن أي نظام حكومي:

١. الحكومة مكلفة بحماية شرف الشعب وممتلكاته. (النساء: ٥٩)

٢. يجب على الحاكم أن يتصرف دائما طبقا للعدالة بين الأفراد والجماعات. (النساء: ٥٩).

٣. يتم البت في الأمور القومية بالتشاور: [... وأمرهم شورى بينهم]. (سورة الشورى: ٣٩).

٤. يجب على الحكومة أن تتخذ الترتيبات التي تفي بالحاجات الأساسية للإنسان من طعام ولباس ومسكن: [إنّ لك ألّا تجوعَ فيها ولا تَعْرٰى* وأنك لا تَظْمؤُا فيها ولا تَضْحٰى*] (سورة طه: ١١٩ و١٢٠).

٥. ينبغي أن توفر الحكومة للشعب البيئة الآمنة المطمئنة لحماية حياتهم وممتلكاتهم وكرامتهم: [وإذا تَوَلّٰى سَعى في الأرض ليفسدَ فيها ويُهلكَ الحرثَ والنسلَ، والله لا يحب الفساد*] (سورة البقرة: ٢٠٦).

٦. ينبغي إقامة نظام اقتصادي عادل مستقر منظم. (سورة البقرة: ٢٠٦).

٧. ينبغي توفير الرعاية الصحية. (سورة البقرة: ٢٠٦).

٨. ينبغي كفالة الحرية الدينية التامة: [لا إكراه في الدين] (سورة البقرة: ٢٥٧).

٩. ينبغي معاملة المقهورين بالعدل. [لا يَجرِمنَّكم شَنَئَانُ قوم على ألا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى] (سورة المائدة: ٩).

١٠. ينبغي معاملة أسرى الحرب بالعطف: [ما كان لنبي أن يكون له أَسرٰى حتى يُثخِنَ في الأرض] (سورة الأنفال: ٦٨). و [حتى إذا أَثخَنتموهم فشُدُّوا الوَثاقَ فإما مَنًّا بعدُ وإما فِداءً حتى تضعَ الحربُ أوزارَها] (سورة محمد: ٥).

١١. يجب احترام المعاهدات والاتفاقات الدولية:[.. إلا الذين عٰهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظٰهروا عليكم أحدا فأتِمُّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم. إن الله يحب المتقين]. (سورة التوبة: ٥).

[يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود]. (سورة المائدة: ٢).

١٢. يجب ألا يلزّم الضعفاء بالاتفاقات الجائرة.

١٣. طاعة الحكومة القائمة فرض على الرعايا المسلمين إلا في حالة واحدة، وذلك إذا تبجحت الحكومة ومنعت رعاياها من أداء واجباتهم والتزاماتهم الدينية: [يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم..] (سورة النساء: ٦٠).

١٤. إذا حدث خلاف مع الحاكم يسوّي الأمر على هدي المبادئ المقررة في القرآن المجيد وفي سنة النبي ﷺ، وينبغي تجنب أي نزوع نحو الدوافع الأنانية: [..فإن تنزَعْتم في شيْ فرُدّوه إلى الله والرسول..] (سورة النساء: ٦٠).

١٥. مؤازرة السلطات فرض على الشعب لتنفيذ الخطط الرامية إلى تقدم الصالح العام ورخاء المجتمع، ويحرم على الجمهور انتهاج ما يسمى (حركة عدم التعاون). كما أن الحكومات ملزمة بالمساعدة على إنجاز المشاريع الخيرية، فردية كانت أو جماعية، وألا تعرقل مثل هذه الجهود: [.. وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان..] (سورة المائدة: ٣).

١٦. يحظر على البلد القوي القيام بأي عمل من أعمال العدوان ضد بلد آخر، ويقتصر استخدام السلاح على حالات الدفاع عن النفس فقط: [ولا تَمُدَّن عينَيك إلى ما متَّعنا به أزواجًا منهم زهرةَ الحياة الدنيا] (سورة طه: ١٣٢).

مفهوم العدالة في الإسلام

والآن، أروي لكم أمثلة لمبادئ إسلامية قد لا تحتاج إلى تأكيد خاص في عالمنا اليوم. أولها يتعلق بالمساواة والعدالة.

لا تقدم الديانات الأخرى توجيها شاملا عن إقامة العدل، والإنصاف، ولو ورد ذكر ذلك جاء في صيغة يتعذر علينا تطبيقها اليوم. والواقع أن بعض هذه التوجيهات تبدو متعارضة مع الفكر والأحاسيس في عصرنا الحاضر، ولا يملك المرء إلا استنتاج أن هذه التعاليم قد فسدت أو أنها كانت فقط للتطبيق المحلي المؤقت. وإذا كانت اليهود تتحدث عن الإله بوصفه رب إسرائيل وحدهم من بين سائر البشر، فلا عجب إذن إذا كانت اليهودية لا تمس مسألة الحقوق الإنسانية ولو مساسا عابرا.

أما الهندوسية فلا تتحفظ في عدوانيتها، ليس ضد غير الهنود فحسب، بل وضد الطوائف الدنيا من الهنادك أنفسهم. وبذلك تضيق الهندوسية مجال رحمة إلههم وتحصرها في نطاق قطاع صغير جدا من البشر. ومن شرائع الهندوسية أنه: «إذا لم يستطع برهمي (وهو المنتمي إلى أعلى طبقة من الطبقات الأربع في الهندوسية) أن يسدد دينه إلى شخص من طائفة المنبوذين فلا حق لهذا في أن يطالب بالسداد. أما إذا عجز المنبوذ عن سداد دينه إلى برهمي فيجبر على العمل عند البرهمي حتى ينتهي من سداد دينه الكامل».

(Manu Smariti 10:35).

ثم لا نجد في اليهودية مفهوما للعدل تجاه أعدائهم؛ قيل في كتابهم المقدس (العهد القديم أو التوراة):

«ويدفعهم الرب إلهك أمامك وتضربهم بشدة وتهلكهم تماما. ولا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم». (سفر تثنية ٧: ٢).

وعلى سبيل المقارنة، سأتلو عليكم بعض الأمثلة من تعاليم الإسلام في هذا الصدد. يأمر القرآن بما يلي:

١. [وذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل] (النساء: ٥٩).

٢. [... كونوا قوّمين بالقسط شهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوٰلدين والأقربين] (النساء: ١٣٦).

٣. [ولا يَجرِمنَّكم شَنئَان قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى] (المائدة: ٩).

٤. [وقٰتِلوا في سبيل الله الذين يقٰتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين] (البقرة: ١٩١).

٥. وإن جنحوا للسَّلم فاجنَحْ لها..] (الأنفال: ٦٣).

وثمة مثال آخر من تعاليم الإسلام الخالدة أود قراءته عليكم، وهو يتعلق بالانتقام والعفو. وإذا ما عقدنا مقارنة بين تعاليم الإسلام في هذا المجال مع غيره من الديانات، فسنشعر بصدمة فورية من وصية العهد القديم اليهودي:

«لا تشفق عينك. ستكون نفسا بنفس، وعينًا بعين، وسنًّا بسن، ويدا بيد، ورجلاً برجل». (خروج ٢١: ٢٤).

لا شك أن هذا التشدد في الانتقام يثير العجب، ويحزن القلب أيضا. ولا أسوق هذا المثال على سبيل الانتقاد، بل لأبين أن مثل هذه الإجراءات العنيفة إذا نظرنا إليها على ضوء التعاليم القرآنية، قد نلتمس لها ما يبررها أحيانا. فالقرآن المجيد يساعدنا على النظر في التعاليم المتعارضة للديانات الأخرى بروح التعاطف والتفهم. وهذه أيضا ميزة خاصة بالإسلام. ومن تعاليم القرآن نعلم أن تطبيق العقوبة كاملة، كان مقررا لمواجهة ضرورات معينة، تتعلق بمرحلة بذاتها، كان ذلك لازما لتقوية قلوب بني إسرائيل كي يهبّوا مستمسكين بحقوقهم، بعدما لبثوا في العبودية زمنا طويلا، فمردوا على الجبن، وتولد فيهم إحساس بالدونية عميق. وواضح، والحال هكذا، أن التأكيد على العفو ليس مناسبا، لأنه يدفع بني إسرائيل إلى قاع مستنقع من خورهم واستكانتهم، ولا يحصلون على الثقة بالنفس والشجاعة لتحطيم أغلال العبودية والمذلة. فكان هذا التعليم صحيحا ومناسبا في ذلك الظرف، وهو تعليم إلهي حكيم حقا.

وفي مقابل ذلك، عندما ننظر في العهد الجديد (أي الإنجيل)،

نجد أنه على العكس مما جاء في الكتاب السابق، يؤكد على العفو والتسامح، إلى حد أنه حرم بني إسرائيل تماما من حق الانتقام بأي صورة كان. والسبب الحقيقي وراء ذلك أن طول ممارسة اليهود لتعليم الانتقام سالف الذكر لقرون طويلة، جعل قلوبهم قاسية تميل إلى الإيذاء، ولم يكن لها من علاج إلا أن يوقف حق الانتقام لزمن طويل، ولذلك أوصاهم المسيح عيسى عليه السلام قائلا:

«سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا».

(إنجيل متى ٥: ٣٨ إلى ٤١).

ومن منظور الإسلام يصير هذان التعليمان المتعارضان متكاملين، كل واحد منهما يناسب الأحوال والمواقف السائدة في وقته، وليس لأحدهما أن يدعى بأنه وحده التعليم العالمي أو التشريع الدائم. وهذا يتفق تماما مع المنطق، لأن الإنسان الذي كان لم يزل يتقدم عبر المراحل البدائية من التطور، ولم يصل بعد إلى وحدة دولية يكون التعامل فيها بالمجاملة والمودة، لم يكن مستساغا أن يُعطَى عندئذ قانونا نهائيا وعالميا. ونحن نؤمن بأن الإسلام هو الشريعة السماوية النهائية، وأنه يقدم تعليما لا يتأثر باختلاف المكان أو الزمان. وهي حقيقة تتضح من سعة تعاليمه حول الموضوع الذي نحن بصدده. يقول القرآن المجيد:

[وجزؤا سيئةٍ سيئةٌ مثلها. فمن عفا وأصلَحَ فأجْرُه على الله إنه لا يحب الظّلمين] (الشورى: ٤١).

فالعقوبة المقررة للضرر تكون بقدره تماما. ولكن العفو الذي يترتب عليه إصلاح المجرم، وتدعيم السلام والاستقرار، له ثواب من الله تعالى، وهو عز وجل لا يحب الآثمين المعتدين.

فالإسلام بذلك يجمع بين المزايا في التعاليم السابقة، مع إضافة حيوية بناءة، مؤداها أن العفو الذي يصلح المذنب هو الهدف الحقيقي. وإذا لم يكن الحال كذلك فالعقاب عندئذ لازم. ومن المؤكد أن هذا الهدي يتفق تماما مع الفطرة البشرية، وهو اليوم قابل للتطبيق تماما بمثل ما كان الحال يوم تنزل به الوحي على رسول الاسلام ﷺ منذ ١٤ قرنا مضت.

مميزات أخر

موضوع الخصائص التي يتميز بها الإسلام موضوع شديد الاتساع. ولقد أتيح لي أن أتناول عددا قليلا من النواحي التي تخيرتها لهذا اللقاء. ولن يسمح المتبقي من الوقت إلا بإشارة عاجلة إلى بعض الجوانب الأخرى التي أود ألا أغفلها:

١. في الإسلام، الله تعالى هو الخالق للكون كله. ويبين وحدانيته تعالى في كلمات تامة، بسيطة، شاملة، تروق للساذج والعقلاني المفكر كليهما. وفي الإسلام الله موجود كامل، وهو منبع الكمالات كلها، وهو منزه عن كل عيب أو شائبة. وهو إله حي، يتجلى في كل مكان. وهو يحب خلقه، ويسمع لابتهالاتهم. وهو سبحانه لا تتعطل صفة من صفاته أبدا. وهو عز وجل يتواصل مع الإنسان اليوم كما كان يفعل من قبل، ولم يغلق سبل الوصال المباشر معه قط.

٢. وفي الإسلام، لا يوجد تعارض بين كلمة الله وبين فعله. وبذلك رفع عنا عبء المنافسة التقليدية بين العلم والدين. وهو لا يطالب الإنسان بأن يؤمن بأي شيء وراء نطاق قوانين الطبيعة التي حددها تبارك وتعالى. إنه يستحثنا على التفكر في الكون الطبيعي والانتفاع بما فيه، لأن كل ما هو مخلوق فهو لخير البشر.

٣. لا يدعي الإسلام بدعاوي عديمة الجدوى، ولا يلزمنا الإيمان بما لا نفهم. إنه يدعم تعاليمه بالمنطق وبيان الحكمة فيها بحيث يرضي تفكيرنا وأعماق نفوسنا كذلك.

٤. لا يتأسس الإسلام على الأساطير والتراث الشعبي. وهو يدعو كل إنسان ليمارس في نفسه ويعتقد بأن الحق يمكن التثبت منه دائما بشكل أو آخر.

٥. كتاب الإسلام الموحى به من الله تعالى، وهو القرآن، كتاب فريد، يتميز به الإسلام عن كل الديانات الأخرى. فإن معارضي الإسلام رغم جهودهم المتواصلة المتراكمة عبر العصور، لم يستطيعوا الاتيان ولو بقسط يسير يناظر هذا الكتاب العجيب. ولا يقتصر فضله على سموه البلاغي الفريد، وإنما تتميز أيضا تعاليمه بالبساطة والشمول. وينادي القرآن المجيد بأنه يحوي خير التعاليم، وهذه دعوى لم يقل بها أي كتاب سماوي غيره.

٦. ويدعي القرآن أنه يضم أفضل مقومات الكتب المقدسة السابقة، وأنه يحتفظ بين دفتيه بكل التعاليم الثابتة الشاملة. يقول القرآن الكريم:

[إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى *] (سورة الأعلى: ١٩ و٢٠).

٧. ومن خصائص الإسلام المميزة له أنه نزل بلغة حية. أليس مما يسترعي النظر أن اللغات التي نزلت بها الكتب السابقة إما أنها اندثرت أو هُجرت، فلم تعد يتخاطب بها الناس. ومن الجلي أن الكتاب الحي هو الذي يكون في لغة حية باقية.

٨. ومن خصائص الإسلام التي يمتاز بها أن النبي الذي دعا إليه إنسان مر بكل مرحلة ممكنة للتجربة البشرية، بدءً من طفولة فقيرة يتيمة، إلى أن كان حاكما لقومه، ذا سلطان غير منازع فيه. وقد سجلت حياته، ووثقت توثيقا دقيقا، فكشفت عن إيمان بالله تعالى لا نظير له، وتضحية في سبيل الله دائمة متصلة. لقد عاش

حضرته ﷺ حياة كاملة زاخرة بالأحداث، حافلة بالنشاط والعمل. وترك وراءه مثلا أعلى للسلوك الكامل في كل مجال من مجالات السعي البشري. وهذا الحال مناسب ولائق فقط لأنه كان تفسيرا حيا متجسدا للقرآن المجيد. وعن طريق أسوته الشخصية أضاء الطريق للبشر في عصره ولكل العصور من بعده. وهذا الدور لم يتحقق بالكامل في أي نبي سواه.

٩. ومن مميزات الإسلام أيضا كثرة الأنباء الغيبية التي جاء بها وتحققت عبر العصور، وبذلك عزز إيمان المسلمين بوجود الإله الحي العليم. ولا تزال هذه العملية مستمرة حتى يومنا هذا، فقد شهدنا اكتشاف جسد فرعون الذي طارد سيدنا موسى عليه السلام وقومه من مصر. وهناك مثال قريب العهد للنبأ القرآني عن وسائل الدمار الجديدة التي تحبس النار في جزئيات صغيرة، ثم تمتد وتهتز قبل انفجارها بعنف يزيل الجبال.

١٠. ومن خصائص الإسلام أنه عندما يحكي عن أخبار الحياة الأخروية وما بعد الموت فإنه ينبئ عن أحداث غيبية مستقبلية، يؤدي تحققها إلى تعزيز إيمان المسلمين بالحياة الأخروية.

١١. ويتميز الإسلام عن الديانات الأخرى بأنه يضع دستورا شاملا للسلوك الفردي وللمعاملات العامة والدولية، وتحيط تعاليمه بكل موقف محتمل. وينتظم العلاقة بين الصغير والكبير، وبين الموظف ورب العمل، وبين أعضاء الأسرة والأصدقاء والشركاء، بل وبين المتخاصمين أيضا. أما القواعد والمبادئ التي يضعها فيها عالمية حقا، وسبق لها النجاح في اختبار الزمن.

١٢. وينادي الإسلام بالمساواة الكاملة بين بني البشر بصرف النظر عن الطبقة أو العقيدة أو اللون. والشرط الوحيد للتفاضل والتشريف أمام الله تعالى هو التقوى، وليس المولد أو الثراء أو الجنس أو اللون.. يقول القرآن الكريم:

[إن أكرَمَكُمْ عند الله أتقلكم] (الحجرات: ١٤).

فأعلاكم منزلةً وأسماكم شرفًا عند الله تعالى هو أكثركم صلاحا واستقامة وبرا. ويقول أيضا:

[مَن عمل صٰلحًا من ذَكَرٍ أو أُنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنةَ يُرزَقون فيها بغير حساب*] (غافر: ٤١).

١٣. ويقدم الإسلام تعريفا للخير والشر يتميز به عن العقائد الأخرى. فهو لا يعتبر غرائز الإنسان الطبيعية شرا، ولكن الشر عنده في الجموح وعدم اللياقة عند إشباعها. ويعلم الإسلام التنظيم والتوجيه لميولنا الطبيعية بحيث تكون بناءة ومفيدة للمجتمع.

١٤. ولم يكتف الإسلام بتوريث المرأة، وإنما كفل لها حقوقا متساوية مع الرجل، من دون أن يغفل خصائصها المميزة لها من الناحية التشريحية ومسئولياتها الخاصة بها من حمل ورضاعة.

دين سلام

وفي الختام، أود أن أزف البشرى للباحثين عن السلام، بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يكفل السلام في جميع المجالات والمستويات: فردية، واجتماعية، واقتصادية، وقومية، وعالمية. والإسلام وحده يحمل اسما يعني السلام. ومن يدخل في دين الإسلام لا يدخل حِمًى آمنا لنفسه فحسب، بل يكفله أيضا للآخرين، ويمتنع عن أي فعل قد يسبب الظلم والفوضى. قال نبي الإسلام ﷺ:

«المسلم من سلِمَ المسلمون من لسانه ويده». (البخاري).

وخطبته الهامة التي ألقاها حضرته ﷺ بعد إتمامه حجة الوداع قبيل وفاته، تنهض دستورا سرمديا للسلام لجميع بني البشر. فالإسلام يدعو لإقامة السلام بين الناس بعضهم البعض، وبينهم وبين خالقهم، بحيث يبقى الآخرون بمأمن من أذى المسلم قولا وفعلا، ويبقى المسلمون بمنجى من غضب الله أو ملامه جزاء للعدوان. وهكذا ينال المسلم سلامه في هذه الدنيا، ويمتد ليحظى به في حياه الأخروية.

ولو اتبعت أمم العالم تعاليم الإسلام لكان في هذه التعاليم القدرة والكفاية التامة لإنقاذهم من المنازعات وأسباب الدمار. إن الإسلام دين حي، ينادي بأنه قادر على أن يسمو بعلاقة الإنسان مع ربه إلى نفس المستوى التي كانت عليه في الأيام الخالية. ولا يقول الإسلام بأن الوحي والوصال الإلهيين كانا من أمور الماضي فحسب، ولكنه يؤكد بأن سبل النعيم الروحاني التي سلكها نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وعلى رأسهم نبي الإسلام محمد المصطفى ﷺ، لا تزال تلك السبل مفتحة تدعو إليها المشتاقين إلى وصال ربهم تبارك وتعالى.

الحركة الإسلامية الأحمدية

وتؤمن الحركة الإسلامية الأحمدية بأن هذه الدعاوي قد تحققت في عصرنا هذا في شخص مؤسسها، حضرة مرزا غلام أحمد عليه السلام، المولود عام ١٨٣٥، في قرية نائية من بلاد الهند تسمى قاديان. وقدر له، برحمة من الله تعالى، أن يسلك سبل التقوى والصلاح والورع، وكثمرة لاتباعه لتعاليم الإسلام اتباعا دقيقا بورك بوصال وثيق مع الله جلا علاه، وتشرف بتلقي الوحي الرباني، الذي ترتبت عليه أنباء غيبية كثيرة لم تتخلف أبدا طيلة حياته. وبتوجيه من رب العزة تبارك وتعالى، قام حضرته بتأسيس الجماعة الإسلامية الأحمدية عام ١٨٨٩م، ولما توفى عام ١٩٠٨م ترك وراءه جماعة من التلاميذ المخلصين

النشطين يبلغون مئات الألوف. واستمرت رسالته من بعده، وتولى قيادتها خلفاؤه المنتخبون. وقال حضرته شارحا رسالته:

«لقد أرسلت لأثبت أن الإسلام وحده هو الدين الحي. ولقد بوركت بقوى روحانية تجعل أهل الديانات الأخرى لا حول لهم، وكذلك من هم من بيننا في عمى روحاني. بوسعي أن أبين لكل معارض أن القرآن معجزة في تعاليمه، وفي علومه المضيئة، وفي بصيرته اللطيفة العميقة، وفي فصاحته الكاملة. إنه يفوق معجزات موسى وعيسى مائة مرة». (الخزائن الروحانية، ج ١١، ص ٣٤٥).

وقال حضرته أيضا:

«أنا نور هذا العصر. من اتبعني نجا من فخاخ الشيطان وأحابيله التي تتصيد المتخبطين في الظلام. لقد أرسلت لأقود العالم في رفق وسلام إلى الإله الواحد الحق، ولأعيد ترسيخ مكارم الأخلاق الإسلامية. ولقد أعطيت آيات سماوية.. ترضي طالبي الحق وتبدد منهم الشك». (المسيح في الهند).

والآن أختتم كلمتي بنبذة مقتبسة أخرى من كتابات حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام، وهي نداء موجه إلى العالم أجمع:

«المرآة التي تتيح لك مشاهدة الموجود الأسمى هي وصاله مع الإنسان... من كان قلبه مشتاقا للحق فلينهض ويفتش. الحق أقول لكم إنه إذا بحثت الأرواح بصدق، وتعطشت القلوب فعلا إلى الحق، فعلى الناس أن يطلبوا الوسيلة الصحيحة والطريق الصحيح. ولكن كيف ينفتح هذا الطريق؟ وكيف يرفع الحجاب؟ إني أؤكد لجميع الطالبين أن الإسلام وحده يعلن البُشرى عن هذا الطريق، لأن الآخرين قد ختموا على الوحي الإلهي منذ زمن طويل. ولكن ثقوا بأن الله تعالى لم يختم عليه. إنه مجرد عذر يشعوذ به المحرومون. إذا لم يكن بوسعك الرؤية من دون عينيك، والسمع من دون أذنيك، فإنك لن تشهد وجه المحبوب من غير معونة القرآن. كنت شابا، وأنا اليوم شيخ كبير، ولم أجد أبدا أحدًا شرِبَ رحيق الروحانية الخالص من غير هذا الينبوع المقدس». (فلسفة تعاليم الإسلام).

لا ريب أن هذه الدعوة رسالة تبعث الحياة في كل نفس تطلب الحقيقة الحقة.

منوعات

نعم قد فهمت

عرف العميد برقيًا بوفاة والدة الجندي حسن، فاستدعى الرقيب وقال له:

لقد بلغني أن والدة الجندي حسن قد توفيت، وأنا أعتمد عليك في نقل هذا النبأ المحزن إليه، ولكن بلباقة. أفهمت؟ بلباقة.

فقال الرقيب: بالطبع يا سيدي العميد، اعتمد عليَّ.

وبعد خمس دقائق جمع الرقيب الجنود الذين تحت إمرته، وصاح بهم: من كانت أمه متوفاة فليتقدم خطوة إلى الأمام. ولم يتحرك أحد منهم. عند ذلك راح الرقيب يصيح:

حسن، أيها الغبي، ستسجن ١٥ يوما لعدم تنفيذك الأوامر.

دعاء

أوقد أعرابي نارا يتقي بها برد الصحراء في إحدى الليالي القارسة. ولما جلس يدفأ، ردد مرتاحا: اللهم لا تحرمنيها في الدنيا ولا في الآخرة.

أيهما أفهم

المعلم: إذا كان والدك مدينا بمبلغ قدره ٤٠ دينارا على أن يدفعه في خمسة أقساط، فكم دينارا يدفع في كل قسط؟

التلميذ: لا يدفع شيئا.

المعلم: اجلس فأنت لا تفهم الدرس.

التلميذ: لا، بل أنت الذي لا تفهم والدي.

أيهما أذكى؟

وقف أحد الولاة على باب طحَّان، فرأى الحمار يدور بالرحى يطحن القمح، وفي عنقه جرس. فقال الوالي للطحان: «لماذا وضعت الجرس في عنق الحمار؟

قال الطحان: ربما ذهبت إلى خارج المطحنة أو إلى غرفة الخزين، فإذا لم أسمع الجرس عرفت أن الحمار قد توقف عن الدوار.

فقال الوالي: فما رأيك إذا توقف الحمار، وحرَّك رأسه بالجرس؟

فقال الطحان على الفور: أطال الله عمرك يا سيدي.. أين الحمار الذي له مثل عقل الوالي؟

(من مجلة "العربي")

بابا نانك
مؤسس ملة السيخ
كان مسلما!

بقلم: د. قاضي محمد بركة الله
ترجمة: أبو مهدي محمد كاظم

أقام الله تعالى حضرة مرزا غلام أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام لنصرة الإسلام. ولقد اطلع حضرته على كتابات (باندت دياناند) الهندوكي في كتابه (ستيارث بركاش)، حيث هاجم (بابا نانك) ووصفه بأنه كان عاريا من المعرفة بالدين، جاهلا تماما بـ (الفيداس) كتاب الهندوس، وأن بسطاء الناس هم الذين رفعوه بعد موته إلى درجة (جورو) أي معلم ديني.

عارض سيدنا أحمد بشدة كتابات (باندت دياناند)، وصنف كتابه (ست باتشان) أي القول الحق في نوفمبر عام ١٨٩٥، دافع فيه عن (بابا نانك) وبيّن أنه كان وليا اعتنق الإسلام. وبعد ذلك عرض سيدنا أحمد عليه السلام نفس الرأي في كتب أخرى. وقد رأى حضرته كشفا ألهم فيه أن (بابا نانك) كان مسلما. (نزول المسيح ص ٢٠٣). وبناء على ذلك، فإن المسلمين الأحمديين يعتبرون (بابا نانك) مسلما، ولديهم دلائل قوية على ذلك.

تحدد بعض المراجع عام ١٤٦٩م لمولد (بابا نانك)، ويقرر مرجع آخر أنه ولد عام ٩٠٠ هج. ويبدو أن والدَي (بابا نانك) كانا من طبقة (خطري) الهندوكية. وكان والده (بهاي كالو) وجدّه (سوبها) معاهدين للولي المسلم شاه شمس تبريز. (ست باتشان، ص ١٨٦)، وبذلك كان بابا نانك منذ مولده منتسبا للإسلام.

ومسقط رأس (بابا نانك) كان بلدة (تلوندي) التي عرفت فيما بعد باسم (ننكانة صاحب)، وتبعد ٤٠ ميلا عن مدينة لاهور. وكان حاكم البلدة آنذاك رجلا شريفا مسلمًا من أصل هندوسي. (Man's Religion, ص ٢٣٥). وفي هذه البلدة أمضى (بابا نانك) طفولته وشبابه الباكر. (World Religions، ص ٢٥٠).

وجد (بابا نانك) الشاب أن الهندوس قد ضلوا عن تعاليم دينهم، وكذلك المسلمون على وجه العموم لا يلتزمون بدينهم، ولذلك سعى للجمع بين الهندوس والمسلمين، وجعلهم يتعايشون في سلام ووئام. ومن المجزوم به أن (بابا نانك) انتحى بعيدا عن تعاليم (فيداس) الهندوس، ومال مقتربا من تعاليم القرآن المجيد.

وأبدى (بابا نانك) في شبابه مهارات شعرية، وميلا شديدا نحو التعبد والتأمل الديني. وأثناء هذه الفترة رافقه صاحباه: (بهاي بالا)، وهو هندوسي اعتنق الإسلام، (ست باتشان ص ١١٧)، وَبَهاي مُرادنا، وكان ذا ميول دينية مماثلة. (Man's religion، ص ٢٣٧).

تزوج (بابا نانك) مرتين، وأنجب ولدين من زوجته الأولى. وفي زواجه الثاني عقد عقدا شرعيا على ابنة رجل مسلم يدعى حياة خان.

ومن المعروف عن (بابا نانك) أنه أحس منذ طفولته بالريبة إزاء العقيدة الهندوسية وشعائرها، ولم يكن يبالي بالطقوس الهندوسية كالاستحمام في نهر الجانج، ولم يؤمن بالقيمة الروحية لكتاب الفيداس، وفضل الكتابة باللغة الدارجة بدلا من السنسكريتية، وعارض بشدة البراهمة وطقوسهم العقيمة، ولم يؤمن بالعقيدة الهندوسية عن تناسخ الأرواح. (World Religions، ص ٢٣٥).

كان الموقف العقائدي لـ (بابا نانك) يتسم بالبساطة، وكان التوحيد ركيزته الأساسية. وهذا يتفق وعقيدة الإسلام. اعتقد (بابا نانك) بأن الخالق إله واحد، قدير، عليم، موجود؛ وذلك على خلاف الآلهة الهندوسية متعددة الأغراض. وآمن (بابا نانك) بأن الواحد الخالق هو وحده الذي خلق العالم، وليس بمعونة من (مايا) الإلهة الأسطورية الهندوسية. ولم يحب (بابا نانك) تعاليم الفيداس، لأن ما يؤدي إلى التقدم الروحي فيها قليل. وبتوافر ترجمات الفيداس يصل الناس أكثر وأكثر إلى النتيجة عينها، ولكن (بابا نانك) اكتشف هذه الحقيقة في عصره.

ويتبين من حياة (بابا نانك) أنه كالمسلم الصالح، كان يتلو القرآن الكريم، ويؤدي الصلوات الخمس المكتوبة. كما ترجم بعض آيات من القرآن الكريم إلى اللغة البنجابية، وتمثل جزء من جرانث صاحب، وهو الأسفار المقدسة عند السيخ. ويقال إن

الجمع الفعلي لـ (جرنث صاحب) تم في زمن (جورو أرجان) الخليفة الخامس لـ (بابا نانك). وفي ذلك الوقت تضمن (جرنث صاحب) ما يقرب من نصف مجموعة (جورو أرجان) من تراتيل وغيرها، والباقي كانت مساهمات (بابا نانك)(World Religions، ص ٢٣٩). ولو اقتصر (جرنث صاحب) على أقوال (بابا نانك) وتراتيله وحده لكان مجموعة من آيات القرآن الكريم مترجمة إلى اللغة البنجابية.

وتشير المجموعة الأولى من كتابات السيخ المنسوبة إلى (جورو أنجد) وتسمى (جنم ساخي).. تشير بوضوح إلى أن بابا نانك كان مسلما. وكان (جورو أنجد) الخليفة الأول لـ(بابا نانك). ومعنى (جنم ساخي): تاريخ حياة الجورو. وهناك أكثر من (جنم ساخي) واحد، وكلها كتابات وحكايات عن (بابا نانك) في قالب شعري.

وكلمة (سيخ) تعني حرفيا التلميذ. وأراد بابا نانك من تلاميذه أن يكونوا صالحين، طاهرين في دوافعهم وأعمالهم، فضلاء. كما أوصى بالتآخي بين قومه، وتحاشي أسباب المشاكل والمنازعات، وإقامة حسن العلاقات بين العائلات. وحض على التواضع واحترام حقوق الآخرين. وأكد على تلاميذه أن ينشدوا صحبة الأبرار الأطهار. وهكذا نجد في تعاليمه صبغة إسلامية مميزة.

كان أتباع الجورو يدعون في أول الأمر (ناناكبانس)، ثم سموا بعد ذلك باسم (السيخ)، وتعني التلميذ أو المتعلم. كان نظام تدين، عرف عند السيخ باسم (جورومت)، أي أتباع الزعيم الروحي. ومع مرور الزمن أبدلت الطريقة الروحية الخالصة بما سمي (خالصه)، ويمكن وصفه بأنه نظام أخوة تنتظم فيه الواجبات الدينية والعسكرية والاجتماعات في سلك واحد. والذي أسس الخالصة هو الجورو العاشر (غوبند سنغ)، عام ١٦٩٩. وفي الواقع، كان العنصر الديني قد سبق تبديله بالاتجاه إلى القوة عندما ترك الجورو الخامس أرجان وصية لابنه (هاري غوبند): «أن يجلس على عرشه بكامل سلاحه، وأن يحتفظ بالجيش في أقصى استطاعته». (دروثي فيلدز، ديانة السيخ، ص ١٩).

كان (بابا نانك) يعد مسلما إبان حياته. (Janam Sakhi, Bhai Bala. History of Guru Khalsa، ص ٢٤ إلى ٤٤). وكان يدعى (نانك درويش) أي الورع. وقد قصد مكة كواحد من دراويش المسلمين. وسماه بعضهم (نانك قلندر). وكان له بيت في مكة على هيئة مسجد. وعرف في البلاد العربية بأنه الولي القادم من بلاد الهند. واعتبروه في بغداد وليا مسلما. وأخذ عليه العهد جماعات من هزاره (بباكستان) بوصفه وليا مسلما. وكان يسمى (نانك شاه)، و(نانك ملنج)، وكلاهما لقب للأولياء في القارة الهندية. (المرجعين السابقين، ص ٢٠٨ وص ١٢٨ على الترتيب).

وكان (بابا نانك) يتبادل التحية الإسلامية مع الناس بقوله: «السلام عليكم»، ويرد تحيتهم بقوله: «وعليكم السلام». وكان يدعو الناس إلى الصلاة بالأذان الإسلامي. ومن عجائب الدهر أنه عندما استولى السيخ على السلطة ببنجاب منعوا المسلمين من الأذان. وفي باكستان اليوم بات الأذان ولا يزال جريمة يعاقب المسلم الأحمدي عليها، وذلك بفضل قوانين الدكتاتور البائد ضياء الحق ومن جاءوا بعده.

وقد تلقى (بابا نانك) العلم على يد العالم الفقيه المسلم سيد مير حسن، الذي عاش في جيرته. وكان السيد مير نفسه وليا شارك معه (بابا نانك) في كثير من التجارب والأسرار الروحية. (تواريخ جورو خالصه، ص ٨٦). وزار (بابا نانك) أيضا (سرهند) الشريف، وقضى أربعين يوما صائما متعبدا عند مقام الولي المعروف عبد الشكور. (المرجع السابق، ص ٢٢٤).

استطاع حضرة مرزا غلام أحمد عليه السلام مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية أن يستخلص الحقائق التاريخية من بين القصص الخيالية التي تراكمت حول (بابا نانك) على مر الزمان في كتابات السيخ. وكان بعض تلك الأساطير بعيداً عن الواقع، منها مثلا: أن (بهاي بالا) الذي كان يستمتع برفقة (بابا نانك) في (المدينة المنورة) رغب في العودة إلى موطنه في بنجاب بالهند، فطلب منه (بابا نانك) أن يغلق عينيه. فلما فتحهما بعد لحظة وجد نفسه جالسا في قريته.

ومنها أيضا أنه عندما كان في زيارة لمكة المكرمة كانت مكة والكعبة نفسهما تتحركان باستمرار لتكونا دائما قبالة (بابا نانك) في مسيره. وهذا شيء لم يحدث في الواقع.

ومن الأمور الخيالية التي نسبت إليه، وأشار إليها سيدنا أحمد أن أهل مكة شرعوا يتحدثون إلى (بابا نانك) باللغة البنجابية لأنها كانت لغته. وهذا القول مما يستحق الرفض على الفور كأمر غير واقعي بالمرة.

ومن الأساطير الخيالية أيضا ما تؤكده كتابات السيخ من أن (بابا نانك) عندما كان في مكة قابل الإمام الأعظم أبا حنيفة رحمه الله، الذي توفي في الحقيقة قبل ذلك بسبعمائة عام. فهذه أيضا "معجزة" لم يحدث بالفعل.

وقيل أيضا أن (بابا نانك) قابل السيد عبد القادر الجيلاني رحمه الله في بغداد، وهو المتوفي قبل ذلك بأربعمائة عام. فهذا اللقاء لم يحدث حقا.

وتزعم كتابات السيخ أيضا أن قارون وبابا فريد شكركنج (رحمه الله) لقيا (بابا نانك). والواقع أن قارون كان معاصرا لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وعاش قبل زمن (بابا نانك)

بدهر طويل. كما أن بابا فريد مات قبل زمن (بابا نانك) بمائتي عام.

فكل هذه الأحداث بعيدة تماما عن الواقع. ومن المتفق عليه عموما أن جمع (جرنث صاحب) وهو كتاب السيخ المقدس، كان بعد وفاة (بابا نانك) بمائتي سنة، ولكن مع ذلك أكد سيدنا أحمد عليه السلام بأنه لا تعارض بين كلمات (بابا نانك)، وإنما أضاف بعض الكتاب المتأخرين أفكارهم إلى (جرنث صاحب). وتعلن موسوعة المعارف البريطانية أن (الجرنث) يحتوي بالفعل على تصانيف لأناس كثيرين. ومن اليسير الفصل بين أقوال (بابا نانك) الفعلية وبين الأقوال المنسوبة إليه، ومعيار ذلك هو تعاليم القرآن الكريم. وما كانت أقوال (بابا نانك) في (جرنث صاحب)، إلا شرحا وترجمة لآيات منه. وكل ما سوى ذلك من أمور تتعارض مع تعاليم القرآن الكريم فليست إلا إضافات زيدت في زمن لاحق.

ومن المؤكد أن (بابا نانك) ذهب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج مرة، وربما مرتين كما في بعض الروايات.

وقد منحت له مساحة من الأرض على ضفة نهر (راوي) بقرب لاهور حيث أقام عليها قرية (كرتاربور)، ويبدو أنه قضى فيها معظم ما تبقى له من حياته. وقد عين (بابا نانك) (أنجد) ليخلفه. وتوفي في سلام في شهر سبتمبر عام ١٥٣٩م. (ديانات العالم، ص ٢٥٠). وفي رواية أخرى عام ١٥٣٨م. (ديانات الإنسان، ص ٢٣٧).

ولما شعر (بابا نانك) بدنو أجله، كتب رسالة إلى مسلمي بخارى كي يقدموا لزيارته بأسرع ما يستطيعون ويشاركوا مع المسلمين الآخرين في تشييع جنازته والصلاة عليه. (ست باتشان، ص ١٧٦).

وعند موت (بابا نانك) أضيفت أسطورة أخرى إلى سيرة حياته.. قيل إنه بعد أن رقد رقدته الأخيرة غُطي جسده بملاءة. فجاء المسلمون، وطالبوا بجسده كي يصلوا عليه صلاة الجنازة، وأراد الهندوس إحراق جثته. وتقول الأسطورة بأنهم عندما رفعوا الغطاء عن جسده لم يجدوه واختفى. فأخذ المسلمون نصف الملاءة، وصلوا عليها صلاة الجنازة، ثم دفنوها، وأحرق الهندوس النصف الآخر. وهكذا استطاع (بابا نانك)، حتى حال موته أن يوفق بين المسلمين والهندوس! (M.A. Mac. Auliff، ص ١٩٠ و١٩١).

وقد ذكر سيدنا أحمد في كتابه (ست باتشان) أن قصة صلاة الجنازة على جزء من الملاءة غير صحيحة، فالمسلمون لا يصلون الجنازة على نعش خال من الجسد. وصرح بعض الكتاب الإنجليز أن اختفاء الجسد يعني ببساطة أن بعض أتباعه نقلوه خلسة فلم يلحظهم أحد. وفي هذا الصدد تشبه هذه الحادثة ما وقع للمسيح ابن مريم حين ارتاب اليهود في أن جسده قد أخذ خلسة. (متى ٢٧: ٦٤). ويؤكد سيدنا أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أن (بابا نانك) كان مسلما، وأن أتباعه المسلمين أخذوا جسده سرا حيث صلوا عليه صلاة الجنازة، ودفنوه في مكان أمين. (ست باتشان، ص ٢٣٧).

لقد قضى (بابا نانك) حياته كمسلم صالح تقي؛ أدى العبادة لله تعالى، وصام واعتكف الأربعينية (أربعين يوما) عند مقامات الأولياء: شاه شمس تبريز، والشيخ محي الدين تشيشتي، والشيخ عبد الشكور، وبابا فريد، والولي المعروف السيد عبد القادر الجيلاني رحمهم الله في بغداد، وأدى (بابا نانك) فريضة الحج، وصلى في مسجد الرسول ﷺ.

وقيل إن (بابا نانك) كان متأثرا بجماعات من المتصوفة المسلمين، ولذلك تتميز تعاليم الجورو (المعلمين) السيخ بالتصوف. والواقع أن الجورو الأوائل اتخذوا أسلوب ولباس الأولياء الفقراء أو دراويش المسلمين، وبذلك أعلنوا صراحة عن علاقتهم بالصوفية. وبدوا في الصور التي رسمت لهم ممسكين بالمسابح في أيديهم بطريقة المسلمين، كما لو كانوا سيذكرون الله تعالى.

(قاموس الإسلام لهيوز ص ٥٨٣ إلى ٥٩١، Hughe's Dictionary of Islam).

وقد أشار سيدنا المسيح والمهدي الموعود عليه السلام إلى أن عباءة (بابا نانك) المسماة (تشولا صاحب) من الدلائل المقنعة على كون (بابا نانك) وليا مسلما. ويعتقد السيخ جميعا أن هذه العباءة نزلت من السماء، وكان (بابا نانك) يلبسها بصفة دائمة. والعباءة مصنوعة من القطن، وتحظى بالتقدير لدى السيخ. والعباءة محفوظة في (ديرا نانك) بإقليم جورداسبور، بنجاب، الهند، حيث يقام احتفال سنوي لتكريم العباءة (تشولا صاحب).

وقد ذهب سيدنا أحمد المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ليرى بنفسه هذه العباءة في شهر سبتمبر عام ١٨٩٥ برفقة بعض صحابته. وقد فصل حضرة أحمد عليه السلام كيف أتيح له النظر إلى هذه العباءة التي تبقى عادة مخفية تحت كومة من الأغطية المنقوشة، وليس من المعتاد أن يسمح لأحد بمشاهدة ذلك الكنز المقدس. وقد تردد الحراس في أول الأمر، ثم قبلوا بعد ذلك أن يشاهدها حضرته مع صحابته؛ ثم كشفوا الأغطية عنها بتمهل وحرص شديد.

وقد اشتد عجب القوم المرافق لحضرة المسيح الموعود والمهدي عليه السلام عندما شاهدوا (تشولا صاحب)، لأن العباءة أو الرداء كان مرقوما بآيات من القرآن الكريم، وكتبوا ما هو منقوش عليها. وتظهر صورة (تشولا صاحب) في كتاب (ست باتشان) لحضرة مؤسس الجماعة الأحمدية عليه السلام وفي كتبه الأخرى بعد

بقية ص ٣٤

مقابلة هامة
مع ممثل سندي تائمز

ترجمة :
الأستاذ نادر الحصني الحسيني

نقدم إليكم حديثًا صحفيا ممتعا جرى بين (ستيفن بول) ممثل المجلة الإنجليزية (سندي تايمز) وبين حضرة مرزا طاهر أحمد أيده الله تعالى، إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، في أوائل سنة ١٩٨٩. [التحرير].

مستر بول: ما عدد أتباعكم في المملكة البريطانية.

حضرته: أرى أن هناك حوالي ثمانية إلى عشرة آلاف منهم على الأكثر في المملكة البريطانية، نظرًا لعدد الحضور في نشاطاتنا الرئيسية.. الذي يتروح بين الخمسة والستة آلاف، ولكني لا أعلم على وجه التأكيد.

مستر بول: ماذا حول مؤسس الجماعة! أعني ماذا كانت الظروف التي تأسست ضمنها الفرقة الإسلامية الأحمدية؟

حضرته: استعمال كلمة الموجد أو المؤسس للإنسان هنا فيه تجاوز خاطئ للحقيقة. فكل دين حق قد أُوجدَ وأُسِس من قبلِ الله تعالى. النبي محمدﷺ يُشار إليه أيضًا كمؤسس الدين الإسلامي.. وكما يجري الاصطلاح ويفهم منه الرجل العادي بأنه إشارة إلى مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام كمؤسس للجماعة الإسلامية الأحمدية.. ضمن سياق تفسيري لاصطلاح «مؤسس أو موجد» فقد أوحى الله تعالى إليه بأنه اختاره كالمصلح والمجدد الذي سبقت الأنباء بوعد بعثته في آخر الزمان، وهكذا تأسست الجماعة.

حصلت الأمور على مراحل، كان مؤدى الكشف الأول الذي شهده من الله بأن الله اختاره للقيام بمهمة عظيمة. ثم باستمرار، وخلال عدد من السنين، تلقى كثيرًا من الوحي، وتوالت الأنباء تؤيد أنه المهدي والمصلح الموعود الذي أخبر بمجيئه نبي الإسلام محمدﷺ. ثم كشفت له الحقيقة بالوحي بأن سيدنا عيسى عليه السلام لم يصعد بجسده العنصري إلى السماء، حسب المفهوم العام، بل تُوفيَ بالموت الطبيعي.. بعد أن أنقذه الله من الصلب.. فرُفع عن خشبة الصليب حيًّا في حالة إغماء.. ثم فيما بعد عُولجت جراحه من قبل بعض تلامذته.. وهناك مرهم عيسى الشافي قد استعمل في العلاج وبالتدريج استعاد قوته.. وعاش ردحًا في نفس المنطقة.. وعندما استرد العافية تمامًا نزح مهاجرًا تبعًا للنبوءة:

«ولِيَ خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضًا فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد». (يوحنا ١٠: ١٦).

فقد جال باحثًا عن الخراف الضائعة من قبائل بني إسرائيل.

لم ترد الأنباء السماوية إلى مؤسس الجماعة بكُل هذه التفاصيل التي شرحتها.. بل جاء الوحي بالنقاط الرئيسية. وعلى ضوءها انكبَّ على دراسة القرآن الكريم والكتاب المقدس، وتابع حوادث التاريخ، وعليها بنى وجهة النظر القائمة اليوم للجماعة الإسلامية الأحمدية والتي ذكرتها مُلخصًا.

نحن لا نعتقد بأن سيدنا عيسى كان ابن الله بالمفهوم الحرفي للكلمة،بل جاء من الله بنوع خاص جدًا من النبوة أُضيف إليه لقب المسيح. فدعاؤه في متى ١٦: ٢٩: «يا أبتاه إن أمكن فلتعْبُر عني هذه الكأس».

هذا الدعاء تقبله الله منه تبعًا للعبرانيين ٥: ٧. إذ قدم بصراخٍ شديد ودموعٍ وطلبات وتضرعاتٍ للقادر أن يُخلصه من الموت.. وسمع له من أجل تقواه. وظلَّ مختبئًا لفترة قابل خلالها تلامذته فقط سرًا.. وتَلاَفَي الناسَ والقُرى والمدن.. واتخذ طريقه بالتدريج متنقّلاً من منطقة الصلب باتجاه الشرق- بعض الباحثين يعتقدون أنه تحرك شمالا باتجاه تركيا اليوم ثم انحرف شرقا.. لقد قابل تلامذته في الجليل وشوهد شمال بحيرة طبريا، ولبث ردحًا في دمشق. ثم من المرجح أنه زار الجالية اليهودية في نصيبين شمال الموصل. ومن إيران إلى أفغانستان حتى حطَّ الرحال في كشمير..

هذا وصف موجز، ولكن أصدرنا الكثير من المؤلفات في تحقيق هذا الموضوع.. وكم من بعثة زارت كشمير خصيصًا لمشاهدة قبر سيدنا عيسى في «سري نجار» عاصمة البلاد.. ونجد أن الاهتمام بأجلى معانيه يتركزُ تدريجيًا على هذا الموضوع.

لا يسمح لي المجال هنا بأن أشرح الأمور كليًا مع إيراد مفصل الدلائل، وما أُريد أن أقوله هنا أن هذا هو اعتقادنا باختصار.

مستر بول: هل ذهب إلى كشمير برفقة أُمِّه؟

حضرته: القرآن الكريم طبعًا.. قد نوَّه بذلك حيث جاء:

[وجعلنا ابن مريمَ وأُمَّهُۥٓ ءَايةً وءَاويناهُما إلى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين*] (سورة غافر: ٥١).

و [ءاويناهما] تعني أن الله تعالى شاء وقدَّر أن يأويا إلى مكانٍ أمين، ويستقرا في نعمة منه.. وكان مقامهما في ربوة ذات قرار ومعين. وعلى ذلك فنحن نؤمن بأنَّ أمه الصديقة مريم رضي الله عنها رافقته بالتأكيد.. وبالنسبة لمدى المؤيدات التاريخية يختلف الباحثون في الرأي.. فبعضهم كالدكتور نذير أحمد في كتابه «حياة عيسى في الهند» قد عيَّن محطة الهضبة «موري» مكان دفنها باعتبار أن هناك مقامًا فيه قبر يُعرف باسم قبر ماري. لم يُعرف بعد ما تاريخ القبر، وإلى أي عهد يعود أثره، أو من هو على التأكيد المدفون فيه.. ولكن تدور الأساطير في المنطقة بأنه قديم جدًا وأنه قبر سيدة قديسة كانت تتنقَّل على سفر عندما فاجأها الموت في ذلك المكان. وباعتبار أن هذه الشائعة هي الدليل الوحيد الباقي حول كنهِ المكان.. فقد اتخذ الدكتور نذير أحمد الموقف بأن المقام هو لسيدتنا مريم أمِّ المسيح عليه السلام لا غيرها.. وأنا لست واثقًا من ذلك.. لأن هناك قبورا كثيرة منسوبة إلى نفس الاسم.. وقد طرق مَسْمعي أنَّ هناك قبرًا في اليابان تنبع عنه الشائعات بأنه مقام أُم المسيح وقد أمرت أحدًا أن يحقق في أمره، فوجدت أنها بالطبع مجرد شائعات.

مستر بول: أين أُشير في القرآن الريم ببعثة من يحمل وظيفة المسيح الموعود!

حضرته: في أماكن عديدة وخاصة في سورة الجُمعة. [هو الذي بعث في الأُمِّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم ءَاياتِهِ ويزكِّيهم ويُعلِّمهم الكتٰبَ والحكمةَ وإن كانوا من قبل لفي ضلٰلٍ مبين* وءَاخَرينَ منهم لمَّا يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم*] (سورة الجمعة: ٣ و٤).

على الرغم من أن الرسول الأعظم كان أُميًا لا يُحسن الكتابة أو القراءة فقد علَّم شعبًا كاملاً. كان لا يُعلِّمهم فلسفة القرآن فحسب بل أيضًا قوانين الشريعة نفسها وتطبيقاتها.

والجمعة من الجَمْع، ومنه سُمِّي يوم الاجتماع بيوم الجمعة. والجمعة تمثل الاجتماعَ للمسلمين في أي مكان في أنحاء العالم، واليومَ الذي يتم به الاجتماع. فتفيد التعيين للمكان، وتفيد التعيين للزمان.

فموضوع عودة وظيفة محمدﷺ في قوم من أجيال المستقبل الذين سيلحقون بالعرب الذين بُعث فيهم محمد، وعندما تستدعي الحاجة تجديد مهمته، ذلك الموضوع قد ورد ضمن السورة التي تبحث في جُمعة المسلمين ووحدتهم وتضامنهم في سبيل الإسلام. فيقول تعالى: [هو الذي بعث في الأُميين رسولاً منهم] وهو الذي سيبعثه في الآخرين أيضًا [وءاخرين منهم لمَّا يلحقوا بهم] والتقدير هنا.. سيبعثه في آخرين منهم لما يلحقوا بهم.

ويستمر موضوع هاتين البعثتين في الآية الخامسة:

[ذلك فضل الله يُؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم].

فما من أحد يستطيع أن يملي إرادته على الله بخصوص من يستحق نعمته ومن يختار للبعثة الثانية.. فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ونفهم أنها نبوءة تتحدث عن بعثة نبي في الآخرين يأتي بكامل الخضوع لتعاليم محمدﷺ وشريعة القرآن. فهو يأتي باسمه وتابعًا له، ولا يأتي بشريعة جديدة، بل يجدد العقيدة الإسلامية ويُنقيها من الشوائب والبدع، ويعيدنا إلى الأصل ما جاء به محمد أصلاً من الهدى.

هذا مفهومنا للآيات مؤيدًا بما رواه البخاري حيث جاء في صحيحه:

«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبيﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة. فلما قرأ: [وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم] قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبيﷺ، حتى سأله مرةً أو مرتين أو ثلاثا. قال: وفينا سلمان الفارسي. قال: فوضع النبيﷺ يده على سلمان، ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء». (صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الجمعة).

من الصورة التي سأل بها الصحابة رضوان الله عليهم: «من هم يا رسول الله»، وسألوه ثلاثًا، أنا أشعر بأنهم حَسِبُوا أن الرسول الأعظمﷺ سيتنزل بشخصه ثانية. فإذا تابعنا هذا الحديث بدقة نجد أنَّ الرسول الأعظم يُصحح وجهة تفكيرهم هذه، ويعطيهم جوابًا واضحًا بأنه لن يُبعث ثانية بشخصه، وأن المبعوث من بعده من الله شخص آخر في زمن بعيد من المستقبل.. وحتى لن يكون عربيًا.. وبوضعه يده على سلمان الفارسي رضي الله عنه.. عيَّن كونه من أصلٍ فارسي.

هذا واضح جدًا وليس بتفسير وضعناه على لسان الرسول الأعظم، والعياذ بالله، بل هو تفسير جاء منه وبلغنا بكلماته وأسلوبه الأدبي الرائع. فقد وعدنا بمصلح يظهر في آخر الزمان ليجدد العقيدة الإسلامية في أكثر مِنْ سبعين حديثا متواترة وقوية الإسناد عن نزول عيسى وظهور المهدي.

وأما كون هذا المصلح من الفرس.. فيجب أن نتذكر بأنَّ الإمبراطورية الفارسية في أوانه كانت تمتد على نطاق أوسع بكثير

من حدود إيران اليوم.. وبوضع يده على سلمان الفارسي يُمكن أن تشمل الإشارة أيّ منطقة من الإمبراطورية الفارسية حينها.

مستر بول: لماذا لا يقبل المسلمون من غير الأحمديين اليوم هذا المستند الواضح؟

حضرته: لأنه بيّن واضح من جهة، ومن جهة أخرى مستغلق غامض. عندما يُبعث شخص من الله فالنبوءات والدلائل على صدق ادعائه دائما ما تكون واضحة وجلية.. ولكن في البداية لا أحد يتقبل هذه الأنباء السابقة ولا تلك الدلائل الواضحة. وقد جرى نفس الشيء بما يتعلق بسيدنا عيسى عليه السلام.. يُخبروننا اليوم بأن كتب موسى والأنبياء مليئة بأنباء مجيئه وبعثته إشارةً ووصفًا.. ولكن اليهود أنكروه حينها، ولا يزالون يُنكرون بعثته من الله.. والأمر شبيه بالنسبة للرسول الأعظم نبي الإسلام ﷺ، فهناك نبوءات واضحة في الكتاب المقدس في العهد القديم والجديد كليهما.. تخبر ببعثته إشارةً ووصفًا، ولطالما علَّمناها وأشرنا إليها في مناقشاتنا مع المسيحيين. ولكن الأكثرية العُظمى منهم مع اليهود لا يزالون يُنكرون بعث محمد ﷺ.

والسبب في الإنكار في كل الأحوال يَكمن في الموقف النفساني.. فالله سبحانه يبعث رسولا فقط عندما يضل الناس الطريق السوي.. ويكون موقفهم خاطئًا تجاه الحياة. بالأصل قد اجتنبوا الحق، وخالفوا الصدق. وهؤلاء الذين أُلِفوا بطبيعتهم أن يُلفقوا الأسباب لمسايرة رغبات أنفسهم، من السهل عليهم أنِ يجدوا الأعذار لرفض المصلح الذي يُريد أن يُغير من نمط حياتهم.. فلا ينضمون إلى لوائه.. ولا يخضعون لإرادة الله.. هذه ظاهرة نُشاهدها على نطاق عالمي في كل مكان وزمان.. ولا شيء غريب فيها.

وأريد أن أشير هنا إلى أنه على الرغم من المقاومة والرفض من عامة المسلمين، نجد أنَّ موجة من الاهتمام تستجد في كل آونة. وهناك رغبة إلى حقيقة وصدق الجماعة نجدها تجتاح في ردح من الزمن قطيعًا من الخراف المؤمنة، فينضمون إلى إخوانهم تحت لواء الجماعة. ثم يشتد الغيظ ضد الجماعة ويهيج العداء في قلوب العلماء والمشائخ فتعلو صيحاتهم وتزيد تهجُّماتهم ضِدَّنا، فتُبطيء تقدمنا فترة، ريثما يتركز اهتمام الناس على دعوتنا.. فنعود نحث السير إلى الأمام ثانيةً. وعلى نفس المجرى سارت الدعوة المسيحية، وعلى نفس المنوال تركزت جذورها..فإن المسيح الموعود إذا كانت دعوته حقاً فستلاقي ولا شك نفس الاضطهاد من الناس ونفس التأييد من الله، وتجري مراحل تقدمها وانتشارها على نفس الوتيرة التي ظهرت بها المسيحية.. دعوة المسيح الناصري من قبل. لن تسير بخُطى حثيثة.. ولن تُحرز نصرًا فُجائيًا يعمُّ كُلَّ مكان.. ولكن بخطىً وئيدة وتقدم مستمر ستجتذب العالم في أطراف المعمورة.

مستربول: ما مدى انتشار دعوتكم في المملكة البريطانية.. ومتى دخل أول فرد فيها في جماعتكم.

حضرته: يمكن جواب هذا السؤال بأسلوبين. أعتقد أن الجماعة الأحمدية تأسست في بريطانيا ١٩١٤، ولكن الأحمدي الأنكليزي الأول قد دخل الجماعة في تاريخ أقدم خلال حياة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، وأعتقد أنه "لورد"، وشخص آخر ذو مركز أيضًا قد ذُكر في التايمز اللّندنية بعد وفاة حضرة غُلام أحمد عليه السلام.. مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية.. هذا الشخص كان علامة ومُستشرقًا.. وجريدة التايمز أشارت إلى أنه على حظ عظيم من المعرفة.. وحُجة ذات قوة ووزن.

مستربول: ما موقفكم بما يتعلق بقضية سلمان رشدي؟

حضرته: لقد تكلمت بتوسع عن هذا الموضوع في خطبتي الجمعة السابقتين، وموقفي واضح جدا. فالقرآن الكريم يتحدث بتكرار عن موضوع الكفر والردة وشتم المقدسات، ولكنّه لم يعين أية عقوبة لها. فلم يسمح لأي فرد أو سلطة أن تعاقب عليها، بل على النقيض يُعلمنا الحلم والصبر.. ويطلب منا أن نزجرهم، ونطلب منهم الكف عن كفرهم، ونقاطعهم ماداموا سادرين في غيهم.. في خطبة الجمعة استشهدت بآيات قرآنية أستطيع أن أشير إليها هنا. (سورة الأنعام: ١٠٩)، و (سورة الكهف: ٥ إلى ٧)، و (سورة النساء: ١٤١) و(سورة الأنعام: ٦٩ و٧٠).

الإمام خوميني أو عالم آخر يستطيع أن يعبر عن رأيه واجتهاده، ولكنه لا يستطيع إصدار حكم الموت أو أي عقوبة أخرى على الكافر، بناءً على تعليم القرآن.

وبالنسبة لموقف الغرب فإني أشعر بأنه من غير العدل بالنسبة للحكومات الغربية أن تركز الاهتمام والأضواء على المبالغة التي تجاوب بها الخوميني حين أصدر حكم الإعدام، متناسية من هو الخوميني، ثم يضعوا اللائمة على الإسلام أو على الأقل على جزءٍ من المسلمين، دون وضع اللوم على القائم بالفتنة والدافعين إليها.

بالنسبة للخوميني، في بلاده كانت هناك منذ عهد قريب مقابلة تلفزيونية موضوعها الصفات العالية التي كانت تتحلى بها حضرة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ابنة الرسول الأعظم ﷺ. وكان هذا البرنامج بمناسبة عيد ميلادها. وإحدى السيدات علقت ببراءة: إن ما قيل عن السيدة فاطمة رضي الله عنها جميل جداً، ولكنها تحب نوع السيدة التي تعمل لخدمة الإنسانية، فترفه عن المرضى، وتواسي آلام المعذبين. واستمرت بالحديث على هذا

المنوال. مما أثار الخوميني.. وآذى شعوره وأغضبه إلى حدٍ أنه أمر بقتل جميع هؤلاء المشتركين في البرنامج، ثم عدَّل في حكمه بوساطة بعض الناصحين، ولكنه أصرَّ على أن فلانًا وفلانًا يجب أن يُسجن لمدة خمس عشرة سنة أو مؤبدًا. وأما المخرج فيجب أن يُعدم حالاً. وقد حصل. لقد كان الفاشية باسم آخر. ماذا تتوقعون من موسوليني أو هتلر. ولماذا يُلام الإسلام لاستبداد إنسان لا يبدو بكامل قواه العقلية.

هذا أُذيع وأُشيع وسُلطت عليه الأضواء..بينما أبيحت الأعذار الواهية للكتاب القذر الذي أثار الخوميني ومئات الألوف من المسلمين معه. أبيحت الأعذار للبذاءة والسفالة التي نالت من الإسلام، وشوهت حقيقته، وأهانت شخصياته المقدسة.. وجعلتهم في أسوأ مواضع الهُزء والسخرية. كل هذا طواه التجاهل وكأنه لم يحصل.. وباسم الضمير الإنساني وحرية الرأي وحرية التعبير أصبح صائغًا مقبولاً؟

لماذا تمنعكم حرية الكلام من إدانة القذارة حين ترونها ؟ إذا طلب رجل للإعدام تعتقدون أنه ضرر فادح.. فما بالكم بهذه الآلام التي لا تتصورون عمقها ومداها التي يرزح تحتها مئات الآلاف من الناس بسبب هذا الكتاب الذي تعتبرونه مجرد قصة خيالية نُسجت حول أشهر الشخصيات المقدسة في التاريخ الذي يقوم اعتبارهم في أسمى المنازل في القلوب. ويجري التهجم عليهم بلغة بذيئة قذرة حتى الأنكليز لم يكونوا ليتحملوا وقعها في مجتمعهم مائة سنة مضت.

مستربول: هل الإساءة كانت في اللغة أو في الفكرة؟

حضرته: هذا سؤال جيد.. عندما تعارض الإسلام أو ترفضه لا تقع هنا جريمة أو إثم، ولا يعتبر المسلمون من التعدي أن تعتبر الإسلام خاطئًا على أساس المناقشة. فتهجّمات المستشرقين على الإسلام قوبلت دائمًا بصدور رحبة.. وقد نشرنا كتُبًا في الرد على تهجُّماتهم، على أساس التعادل في إبداء الرأي. ولكن هذه الكتابة الخيالية لا تنافي العدل فقط، بل لا تدع لنا مجالاً في أن ندافع عن أنفسنا، أو فرصةً لنُبرز الحقائق في وجه الأكاذيب، فكيف نُعارض الخيال.

ورُب قائل يقول: إن هذا الخيال مُحِق، وإنه في محلِّه؟ ولكن الواضح أنَّ سلمان رُشدي أعاد إلى الحياة كل الدعائم لتهجمات المسيحية على الإسلام في الماضي، وبأسلوب بالغ من الخبث والمكر.. يترك انطباعًا في عقول غير المسلمين بأنه حقيقة في قالب الخيال، أكاذيب موضوعة جُسمت على أنها حقيقة ليس لنا نحن المسلمين وسيلة لنقضها، لأنها وردت بأسلوب خيالي.

مستربول: ماذا تقول للمسيحيين الذين لا يشعرون بالسعادة حول الكتب التي نشرتموها باعتبار المسيح ليس ابن الله ! ألا يبدو أن هذا كُفرٌ واضح؟

حضرته: لقد جرى توضيح هذه النقطة جيدًا من قبل القانون العام البريطاني نفسه. والحكم القانوني بهذا الخصوص معقول جدًا، إذ يقول ما معناه: ليس من الكفر أن تعترض على العقائد المسيحية ما دام الاعتراض بالمنطق والمناقشة الفكرية.. وإنما الكفر هو استعمال الموقف الساخر.

وليس بالكفر الاعتراض على العقائد المسيحية، وليس إنكارها ما يؤاخذ عليه القانون، وإنما إهانته باستعمال الألفاظ البذيئة واللهجة النابية، متعمدًا إيذاءَ شعور الناس،هو الذي يعاقب عليه القانون.

لربما هذه ليست بالذات كلمات القانون، ولكنك إذا قرأته وتمعَّنت فيه وجدته حكمة بالغة.

مستربول: ما هي علاقاتكم مع الجماعات الإسلامية الأخرى في بريطانيا وفي العالم؟ هل على سبيل المثال تتعبّدون في مساجدهم؟

حضرته: طبعًا نحن نفعل، إذا سُمح لنا ! ونحن نقوم بالعبادة في مساجد السنّيين عندما لا يعلمون بأننا أحمديون. وأنا على استعداد لأقيم الصلاة في مساجد السنيين.. وحتى لو بُنيتْ من قبل الحكومة السعودية. لا يوجد مشكل هنا قطعيًا، نحن نعتقد بأنَّ المساجد للناس كافة. كأحمديين نؤمن ضمن تعاليم سيدنا محمدﷺ بأن المساجد يجب أن تبقى مفتوحة حتى للمسيحيين.. ففي إحدى المناسبات جاء وفد من نصارى نجران للنقاش مع الرسول الأعظم في مسجده في المدينة واستأذنوا الرسولﷺ في أن يخرجوا من المسجد ليؤدوا صلواتهم. فأجاب ليس عليهم جناح في أن يبقوا ويؤدوا صلاتهم في المسجد، فهو بيت الله. هذه هي مبادئ الإسلام التي نفهمها من السنة العملية. وليس بالإسلام ما جاءنا من علماء العصور الوسطى، وكنتيجة لعهد سياسي يدفع إلى وضع مبادئه ملوك كان دأبهم أن يتخذوا من الدين سلطة يطؤون بها حقوق الإنسان. وكم من جرائم ارتُكبت باسم الدين. نحن نعود إلى المصادر الأساسية للإسلام، ولذلك أستشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ولا نثق بتفاسير العصور الإسلامية الوسطى.

مستربول: ماذا أضاف مؤسس الجماعة للإسلام؟ وما هي الإضافة على وجه التعيين؟

حضرته: هذا هو الأمر الواجب التوضيح.. فهو لم يزِد شيئًا البتة.. كلُّ ما فعل هو أن أزال البدعات.

مستربول: ماهي البدعات التي يمكن أن أجدها؟

حضرته: هناك الكثير منها مثلا الاعتقاد بنوع الجهاد الذي يسمح باستعمال السيف في نشر الدعوة. فهذه بدعة لأننا نؤمن

ونستطيع أن نُبرهن على أنها مخالفة لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية العملية. فالرسول الأعظم لم يرفع السيف للاعتداء، بل كانت كل معاركه في الدفاع المشروع عن الإسلام. ونجد في القرآن: [أُذِنَ للذين يُقاتَلُون بأنَّهم ظُلِموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير] (سورة الحج: ٤٠).

هذه هي أول آية نزلت في القرآن الكريم أذن فيها للمسلمين أن يَنْتضوا السيف في الدفاع عن أنفُسهم. وخلال الثلاث عشرة سنة قبلها من الاضطهاد في مكة لم يسمح الرسول الأعظم للمسلمين أن يُقاتلوا في الدفاع عن أنفسهم، وكان بانتظار الإذن من الله. وجاء الإذن وهم ما زالو أقلية تُحيط بهم أعداد هائلة من الأعداء ذوي القوة والعدة. والإذن يقتصر على الذين شهروا السيف في وجوه المسلمين وقاتلوهم ظُلمًا وعدوانًا. فهؤلاء أذن الله للمُسلمين أن يقاتلوهم دفاعًا عن النفس، وليس لهم ذنب جنوه [إلا أن يقولوا ربُّنا الله]. وهُم الذين ظُلموا من قبل بأن أُخرجوا من ديارهم، وهل في وسعهم إلا أن يقاتلوا دفاعًا عن النفس في وجه السيوف التي شهرت عليهم. [إنَّ الله على نصرهم لقدير].. فالله سيدعمهم بقوة من عنده وسيؤيدهم بالنصر.

كل علماء المسلمين يُقرون بأنَّ هذا هو الإذن الأول باستعمال السيف.. والعبارة واضحة بحيث لا أجد مجالاً لأي معنى آخر يُمكن أن يُستنبط منها.. وعندما نواجه خصومنا بوجهة النظر هذه الواضحة التي ذهبنا إليها في تفسير الآية، فإنك ستعجب من مدى امتعاضهم.

مستر بول: ما هي الكلمة التي تفيد بأنك تستطيع استعمال السيف في الدفاع عن النفس.

حضرته: [أُذن للذين يُقاتَلون]. أُذِنَ: أي سُمِحَ، ويُقاتَلون: فعل مضارع مبني للمجهول. والمعنى أن الإذن قد أُعطى لهؤلاء الذين أُعمل فيهم السيف من قبل، والحرب سبق وأُعلنت عليهم قبل الإذن، ولطالما وقعوا تحت الاعتداء، ورضخوا للظلم من قبل هذا الإذن. لا يوجد إنسان مُلِمًّا باللغة العربية يُعطي الآية أي معنىً آخر. ليس مفهوم [يُقاتَلُون] هنا بأنهم في حالة قتال، لأنهم لو كانوا في حالة قتال، فما حاجتهم للإذن! [يُقاتَلون] هنا تعني أنَّ الحرب أُعلنت عليهم مُسبقًا، وأن السيف أُعمل في أفراد منهم، فأُذن لهم، لأنهم ظُلموا وأنَّ الله على نصرهم لقدير.

ثم يستمر المعنى في الآية التالية: [الذين أُخرجوا من ديارهم بغيرِ حقٍّ إلا أنْ يقُولُوا ربُّنا الله ولو لا دفعُ الله الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهُدِّمتْ صوامعُ وبِيَعٌ وصَلَوٰتٌ ومسٰجدُ يُذكر فيها اسم الله كثيرًا. ولينصرنَّ اللهُ من ينصره إنَّ الله لقوي عزيز*] (سورة الحج: ٤١).

فالإذن قد أُعطيَ للمسلمين بأن يردوا الاعتداء بالسيف لأنهم ظُلموا وأُخرجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربنا الله. فالحرب التي أُعلنت عليهم وتعبر عنها كلمة [يُقاتَلُون]، لم تبدأ بوقعة بدر. ثمَّ تُفصِّل لنا الآية سبب الإذن، سببًا شاملاً، لا يتعلق بموقعة بدر فحسب، بل يتعلق بكل زمانٍ ومكان: [ولو لا دفعَ الله الناس بعضَهم ببعضٍ لهُدِّمتْ صوامعُ وبيعٌ وصلوٰت ومسٰجد يُذكرُ فيها اسم الله كثيرًا].

هذا ما أُعلنه دائمًا للناس أجمع.. أنظروا إلى جمال التعاليم الإسلامية في موضوع الجهاد، كيف يَضربُ الله الأمثال، فيذكُر المعابِدَ غير الإسلامية في وجوب الدفاع عنها والسهر على بقائها قائمة حتى قبل أن يذكر المساجد. في عُرفي الخاص ومفهومي للجهاد من القرآن الكريم، وحسب التفاسير الأحمدية، أعتقد أن هذه الآية الكريمة لا تجعل كل مسلم مسؤولا عن الدفاع عن الجوامع، وتجعل هذا الدفاع جهادًا في سبيل الله فحسب، بل يتوجب على المسلم الدفاع عن الكنائس أيضًا، ليحول دون هدمها، وإذا مات خلال الدفاع كان شهيدًا. إنني لا أقصد الدفاع عن المسيحية القائمة اليوم كعقيدة ومذهب، ولكن الدفاع عن حرية العبادة والوقوف مع المظلوم ضد الظالم الذي يريد أن يهدم هذه المعابد المقامة بالأصل لعبادة الله، فهو جهاد.

وهكذا كانت مهمة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أن يُصَحح ويُنقِّح كثيرًا من وجهات النظر مثل ماهية الملائكة والجنة والنار.

كل هذه الأخطاء المتراكمة خلال القرون الطويلة الماضية، والإساءة في فهم هذه العقائد أعادها «مؤيَّدًا بالوحي» إلى حقيقتها، فاستعادت نقاءها كما وردت في القرآن الكريم، وكما شرحها الرسول الأعظم محمد ﷺ. هذه كانت دعواه، وهذا ما نعتقد بأنه فعل.

مستر بول: هل جرت محاورات ومناقشات بينكم وبين المسلمين الآخرين؟

حضرته: طبعًا، مرات عديدة وباستمرار. هناك مواجهات تاريخية في شهرتها وطبيعتها عُقدت خصيصًا لتداول وجهات الرأي، بعد وفاة مؤسس الجماعة وإبان حياته. حيث كان باستمرار مشبوكا في مناقشات فكرية ومباحثات تُمحِّص في المباديء، في اجتماعات عامة أو مناظرات ثُنائية يحتدُ فيها الجدل مع هذا الخصم أو ذاك. فقد كان الدفاع عن الإسلام وتقريب تعاليمه من مفاهيم المسلمين ومحاولة كسبهم بالحجة والبرهان شغله الشاغل إبان حياته جميعها، في كل آونة وعلى الدوام.

وأشهر مناظرة تاريخية جرت بعد وفاته، وعُرضت فيها المباديء على صفحات الجرائد وكانت شغل الناس الشاغل هي سنة ١٩٧٤ خلال حكم الرئيس الباكستاني بوتو، حين عقد

اجتماع المجلس القومي لينظروا في قضية الجماعة الإسلامية الأحمدية، ودعى إمام الجماعة حضرة مرزا ناصر أحمد (تغمده الله برحمته) إلى الحضور مع أربعة أعضاء للجماعة من اختياره، ليظهروا أمام هذه المحكمة القومية العُليا للتحقيق. وحصل أن كُنت أحد هؤلاء الأعضاء الأربعة الذين اختارهم الإمام الراحل لرفقته.. وقد استُجوبنا مرارًا وتكرارًا من قبل النائب العام لباكستان، وممثلين عن مختلف الفرق الإسلامية، كالسُنَّة والشيعة والوهابيين إلخ.. بصورة وأسلوب توهمان بأننا ارتكبنا أبشع الجرائم. هذه المعركة الكلامية من نقاش حاد وجدال عنيف استمرت لأربعة عشر يومًا متتالية. ثُم جاء الإعلان باعتبارنا (غير مسلمين)، والذي يجعلُنا نعتقِد بأن هذه المُناظرة سجَّلها التاريخ، وأنَّنا رَبحْنا الجولة وكسبنا القضية، لأن الحكومة وقتها وحكومة الجنرال ضياء بعدها رفضتا رجاءنا في نشر هذه المناظرة وإعلانها على وجه الأشهاد. إذا كنا خسرنا القضية كما يُريدون للعالم أن يعتقِد، فلماذا رفضوا طلباتنا بنشرها وإعلانها؟ ولماذا أبقوها سرًّا على الرغم من كل توسُّلاتنا؟ لقد أرسلت الجماعات الإسلامية الأحمدية برقيات تلغرافية إلى حكومة باكستان يُصرون على نشرها، ليعلم الناس مدى ظلم وإجحاف ارتكبوه ضدنا باعتبارنا غير مسلمين. ولكن الحكومة لا تزال ترفض هذا الطلب.

وقامت مناظرات أُخرى أيضًا. قبل انتخابي كخليفة جرت عادتي أن أتنقل كثيرًا في باكستان. وخلال وجودي في ربوة المركز العام للجماعة حصل أحيانًا أن أمثل الجماعة في اجتماعات دورية تعقد للسؤال والجواب، وكثيرًا ما يحضُرُها أكثر من ألف من غير الأحمديين. وكانت الأكثرية من الضيوف القادمين توجِّه الأسئلة لي بالذات، بالرغم من وجود علماء آخرين بجانبي لنفس الغاية. وجرت هذه الجلسات التقليدية لسنين. ولدهشة خصومنا أصبح كثير من هؤلاء الزوار أحمديين. وهذا أحد الأسباب التي جعلت الجنرال ضياء عصبي المزاج، فأصدر المرسوم بمنعنا من التعبير عن وجهات نظرنا، أو أن نُعلن أو نُعرِب عن معتقداتنا كأحمديين لأي إنسان تحت طائلة القانون.

هذا المرسوم قد صدر في السادس والعشرين من إبريل ١٩٨٤، ومباشرة قبل صدوره كنت في زيارة لإسلام آباد (باكستان) حيث يؤُم جمع كبير هذه المناظرات للسؤال والجواب، فيهم الكثير من عُلماء الدين المثقفون. والنتيجة عوضًا من أن تشجّع الحكومة الناس أن يؤمّوا هذه الاجتماعات ليُكشفَ لهم ما يدعون من تجديف الجماعة الإسلامية الأحمدية، كانت على العكس تمنع وتضع العوائق من كل جانب دون حضور اجتماعتنا، إلى حد أنها في الثالث والعشرين من ابريل أوقفت على «جسر الهجوم» مواكب محمولة قادمة من بيشاور للحضور في اجتماعاتنا باسلام آباد.

فالحكومة قد أرسلت قوة من دائرة المخابرات لتستفسر كل فردٍ على هذه الباصات عن سبب قدومهم لإسلام آباد. وكل من جاء لِحضور الاجتماع أرسل على أعقابه عائدًا من حيث جاء. وأيضًا أُوقفَ القادمون من بنجاب.

وكنتُ في عجب مما يحصل لأن الجموع كانت تُقبل على الرغم من هذا المنع. وكان اكتساب الجماعة للشعبية سريعًا إلى حد سيُدهشك حين تعلم أننا وزعنا الدعوات في المراكز العسكرية لكل الجنرلات وضباط الجيش، ندعوهم لتناول الشاي والاشتراك في الأسئلة. ولا نزال نحتفظ بشرائط الفيديو لتلك المناسبات. وسوف تندهش حين ترى فيها بعض كبار الضباط العسكريين يبكون تأثرًا عند سماع الأجوبة المقنعة.

بلغت التقارير بالوضع الجاري للجنرال ضياء، فهلع للخبر، وأرسل أمرًا إلى المدير العام للبوليس بوجوب إبعادي عن إسلام آباد حالاً. وسألت مُدير البوليس فيما إذا كان سيُعطيني الأمر كتابيًا؟ فقال إنه لن يفعل، وأضاف بأنه شخصيًا لا يُريد لي إلا الخير، وأنَّ الأمور استفحلت، وأنه لن يستطيع أن يضمن سلامتي، لأن الجموع المعادية قد تظهر اليوم أو في الغد على الأكثر للهجوم، وسيكون عاجزًا عن المساعدة. وأضاف بأن الوقت خطير جدًا فيجب أن أغادر المكان لسلامتي الشخصية وسلامة الجماعة. وكان أن غادرت إلى ربوة مركزنا الرئيسي في الرابع والعشرين ليلاً أو ربما في الخامس والعشرين صباحًا، وفي مساء السادس والعشرين من أبريل ١٩٨٤ صدر المرسوم.

مستر بول: ما سبب هذا المرسوم؟ هل كان دينيًا أم سياسيًا؟

حضرته: طبعًا، السبب دائمًا لمثل هذا المرسوم هو سياسي، ولكن أيضًا صحيح أنه سبب سياسي يتستّر بالدين. كلما يدعي إنسان بأنه مأمور من الله، فإن هذه الدعوى تقوم كتحدٍ لهؤلاء الذين يُمسكون بزمام المناصب، حيث يعلمون أنها نذيرٌ لسقوطهم من هذه المناصب. الناس يعلمون أن هناك فكرة قوية وجديدة تبُثُّ تعاليمها، وتتملك في العقول، فتُبدل الأوضاع بحيث تسقط القيادة التي تمثل العهد القديم. قناعتي الشخصية أن سبب المرسوم سياسي، وليس بالديني، وللبرهان ما عليَّ إلا أن أشير إلى الدلائل حيث تجد هؤلاء العلماء الذين يعتبرون أنفسهم «حُماة الدين»، والذين أصبحوا على درجة من الحساسية للفكرة الأحمدية، ويثورون بشدة بسببها، تجدهم يتغاضون عن كل الكبائر التي تُرتكبُ حولهم وعلى الدوام. فلا يثيرهم ذلك، ولا يشعرون بالمعاصي التي يعيش بها الناس.. فالخمر، والزنا، والقمار، والرشوة، والكذب، والخداع وكل ما حرمه الإسلام، نجده اليوم قائمًا في العالم الإسلامي، ولكن علماء الدين هؤلاء لا يثورون، ولا

يحركون ساكنا، كأنهم لا يبالون بذلك. ولكن عندما يشعرون ببساط السلطة يُنزع من تحت أرجلهم فإنهم يثورون. لا يثورون لحدود الله، ولا للقيم الأخلاقية والدينية، بل يثورون حين تتهدد مراكزهم وسلطاتهم. وأعتقد أن هذه ظاهرة عامة نعاينها في كل زمان ومكان. ففي عهد المسيح مثلاً نجد أن أصحاب السلطة الكتبة والفريسيين والصديقيين لم تكن مقاومتهم ومعارضتهم له مدعومة بتعاليم الكتاب المقدس، بل كان كل همهم أن سلطاتهم قد وُطئت، ومراكزهم تهددت. وهذا ما يحصل اليوم.

مستر بول: سؤالي الأخير! لماذا تسبب جميع الأديان بما فيها الإسلام سفكًا للدماء وأذى وانقسامات أكثر مما تسبب من الخير؟

حضرته: أقترح عليك أن تلتزم الصبر معي بالنسبة لجواب هذا السؤال، لأن كتابي الذي يتعلق بهذا الموضوع ما زال تحت الطبع في أنجلترا. هذا الكتاب عالجت به كل جوانب الاضطهاد باسم الدين.

مستر بول: هل الدين بحد ذاته يزيد المشاكل؟

حضرته: هذا السؤال الذي أجبت عليه وهو الموضوع الذي عالجته حين دافعت عن الدين في كتابي. أنا أعتقد بأنه ليس الدين الذي يجب أن تلقى عليه التبعة في سفك الدماء عندما تُهدر باسم الدين. الذي يحصل أن السلطات السياسية تستغل الخلافات الدينية وتثير الاعتداء المُسلح لخدمة أغراضها. وقد استشهدتُ على هذا في كتابي بكثير من الأمثلة، وأيدت ما ذهبت إليه من حوادث التاريخ. وأيضًا تناولت بالبحث ما تدعونه بالإرهاب الإسلامي، سواء ما كان يُنسب إلى الخوميني، أو ما كان ينسب إلى القذافي، أو غيرهم من النشاطات الإرهابية.

كتبت هذا الكتاب سنة ١٩٦٢ باللغة الأردية في وقت لم تكن الأحداث قد حصلت بعد. وقد تمت ترجمته حديثًا من قبل البروفسور بركات أحمد الشهير بين الكتاب في مجال العلوم الدينية، والشركة التي أرادت نشره اقترحت أنه ما دام الكتاب يُشير إلى زمن مضى فمن المُستحسن أن يُضاف إليه فصلين يتعلقان بالإرهاب والتسامح، ويشيران إلى ما يدور في العالم اليوم بخصوص إيران وليبيا وأماكن أخرى، وإلا ستقوم الفكرة حول الكتاب بأنه شيء من الماضي، ولا يثير الاهتمام بالنسبة للحوادث الحاضرة. فأضفت فصلين. وفي هذا الكتاب أعتقد أنني شرحت وجهة نظري ووجهة نظر الجماعة الإسلامية الأحمدية.

مستر بول: قد نَقَعُ في حالة حيث أن البعض يوافقون على أمر ما والآخرين يُعارضونه،فمثلا في المسيحية اليوم نجد كنيسة إنكلترا ملاحقة بالأدلة المتعارضة فيما هل يجب أن نقبل المرأة كقسيس، وباستمرار تُسبب الانقسام بين رجالٍ المفروض أنهم يريدون وجه الله.

حضرته: هذا التعارض هو في وجهات النظر. المهم هنا الحق، الحق الذي ينبع من الضمير. إذا ما قنعنا بأمرٍ، ورأيناه حقًا على صورة ما، فيجب أن نتبعه على تلك الصورة. فالإخلاص في تتبع ما نراه حقا هو ما يُرضي الله. ليس من المستحيل لشخصين على تعارض كامل في مثالياتهما أن يكون كلاهما مخلصًا وأمينًا بالنسبة لما يعتقد به في ضوء الفلسفة الإسلامية. كلاهما سيحظى برضاء الله، ما دام مُخلصًا وأمينًا على العمل بما يؤمن به.. أنظر إلى هذه المزهرية من الورد.. كلانا نراها من زاوية مختلفة.. وإذا لم يخطر لنا أن نتبادل مكاننا منها ووجهة نظرنا إليها، فلا نهاية لخلافنا، وسنظل نصفُها من زاويتين مُختلفتين، ويدوم التعارض فيما نراه.

من غير المعقول أن نتوقع من كل شخص أن يرى الأمور كما يراها الشخص الآخر. ولكن هذه الخلافات كالينابيع المتفرعة عن مخزنٍ واحدٍ للمياه كفيلةٌ مع الوقت باتجاهها جميعًا إلى أسفل الهضبة. فتتبع الانحدار، وتلتقي في نهرٍ واحد تنضم إليه فروع كثيرة. هذه الخلافات ليست من مساوئ الدين. فقط عندما يلجأ الناس إلى الخداع، وخاصة إذا كانت للمخادعين القيادة في المراكز الدينية، يفرضون وجهة نظرهم الشخصية باسم الدين بهدف الاستغلال، عندئذ يحصل الانشقاق المعارض للاتجاه الطبيعي لمبدأ ومقصد الأديان. فكثيرا من الانقسامات في الأديان تأخذ دورها نتيجة لهذا التفكير الفاسد عند بعض القادة.. سواءً أعلنوا عن دوافعهم أو أسدلوا عليها الستار. فهناك شيء يجاوز جادة الصواب في تفكيرهم.

في حالة الخوميني، الناس مازالوا يتوقعون مني ويطلبون أن أصدر الحكم عنه بأنه فاسد، ولكني أقول فقط بأنه رجل جانَبَ جادة الصواب وكان على الخطأ. ولا أقول إنه سيء. فكما أرى، كان رجلا ليس فيه شيء من الرياء، يفعل ما يعتقد أنه الحق. إلا أن به شيئًا من الجنون.. وذوو الهوس العقلي قد يظهرون في السلك السياسي، وبين علماء الدين، وفي كل مجال، وعندما يظهرون في مجال السياسة فلا نلوم السياسية لفعلهم. فالحزب النازي مثلا نشأ من وجهات نظر هتلر المنحرفة. فإنك لا تُحمِّل السياسة مغبة أعمال هتلر، فلماذا تُحملُ الدين الإسلامي مغبة أعمال الخوميني. فحين لا تلوم السياسية ولا يبلغك اليأس منها فلماذا تتخلى عن الأديان، وتحكم أنها فاسدة وتفقد الأمل منها!

مستر بول: ونفس الشيء يمكن أن يقال عن سلمان رشدي؟

حضرته: نعم، يمكن أن يقال، ولكن من جميع الدلائل لديّ أميل إلى القول بأنه ليس بالرجل الصادق أو المخلص، وإليك

بقية ص ٣٦

إعداد: رشيد أحمد خوري
سكرتير الإعلام بالجماعة

أخبار الجماعة في باكستان

رسائل من باكستان

لا تزال تلال الرسائل تصل من باكستان تحمل كل عجيب وكل مدهش. أما العجيب فهو تمادي السلطات الباكستانية في تسخيرها لرجال الدين المحترفين المزيفين في أعمال شريرة تشغل بها الرأي العام، وتصرفه عن الفساد المستشري في أرجاء البلاد. والمدهش هو ما يبديه المسلمون الأحمديون هناك من صبر وجلد وضبط نفس إزاء أحط وأشرس حملات الاضطهاد ضدهم من قوم لا وازع لهم من خلق أو دين أو عرف. والله تعالى هو الذي يبدل الأحوال، ويكشف الكروب، ويزيل الغمة، بما يحفظ باكستان البلد الذي قام على الإسلام، من شرور الفساد السياسي والعمى الديني، ليكون حقا باك ستان، أي أرض الأطهار. وفيما يلي بعض النماذج من رسائل المضطهدين إلى إمامهم الهمام حضرة مرزا طاهر أحمد أيده الله تعالى:

١. السيد محمد يوسف، تشك ٤٦، شمالي سرجودا.

هاجمني رجال محمد أسلم بالعصى والهراوات لمجرد أني أحمدي. يقول التقرير الطبي أن بجسمي ثلاثين جرحا في أماكن متفرقة. لزمت فراشي ثلاثة أيام من شدة الآلام، ولا زلت أشعر بضعف جسماني شديد.

محمد أسلم هذا عضو سابق من المجلس القومي الباكستاني، ومن أصحاب النفوذ والأرض.



٢. مهندس أحمدي موظف بالحكومة:

اضطهاد الحكومة للمسلمين الأحمديين لا يفتر، ويساء معاملة الموظفين منهم بطرق متنوعة. نُقلتُ إلى مكان بعيد منذ عامين كشخص غير مرغوب فيه تظلمت لرئيسي، فنقلني إلى مكان أقرب. اعترض الملات، فنقلوني إلى مكان آخر. توجه وفد من الملات إلى المسئولين معترضين، فألغوا النقل. ثم نقلت إلى مكتب سرجودا رقم ١، وبعد إلغائه نقلت إلى رقم ٢. توالت الشكاوي ضد وجودي هناك مع التهديد بالاعتداء على حياتي. قابلت رئيسي والتمست منه نقلي للعمل في القاعدة بدلا من العمليات، فوعد ببحث الأمر خشية أن يقتلني الملات.

جاء في أحد الخطابات من الملات ما يلي: «كبير المهندسين في دائرة سرجودا من إدارة الهندسة الصحية ببنجاب، عُيِّنَ مرزائيا (أحمديا) في سرجودا، وبذلك جُرحت مشاعرنا الدينية. هؤلاء الموظفون يظاهرون الأحمديين. وهذا الكافر في قائمة من سيُقتَلون. إنه يسكن ربوة، وكثيرا ما يرى مشتركا في النشاط التبليغي. ولقد عينه كبير المهندسين هنا بالرغم من أن عضو المجلس المحلي قد حذره من فعل ذلك.

وبهذا ننذر الممثلين الشعبيين لإقليم سرجودا بضرورة حل هذا الخلاف الديني. وإذا لم يستبعد هذا الشخص خلال ثلاثة أيام فسيحرق مكتبه. نحن:

قوات كوماندوس الشباب السني، بنجاب.
قوات شباب أهل الحديث، بنجاب.
جماعة جبهة الشباب المسلم، بنجاب.
جبهة إسلامية، جناح الشباب، بنجاب.

٣. السيد مغفور أحمد، مربي "ننكانا صاحبّ"، شيخوبورا:

بعد الدمار الشامل الذي حدث لممتلكات المسلمين الأحمديين في أبريل في العام الماضي، ينظم الملات بأنفسهم، ويحرضون طلبة الكلية ضد الأحمديين مرة أخرى ليعيدوا المأساة. ويبدو أن مخططاتهم خطيرة.

٤. شيخ محمد يوسف، محامٍ من قصور:

أنا المحامي الأحمدي الوحيد في قصور. تمكنت بفضل الله من إنهاء قضيتين مرفوعتين ضد الأحمديين بناء على قانون الجنرال ضياء الحق لصالح مُوكلي. طلبت من القاضي تأجيل القضية الثالثة ليوم ٢٨ بدلا من ٢٥ نوفمبر ١٩٨٩، فوافق. ولكن دخل مكتبه أكثر من خمسين من الملات وأتباعهم، وشتموني مع المسجل ببذيئ القول، وأصروا على إعادة موعد الجلسة إلى ٢٥ سبتمبر.

وهددني زعيمهم، واسمه فضل حسين، ويدعى أنه الرئيس المحلي لمجلس منظمة ختم النبوة قائلا: أيها المرزائي، تظن أنك عليم بالقانون؟ نحن ذوو نفوذ هنا، ولنا اتصالات عليا، ونستطيع اختطافك في أي وقت، وقتلك كما نشاء. إذا أردت العيش فعش بوصفك غير مسلم.

٥. السيد عبد المجيد أسد، ثربركار، السند:

تجاوز أعداء الأحمدية كل الحدود في اضطهادهم لنا. منذ أيام قلائل في مدينة "تشوك" أقاموا تمثالا مشوها لحضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية، مما أثار اشمئزاز بعض الشباب الأحمدي، ولكنهم ركنوا إلى الهدوء.



٦. السيد رفيع أحمد قمران، طالب بالجامعة الإسلامية، ببهاولبور:

الاضطهاد للأحمديين شديد في دار الشباب بالجامعة. قاطعني طلاب فصلي مقاطعة تامة. يصعب أحيانا على النفس تحمل مزاعمهم البذيئة الباطلة. أدعوا لي من فضلكم كي يمنحني الله الصبر والحفاظة.

٧. السيد محمد شافعي سليم، كهاريان، مسئول بالجماعة المحلية:

بأمر من القاضي جاء جماعة من الضباط ورجال الشرطة إلى المسجد مساء، وختموا عليه. في أعقاب جريمة تشك سكندر في ١٦ يوليو ١٩٨٩ نظم ملات ختم النبوة اجتماعات بالمنطقة لتحريض أهلها على مهاجمة المسلمين الأحمديين وقتلهم، وأعلنوا أنهم سيحتلون بالقوة مسجد الجماعة في كهاريان المسمى «مسجد شيهاني». وأعلن أحد الملات أنه سيطلق النار على من يقاوم من الأحمديين. أبلغ رئيس الجماعة الأحمدية المحلية مسئول الشرطة لاتخاذ ما يلزم من تدابير لحماية الأرواح والممتلكات. أخيرا استدعت الشرطة عددا من السكان الأحمديين وغير الأحمديين، وقرر هؤلاء أنه لا نزاع بينهم وبين الأحمديين فيما يتعلق بالمسجد. ومع ذلك أغلقت الشرطة المسجد وختمت عليه.

٨. السيد مرزا نصير إنعام، ربوة:

في العام الماضي قدمت أوراقي للالتحاق بكلية الزراعة بفيصل آباد، وفي خانة الدين كتبت: «أحمدي، والقانون لا يسمح لي بالإعلان عن عقيدتي الإسلام». نصحني زميل أن أكتب: «من أقلية غير إسلامية» فرفضت بالطبع. قال لي: إنك بذلك تضيع وقتك. ما الضرر في أن تكتب ذلك كي يسمحوا لك بالالتحاق بالكلية؟ قلت: لن أفعل ذلك، حتى ولو منعت من دخول الكلية.

وروى واقعة أخرى تتعلق بمدرس يدعى مرزا امتياز أحمد كان متجها إلى فيصل آباد في عربة من ذوات الخيل، فسأله السائق: أنت مرزائي إذن؟ فبادر المعلم لتوضيح أن هذا اسمه وليس عقيدته. يقول المدرس: ولو لا ذلك لهاجمني المتعصبون. وهكذا يتعرض حتى غير الأحمديين للتهديد بسبب الاسم، مع أن اسم مرزا تدل على أن حامله من أصل مغولي.

٩. السيد م. أيوب:

ذهبت لمقابلة تتعلق بوظيفة محاضر يوم ٢٦ أغسطس ١٩٨٩. فجرى الحوار التالي بين المقابل وبيني: هل أنت أحمدي؟ نعم بفضل الله. خير لك أن تنطق بالشهادة وتسلم. أنا لست كافرا، ونطقت بالشهادة أمامه قائلا: لا إله إلا الله محمد رسول الله. أنت غير مسلم طبقا للتعديل الدستوري سنة ١٩٨٤، وبوسعي أن أمنحك الوظيفة في الأماكن المخصصة لغير المسلمين. فرفضت هذا العرض المهين على الفور، وقلت: رغم أني الثاني في ترتيب الأولوية بحسب المؤهل، ولكني لا أضحى بإيماني من أجل الوظيفة.

١٠. السيد نصير أحمد، تشاوندا، سيالكوت:

نحن خمسة إخوة، كلنا الآن في السجن. قبضت الشرطة علينا بطريقة روائية درامية. تآمر بعض السكان الأشرار للقيام بالأعمال المناهضة للأحمديين. في ١٥ يونيو ٨٩ تجمعوا عند متجر أخي الأصغر، حيث أطلقوا بعض الشتائم البذيئة ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية وقادتها، وهددوا بإحراق المتاجر والمساكن الأحمدية بالمنطقة. ثم ألفوا مظاهرة تبلغ عدة مئات من الرعاع، وفي حضرة عدد كبير من ضباط ورجال الشرطة أخذوا يقذفون بالأحجار، والشرطة يشهدون، ولا يتدخلون لمنعهم. صرف الله الحشد بفضله، واتجهوا إلى مركز الشرطة حيث طالبوا بتحرير قضية ضدنا. جاءت الشرطة، وحاصرت بيوتنا، وقبضت على ١٣ أحمديا، وسجنوهم. وأدخلوا الملات ليبتهجوا ويتأكدوا من سجننا. نقلونا بعد ذلك إلى سجن سيالكوت، ولكن

وفدا من الملات ذهب شاكيا إلى المسئولين بسبب التسهيلات التي تمنح للأحمديين في السجن! فنقلنا إلى سجن جوجرانوالا في منتصف الليل.

١١. السيدة ممتاز بيجوم، لاهور:

هناك مسجد بجوار مسكني يأتي إليه بعض الملات أحيانا، ويخطبون ضد الأحمدية، مما كان يؤلمنا جميعا، ولكننا نلزم الهدوء. زاد أخيرا إلقاء هذه الخطب النارية، واستخدم الملات ألفاظا فاحشة ضد مؤسس الحركة الإسلامية الأحمدية. أولادي شبوا وكبروا ويغضبون، ولكنني أهدئ غضبهم.

في ٢ أغسطس ٨٩ حرض الملات الجمهور على تطبيق القانون بأيديهم وقتل الأحمديين. قال أحد الملات إن قتل الأحمدي يعادل حجة إلى بيت الله الحرام! حضرت حافلات محملة بالطلاب من أماكن بعيدة للتظاهر ضد الأحمديين. ويزعم الملات أن الأحمديين، معاذ الله، لا يؤمنون بمحمد ﷺ، وينبغي إفناؤهم من وجه الأرض، ويحثون الشباب على القتل والتدمير للخلاص من الأحمديين.

١٢. السيد طاهر أحمد خان، ننكانا صاحب:

في عام ١٩٨٦ رفع الملات ضدي قضيتين تحت المادتين ٢٩٨ و٢٩٥، ومنذ ذلك الوقت عليّ أن أذهب إلى محكمة شيخوبورا مرتين في الشهر. وأضافوا قضية أخرى في عيد الأضحى الماضي، ثم جعلوا منها قضيتين، تحت المادتين ٢٩٨ و٥٠٦ من قانون العقوبات. وتفصيل ذلك أني كنت عائدا إلى مسكني صبيحة عيد الأضحى في طريق به مكتب منظمة ختم النبوة، فاعترضني صبي جذبني من قميصي. حاولت تجنبه، ولكن ١٠ صبية قفزوا نحوي يحملون العصى والأحجار، ولكنهم بفضل الله لم يجرؤوا على مهاجمتي. أحضر الصبي الأول فأسا، وضربني على ذراعي، وتدخل المارة، وطلبوا مني الإسراع بالانصراف. فأسرعت الخطى مبتعدا، تشيعني شتائم الجمع.

عندما وصلت ربوة بلغني أن الملات قيدوا قضية ضدي لدى الشرطة بتهمتين: (١) التكبير أثناء السير في الطريق، (٢) صفع صبي جاء يلومني على هذا الفعل بصفتي غير مسلم. ويضيف التقرير أن الأحمديين يخلقون مشاكل ضد القانون والنظام بتحريض من قادتهم في ربوة.

أمام القاضي ترافع ضدي رئيس منظمة ختم النبوة، وبعد اتهامات باطلة ضد حضرة مؤسس الأحمدية قال: ليحمد الأحمديون ربهم لكونهم لا يزالون أحياء حتى الآن. بعد أن استمع القاضي إلى كل هذا الهراء قال لي: هل ستكرر ما كنت تفعل مرة ثانية؟ قلت: أنا لم أفعل شيئا، ولم أجرح شعور أحد. طلب مني المحامي ألا أتكلم. قال الملا: هذا كله من فعل مرزا طاهر أحمد الذي يجلس في لندن ويرسل تعاليمه في الكاستات إلى أتباعه. قال القاضي: لا تشغل بالك، ودع الكلب ينبح. والتفت إليّ قائلا: اسمع جيدا.. سأفرج عنك الآن بكفالة، ولكن إن عدت فسأضعك في السجن مدى الحياة. ثم ناداني وقال: المس أذنك وقل بصوت مرتفع: لن افعلها مرة أخرى. انفجرت غاضبا وقلت: أنا لم أرتكب خطأ، ولكن الملات كذابون.. فبادر المحامي وبعض الحاضرين إلى إسكاتي، ونصحوني بألا ضرر من فعل ما يريد. وتذكرت قول المسيح الموعود: «كن متواضعا كأنك كاذب وأنت صادق».

تهلل الملات وضحكوا للموقف الذي كنت فيه. لقد شعرت بجرح ينزف في قلبي، وضميري يؤلمني، وأسأل نفسي: ما هذا الذي وعدت بألا أفعله مرة ثانية؟ لماذا قلت ذلك؟ لماذا فشلت في امتحان إيماني؟ لماذا؟ لا تزال الدموع تملأ عيني ندما. يا رب، اغفر لي تقصيري، وأنت أرحم الراحمين.



١٣. الأستاذ جاهانجير محمد جويا، محام أحمدي، خوشاب:

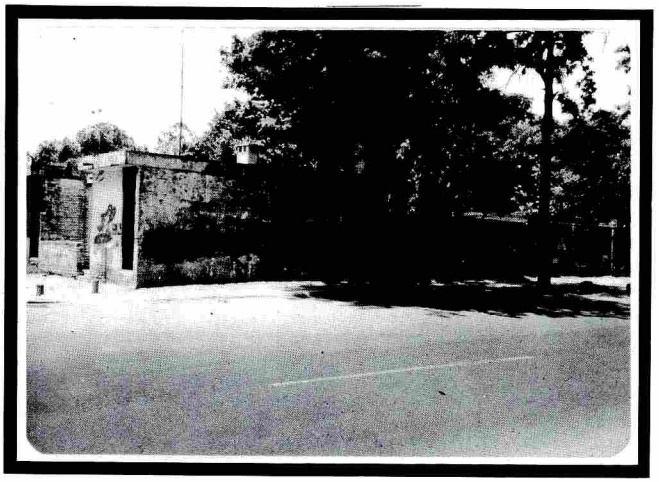
بينما كان السيد جاويد أحمد جاويد، وهو داعية إسلامي أحمدي، في طريقه إلى موقف الحافلات، هاجمه عمال منظمة ختم النبوة، وضربوه، وخطفوا منه حقيبته اليدوية. ذهب الفاضل يشتكي في مركز الشرطة، فقال المعتدون إنه يوزع منشورات دينية ويدعو للأحمدية، ومن ثم يجب عقابه. وقدموا بعض الأوراق العلمية الدينية من حقيبته. فأمرت الشرطة بحبسه، وتركت عصابة المعتدين.

تكرر نفس الحادث من نفس العصابة مع السيد رانا عطاء الله الموظف الحكومي، ولكنهم لم يجدوا في حقيبته إلا أوراقا حكومية، فأفرج عنه. وتوجه وفد من المسلمين الأحمديين للقاء نائب مدير الشرطة في المساء ليخبروه بما جرى، فاتصل هاتفيا بمركز الشرطة، فأبلغوه أن مدير البوليس هو الذي أعطى

التعليمات بتسجيل القضية.

١٤. السيد سلطان أحمد بطي، سرجودا:

عملت مديرا لمصنع اسمنت منذ ٨ سنوات. اعتقلت بجريمة كتابة الشهادة الإسلامية على واجهة منزلي. مكثت بالحبس ١٠ أيام. ثم أخرجت بكفالة مالية. اعترض الملات على وجودي بالمصنع، ففُصِلت. حاول صاحب المصنع منحي أجر شهرين، فرفضت قبول ما لم أعمل به. انتقلت إلى عمل جديد، ولكن الملات كانوا دائما في أثري. وتكرر ذلك خمس مرات.



١٥. مدرسة أحمدية من بهاولبور:

أنا مدرسة أولى، ومع ذلك عينوا مدرسة ثانية ناظرة للمدرسة. وأخيرا جاءت التعليمات بتعييني ناظرة، ولكن معارضة المدرسات تتصاعد ضدي. إني مهمومة. كان الله في عون كل أحمدي باكستاني.

١٦. السيد نذير أحمد شودري، بهاولبور:

سجن أخي صوفي شريف أحمد، رئيس جماعة مراله لمدة ٩٠ يوما بأمر من قاضي محكمة جحرات في ٥ ديسمبر ٨٩، للأسباب الآتية:

أ. التقارير تقول بأنك أحمدي متعصب، وتدعو للأحمدية بين الطلاب المسلمين مما يضايق المجتمع الإسلامي.

ب. لك نشاطات تخلق جوا ضد القانون والنظام بين الأحمديين والمسلمين مما يعكر صفو السلام والهدوء.

ج. نشاطاتك بوجه عام ضارة بالسكينة والسلام وتجرح مشاعر مجتمع المسلمين.

والحقيقة أن أخي توجه إلى مدير الشرطة في جحرات عقب أحداث تشك سكندر، وأخبره بأنه مسئول عما لحق بالأحمديين من قتل وتخريب ممتلكات، فانتقم منه بهذه الطريقة. وهو الآن محبوس حبسا انفراديا، ولا يسمح لأحد بزيارته. وقد تلقى ابات تهديد لحياته وممتلكاته قبل اعتقاله. وأعلن أحد الملات الجمعة بأنهم سيهجمون عليه في الجمعة التالية، م يظهروا.

ملحوظة: الصور التي يراها القارئ في هذا المقال هي لبعض العبارات التي يجدها المرء على الجدران في معظم المدن والقرى الباكستانية، والتي يكتبها أعداء الجماعة الإسلامية الأحمدية لمضايقتها وتنفير الناس منها. من هذه العبارات: القاديانيون خونة الإسلام والوطن، باكستان هي مقبرة القاديانيين، افصلوا الشخصيات القاديانية عن المناصب الحكومية الحساسة، أغلِقوا (الفضل) جريدة القاديانيين فوراً وإلا...

بابا نانك كان مسلمًا، بقية.

ذلك.

ونوجز فنقول إن (تشولا صاحب) قد أثبتت بما لا يدع مجالا للشك ما يلي:

١. أن (بابا نانك) كان مسلما حقا.

٢. وأنه لم يؤسس أي دين جديد، وإنما كان بسلطانه الديني يهدف إلى تقريب الهندوس نحو الإسلام.

٣. وأنه كان مؤمنا بوحدانية الله ومتمسكا بالعقائد الإسلامية التي دعا إليها حيثما كان.

٤. وأنه أدى عمليا كل فرائض الإسلام، وارتبط بالمسلمين، وبادلهم تحيتهم الإسلامية، وارتدى زيهم.

وهكذا يتبين أن (بابا نانك) لم يكن مسلما فحسب، وإنما كان قدسيا ورجلا ربانيا. جمع في نفسه أفضل تعاليم الدين الحق، لأنه كولي مسلم، سار على خطى نبي الإسلام الأكرم سيدنا محمد المصطفى ﷺ، ولم يداهن ضد العقائد الإسلامية، فكشف أخطاء الهندوس والمسلمين في زمنه. ولقد سار (بابا نانك) سيرة المسلم الحق، وعاش عيشة التقوى والورع.

ولا ريب أن العباءة (تشولا صاحب) تقف آية على صدق سيدنا أحمد المسيح الموعود والمهدي الموعود عليه السلام، وبرهانا على حقيقة ما تلقاه حضرته من وحي الله تبارك وتعالى بشأن إسلام (بابا نانك).

شكرًا..
وصلت رسائلكم

(١)

بسم الله الرحمٰن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد، فأنا أخوكم في الله القاطن بمدينة صفاقس بالجمهورية التونسية، قد اطلعت على مجلتكم الشهرية «التقوى» التي كانت تزخر بالتعاليم الدينية السمحة وبعض الدراسات القيمة. في عصرنا هذا المسلمون في أشد الحاجة إلى مثل هذه المجلات الملتزمة الدينية النافعة. ومما زاد انتباهي في مجلتكم هو عددها الأخير الخاص الذي يحتفل بمئوية تأسيس الجماعة الإسلامية الأحمدية التي تعمل لصالح الإسلام والمسلمين. وقد تعجبت صراحةً لعدم معرفتي بهذه الجماعة من قبل، أو لعدم التعريف بهذه الجماعة في بلدنا من طرف العلماء والدعاة. لهذا أرجو من حضراتكم أن تمدوني ببعض المعلومات عن هذه الجماعة التي تكرس وتجاهد بعلمائها وأموالها في سبيل نشر قيم الدين الإسلامي في أنحاء العالم.

كما أرجو أيضًا أن تقبلوني صديقا ومراسلا جديدًا في مجلة «التقوى».

أخيرا، إلى أن يجمعني الله بعددكم القادم إن شاء الله تعالى، أرجو من الله عز وجل مزيدًا من التوفيق والعمل الصالح لهذه الجماعة ولمجلتكم القيمة.

والسلام عليكم ورحمة وبركاته.

م. ش
تونس

(٢)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أختي «التقوى» هذه الرسالة لم تأت إليك منذ حينها، حين أحييت العالم الإسلامي مرة أخرى.. حين وجهت دعوتك الإسلامية إلى أمتها الغافلة.. حين أعدت أواصر العلاقة الإسلامية إلى الأمة التى أساسها التقوى والأعمال الصالحة، وتعليم الإسلام على نهج رسوله الأعظم ﷺ.

أختي «التقوى» فإنك لجديرة بالشكر والثناء عليك وأجدر بالإقبال، فأيتها «التقوى» الغراء أملي كل أملي أن لا تنقطع عني أبدًا.

يُويي باه
غامبيا، غرب أفريقيا

(٣)

السلام عليكم ورحمة الله

أحيي تحية الإسلام لكم ولجميع الإخوة والزملاء الأحمديين الذين يقومون بمجهود جبار ومشرف لتخرج مجلة «التقوى»، ولجميع الأحمديين العرب في أجمل صورة إسلامية. هذه المجلة تزداد نجاحًا وتقدمًا وازدهارًا مع كل عدد جديد. وهذه المجلة الإسلامية لم تحوذ ذلك النجاح إلا بمساهمة الإخوة الأحمديين من رجال دين وصحافة، وجنود مجهولين يبذلون الجهد والعرق والعمل ليل نهار حتى تصل إلى أيدينا.

لذلك أتقدم إليكم بشكري العميق لجميع الجنود الأحمديين الذين يقفون وراء مجلة «التقوى» لتصل إلى أعلى مستوى من العلم والثقافة والمعلومات الإسلامية الجيدة. جزاكم الله كل خير على كفاحكم وجهادكم من أجل رفع راية الإسلام وتقوية أواصر الإسلام، وتوحيد المجتمع المسلم في أوربا، منبع الفساد.

ويشرفني أن أكون أحمديا. وكل إنسان ينطق بالشهادتين فهو مسلم إن شاء الله. وهذا كلام الله ورسوله. والحمد لله أن السفينة الأحمدية تسير إلى الأمام بفضل دعاء وتوجيهات الخليفة مرزا طاهر أحمد أيده الله وحفظه.

وأبعث بأجمل التهاني للخليفة ولجميع الاخوة في مجلة التقوى، وإلى جميع الأحمديين، وإلى أخوتنا المضطهدين في باكستان، وأدعو الله أن يرفع عنهم الظلم من قبل هؤلاء المتربعين على السلطة في باكستان. ونحن نؤيد وندعم ونبارك الإخوة الأحمديين في باكستان.

المسلمون إخوة في العقيدة وفي التسامح وفي الوحدة بينهم. وسيأتي يوم الحرية ورفع الظلم عن أخوتنا في باكستان.

أقول لجميع الزعماء الذين يحاربون الإسلام، لعنة الله على الكافرين، لعنة الله على الظالمين، لعنة الله على كل جبار عنيد.

أبو موسى المصري
ألمانيا الغربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

إنني لا أستطيع أن أعبر لكم عن الفرح والسرور الذي أجده بالحصول على مجلة التقوى الشهرية الصادرة من عندكم. لا أتمكن باللسان أن أعلن لكم غاية ابتهاجي بتلك المجلة. إلا أنني أريد منكم مواصلة الإرسال الدائم إليَّ بهذه المجلات الشهرية. والله يجزيكم.

والسلام

أخوكم في الله

عمر آدم تراوري

ساحل العاج

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سعادة الأستاذ طاهر عبد العزيز

رئيس تحرير مجلة التقوى الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد، فنهديكم تحياتنا الطيبة ، ويسرنا أن نحيطكم بأن التقوى الغراء وصلتنا، بحمد الله، وقد جاءت مقالاتها، ولله الحمد، جيدة ومناسبة لما يجب أن تكون عليه دعوة جماعتنا الإسلامية الأحمدية في هذه الظروف.

وبهذه المناسبة أقدم بعض مقترحات منها:

١. أن تصل إلينا مجلات التقوى بانتظام.

٢. إهداؤها لعدد من علماء المسلمين ممن نرى فيهم الاستعداد الطيب لجماعتنا.

٣. الزيادة من الاهتمام بمقالات ترد على الاتهامات الباطلة التي تبثها العناصر المعادية على صفحات مجلاتها وجرائدها العربية وغير العربية.

٤. إبراز مساوئ الحضارة الغربية المادية ونقدها في ضوء الإسلام الحقيقي.

ولا يسعنا تجاه اهتمامكم بخطابنا هذا، إلا أن نقدم لسعادتكم جزيل الشكر والتقدير، سائلين المولى العلي القدير دوام التوفيق لنا ولكم لخدمة الإسلام والجماعة الأحمدية في ظل الخلافة على منهاج النبوة بقيادة الإمام الهمام سيدنا مرزا طاهر أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز. والسلام خير ختام.

المرسل

أبو زكي

إندونيسيا

مقابلة هامة، بقية.

الأسباب: إنه وُلد في عائلة تشربت بالحياة الغربية، وتعيش على النمط الغربي، وليست بالدينية، ولكنها لا تزال عائلة مسلمة. لم تُسأ معاملته بأي صورة. فلا سبب عنده في أن يشعُر تجاه الإسلام بمثل هذه المرارة. فهو مُرتزق جشع، حاول الظهور واستلفات الأنظار بكتابة روايات بعضها اكتسبت شهرة، وأُخرى باءت بالفشل. في كتابه الشيطاني كثير من النقاط التي استند عليها بمؤيدات تاريخية ضعيفة جدا، مأخوذة من كتب غير موثوق بها مثل الطبري والواقدي. لم يقُم بأي تحقيق عميق في التاريخ الإسلامي، لأنه لا يُبالي بالحقائق. إذ كلما أراد أن يجد مآخذ ونُقاطًا سالبة يُلصقها بالإسلام. نراه يغوصُ عميقًا في ماضي التاريخ ليُشوِّه لنا مولد حضرة إسماعيل الذي نعتقد بأنه ابن مبارك من الله لإبراهيم، والذي قالت التوراة، وهي من أصدق المصادر لذلك التاريخ، بأن مولده كان مُباركًا من الله. بدأ المسيحيون يخوضون في الموضوع لأن محمدا من ذرية إسماعيل، فينكرون أن إسماعيل كان أيضًا ابنا مباركًا لإبراهيم. نحن نعلم أن تربية سلمان رشدي وثقافته لم تسمح له بالعودة إلى المصادر الإسلامية الصحيحة، ولذلك دعا حضرة إسماعيل «ابن زنا» ، الكلمة التي لا يمكن ليهودي بكامل قواه العقلية أن يُطلقها على حضرة يسوع، بل يكتفون عادة بأن يقولوا بأنه ليس بابن الله. وهذا كل ما هنالك، ويتركون للسامع أن يظن ما يشاء. هذا الأسلوب المهذب للمعارضة.. أن تدعو مؤسس دين من الأديان، والذي يحلُّ اسمي مكان من الاحترام والتبجيل في قلوب مئات الملايين من البشر «ابن زنا»! إنها ليست باللغة الطاهرة النظيفة التي تُرضي الأذواق، وليست من باب الفصاحة والأدب التي تستدعي الإعجاب.

ولا أعتقد أن سلمان رشدي هو وحده المسؤول، بل من المؤكد أن المؤامرة محبوكة من قبل جهة من الجهات، تريد أن تلقي قنبلة تعكر بها صفو السلام.. وتفجر بها المشاعر في العالم الإسلامي والمسيحي كليهما، وتثير العداء. أشعر أنها ليست فعلة شخص واحد كسلمان رُشدي.

وشكرًا لصبرك واحتمالك معي.

مستر بول: لك الشكر الجزيل، بالتأكيد.

ALTAQWA

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

قال سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

(١)



«إن ذلك الحادث العجيب الذي جرى في برية العرب.. حيث بُعث مئات الألوف من الموتى في أيام معدودات.. وتحلّى بالأخلاق الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مر الأجيال، وأصبح العمي يبصرون، والبُكْم بالمعارف الإلهية ينطقون.. وحدث انقلاب في العالم لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط.. هل تعرفون كيف حدث ذلك؟ إن تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة.. عبدٌ متفان في الله.. هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلا على يد ذلك الأمي الضعيف الحيلة.

اللهم صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وآله.. بعدد همّه وغمّه وحزنه لهذه الأمة، وأنزِلْ عليه أنوارَ رحمتك إلى الأبد».

(الخزائن الروحانية ج ٦، بركات الدعاء ص ١٠ و ١١).

(٢)



«إنني دائما أنظر بعين الإعجاب إلى هذا النبي العربي.. محمد عليه ألف ألف صلاة وسلام. ما أرفع شأنه! لا يمكن إدراك سمو مقامه العالي، وليس بوسع إنسان تقدير تأثيره القدسي. الأسف، أن الدنيا لم تقدر مكانته حق قدرها. إنه هو البطل الوحيد الذي أعاد التوحيد إلى الدنيا بعد أن غاب عنها. إنه أحبَّ الله غاية الحب، وذابت نفسه تماما شفقة على خلق الله، لذلك فإن الله العالمَ بسريرته فضَّله على كل الأنبياء، وعلى الأولين والآخرين جميعا، وحقق له في حياته كل ما أراد».

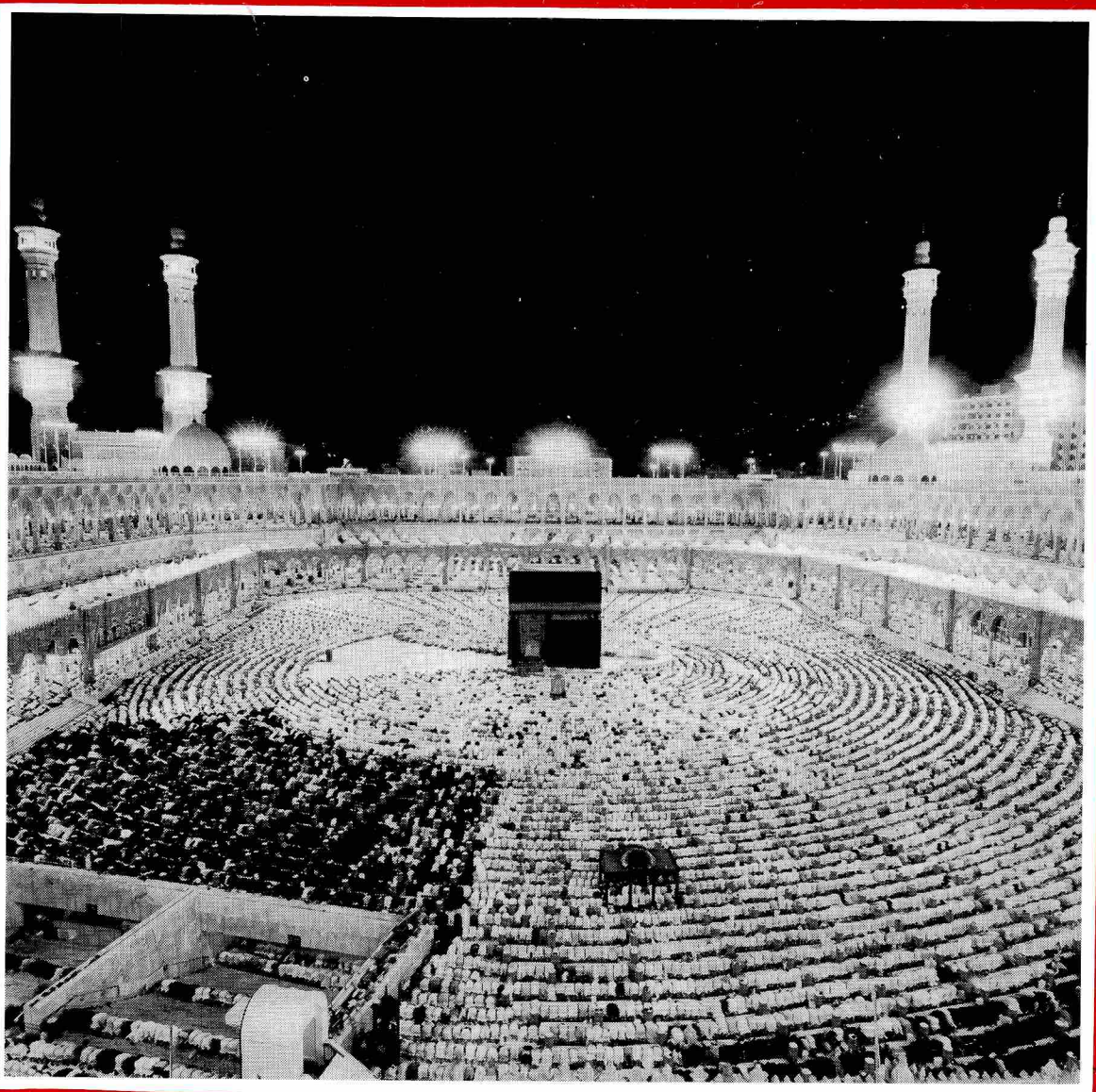
(الخزائن الروحانية، ج ٢٢، حقيقة الوحي، ص ١١٨ إلى ١١٩).

Volume 3, Issue No 1, May 1990

ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا،
اعدلوا هو أقرب للتقوى

التقوى

مجلة إسلامية شهرية



العدد ٢٠٠٠

بسم الله الرحمٰن الرحيم

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الاسلامية الاحمدية

مدير الادارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الاسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
اسلام اباد ـ بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
جوامع الكلم	٦
كلام الإمام	٧
لم يكذب إبراهيم (عليه السلام)	٨
كسوف الشمس وخسوف القمر	١١
يا قوم، في رمضان ظهرت آيتي (قصيدة)	١٩
قبسة من حياة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية (عليه السلام)	٢١
المساهمة الممكنة للإسلام في السلام العالمي	٢٣
دروس وعبر في الأنعام والنحل	٢٦
أخبار الجماعة في باكستان	٣٣

ثمن النسخة : جنيه ونصف £1.5 والاشتراك السنوي £18 او ما يعادل ذلك خارج بريطانيا ترسل قيمة الاشتراك باسم التقوى الى عنوان المجلة.

الافتتاحية

تهنئة وعزاء

يتزامن إعداد هذين العددين من مجلة «التقوى» مع أشهر الحج المباركة.. تلك الفريضة التي شرعها الله تبارك وتعالى ليجتمع المسلمون عند بيته الحرام، ضيوفا كراما، ينعمون في رحابه، وينهلون من رحمته، ويسعدون برضوانه، ويبتغون منه فضله، ويتعارفون ويتعاونون لما فيه خير الأمة ونصرة الإسلام.

نسأل الله تعالى لعمار بيته وحجاجه.. سعيا مشكوراً، وحجًا مبرورا، وذنبا مغفورا، وعملا مقبولاً.

كما نسأله تبارك وتعالى.. أن يجعل عيد الأضحى المبارك.. عيدا سعيدا على أمة المصطفى ﷺ، وأن ينتفعوا بدروسه العظيمة؛ من الطاعة لله، والتضحية بالمال والنفس في سبيل مرضاته، والعمل البناء لرفعة شأن المسلمين، وعلاج مشاكلهم، وتخفيف ويلاتهم.

ولقد نزلت بالأمة الإسلامية نوازل جسيمة، أثارت الشجن، وأدمت القلب.. ففي إيران وقعت أحداث الزلازل التي دمرت وأهلكت.. ولقد تعاطف المسلمون جميعا.. والأحمديون خاصة.. مع إخوانهم في إيران، وساهموا بما استطاعوا، معبرين عن مشاركتهم ومواساتهم.

وتتقدم «التقوى» إلى الشعب الإيراني المسلم بخالص العزاء، وصادق المواساة، داعين المولى تبارك وتعالى أن يشملهم برحمته، ويعينهم في محنتهم، ويعوضهم خيرا.

وفي أرض الحجاز.. وعلى مقربة من بيت الله الحرام.. وقع حادث مؤلم مؤسف، إذ تسبب الزحام الشديد، والتدافع الأهوج.. في مصرع مئات من الحجاج الأبرياء. فنسأل الله عز وعلا أن يتغمدهم برحمته، ويتقبلهم أحسن القبول. كما نتقدم إلى أهلهم وذويهم خاصة، وإلى أمة الإسلام عامة.. بعزائنا القلبي. ونبتهل إلى السميع المجيب أن يجنبهم السوء، ويقيهم الشدائد، ويعمهم برحمته وبركاته.. فهم المنتسبون إلى أحب خلقه إليه.. سيدنا محمد المصطفى ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

في عالم التفسير

من التفسير الكبير لسيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه ، الخليفة الثاني لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

[الذين يقيمون الصلوة ومما رزقْنٰهم ينفقون*]

(البقرة)

[ومما رزقْنٰهم ينفقون]. والرزق هو كل عطاء من الله بصفة عامة ، وليس الطعام وحده كما يظن بعض الناس. والأصل في الرزق الإمداد بالوسائل حسب الضرورة ، والطعام واحد من الضرورات الحيوية للإنسان ، وليس هو الأصل في المعنى ، ولذلك يخطئ من يفسر الرزق بالطعام وحده.

وصفة [مما رزقْنٰهم ينفقون] لم تحدد الإنفاق كمًا أو نوعًا أو مادة ، وليس لنا أن نحدد ما لم يحدده الله. فالمتقون يبذلون في سبيل الله نصيبا من كل ما أعطاهم الله.. علماً كان أو عقلا أو شرفا أو مالا . إن كل ما يسدّ ضرورة فهو نعمة من الله تعالى. وقد أمر الله بإنفاق كل هذه الوسائل. إن من يساعد الناس بالمال ويبخل عليهم بجاهه ، أو من يكسوهم ، ولكنه يحرمهم المأوى ، أو من يخدمهم ، ولكن يضن عليهم بعلمه.. مثل هذا الإنسان لا يكون من العاملين بهذه الميزة التي تصف بها الآية المتقين المنتفعين بهدى القرآن. الآية تدل على أن المساعدة بالمال وحده جانب من الإنفاق ، وليست كل الإنفاق. فمن الإنفاق في سبيل الله تعليم الناس ، وخدمة اليتامى والأرامل والمحتاجين ، والدفاع عن الوطن وبذل النفس في سبيله ، وعلاج المرضى ، وكشف المخترعات بالعمل ليلا ونهارا للصالح العام.. وكثير غيرها من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى.

المؤمنون مُطالَبون بمواصلة جهودهم لتوفير قدر من كل نعمة لديهم كي يجعلوها للمنفعة العامة. ولقد أدرك الفقهاء حقيقة الإسلام الكبرى إذا استثنوا من الزكاة ذلك الحليّ الذي تستعمله صاحبته أو تعيره للفقيرات من النساء أحيانا. وهذه حقيقة كبرى ، لأن الزكاة فُرضت لتزكية المال و وطهارته. والمال كالماء.. إذا جرى لا يفسده شيءٌ وإذا وقف أَسِن.. المال الذي يُصرف و يـ ـل من يد إلى يد فهو كماء مبارك ينتفع منه الجميع كالعين المتدفقة ، ولذلك يشجع الإسلام على التجارة والزراعة والأعمال التي تعود بالفائدة على العاملين بها وعلى غيرهم. والإسلام يحرم كنز المال وحجره عن التداول ، لأنه يحرم الناس من نفعها. وقد شدد الإسلام في هذا الأمر فقال تعالى : [والذين يكنزون الذهبَ والفضةَ ولا ينفقونها في سبيل الله فبَشِّرْهم بعذاب أليم. يوم تُكْوٰى بها جبٰهُهم وجُنوبُهم وظُهورُهم]. (سورة التوبة : ٣٥).

كما أن الآية تدل على أن المنفق على الفقراء هو المنفق في سبيل الله ، وأيضا المنفق على أولاده وزوجه ، والأم التي ترضع وليدها ، والابن الذي يعتني بخدمة والديه.. هؤلاء وغيرهم منفقون في سبيل الله.. بل والمنفق على نفسه يعتبر منهم.

والذي ينفق ماله ويحرم منه نفسه وأولاده وزوجه يخالف مدلول هذه الصفة ، لأن الإنفاق عام يشمله وأسرته مع الآخرين. وقد أوضح الرسول ﷺ هذا المعنى حيث نصح رجلا كان يصوم النهار ويقوم الليل ، ولا يهتم بزوجته وأولاده ، فقال له : «إن لنفسك عليك حقا ، ولربك عليك حقا ، ولضيفك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا. فأعطِ كلَّ ذي حق حقه». (الترمذي ، أبواب الزهد).

ولقد أبطلت هذه الآية جميع أنواع الرهبانية التي تدعو إلى عدم الاهتمام بالنظافة والطعام وإهمال حقوق ذوي القربى.. فالمتقي ، عند الإسلام ، هو الذي ينفق من كل ما أعطاه الله على نفسه وذويه وجيرانه وأصدقائه وعلى الفقراء والأغنياء والمعارف والأجانب ، على المواطنين والمسافرين والغرباء ، على بني الإنسان بل والحيوانات أيضا. الإسلام يأمر بالإنفاق من كل نعمة ولكل مصلحة ضرورية.. فمن ترهب وقعد عن السعي فقد أعجز نفسه

عن الإنفاق وخالف الآية.

وتدل هذه الآية [ومما رزقْنٰهم ينفقون] على أن الإنفاق محدود بجزء من الرزق وليس كله. وتقرر آيات أخرى من القرآن أن الإنفاق المفرط الذي يؤدي إلى الفقر محرم كذلك. يقول تعالى: [ولا تجعَلْ يَدَكَ مغلولةً إلى عنقِك ولا تَبْسُطْها كلَّ البسطِ فتقعُدَ ملومًا محسوراً *] (سورة الإسراء: ٣٠).

والمحسور هو الذي حرم نفسه من التقدم، لأن المحسور هو من ضاعت قوته وبدا عجزه. وإذا كان الإفراط في إنفاق المال مكروها حتى لا يورث الحسرة، فإن الأمر لا يسري على الإنفاق العلمي والفكري. فالمال معرض للنفاد، أما العلم والفكر فلا ينفدان بالإنفاق.. ولكن الاعتدال يكون مطلوبا أيضا في هذه الحالة؛ بمعنى تجنب إرهاق النفس إرهاقا يعطل قوى الإنسان ويحول بينه وبين المداومة على التقدم. إن من يجهد نفسه فيمرض ويتوقف عن العطاء يعد مخالفا لهذه الآية.

ويدل قوله تعالى: [ومما رزقْنٰهم ينفقون] على أن المتقي ينفق في سبيل الله من الحلال، فليس البر إنفاق مال جاء من حرام. ومن ينفق مالاً جمعه من رشوة أو سرقة لا يفعل خيرًا، لأنه ينفق من حقوق غيره، وليس من رزق الله له.. والشر لا يلد إلا شرا.

ولما كان معنى الرزق هو العطاء المتواصل حسب الحاجة فإن الآية تعني أن الخوف من الإنفاق مخالف للعقل السليم. فكلمة [رزقْنٰهم] تدل على أن الله تعالى لن ينقطع عن العطاء، فلا داعي للخوف. إن الذي ينفق حسب أمر الله تعالى لا يخسر أبدا.. بل يربو ماله وتزدهر ثروته، لأن الله لن يقطع عنه رزقه. أما ازدهار العلم والعقل والجاه بالإنفاق، ونمو القوى باستعمالها فظاهر معروف.. لأن من يفيد الناس بعلمه يزداد علما ومعرفة. وبالمثل فإن المنفق من جاهه يزداد جاهه بين الناس، وكذلك المنفق من ماله تتضاعف ثروته.. لأن نفقته على نفسه تزيده قوة ونشاطا لكسب المال، ونفقته على زوجته وأولاده تزيد عدد الأيدي العاملة له، ونفقته على جيرانه وأصدقائه تزيد عدد مساعديه، ونفقته على الفقراء يرفع مستوى معيشة قومه.. وبكل ذلك تزدهر ثروته ولا شك.

وعلى العموم فإن الإنفاق الصحيح للمال يمنع من الضياع، بل ويضافعه أضعافا كثيرة.. وعلاوة على أن فضل الله ينزل على المنفق نزولا روحانيا، فإن السنن الإلهية الكونية تساعد على زيادة المال وبسطه، ولا يتسبب عن الإنفاق نقص أو انقباض، ولا يخاف الإنفاق إلى الجهلاء الذين لا يدرون أنهم بإمساكهم عنه يدفعون بأموالهم نحو الخسارة لا الربح.

وقد تساءل بعضهم لماذا يجعل الله الناس وسيلة للإنفاق على سائر خلقه، ولا يعطي كل واحد نصيبه مباشرة؟ هذا التساؤل ناشئ عن قلة التدبر، فالواقع أن كل الناس ينفقون بعضهم على بعض، وليس الإنفاق وقفًا على الأغنياء وحدهم، كما قد يبدو في الظاهر. إن الغني يثرى من التجارة أو الزراعة أو الصناعة بتعاون الأيدي العاملة والمتعاملين معه من الفقراء، كما أنهم يحافظون على ماله ويكفلون له الأمن والاستقرار، ولولا هم معه وحوله ما أمكن له أن يجمع مالا، أو يحميه وحده من الضياع والهلاك بأيدي السارقين وقطاع الطرق. فالفقير يعين الغني قبل أن يعين الغني الفقيرَ. من هذا يتبين كيف أن الله عز وجل قدر نظاما ماليا رائعا، وجعل لكل إنسان سهما في مال غيره كي تعم المواساة، وتتقوى وشائج المحبة والتعارف، ويزدهر العلم والتمدن والتكافل الاجتماعي بين بني البشر. وقد فصل القرآن هذا النظام المالي كما يلي:

١. الزكاة: وهي فريضة من فرائض الإسلام، بها شرع الله تعالى للمجتمع البشري كله حقا مفروضا في المال، لأن المال مكتسب بجهود تعاونية من قبل سائر البشر. وهذا الحق لا يسقط بأداء الحقوق الفردية.. فمثلا إذا كان لرجل منجمٌ يستخرج منه معدنا، فإنه يدفع أجور العمال نظير عملهم، ولكن القرآن يشرع بأن لهؤلاء العمال نصيبا في ملكية ذلك المعدن.. لأن خزائن الأرض كلها مخلوقة لأجل جميع نوع الإنسان، ولا تختص بشخص دون آخر. وكذلك لسائر الناس نصيب في هذا المعدن، ولذلك فرض الإسلام على مالك هذا المنجم أن يدفع للحكومة قسما من ماله كي تنفق منه على كل رعاياها بما فيهم عمال منجمه.

والفلاح الذي يرتزق من أرض يزرعها.. ليس المالك الوحيد لهذه الأرض وما يؤثر فيها من شمس وهواء وماء لإنتاج ثمرات الأرض.. ولكنها شرك بينه وبين سائر البشر، ولذلك عليه أن يؤدي نصيبا من محصول الأرض لصالح الرعية كلها.

والتاجر لا يمكن له أن يجمع ماله ويربح إلا في بيئة آمنة وبين قوم يتعاونون معه، ولذلك فرض الإسلام على هؤلاء أن يؤدوا الزكاة. ومن فاض معه مالٌ وادخره، فلا يجوز له أن يحرم الناس من منافعه. ولذلك عليه أن يدفع زكاة ماله كل عام، لأن الادخار المستمر يحرم غيره من حقه في المال. قد أمر الله تعالى بالزكاة في قوله: [خُذْ من أموالهم صَدَقةً تطهّرُهم وتزكّيْهم بها]. (سورة التوبة: ١٠٣). والمراد بالصدقة هنا الزكاة المفروضة تأخذ وتنفقها الحكومة، أو إذا لم تكن الحكومة فالنظام الإسلامي يقوم بجمعها وإنفاقها، كما يظهر من قوله تعالى: [خُذْ].

٢. الصدقة: وهي تطوع، خاضعة لمقتضى التقوى القلبية.. تعطَى لمن يسألها لسد حاجته، ولمن لا يسألها حياء أو عجزا. قال الله تعالى:

[الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانيةً فلهم أجرُهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون*]. (البقرة: ٢٧٥).

[وفي أموالهم حق للسائل والمحروم*]. (الذاريات: ٢٠).

[للفقراء الذين أُحصِرُوا في سبيل الله لا يستطيعون ضربًا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياءَ من التعفف، تعرِفُهم بسيمٰهم لا يسألون الناس إلحافا..]. (البقرة: ٢٧٤).

[ويُوْفُون بالنذر]. (الدهر: ٨).

والنذر هو الصدقة التي يعد بها الإنسان قائلا: إذا وفَّقني الله في عمل كذا أو أزال عني مشكلة كذا فسوف أنفق من المال كذا، أو أؤدي عبادة كذا. والفرق بين الصدقة العامة والنذر أن الصدقة تنفق قبل زوال المشكلة، أما النذر فيؤدَّى بعد زوالها.

وهناك بعض من صلحاء الأمة الذين لم يحبذوا النذر، بل حبذوا الصدقة، لأن في النذر نوعًا من الاشتراط والمساومة مع الله تعالى. فالأفضل أن يصدق الإنسان أولا، ثم يتوكل على الله. وأنا أيضا أوافقهم في هذا الرأي، لأن الإمام البخاري روى عن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ من نذر أن يطيع الله فليُطِعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يَعصِه. (البخاري، كتاب النذور، باب النذر في الطاعة).

٣. النفقات التي يضطلع بها الإنسان لأجل الأهداف القومية أو الشعبية والتي حث عليها القرآن في قوله تعالى: [انفروا خِفٰفًا وثِقٰلاً وجٰهِدوا بأموٰلكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون*] (سورة التوبة: ٤١).

هذا النوع من النفقات ليس بزكاة ولا صدقة، وهو من الأهمية بمكان بحيث استحق فاعله أجرًا عظيما. وأيامنا هذه ليست أيام الجهاد بالسيف، وإنما ينبغي بذل الأموال لنشر الإسلام أو تزويد المسلمين بتعاليم الإسلام أو لتوحيد شمل جماعتهم، وما إلى ذلك من أمور لرفع شأن الإسلام في العالم. بهذا يتحقق القسم الأول من قوله: [جٰهِدوا بأموٰلكم وأنفسكم]، (وهو الجهاد بالمال). ويتحقق القسم الثاني بالجهاد بالنفس بأن يقف الإنسان بعض وقته لأجل الدعوة إلى الإسلام مضحيا بمصالحه الشخصية، ويسهم في أعمال التربية والتعليم بما فيه المصلحة العامة للمجتمع.

٤. الأموال التي تنفق تعبيرا عن الشكر لله تعالى على نعمه.. كما قال عز وجل: [كلوا من ثمره إذا أثمَرَ وءَاتُوْا حقه يومَ حصٰدِه]. (سورة الأنعام: ١٤٢).

٥. الفدية: ويتضح الغرض منها في قوله تعالى: [ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغَ الهَدْيُ مَحِلَّه فمن كان منكم مريضا أو به أذًى من رأسه ففِدْيةٌ من صيام أو صدقةٍ أو نسكٍ]. (سورة البقرة: ١٩٧). فهي إنفاق ليجبر نقصًا في العبادة لا حيلة للمرء فيه.

٦. الكفارة: ويراد بها جبر نقص ناتج عن تقصير بشري، كما في قوله تعالى: [لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عَقَّدْتُم الأيمانَ فكفارته إطعٰمُ عشرة مسٰكينَ ...] (المائدة: ٩٠).

والفرق بين الكفارة والفدية هو أن الفدية يؤديها الإنسان حينما يقوم بعملٍ بإذن الله تاركًا عملاً آخر أهم، أو حينما يرى أنه قصَّر بعض الشيءِ في أداء واجب عليه، فيزيل هذا القصور بأداء الصدقة. أما الكفارة فيؤديها الإنسان لارتكاب معصية، أو عند اقترابه منها، ليزيل عنه وبال هذه المعصية، ويعبر عن توبته بالعمل.

ومما يجدر بالانتباه أن مفهوم الكفارة عند القرآن الكريم هو أن يعبر التائب عن توبته بالعمل، ذلك بإنفاق شيءٍ من المال أو تضحية بالجسم، علاوة على ندامته بالقلب واللسان. ولكن الكفارة المسيحية تعني أن وجودًا عظيمًا ضحّى بحياته لأجل الآثمين الذين لم يولَدوا بعد. والوضح أنه لا علاقة لهذه الكفارة بالتوبة على الإطلاق، لأن الكفارة المسيحية تضحية مزعومة تمت قبل تواجد الإثم والآثمين.

٧. الإنفاق للتعاون في سبيل النهوض بالمستوى الاجتماعي والحضاري مثل إنفاق المرء على أهله، وإنفاق الولد على أولاده. فهذه النفقات أيضا فرضها القرآن واعتبرها ضرورية. ومن يرفض أداءها كان آثما عند الله، وعلى الحكومة الإسلامية أو النظام الإسلامي إكراهه على أدائها لهم.

٨. حق الخدمة أو الأجر وهو المكافأة نظير منعفة كما في قوله: [وإن أردتم أن تسترضعوا أولٰدَكم فلا جُناح عليكم إذا سلَّمتم ما ءَاتيتم بالمعروف..]. (البقرة: ٢٣٤).

فالشريعة تحث الوالد على أن يؤدي أجر الرضاعة لمن ترضع ولده، وأن ينفق على هذه الخدمة بما يحقق العدل والكفاية.

٩. الإحسان وهو الإنفاق على من لهم حق الشكر لما أسْدَوْا من جميل سابق من الوالدين والأهل وذوي القربى.. إنفاق يتسم بالحسن والوفاء ورد الجميل واسترضاء القلوب، كما قال تعالى: [ووصَّينا الإنسٰنَ بوالديه.. أَنِ اشْكُرْ لي ولوالدَيك..] (لقمان: ١٥). [وبالوالدين إحسٰنًا]. (البقرة: ٨٤).

يجب ألا ينخدع أحد بكلمة الإحسان هنا حتى يظن أن المعروف بالوالدين يعتبر إحسانا إليهم، لأن الإحسان لا يعني هنا معناه المعروف وإنما يعني المجازاة على فعل بمثله كما قال القرآن: [فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم]. (البقرة: ١٩٥).

١٠. الهدايا وهو الإنفاق على ما يُهدَي للأصدقاء في مختلف المناسبات لنشر المحبة والمودة بين الناس.. وفي الحديث النبوي: «تَهادَوا تَحابُّوا ..». وقال: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى

بقية ص ٣٦

من جوامع الكلم

عن ابن عمر رضي الله عنه عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيتِ، وصوم رمضان». (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إن الله قد فرض عليكم الحجَّ فحُجُّوا». فقال رجلٌ: أكلَّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكَتَ حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قُلتُ نعم لوجبت ولما استطعتم». ثم قال: «ذرُوني ما تركتُكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرةِ سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أَمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فدعُوهُ». (رواه مسلمٌ).

وعنه رضي الله عنه قال: «سُئل النبي ﷺ أيُّ العمل أفضل؟ قال: «إيمانٌ بالله ورسوله». قِيل: ثمَّ ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مبرورٌ». (متفق عليه).

وعنه رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حجَّ فلم يرفُث ولم يفسُق رجع كيوم ولدتهُ أمهُ». (متفق عليه).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العُمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرُور ليسَ له جزاء إلا الجنة». (متفق عليه).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ يومٍ أكثر من أن يعتقَ الله فيه عبدًا من النَّار من يومِ عرفةَ». (رواه مسلم).

عن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأةً قالت: «يا رسول الله إنَّ فريضةَ الله على عباده في الحجِّ أدركَتْ أبي شيخًا كبيرًا لا يثبتُ على الرَّاحِلةِ، أفأَحُجُّ عنه؟ قال: نعم». (متفق عليه).

كلام الامام

لسيدنا المسيح الموعود والمهدى المعهود عليه السلام

«الكعبة المشرفة.. هي بلا شك مهبط التجليات والأنوار والبركات الربانية، وهي بلا مراء ذات شأن عظيم، لقد تحدثت الأسفار القديمة عن عظمتها وقداستها. ولكن هذه التجليات والأنوار والبركات لا تدركها الأبصار الظاهرية، وإنما تُرى بعين أخرى(*)، ولو كانت تلك العين في الإنسان مبصرة لعرف ما هي تلك البركات التي تتنزل عند الكعبة». (* العين الروحانية).

(الخزائن الروحانية ج ٦، ملفوظات ج ٨، ص ٧٣)

«وضع حجر الكعبة (الحجر الأسود) رمزًا لأمر روحاني. ولو شاء الله ما بنى الكعبة ولا وضع فيها الحجر الأسود، ولكن من سنة الله الجارية أنه عز وجل يجعل إزاء الأمور الروحانية رموزا مادية تمثلها، وتكون شاهدا ودليلا على تلك الأمور الروحانية. وقد شُيدت الكعبة بناء على هذه السنة الربانية.

الحق أن الإنسان مخلوق لعبادة الله. والعبادة نوعان؛ الأول: التذلل والتواضع، والثاني: الحب والفداء. ولإظهار التذلل والتواضع أمرنا الله بالصلاة.. حيث يشترك الجسد مع الروح في التعبير عن التذلل والتواضع، ويكون كل عضو من أعضاء الجسد البشري في حالة من الخشوع والخضوع البدني....

وبالنسبة للحب والفداء، حيث يؤثر الجسد في الروح وتؤثر الروح في الجسد، فكما تطوف روح المحب حول جسد المحبوب كل حين، وتضع القبلات عند عتبة داره، كذلك جعلت الكعبة المشرفة رمزا ماديا للمحبين الصادقين، وكأن الله تعالى يقول لهم: انظروا، هذا البيت بيتي، وهذا الحجر الأسود حجر عتبتي.

ولقد أراد الله تعالى بذلك أن يتمكن الإنسان من التعبير عن مشاعر الحب الجياشة تعبيرًا ماديا. فالحُجاج يطوفون بهذا البيت طوافًا جسمانيا.. بهيئة تشبه هيئة من أصابهم الجنون من فرط اشتياقهم ومحبتهم لله تعالى.. فيتركون الزينة، ويحلقون الرؤوس، ويطوفون ببيت الله في هيئة المجذوبين الوالهين، ويقبلون هذا الحجر متمثلين أنه عتبة بيت الله تعالى.

هذا الوله الجسماني يولد حبًا ولوعة روحانية. فالجسم يطوف بالبيت ويقبل حجر العتبة، بينما تطوف الروح حول الحبيب الحقيقي، وتطبع القبلات على عتبته.

وليس في ذلك أي أثر للشرك بالله تعالى.. إذ أن الصديق يقبل رسالة صديقه الحميم عندما يتسلمها. فالمسلم لا يعبد الكعبة المشرفة، ولا يستغيث بالحجر الأسود، وإنما يتخذه رمزًا ماديا أقامه الله تعالى. وكما أننا نسجد على الأرض، ولا يعتبر هذا السجود لأجلها؛ كذلك نقبل الحجر الأسود، ولا يكون هذا التقبيل من أجله. وإنما الحجر حجر لا ينفع أحدا ولا يضر، ولكنه من ذلك الحِبّ الذي جعله رمزا لعتبة بيته سبحانه وتعالى.

(الخزائن الروحانية، ج ٢٣ جشمة معرفة (ينبوع المعرفة)، ص ٩٩ إلى ١٠١)

لم يكذب إبراهيم ولا كذبة واحدة

بقلم: مولانا أبو العطاء الجالندهري رحمه الله تعالى

[واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صِدِّيقا نبيا]. مقام النبوة وارتكاب الكذب!

إن مقام النبوة محاط بسياج يعصم صاحبه من ارتكاب الرذائل واقتراف السيئات، وإن صاحب هذا المقام يسمو ويعلو بحيث يستحيل عليه الانحطاط إلى الدناءة مثل الغش والكذب والخديعة، وإن النبوة مكانة سامية لا يلحقها ما يشين جمالها ويذهب برونقها. والكذب أقبح القبائح وأعظم السيئات، ومصدر الرذائل ومنبع الشرور، ولولاه لكانت البشرية في مأمن من ويلات كثيرة،ولعاش الناس في وئام وسلام دائمين. إن مقام النبوة يمثل الطهارة التامة والنقاوة الكاملة،ويعبر عن سمو مكانة وعلياء نفس صاحبه. وإن الكذب يمثل النجاسة الكاملة والخساسة التامة، ويدل على انحطاط صاحبه الخلقي وإخلاده إلى النقيصة النفسية. فالنبوة والكذب إذن ضدان لا يجتمعان،وبينهما مابين الثريا والثرى، ولا يعقل أن النبوة يلقاها الكاذب، كما لا يتصور أن الذي ارتقى إلى مقام النبوة يسفل إلى أن يكذب،ويقول ما ليس بحق،وقد أرسله الله بالحق ليعلم الناس الصدق وقول الحق.

أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام

كان سيدنا إبراهيم عليه السلام من أشرف قومه،اجتباه الله لمقام النبوة وبعثه إليهم بشيراً ونذيرا، ورفع مكانته وجعل الحكم والنبوة في ذريته إلى أبد الآبدين واصطفاه على العالمين. وكان هو ولن يزال صاحب مجد وسؤدد، وانحدر من صلبه أنبياء كثيرون. وهو دوحة وجميع حملة ألوية الهداية والسلام غصون تلك الدوحة وفروعها. فأكرم وأنعم بها من دوحة جليلة وأنعم وأكرم بإبراهيم من نبي جليل. وإذا أدرك الإنسان منزلة سيدنا إبراهيم عليه السلام وجلالة شأنه لا يمكن له أن يظن أن إبراهيم كان كذب أو كان يسعه الكذب ولو مرة واحدة. فالمقام الإبراهيمي لا يتفق وارتكاب الكذب أبدًا.

تهمة شنيعة على إبراهيم

لا ينقضي عجب المرء حين يرى مكانة إبراهيم الروحية من جهة ومن جهة أخرى اتهام ذريته إياه بارتكاب الكذب لا مرة واحدة بل ثلاث مرات. إن اليهود والنصارى والمسلمين كلهم يقدسون إبراهيم عليه السلام ويعدون الانتماء إليه مجداً وفخراً، ثم يرجعون القهقهري ويقولون إنه كان يكذب في بعض الأحيان. وقد يكون لليهود بعض العذر في ذلك لأن كتبهم حرفت وعبثت بها يد المحرفين وعميت عليهم الحقيقة. وقد كانت للنصارى في ذلك غاية سوءٍ وهي أن يثبتوا أن جميع الأنبياء مذنبون. ولكن المسلمين فما بالهم حذوا حذو اليهود والنصارى وقالوا إن إبراهيم ذلك النبي الأعظم الأقدس كذب ثلاث كذبات؟ إن هذا،ولعمري، غاية في الإساءة والإجحاف بالذي اتخذ الصدق شعارا ودثارا، والذي جعل النطق بالحق في وجوه الظالمين ديدنا وسجية. وإنها لتهمة أقبح التهم وفرية أعظم الفرى، وإن الله ورسوله وجميع المؤمنين براء منها.

وربما يقول بعض الناس كيف تقول هذا وقد أورد الإمام البخاري في كتابه ما لفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثًا».(الجزء الثاني كتاب الأنبياء). وقد تكررت هذه الرواية موقوفة على أبي هريرة رضي الله عنه وجاءت مفصلة في أكثر من موضع من كتاب الإمام البخاري ومن كتب الأحاديث الأخرى. فهل بعد هذا الحديث الصريح تنكر أكاذيب إبراهيم الثلاث؟

وإني أقول لقائل هذا القول بأن كل رواية تنسب إلى أبي الأنبياء الصادقين عليه السلام كذبة واحدة، ولا أقول ثلاث كذبات، هي مكذوبة على سيدنا محمد ﷺ، وهو وأصحابه الأبرار بريئون منها، وإنه ليهون عليَّ وعلى كل مسلم يغار على

كرامة الأنبياء أن يحكم بكذب رواة هذه الرواية واختلاقهم إياها من عند أنفسهم أو أخذهم إياها من اليهود والنصارى مأخذ القبول كروايات إسرائيليات أخرى كثيرة، ثم عزوهم إياها إلى الرسول ﷺ زورًا وافتراء. وليس لديّ أدنى شك في أن الرسول ﷺ لم يقل هذا الكلام قط.

الحديث والقرآن المجيد

إن للحديث النبوي مكانة محترمة في قلب كل مسلم وإن أحاديث الرسول ﷺ لها جلال ومقام كريم في الدين الإسلامي، ولكن ليس كل ما يعزى إليه ﷺ قوله وحديثه، لأن الكثير من المنافقين والزنادقة وضعوا أقوالا من عند أنفسهم، ثم نسبوها إلى الرسول ﷺ، حتى التبس أمر الحديث الصحيح وغير الصحيح على كثير من العلماء أيضا. وأما آي القرآن الكريم فلا يعتريها شك ولا يطرأ عليها أي شبهة، فهو كلام الله على وجه القطع واليقين.لا ريب فيه هدى للمتقين. [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون].

ومن المعلوم أن الحديث إذا تعارض مع نص القرآن تعارضًا لا يزول بتأويل الحديث فهو مردود ومرفوض، لأن القرآن على كل حال يفضل على كل حديث آخر. وإذا كان بعض الناس يرجحون جانب الحديث على كتاب الله فإنا نقدم آيات القرآن المجيد على كل ما سواه من كتاب وحديث، ولا نقبل إلا ما وافق نصوص الفرقان الحميد. وأما ما يناقضه فهو عندنا منقوض من أساسه. ولا شك أن حديث «ثلاث كذبات» من هذا القبيل.

مقام إبراهيم في القرآن الكريم

وهنا من الضروري أن نسرد الآيات التي وردت في بيان مقام إبراهيم عليه السلام ليتضح لكل ذي بصيرة أن إبراهيم عليه السلام أعلى وأرفع من أن يكذب أو يقول ما ليس بحق، وأن حديث الكذبات الثلاث لا يتفق ومنزلة إبراهيم عليه السلام في القرآن المجيد. يقول الله عز وجل:

١. [وإنّ من شيعته لإبراهيم* إذ جاء ربَّه بقلب سليم]. (الصافات: ٨٤ و٨٥).

٢. [فلما ذهب عن إبراهيم الرَوْعُ وجاءته البشرى يُجادلنا في قوم لوط* إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب]. (هود: ٧٥ و٧٦).

٣. وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني بَرَاءٌ مما تعبدون* إلا الذي فطرني فإنه سيهدين]. (الزخرف: ٢٧ و٢٨).

٤. [ولقد ءاتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عٰلمين* إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عٰكفون] (الأنبياء: ٥٢ و٥٣).

٥. [وإذ قال إبراهيم لأبيه ءَازَرَ أتتخذ أصنامًا ءَالهةً إني أراك وقومك في ضلٰل مبين* وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض وليكون من الموقنين]. (الأنعام: ٧٥ و٧٦).

٦. [وحَاجَّه قومه قال أتحاجُّونِّي في الله وقد هَدَانِ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسِعَ ربي كل شيءٍ علما أفلا تتذكرون* وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطٰنا فأيُّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون]. (الأنعام: ٨١ و٨٢).

٧. [وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتَمَّهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومِن ذريتي قال لا ينال عهدي الظٰلمين*]. (البقرة: ١٢٥).

٨. [وناديناه أَنْ يٰإبراهيم* قد صدَّقْتَ الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين* إنَّ هذا لهو البَلٰؤُا المبين*]. (الصافات: ١٠٥ إلى ١٠٧).

٩. [ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا مَن سَفِهَ نفسه ولقد اصطفينٰه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصٰلحين* إذ قال له ربه أَسْلِمْ قال أسلمت لرب العٰلمين*]. (البقرة: ١٣١ و١٣٢).

١١. [إن إبراهيم كان أُمَّةً قانتًا لله حنيفا ولم يك من المشركين* شاكرا لِأَنْعُمِه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم* وءَاتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصٰلحين*]. (النحل: ١٢١ و١٢٣).

١٢. [ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوٰة فاجعَلْ أفئدةً من الناس تَهوِي إليهم وارزقْهم من الثمرات لعلهم يشكرون*] (إبراهيم: ٣٨).

١٣. [قال أفرءيتم ما كنتم تعبدون* أنتم وءَاباؤكم الأقدمون* فإنهم عدو لي إلا رب العٰلمين* الذي خلقني فهو يهدين* والذي هو يطعمني ويسقين* وإذ مرضتُ فهو يشفين* والذي يُميتني ثم يُحيين*] (الشعراء ٧٦ إلى ٨٢).

١٤. [واذكر عبٰدَنا إبراهيم وإسحٰق ويعقوب أولي الأيدي والأبصٰر* إنا أخلصنٰهم بخالصةٍ ذِكْرَى الدارِ* وإنهم عندنا لمن المصطفَين الأخيار*]. (ص: ٤٦ إلى ٤٨).

١٥. [قل صدق الله فاتَّبِعوا ملةَ إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين*] (آل عمران: ٩٦).

١٦. [ومن أحسَنُ دينا ممن أسلَمَ وجهه لله وهو محسن واتَّبَعَ ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا*] (النساء: ١٢٦).

١٧. [أم لم يُنَبَّأْ بما في صحف موسى* وإبراهيم الذي وَفّى*]. (النجم: ٣٧ و٣٨)

١٨. قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برَءاؤُا منكم ومما تعبدون من دون الله كَفَرْنَا بكم وبَدَا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول

إبراهيم لأبيه لأستغفرنَّ لك وما أملكُ لك من الله من شيءٍ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير*] (الممتحنة: ٥).

أيها القارئ العزيز! ذلك سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام صاحب القلب السليم، والحليم الأواه المنيب، الذي تبرأ من الشرك منذ نعومة أظفاره وأُرضع بلبان التوحيد شفوفًا به. هذا هو إبراهيم الذي حاج قومه وحجبهم وأفحم المشركين إفحامًا تامًا، ولم يخف لومة لائم في سبيل إعلاء كلمة الله العليا غير وجل ولا هياب. وإن إبراهيم هو الذي أبلى بلاء أعظم حين أقدم على ذبح وحيده وصَدَّقَ الرؤيا وأسلم لله رب العالمين. وإن إبراهيم هو الذي كان وحده أمة قانتًا لله حنيفًا، وكان متوكلا عليه تعالى كل التوكل عندما أسكن ابنه بواد غير ذي زرع لا أنيس ولا سمير هناك. نعم ذلك هو إبراهيم الذي وفَّى وآثر إقامة التوحيد على عدواوة قومه وبغضائهم، فكان أن اتخذه الله خليلاً وأخلصه بخالصة ذكرى الدار وجعله من عباده المصطفين الأخيار.

إن هذا هو سيدنا إبراهيم، فهل يتصور أن نبيًا ذا شأن عظيم كهذا يكذب ثلاث كذبات؟ كلاّ، والذي بعث محمدًا بالحق، ثم كلا! إن المرء لا يكذب إلا إذا كان جبانًا خائفًا على ماله أو عرضه أو نفسه، وكان ممن يؤثرون المنفعة المادية على الفائدة الروحية إذا رأوا أن الصدق متلف عليهم بعض المنافع المرجوة. فهل كان سيدنا إبراهيم جبانًا يخشى الناس؟ كلا! بل كان أشجع الشجعان. وكيف يخاف قومه وهو لا يخالف آلهتهم؟ [قال أفرءيتم ما كنتم تعبدون* أنتم وآباؤكم الأقدمون* فإنهم عدو لي إلا رب العالمين*]. ثم هل كان إبراهيم يؤثر المنفعة المادية على الفائدة الروحية؟ كلا! بل هو الذي صمّم على ذبح ولده الوحيد حين بلغ معه السعي لأجل رؤيا رآها. ثم أقدم على ما لم يقدم عليه بشر من قبل ولا من بعد، وهو ترك زوجته وابنه في صحراء قفراء امتثالاً لأمره تعالى. إن إبراهيم لم يشك قط في قدرته تعالى على شيءٍ وهو الذي أراه الله ملكوت السمٰوات والأرض.

أفليس من الظلم العظيم بعد ذلك كله أن يقال بأن إبراهيم كذب ثلاث كذبات؟ أفليس من القول السخيف والكلام السقيم أن تعزى ثلاث كذبات إلى من صدق الرؤيا ولم يرتبك في الإقدام على ذبح ولده لأجلها؟

الخلاصة أن مقام إبراهيم في القرآن وعلو شأنه الروحي ينفيان نسبة الأكاذيب إليه نفيًا باتا. والعقل يستنكف أن يتردى إلى مستوى قبول الكذبات المفتريات على ذلك النبي العظيم والإيمان المجسم في شخص إبراهيم عليه السلام.

القرآن المجيد ينص على اختلاف رواية الأكاذيب

ثم إذا تدبرنا آيات القرآن المجيد وجدناها تنطبق في صراحة ووضوح بأن الرواية القائلة بأكاذيب إبراهيم عليه السلام موضوعة مفتراة.

(١). يقول الله تعالى: [فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحٰق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيًا* ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسانَ صدقٍ عليًا] (مريم: ٥٠ و٥١). وهذه الآية الكريمة تنص على أن إبراهيم وإسحٰق ويعقوب قد جعل الله لهم لسان صدق عليًا. وليت شعري كيف يجمع القائلون بكذبات إبراهيم بين تلك الأكاذيب وبين قوله عز وجل: [وجعلنا لهم لسان صدق عليًا].

٢. قال سيدنا إبراهيم عليه السلام داعيًا ربه: [ربِّ هَبْ لي حُكمًا وألحِقْني بالصٰلحين* واجعل لي لسان صدق في الآخرين*] (الشعراء: ٨٤ و٨٥). كأن إبراهيم شعر بأن هناك خلفًا من ذريته يسيئون إليه باتهامهم إياه بارتكاب الأكاذيب فقال: [واجعل لي لسان صدق في الآخرين]. فأوجد الله الجماعة الإسلامية الأحمدية في [الآخرين]، التي تعلن بكل قوة أن إبراهيم لم يكذب أبدًا وإن كل رواية تقول بكذب إبراهيم مكذوبة.

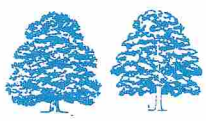
٣. يقول تعالى: [وتركنا عليه في الآخرين* سلٰم على إبراهيم* كذلك نجزي المحسنين* إنه من عبادنا المؤمنين*] (الصافات: ١٠٩ إلى ١١٢). وإن قوله تعالى: [وتركنا عليه في الآخرين سلٰم على إبراهيم] يدل على قبول دعاء إبراهيم الذي مرّ ذكره آنفًا.

٤. يقول تعالى: [واذكر في الكتٰب إبراهيم إنه كان صِدّيقًا نبيًا]. (مريم: ٤٢). فنحن مأمورون بذكر إبراهيم [إنه كان صديقًا نبيا]. ولفظ الصدّيق معناه: «الكثير الصدق. الكامل فيه. الذي يصدق قوله بالعمل. البار الدائم التصديق». (المنجد).

وقال الإمام محمد الرازي: والصديق يوزن السِكِّيت، الدائم التصديق وهو أيضًا الذي يصدق قوله بالعمل. (مختار الصحاح).

وقال الإمام الراغب الأصفهاني: والصديق من كثر منه الصدق. وقيل بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله». (كتاب المفردات).

فالقرآن المجيد يقرر أن إبراهيم صديق أي لا يمكن أن يأتي منه الكذب. وفيه تدليل على أن رواية الأكاذيب مختلقة وليست بصحيحة.



كسوف الشمس وخسوف القمر

آيتان لتأييد المهدي المنتظر

بقلم: البروفسور صالح إله دين، الهند
ترجمة: محمد حلمي الشافعي

ذكرت الأسفار المقدسة للديانات المختلفة نبأ مجيء المصلح الرباني لآخر الزمان. ولسوف أتناول هنا نبوءة عظيمة لسيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ، تعين الباحث عن الحقيقة ليتعرف عليه. يقول الله تعالى: [عٰلم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول..] (سورة الكهف: ٢٧، ٢٨).

ونعلم من هذا القول القرآني أن رسل الله تعالى لهم امتياز معرفة الغيب منه جل وعلا. ومن ثم فإن بوسع رسل الله تعالى أن يدلوا بنبوءات عظيمة بإذن الله. وقد منح الله تعالى النبي الأكرم محمدًا ﷺ قدرا وافرا من علم الغيب. ومن نبوءاته ﷺ أنه عندما تنحرف الدنيا بعيدا عن الله تعالى في آخر الزمان سوف يقيم الله تعالى مصلحا ربانيا، هو المهدي والمسيح، به يحفظ الإيمان، وينهض الإسلام في الدنيا.

أخرج الحافظ علي بن عمر البغدادي الدارقطني (٩١٨ إلى ٩٩٥م، ٣٠٦ إلى ٣٨٥ هج) عن الإمام الباقر محمد بن علي بن الإمام زين العابدين، رحمهم الله جميعا، قال:

إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض: ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان (أي في أول ليلة من ليالي الخسوف القمري)، وينكسف الشمس في النصف منه (أي في اليوم الأوسط من أيام الكسوف الشمسي). ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض. (سنن الدارقطني، باب صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما)

وقد ورد هذا الحديث النبوي الشريف في كتب الحديث لأهل السنة والشيعة كليهما، وذكره كثير من مشاهير العلماء في تصانيفهم، وجاء في عديد من الكتب منها:

* الفتاوي الحديثية للحافظ بن حجر المكي، طبعة مصر ص ٣١.
* أحوال الآخرة، حافظ محمد اللخوكي، طبعة عام ١٣٠٥ هج.
* آخرى بات، مولوي محمد رمضان حنفي مجتباي، طبعة ١٢٧٨ هج.
* حجج الكرامة، نواب صديق حسن خان، ص ٣٤٤.
* عقائد الإسلام، مولانا عبد الحق محدث الدهلوي، ص١٨٢، طبعة ١٢٩٢ هج.
* علامات القيامة (قيامة نامه فارسي) لحضرة شاه رفيع الدين محدث الدهلوي.
* اقتراب الساعة، نواب صديق حسن خان، ص ١٠٦، طبعة ١٣٠١ هج.
* مكتوبات الإمام الرباني مجدد الألف الثاني، ج٢، ص ١٣٢.
* بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٨٥.
* إكمال الدين، ص ٣٦٨.

ولقد كتب الشيخ نعمة الله ولي، رحمه الله تعالى، الذي عاش في دلهي حوالي عام ٥٦٠ هج، والذي تشرف بلقب (ولي)، في شعر له ما ترجمته:

إنه سيكون مهدي الزمان وعيسى..
وأراه بكلتي الصفتين مباركا..
وأرى الشمس والقمر كليهما مختفَينِ.

ومما كتب مولانا حافظ محمد بن مولانا بركة الله اللخوكي، عالم أهل الحديث المعروف في الهند، في كتابه (أحوال الآخرة):

«روي أنه في شهر رمضان من ذلك العام..
يكون خسوف للقمر في الثالث عشر..
وكسوف للشمس يوم السابع والعشرين».

وفي هذا البيت حدد الثالث عشر والسابع والعشرين من رمضان كتاريخين للخسوف والكسوف؛ وسيتبين فيما بعد، على ضوء الحديث النبوي، وقوانين الفلك أيضا، أن التاريخ الفعلي هو في يومي ١٣ و ٢٨ على الترتيب.

ويتقوى الحديث الشريف بما ذكره القرآن المجيد من أن

الخسوف آية هامة تدل على اقتراب البعث.. يقول القرآن الكريم:

[يسأل أيَّانَ يوم القيامة * فإذا بَرِقَ البَصَرُ * وخُسِفَ القَمَرُ * وجُمِع الشمس والقمر * يقول الإنسٰن يومئذ أين المفرُّ *] (سورة القيامة: ٧، ١١).

ووصف العهد الجديد من الكتاب المقدس عند النصارى علامات الظهور الثاني للمسيح فقال:

«وللوقت بعد ضيق تلك الأيام، تظلم الشمس، والقمر لا يعطى ضوءه». (إنجيل متى ٢٤: ٢٩).

وذكر سورداس جي نبوءة أنه عند ظهور «كالكي أوتار» سينكسف القمر والشمس كلاهما، فكتب يقول:

سوف ينكسف الشمس والقمر كلاهما، وسيكون هناك كثير من العنف والقتل».

وكتب (سري جورو جارانث صاحب) في كتاب السيخ المقدس:

«وعندما يأتي (ماهاراج) باسم (ناهكالانك).. ستكون الشمس والقمر من أعوانه». (سورساجار سري جورو جارانث صاحب، مصلح الزمان).

وموجز القول إن كتب الديانات الأخرى تذكر آية الشمس والقمر. أما حديث الدارقطني الذي أوردناه آنفا فهو الذي يعطي تفاصيل أكثر، ولسوف نناقش ذلك فيما يلي.

كسوف الشمس وخسوف القمر في ضوء قانون الفلك

الكسوف والخسوف من الظواهر الطبيعية التي تخضع للنواميس الكونية. ولطالما وجه القرآن المجيد أنظارنا إلى هذه الظاهرة الكونية. ولذا من المناسب هنا أن نناقش الخلفية الفلكية وراء هذه الظاهرة، لأن ذلك يساعد كثيرا على فهم الحديث النبوي الشريف.

تكوّن الأرض والشمس والقمر نظاما ثلاثيا، أعني من ثلاثة أجرام. ويشير القرآن المجيد إلى هذا النظام بأسلوب جميل للغاية فيقول:

[سبحٰن الذي خلق الأزوٰجَ كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * وآيةٌ لهم اليلُ نسلخ منه النهارَ فإذا هم مُظلِمون * والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقَمَرُ قدّرنٰه منازلَ حتى عاد كالعُرجون القديم * لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدركَ القَمَرَ، ولا اليلُ سابقُ النهارِ، وكل في فَلَكٍ يَسْبَحون *] (يس: ٣٧ إلى ٤١).

تذكر الآية الأولى من هذه الآيات القرآنية الخمس حقيقة أساسية مؤداها أن الله تعالى خلق كل شيءٍ أزواجا. وتشير الآية الثانية إلى الليل والنهار الحادثين من الحركة الدورانية للأرض. وتشير الآية الثالثة إلى حركة الشمس، والرابعة إلى حركة القمر. وجمعت الآية الخامسة بين الشمس والقمر، والليل والنهار، لتجذب الانتباه إلى أن حركة الشمس والقمر مع الأرض لها حدودها وناموسها.

ونعرف من حقائق العلم أن القمر يدور حول الأرض، وأنه يكمل دورته في شهر واحد، ويكونان معا زوجين. وتدور الأرض والقمر سويا في وحدة واحدة حول الشمس دورة كاملة في عام واحد. وهذا النظام الذي يضم الشمس مع الأرض والقمر يكوّن زوجين آخرين. وفي النظام الشمسي يوجد كثير من هذه الأزواج المرتبة من أزواج. أما الشمس مع كوكبها وتوابعها فتدور حول مركز المجرة لتكمل دورتها في مائتي مليون سنة تقريبا. وتضم المجرة بلايين النجوم التي تشبه شمسنا، وكلها تدور حول مركز المجرة في فترات زمنية مختلفة. ف[سبحان الذي خلق الأزواج كلها]!

وعندما يقع القمر، خلال دورته حول الأرض، بينها وبين الشمس، بحيث يحجب ضوء الشمس عن الأرض.. كان هذا هو الكسوف الشمسي. وعندما تقع الأرض بين الشمس والقمر، بحيث يقع ظلها على القمر.. حدث الخسوف القمري. وفي المصطلح الفلكي يقال إن الكسوف للشمس يحدث وقت الهلال الجديد؛ والخسوف القمري يحدث عندما يكون القمر بدرا. وعند مولد الهلال الجديد، إذا جاء موقع الشمس والقمر عند خط طولي واحد سمي هذا «اقترانا». ولا يحدث الكسوف عند كل هلال جديد، لأنه لا بد لحدوث الكسوف أن تكون الشمس والأرض والقمر على استقامة واحدة. ولو كان مدار الأرض حول الشمس، ومدار القمر حول الأرض في مستوى واحد، لترتب على ذلك اقتران في كل شهر قمري؛ ولكن هناك مَيل مقداره خمس درجات بين المدارين. ونتيجة لذلك يبلغ العدد الأقصى لمرات الخسوف سبعة في كل سنة، منها أربع أو خمس شمسيا، وثلاث أو اثنتان قمريا. أما العدد الأدنى فهو اثنتان، كلتاهما شمسيتان. والكسوف الشمسي يتكرر أكثر من الخسوف القمري، ولكن الأول يرى في مساحة من سطح الأرض أصغر من الثاني. ولذلك فإنه بالنسبة لمنطقة معينة من سطح الأرض يشاهد خسوف القمر مرات أكثر من كسوف الشمس. ويمكن الرجوع إلى كتب الفلك لمزيد من التفصيل.

والحركة الدورانية للقمر معقدة، ويمكن تبسيطها لسهولة الفهم هكذا: يدور القمر حول الأرض في مدار إهليلجي (بيضاوي)، ولذلك يتغير بعد القمر عن الأرض وسرعته في حدود

معينة. وعندما يكون القمر في أقرب موضع له من الأرض يقال إنه في «الحضيض»، وتكون سرعة القمر حينئذ بالنسبة للأرض هي السرعة الكبرى. وبسبب جاذبية الشمس يختلف موقع «الحضيض القمري» في الفضاء، فأحيانا يكون القمر أسرع حركة في أوائل الشهر، وأحيانا أخر يكون أسرع في أواخر الشهر. وبالمثل فإن بعد مجموعة الأرض والقمر وسرعتها بالنسبة للشمس متغيرة في حدود معينة بحسب قانون الجاذبية. وكما يقرر القرآن المجيد:

[الشمس والقمر بحسبان *] (سورة الرحمٰن: ٦).

أي أن هذين الجِرمين السماويين يتحركان بحساب محدد لهما.

وللتغيير في الأبعاد والسرعات تأثير على ميقات حدوث الخسوف والكسوف. ومن ثم فهناك حدود لتلك المواعيد. ويتخذ الفلكيون من بداية «الاقتران» مبدأ للشهر القمري؛ وفي هذا الوقت لا يمكن رؤية القمر مطلقا. ويبدأ الشهر في التقويم الهجري الإسلامي من أول رؤية الهلال، أي عندما يكبر وجهه المضيء ليكون مرئيا للعين. وهذا يحدث بعد أربع وعشرين ساعة من «الاقتران». وهناك كتاب جيد للدكتور محمود إلياس يتناول مسألة رؤية الهلال.. (المرشد الحديث إلى الحسابات الفلكية للتقويم الإسلامي، الأوقات والقبلة، د. محمد إلياس، بيريتا للنشر، كوالالمبور، ١٩٨٤).

وإذا اتبعنا التقويم الإسلامي، فإن الموعد الذي يمكن أن يحدث فيه كسوف للشمس هو ليالي ١٣، ١٤، ١٥؛ والموعد الذي يمكن أن يحدث فيه كسوف للشمس هو أيام ٢٧، ٢٨، ٢٩. وطبقا للنبوءة يقع خسوف القمر في الليلة الأولى، ويقع كسوف الشمس في اليوم الأوسط، وكلاهما في شهر رمضان. وهذا يحدد ليلة الثالث عشر من شهر رمضان للخسوف، ويوم الثامن والعشرين من نفس الشهر للكسوف.

وقد وردت كلمة «قمر» في الحديث، ولم تذكر كلمة «الهلال»، والقمر في الليالي: ١، ٢، ٣ يسمى هلالا، وابتداء من الليلة الرابعة يسمى قمراً. (أقرب الموارد). ومن ثم يكون المراد بالليلة الأولى من رمضان الليلة الثالثة عشرة، وليس الليلة الأولى منه. ويؤيد هذا المفهوم استخدام لفظ (قمر) في الحديث الشريف، وبذلك لم يدع مجالا للغموض أو الالتباس.

مجيء الإمام المهدي والمسيح الموعود وتحقق النبوءة

ولد حضرة مرزا غلام أحمد (عليه السلام) في قاديان بالهند، عام ١٨٣٥. كان مثلا فريدا في الورع والتقوى. وكان حبه لحضرة محمد المصطفى ﷺ هو السمة البارزة في شخصيته. كان يحزن لهجوم أعداء الإسلام على الإسلام ونبيه ﷺ مع ضعف حال المسلمين الروحية. فوقف حياته ونفسه لخدمة الإسلام، ودعا بحرارة وإلحاح لإحياء الروحانية في العالم. وصنف كتابه التاريخي (البراهين الأحمدية)، ونشره في أربعة أجزاء من عام ١٨٨٠ حتى عام ١٨٨٤. فكان فاتحة عهد جديد، وتحفة رائعة. بحث فيه حقيقة الإسلام، وكمالات القرآن المجيد، والنبي الكريم محمد المصطفى ﷺ.

وتشرف حضرة أحمد بنعمة الوحي السماوي منذ عام ١٨٧٦ حتى لحاقه بالرفيق الأعلى عام ١٩٠٨م. وقد تلقى أول وحي يقيمه مجددا ربانيا للقرن الرابع عشر يقول:

«يباركك الله، يا أحمد. ما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى. الرحمٰن علم القرآن. لتنذر قوما ما أُنذِرَ آباؤهم. ولتستبين سبيل المجرمين. قل إني أُمِرْتُ وأنا أول المؤمنين». (الخزائن الروحانية ج ١، البراهين الأحمدية ص ٢٦٥).

وأوحى إليه أيضا:

«قل عندي شهادة من الله، فهل أنتم مؤمنون؟ قل عندي شهادة من الله، فهل أنتم مسلمون؟» (المرجع السابق ص ٢٦٦).

وفي انصياع تام لأمر الله تبارك وتعالى أعلن حضرته أنه مجدد القرن الرابع عشر من التاريخ الإسلامي. ثم في ٢٣، ٣، ١٨٨٩ وبتوجيه إلهي.. تلقى أول عهد للبيعة في مدينة لدهيانا، وهكذا تأسست الجماعة الإسلامية الأحمدية. وكان حضرة الحافظ الحكيم المولوي نور الدين رضي الله تعالى عنه والذي كان أول خليفة في السلسلة الأحمدية، صاحب شرف ونعمة هذه البيعة الأولى. وفي نفس اليوم بايع للإمام المهدي والمسيح الموعود أربعون، أقسموا على أن يكون للدين وعزه الأفضلية والأسبقية على كل أمور الدنيا.

ومع اقتراب عام ١٨٩٠ من نهايته، أوحى الله جل وعلا لحضرة أحمد أن حضرة عيسى بن مريم عليه السلام قد توفى، وأن ظهوره الثاني قد تحقق في شخص إنسان مثيل له؛ وأن حضرة أحمد هو هذا المثيل، وأنه هو المسيح الموعود ومما أوحى له في هذا الصدد:

«لقد مات المسيح بن مريم رسول الله، وجئت أنت في صفته حسب الوعد، وكان وعد الله مفعولا». (تذكرة: مجموعة رؤى وكشوف وإلهامات سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام).

ولما تلقى حضرته هذا البيان من الله جل وعلا، أعلن عام ١٨٩١ أنه (المسيح الموعود والإمام المهدي) بحسب ما أنبأ به حضرة سيدنا محمد المصطفى ﷺ. وقدم حضرته الأدلة التي تؤيد دعواه، وصنف لذلك كتبه: فتح إسلام أي (انتصار الإسلام)، وتوضيح المرام، وإزالة أوهام. وأكد حضرته على أن الله تعالى

أرسله لينفخ الحياة الروحية في الناس. وقد رفض رجال الدين المعاصرون له دعواه، وقابلوه بعاصفة من المعارضة العنيفة، كما نبّأ وحذر بذلك سيدنا المصطفى محمد ﷺ.

وفي كتابه نور الحق ج١ الذي كتبه باللغة العربية، ونشره في أوائل عام ١٨٩٤، كتب حضرته هذا الدعاء المتواضع:

«يا ربِّ، يا ربَّ الضعفاء والمضطرين، أ لست منك، فقل، وإنك خير القائلين. كثر الطعن والتكفير، ونُسبت إليّ التزوير، وسمعتَ كله، ورأيت، يا قدير، فافتح بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين. ونجِّني من علماء السوء وأقاويلهم وكبرهم ودلالهم، ونجِّني من قوم ظالمين. وأَنزِلْ نصرا من السماء، وأَدرِكْ عبدك عند البلاء، ونزِّل رِجْسك على الكافرين. وصرتُ كأذلة مطرودَ القوم ومورد اللوم، فانصرنا كما نصرت رسولك ببدر في ذلك اليوم، واحفظنا يا خير الحافظين. إنك الرب الرحيم، كتبت على نفسك الرحمة، فاجعل لنا حظًا منها، وأرنا النصرة وارحمنا وتب علينا، وأنت أرحم الراحمين. (الخزائن الروحانية، ج ٨، نور الحق الجزء الأول ص ١٨٤).

ومن بين الاعتراضات التي وجهت إليه أيضا أن نبأ كسوف الشمس وخسوف القمر يتحقق له. وعندئذ أظهر الله عز وجل هذه الآية له عام ١٣١١ هج الموافق ١٨٩٤م، عندما وقع خسوف للقمر وكسوف للشمس فوق قاديان في الموعدين المحددين من شهر رمضان المعظم، تحقيقا لنبوءة حضرة المصطفى ﷺ. وقع الخسوف بعد غروب الشمس يوم ١٣ من رمضان الموافق ٢١ مارس ١٨٩٤، ووقع الكسوف يوم الجمعة ٢٨ من رمضان الموافق ٦ من أبريل ١٨٩٤. بالإضافة إلى التقاويم الفلكية، ذكرت صحف الهند ومنها أزاد (AZAD)، وسيفيل أند ميليتري جازيت (CIVIL & MILITARY GAZETTE)، أخبارَ الخسوف والكسوف هذين.

وحتى اليوم، يمكن التأكد من تاريخ الخسوفين بالتقويم الميلادي من مصادر عديدة ومنها: قانون الكسوف لأبولزر (Oppolzers Cannon of Eclipses)، وتقويم الملاحة لعام ١٨٩٤ لندن NAUTICAL ALMANAC, LON DON. وتدل الحسابات القائمة على موقع القمر أن الخسوف والكسوف وقعا في ١٣ و٢٨ من شهر رمضان على الترتيب.

خصائص الكسوف والخسوف اللذين وقعا في رمضان ١٣١١ هج، مارس وأبريل ١٨٩٤م

بمجرد أن شهد الناس هذه الآية الكونية، كتب حضرة أحمد عليه السلام كتابه «نور الحق ج٢»، وخصصه لبحث تثقيفي عظيم، يوضح تماما كيف تحققت، وبدقة فائقة، النبوءة العظيمة لسيدنا محمد ﷺ. وفي كتابه هذا، شرح بنور الوحي الإلهي أن التفسير الحق للحديث النبوي الشريف هو أنه في زمن المهدي سوف سيخسف القمر في الليلة الأولى من ليال ثلاث يجوز أن يقع الخسوف القمري في إحداها، أي ليلة ١٣ من رمضان، وأن الشمس سوف تنكسف في اليوم الأوسط من بين ثلاثة أيام يمكن أن يحدث الكسوف في أحدها، أي ٢٨ من رمضان.

ولقد وجه حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام الأنظار إلى خصائص عديدة لهذين الخسوفين، كشف بها عن آيات مثيرة للغاية. أشار حضرته إلى أن كلمتي (أول) و (النصف) الواردتين في الحديث قد تحققتا بطريقتين: تحققتا من جهة اليوم، وتحققتا أيضا من جهة الوقت. لقد حدث الخسوف القمري في أول ليلة من الليالي الثلاث للخسوف، وكان الوقت أول الخسوف القمري في أول ليلة من الليالي الثلاث للخسوف، وكان الوقت أول الليل في بلدة قاديان. كذلك وقع الكسوف الشمسي في اليوم الوسط بين الأيام الثلاثة، وكان الوقت صدر النهار قبيل الظهر ببلدة قاديان. لم يقع الكسوف في الصباح الباكر وانتهى قبيل الظهر. وبتوقيت مدينة كلكتا كان الخسوف مشهودا في الهند بين السابعة والتاسعة والنصف مساءً. وكان الكسوف مرئيا في الهند فيما بين الساعة التاسعة والحادية عشر نهارا.

وبإرشاد الوحي الإلهي أوضح حضرته المعنى العميق للحديث الشريف فقال:

«فالتأويل الصحيح والمعنى الحق الصريح، أن المراد من خسوف أول ليلة رمضان.. أن ينخسف القمر في ليلة أولى من ليال ثلاث يكمل نور القمر فيها، وتعرف (أيام البيض)، ولا حاجة إلى البيان. ومع ذلك إشارة إلى أن القمر إذا خسف في الليلة القمراء الأولى فينخسف في أول وقتها لا بعد مرور زمان، كما هو الظاهر عند زكي ذي عرفان، وكذلك خسف القمر ورآه كثير من أهل هذه البلدان». (الخزائن الروحانية ج ٨، نور الحق، الجزء الثاني ص ٢٠١ و٢٠٢).

وفيما يتعلق بالكسوف قال حضرته:

«المراد من قوله (وتنكسف الشمس في النصف منه) أن يظهر كسوف الشمس منصِّفًا أيام الانكساف، ولا يجاوز نصف النهار من يوم ثان، فإنه هو حد الإنصاف. فكما قدر الله انخساف القمر في أول ليلة من أيام الخسوف كذلك قدر انكساف الشمس في نصف من أيام الكسوف، ووقع كما قدر، كما أخبر خير المخبرين: [فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول]. وهذا نبأ عظيم من أنباء الغيب وأرفع من مبلغ العقول. فلا شك أنه حديث من خير المرسلين». (المرجع السابق ص ٢٠٤ و٢٠٥).

وبفضل الله تعالى كنت سعيد الحظ في دراستي لهذا الموضوع،

إذ فاز شخصي المتواضع بالتشجيع الثمين، والاهتمام والدعاء من إمامنا الهمام حضرة مرزا طاهر أحمد، الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، أيده الله تعالى بنصره العزيز، وأنسأ له في عمره، وبارك له ولنا في صحته وعافيته وعلمه وعمله. وبينما كنت أتشرف بالحديث معه في لندن، ذكرت له أن عبارة (النصف منه) في الحديث النبوي الشريف قد تحققت من ناحيتي اليوم والوقت.. عقب حضرته قائلا: إن ثمة وجهًا ثلاثا لتحقق النبوءة، فقد شوهد الخسوف في نصف الكرة الأرضية. ثم أضاف إن هذا النبأ يكشف عن عظمة النبي الكريم محمد المصطفى ﷺ، وفي نفس الوقت يظهر صدق الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

لقد أسلفنا القول بأن القرآن المجيد ذكر الخسوف والكسوف. وجدير بالملاحظة أن القرآن الكريم استخدم كلمة (خسف) بالنسبة للقمر، ولم يستعملها بالنسبة للشمس، ولكنه وصف الكسوف الشمسي بطريقة خاصة، قرر فيها أن الشمس والقمر سيُجمعان سويا. وعلق حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود على هذه النقطة فقال:

«ما ذكر (القرآن) الكسوف باسم الكسوف، ليشير إلى أمر زائد على المعتاد المعروف، فإن هذا الكسوف الذي ظهر بعد خسوف القمر كان غريبا ونادر الصورة. وإن كنت تطلب على هذا شاهدا، أو تبغي مشاهدا.. فقد شاهدت صوره الغريبة وأشكاله العجيبة إن كنت من ذوي العينين. ثم كفاك في شهادته ما طبع في الجريدتين المشهورتين المقبولتين، أعني الجريدة الانجليزية «بانيير» PIONEER، و «سفيل اند ملتري كزت» CIVIL & MILITARY GAZETTE المشاعتين في مارس سنة ١٨٨٤»

(الخزائن الروحانية ج ٨، نور الحق، الجزء الثاني ص ٢١٤).

والخسوف على أنواع مختلفة، بعضها واضح وبعضها باهت. ولقد قسم البروفسور متشل كسوف الشمس إلى أربعة أنواع: كسوف جزئي، وكسوف حلقي، وكسوف حلقي كلي، وكسوف كلي. ففي الكسوف الجزئي تحجب الشمس جزئيا. وفي الكسوف الحلقي يظلم الجزء الأوسط من قرص الشمس بينما تبقى الحافة الخارجية مضيئة كالحلقة. أما الكسوف الكلي ففيه تختفي الشمس بأكملها. أما الكسوف الحلقي الكلي فهو وسط بين الكلي والحلقي؛ وفي هذه الحالة تصل قمة مخروط ظل القمر إلى سطح الأرض، وهي أندر الأنواع حدوثا. ECLIPSES OF THE SUN By Prof J.A. MITCHEL, Colombia Univ. Press. NY, 1962.

وقد استنتج البروفسور ميتشل من بيانات الكسوفات الماضية أن متوسط عددها في قرن من الزمان يبلغ ٢٣٧ كسوفا، منها فقط ١٠ حلقية كلية. وكسوف الشمس الذي وقع في ٢٨ من رمضان عام ١٣١١ هج كان من هذا النوع الحلقي الكلي، أي كان مختلفا عن الكسوف العادي كما بين الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.. كان كسوفا مثيرا.

وجدير بالملاحظة أيضا أن الكسوف والخسوف كانا مشهودين في الهند. ويمكن رؤية خسوف القمر في مساحة تزيد على نصف الكرة الأرضية، ولكن كسوف الشمس يرى من مساحة أقل كثيرًا من ذلك. وكثيرا ما يكون كسوف الشمس مرئيا في منطقة قليلة السكان أو في أحد المحيطات. ولكن كسوف الشمس الذي حدث في ٦ من أبريل عام ١٨٩٤ كان مشهودا في مساحة هائلة من قارة آسيا بما في ذلك الهند.

وفي كتابه (قانون الكسوف CANON OF ECLIPSES) أعطى بروفسور فون أبولزر تفاصيل كسوف الشمس والقمر في الفترة من عام ١٢٠٨ قبل الميلاد حتى عام ٢١٦١ بعد الميلاد، ووضح بالخرائط مسارات الكسوفات البارزة، مثل الحلقية والحلقية الكلية والكلية، ومن بينها مسار الكسوف الشمسي الذي وقع يوم ٦، ٤، ١٨٩٤ في الخريطة رقم ١٤٨. (المرجع السابق).

وكذلك أظهر التقويم الملاحي لعام ١٨٩٤ مسار هذا الخسوف في خرائطه. ويمكن بالرجوع إلى هذه المراجع تبين أن ذلك الكسوف كان مشاهدا في كل أنحاء الهند. (Nautical Almanac, London 1894).

ولقد شاهد حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وصحابته الكرام (رضوان الله عليهم) هذا الكسوف، شاهدوه في قاديان. وقال حضرته بأنه ينبغي أن يتفكر الناس في هذه الواقعة لكونها آية تجلت في البلد، وكتب يقول:

«يا عباد الله، رحمكم الله! اتقوا الله، ولا تتكبروا، وفكروا وتدبروا. أيجوز عندكم أن يكون المهدي في بلاد العرب أو الشام، وآيته تظهر في هذا المقام؟ وأنتم تعلمون أن الحكمة الإلهية لا تبعد الآيات من أهلها وصاحبها ومحلها، فكيف يمكن أن يكون المهدي في مغرب الأرض وآيته تظهر في مشرقها؟ فكفاكم هذا إن كنتم من الطالبين». (الخزائن الروحانية ج ٨، نور الحق الجزء الثاني ص ٢١٥ و٢١٦).

وموجز القول إن نبوءة سيدنا وحبيبنا محمد المصطفى ﷺ قد تحققت بأعظم دقة وأبهى تحقق، [فتبارك الله أحسن الخالقين].

لقد اكتشف السير إسحاق نيوتن قانون الجاذبية في القرن السابع عشر الميلادي، ولم تكن الحسابات الفلكية الطويلة المعقدة لظاهرة الكسوف ممكنة من قبل هذا الاكتشاف؛ ولكن سيدنا محمدًا المصطفى ﷺ أخبر بهذه النبوءة المدهشة، على أساس من

العلم الذي أوتيه من لدن العليم الخبير جلا وعلا. وليس بوسعي إدراك آية سماوية أفضل من هذه في دلالتها على مجيء الإمام المهدي عليه السلام.

سبحان الله والحمد لله، سبحان الله، والله أكبر!

اللهم صلِّ وبارك على محمد وعلى آل محمد.

الكسوفان التاليان في رمضان عام ١٣١٢ هج مارس ١٨٩٥ م

جاء في حديث آخر:

«وتنكسف الشمس مرتين في رمضان». (مختصر تذكرة القرطبي، للقطب الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني، ص ١٤٨).

في العام التالي، أي عام ١٨٩٥ وقع للمرة الثانية خسوف قمري وكسوف شمسي في يومي ١١مارس و٢٦ مارس، وشوهد الاثنان في المغرب، ولم يشهدا في قاديان، ولكنهما أيضا حدثا في ١٣ و ٢٨ من رمضان على الترتيب. ويمكن أن يختلف تاريخ الخسوف بالنسبة للموقع على الأرض. وأشار الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام إليهما في كتابه (حقيقة الوحي) فقال:

«وطبقا لما جاء في حديث آخر، وقع الخسوف مرتين في رمضان: الأول في هذا البلد، أي الهند، والثاني في أمريكا. وفي المرتين كان التاريخ نفس التاريخ الذي أشار إليه الحديث. ولم يكن في وقت الواقعتين أي شخص يدعي بأنه المهدي المعهود، وأعلن أن الخسوف آية له، وقام ينشر مئات النشرات والكتب بالأردو والفارسية والعربية في كل العالم. لذا فهذه الآية السماوية علامة لي. وثمة برهان آخر إذ أنبأني الله تعالى قبل حدوث هذه الآية باثنى عشر عامًا بأن هذه الآية سوف تحدث. ونشرت هذا النبأ في البراهين الأحمدية لمئات الألوف من الناس قبل ظهورها».

(الخزائن الروحانية ج٢٢، حقيقة الوحي ص ٢٠٢)

الرد على الاعتراض بأن الخسوف والكسوف وقعا مرات عديدة في شهر رمضان

وكان هناك اعتراض بأن الخسوف والكسوف وقعا معًا في شهر رمضان مرات عديدة، ومن ثم لا يكونان معيارا للتعرف على المبعوث الإلهي. والحقيقة أن الخسوف والكسوف وقعا بالفعل مرات متكررة، ولكنه من الضروري ملاحظة أن الحديث الشريف قد حدد أياما بعينها لوقوعهما، مع وجود من يدعي بالمهدوية، وهذا جزء أساسي من النبوءة. وقوله في الحديث: «لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض» يبين بوضوح أن النبأ له شأن كبير.

وتدل دراسة عدد المرات التي حدث فيها الخسوف والكسوف على أنه في فترة تبلغ ٢٢ عاما يحدث الخسوف والكسوف معا في رمضان عادة مرة واحدة أو مرتين، وذلك في منطقة معينة من الأرض، وفي أي يوم من أيام الخسوف والكسوف. وليس شرطا أن يقع الكسوف في نفس مكان الخسوف.

وجدير بالملاحظة أن اجتماع الخسوف والكسوف في شهر رمضان، وفي اليومين المحددين في النبوءة حدث نادر جدا. ففي مدى القرنين من عام ١٨٠٠ إلى عام ٢٠٠٠م، والتي درستها بالمشاركة مع الدكتور بالاب Dr. G.M Ballabh، وجدنا أن الخسوف والكسوف وقعا ١٧ مرة في رمضان؛ ولكن عام ١٨٩٤ هو العام الوحيد الذي كان فيه الكسوف والخسوف مشهودين في قاديان، وفي اليومين اللذين حددتهما النبوءة.

وقد أكد ذلك السيد A.K. Bhatnagar، مدير المركز الفلكي، قسم الأرصاد (المتيورولوجي) بالهند، نيو اليبور، كلكتا.

والخلاصة أن وقوع الخسوف والكسوف فوق منطقة قاديان في يومين محددين حدث نادر جدا. فمن بين كثير من الأزواج، خسوفا وكسوفا، والتي وقعت في رمضان كان أحدها فقط هو الذي تنطبق عليه شروط النبأ في الحديث الشريف.

وبالإضافة إلى ذلك، فوجود المدعي بالمهدوية شرط لازم لتحقق النبوءة. وتكشف عبارة (لمهدينا) بجلاء أن الخسوف والكسوف آية أو علامة لصالح الإمام المهدي عليه اللام. ومجرد حدوث الكسوف أو الخسوف من غير وجود مدع بالمهدوية حدث لا مغزى له من هذه الناحية.

أما عبارة (لم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض) الواردة في الحديث فتتضمن أن هذه الآية لم تحدث من قبل، وهي لا تعني أن الكسوف والخسوف لم يحدثا من قبل أبدا. قال الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام:

«لا يعنينا كم من المرات وقع الخسوف والكسوف في رمضان في هذه التواريخ منذ بدء خلق السماوات والأرض حتى اليوم، ولكن غرضنا فقط أن نذكر أنه منذ نشأة الإنسان على الأرض لم يحدث أن وقع الخسوف والكسوف كآية إلا في زمني. أما قبلي فلم يكن لأحد فرصة كهذه فيدعي أنه المهدي الموعود من جهة، ومن جهة ثانية يحدث الخسوف والكسوف بعد دعواه في رمضان وفي التاريخ المحدد لذلك، ويعلن أن الخسوف والكسوف آيتان تؤيدان دعواه.

لا يقول حديث الدارقطني أبدا أن الكسوف والخسوف لم يقعا من قبل، بل يعلن بوضوح أنهما لم يقعا من قبل كآية لأحد، لأن عبارة (لم تكونا) بصيغة المؤنث تعود إلى قوله: «آيتين»، أي أن الآيتين لم تقعا من قبل، ولو كان المراد أن الحدثين لم يقعا من قبل لاستعمل صيغة المذكر وقال: «يكونا». فواضح إذن أن الإشارة إلى الآيتين.

فإذا احتج أحد بأن الخسوف والكسوف قد وقعا مرات عديدة، فعليه تقع مسئولية إثبات من هو المدعي بالمهدوية الذي نادى بأن الخسوف والكسوف آيتان لنصرته، وأن يكون الدليل ثابتا وشاملا. ولا يتأتى ذلك إلا إذا أخرج لنا كتابا سبق لذلك كتابته، وقال فيه: إن الخسوف والكسوف اللذين وقعا في رمضان في اليومين المحددين بحسب حديث الدارقطني هما آيتان على صدقه.

وموجز القول، إننا لا نعني بمجرد وقوع الخسوف والكسوف وإن وقعا آلاف المرات، ولكن وقوعهما يستمد معناه وأهميته لمرة واحدة فقط. ولقد ثبت للحديث مرجعيته وصدقه وصحته بتحققه في زمن مدع بالمهدوية. (الخزائن الروحانية ص ٢٣، چشمة معرفة (ينبوع المعرفة) ص ٣٢٩ و٣٣٠).

وأضاف حضرته:

«الحق أنه منذ آدم إلى وقتنا الحاضر لم ينبئ أحد قط بنبوءة مثل هذه. إنها نبوءة ذات أشراط أربعة:

أولها وقوع الخسوف القمري في الليلة الأولى من ليالي الخسوف.

ثانيها وقوع الكسوف الشمسي في اليوم الأوسط من أيام الكسوف.

ثالثها اجتماع الخسوف والكسوف في شهر رمضان.

ورابعها وجود مدع بالمهدوية قابله الناس بالرفض.

فإذا ما أنكر أحد عظمة هذه النبوءة، فعليه أن يرينا نبوءة مماثلة لها في تاريخ العالم. وما دام لن يجد لها نظيرا.. فستظل هذه أعظم النبوءات التي تندرج تحت قول الله تعالى: [فلا يظهر على غيبه أحدا]، لأن الحديث الشريف صرح بأنه لا نظير لها من عهد آدم عليه السلام». (الخزائن الروحانية ج ١٧، التحفة الجولروية، ص ١٣٦).

لطيفة رائعة

قال إمامنا الراحل، رحمه الله تعالى، حضرة مرزا ناصر أحمد، الخليفة الثالث للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام: إن عبارة (مهدينا) في الحديث النبوي الشريف تكشف عن محبة شديدة من جانب المصطفى ﷺ لإمام المهدي.

وفي حديث آخر عن النبي ﷺ قال حضرته: «من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مني السلام» الدرر المنثور). «فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي». (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن).

وطالما رغب علماء المسلمين بشغف شديد أن يقرئوه السلام من حضرة المصطفى ﷺ. ففي ساحة مجدد القرن الثالث عشر، حضرة سيد أحمد البريلوي رحمه الله تعالى، عبر الشاعر حضرة مؤمن الدهلوي عن شوقه إلى ذلك فقال ما تعريبه:

«إذا صادفتَ زمن المهدي الموعود.. فيا مؤمن، أقرئه السلام أولا من حضرة النبي الكريم..».

وبينما نرى محبة النبي الأكرم ﷺ للإمام المهدي من جانب، فإننا نلمس من الجانب الآخر ما يحمله حضرة أحمد القادياني، الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، من محبة بالغة لسيدنا وإمامنا الأعظم، حضرة نبينا الأكرم، محمد المصطفى ﷺ. وتنطق بذلك كتابات لحضرته لا حصر لها؛ منها على سبيل المثال يقول سيدنا المهدي عليه السلام لسيده وسيدنا محمد المصطفى ﷺ:

أُنظر إليّ برحمة وتحننٍ يا سيدي! أنا أحقر الغلمانِ
يا حِبِّ، إنك قد دخلتَ محبةً في مهجتي ومداركي وجناني
من ذكر وجهك يا حديقةَ بهجتي لم أخْلُ في لحظ ولا في آن
جسمي يطير إليك من شوق علا يا ليت كانت قوة الطيرانِ
يا ربِّ، صلِ على نبيك دائما في هذه الدنيا وبعثٍ ثانِ

(الخزائن الروحانية ج ٥، آئينة كمالات إسلام ص ٥٩٣ و٥٩٤).

ويقول بالفارسية ما تعريبه:

قلبي وروحي مسحوران من جمال محمد
وإن جسمي هو ثرًى في درب آل محمد
أبصرت بعين قلبي، وسمعت بأذن عقلي
أن كل ما في الكون يبدي جمال محمد
إني لَنَشْوانٌ بعشق محمد
من بعد حب الله جل جلالُهُ
إن كان هذا الكفرَ إني لكافرٌ
ربي شهيد قد سباني جمالُهُ

ويقول بالأردية ما تعريبه:

إمامنا الذي من خلاله كل الضياء
اسمه محمد، وهو حبيبي.
أنا فداء لذلك النور، وجئت من عنده
هو كل شيء، ولستُ بشيء، وهذا هوالقول الفيصل.

يا إلهي الحبيب، حلفتُ بوحدانيتك
إني نسيت نفسي في حب نبيك الكريم.
أقسم بالله، أن صور الآخرين قد انمحت من قلبي
منذ أن صوَّرتُك في قلبي.
لا أطيق أبدا رؤية ضعفٍ أصابَ دين النبي الكريم،
يا ملكي! هب لي النجاح والفوز.

هذه هي كلمات المبعوث الإلهي لهذا العصر. إنه الرجل الذي قال حضرة محمد المصطفى ﷺ في حقه:

«لو كان الإيمان بالثريا لناله رجل من هؤلاء». (البخاري). إنه الموعود المنتظر الذي سماه حضرة المصطفى ﷺ (مهدينا)، والذي بَعَثَ إليه بسلامه الغالي. لقد قدم الشمس والقمر شهادتهما لبيان صدقه.

الإمام المهدي والمسيح الموعود يعلن القسم

لقد أقسم حضرته معلنا أنه المبعوث الإلهي الموعود، وأن خسوف القمر وكسوف الشمس آيتان ربانيتان على مبعثه، فقال:

«في زمني وحده كسفت الشمس وخسف القمر في شهر رمضان.

في زمني وحده، وفقا للقول الصحيح من النبي الكريم، والقرآن المجيد، والأسفار القديمة، انتشر الطاعون في البلاد كلها. في زمني وحده، ظهرت وسيلة النقل الحديثة: قطار السكة الحديدية. وفي عصري وحده، ومصداقا لنبوءاتي، وقعت الزلازل. ألا تقتضي التقوى ألا يتجاسر المرء على إنكاري؟

أنظروا! أقسم بالله العزيز، وأقول إنه قد تجلت آلاف الآيات الدالة على صدقي، ولن تبرح تتجلى! لو كان هذا تدبير بشر ما نال العون والنصرة أبدا». (حقيقة الوحي).

وقال أيضا:

«وأقسم أيضا بالله العزيز، أني أنا المسيح الموعود، وأنا هو الرجل الذي وعد به الأنبياء. هناك في التوراة والإنجيل والقرآن المجيد أنباء عني، تصرح بأنه سيكون خسوفات في السماء، وطاعون شديد في الأرض» (الخزائن الروحانية ج ١٨، دافع البلاء ص ٢٣٨).

وقال حضرته أيضا:

«أقسم بالله الذي حياتي في يده، أنه تعالى أظهر هذه الآية في السماء لتشهد بصدقي، وأنه تعالى أظهرها في الوقت الذي دعاني فيه المولويون (المشائخ) دجالا وكذابا وكافرا، بل وأشد الكاذبين. هذه هي الآية التي وُعدت بها في (البراهين الأحمدية) منذ عشرين عاما: (قل عندي شهادة من الله، فهل أنتم مؤمنون؟ قل عندي شهادة من الله، فهل أنتم مسلمون؟). وينبغي أن تذكروا أن هناك براهين كثيرة من الله تعالى تشهد بصدقي، وأنه تحقق أكثر من مائة نبأ وشهدها مئات الألوف من الناس، إلا أن هذا الوحي ذكر بهيئة خاصة، ذلك أني أُعطيتُ آية لم تعط لأي إنسان آخر من عهد آدم إلى الوقت الحاضر. وخلاصة القول: إن بوسعي أن أقف في حرم الكعبة المشرفة، وأقسم أن هذه الآية لي، وتشهد على صدقي» (المرجع السابق).

وفي بعض أشعاره قال حضرته ما ترجمته:

«تحسبون أن الإمام المهدي سوف يأتي ليسفك الدماء..
ويقيم الدين بقتل الكافرين؟
فيا معشر الجهلاء.. إن هذه الأفكار شديدة الخطأ
إنها افتراء، لا أساس لها، ولن تكون.
أيها الأعزاء، لقد أتى الموعود..
حتى الشمس والقمر.. كشفا هذا السر لكم». (الدر الثمين).

وفي مناسبة أخرى قال حضرته:

«ما جدوى انتظار الأغيار بعدي؟
فتوبوا، فما أحد يدري كم يطول به الأجل. (المرجع السابق).

تحدي حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود

ولقد تحدى حضرته أي شخص يستطيع أن يذكر آية مثلها وقعت في الماضي، وله جائزة قدرها ألف روبية. فقال:

«ألا تخافون أنكم كذبتم حديث المصطفى، وقد ظهر صدقه كشمس الضحى؟ أتستطيعون أن تخرجوا لنا مثله في قرون أولى؟ أتقرأون في كتاب اسمَ رجل ادعى وقال: إني من الله الأعلى، وانخسف في عصره القمر والشمس في رمضان كما رأيتم الآن؟ فإن كنتم تعرفونه فبينوا لنا يا معشر المنكرين، ولكم ألف روبية من الورق المروج إنعاما مني. فخذوا إن تثبتوا. وأشهد الله على عهدي واشهدوا.. وهو خير الشاهدين. وإن لم تثبتوا ولن تثبتوا، فاتقوا النار التي أعدت للمفسدين!». (الخزائن الروحانية ج ٨، نور الحق، الجزء الثاني ص ٢١٢).



«يا قومِ، في رمضانَ ظهرت آيتي»

(لسيدنا مرزا غلام أحمد المهدي والمسيح الموعود عليه السلام)

بُشرى لكم يا معشر الإخوانِ
ظهرتْ بروقُ عناية الحنّانِ
النيِّران بهذه البُلدانِ
وبشارةٌ من سيدٍ خيرِ الورى
اليوم يوم فيه حصحَص صدقُنا
اليوم يبكي كلّ أهل بصيرة
ومصدِّقًا أنوار نبأ نبينا
اليوم كلُ مبايع ذي فطنة
ظهرت كمثل الشمس حُجّة صدقنا
مات العِدا بتفكنٍ وتندمٍ
ألله أكبر كيف أبدى آيةً
هل كان هذا فعلَ ربٍ قادرٍ
اليوم بعد مرور شهر صيامنا
اليوم يوم طيّب ومبارك
من حارَبَ المقبولَ حارَبَ ربَّه
من كان في حفظ الإله وعونه
كيدوا جميعا كلكم لإهانتي
قوموا لتحقيري بعزم واحدٍ
الوقت يدعو مصلحًا ومجددًا
أتظن أن الله يخلف وعده
يا أيها الناس، اتركوا طرقَ الإبا
لا تُغضبوا المولى وتُوبوا واتقُوا
القمر يهديكم إلى نُور الهدى
ظهرت لكم آيات خلاّق الورى
هذا حديث من نبي مصطفى
شهدتْ يَدُ المولى، فهل منكم فَتًى
هذا زمان قد سمعتم ذكرَه
كم من عدوّ يشتمون تعصّبًا

طُوبى لكم يا مجمعَ الخُلاّنِ
وبَدَا الصراط لمن له العينانِ
خُسفا بإذن الله في رمضانِ
ظهرتْ مطهّرةً من الأدرانِ
قد مات كلُّ مكذّبٍ فتّانِ
متذكرًا لمراحم الرحمانِ
ومعظمًا لمواهب المنّانِ
ازداد إيمانا على إيمانِ
أو كالخيول الصافنات بشانِ
والحق بان كصارم عريانِ
كشف الغطا بإنارة البرهانِ
أم هل تراه مكائد الإنسانِ
عيدٌ لأقوامٍ لنا عيدانِ
يُخزي بآيته ذوي الطغيانِ
فَهَوَى شقًا في هُوّة الخسرانِ
من يُهلكَنْه وإنْ سعى الثقلانِ
ثم انظروا إكرامَ من صافاني
ثم انظروا إعظام مَن والاني
فارنُوا بنظرٍ طاهرٍ وجنانِ
أفأنت تُنكر موعدَ الفرقانِ
كونوا لوجه الله من أعواني
وكخائف خرُّوا على الأذقانِ
والشمس تدعوكم إلى الإيمانِ
في ملككم لمؤيد سُبحاني
كهفِ الأنام وسيدِ الشجعانِ
يُبدي المحبة بعد ما عَادَاني
من خير خلق الله والقرآنِ
ويرون آياتي ونور بياني

شهدت لهم شمس السماء ومثلها قمرٌ فيرتابون بعد عيانِ
خرجوا من التقوى وتركوا طرقه بوساوس دخلت من الشيطانِ
قد جاء مهديكم وظهرت آيةٌ فاسعوا بصدق القلب يا فتياني
ظهرت شهادات فبعد ظهورها ما عذركم في حضرة السلطانِ
نزلت ملائكة السماء لنصرنا رُعِبَ العدا من عسكر رُوحاني
يا طالِبَ الرحمان ذي الإحسان قُم والهًا واطْلُبْه كالظمآنِ
بَادِرْ إليّ سأخبِرَنْك مُشفقًا عن ذلك الوجه الذي أَصْباني
أُعطيتُ نورًا من ذكاء مهيمني لأنير وجه البر والعمرانِ
من كان خصمي كان ربي خصمه قد بَارَزَ المولى لمن بَارَاني
إني رأيت يد المهيمن حافظي ومؤيدي في سائر الأحيانِ
يا قوم، في رمضان ظهرت آيتي من ربّنا الرحمان والديّانِ
فاقرأ إذا ما شئت آية ربّنا [خُسِفَ القمر] وتجافَ عن عدوانِ
ثم الحديثَ حديثَ آل محمدٍ شرحٌ لما يُتلى مِنَ الفُرقانِ
هذا كلام نبينا وحبيبنا فافرغ إليه وخلِّ ذكر أداني
والحر بعد ثبوت أمرٍ قاطعٍ يُهدَى ولا يُصغِي إلى بُهتانِ
لا تعرضوا عني وكيف صدودكم عن مرسل يهدي إلى الفرقانِ
ما جاءني قومي شقًا وتباعدوا فتركتُهم مع لوعة الهجرانِ
يا لاعِني، خَفْ قهرَ ربّ قادر والله إني مسلم ذو شأنِ
والله، إني صادق لا كاذب شهدت سماء الله والملوانِ
ودَّعتُ أهوائي لحُب مُهيمني وتركتُ دُنياكم بعطف عنانِي
لا تعجلوا وتفكروا وتدبروا والعقل كل العقل في الإمعانِ
لن تُعجزوا بمكائدٍ ربَّ السماء لله سُلطان على السُلطانِ
أنظرْ ذكاءً ثم قمرًا مُنصفًا هذان للكذاب ينخسفان؟؟
يَا لاعني، خفْ قهرَ ربّ شاهد ويُريك آياتٍ من الإحسانِ
قمر القدير وشمسه بقضائه خُسِفَا، وأنت تصول كالسرحانِ
هذا من الله الكريم المحسن فاستيقظوا من رقدة العصيانِ
لا تظلموا لا تعتدوا لا تجرؤوا وتباعدوا عن ذلك اللهبانِ
لا تكفروا، يا قوم، ناصِرَ دينكم واخشَوا المليك وساعةَ اللقيانِ
قد جئتكم، يا قوم، من رب الورى بُشرى لتواب إذا لاَقَاني
هذا مقام الشكر إنّ مغيثكم قد خصكم بعناية وحنانِ
يا قوم قوموا طاعة لإمامكم وتباعَدُوا من معتد لعانِ
قد قلت مرتجلاً فجاءت هذه كالدر أو كسبيكة العِقْيانِ
يا ربّ بارِكْها بوجه مُحمدٍ رَيقِ الكرام ونخة الأعيانِ

(الخزائن الروحانية ج ٨، نور الحق، الجزء الثاني ص ٢١٧ إلى ٢٢٧)

قبسة من حياة حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الاحمدية عليه السلام

بقلم حضرة ميرزا بشير احمد رضي الله عنه

الشفقة على خلق الله

(١)

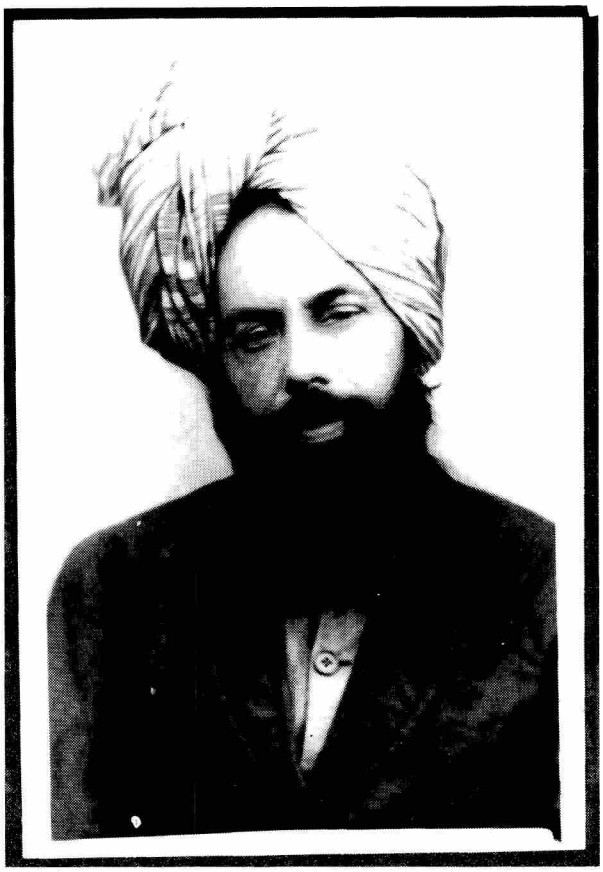
ان عهد البيعة الذى وضعه مؤسس الجماعة عليه السلام للانضمام الى الجماعة، يتضمن عشرة شروط يلزم على كل احمدى ان يراعيها، وهي المبادئ العملية الاساسية للجماعة، وفيما يلي الشرط الرابع والتاسع:

ان يتعاهد المبايع انه لن يؤذي عند ثورة الميول النفسانية احدا من خلق الله عامة والمسلمين بصورة خاصة، ولن يعتدى عليه لا بلسانه ولابيده ولا بطريق آخر، وان يظل لأجل الله وحده قائما بمواساة عامة خلق الله والاحسان إليهم، ويفيد بني الانسان بمواهبه وكفاءاته ما استطاع الى ذلك سبيلا.

هذا هو العهد الذى وضعه حضرة المؤسس عليه السلام حسب امر الله للانضمام الى الجماعة الاحمدية، والذى لا يمكن بغيره ان يكون احد مسلما احمديا صادقا. والذى يدعو الى التفكير ان الرجل الذى يؤسس جماعته على ان يعامل المبايع غيره من المسلمين او غيرهم معاملة اخلاص وتودد وشفقة ويسعى لخير الانسانية جمعاء ولا يؤذيه اي نوع من الايذاء، فما اروع ما ينبغي ان يكون نفسه اسوة وما اعظم ما يجب ان تكون اعماله مثالا وقدوة في جميع هذه الفضائل. وكذلك كان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكان حضرته يردد مرارا انه لا يعادى احدا، وان قلبه يفيض بحب جميع الامم والشعوب كما يقول:

انني اصرح لجميع المسلمين والمسيحيين والهنادك بأنى لا اعادى احدا في هذا العالم. اننى احب جميع بنى الانسان كما تحب الأم الرؤوم اولادها، بل انني اشد حبا لهم. نعم اننى اعادي تلك المعتقدات الباطلة المعادية للحق. ان الشفقة على الانسان من واجباتى والتبرء من كل كذب وشرك وجور وضلالة وفسوق من مبادئيّ الأساسية.



(٢)

لم يكن ذلك مجرد ادعاء فحسب، بل الحق ان كل دقيقة من حياته كانت مبذولة في سبيل الشفقة على خلق الله، وكان الذين يراقبون احواله يستغربون ان يكون في برديه قلب الأم الحنون حتى لأعدائه الالداء.

وقد روى الاستاذ عبد الكريم الذى كان من كبار اصحاب المسيح الموعود عليه السلام، انه سمعه عليه السلام يدعو في الايام التى كان وباء الطاعون المبيد يحصد فيها الناس حصدا، اجل انه كان يدعو في تلك الايام لأجل نجاة الناس من هذ الداء الوبيل. وقد وصف الاستاذ عبد الكريم هذا الدعاء بما يلى:

كان دعاؤه (عليه السلام) يفيض تألما واضطرابا والتياعا حتى ان السامع كان يذوب قلبه لشدة هذه الحالة على المسيح الموعود عليه السلام. كان حضرته يتضرع ويبتهل ويضطرب على العتبة القدسية كما تضطرب وتتألم المرأة عند المخاض. اننى اصغيت إليه فاذا هو يدعو الله لأجل نجاة الناس من عذاب الطاعون، وكان يقول اثناء الدعاء: اللهم ان يهلك هؤلاء فمن الذى يعبدك.

فلنفكر في الموقف الرائع الذى وقفه مؤسس الجماعة الاحمدية عليه السلام، ان عذا ب الله كان قد نزل، وكان الله عز وجل قد أنبأه بهذا العذاب، وجعله آية بينة لصدقه، ولو لم يتحقق هذا النبأ لارتاب مستعجلو العذاب في صدقه، لكن على الرغم من ذلك كله، كان عليه السلام مضطربا اشد الاضطراب على هلاك الناس بهذا العذاب. وكان يتضرع لربه قائلا: اللهم انقذ مخلوقك من هذه الكارثة، وافتح لهم باب الايمان وارحمهم.

(٣)

وزد على ذلك ما حدث عندما هلك عدو الاسلام، باندت ليكرام الهندوكى (وكان يسب النبي الكريم ﷺ اقذع السب، ومات نتيجة لمباهلة مع حضرته عليه السلام). سُرّ حضرته بأن نبأ الله عز وجل قد تحقق وظهرت آية عظمى لصدق الاسلام، ولكنه كذلك تأسف على انه هلك محروما من الايمان بالحق كما قال حضرته:

«ان قبلنا اليوم بحالة غريبة مزيجة من عواطف التألم والسرور، لأن ليكرام لو تاب أو على الاقل امتنع عن كلامه المقذع فو الله لعاش بدعائى حتى ولو كان مقطعا اربا اربا».

(٤)

ان بعض القساوسة المسيحيين تآمروا عليه مرة، ورفعوا ضده قضية ملفقة بتهمة القتل. وكان في طليعة هؤلاء المتآمرين القسيس مارتن كلارك. لكن الله عز وجل أظهر براءته وصدقه، من تهمة القتل في هذه القضية الخطيرة التي تألب فيها الآريون من الهنادك وعلماء من المسلمين ضده، ولم يألوا جهدا في اثبات هذه التهمة عليه.

فلما اعلنت المحكمة حكمها ببراءته عليه السلام، وسأل القاضي «دوجلاس» حضرته قائلا: هل ترغبون في رفع قضية ضد كلارك بتهمة التزوير والتلفيق، فالقانون يسمح لكم بذلك، أجاب حضرته:

«اننى لا ارغب في رفع اية قضية، ان قضيتي مرفوعة في السماء».

(٥)

كان الشيخ محمد حسين البطالوى زعيم طائفة اهل الحديث في يوم صديقا حميما لحضرة المؤسس عليه السلام وزميلا له في المدرسة، وكان قد عقب على اول كتاب كتبه حضرة المسيح الموعود تعقيبا رائعا، اذ قال فيه انه لم يكتب مثل هذا الكتاب في تأييد الاسلام في الثلاثة عشر قرنا الماضية. لكن لما ادعى حضرة مؤسس الجماعة كونه المسيح الموعود والمهدى المعهود اصبح هذا الشيخ محمد حسين من معانديه الاشداء، حتى افتى على حضرته بالكفر، ونعته بالدجال والضال، واضرم عليه نيران الفتنة والعداء في طول الهند وعرضها.

حدث ان هذا الشيخ نفسه تطوع لإدلاء الشهادة في قضية مارتن كلارك ضد حضرته، واراد محامى حضرته ان يجرح شهادة الشيخ محمد حسين ويوجه إليه بعض الاسئلة الماسة بنسبه وعرضه. لكنه لم يسمح له بهذه الاسئلة ومد يده الى وجه المحامى لئلا يتفوه بها. وبذلك حافظ على أعراض معانديه الشخصيين، مع انه كان متهما بالقتل، وكان ذلك الشيخ جاء ليثبت عليه هذه التهمة.

وبعد هذا الحادث كان محامى حضرة المؤسس عليه السلام في تلك القضية يذكر هذا الحادث الغريب ويقول: ان حضرته رجل غريب الأطوار، إن واحدا من اعدائه يهاجم كرامته حتى انه يريد القضاء عليه، ثم اذا اريد توجيه بعض الاسئلة الجارحة لنسبه لتضعيف شهادته، ابي ذلك.

وهذا الشيخ محمد حسين هو الذى ذكره حضرة المؤسس عليه السلام في احد ابياته العربية:

قطعت ودادا قد غرسناه في الصبا
وليس فؤادي في الوداد يقصر

خدمة الضيوف

لقد روى «المنشى ظفر احمد» احد كبار اصحابه الاقدمين انه جاء مرة الى قاديان ضيفان من منطقة «آسام» النائية بعد ان سمعا عن مؤسس الجماعة الاحمدية، ولما وصلا دار الضيافة، طلبا الى خدام الدار ان يهيئوا مثواهما. فلم يابهوا بذلك .فاستاء الضيفان اللذان تجشما عناء السفر الطويل من هذا الإغفال، وعادا أدراجهما غاضبين. ولكن لما بلغ ذلك حضرته عليه السلام، اسرع للحاقهما

بقية ص ٣٦

المساهمة الممكنة للإسلام في السلام العالمي

بقلم: القاضي المرحوم محمد أسلم

إذا اعتبرنا فكرة السلام، فإن الإسلام يبدو وهو يضم على الأقل ثلاثة أمور مختلفة لها مظاهرها المميزة التي تدعو لاهتمام أولئك الذين يبحثون عن فلسفة السلام ومشروع السلام، والأمور الثلاثة هي:

(أ) الأفكار الإسلامية التي تهب عقول الرجال نظرة صائبة للسلام والتي تشتمل على سياسيات واسعة تؤول آخر الأمر إلى علاقات إنسانية سلمية.

(ب) الخبرة الخاصة للإسلام، والمثل الخاص للرسول الكريم في شؤون الحرب والسلم؛ فالرسول الكريم والفئة الإسلامية الأولى بمحاولات وتجارب ناجحة ساعدتهم على عرض الإسلام صادقا في مجابهة المشكلة العلمية لبناء السلام وحفظه بين الجماعات المتنازعة في مختلف الأجناس والمناطق والأديان.

(ج) إن الإسلام لا يعتبر نفسه تعليما ونفوذاً كل همه أن يحتل مكانا مرموقا في التاريخ الديني أو السياسي للإنسان، ولكنه يعتبر نفسه تعليما وإرشاداً للقيم الخالدة وللعالمين. ولذلك فقد أصبح ضروريًا أن نتساءل: ما هي الاعتمادات الفياضة التي يتزود بها الإسلام لاستمرار مثله الفعالة ونفوذه القوي في حاضر الحرب والسلام ومستقبلها؟ وما هو الأمل أو الوعد الذي يقدمه للإنسان الحديث ومستقبله؟

(٢)

ولنبدأ بمبادئ السلام، ويمكن أن تقدم في ثلاث فقرات أو أربع أو خمس:

الأولى: هي مفاهيم الإسلام العالمية. فمشاريع السلام قد وصلت أخيرًا ومتأخرة إلى المفاهيم العالمية. وأما خطط السلام فقد كانت لعهد قريب جداً مفهومة لمناطق معينة؛ ولعدد محدود من الأمم والشعوب. وأما الإسلام فإنه لم يتقدم منذ البداية إلى المعاصرين له فقط بل تقدم برسالته إلى جميع أجناس البشرية وطبقاتها: [يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين] (الأعراف: ٥٨ ويونس: ١٥٩). فتشريعات الإسلام لم تفرق بين إنسان وإنسان؛ فحيثما وجد الإنسان فهنالك علاقات إنسانية قائمة. وعندما قام الإسلام ظهر كأنه دين عربي أو حركة عربية، ولكنه قرر أن العرب ليسوا فوق غير العرب. وفي طريقه الواسع للتاريخ الديني يربط بين الأنبياء والمرسلين لكل الأمم والشعوب، ويطلب الإيمان بهم واحترامهم جميعًا. فكلهم على حق وكلهم إليه يدعون قال الله تعالى: [قولوا ءَامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتيَ موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون]. (البقرة: ١٣٦). فالمسلمون هم شعب يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين ويحترمهم كما كان أتباعهم يفعلون.

الثانية: فكرة السلام الثانية للإسلام هي وحدة الإنسانية وهذه مستمدة من فكرة الإسلام العالمية. فالإسلام قد أقام عالما واحدا دون أن يتجاهل الفوارق المميزة للأديان والأجناس، والألوان، واللغات. فالإنسانية كما يقرر الإسلام، ابتدأت وحدة، ثم انقسمت من بعد ذلك، وانتشرت في مختلف أجزاء الأرض. وكل فئة من الناس تسلمت تعليمها الخاص من الله بواسطة الأنبياء. والإنسان من أصل واحد. وإن اختلافاتهم طريق عملي للتعارف: [إن أكرمكم عند الله أتقٰكم. (المائدة: ٣ والحجرات: ١٣، والمائدة: ٤٩، والأعراف: ١٥٩).

ولقد كان غريبًا حقًا أيام البعث الإسلامي الأول أن يفكر الرسول الكريم أو أي إنسان أن يدعو لعالم واحد، وإنسانية واحدة، وإله واحد. (الأنبياء: ٩٣ وص: ٦).

والعالم يشاهد منذ زمن الرسول الكريم أن عدة أجزاء من العالم قد اتصلت وأن عدة شعوب مختلفة قد أصبحت متقاربة. وذلك لأن الحقائق الطبيعية تجعل وحدة العالم حقيقة لا مفر منها. وأما فوارق الألسنة والألوان فقد تبقى. (الروم: ٢٣). فاختلاف الناس يدعو إلى التعارف المتبادل، ولا يدعو إلى التفاخر. (الحجرات: ١٤).

والوحدة الإنسانية يجب، في النهاية، أن تصبح حقيقة واقعة، وما لم يحدث هذا فالخلق سيكون عبثا. والخلق ما كان ولن

يكون عبثا.

(الثالثة) فكرة السلام الثالثة للإسلام هي الحرية: فالاعتقاد حر، لا إكراه في الدين (البقرة: ٢٥٧). ومع الحرية يكون الإيمان صادقا وسليما. وأما النفاق فإنه يستحق الازدراء من الوجهة النفسية، لا يمكن الدفاع عنه. والإسلام في بدء دعوته شهر السيف للدفاع عن الحق الإنساني في حرية الاعتقاد. وقد انتصر الدفاع بكل عناية، ولكن الإسلام منذ ذلك الحين أصبح متهما، وقد أسيئ فهمه، ويعود التاريخ في زماننا ليقدم الجواب. فالإسلام قد فقد إمكانياته الاجتماعية والسياسية.

ومع ذلك فالإسلام ينتشر. وليس ذلك إلا بفضل الفكر الذاتي والنداء الروحي: [لا إكراه في الدين] كما يقول الإسلام. فالإيمان ليس هو العمل القولي فقط، بل هو جميع الأشياء، فالحياة العملية والمنشآت والآداب كلها تستقي من الإيمان.

وهكذا فهناك حرية في الأعمال الإنسانية عمومًا. والقرآن لا يسمح فقط بل يطلب من الجماعات المتدينة من اليهود والنصارى والمسلمين أن تعيش جنبًا إلى جنب. وقد تكون الحكومة إسلامية، ولكن تلك الجماعات تتبع قوانيها الخاصة بها [لكل جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجا. ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً]. (المائدة: ٤٩)

ولا داعي إذن أن يقوم تنازع فيما يختص بالاعتقادات الدينية السليمة وممارستها. ولكن الاختلافات السياسية قضية أهواء، وتكون المسئولية موزعة عليهم جميعًا، فكل جماعة تظل حرة. وحرية كل جماعة محددة بحرية مساوية للجماعات الأخرى. فالحرية إذن هي المفتاح الرئيسي في تشريع العلاقات الإنسانية، وتحتاج فكرة السلام غير قليل من الزمان لقيامها. وعندما تقوم فسيكون لها النفوذ الخالد.

فيجب أن تبني فكرة الحرية في عقل الإنسان ودوافعه، كما يجب أن تبني على فكرة الرضى المطلق للإنسان.

الرابعة: وفكرة السلام الرابعة للإسلام هي العدل. فالعدل هو الضمان الأساسي للسلام. ويظهر أن فكرة السلام المتداولة قد أضاعت طريقها الصحيح وضلت سبيلها، لأنها قد فقدت فكرة العدل.

فالعدل بمقتضى القرآن، هو الخطوة الأولى نحو العلاقات الإنسانية الطيبة. بينما الإحسان هو الخطوة الثانية. والحب هو الثالثة. (الحجرات: ٩).

ونحن الآن بعيدون عن إقامة العدل فيما بيننا. فالعدل هو أول شيء يجب أن يتعلمه الإنسان. والعدل يعني مبدأ المساواة في الأخذ والعطاء، والمعاملة يجب أن تكون واحدة للجميع، سواءً كان كبيرًا أو صغيرًا. عامِل بالعدل حتى الذين تبغضهم، فذلك أحسن وأقرب للتقوى. عامِلْ بالعدل حتى أولئك الذين أساءوا إليك: [فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم] (فُصّلت: ٣٥).

وفي معترك السياسة بين الأمم نجد العدل عظيم الأثر. وأما الوسائل السياسية الدولية المستحدثة من تحديد للتسلح، وإنشاء للمنظمات العالمية، والمفاوضات الدبلوماسية فإنها لم تنجح في أداء رسالتها، وقد فضلت في الوقت الحاضر. لقد فشلت عندما اصطدمت مصالح الأمم الضعيفة مع مصالح الأمم القوية، وليس لنا هنالك مبدأ أساسي نسير عليه، وذلك هو «الهوى» وليس هو العدل. فالهوى يعمل على العبث بمصالح الضعيف. وهذا المبدأ يجب أن يزول والمبدأ الأساسي هو العدل.

وإنه لما يؤسف له أن مجلس الأمن قد وصف بأنه مجال مساومة، وأن محكمة العدل العالمية ليس لها إلا قليل من العمل. ولو أن المبادئ الإسلامية سادت محكمة العدل العالمية، لزادت في عملها، وقدمت أعمالا جليلة أيضا.

(الخامسة) وفكرة السلام الخامسة للإسلام هي فكرة القانون. فرسول الإسلام هو المعلم للقرآن المجيد. والقرآن (كتاب وحكمة). فالإسلام يضع القوانين والتشريعات، ويشير أيضا إلى الحكمة الكامنة في تلك القوانين ثم يرفع من شأن الحرية، ويدعو إلى التفكير والتأمل.

وقد يظن بعض الناس أن التشريع أمر قليل الأهمية والأثر ويظنون أن الإرادة الطيبة والنوايا الحسنة أكثر أهمية وفائدة. ولكننا نجد أنه عندما تفشل الأمم الضعيفة أن تنال العدالة فإنها تزدري بالقانون وتشك في صلاحيته ونفوذه. وننسى أن التشريع أحسن حارس يصونهم في معترك الأهواء، وأن هذا التقدم الصامت الذي أحرزته الإنسانية نحو السلام قد كان بتقديس القوانين واحترامها، سواء أكانت مدونة أو غير مدونة. والإسلام قد جعل شعاره العملي: (السلام عن طريق القانون).

حقًا أن قانون السلام له قيمة بدون إرادة السلام، وأن إرادة السلام لها قيمة بدون قانون السلام، ولكن الإسلام يضع قانون السلام ويجعل النفس الإنسانية حارسًا لمبدأ السلام، ويزوده بأحسن الوسائل الممكنة للأمن الجماعي. (الحجرات: ١٠). والإسلام فوق ذلك يضفي على المعاهدات والالتزامات الدولية قداسة وحرمة، ويقرر صيانة المبعوثين في أشخاصهم ومقاماتهم.

(٣)
تعاليم الإسلام في السلام

لقد أيد الإسلام تعاليمه في شأن السلام بأمثلة إسلامية حية وبتجارب عملية واقعية. والمبادئ إذ لم تؤيدها أمثلة وتجارب

فإنها تظل مباديء جوفاء فارغة المعنى. الرسول الكريم ﷺ كان فتى شابًا حينما اجتمعت القبائل العربية لتجديد بناء الكعبة. ولما وصلت إلى مكان الحجر الأسود تنازعت فيمن يضع هذا الحجر وينال ذلك الشرف. وهنا جاء الرسول الكريم ﷺ بالحل العملي السليم. فانتهى الخلاف، ورضى الجميع.

والرسول الكريم ﷺ أيضًا، وقد كان شابًا، اشترك في جماعة تعاهدت في «حلف الفضول» على نصرة المظلوم وإعانة الضعيف أيًا كان. وبعد قليل من الزمن انقلب أهل مكة جميعًا بالعداء والأذى على رجل ضعيف غير معروف، وقد نسي الناس في مكة ذلك العهد إلا هذا الكريم. وجاء الضعيف يستنصره، فقام النبي وأتى أبا جهل زعيم الخصوم وسأله أن ينصف الرجل من نفسه ففعل.

وفي حلف المدينة كذلك أيضا يستعرض الرسول الكريم ﷺ كيف تعيش الجماعات المتنازعة والمتزاحمة جنبا إلى جنب في نظام بديع من تكوينهم الخاص بهم. فقد استطاعوا أن يعيشوا ويعملوا متحدين بمصالحهم المشتركة في أمن اجتماعي وسلام طبيعي وأن يعملوا منفصلين حسب التزاماتهم ومعتقداتهم الدينية المتباينة.

والمجتمع الإسلامي الفسيح الذي يجتمع فيه العبيد والأحرار من أمثال الحبشي والفارسي والرومي قد قدم مثالا عمليا لأوسع وحدة إنسانية.

والإسلام يضع قاعدة للوحدة بين المختلفين فيقول للنصارى واليهود: [قل يأهل الكتاب تعالَوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم..] (آل عمران: ٢٥).

وهذه القاعدة يمكن تطبيقها في كل مكان وزمان. كما أنه يمكن استخدامها في تضييق شقة الانقسامات وتحديد الفوارق وآثارها.

وإن أشد الجماعات المتباعدة ينبغي أن يكون لها مصالح إنسانية مشتركة تكون أساسا لوحدة بشرية شاملة.

وفي صلح الحديبية قبِلَ الرسول الكريم ﷺ شروطا غير متاكفئة للمسلمين؛ وفيها هضم مقامه، ولكنه مع ذلك قد حافظ عليها حفاظًا شديدًا، واستطاع بذلك أن يعيد السلام للأرض التي ما عرفت السلام من قبل وما كان لها أن تعرف.

وما كان ذلك السلام إلا من تعليم الرسول الكريم ﷺ، ونموذجه الحي وإلهامه السديد. والإسلام يقدم للعالم الحديث درسًا آخر شاملا من تجاربه العملية. فالأحوال، وأعني بها الأحوال النفسية، في البلاد العربية عند مجيء الإسلام كانت شديدة الشبه بأحوال العالم الحديث. ولكن في ذلك الحين توفرت القيادة الحقة في شخص الرسول الكريم ﷺ واستطاع وحده فقط أن يخلص البلاد العربية والناس من فشل عظيم. والآن ليس للعالم مثل تلك القيادة.

فما هي صفات تلك القيادة التي جعلت البلاد العربية واحدة، وجعلت من هذه الوحدة دعاة مبشرين بوحدة عالمية؟ إنها الورع والشجاعة وقوة الإيمان. تلك الزعامة التي تعطي أكثر مما تأخذ، وتقابل الآخرين في أكثر من منتصف الطريق، وتجعلهم يرضون بالسلام وروح التسامح، وتساعد أخيرًا على قيام الوازع النفسي. إنها زعامة تتم السلام عن طريق الهداية. إنها لم تكن لتعاقب المسيئين؛ بل أقامت سلامها راسخًا عن طريق الصفح والغفران.

(٤)

هذا وقد يظل بعض الناس في عصرنا غير حافلين بأيام الإسلام ولا بعقائده وآدابه، وقد يقولون بأن أيام الدين قد ولت وذهبت.

وهنا لا نحتاج إلا أن نذكر أنفسنا أن هذه النعرة الإلحادية قد مرت بها الإنسانية من قبل مرارًا، وأن هذه النعرة قد تلاشت مرارًا أيضا بدافع روحاني جديد.

وفي خلال أكثر من ٦٠٠٠ سنة من التاريخ الديني التي مضت قد حقق الله وعوده مع الإنسان، تلك الوعود التي يجريها في الزمن العصيب الحالك.

فالتغيرات الروحية في الماضي جاءت في فترات متعادلة من الزمان. وإن التغير الروحي الكبير في طريقه وقد آن منه الأوان. ولدينا إشاراته الأكيدة، فما هذه الحروب والأوبئة والمواصلات والمؤتمرات والصحف والعلم والفن ويأجوج ومأجوج والأعمال الباهرة الأخرى إلا علامات وإرشادات لعودة الإسلام من جديد وانتشاره في جميع أرجاء العالم الفسيح. (راجع سفر حزقيل من الكتاب المقدس، وسورة الكهف وسورة التكوير من القرآن الكريم).

وإن هذا التغيير لا يمكن أن يحال دون سبيله، ففي الغرب حيث كان الناس أكثر جهلا للإسلام، نجد اليوم هنالك جماعات إسلامية ناهضة. كما أن أساليب الدعوة قد تطورت. والمسلمون قد رموا روح اليأس. وقد أخذ هذا التغير يسير في طريقه وإلى غايته.

ولا بد من هذه الوسائل المادية المستحدثة، وبدونها لا يستطيع الإسلام أن يقوم بدوره الفعال. وهذا التغير يجب أن يؤسس على المبدأ الإسلامي في الحرية وطريقه هو الإقناع والدعوة بالحسنى.

فعلينا أن نعمل وأن ننتظر ظهور الوعد الذي يحمل هذا التغير. وإن ألف سنة قد لا تكون أمدًا طويلا. ولكن الذين يعملون وينتظرون أولئك سيكون لهم الجزاء الخالد.

دروس وعبر في الأنعام والنحل!!

خطبة جمعة لمولانا أمير المؤمنين نصره الله نصرا عزيزا

ألقاها في مسجد «الفضل» بلندن في ٩ جمادي الثانية ١٤١٠ هج الموافق ٥ يناير ١٩٩٠م

تعريب: محمد حميد كوثر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم- [بسم الله الرحمٰن الرحيم. الحمد لله رب العٰلمين. الرحمٰن الرحيم. مٰلك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اِهدنا الصراط المُستقيم. صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين.].

[وإنّ لكم في الأنعٰم لعبرةً نُسقيكُم ممّا في بُطونِه من بينِ فَرْثٍ ودمٍ لبنًا خالصًا سائغًا للشّربين. ومِن ثمرٰت النّخيل والأعنٰب تتّخذون منهُ سَكَرًا ورزقًا حسنًا إنّ في ذلك لأيةً لقومٍ يعقِلُون. وأوحٰى ربُّك إلى النّحلِ أن اتّخِذى من الجِبالِ بُيُوتًا ومن الشّجرِ وممّا يعرِشُونَ. ثمّ كُلى من كُلّ الثمرٰت فاسلُكى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يخرجُ من بُطُونِهَا شَرَابٌ مختلفٌ ألوانُه فيه شِفاءٌ للنّاسُ إن فى ذلك لأيةً لقومٍ يتفكرون.]. (سورة النحل: ٦٧ إلى ٧٠).

لقد اخترت اليوم هذه الآيات الكريمة لموضوع الخطبة، لأنه قد لفت انتباهي إليها مكتوب أحد الأصدقاء. كتب إلي يقول: أنا أجد إشكالا في هذه الآيات، وألتمس منكم إيضاحه. وأرى أن في ترتيبها ارتباطا قويا، ومفهوما عميقا، أرجوكم لفت انتباه جماعتنا إليه.

وأضاف الكاتب معترفا بأنه لم يصل إلى تلك المفاهيم العميقة حتى الآن، ولكنه يشعر أنها تحتوي على مضمون سام وعال، يجب أن يُشرح للجماعة. وأضاف: لا أريد ردّ رسالتي برسالة فحسب، بل أطلب إلى حضرتكم أن تتحدثوا حول هذه الآيات في إحدى الخطب إذا تيسر لكم.

إن الإشكال الذي أبرزه صاحب المكتوب هو أن القرآن يحرم السَكَر والخمر، بينما ذكر الله في هذه الآية السَكر كنعمة من نعمه سبحانه وتعالى، قائلا: انظروا إلى النخيل والأعناب [تتخذون منه سكرًا]. وهنا ينشأ السؤال: كيف ذُكِرَ شيءٌ حرام ومكروه وكأنه من نِعم الله سبحانه وتعالى.

سيأتي الجواب على هذا الإشكال حينما أفسر وألقي الضوء على علاقة الآيات المذكورة بعضها مع البعض. ولكن قبل كل شيء عليكم أن تدركوا جيدا بأن هذه الآيات تتضمن موضوع العبرة، أي أن يتخذ الإنسان موعظة ودرسا منها. وإذا لم يتخذ الإنسان منها عبرة فيصيبه ضرر بدل الفائدة. وعندما نسترجع أحداث الماضي أمام عيوننا، نرى أن الذين لم يتخذوا درسا من العبرة، قد أصيبوا بضرر كبير، وتحملوا خسائر فادحة، ولنأخذ مثال قوم فرعون الذين أصبحوا آية وعبرة للناس، وكذلك الشعوب الذين عادوا الأنبياء، فغدوا عرضة لغضب الله سبحانه وتعالى.

وأُعيد كلامي وأقول بأن هذه الآيات تبحث في موضوع العبرة وقوله تعالى: [تَتَّخذُون منهُ سكرًا] أيضا ذُكر في محل العبرة، وليس فيه أي ذِكر لنعم الله سبحانه وتعالى. وفي الحقيقة تشير هذه الأمثلة الثلاثة إلى التطورات البشرية المختلفة. في المثال الأول ذُكرت الأنعام والحيوانات والمواشي التي منحها الله سبحانه وتعالى القدرة على إعطاء الحليب، مع أن الغذاء الذي تأكله تلك الحيوانات يُعَدُّ من أبسط الأغذية. فهي تأكل الأعشاب والحشائش وغيرها من الأشياء، وإذا لم تجد العشب الأخضر أكلت الأعشاب اليابسة وأوراق الأشجار، وهو أدنى أنواع الأغذية والطعام التي تأكلها الحيوانات النباتية. وعدا عن هذه الحيوانات النباتية، تأكل كل الحيوانات غذاء أحسن منها. فقد قال الله سبحانه وتعالى: أيها الناس عليكم باتخاذ العبرة من الحيوانات والأنعام المجردة من العقل والفهم. انظروا إلى أكلها، فهي تأكل من بين كل الأغذية التي خلقناها لاستمرار الحياة وبقائها ونموها، ما هو أدنى. فالبقر والجواميس والماعز والأغنام والإبل تأكل أدنى نوع من الأغذية، بل إن الإبل تأكل الأعشاب والنباتات الضارة بالنسبة لنا، ولا يأكل مثلها تلك النباتات ذات الأشواك المخيفة من الحيوانات إلا الماعز. وكما تعرفون فالماعز أيضا نوع من الأنعام. إذن فالأنعام التي تعطي الحليب للناس تأكل النوع الأدنى من أغذية الحيوانات، ولكن انظروا ماذا تصنع بهذا الغذاء. فأولا تنظف وتخرج الفضلة والروث، ثم تصنع الدم لنفسها ولجسمها، وتصنع غذاءً آخر بين الروث والدم وذلك هو اللبن. ولقد ذهب بعض المفسرين المذاهب في تفسير قوله تعالى: [مِن بينِ فَرْثٍ ودَمٍ]، فقالوا بأنه الجزء أو العضو الذي يُصنع فيه الحليب أو اللبن، وأنه واقع بين فرث ودم داخل جسم الحيوان. وقاموا بمحاولات عديدة لإثبات صحة استنتاجهم، ولكن هذا الاستنتاج خاطئ وبعيد عن الحقيقة. وعندما نتعمق في جسم الأنعام ظاهريا، لا نجد فيه عضوا واقعا بين فرث ودم حيث يُصنع فيه الحليب، وإنما يقع هذا في موضع آخر في جسمها. مع العلم أن الآية تفهمنا تفسيرا باطنيا وليس ظاهريا.

فالمعنى بأن اللبن يصنع من الغذاء في بطون الأنعام خلال فترة يمر فيها الغذاءُ من حالته الأولى إلى حالته الأخيرة، أي يُصنع اللبن في بطنها قبل أن يصبح الغذاء دما. واللبن لا يستفيد منه الأنعام فحسب، بل يستفيد منه الآخرون وأنتم أيضا من هؤلاء المستفيدين.. فعليكم أن تدركوا، بأنكم لن تستطيعوا أن تستفيدوا من الأعشاب والحشائش وأوراق الأشجار مباشرة كغذاء، وإنما بعد أن تأكل الأنعام تلك الأعشاب والحشائش الخطيرة والمرة الخالية من الطعم واللذة، وتحولها لبنا خالصًا طيبًا، لتخدم الإنسان خدمة عظيمة بلبنها.

ثم ضُرب مثل لبعض من البشر وقال الله سبحانه وتعالى: نحن خلقنا للناس أعلى أنواع الأغذية من الثمرات والنخيل والأعناب، ولكن بعض الناس لا يستفيدون منها استفادة صحيحة، ولا يستعملونها رزقا حسنا، بل بالعكس، يصنعون منها سَكَرا وخمرا. وبهذا يبدلونها من رزق حسن إلى شيء خبيث ومكروه، ويسببون الضرر لبني جنسهم بدل الاستفادة.

ومن المعلوم بأننا نعتبر الأنعام من أسفل المخلوقات وأرذلها، في حين يُعتبر الإنسان من أشرف المخلوقات. والأنعام تأكل أدنى الأغذية، وتصنع منها رزقًا طيبا لنفسها ولأشرف المخلوقات، [لَبَنًا خالصًا سائغًا للشٰربين]. فانتبهوا إلى الفرق الذي ذُكر هنا عبرةً للناس. فالأنعام تأكل الأعشاب والحشائش وأوراق الأشجار والأشواك التي هي النوع الأدنى من الأغذية، وتصنع للناس لبنا، وهو أعلى أنواع الأغذية، أما الناس الذين وهبوا الثمرات كالنخيل والأعناب، وهي من أعلى أنواع الأغذية، فبعضهم يصنعون منها سَكَرا وخمرا للإضرار بالناس. ومن المعلوم أن الخمر

والسكر أم الخبائث وأسفل أنواع المكروهات، ومنها تنبع جميع أنواع الفسق والفجور. ولا يختلف اثنان بأن الشعوب التي تتعاطى السَكَر يفسقون ويفجرون، لأن الفسق والسَكَر مرتبطان، ومن المستحيل أن ينفصل أحدهما عن الآخر. ولا تشاهدون على وجه الكرة الأرضية شعبًا يعاقرون الخمر، وبنفس الوقت يكونون من الصالحين. قد تصدر منهم بعد إفاقتهم من نشوة الخمر بعض من الأخلاق الحسنة والآداب الطيبة، ولكنهم في نشوة الخمر يفقدون الخصائل الحميدة والمزايا العالية كليةً، وتصدر منهم الرذائل، حتى يضرب بعض شاربي الخمر أزواجهم بالجدران ويشجون رؤوسهن، وأحيانا تضرب الأمهات أولادهن في الجدران وهن في حالة السكر ويقتلنهن. ونسمع هذه الأخبار المؤلمة ونقرأها يوميا في أوروبا والولايات المتحدة.

وإذا شاهدتم بأن بعض العائلات قد اشتبكت في النزاعات الخطيرة، ودُمّرت وأهلكت، فأغلب الأحيان يلعب السكر دورا هاما في تدميرها وهلاكها. وعلاوة على السيئات والفسق وسوء الأخلاق التي تخلفها الخمر، يبذر في شاربي الخمر بذور الظلم والاعتداء.

فهذه عبرة لنا، وعليكم أن تنتبهوا إلى هذا المضمون. إن الله سبحانه وتعالى ذكر نوعين من الحيوانات؛ نوع الأنعام، ونوع الإنسان. والأول يعتبر مِنْ النوعِ الأسفل أو مِنْ النوعِ المتوسط بين الحيوانات، والثاني يُعد من النوع الأعلى من بين الحيوانات. وهذا النوع الأسفل يأكل أردئ الأغذية، ويصنع منها أعلى أنواع الأغذية لفائدتكم. والنوع الأعلى أي البشر يتناول أعلى أنواع الأغذية، ويصنع منها أردئ الأشياء، ويحولها إلى قذارة ومواد فاسدة.

وبعد ذلك ذُكر مثال عن النحل في الآيات المذكورة.. ينطبق على طبقة عليا من الناس، لأن الله سبحانه وتعالى أشار في ترتيب الآيات أولا إلى الناس العاديين، ثم جاء ذِكر النحل، مما يدل على أن المقصود من النحل هو أصحاب المستوى الأعلى من الناس في الروحانية. ثم وضح الله سبحانه وتعالى هذا الموضوع قائلا: [وأوحىٰ ربّك إلى النَّحل أن اتّخذي من الجبالِ بُيُوتًا ومن الشجر وممَّا يعرشُون]، أي أنزل الله سبحانه وتعالى وحيه على النحل. وهذا الوحي يُحدِث تطورات عظيمة في باطنها، خلاف الذباب المحرومة من الوحي. الذباب والنحل متساوياتان ومتشابهتان في الشكل ولكن إحداها تتهافت على القذارة والنجاسة، والثانية تمتص رحيق الأزهار.

وهناك سر عميق في امتصاصها رحيق الأزهار بدل الأثمار، وذلك أن الأزهار هي بمثابة أم للأثمار، وجوهرها يبقى متواجدًا في الأزهار. وهو قوت لطيف ولا يعادلها قوت آخر من الأقوات.

وعندما نتأمل في النحل والذباب فسرعان ما ينتقل الوجدان إلى الفرق بينهما، ولقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بذلك الفرق ألا هو الوحي، وعلاقتها باللّه سبحانه وتعالى. فالناس العاديون يُرزقون رزقا طيبا، ولكنهم يصنعون منه سكرًا، وهو شيءٌ مكروه، ويحولونه إلى مواد فاسدة وقذرة. ولا أنكر بأن هؤلاء يستعملونه أحيانا كرزق طيب أيضا، ولكن ذلك نادر جدا، ولا تكون فيهم، مثل الأنعام، تلك القدرة التي تحول الرزق المعطى لهم إلى نوع أفضل من الغذاء. أما المتفوقون في الروحانية فهم يتمتعون بعلاقة قوية مع الله سبحانه وتعالى، والذين ينزل عليهم الوحي، يصلون به إلى درجة عالية في الروحانية، ووضعهم يختلف بكثير عن الناس العاديين. فالوحي هو الفارق بين النحل والذباب. فالوحي الذي رفعها من الأسفل إلى الأعلى، وأحدث ثورة عظيمة في باطن النحل، أفلا يمكن للوحي أن يغير حالة المنزل عليه؟ نعم يغيره حتما.

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى الناس بمثال النحل الذي ينزل عليه وحيه، وشبه جماعة المؤمنين بالنحل قائلا: إننا أوحينا إلى النحل بأنا نمنحك رزقا، ونعلّمكِ طريقا تحولين به ذلك الرزق إلى رزق أفضل. ولما لم يكن من المناسب أن يوضع ذلك الرزق في موضع غير نظيف، وإنما يتطلب الوقاية من التأثيرات الخارجية والفساد، فقد وصّى الله سبحانه وتعالى النحل: [أن اتَّخذي من الجبَال بُيُوتًا]، لأن جو الجبال يكون أنظف وأقل غبارا من سطح الأرض، ويعدّ من أحسن الأجواء.

ثم أضاف وإذا لم تتمكني من صنع البيوت على الجبال فاتخذي من الشجر بيوتا، لأن الجو على الشجر أيضا يكون نظيفا بعد الجبال، وعندما يصعد الإنسان على الأشجار العالية وينظر إلى الأسفل يشعر وكأنه في جو لطيف ونظيف، لأجل ذلك قال الله سبحانه وتعالى للنحل: إن لم تقدري أن تعمري بيتك على الجبال فعليك أن تبني بيتك على الأشجار.

والمكان الثالث الذي قدّره الله سبحانه وتعالى للنحل بيتا لها هو: [ومما يعرشون]، أي في عروش الكروم وفي مدّادات الزهور والنباتات المتسلّقة على الجدران، وعلى أعمدة الحدائق والعمارات العالية.

إن مضمون الرِفعة والارتقاء والصيانة هو ما ذُكر في هذه المواضع الثلاثة المذكورة. إن الله سبحانه وتعالى قد أمر المؤمنين الذين يتلقون الوحي منه، ضاربًا بمثال النحل، بأن عليكم أن تتخذوا الاحتياطات اللازمة لصيانة الوحي، وأن تضعوه في مكان عال. فلأجل ذلك ذَكر الله تعالى عن القرآن بأنه كلام سام ويُتلى على مكان عالٍ.

وكما أسلفت فإن المقصود من النحل هو تلك الأمم التي تنمو

وتزدهر على ضوء الوحي، والإلهام، ونصحهم الله تعالى قبل نزول الوحي أو القوت الروحاني المقدس بأن عليكم الاهتمام والاستعداد لصيانته والمحافظة عليه.

وبعد الاطمئنان عن صيانة الوحي أو القوت الروحاني، أمر الله سبحانه وتعالى: [ثمّ كُلي من كلّ الثمرات]. لقد ذُكرت فيها نكتة دقيقة جديرة بالمعرفة، وهي بأن الذين يدخرون أشياء غالية، ولا يهتمون في صيانتها، فإنهم يضيعونها، وعلى الإنسان أن لا يدخر الأشياء الغالية قبل الاهتمام بصيانتها، إذ من غير المعقول أن يدّخر شيئًا من جهة، ويضيعه من جهة أخرى، هذا كفران بالنعمة. ولأجل ذلك قال الله سبحانه وتعالى: علمناها أولا طريق الصيانة، ثم أمرناها [كُلي]. وهذا تماما ما تفعله النحلة في الحقيقة، وإنكم عندما تراقبون النحل ترون بأنها أولا تبني بيتها في الجبال أو على الأشجار أو في العروش أو في مدّادات الزهور، وتهتم بذلك لصيانة العسل، ثم تمتص من الزهور والأثمار غذاءها.

ثم أضاف قائلا: [فاسْلُكي سُبُل ربِّك ذُلُلاً]. لقد أوضح هذا الجزء من الآية الكريمة ما ذكرته آنفًا، بأن المقصود من النحل هو الرجال ذوو المستوى العالي في الروحانية. إن الله سبحانه وتعالى قد أنزل الشريعة للإنسان، وأرشده إلى سبيل الهداية بوضوح. وكما تعرفون فإن معنى السبيل هو الصراط الذي نطلبه منه سبحانه في سورة الفاتحة كل يوم في الصلوٰت مرارا وتكرارًا. فمعنى: [سُبُلَ ربك ذُللاً] هو سلوك التعليمات المنزلة. وإذا لم تسلكي هذه التعليمات فإنك تفقدين تلك الفائدة التي تفيدك وتفيد الآخرين أيضا. ولا يكفي بأن تأكلي الثمرات، بل عليك أن تأكليها وتمتصي رحيق الأزهار كما هداك القرآن الكريم. فهذا المثال ينطبق على النحل وكذلك على جماعة المؤمنين بنفس الوقت.

ثم قيل: [يخرجُ من بُطُونها شرابٌ مُختلفٌ ألوانهُ فيه شفاء للناس]. إن كل نحلة تمتص رحيقا من نفس الأزهار والأثمار، وبعد هضمها إياه يخرج من بطونها شيءٌ مختلف الألوان، وفيه شفاء للناس.

ويطلق لفظ شفاء في القرآن المجيد على كلام الله أيضا، وكذلك سُميت سورة الفاتحة سورة الشفاء، لأنها خلاصة القرآن المجيد. وكما أسلفت فقد ذُكر هذا المثال باسم النحل، ولكنه ينطبق على الشعوب التي تجعل كيانها حسب الوحي والإلهام، وتنمو وتتقدم بنور كلام الله سبحانه وتعالى. وينطبق هذا المثال على (جماعة المؤمنين) التي أسسها سيدنا محمد المصطفى ﷺ: ثم قيل: [إنَّ في ذٰلك لآيةً لقوم يتفكرون]. إن الله سبحانه وتعالى حينما ذكر الآية السالفة مثالا عن الأنعام، قال في نهايتها [آيةً لقوم يعقلون]، وفي مثال النحل قال: [آيةً لقوم يتفكرون]. وهنا يطرح سؤال نفسه: ما هو الفرق بين [يعقلون] و[يتفكرون]؟ أوضّح هذا الفرق على ضوء حديث الرسول ﷺ. لقد أفهمنا الرسول ﷺ مفهوم العقل بنوعين: حيث قال: «ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل»، أي يُعرف إكرام المخلوق حسب مستوى عقله. لقد منح الله سبحانه وتعالى لكل مخلوق درجة من العقل، وأثبته عليها، ووضعها في فطرته بدون سعيه وتدخله. وهذا هو النوع الأول من العقل الذي أشار إليه الرسول ﷺ في حديثه المذكور.

وعلاوة على هذا فقد حُدد لكل نفس مستوى العقل ونطاقه الذي لا تستطيع أن تتجاوزه. وإكرامها بمستوى درجة عقلها. إن حكمة عميقة قد ذكرت في هذا الحديث، وعليكم أن تتأملوا حسب هذه القاعدة في البشر، ثم في الحيوانات درجة بعد درجة. سوف تشاهدون أن كل واحد منها حصل على الإكرام حسب مستوى عقله. ولقد ألقيت ذات مرة محاضرة في جامعة موريشس حول الارتقاء (Evolution)، وتطّرقت فيها إلى أن علماء الطبيعة يحددون درجات الحيوانات بشكل آخر، ويقسمون أنواعها في أقسام عديدة، حسب تطور أجسامها ومكانتها بين مجتمعها وهيئتها الخارجية. فيوجد في بعض الحيوانات العمود الفقري، وبعضها متجردة منه، وتوجد في بعضها خلايا، وبعضها تعيش بدونها، ومثل الدود والعث والسوسة. على هذا الضوء قسم علماء الطبيعة أنواع الحيوانات أي طبق تركيب أجسامها. ولكن القرآن يرشدنا بأن نشأة العقل والوعي هو النمو الحقيقي، ويجب أن تُقسم الحيوانات طبق نشأة عقلها، وإذا تأملنا في تاريخ الحيوانات تبين لنا جليًا بأن نموّ الأجسام لم يكن ذات أهمية في قوانين الطبيعة.. وليست هنالك فضيلة للجسم على العقل أبدا. فبعض الحيوانات كانت لها أجسام كبيرة فخمة ويسمونها (الديناصور). ولا نستطيع أن نتصور حيوانا أكبر منها جسمًا، ولكن ذلك النوع من الحيوانات قد انقرض في دقائق حسب توقيت الطبيعة. وإذا يقول علماء الطبيعة بأنها قد انقرضت خلال لحظات أو دقائق، فلا يقصدون الدقائق حسب التوقيت المعروف، بل يطلقون هذه المصطلحات حسب تاريخ الحيوانات. ومن المعلوم بأن تاريخ الحيوانات ممتد على ملايين أعوام خلت. فحينما يقول العلماء (خلال لحظات) يقصدون مليون سنة أو بضعة آلاف سنة. وهذه الفترة حسب اصطلاحهم تُعَدّ من اللحظات.

وأعود إلى كلامي الأول بأن تلك الحيوانات الضخمة هلكت وانقرضت خلال لحظات، ولم يؤخذ بعين الاعتبار ضخامتها عند إهلاكها. وعندما قال الله سبحانه وتعالى في الآية المذكورة [يعقلون] أفهمنا بأن مضمون الآية يتطلب العقل لتفهمه، وأن عليكم التدبر بالعقل.

وإذا نخوض في عمق حديث الرسول ﷺ نجد مفاهيم واسعة وبليغة جدا، فلم يقصد الرسول ﷺ من العقل العقل المكتسب الذي يُكتسب بالعلم، بل العقل الموهوب من الله سبحانه وتعالى في فطرة كل نفس ولا يستطيع المخلوق أن يختاره أو يجلبه بإرادته وقوته.

ثم ذكر الرسول ﷺ النوع الثاني للعقل في حديث آخر وهو العقل المكتسب حيث قال: «ما كَسَبَ أحدٌ شيئا أفضل من عقلٍ يهديه إلى هدًى أو يرده عن رِدًى». هذا الحديث ينطبق على قسم من أقسام التقوى، وكأنه اسم واحد لشيئين. تحدَّث الرسول ﷺ في هذا الحديث عن نوعين من العقل: النوع الأول يكتسب بالعلم والجهد، ومن مميزاته بأن الإنسان يبدأ بإدراك الهداية، ولكن لا يكفي مجرد عرفان الهداية، بل إذا تقبلها وبدأ يمشي حسبها فنقول بأنه نال النوع الثاني من العقل. ومن مميزات العقل بأن الإنسان يفرق بين الخبيث والطيب، ويتجنب من الخبيث. فيطلق على هذا الوصف العقل وبمفهوم آخر هذه هي التقوى. ولتوضيح الأمر أقدم إلى حضراتكم مثالا من القرآن الكريم حيث قال: [ذلك الكتٰب لا ريبَ فيه هُدًى للمتقين]. وهذا يعني بأن هذا الكتاب مجرد من الشك والريب. ولم يكتف سبحانه وتعالى بقوله بأنه لا يوجد في القرآن ريب ولا شك، وأنه هداية للنجاة، بل أضاف: [هُدًى للمتقين]، أي إن تريدوا أن تستفيدوا من هذه الهداية فزودوا أنفسكم بالتقوى. فسيدنا محمد المصطفى ﷺ أيضا فسّر (العقل) هكذا مثل تفسير (التقوى) حيث قال: «عقلٍ يهديه إلى هُدى ويرده عن رِدىً».

ورد تفسير التقوى في موضع آخر في القرآن بمفهوم آخر بأن يجتنب الإنسان من السيئات والآثام، وكذلك وُصف في حديث الرسول ﷺ: «يردُّه عن ردًى». فحينما قال الله سبحانه وتعالى: [اِن في ذلك لآيةً لِقومٍ يعقِلون]، فكأنه أفهمنا بأن في هذا المثال آيةً للعقلاء ودرسًا لذوي الألباب الذين حينما يشاهدون شيئا جيدا فيقبلونه، وعندما يشاهدون شيئا خبيثا أو معصية يتجنبون.

وخلاصة القول بأن العقل يطلق على قدرة التميز الذي مُنح للبشر ذوي الشعور، وتتمتع الحيوانات أيضا بجزء من العقل المذكور.

أما قوله تعالى: [لقومٍ يتفكَّرون]، فأقول: لم توهب الحيوانات مثلما وُهب البشر من ميزة التفكر. وحينما ذكر الله سبحانه وتعالى مثال النحل وقال في آخر الآية [يتفكرون]، أفهمنا بأنكم لن تستطيعوا أن تدركوا مفهوم الآية بسهولة، فعليكم التوقف عند هذه الآية والتدبر فيها. ويطلق لفظ (التفكر) حينما يبدأ الانسان يتفقد شيئا ويتتبعه بفكره. وتشير القواميس كذلك إلى هذا المعنى، فحينما يتفقد الإنسان شيئا بنور العقل يقال: فلان (يتفكر). ومن الممكن أن ندرك مفهوم العقل والتفكر من (الكمبيوتر)، فهي آلة قريبة جدا من العقل. فحينما تشغلون الكمبيوتر وتطلبون منه عددا أو إيضاح شيءٍ فيدور التيار الكهربائي بسرعة داخل نظام الكمبيوتر، ويتفقد ذلك العدد أو الإيضاح المطلوب، وحينما يجدها يتوقف عندها، وينفتح منفذ الضوء، وتظهر الأعداد أو الصور بضوء الكهرباء على الشاشة. فالكمبيوتر مثل العقل، وتيار الكهرباء الذي يتفقد في داخله هو بمثابة (التفكر). فالعقل له المرتبة الأولى، والتفكر له المرتبة الثانية.

وإن القرآن الكريم خاطب الناس الذين يشاهدون أمورا عادية ولا يهتدون قائلا: [أَفَلاَ تعقلون]، وقال عنهم في موضع آخر [صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقِلون]. (البقرة: ١٧١). إن الله سبحانه وتعالى ذكر أمورا عادية آملا بأن الناس حينما يدرسونها سوف يهتدون بها، وإذا كان بعض الناس يمرون عليها بدون أن يهتدوا فإنه تعالى نبّههم قائلا: [أفلا تعقلون]. وأضاف بأن هذه الأمور العادية لا تتطلب منهم (التفكير العميق) لاستيعاب الهداية. وإذا لم يهتدوا بها فتصبح حالتهم مثل الصم، البكم، العمي. وبالرغم من أن الحواس الخمسة متواجدة فيهم ولكنها أصبحت معطلة وصدئة.

وكما أسلفت فإن الله سبحانه وتعالى استعمل لفظ (التفكر) للمضامين العميقة والدقيقة، وأينما ورد في القرآن (التفكر) فمطلوب من القارئ هناك التفكير العميق والدقيق، وعلى سبيل المثال قوله تعالى: [أَوَلَمْ يتفكروا ما بِصاحبهم من جنةٍ]. (الأعراف: ١٨٥). إذا كان بعض الناس لم يستوعبوا صدق النبي ﷺ من المظاهر البارزة، فلماذا لا يُشغلون (تفكرهم) لإدراك صدقه. فعليهم أن يتفكروا في أن علامات المجانين غير موجودة فيه. وكذلك فإنه حينما كان يبلغ كلامه ورسالته إليكم كان يتحمل الإساءة والخسائر، ويتلقى الضرب، ويسمع الشتائم، ويواجه الصعوبات والإهانات منكم، ورغم ذلك كان يستمر في إبلاغ رسالته بالصبر، ولم يتوقف أبدا. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل هذه أوصاف مجنون أم أوصاف رجل ذكي عاقل وثابت على الحق. ولو لم يكن هو بالرجل الذكي العاقل لما قدم إليكم كلاما بليغا وفصيحا. فهذه المقارنة تتطلب منكم التفكر.

إن الله سبحانه وتعالى خاطب الناس بهذه الآية وقال: إنكم تعرفون جيدا بأن محمدا ﷺ رجل عاقل فهيم، وهل يليق به أن يختلق الافتراء، وبعد الافتراء يتحمل مصيبة على مصيبة من الأعداء، ولا يتخلى عنه. فكل ذي عقل يستنتج من هذه الأوصاف أنها ليست بصفات مجنون، ولكنه رسول صادق وقائم على الحق.

لقد أدركتم هذا المضمون بعد التفكر والتأمل في الآية المذكورة،

ولأجل ذلك استعمل الله سبحانه وتعالى لفظ يتفكرون، تشجيعا للتفكر فيها.

وأيضا يقول الله تعالى:

[كذلك يُبينُ الله لكُم الآيٰت لعلّكم تتفكرون في الدنيا والآخرة]. (البقرة: ٢٢٠ و٢٢١). أي ليس من الميسور أن تستوعبوا مضمون الآخرة بسهولة، لأنه يتعلق بالغيب والعالم الآخر، فبإمكانكم استيعابه بالتفكر في الدنيا الموجودة أمامكم. ولا يكفي الاستيعاب بالعقل وحده، بل المفروض متابعته بالتفكر.

المثال الثالث بهذا الشأن هو قوله: [لوْ أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعًا مُتصدِّعًا من خَشيةِ الله وتلكَ الأمثالُ نضرِبُها للناس لعلَّهُمْ يتفكَّرون]. (سورة الحشر: ٣٣. علينا أن نتوقف برهة ونتأمل في قوله تعالى: [تلك الأمثال نضربُها للناس لعلَّهم يتفكرون]، لندرك أننا لا نستطيع استيعاب مضامين الآية بدون التفكر، لأن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: كيف ينزل القرآن على جبل وكيف يتصدع ويتقطع بنزوله. وبما أننا لا نستطيع أن نشاهد تحقيق هذا المضمون بالبداهة، لذلك نصحنا الله سبحانه وتعالى بالتفكر والتدبر فيه.

وأعود إلى تفسير الآية عن النحل. لقد فهّمنا الله تعالى بأن (التفكر) في مضمون الآية مطلوب منكم، وحينما تخوضون في عمق الآية بقيادة العقل والتفكر تدركون مفاهيمها الدقيقة، وننبهكم بأن لا تتلوها تلاوة عابرة، وإنما عليكم التوقف والتفكر فيها واستيعاب الرسالة الكامنة فيها وتفهمها.

لقد أُلِّفت كتب قيمة عن النحل، وكنت أود أن أقدم إلى حضراتكم تفاصيل النحل على ضوء تلك الكتب لتتفكروا، ولكن وقت الخطبة قصير ومحدود، لذا لا أستطيع الخوض في تفاصيل النحل، وأوجلها إلى وقت آخر، وإذا وفقني الله تعالى فسألقي عليها الضوء في المستقبل. وهنا أريد أن أقول بأن جماعة المؤمنين هذه المكونة من أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية قد حظيت بالتربية تحت ظل الوحي، وتعلمت التعاليم الربانية بالإلهام، وبدأت تعمل وتمشي حسبها، متجنبة الكبر والأنانية، ومتحلية بالتواضع، وبدأت تسير دونما اعتراض على السبل التي حدّدها لها ربُّها. وبفضل هذه الخصال الحميدة تلقت رحيقا روحيا كقوت لها. وبعد الحصول عليه تبذل كل جهد لتحسينه. كما قلت فمضمون هذه الآية التي طُلب منا التفكر لفهمه ينطبق أيضا على المؤمنين، لأنهم حينما ينالون رحيقا روحيا (أي نقاط روحانية) لا يتركونه كما هو، بل يتفكرون فيه، ويصقلونه، ويصنعون منه شيئا جديدا هو بمثابة عسل روحاني، ثم لا يستفيدون منه بأنفسهم فحسب، بل يستفيد منه الآخرون كذلك. وفيه شفاء عظيم لأمراض الناس الروحانية.

ونحن على يقين تام بأن الجماعة التي ذُكرت في هذه الآية، أُسستْ حسب نبأ القرآن على يد سيدنا محمد المصطفى ﷺ في الأميين، وفي العصر الحاضر في الآخرين، أي الجماعة الإسلامية الأحمدية. ومن الضروري بأن يعوِّد أفرادها أنفسهم على التفكر في الأمور الروحانية. عندما تفكرون في شيءٍ فعليكم أن تتفكروا على ضوء الوحي والإلهام، وليس بمشاعر الكبرياء. لأنه إن لم يتخلَّ المرء عن مشاعر الكبرياء، وبدأ التأمل في آية من القرآن الكريم، فمن الممكن بأن تخدعه نفسه، وليس من المستبعد أن تنشأ فيه أفكار شيطانية بسبب الكبرياء، فيستحيل عليه عرفان القرآن الكريم بالمعنى الحقيقي. ولقد ذُكرت لنا في الحقيقة رسالةٌ هامة في قوله تعالى: [فاسلُكي سُبُل ربِّكِ ذُلُلاً].. بأنكم لن تسطيعوا أن تستوعبوا المفاهيم الروحانية متكلين على أنفسكم فقط، بل عليكم أن تسلكوا سبل التواضع والتذلل، وتحسبوا أنفسكم لا شيءٍ محضا، وتتبعوا تعليمات القرآن وسنة محمد ﷺ، ثم عليكم بالتفكر والتدبر فيها، واجترارها كما يجترُّ البعير أكله، لأن الاجترار الفكري هو مفهوم التفكر. ثم عليكم باستمداد النور من العقل مع التقوى. وكما أسلفت، فإن المقصود هنا من العقل حسب حديث الرسول ﷺ هو التقوى. ومعنى التفكر أن يتتبع الإنسان المضامين بنبراس العقل. فعليكم أن تبحثوا عن النقاط الجديدة بمصباح العقل، وإذا وجدتموها فعليكم أن تستغلوها لفائدة البشرية، لأن فيها شفاء للناس. وكل واحد منكم مصبوغ بصبغة مختلفة عن أخيه، وكل واحد يتمتع بالعقل والفكر بمستوى مختلف عن الآخر. كلكم تمتصون رحيقا من مصدر واحد، وهو تعليمات القرآن المجيد والرسول ﷺ، ولكن تأتون منها بمضامين جديدة مختلفة الألوان، فيها شفاء للناس. وإن الجماعة الإسلامية الأحمدية تمتص رحيقا من القرآن الكريم ومن كلام الرسول ﷺ. هذا هو سر طاقتها وقوتها. وكل فرد منها يجب أن يتفكر بالتواضع متجنبا الكبرياء، واضعا ثقته على نور الوحي، وليس على نفسه.

وحينما نتأمل في الماضي لإدراك مضمون الوحي، نجد بأن بعض الناس العاديين وهم من المحدّثين قاموا بعد نزول الوحي وعملوا حسب الوحي كما كان مطلوبا منهم، ثم ترقُّوا في التفكر والتأمل، فقام من بينهم بعض الرجال الذين تلّقوا الوحي مباشرة من الله سبحانه وتعالى. والذي وصل إلى هذا المقام، أصبح علمه كاملا. فمثل هؤلاء صنعوا العسل لشفاء الناس. وكثير من علماء المسلمين تأملوا في القرآن الكريم والأحاديث، وكتبوا كتبًا قيمة، ولكن الشفاء والجمال والرائحة العطرة التى نجدها في كلام سيدنا أحمد عليه السلام بفضل الوحي لم نجدها في كلامهم.

فالمطلوب منكم أن تترقوا إلى هذا المقام الرفيع، كي تدخلوا في

زمرة أصحاب الوحي. وحينما تدخلون في تلك الزمرة يوضع الشفاء في كلامكم، وتتصبغ أقوالكم بصبغة جميلة.

لقد ذكرتُ مثال النحل وقلتُ لكم بأن هذا المثال ينطبق على الجماعة الإسلامية الأحمدية من نواحٍ عديدة. إن النحل تدور على الزهور، وتمتص رحيقا، وتصنع منه العسل. ومن المعلوم بأن العسل له أنواع عديدة وتأثيرات متنوعة. وعندما تأكل النحل هذا العسل تصنع غذاء آخر، يسمونه العسل الملكي (Royal Jelly)، والنحلة بنفسها تأكل قليلا من العسل الملكي ومعظمه يُقدم إلى ملكة النحل التي لا تأكل العسل العادي الذي يُصنع من رحيق الزهور، بل تعيش على العسل الملكي فقط، الذي يولّد فيها قدرة غير عادية على أن تلد أولادا كثيرين.

وينطبق هذا المثال بعينه من هذه الناحية على الجماعة الإسلامية الأحمدية. إن أفرادها يتفكرون في كلام الله سبحانه وتعالى، وفي أمور دنيوية أخرى، ويمتصون منها رحيقا، وينالون منها العقل والفهم. وكأنهم يصنعون العسل، ويستفيدون منه بأنفسهم، كما يفيدون الآخرين. كلما وجد أحدهم نكتة ممتعة يرسل إليَّ عن طريق الرسائل أو يذكرها عند اللقاء. والنكات التي أقدمها إلى حضراتكم إنما هي خلاصة الهدايا المرسلة من طرفكم، وأنا بدوري أوزعها بينكم مرة ثانية. وهذا المثال ينطبق على كل خليفة من خلفاء سيدنا أحمد عليه السلام. فالخلفاء لا يمنحونكم كنوزا روحانية فقط، بل ويستلمونها منكم أيضا، وتصل إليهم من مختلف أنحاء العالم نقاط لا تصل إلى كل واحد منكم مباشرة، فتصل إلى الخليفة خلاصة عقول أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية ولُبُ أفكارهم.

وإذا كتب إلي أحد من أفراد الجماعة نكتة علمية، فلا يخطر في بالي أنه رجل عادي لا يجوز له أن يكتب إلي تلك النكتة، وإنما أعتبر رفضها فسقا وكبرا. أحيانًا يرسلها إلي بعض القرويين والأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ،فيطلبون من الآخرين أن يكتبوا أفكارهم إلى الخليفة، وأحيانا يكتب هؤلاء القرويون من نكات المعرفة ما يدهش الإنسان، وحينما أقرأها أغتبط جدا، وأستفيد منها. فعليكم أن تدركوا جيدا بأنكم حينما تصنعون (العسل الملكي)، وترسلون إلي الخليفة فإنه يستمد منه قوة وطاقة روحية. لذلك أنصحكم أن ترسلوا ملخص أفكاركم إلى الخليفة. وهذا يجلب عليكم فائدة مزدوجة، فعندما يشعر الخليفة بأي خطأ في نكاتكم وأفكاركم ينبهكم إلى الخطر، ويخبركم بأن تلك النكات ليست حسب [سُبُلَ ربِّكِ]، ويحذركم بأن لا تمتصوا الرحيق من تلك الزهور السامة، وأن لا تصنعوا منها شيئا، لا لأنفسكم، ولا لغيركم. مع العلم أن النحل أحيانا تمتص رحيقا من الزهور السامة، ولا تظنوا بأنها دائما تمتص من الزهور الجيدة.

فعلينا أن نأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، لأن آية النحل تتحدث عن العبرة. بين الله سبحانه وتعالى بأن النحل تصنع أحيانا عسلا ساما، مضرًا للناس، بل وفي بعض الظروف يكون مُهلكًا. ولقد فحص الخبراء هذاالموضوع، وعرفوا تلك المناطق التي توجد فيها تلك الأخطار. وكما تعرفون فأغلب الأحيان يكون العسل شفاء للناس، ولكن، كما أسلفتُ، فمن المحتمل أن يمتص بعض الإخوان سمًا عوض العسل خطأ . لذا أنصحكم أن تظلوا دائما تحت ظل الخليفة الرقيب عليكم.

ثم المطلوب منكم أن لا تقدموا أمام الخليفة كل أفكاركم، بل تقدموا (العسل الملكي) فقط، أي ملّخص أفكاركم، وفيه حكمة هامة، لأنه إذا تقدم كل واحد بأفكاره أمام الخليفة مفصلا، فلا يتمكن الخليفة من أن يفكر في أمور أخرى. نقول اليوم بأن عدد أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية في العالم هو عشرة ملايين، وسوف يزداد هذاالعدد في المستقبل إن شاء الله، إلى ألف أو ألفي مليون. فإذا بدأ كل واحد منهم بكتابة أفكاره إلى الخليفة حتى وملخص أفكاره فقط، فلن يتمكن الخليفة حتى من أن يلقي نظرة عابرة وخاطفة على رسائلهم.

فعليكم أن تتعلموا درسا من عملية تقديم (العسل الملكي). فأولا تأملوا في نكاتكم وأفكاركم جيدا، وبعد التأمل إذا أدركتم منها نكتة هامة جديرة بأن تُرسل إلي الخليفة، فأرسلوها إليّ. وأنا أفحصها، فإن وجدت فيها خطأ، أو شعرت أن فيها شيئا من السموم، أنبهكم وأفهمكم الحقيقة. هذا دأبي وأسلوبي، فبعض الناس يكتبون إلي أحيانا نكتة تنُمُّ عن معرفة وعرفان حسب زعمهم، وأنا أحس أن فيها السم، وأشعر أن فيها خطرا لهم، وأعرف بأن هؤلاء الناس إذا لم يتجنبوا أفكارهم الخاطئة سوف تؤدي بهم إلى الهلاك. فأحذرهم منها بحب ورفق، وبعد أن يتلقوا جوابي أجد من غالبيتهم ردود فعل إيجابية، وليس سلبية إلا ما شذ وندر. فيشكروننني ويدعون لي على هذا التوجيه إلى الصراط المستقيم قائلين: لقد شعرنا بخطئنا، وإننا تائبون ومستغفرون.

أعزائي!! كان هذا هو المضمون للآيات المذكورة التي استمعتم في مستهل الخطبة. وأقول لكم بأن هذا الموضوع طويل، لا أستطيع حصره الآن. وأعتقد بأنني وضحتُ جزء من الأمور الهامة التي ذُكرت في الآيات المذكورة. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا أن نتفكر في هذه المضامين أكثر من ذي قبل، وأن يصبح كل واحد منا النحلة التي تسلك سُبلَ ربها ذُلُلا، ونمتص من الثمرات الروحانية رحيقا، ونصنع منه العسل شفاء للناس، وليس سَكَرًا مضلا لهم. آمين.

أخبار الجماعة في باكستان

رسائل الإخوة المضطهدين من باكستان

إعداد: رشيد احمد شودرى
سكرتير الإعلام بالجماعة

١. ما برح العدوان على أفراد الجماعة الإسلامية ومتعلقاتهم مستمرا في قرية تشك سكندر على يد محمد أمير وعصابته الإجرامية، بالرغم من تواجد الشرطة في القرية. (لعلنا نذكر أن هؤلاء هم المسؤولون عن جرائم القتل والنهب والاعتداء في القرية يوم ١٦، ٧، ١٩٨٩، حيث أحرق ما يزيد على ١٥٠ بيتا من بيوت المسلمين الأحمديين، وقتل رميا بالرصاص ثلاثة من الأحمديين؛ منهم طفلة عمرها عشر سنوات). وكان معظم الباقين في القرية بعد الحادثة من النساء والأطفال. وأصبح على هؤلاء الأحمديين أن يتحملوا وابل الإهانات من محمد أمير، الذي يقذف من خلال مكبر الصوت شتائم بذيئة قذرة ضد حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية (عليه السلام) في خطبة يومية له. وأخذ يقول: «إذا كان مرزا غلام أحمد صادقًا في دعواه، فلما لا ينزل الله لعنته عليَّ، وقد فعلت كل ما بوسعي لسحق متبعيه؟ أقسم بالله أن المرزا القادياني نبي كاذب، وأن الحركة الأحمدية باطلة. ولو أنهم على الصراط السوي لأنزل الله بي عقابه. أنظروا! إني لا زلت بالقرية والأحمديون مطرودون منها، وصاروا محط سخط الله. هذا ما يذيعه محمد أمير يوميا.

لقد فُصل أغلب الأحمديين من وظائفهم بسبب عقيدتهم. ومن لا يزال يعمل يلقى التخويف من الملات. كثير من الأحمديين يتعرضون لهجمات عدوانية في الطرقات، ويتلقون رسائل ونشرات ومواد أخرى من الملات حافلة بالسباب والمزاعم الكاذبة ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية. ويشارك مسئول شرطة كهاريان، راجا محمد رياض بدور فعال في الحملة العدوانية ضد الجماعة، فهو يساند ويشجع محمد أمير في جرائمه.

في الشهر الماضي، عندما ماتت جدتي (أمينة بيبي) في قرية بالقرب من (لا لا موسى)، ولم تكن من الأحمديات، أصدر محمد أمير تهديدا بأن كل أحمدي يتجاسر على زيادرة أسرة المتوفاة سيعاقب بالقتل ونهب البيت الذي يزوره. كما أن زعيما زائفا للقرية يدعي غلام سرور، وهو صديق لصيق لمحمد أمير، أعلن بدوره أن كل أحمدي يحاول دخول القرية سيقتل بالرصاص. وهكذا مكث محمد أمير وعصابته بالاشتراك مع الشرطة ثلاثة أيام بالقرية كي يتأكدوا ألا يدخلها أحد من الأحمديين زائرا. ونتيجة لموقف المعارضين المقيت هذا لم نتمكن حضور جنازة جدتنا. (رياض أحمد، تشك سكندر).

٢. يواجه المسلمون الأحمديون في تشك سكندر مصاعب كبيرة في أمور حياتهم اليومية. العائلات مشتتة، والرجال لا يزالون محرومين من العودة إلى بيوتهم وعائلاتهم. وأقامت الشرطة مركزا دائما لها في القرية. وهم يفتشون كل زائر تفتيشا دقيقا. والإذن بدخول القرية في يد المدعو محمد أمير، وهو المجرم الآثم المسئول عن سفك الدماء والتدمير الذي حدث. ومن زمن قريب عاكس اللئام امرأتين من المسلمات الأحمديات وأمرهما بالرحيل عن القرية. (الكاتب السابق في رسالة أخرى).

٣. مضى شهران ونحن بلا بيت. الموقف في قريتنا صار من سيئ إلى أسوأ. كل ما تركناه وراءنا في بيتنا بعد اعتداء الملات يوم ١٦، ٧، ١٩٨٩ نهبوه على مرات متتابعة بعد ذلك. المغرضون يخططون الآن لاحتلال أراضينا وممتلكاتنا المتروكة في القرية. (بهاول بخش، تشك سكندر، واللاجئ حاليا في ربوة).

٤. لي ثلاثة أولاد: مظفر أحمد، مبشر أحمد وعبد الرحمٰن؛ جميعهم في الحبس، وأنا رجل مسن بلغت ٧٣ عاما. وهناك أيضا قضية مرفوعة ضدي. إبناي مظفر وعبد الرحمان موظفان حكوميان، وكانا في الخدمة عندما وقع الهجوم العدواني على القرية، ومع أن الإدارة التي يتبعانها شهدت بذلك إلا أن الشرطة لم تفرج عنهما بعد.

حاول المعارضون القضاء علينا كلية. لقد أقاموا دعوى قضائية ضد ٢٤ من جماعتنا. قبضت الشرطة ١٨ منهم، وهم يفتشون عن الآخرين بما فيهم شخصي. والعدالة في باكستان عجيبة. لقد قتل أعضاء الجماعة، ونهبت بيوتنا وأحرقت، والشرطة تلقى القبض

علينا نحن الضحايا، أما القاتلون الناهبون المعتدون فلا يزالون على راحتهم، على الرغم من شكوانا المسجلة ضدهم. قدمنا لهم ٤٥ اسما من المعتدين، فلم يعتقل واحد منهم!

إن بي رغبة شديدة أن أسجن في سبيل الله، ولا أستطيع ذلك فليس للنساء والأطفال من يرعاهم بعدي؛ كل الرجال في السجن. لقد قاست الجماعة الأحمدية خسائر شديدة. أما عن خسارتي في الممتلكات الشخصية فقد بلغت أكثر من مائتي ألف روبية.

لقد تأثر بالعدوان ٢٥٦ مسلما أحمديا ينتمون إلى ٣٢ أسرة. أما الذين طردوا من بيوتهم واضطروا للبحث عن ملجأ يبلغ عددهم ١٥٠ أحمديا.

ولقد قتل ثلاثة من أعضاء الجماعة رميا بالرصاص. وعند نقل جثثهم إلى مدينة (ججرات) أرسلنا معهم عددا من الصبيان الأحمديين لا يتجاوز عمر أحدهم ١٦ عاما، للأسف أنهم أيضا اعتقلوا هناك. لم تدع الشرطة حتى الصبية ليفلتوا من مظالمهم.

أفلت منزلان يخصان ميان عبد الرزاق وعبد الخالق فلم يمسا بسوء خلال عدوان شهر يوليو، وكان ذلك بطريق المصادفة، ولكن المجرمين قاموا بنهبهما بعد ذلك. ولا يزال محمد أمير وعصابته الأشرار التي تضم ١٦ مسلحا يطوفون بالقرية ويرتكبون الإساءات ضد الأحمديين وممتلكاتهم. ولا تلقي الشرطة بالا نحو هذه الأنشطة المشينة الشنيعة. (شودري حكيم علي، تشك سكندر).

١٥. مع أن عائلتي كانت من أكبر وأكثر العائلات احتراما في تشك سكندر إلا أنها كانت أول هدف للأعداء، فنهبوا كل ممتلكاتنا الدنيوية وأحرقوا منازلنا. وفقدت عائلتنا اثنين ممن يعولونها، والباقون في الاعتقال. ونتيجة لذلك لم يعد للأسرة رجل يرعى الأطفال والنساء الذين لا يزالون مقيمين عند أقاربهم. ومع أن الشرطة ما برحت في القرية إلا أنه لا يستطيع أي أحمدي أن يدخل القرية. (عظمة علي شودري، مقيم الآن في ألمانيا الغربية).

١٦. الملا في القرية يخطب كل يوم، ويتكلم عن الجماعة الإسلامية الأحمدية ومؤسسها بلغة غاية في القذارة والدنس. ويستخدم جهازا قويا لتكبير الصوت بحيث نسمعه حتى لو كنا داخل بيتنا. (قمر النساء بنت مولوي عبد الخالق، تشك سكندر).

١٧. ذات يوم كنت أوزع الطعام على عائلات المسلمين الأحمديين في تشك سكندر الذين لجأوا إلى ربوة بعد عدوان ١٦، ٧، ٨٩، فشاهدت طفلا ابن سنتين يبكي بشدة. فأخذته أمه في حضنها وحاولت تهدئته، ولكنه استمر في بكائه. سألت الأم عما إذا كان الطفل يحتاج إلى طعام يأكله، فسكتت ولم تجب على سؤالي. كان علي أن أوزع الطعام على ٤٠ امرأة وطفلا، فلما انتهيت من مهمتي وجدت الطفل لا يزال يبكي ولم يقرب الطعام أبدا. أتيت الأم وسألتها مرة ثانية إذا كانت ترغب في أن أحضر للطفل شيئا. كنت أريد التعرف على ما يكربه. أخبرتني أمه أنها أرملة رفيق أحمد ثاقب، شهيد تشك سكندر العظيم، وأن الطفل يصر على ألا يتناول طعاما إلا في حضور أبيه إلى البيت. فتعجبت لروح التضحية والثبات عند هؤلاء النسوة المسلمات الأحمديات.

سيدة أحمدية أخرى أخبرتني أن طفلتها نبيلة أصيبت بطلق ناري أثناء اندفاعنا خارج المنزل المحترق، وأخذت الطفلة تبكي من العطش لساعة ونصف الساعة، ولكن الوحوش القاسية لم تسمح للطفلة المحتضرة بقليل من الماء حتى أسلمت الروح ونحن لا نستطيع أن نفعل لها شيئا.

وأخبرتني أخت الشهيد نذير ساقي أنه دافع عن بيته من فوق البيت وكان يرد على طلقاتهم حتى ردهم، وفشلوا في تحقيق غرضهم. وجاء الشرطة وأمروه أن ينزل، فتباطأ أول الأمر، ثم عاد يقول: إن سيده حضرة خليفة المسيح أمر بطاعة أولى الأمر. وما أن نزل الشهيد حتى أردوه قتيلا برصاص الشرطة في الأغلب. وبينما كان يموت نطق بالشهادتين قائلا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، (وكان دائما يود أن يموت شهيدا)، ثم أوصى أن يدفن في ربوة، ثم لقي ربه. (صفية عزيز، مسئولة الرعاية بعائلات تشك سكندر، واللاجئة حاليا في ربوة).

١٨. كنت أقطن في تشك سكندر، وعندما أحرق معارضونا بيوتنا وطردونا من القرية جئت إلى كهريان لأعيش مع جدي. الملاة يدبرون لنفس المأساة هنا في كاريان أيضا. (إكرام الله، تلميذ في مدرسة ابتدائية، كهاريان).

١٩. اتهموني أنا وأخي ووالدي المسن بالتورط في قتل أحد المعتدين خلال العدوان على منازل المسلمين الأحمديين يوم ١٦، ٧، ١٩٨٩. فاعتقلتني الشرطة على الفور، وأخذوني إلى مخفر شرطة كهاريان. بعد ذلك توجه بعض الأوغاد إلى مزرعتنا، وأمسكوا بوالدي، وجاءوا به إلى القرية، وهم يضربونه ويركلونه طوال الطريق. ثم طالبوا بأن يسلم أخي الآخر للشرطة، وأخبروه أنه سوف يقاسي أيضا إذا لم يتبرأ من عقيدته. تسلل والدي من القرية واصطحب معه النساء والأطفال، ولا يزال مشردا. وانتهى المطاف بنا إلى السجن مع ١٧ أحمديا آخرين. وادعت الشرطة أن المعتدي الهالك قد قتل بقذيفة أطلقتها، وأن المعتدي الجريح أصيب بقذيفة من أخي مبشر أحمد.

ويبدو أنهم لا يبالون بالبحث عن المسئول عن قتل الأحمديين: رفيق أحمد ثاقب ونذير ساقي والبنت ذات العشر سنوات «نبيلة». ولم تعتقل الشرطة شخصا واحدا من مناهضي الجماعة مع أننا تعرفنا على كثير منهم. والسبب وراء ذلك أن ضابط شرطة (ججرات) منحاز إلى الملات، وينفذ تعليمات رؤسائه. ولقد أرسل المعارضون رسالة إليّ عن طريق بعض أقاربي أن بوسعي النجاة بحياتي إذا ما تبرأت من عقيدتي. ولكنني لا

أحفل بقولهم، وأفضل أن أضحي بحياتي في سبيل الحق على الكذب. (مظفر أحمد، سجن ججرات).

١١. كنت أسير إلى تشك سكندر قادمة من قرية (دوريا) المجاورة، فشاهدت خارجها رجالا مسلحين كثيرين. سألت أحدهم عما حدث فقال: إن الناس يتجمعون لمشاهدة «تناطح الكباش». دخلت القرية، وبينما كنا نتناول الطعام جاءت مظاهرة إلى باب بيتنا وبدأ إطلاق النار. أضرموا الحريق في البيوت، وكان بيت جارنا الأحمدي مشتعلا، فأسرعنا نتسلق السطح إلى بيت أحمدي آخر، فوجدناه قد أخلي من سكانه، فاختبأنا في المطبخ. ولما أحرقت الغوغاء هذا البيت أيضا سارعنا إلى بيت جار غير أحمدي ولكنه رفض أن نجد عنده الملجأ من العدوان والنيران. فعدنا نتسلق السطح ونزلنا في بيت آخر غير أحمدي، فآوانا حتى حلول الظلام، ورافقتنا سيدة البيت إلى خارج القرية، وقالت للمسلحين الذين كانوا يبحثون عن الأحمديين بأننا بعض أقاربها. وهكذا كتبت لنا النجاة من هذه المذبحة. (حليمة نصيرة، من كراتشي، تصادف وجودها في تشك سكندر يوم العدوان).

١٠. كل مسلم أحمدي يسكن القرية يقاسي، حتى الشرطة كانت تطالبنا بالبراءة من عقيدتنا الأحمدية، وأن نصلي خلف محمد أمير، وأن نقسم بأننا لم نعد أحمديين، وأن نتلفظ بقول بذيء دنس ضد حضرة مؤسس الأحمدية. ولم يسمحوا للعائلات التي غادرت القرية بالعودة إليها. ومن يجازف منهم بذلك يضربه الأنذال ويطردونه. وكل ما تركه الأحمديون في بيوتهم نهبوه مرة بعد مرة. ولم يسمحوا لأي أحمدي أن يرعى مزرعته. (السيدة فاتح بيجوم، من تشك سكندر).

من أخبار فيصل آباد

في العاشر من أبريل ١٩٨٩، قاد المتعصبون المتعطشون للدماء عصابة من الغوغاء وتوجهوا للهجوم على قرية تشك GB ٥٦٣، محافظة فيصل آباد. كانت إحدى السيدات الأحمديات، وتدعى كوثر ناهد، على وشك أن تضع وليدها. وكانت ترقد في فراشها وحتى أتاها المخاض. كان الوقت عقب الغروب عندما لاحظت أن غرفتها بدأت تمتلئ بدخان كثيف. كان البيت كله يحترق. تحاملت السيدة على نفسها، وغادرت البيت في الوقت المناسب، ولم تدرِ أين تذهب. دعاها جارها غير الأحمدي إلى بيته في عطف.

وبينما كانت السيدة راقدة تستشعر القلق على سلامة أسرتها لاحظت أن أوجاعها قد خفت واستراحت. وبعد يومين وضعت طفلا صحيحا، وبعد أن حمدت الله وشكرته على ما وهبها من صبي، قامت بدورها فوهبته للجماعة الإسلامية الأحمدية ليخدم الإسلام في نظام «وقف نو» (أي الوقف الجديد) كما نذرت من قبل.

قلق الأحمديين بشأن انتهاك الحرمات

كتبت جريدة (الأمة) اللاهورية في عددها الصادر يوم ١٩، ٦، ١٩٨٩: لاهور، لمراسلنا: أعرب سكرتير الجماعة الإسلامية الأحمدية في لاهور السيد راجا غالب عن قلقه بشأن انتهاك مراكز الصلاة للجماعة، وطالب الحكومة لتكوين لجنة يرأسها قاض من المحكمة العليا للتحقيق في هذه الوقائع، وادعى أنها مؤامرة لدفع الجماعة القاديانية نحو العنف.

وفي مؤتمر صحفي بفندق محلي يوم الأحد، قال راجا غالب بأن بعض من وصفهم بالأصوليين الدينيين المتعصبين هاجموا مراكز لصلاة القاديانيين في منطقة مغل بورا، وأزالوا الكلمة من على الجدران (أي شهادة الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله) التي يزعم المعارضون أن وجودها في مساجد الأحمديين تحرق قلوبهم وتجرح مشاعرهم!

وقال: قبل وقوع هذه الحادثة بيوم واحد، عقد المولوي منظور أحمد شنيوتي اجتماعا مشبوها في المنطقة حرض فيه غير الأحمديين ضد الأحمديين. وأضاف: ومع أننا أخبرنا الشرطة قبل الحادثة بيوم، إلا أنهم لم يظهروا في موقع الحادث المؤسف ولمدة طويلة بعده. وقال: لقد وقعت أحداث مماثلة من قبل هذا في سارجودا وسيالكوت وننكانة صاحب وفي أماكن أخرى بالمدينة، ولكن الحكومة لم تبد أي اكتراث لها.

ملاحظة: الجريدة تسمى مساجد الأحمديين «مراكز صلاة» لأن القانون الغاشم الذي أصدره الدكتاتور الهالك ضياء الحق يحظر إطلاق اسم مسجد على مساجد المسلمين الأحمديين، ولكنها مساجد على منوال المسجد النبوي في المدينة المنورة الذي أسسه النبي محمد المصطفى ﷺ لعبادة رب الإسلام ومنزل القرآن عز وجل، وستبقى مساجد لله تعالى، يذكر فيها اسمه المسلمون الأحمديون بالغدو والآصال، رغم أنف الأعداء.

في الطريق وكان من شدة شعوره بذلك انه استصعب لبس حذائه، فسار بخطى حثيثة برفقة بعض اصحابه، وكان منشى ظفر احمد منهم.فاسرع حضرته حتى لحقهما على مسافة ميلين ونصف ميل من قاديان، وألح عليهما في تودو واعتذار بأن يرجعا الى قاديان. وقال لهما لقد شق علي مغادرتكما. وطلب حضرته إليهما ان يركبا العربة وانه سيصحبهما ماشيا، لكنهما استحيا من الركوب. فرافقهما حضرته الى قاديان، وعندما بلغا دار الضيافة تقدم حضرته بنفسه لحط متاعهما من العربة، لكن اصحابه سبقوه الى ذلك. فجلس إليهما وحدثهما في تودد وعطف وسألهما عما ترضيان من الطعام او اي لون منه تعتادانه. وظل يتحدث إليهما حتى أتاهم الطعام. وفي اليوم التالى عندما أخذا في الأهبة للرجوع طلب حضرته كأسين من الحليب، وقدمهما اليهما بغاية الاحترام، ورافقهما ماشيا ميلين ونصف ميل. ان المستوى العالى للتودد والتواضع واكرام الضيف والمشاعر الأخوية الذى يتجلى في هذا الحادث، لغني عن التعليق او التوضيح.

وهناك حادث آخر يتصل بالتودد الى الفقراء واكرامهم وهو من اعز الحوادث التى تزيد الانسان ايمانا.

يروى منشي ظفر احمد نفسه، أنه حدث مرة ان حضرته كان جالسا مع بعض الضيوف على سطح المسجد المبارك، وكان ينتظر تناول الطعام معهم. وكان من بينهم رجل احمدى فقير اسمه «نظام الدين»، وكان لباسه رثا باليا. وبينما كان حضرته كذلك، اذ جاءه بعض الضيوف المحترمين، وجلسوا بقرب حضرته، فاضطر السيد نظام الدين للتأخر حتى بلغ موضع النعال. عندئذ حضر الطعام، فأخذ حضرته طبقا من الطبيخ وبعض الارغفة، وكان حضرته قد رأى ما جرى للسيد نظام الدين، ونادى السيد نظام الدين قائلا: «تفضل نأكل في داخل البيت». فدخل به حضرته في غرفة مجاورة للمسجد وأكلا معا من طبق واحد، كان السيد نظام الدين يهتز سرورا وانبساطا، وكان الذين اضطروا للجلوس في الوراء ضاقت عليهم الأرض ندما.

ان الدرس العظيم الذى يتبين من هذه الرواية الطريفة النادرة، والذى يقضى على التكبر والتطاول ويثير مشاعر الانسانية والمساواة والاخوة واكرام الفقراء، ليسمو عن شرح وتعقيب.



التفسير، بقية

ظننت أنه سيورثه» (الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار).

وأفضل طريق لإهداء الهدية هو الضيافة، كما ذكره القرآن عند الحديث عن ضيوف إبراهيم ولوط عليهما السلام.

الأسف أن المسلمين قد تغافلوا عن هذا الأمر الرباني أيضا، وخاصة في المدن، مع أن الرسول ﷺ قد حث على ذلك لدرجة أنه اعتبر إكرام الضيف حقًا له، وقال بأنه إذا قصّر أهل قرية في أدا هذا الحق فيمكن إجبارهم على أدائه.

مع العلم أن الهدية ليست من أنواع الصدقة، وإنما هي وسيلة للتعبير عن الأخوة الإسلامية، وأساس هام لرقي الحضارة والمدنية.

والخلاصة أن قوله تعالى: [ممّا رزقْنٰهم ينفقون] لا يشمل على الأمر بالتصدق فحسب، وإنما يدخل فيه كل النفقات المذكورة فيما سبق. وهذا أمر أساسي حيوي لخلق التقوى في أفراد المجتمع.

الشيخ الأكبر وتلوث البيئة!

الصوفي الشهير محي الدين العربي رحمه الله، واسمه أبو بكر محمد بن علي، الملقب بالشيخ الأكبر، وُلد بإقليم «مرسية» في الأندلس عام ٥٨٥ هج ١١٦٥م. درس الفقه والحديث بإشبيلية. ثم ارتحل إلى المشرق. وبعد أن جاب المغرب ومصر والحجاز وما بين النهرين وآسيا الصغرى، قرر الاستقرار في دمشق. وهناك حكاية طريفة يتناقلها السكان حتى الآن حول طريقته في اختبار تلوث البيئة. فعندما قرر الاستقرار في دمشق اشترى خروفا، ذبحه لساعته، وقسمه أربع قطع. ثم أوعز لأربعة فرسان من أتباعه بالانطلاق إلى أطراف دمشق والمكوث هناك حتى فساد قطع اللحم التي يحملونها. بعد ثلاثة أيام عاد ثلاثة من الفرسان. أما الرابع الذي علق جزءه في أحد البساتين على سفح قاسيون فلم يعد إلا بعد أسبوع. فانطلق الشيخ إلى المكان، ولما وصله قال: «هنا أنزه بقعة في دمشق». وهكذا تأسس حي الشيخ محي الدين.

ألف ابن عربي نحوا من مائتين وتسعة وثمانين كتابا ورسالة.

ALTAQWA

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

Volume 3, Issue No 2&3, June & July 1990

ولا يجرمنكم شنآن قوم على الاّ تعدلوا،

اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية



المجلد الثالث، العدد ٤، أغسطس (آب) ١٩٩٠

بسم الله الرحمٰن الرحيم

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الاسلامية الاحمدية

مدير الادارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الاسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
اسلام اباد ـ بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير (المقطعات القرآنية)	٣
من جوامع الكلم	٨
كلام الإمام	٩
أي الديانات العالمية خالدة	١٠
الغرض من بناء المساجد	١٢
الإسلام.. كما يراه مسيحي عربي	١٦
المظاهر العلمية للقرآن الكريم	٢٠
تجّار الدين يحاكمون أهل الله ! !	٢٣
أثر علم الفلك على تطور الفكر العلمي	٢٦
منوعات	٣٠
أخبار الجماعة من باكستان	٣١

ثمن النسخة : جنيه ونصف £1.5 والاشتراك السنوي £18 أو ما يعادل ذلك خارج بريطانيا ترسل قيمة الاشتراك باسم التقوى الى عنوان المجلة.

الافتتاحية

أيها القراء الكرام،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

باقة جديدة من الزهور العلمية العديدة نقدمها للقراء الأعزاء. ولعل أجمل وأعطر هذه الزهور هو موضوع: «المقطعات القرآنية»، إذ يجد فيه القارئ الكريم الرائحة العطرة التي طالما حاول العلماء أن يشموها من «المقطعات القرآنية»، ولكن قد جعل الله لكل شئ قدرا. فكان هذا الفضل مقدراً من الله لسيدنا المرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، الخليفة الثاني لسيدنا المهدي المسيح الموعود عليه السلام، حيث أوقفه الله بعونه على بعض الأسرار المودعة في المقطعات القرآنية.

وثاني هذه الأزهار العاطرة هو مقال «تجار الدين يحاكمون أهل الله»، حيث بين فيه صاحبه، بسرد أحداث التارخ الإسلامي، كيف أن الأنانية هي التي جعلت أهلها يكفرون عباد الله الأبرار ويخرجونهم من (دائرة الإسلام) في كل زمان ومكان، وأن أول من ابتدعوا هذه البدعة الخبيثة المخيفة هم الخوارج الذين اختلفوا مع بقية المسلمين واعتبروهم، وفيهم خليفة الرسول ﷺ سيدنا علي رضي الله عنه، خارجين عن دائرة الإسلام.

يستغرب المرء كيف أن معظم هؤلاء العلماء الربانيين أوذوا وكفِّروا بأيدي هؤلاء الأنانيين في عصرهم، ثم رُد لهم الاعتبار بعد أن استأثرهم رفيقهم الأعلى.

فلا غرابة إذن أن يرى المرء اليوم أيضا بعض تجار الدين من أهل الهوى والسياسة يرفعون نفس السلاح ضد مصلح هذا الزمان (عليه السلام) وأتباعه، إما حسداً من عند أنفسهم أو نيلاً للمنافع الدنيوية من أهل السياسة. فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. [المحرر]

بسم الله الرحمن الرحيم

في عالم التفسير

المقطعات القرآنية

من التفسير الكبير لسيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، الخليفة الثاني لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

الم: تسمى هذه الحروف مقطعات لتقطعها في النطق، أي تنطق حرفا حرفا. ويتروح عددها في بداية السور بين الواحد والخمسة. ويبلغ عدد حروف المقطعات أربعة عشر حرفا.. هي: ا، ل، م، ر، ك، ه، ي، ع، ص، ط، س، ح، ق، ن. والحرفان الأخيران منهما، أي (ق، ن).. يردان منفردين كل في بداية سورة، والبقية منها ترد مثنى أو ثلاث أو رباع أو خماس.

وقد اختلف المفسرون في هذه الأحرف. قال بعضهم إنها أسرار الله، وليس لنا أن نبحث عن حقيقتها. وقال البعض إنها للتحدي بأن القرآن على تألفه من هذه الحروف فهو كلام معجز؛ وإن كان من كلام البشر فلماذا لم يستطع العرب أن يأتوا بمثله من هذه الحروف؟ وقال بعضهم إنها أسماء السور. وقيل إنها للقسم، أقسم الله بها على موضوع السورة.

لكن هذه المعاني لا تصلح لأن تكون دافعا لوضع المقطعات في بداية السور.

وفسرها بعضهم بأنها تلخص كلاما ذا معنى، فهم يقولون مثلا: إن الألف يدل على لفظ الجلالة (الله)، واللام على جبريل، والميم على محمد ﷺ، أي هذا الكلام الذي أنزله الله على محمد بواسطة جبريل.

وإن يصدق هذا المعنى على (الم) فإنه لا يصدق على جميع المقطعات.

وقال البعض إنها تدل على صفات الله التي تبينها السورة بعدها، وهي الحروف الأولى من الصفات الإلهية أو الحروف الأهم منها، وأن السور المبتدئة بالمقطعات تتضمن أحداثا سوف تقع في المدة المشار إليها في القيمة العددية لهذه الحروف المقطعة.

وهذا المعنى أقرب إلى الصحة وأجدر بشأن القرآن وأقرب لشهادته، وسكوت رسول الله عليه يصدقه كما سأبين.

وقد زعم بعض المستشرقين أن المقطعات تدل على أسماء الذين كتبوا السورة بأمر من محمد ﷺ Seale's Translation after Golis، ترجمة سيل نقلاً عن غوليس).. فالألف عندهم تدل على سيدنا أبي بكر، والعين تشير إلى سيدنا عمر أو سيدنا علي، والسين تدل على سعد، والطاء تدل على طلحة، والهاء تدل على أبي هريرة (رضي الله عنهم). وهذا مما يشهد على جهل المستشرقين. وبالرغم من جهلهم البين فإن كل واحد منهم يعد نفسه حجة في مسائل الإسلام. لقد زعموا أن الهاء تشير إلى أبي هريرة.. مع أنه أسلم قبل وفاة رسول الله ﷺ بثلاثة أعوام فقط، بينما سورتا مريم وطه مكيتان، تم نزولهما قبل إسلام أبي هريرة بخمس عشرة سنة. ثم إن الحديث النبوي الشريف يشهد على كون حروف المقطعات وحيا من عند الله تعالى.

وجدير بالاعتبار أن هذه السور لو كانت من تأليف الصحابة (رضي الله عنهم) لكان معنى ذلك أن النبي ﷺ قد أشهدهم على كذبه، والعياذ بالله من هذا الزعم. فما دام قد استطاع أن يكتب سائر القرآن من عنده.. فلماذا كلف الصحابة تأليف هذه السور خاصة؟ وكيف أشهدهم على هذا الافتراء؟ وإذا فرضنا أنه فعل ذلك.. فلم أقام الحجة على نفسه بإثبات أسماء هؤلاء الكتاب في أوائل السور، وهذا ما لا يفعله حتى من فقد عقله؟

ومما يدل على أن رسول الله ﷺ قد بيّن أن هذه الحروف من الوحي.. حديث رواه البخاري في تاريخه، ونقله الترمذي والحاكم، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفا من القرآن فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول [الم] حرف.. ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». (الترمذي، فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن).

ونقل البزاز وابن أبي شيبة هذه الرواية عن عوف بن مالك الأشجعي بما معناه أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ حرفا من كتاب الله دخل الجنة، والحسنة بعشر أمثالها.

ومعنى الحرف هنا الكلمة، لأن الحرف قبل تدوين النحو كان يراد به الكلمة، وبعد التدوين اختص استعماله بحروف الهجاء أو الكلمات التي لا تستقل بمعنى.

فكيف يمكن إذن الظن بأن هذه الحروف وضعت للدلالة على أسماء الذين زعم أنهم كتبوها؟ ثم الأغرب من ذلك أنهم يزعمون أن هذه الحروف استعملت كعلامات للأسماء، لكن أصحاب هذا الزعم ترجموا [الم] بمعنى: «أمر لي محمد»، وهذا لا يدل على اسم ما؛ فكيف تكون هذه الحروف رمزا لما يزعمون؟ وحديث جابر بن عبد الله الذي سيأتي ذكره يشهد بأن رسول الله ﷺ بيّن أن [الم] من الوحي القرآني.

سبق القول بأن من معاني حروف المقطعات دلالتها على آجال الحوادث التي تتضمنها السورة. وصاحب هذا الرأي حبر يهودي، أبدى رأيه هذا وكرّره عند رسول الله ﷺ فلم ينكره، وكأنه صدقه على نحو ما. ولذلك فإن هذا المعنى أيضا جدير بالانتباه، ويفسح آفاقا جديدة للمتدبرين.

والحديث الذي يذكر هذا المعنى رواه البخاري وابن إسحاق في التاريخ، ورواه ابن جرير عن ابن عباس عن عبد الله أنه: «مر أبو ياسر ابن أخطب في رجال من اليهود برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة سورة البقرة [الم* ذلك الكتٰب لا ريب فيه]. فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من اليهود فقال: تعلمون؟ والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه [الم* ذلك الكتٰب]. فقال: أنت سمعت؟ فقال: نعم. فمشى حيي في أولئك النفر إلى رسول الله ﷺ. فقالوا: أجاءك بهذا جبريل من عند الله؟ قال: نعم. قالوا: لقد بعث الله من قبلك الأنبياء ما نعلم عن نبي منهم ما مدة ملكه، وما أجل أمته غيرك. فقال حيي بن أخطب، وأقبل على من كان معه: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة؛ أفتدخلون في دين نبي إنما ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل علي رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، هل مع هذا غيره؟ قال نعم. قال: وما ذاك؟ قال: [المص]. قال: هذه أثقل وأطول؛ الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون.. فهذه إحدى وستون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: نعم. قال: وما ذاك؟ قال: [الر]. قال: هذا أثقل وأطول؛ الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان؛ ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد، حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قاموا. فقال أبو ياسر لأخيه حييّ ومن معه من الأحبار: ما يدريكم لعله جُمع هذا لمحمد كله: إحدى وسبعون، وإحدى وستون ومائة، وإحدى وسبعون ومائتان، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة. فقالوا: لقد تشابه علينا أمره». (فتح البيان).

يتبين من هذا الحديث أن اليهود أرادوا بهذه الحروف الآجال أيضا، وصرحوا بذلك لرسول الله ﷺ، فلم ينكره.

لكن استدلال اليهود بهذه الحروف على أجل الأمة المحمدية بيّن البطلان، لأن أجل هذه الأمة ممتد إلى يوم القيامة. ومع ذلك فسكوت الرسول الكريم ﷺ لا يخلو عن الحكمة؛ فبالنظر إلى ذلك، وإلى مواضيع السور.. يمكن القول بأن هذه الحروف، من حيث قيمتها العددية، تشير إلى ذلك الزمن الذي ذكرت أحداثه في تلك السورة خاصة.. وذلك بأن تقع هذه الحوادث بعد البعثة النبوية، إما خلال هذه المدة أو أنها تقع بعد نهايتها. وإذا أخذنا بهذه الحقيقة.. فمن الواضح أن مضمون سورة البقرة يلخص ما جرى بعد البعثة النبوية لمدة إحدى وسبعين سنة. فقد توفي معاوية (رضي الله عنه) عام ٦٠ هج، فإذا زدنا على ذلك ثلاث عشرة سنة التي هي قبل الهجرة صار المجموع ثلاثا وسبعين سنة. ولما كان معاوية قد أعلن البيعة ليزيد قبل وفاته بسنة أو سنتين، فإن فترة بداية وازدهار الإسلام تتحدد بإحدى وسبعين سنة، لأن تفاقم الفتنة كان في هذه السنة.

وسورة مريم تبدأ بالمقطعة [كهيٰعص] التي مجموعها مائة وخمس وتسعون سنة، وهي تتضمن ازدهار المسيحية الثاني بعد رقي الإسلام. ويشهد التاريخ أن المسيحية في هذه السنة بدأت تسترد قوتها، وهي أيضا نفس السنة التي دُبِّر فيها، لأول مرة في تاريخ الإسلام، عزل الملك العباسي المعتصم بالله أثناء محاربته للروم، ونصب مكانه العباس بن المأمون ملكا، وذلك كي ينال من بأس الإسلام ضد المسيحيين. وفي هذه الأيام نفسها هاجم المسيحيون واستردوا بعض مناطق الأندلس. وفي الوقت ذاته بلغت الشقاوة بالمسلمين أن تآمر ملوك الأندلس مع ملك الروم على الخلافة العباسية. واستنجد العباسيون بدورهم على الأندلس بملك الفرنجة، وعززوا علاقات الصداقة معه. وهكذا مهدوا الطريق لازدهار المسيحية بإدخالهم في سياسة المسلمين.

ولو أننا تدبرنا بنفس الأسلوب في سائر السور المبتدئة بالمقطعات.. تبين لنا معانيها من الناحية الزمنية أيضا.

والآن أسرد لكم بحث المقطعات بناء على التفسير الذي فسر به سيدنا علي وابن عباس (رضي الله عنهم):

المقطعات تتضمن عدة أسرار، منها ما يتعلق بأشخاص هم على صلة بالقرآن، فلا بد من ذكرهم فيه. لكنها على ذلك تعمل عمل القفل، فلا يمكن لأحد أن يدرك معاني القرآن إلا بفتحها. وبقدر ما تنفتح هذه الأقفال يتمكن من الاطلاع على معانيه.

وتحقيقي بهذا الصدد.. يدل على أن معاني القرآن تتجدد

بتجدد هذه الحروف. وإذا ابتدأت سورة بهذه الحروف فالسور التي تليها ولا تبتدئ بها، تكون تابعة لها في الموضوع. والسور المتماثلة في المقطعات متفقة في الموضوع، وتنسلك مع بعضها في سلك واحد.

وطبقا للمبدأ المذكور آنفا.. أرى أن الموضوع يستمر من سورة البقرة إلى سورة التوبة؛ وكل هذه السور مرتبط بالمقطعة [الم]. فسورة البقرة تبدأ ب[الم]، ثم تبدأ سورة آل عمران أيضا بنفس الحروف، ثم سور النساء والمائدة والأنعام خالية من المقطعات.. فكأنها تابعة لما قبلها. بعد ذلك تبدأ سورة الأعراف ب[المص]، وفيها [الم] بحالها مع زيادة حرف الصاد في آخرها. بعد ذلك سورتا الأنفال والتوبة خاليتان من المقطعات، فيستمر الموضوع المتعلق ب[الم] إلى سورة التوبة، ولذلك تبحث سور الأعراف والأنفال والتوبة في ازدهار الإسلام ورقيه. أما حرف الصاد الذي زيد في أول سورة الأعراف فإنه يشر إلى التصديق، ولذلك تشير سورة الأعراف أيضا إلى التصديق بسورة مبدئية، وتتناوله سورتا عالأنفال والتوبة مفصلا.

وتبدأ سورة يونس ب[الر] بدلا من [الم].. فالألف واللام بحالهما، وحلت الراء محل الميم. وهنا تغير الموضوع، فالبحث من سورة البقرة إلى سورة التوبة كان من ناحية العلم، ولكنه من سورة يونس إلى سورة الكهف يحمل طابع الحوادث التاريخية، ويقتصر على استنتاج تلك الحوادث. وبسبب ذلك قال الله عز وجل: [الر].. أي ،أنا الله أرى؛ وقولي هذا بناء على علمي بتاريخ أمم الأرض جميعا.

والخلاصة أن السور المبدوءة بمقطعة [الر] تبحث فيما يتعلق بصفة الرؤية، والتي تبدأ بمقطعة [الم] فإنها تختص بصفة العلم.

من المناسب هنا أن يذكر بإيجاز ما يزعمه بعض المفسرين من أن المقطعات لا معنى لها، وأنها جاءت قبل السور عفوا بدون جدوى. والواقع أن المقطعات نفسها تبطل زعمهم هذا، لأننا إذا أجلنا النظر في القرآن.. وجدنا جميع سوره مرتبة ترتيبا وثيقا. فسورة البقرة تبدأ بمقطعة [الم]، ثم سورة آل عمران تبدأ أيضا بمقطعة [الم]، ثم سور النساء والمائدة والأنعام بلا مقطعات. ثم تبتدئ الأعراف بمقطعة [المص]، ثم سورتا الأنفال والتوبة بلا مقطعات. ثم تبتدئ سور يونس وهود ويوسف بمقطعة [الر]، ثم زيد إليها حرف الميم في سورة الرعد فبدأت بمقطعة [المر]. ولكن الزيادة هنا تختلف عما سبق؛ فالصاد في سورة الأعراف جاءت بعد الميم، ولكن حرف الميم الزائد هنا جاء قبل الراء؛ ولو كانت الزيادة عن غير قصد لوضع حرف الميم بعد حرف الراء في المقطعة [المر]. ودل توسط حرف الميم بين حرفي اللام والراء على أن هذه الحروف تؤدي معنى خاصا.

كذلك عندما نجد أن السور المبتدئة بمقطعة [الم] متقدمة في الترتيب ثم يليها بما يتعلق بمقطعة [الر].. يتضح لنا أن [الم] متقدمة على [الر] من ناحية المعنى. وفي سورة الرعد أيضا عندما اجتمع الميم مع الراء.. فتقديم الميم على الراء يؤكد بأن هذه الحروف موضوعة لمَعَانٍ خاصة. وكذلك نجد أن المتقدمة منها معنًا متقدمة في الترتيب أيضا. فبعد سورة الرعد استهلت سورة إبراهيم والحجر بمقطعة [الر]، ولكن سور النحل والإسراء والكهف لم تبدأ بها، فكأنها تابعة في الموضوع لما قبلها.

ثم تُفتح سورة مريم بمقطعة [كهيعص]، وبعدها سورة طه تستهل بمقطعة [طه]، يليها سورة الأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان كلها خالية من المقطعات، وكأنها تابعة لسورة طه. ثم تبدأ سورة الشعراء بمقطعة [طسم]، فبقى حرف الطاء من [طٰه] بحاله وزيد عليه حرف السين والميم مكان حرف الهاء. وبعد ذلك تبدأ النمل بمقطعة [طس] بعد حذف حرف الميم من [طسم]، وبقي [طس]. ثم عادت سورة القصص مبتدئة بمقطعة [طسم]، وكأن مبحث حرف الميم قد أُضيف أو أُعيد إلى موضوع السورة.

بعدها بدأت سورة العنكبوت بمقطعة [الم] وتكرر بحث موضوع العلم الإلهي من زاوية أخرى، ولذلك ضرورة جديدة. ومع أننا لسنا بصدد بحث ترتيب المقطعات والسور.. لكن لو سأل بعضهم عن سبب تكرار المقطعة [الم]، لأجبنا بأن الخطاب ب[الم] في السور المتقدمة كان للكفار، أما هنا فالخطاب للمؤمنين.

ثم بعد سورة العنكبوت تبدأ الروم ولقمان والسجدة بمقطعة [الم]. وبعدها سور الأحزاب وسبأ وفاطر بلا مقطعات، فكأنها تابعة لما قبلها. بعد ذلك تبدأ سورة يٰس بمقطعة [يس]. ثم سورة الصافات بلا مقطعات. ثم سورة ص تبدأ بحرف ص، تليها سورة الزمر خالية من المقطعات، وهي تابعة لما قبلها.

ثم تبدأ سورة المؤمن وحٰم والسجدة والشورى بمقطعة [حم] مع زيادة أحرف [عسق] في سورة الشورى، والعودة إلى مقطعة [حم] وحدها في أوائل سورة الدخان والجاثية والأحقاف. ثم بعد ذلك سور محمد والفتح والحجرات بلا مقطعات وهي تابعة لما قبلها. ثم في النهاية سورة [ق] التي تبدأ بحرف قاف. ثم يستمر موضوع واحد إلى آخر القرآن.

فتكرار الحروف المتجانسة، ثم حذف البعض وتعويض البعض.. إن دل على شيء فإنما يدل على أن الذي وضعها لم يضعها إلا لغاية.

ولكي نحدد معاني المقطعات يجدر بنا أن نرجع إلى القرآن نفسه. فالسور الأولى تُستهل بمقطعة [الم]، ويأتي بعدها في سورة البقرة آية [ذلك الكتٰب لا ريب فيه هدًى للمتقين]. وفي سورة آل عمران يأتي بعدها قول الله تعالى : [الله لا إله إلا هو الحي القيوم نَزَّلَ عليك الكتٰب بالحق]. ومما يجب ملاحظته أن [لا ريب] و [الحق] بمعنى واحد، فالكتاب الذي ذكر في سورة البقرة بعد [الم] هو نفس الكتاب الذي وُصف بالحق في سورة آل عمران بعد [الم].

ثم سورة الأعراف تبتدئ بمقطعة [المص]، ويليها آية: [كتٰب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرٰى للمؤمنين]. وهنا أيضا ذُكر نفس الكتاب الموصوف آنفًا بأنه [لا ريب فيه]، لأن القرآن قوله : [لا يكن في صدرك حرج منه] يدل على نفس الميزة.

ثم بعد عدة سور تبتدئ سورة العنكبوت بمقطعة [الم] أيضا، ويليها قول الله عز وجل: [أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا ءامنَّا وهم لا يُفتَنُون* ولقد فَتَنَّا الذين من قبلهم فليَعلَمَنَّ اللهُ الذين صدَقوا وليَعلمنَّ الكاذبين*]. فهذه الآيات أيضا تدل على كتاب حق، لأن الاختبار أو الابتلاء لا يكون إلا لجلاء الشك وإبطال الريب. فهنا نفس المبحث الذي تشير إليه سورة البقرة باختلاف بسيط. ذلك أن الخطاب في سورة البقرة خطاب عام، أما الخطاب في سورة العنكبوت فهو خاص بالمؤمنين، حيث قيل لهم: كيف تستحقون معاملة المقرَّبين، ولا يزال الشك يخالط قلوبكم؟

وفي سورة الروم نفس المبحث وإن أصبح غايةً في الدقة.. فيقول الله عز وجل: [الم* غُلِبَتِ الرومُ في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبِهم سَيغلِبون*]، أي أن كلام الله تعالى نزل في الروم وسوف يتحقق بلا شك. فكأن الله تعالى تحدى هنا ببعض كلامه واستغنى عن الكل، وأكد تحققه بزيادة من وس في قوله تعالى: [وهم من بعد غلبهم سيغلبون*].

ثم بعد سورة الروم تأتي سورة لقمان، وتبدأ أيضا بمقطعة [الم]، يليها قول الله تعالى: [تلك آيات الكتاب الحكيم* هُدًى ورحمةً للمحسنين* الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوٰة وهم بالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون]. فصفة الحكيم تدل على أمر يقيني، فكأنه تكرار لموضوع سورة البقرة.

بعد ذلك سورة السجدة تبدأ بمقطعة [الم] أيضا، ويليها قول الله عز وجل: [تنزيل الكتٰب لا ريب فيه من رب العٰلمين*]. فهنا أيضا ذكر الكتاب الذي لا ريب فيه. فهذه الآيات توضح جليا أنه أينما وردت مقطعة [الم] تبعها موضوع خاص يؤدي إلى علم يقيني لا يخالطه ريب.

فمع هذه الحقيقة الناصعة كيف يمكن التوهم والقول بأن حروف المقطعات مهملة لا تهدف إلى شيء. الحق إن [الم] ترمز إلى إزالة الشك وتمكين اليقين. والذي يُبطل الشك هو العلم الكامل، الذي يدل عليه معنى [الم].. أي أنا الله أعلم. فمن يرد استئصال الشك وإحراز اليقين فليتوجه إلى ما أُلقيتُ إلى الرسول من الكلام.. وليدرس ما أُنزلتُ إليه من الكتاب.

أما عن [الر] فإذا أمعنا النظر إلى السور المبدوءة بهذه الحروف وجدناها تبتدئ ببحث واحد.. فقد استهلت سورة يونس بقوله تعالى: [الر* تلك ءايٰت الكتٰب الحكيم* أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أَنْذِرِ الناس وبَشِّرِ الذين ءامَنوا أن لهم قَدَمَ صدقٍ عند ربهم، قال الكافرون إن هذا لساحر مبين*]. ثم يقول الله عز وجل في سورة هود : [الر* كتٰب أُحكِمَتْ ءاياته ثم فُصِّلتْ من لدن حكيم خبير* ألاَّ تعبدوا إلا الله إنني لكم منه بشير ونذير* وأنِ استغفِروا ربكم ثم توبوا إليه يُمتِّعْكم متاعا حسنا إلى أجلٍ مسمًّى ويؤتِ كل ذي فضل فضلَه وإنْ تولَّوا فإني أخاف عليكم عذابَ يومٍ كبيرٍ*]. ثم جاء في سورة يوسف: [الر* تلك ءايٰت الكتٰب المبين* إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون* نحن نقص عليك أحسنَ القَصَصِ بما أوحينا إليك هذا القرءان وإن كنتَ من قبله لمن الغٰفلين*].

ثم جاء في سورة الرعد: [الر* تلك ءايات الكتٰب والذي أُنزِلَ إليك من ربك الحقُ ولكن أكثرَ الناس لا يؤمنون* الله الذي رفع السمٰوات بغير عمدٍ ترونها ثم اسْتَوٰى على العرش وسَخَّرَ الشمس والقمرَ كلٌّ يجرى لأجل مسمًّى يدبّر الأمرَ يُفصِّل الآياتِ لعلكم بلقاء ربكم توقنون*]. وهنا اجتمع موضوع الميم والراء.

ثم ورد في سورة إبراهيم: [الر* كتٰب أنزلناه إليك لتُخرج الناسَ من الظلمٰت إلى النور، بإذن ربهم إلى صراط العزيزِ الحميدِ* الله الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض ووَيلٌ للكٰفرين من عذاب شديد*].

ثم جاء في سورة الحجر قول الله تعالى: [الر* تلك ءايٰت الكتٰب وقرءان مبين* رُبَمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين* وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتٰب معلوم* ما تسبق من أمة أجلَها وما يستأخرون*].

إذا أمعنا النظر في هذه المواضيع، تبين لنا أن البحث يدور فيها حول موضوعين اثنين.. التاريخ القديم وخلق الكون. وخُص من الأول عقاب المجرمين. والاستفهام الإنكاري في سورة يونس يدل على أن الأنبياء المبشرين المنذرين لا تنقطع بعثتهم قط. وقرِّر في سورة هود أن كل قوم في تطور دائم، وأن لا بد أن يصل تطورهم إلى مدى معين. وأظهر بذكر الخلق أن تقدم العالم خاضعًا لقانون الارتقاء.

بعد ذلك بيَّن في سورة يوسف جانبًا من تاريخ العالم وجمع في سورة الرعد بزياة حرف الميم بين موضوعي [الم] و[الر]، وبالميم أشار إلى كلام يقيني، ثم لفت النظر إلى التفكير في خلق الكون. ثم في سورة إبراهيم قرر التوجيه إلى التفكير في قوانين القدرة، وقال: انظروا إلى العالم حولكم تجدوا فيه آثار يد الخالق الحكيم. وفي سورة الحجر أعاد توجيه الفكر الإنساني إلى العالم والقانون الكوني القديم. ومن البين أن قانون الكون وحوادثه المختلفة مرتبطة بالرؤية، والحق أنه لا يستطيع أحد التحري عن الحقيقة إلا إذا كانت ظواهر الكون وقوانينه منكشفة أمامه. فعلاقة هذه السور بالرؤية واضحة كما تشهد بها [الر] و[المر] التي أخبر بها: أنني أنا الله أعلم وأرى. فلا التاريخ القديم غائب عني، ولا خلق الكون وقوانينه خافية علي. فهدايتي هي التي يمكن أن تغنيكم عن كل شيء آخر في إدراك الأمور المتعلقة بالرؤية.

ومما يجدر بالذكر أيضا أن المقطعات، وإن كانت معانيها تتغير بتغير حروفها، لكنها متفقة في أمر واحد وهو أن السور التي تُفتتح بالمقطعات يُستهل موضوعها بذكر الوحي، ومعظم هذه السور تصرح بكلمة الكتاب والقرآن، وبعضها تشير إلى كتاب قديم كما جاء في سورة مريم، أو إلى كلام خاص كما جاء في سورة الروم.

هذان المعنيان المذكوران أي أن حروف المقطعات تدل على الصفات الإلهية وأن كل حرف يمثل الصفة التي تبحث فيها السورة المبدوءة بهذا الحرف أو الأحرف، وأنها أيضا تدل بقيمتها العددية على (الآجال)، ومجموع عدد هذه الحروف يحدد الحوادث الواقعة إلى مدى هذا القدر من الزمن.. كلا المعنيين صحيح، وليس من اللازم أن يكون أحدهما صحيحا دون الثاني. ويؤكد هذا الرأي أيضا بعض الأئمة في صدر الإسلام أيضا: فقد روي ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الرازي عن أبي العالية قال: «... ليس فيها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسماء الله، وليس فيها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدة قوم وآجالهم».

أي إن الحروف تدل على كل من الصفات والآجال والمثل الأعلى من الكلام المعجز.

ورأي أبي العالية هذا في غاية من الروعة والصواب والصدق. وقد نقله ابن جرير بلفظ آخر وصدَّقه.

ويمكن أن يسأل أحد عن المقطعات: لماذا اختار القرآن الكريم هذا الأسلوب المبهم؟ ولماذا لم يبين هذه المعاني بكلمات واضحة.. كي يفهمها العرب وغيرهم على حقيقتها؟

والجواب عن ذلك أن هذا الأسلوب ليس غريبا عن العرب، بل استعمله كبار الشعراء العرب.. كما قال أحدهم:

« قلنا: قفي لنا، فقالت: قافُ».

فبحرف القاف عبر عن وقفت.

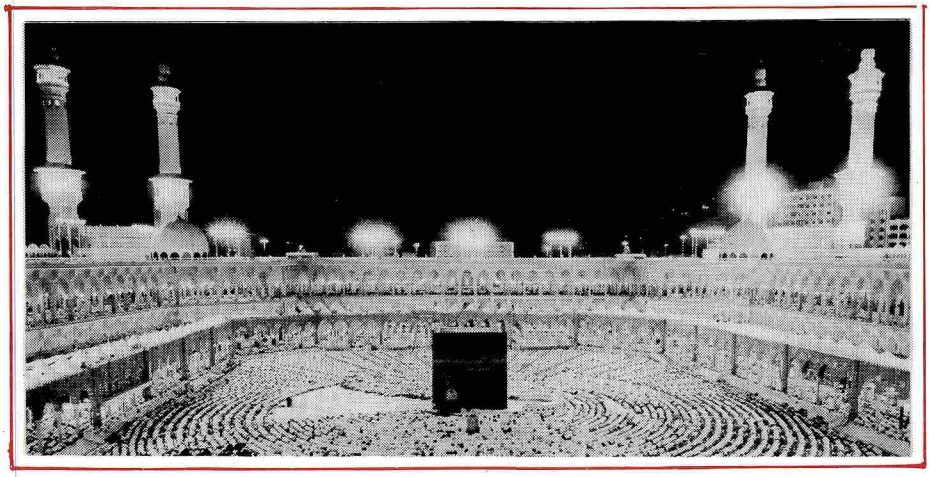
وقال آخر:

بالخير خيراتٌ وإن شرا فَا ولا أريد الشر إلا أن تا

فقد اكتفى الشاعر بحرف «ف» عن قول «فشر»، وبحرف «تا» عن قول تشاء.

وفي حديث الرسول ﷺ: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقي الله عز وجل ومكتوب بين عينه آيس من رحمة الله» (ابن ماجه، كتاب الديات). أي إنه إذا قال: (اق) مكان أقتل، فجزاؤه بما ذُكر من اليأس والحرمان.

فالعرب متمسكون بهذا الأسلوب المرتبط بالقرينة في نظمهم ونثرهم، والأمم الغربية قد أكثرت اليوم في استعمال هذا الأسلوب. وهناك مائات بل ألوف من الحروف التي تُستخدم في الكتابة والحديث للدلالة على كلمات وعبارات ويفهمها الناس ولا يستغربونها.



جوامع الكلم

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سِبَابُ المسلم فسوقٌ، وقتَاله كفرٌ». (متفق عليه).

عن أبي ذرٍ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يرمِي رجلٌ رجلاً بالفسقِ أو الكُفرِ، إلا ارتدتْ عليه إن لم يكن صاحبهُ كذلك». (البخاري).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المُتسابان ما قالا، فعلى البادِي منهما حتى يعتدي المظلوم». (مُسلم).

عن عبد الله بن عمر بن العاصِ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المُسلم من سَلم المُسلمون من لسانه ويده، والمُهاجر من هجر ما نَهى الله عنه». (متفق عليه).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تبَاغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدَابرُوا، ولا تقاطعوا، وكونُوا عباد الله إخوانًا. ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ». (متفق عليه).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تُفتحُ أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفَرُ لكل عبدٍ لا يُشركُ بالله شيئًا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناءُ، فيقال: أنظِرُوا هٰذين حتى يصطلحا، أنظِرُوا هذين حتى يصطلحا». (مسلم).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بحسبِ امرِئٍ من الشَّر أن يحقِرَ أخاهُ المُسلم». (مسلم).

عن جُندُبُ بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجلٌ: والله لا يغفِرُ الله لفُلانٍ. فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألَّى على أن لا أغفر لفلانٍ، إني قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملكَ». (مسلم).

كلام الامام

لسيدنا المسيح الموعود والمهدى المعهود عليه السلام

حقيقة البيعة

« ... وبعد فأقول مرة أخرى : لا يغرنكم الظن بأنكم بايعتم ظاهرًا. فإن الظاهر ليس بشيءٍ. إن الله ينظر في أعماق قلوبكم، فيجازيكم بحسب إخلاصكم. ألا يا أيها الناس، إني لأبرأ من ذمة التبليغ بعد الإيذان بأن الإثم سم من السموم، فلا تبلعوه، وأن معصية الله موت نجس فاتقوه. ادعوا لتوهَبوا قوة.

ألا إنه ليس من جماعتي من لا يؤمن وقت الدعاء بأن الله مقتدر على كل شيءٍ، اللهم إلا فيما كان خلاف وعده. ومن لا يترك الزور والغدر فليس من جماعتي. والذي هو منهمك في شهوات الدنيا، ولا يكاد يرفع بصره إلى الآخرة فليس من جماعتي. والذي لا يقدِّم الدين على الدنيا بكل صدق فليس من جماعتي. وليس من جماعتي من لا يتوب إلى الله توبةً نصوحا من جميع السيئات، ومِن كل عمل غير صالح، ومِن شرب الخمر، والمقامرة، ومن النظر السيءِ، ومن الخيانة، ومِن كل تصرف غير مباح. والذي لا يواظب على الصلوات الخمس بالالتزام فليس من جماعتي. والذي غير مشغول في الدعاء على الدوام، ولا يذكر الله تضرعا فليس من جماعتي. ومن لم يفارق الرفيق الطالح الذي ينفث فيه أثره السيءُ فليس من جماعتي.

وكذلك ليس من جماعتي من لا يكرم أبويه، ولا يطيعهما في المعروف الذي ليس خلاف القرآن، ولا يهتم بخدمتهما. والذي لا يعاشر زوجته وأقاربها بالرفق والإحسان ليس من جماعتي. والذي لا يُعير جاره حتى ولا أبسط الأشياء المستخدمة يوميًا، فليس من جماعتي. والذي لا يريد أن يعفو عن مذنبه، وكان حقودًا فليس من جماعتي. وكل امريءٍ يخون زوجته، أو امرأة تخون زوجها فليس من جماعتي.

ومن ينقض العهد الذي عاهده عند البيعة بوجه من الوجوه فليس من جماعتي. ومن لا يؤمن بي (مسيحا موعودًا ومهديا معهودًا) فليس من جماعتي. والذي غير مستعد ليطيعني في المعروف فليس من جماعتي. والذي يجالس زمرة المعارضين ويُنعمُ لهم نَعَمْ بنَعَمْ، فليس من جماعتي. وكذلك كل زانٍ وفاسق، وقاتل، وسارق، وقامر، ومرتشٍ، وغشوم، وغاضب، وكاذب، ومزور، وجلساؤهم الظانون والظانات بإخوانهم وأخواتهن ظن السوء، ومن لا يتوب عن أفعاله الشنيعة، والذي لا يهجر مجالس الفحش والخنا.. فجميع أولئك ليسوا من جماعتي.

ألا كل هذه سموم لا يمكنكم النجاة منها قطعا بعد أكلها. كلا، إنه لا يجتمع الظلام والنور في مكان واحد. كل من كانت جبلته معوجة معقدة، وليس بمصافٍ لله تعالى لن يدرك أبدًا تلك النعمة التي يُؤْتاها أصفياء القلوب. أسْعدُ بهِمْ أولئك الذين يصفون فؤادهم، ويطهرون قلوبهم من كل الأدناس تطهيرًا، ويُبرمون مع ربهم عند الوفاء. فأنعِمْ بهؤلاء، فإنهم لا يُضاعون أبدًا. إنه لمستحيل أن يخزيهم الله، لأنهم كانوا لله وكان الله لهم. لا جَرَمَ أنهم عند كل بلاء معصومون. لسفيهٌ العدو الذي يقصدهم بسوء، لأنهم في حضن الله، وإن الله في حمايتهم. من الذي يؤمن بالله؟ هم أولئك الذين كانوا أمثال هؤلاء.

(سفينة نوح)

أي الديانات العالمية خالدة
اليهودية أم المسيحية أم الإسلام ؟

للأستاذ: أبي العطاء الجالندهري رحمه الله تعالى

أصبح تيار اللادينية جارفا يكتسح العقائد والأخلاق والتقاليد القديمة، وغمرت أمواج الفوضى والاضطراب أقاليم الشرق وبلدانه، فتنمَّر الإلحاد، وبدأ ينشب مخالبه في جسم هذا الدين الحنيف، وينوشه من كل ناحية بجوارحه الحادة الشديدة، فصار الدين لحما على وضم.

نظرة واحدة في حالات أهل الديانات وحملة لوائها والمنتمين إليها تدلك دلالة واضحة على أن الوازع الديني في النفوس قد ضعف بل تلاشى، وأصبحت تعاليم الأديان مضغة في أفواه الخلق لا تسمن ولا تغني من جوع. فصارت القلوب أرضًا خصبة لجراثيم اللادينية وموبقات الأخلاق السامية، وتسربت الأوبئة في شرايين البشرية، وهنالك كانت الطامة الكبرى.

ظن الناس الدين غلاً، فتحرروا منه، وحسبوا الأخلاق تقاليد القرون المظلمة فنبذوها نبذًا، واعتبروا العقائد شيئا لا يتلاءم والعصر الحاضر، فتبرأوا منها شيئا فشيئا. فتقلص ظل سلطان الدين، ووهنت روابطه بأهله. ولم يقتصر هذا الحال على أهل دين دون آخر، بل عم الداء الوبيل وفشا المرض العضال بين الجميع، فنيلت المسيحية بما نيلت، وأصيبت اليهودية في صميمها، وتعرض الإسلام لأخطار جمة.

وأحس المفكرون من كل قوم بطغيان هذا الطوفان وشعروا بفداحة البلية، فهموا بالحيلولة دون وقوع الكارثة. وأرادوا تغيير مجرى التيار الغربي، ولكنهم باءوا بالفشل، ولم تثمر مساعيهم ثمرة تذكر، فخارت عزائمهم، وتقاعسوا عن الميدان. فزهد الشبان والشيب في الدين، بل ناصبوه العداء، وعزموا على تقويض دعائمه، ظانين أنه أكبر عدو للبشرية، وأنه لولاه لما تفرق الناس شعابا ولما أصبحوا فرقا وأحزابا. فسادت اللادينية بين الناس وصار لها سلطانها الفعلي، ولم يبق من الدين سوى مظاهر التقاليد.

قضى الناس برهة من الزمان قصيرة وهم نشاوي بنشوة الإلحاد وسكارى بخمرة اللادينية، ولكن الخطوات السريعة التي خطوها في هذا السبيل الشائك أظهرت لعقلاء القوم ضحالة رأيهم وعلموا أن مركز الإنسانية قد تزلزل، وأن دعامة تبادل الثقة بين الناس تصدعت، وأنه لا بد لبني الإنسان من الرجوع إلى دين يتغلغل في أعماق قلوبهم ويجعلهم في طمأنينة وسكون. فقاموا ينشدون دينا يكفل لهم الوحدة والمحبة والسلام، ويتفق مع العقل والعلم والفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها.

إن اختلاف الأديان هو أحد الأسباب العاملة على نشر الإلحاد عند قصيري النظر، فلذلك يريد ذوو الألباب دينا يجمع جميع الناس تحت لوائه، لأن العالم يقطع الآن أشواطًا واسعة نحو الوحدة العالمية. يريدون دينا تثبت مبادئه وأصوله أمام هجمات الدلائل العقلية والعلوم الجديدة والمكتشفات الحديثة، وتكون له الكلمة الأولى والأخيرة في تطبيق النظريات العلمية وتمحيصها.. دينا لا تزول آثاره ولا تفنى معالمه، وتبقى ثمراته خالدة لا تنقطع على مر الدهور وكر العصور. فالعالم بأجمعه في عوز شديد إلى دين عالمي خالد يعزز العقائد في القلوب ويرسخ مبادءه علميًا في النفوس، ويرفع المستوى العقلي ويسمو به إلى الدرجة العليا، ويدخل إلى قلوب الناس طمأنينة وثقة تامة بالله وقدرته، ويفتح عليهم باب التقرب إليه في كل حين وآن!

فدين كهذا هو الذي يكون دين المستقبل، وهو الذي كتب له الخلود والبقاء، وهو الذي يشرأب إليه الناس بأعناقهم، وهو بغية القلوب وأمنية الناس أجمعين.

إن اليهودية لم تتقدم إلى الناس بدعوى أنها ديانة عالمية فهي كانت ولا تزال ديانة طائفة خاصة من البشر ودائرتها ضيقة جدًا. وكذلك المسيحية فإن مؤسسها لم يدع أحدًا من غير الإسرائليين إلى دينه مطلقا، وكان طيلة أيام حياته يردد نغمته المعهودة: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٥: ٢٦). ولكن المسيحية لما اشتد عداء اليهود لها وازداد إعراضهم عنها، قام بعض دعاتها وبشروا بها الأمم الأخرى، وذلك بالرغم من مخالفة جماعة من تلاميذ المسيح عليه السلام لذلك التبشير. ومنذ ذلك الحين دُعيَ إليها الناس في بلاد مختلفة. وأما الإسلام فهو بطبيعته دين عالمي، وإن مؤسسه دعا الملوك والدهماء إلى دينه من

كل شعب وأهل دين. فسؤالنا إذن، وهو أي الديانات ديانة عالمية خالدة، ينحصر في المسيحية والإسلام فقط.

لاجرم أن الديانة المسيحية الحاضرة والديانة الإسلامية تختلفان في بعض العقائد كل الاختلاف، وفي بعض آخر بعض الاختلاف. ومن هناك تحصل اختلافات عديدة في الأخلاق والمثل العليا عند أصحاب كلتا الديانتين. يقول المستشرق الأستاذ (جب):

«لقد عرفنا حق المعرفة أن بواعث الناس ووسائلهم ومثلهم العليا في حياتهم اليومية إنما تصدر عن عقائدهم المتغلغلة في نفوسهم» (وجهة الإسلام ص ٨).

فالعقائد لها أكبر تأثير في أخلاق الإنسان وأعماله اليومية، وذلك التأثير يقوي ويضعف حسب قوة العقائد وضعفها. ونحن لا يسعنا أن نهمل النظر في عقائد الديانتين عندما نود أن نعرف أيهما تكون عالمية خالدة، ولكن هذه المقارنة طويلة، وإنما نقول الآن إن الديانة العالمية الخالدة لا بد أن تكون عقائدها مبنية على مبادئ العقل والمنطق، وأما الديانة التي يجاهر أهلها بأنها في واد والعقل البشري في واد، وأنه لا دخل للعقل في الدين، كما يقول القساوسة وعامة المسيحيين في كل مناسبة وغير مناسبة علنا وجهارًا، فمثل هذه الديانة تعلن إفلاسها بنفسها، وأنها إذا عاشت في العصور الغابرة، عصور العزلة والتقليد والظلام فهيهات أن تعيش رافعة رأسها في عصر العلم والمعرفة والنور، عندما ترى كافة الناس يحكمون العقل في العقائد والمبادئ الدينية ويضعونها تحت مصباح الفطرة ونور البصيرة. ولسنا مغالين ولا مدفوعين بعاطفة دينية وعقيدة إذا أعلنا بأن عقائد الدين الإسلامي هي التي تقنع العقول الثاقبة بمتانتها وسدادها إذا وضعت في ميزان العقل والامتحان، وقد شهد بهذه الشهادة كثير من أولي الألباب من أهل الشرق والغرب.

ثم إن تقويم الأخلاق موقوف على تقويم العقائد، وأن أكثرية الملحدين تتشبث بفساد أخلاق أهل الديانات وتستخدمه كدليل ضد الديانات وصحتها. فتقويم العقائد إذن وإصلاحها من الواجبات الأولية لصد تيار الإلحاد وقطع دابر الذين هم به يبشرون. ويا ليت الناس يقارنون بين عقائد الإسلام المعقولة وبين عقائد دياناتهم المختلفة لكي يميزوا الغث من السمين ويعرفوا الحق حقا والباطل باطلا ويومئذ يفرح المؤمنون.

وبعد هذا كله فهناك ناحية أخرى لا تقل أهمية عن سالفتها بل تفوقها من جهة آثارها العالمية، وهي شرط للديانة العالمية الخالدة هام جدًا، وذلك أن تكون تلك الديانة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويجني فئة من أتباعها بين الفينة والفينة قطوفَ لقيا ربهم العلي. فيكونون شهود مشاهدة وعيان، لا شهود سماع وبيان، على صدق تلك الديانة الخالدة. وكلما فقدت ديانة ما هذه الشهادة انطمست أنوارها وذهبت الأيام برونقها واندفع أتباعها مع تيار الإلحاد، لأن حكايات السابقين وروايات الأولين لا تستطيع أن تغذي الأرواح المتعطشة وتروي غليل نفوس العشاق الصادقين، لا سيما وقد مضت على تلك البيانات دهور وقرون تلو قرون، وعندئذ يتفكر الإنسان ويقول لو كان الإله موجودًا وهو الذي كان يكلم الأنبياء شفاهًا فيما سلف من الزمان فلماذا لا يكلم أحدًا في هذا الزمان والناس في أشد الحاجة إلى كلامه المبين؟ وإذا كانت ديانة ذلك السائل لا تجيب عن هذا السؤال إجابة مقنعة فينشأ سوس اللادينية وينخر في عود العقائد، ولا يلبث أن يعود الرجل ملحدًا دهريًا، ولو بقي يتظاهر بإتيان بعض الطقوس الدينية خوفًا من المجتمع والوسط الذي يعيش فيه.

وموجز القول أن الديانة التي لا تعطي لأهلها قوة اليقين الجديد عن طريق كلام الرحمٰن مع عباده عند الحاجة لن تكون ديانة عالمية خالدة، لأن العقول تحررت من قيد التقليد القديم، والناس قد جربوا العلوم والمعارف، فإذا بها لا تحسم داء الفسق والفجور ولا تنير الأبصار الروحية، بل زادت أصحابها إيغالا في الذنوب وتغلغلا في الحياة الشريرة، فصرخوا من أعماق قلوبهم في حاجة إلى مصلح يزف إلى البشرية بشرى الإله الحق الدائم الباقي ويهديهم إلى الدين العالمي الخالد. يقول الشيخ رشيد رضا:

«فقد صارت الدنيا كبلد واحد، ولكن شعوبها قد ازدادت تعاديًا وضراوة بإيقاع بعضها ببعض، ومكنتهم وسائل العلم من استثمار خيراتها وكنوزها بما يكونون به سعداء كلهم، فما زادهم ذلك إلا شقاء. وإن أشدهم شقاء وتعاديًا وشرًا لأرقاهم في المعارف والفنون. فعلم بالحس والاختبار أن العلم البشري عاجز عن إصلاح الناس. ويشعر كثير من رجال العلم والسياسة بالحاجة الماسة إلى هداية الدين الإلهي وتمني بعضهم لو يبعث فيهم نبي جديد». (الوحي المحمدي ص ١٧٤).

هذه أمنية رجال العلم والسياسة وشعور قلبي لأناس كثيرين، وفيه دليل واضح على أن الناس لا تصلح شؤونهم إلا عن طريق الكلام الإلهي. فهذا هو العلاج الوحيد لمرض الإلحاد، وبه يظهر أي الديانتين ديانة عالمية خالدة.

إن المسيحية لا تقول بأن الله يبعث من بين أتباعها رجالا يكلمهم ويظهرهم على أمور غيبية، ويكون هؤلاء بدورهم شاهدين على أن طريقة النصرانية تصل بسالكها إلى الحضرة الإلهية، وإخواننا المسيحيون لا يرجون من الله هذه الدرجة. وأما الإسلام فهو يقول بأن المؤمنين ينالون كل نعمة روحية حصل عليها الأولون وأبواب جميع الدرجات مفتوحة للذين يطيعون الله والرسول سيدنا محمدًا بن عبد الله أفضل المرسلين ﷺ: [ومن

الغرض من بناء المساجد

خطبة جمعة لحضرة مرزا طاهر أحمد أيده الله بنصره العزيز، الخليفة الرابع لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ألقاها في ٢ سبتمبر١٩٨٣ في ناصر أباد، السند (باكستان)، قبيل سفره إلى أستراليا للقيام بجولة تبليغية.

ترجمة: الحاج محمد حلمي الشافعي

* أعظم المساجد شأنا وأعلاها مقاما هو أول بيت وضع للناس بمكة أي الكعبة المشرفة. وآخر المساجد أي المسجد النبوي بالمدينة المنورة.

* يجدر بالجماعة أن تتعلم من بناء هذين المسجدين وأن تدرك أنهما قد أُقيما لغرض واحد، هو عبادة الله تعالى.

* صلوا بإخلاص وادعوا بحرارة وإلحاح كي يتقبل الله عز وجل حماسنا وشغفنا وصدق روحنا في عبادته وليجعل أفئدة كثيرة تهوي إلى هذا البيت.

* * *

بعد الشهادتين والاستعاذة بالله وتلاوة الفاتحة قرأ حضرته قول الله تعالى من سورة إبراهيم (الآيات ٣٦ إلى ٣٩):

[وإذ قال إبرٰهيم ربِّ اجعل هذا البلد ءامنًا وَاجْنُبْنى وبَنِيَّ أن نعبدَ الأصنامَ* ربِّ إنهنَّ أضللن كثيرًا من الناس فمن تبعَني فإنه منِّى ومن عصانى فإنك غفورٌ رحيمٌ* ربَّنا إنِّى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرَّم ربنا لِيُقيموا الصلوٰة فاجعل أفئدةً من الناس تَهوِى إليهم وارزُقْهم من الثمرٰت لعلَّهم يشكرون* ربنا إنك تعلَمُ ما نخفي وما نُعلن وما يَخفٰى على الله من شيءٍ في الأرض ولا في السماء*]

وقال:

في غضون أيام قلائل، سنبدأ بمشيئة الله تعالى جولتنا إلى الشرق، وفي أثناء هذه الجولة سيكون عليَّ أداء أعظم مهمة.. ألا وهي وضع حجر الأساس لأول مسجد للجماعة الإسلامية الأحمدية في قارة استراليا.. سيكون مسجدا ومقرًا للبعثة التبشيرية، أي سيبنى بجوار المسجد مسكن لإقامة المبشر الذي سيتولى مسئوليات الدعوة.

ولهذا المسجد مغزى خاص في تاريخ الجماعة الأحمدية، حيث أتيح لنا إنشاء مسجد في هذه القارة الجديدة، التي كانت خالية من المساجد حتى وقتنا هذا. وقد نادت الجماعة بأنها نقلت رسالة الإسلام إلى جميع القارات.. فيما عدا هذه القارة التي جاءتها الدعوة بجهود أفراد.. إذ ليس بها بعثة منتظمة أو مسجد للجماعة.

وموقع المسجد يشغل مساحة كبيرة وفي مكان متميز.. والفضل لله.. فهو يبعد ٥٠ ميلا عن المدينة الأسترالية المعروفة «سيدني». وسيبنى المسجد على مساحة تبلغ ٢٧ فدانا، وهي كافية لكل نواحي نشاطات الجماعة. ولقد أخذنا هذه المساحة الكبيرة على أمل أن تمتلئ في القريب بإذن الله تعالى، ثم تضيق عن حاجات الجماعة المتزايدة بما يفوق توقعاتنا.. هذا هو دعاؤنا الذي نرفعه إلى مولانا تبارك وتعالى عند وضع حجر الأساس.

ولما كانت هذه هي خطبتي الأخيرة قبل مغادرة باكستان، فقد اخترت لها موضوع: «بناء هذا المسجد والغرض من بناء المساجد».

إن أعظم مساجد العالم وأعلاها مكانة.. هو المسجد الذي حققت أغراضه بعثةُ المصطفى ﷺ.. هو بيت الله الحرام في مكة المكرمة.. ونحن لا نعرف التفاصيل التاريخية لإنشاء هذا المسجد، وكل ما يذكره القرآن المجيد في هذا الصدد: [إن أول بيت وُضع للناس للذى ببكة..]

ولقد اختار الله تعالى لفظة «الناس»، أي جميع البشر للدلالة على أن المسجد لم يُبْنَ للمسلمين أو الهندوس أو المسيحيين.. وإنما لكل بني آدم بغرض عبادة الله تعالى. لقد أريد لهذا البيت، في الوقت المناسب، أن يكون مبعثا للنبي الذي قدَّر الله أن يجتمع بنو البشر تحت لوائه في دين واحد. والواقع أن العالم اجتمع تحت يد

واحدة مرتين: مرة في أوله، وثانية في آخره. لقد بدأت النبوة بآدم حينما كانت البشرية على غير انقسام.. ولا بد أنه أقام بيتا لعبادة الله تعالى.. وأنه هو الذي أنشأ هذا البيت الحرام.. ولما كان العالم غير منقسم حينئذ.. فإن آدم قد جاء للبشر جميعا.. إنه البذرة التي انتقاها الله تعالى لنشر رسالته. والمناسبة الثانية التي أمكن فيها مخاطبة الناس جميعا فقد حانت عند مجيء النبي الذي أرسل للناس جميعا، يدعوهم إلى عقيدة واحدة.. النبي محمد المصطفى ﷺ.

إن التعبير القرآني فيما يتعلق ببيت الله الحرام شامل وغنيٌّ بالمعاني. إنه لم يقل بأن البيت قد بُني لابراهيم أو لموسى أو لنوح.. وإنما قرر بأنه وُضع للناس.. كل الناس. وعندما قام هذا البيت كان متعلقا بالناس جميعا.. وفي آخر الأمر أيضا سيجتمع كل العالمين فيه لعبادة إله واحد.. وهذا يعني: عندما يأتي من هو «رحمة للعالمين» و «بشيرا ونذيرا للعالمين». ولذلك قلت بأن الغرض الرئيسي من بناء أول بيت هو بعثة محمد المصطفى ﷺ. ففي بعثته يتحقق الغرض من إقامة بيت الله. إذ أنه المثل الأعلى للإيمان بوحدانية الله تعالى، والعابد الأكمل للإله الواحد.. إنه صاحب العبادة التي ارتضاها الله تعالى وقبلها.. والتي لا تعد عبادة الدنيا كلِّها إلى جانبها شيئا مذكورا.

ومتى تم بناء هذا البيت المجيد؟ لم تُذكر تفاصيل هذا البناء في تاريخ البشرية، ولم يرد ذكره إلا في القرآن الكريم الذي قال إن أول بيت وضع لعبادة الله تعالى هو الذي ببكة. ثم ذكر القرآن الكريم بعض التفاصيل عن بنائه الجديد، وبذلك احتفظ بالأحداث الرئيسية المتعلقة بإعادة تشييده على يد إبراهيم عليه السلام، لتبقى إلى الأبد دليلا لمن يرغبون في بناء بيت لعبادة الله. فإذا ما شُيد بيت على نهج يخالف مثال ابراهيم عليه السلام، ولا يستحضر الروح التي ألهمت إبراهيم لبناء البيت.. كان العمل خاليا من المعنى معدوم القيمة. إن الناس يشيدون بيوتا عظيمة وينفقون الملايين في بنائها، ويجعلونها للرب، ولكنها لا تمت بصلة إلى البيت الذي شيده إبراهيم عليه السلام. إن بناء ابراهيم لم تنفق عليه إحدى الممالك كنوزها، ولم يضع تصميمه بيوت الخبرة المعمارية، ولم يشترك في بنائه عظماء المهندسين، ولم يدفع للعمل به أفواج العمَّال.. ولكن يذكر الله تبارك وتعالى أنه عند إعادة بناء الكعبة كان إبراهيم الوالد هو البنَّاء، وإسماعيل الإبن هو العامل. كان إسماعيل حدثا صغيرا لا يكاد يحسن السعي.. وكان نبي الله إبراهيم يبني البيت بيديه، ويجمع الأحجار، ويحفر الأساس الذي طمرته الرمال. ويحكي حضرة محمد المصطفى ﷺ أنه عندما أحضر إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنهما إسماعيل، أخذ يتأمل المنطقة بحثًا عن بيت الله، وأخيرا وجد آثار جدار صغير غطته الرمال فدلَّه على موقع البيت العتيق الذي دمرته عوامل الزمن. فوضع إبراهيم طفله الصغير على إحدى أحجاره المكشوفة وأخذ يفكر في طريقة لإعادة بنائه.. ولكن الله تعالى أرجأ الأمر إلى الوقت الذي يشب فيه إسماعيل ويصبح قادرا على المشاركة في البناء.. وأمر إبراهيم أن يترك زوجته وطفله في الموقع ويعود إليه فيما بعد لإعادة تشييد البيت.

ولقد انطوى التدبير الإلهي بتأجيل بناء البيت على اعتبارات بالغة الحكمة.. أولها أن اسماعيل هو الجد الأكبر لمحمد المصطفى ﷺ.. وكان من المقرر أن يشترك في بناء البيت مع أبيه إبراهيم ليتميز نسله عن نسل إسحاق.. ولكن صغر سنه لم يكن يسمح له وقتئذ بالمشاركة المطلوبة في بناء البيت الذي سيبعث عنده حفيده محمد ﷺ.

وثانيها أن إسماعيل قد تُرك في واد غير ذي زرع ولا ماء، ولكن الله تعالى أخبر إبراهيم عليه السلام بأن إسماعيل سيشترك معه في بناء البيت.. وكان هذا ضمانا وتأكيدا موثقا بأن المولى عز وجل سيشمل إسماعيل بحمايته ورعايته حتى يشب ويكبر ويشترك في مهمة تشييد البيت.

لقد كان ذلك بيانا رائعا لمحبة الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. كما أن الواقعة كانت فرصة لكشف ثقة إبراهيم العظيمة في مولاه عز وجل، إذ ترك زوجته وابنه كلية تحت رحمته الواسعة. لقد ذكر المصطفى ﷺ أنه عندما أوشك إبراهيم على الرحيل، يمم وجهه نحو اتجاه معين، تاركا لزوجته زِقًّا صغيرا من الماء وقليلا من التمر.. وأحست زوجته أنه مغادر، فسألته عن ذلك، فلم يجبها.. فأسرعت خلفه، ولكنه لم يكن في حالة تسمح له بالجواب على تساؤلها.. كانت عيناه منداة بالدموع، وخشي أن يضعف إذا تحدث إليها.. وأخيرا توسلت إليه أن يخبرها عما إذا كان يغادرهما بأمر من الله تعالى. وكان لهاجر هدف خاص من سؤالها. فقد تزوجت إبراهيم على زوجته سارة وتعرف غيرتها منها حتى أنها طلبت من إبراهيم أن يتخلص من زوجته الجديدة مرارا.. فأرادت هاجر أن تعرف ما إذا كان إبراهيم يتصرف معها بتوجيه إلهي أم أنه يلبِّي رغبة لزوجته سارة. وأجاب إبراهيم عليه السلام على سؤال هاجر إذ أومأ برأسه ورفع إصبعه مشيرا نحو السماء. واطمأنت هاجر، وعادت إلى طفلها إسماعيل.

لقد كانت هذه بداية قصة إعادة بناء البيت. ولم يرد في دعاء إبراهيم الذي صدر عنه وقت إعادة البناء ذكرٌ لوجود أي بلدة في جوار مكان البيت، وابتهل أن يكون الموقع مركزًا لبلدة محرَّمة، كما حكى القرآن المجيد: [وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعَلْ هذا بلدًا ءامنًا]. وعندما أتم البناء وقامت البلدة كان ابتهال إبراهيم.. [ربِّ اجعل هذا البلد ءامنا].

في تلك الأيام وقعت حادثتان عظيمتان.. إعادة بناء البيت التي اشترك فيها الأب مع الابن، واستعداد الوالد وولده لتنفيذ ما اعتبراه أمرًا إلهيًا يضحي فيه الأب بابنه إسماعيل. والأحداث كلها مثيرة ومجيدة. إنها تكشف عن عمق علاقة المحبة بين الله تبارك وتعالى ونبيه إبراهيم عليه السلام، لقد بُني البيت هيكلا بسيطا، ولكنه كان أحب بقعة إلى الله ليعبد فيها.

وفي دعاء إبراهيم عند تجديد البيت ابتهل إلى الله تعالى لبعثة محمدﷺ الذي سيكون سببا في عودة البيت مركزا مخصصا لعبادة الله وحده. ولقد أجيب دعاء إبراهيم تماما كما نطق به.. وفي الوقت المناسب بعث الله تعالى محمدًا المصطفىﷺ. لقد ابتهل ابراهيم قائلا: [ربنا وابْعَثْ فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم ءاياتك ويعلمهم الكتٰب والحكمة ويزكيهم..].

إنها أربع دعوات تتعلق بمجيءِ المصطفىﷺ. أولها أن يتلو الرسول آيات الله تعالى على الناس، ثانيها أن يعلمهم الكتاب أي الشريعة، ثالثها أن يبين لهم الحكمة وراء هذا الشرع.. أي لتقتنع به قلوبهم وعقولهم، وأخيرا.. وكنتيجة لكل ما سبق، يطهرهم. ولقد أجاب الله عز وجل دعاء إبراهيم كما صدر عنه مع تعديل مناسب في الترتيب.. حسب ما حكى القرآن المجيد: [هو الذي بعث في الأمِّيين رسولا منهم يتلوا عليهم ءاياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتٰب والحكمة..]. إنه ترتيب إلهي ذو مغزى عظيم. تخبرنا كل الديانات السابقة أن الرسل كانت تتلو على الناس آيات الله، وتعلمهم الكتاب والحكمة وتزكيهم.. ولكن الله تعالى عندما أجاب دعاء إبراهيم قدَّم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة.. وبهذا الترتيب الجديد رفع الله تبارك وتعالى منزلة الإسلام إلى درجة أعلى بكثير مما وصلت إليه الديانات الأخرى. لقد قدّر الله عز وجل أن الأطهار ينالون بركات الإسلام. ولقد اتضح ذلك صريحا في مستهل سورة البقرة.. التي تعلن بأن القرآن المجيد: [ذلك الكتٰب لا ريب فيه هدى للمتقين]. فالأتقياء.. الذين زكت نفوسهم، وتطهرت عقولهم وقلوبهم.. يجدون فيه الهداية الكاملة.. وتحقق فيهم وبهم أهدافه السامية.

إن المنزلة المجيدة للمصطفىﷺ لتبدو جلية إذ يتزكى أصحابه قبل أن يكتمل تعليمهم الكتاب والحكمة.. لقد أُوتيﷺ من الخصائص ما يكفل لمن يصحبه التزكية المطلوبة.. بما يتيح له الإدراك الصحيح لتعاليم الإسلام وحكمه. ولقد أحس سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في التعبير عن هذا المعنى في إحدى قصائده الفارسية حيث قال ما معناه:

«إن أردتَ الدليل على صدق محمد، فكن من عشاقه.. فمحمد هو نفسه الدليل على صدقه وصلاحه». نعم، إن أعظم الآيات التي تنهض دليلا على صدق المصطفىﷺ وصلاحه.. هي خلاله الكريمة وصفاته الجليلة. إن قدرته على التطهير تزكي كل إنسان، ومن ثم تعده وتؤهله ليتقبل صبغة الله تعالى.

هكذا كان الدعاء الإبراهيمي عندما اكتشف آثار البيت بعد بحث مضن وجهد كبير، امتثالا للتوجيه الرباني. ما كان إبراهيم عارفًا بتقويم البلدان ومواقع الآثار.. وما كان يحمل أجهزة الكشف والتنقيب ومعرفة الاتجاهات.. ولكنه رأى كشفًا، فأخذ زوجته وولده، وقطع الفيافي والقفار في رحلة تمتد مئات الأميال. وما أن تعرف على البقعة المطلوبة حتى ترك زوجته وطفله عندها، وقفل راجعًا من حيث أتى.. واضعا ثقته الكاملة في الله عز وجل، مقتنعًا تماما أنهما عند الموضع حيث يقوم البيت الذي سيكون أكرم البيوت.

إن البناء المادي لا يحمل كل هذا القدر من الأهمية.. إن كثيرا من الحكومات تبني بيوتا لله تعالى تكلف أضعاف ما تعهد به أعضاء الجماعة الإسلامية الأحمدية لعيدنا المئوي.. ولسنا نبتغي مثل هذا الهدف، ولسنا نهتم بمثل هذه المقاصد.. إن غرضنا أن نبني ما ينظر الله إليه بعين المحبة، وما يعد مجيدا عند أنبياء الله. إن أول بناء من هذه الأبنية قام بشكل بدائي بسيط متواضع.

وهناك بناء آخر يحمل اسم (آخر المساجد).. وهو مسجد الرسول المصطفىﷺ الذي أنشأه بعد هجرته إلى المدينة. ولم يكن لهذا المسجد سقف من الآجر أو القرميد.. فإذا ما نزل المطر صار فناؤه موحلا، فيلطخ جباه الساجدين وأنوفهم.. ولكن هذا المسجد عند الله يتربع على قمة من التقدير لا يدنو منها مسجد آخر.

إن دعائي، كلما شيدنا مسجدا، أن نسير في طريق هذين المسجدين، ينبغي أن نبني مساجدنا بالدعاء والدموع.. ونطرد من أذهاننا التفكير فيما إذا كان العالم يرضى أو لا يرضى عن مظهرها المادي.

ينبغي أن ندعو كما ابتهل إبراهيم: ربنا املأ هذه المساجد بالمصلين الذين يصدقون ويخلصون في عبادتهم. لقد أعرب إبراهيم في دعائه عن اشمئزازه التام بعبادة الأصنام التي أحدثت في العالم ضلالا عظيما وقال: [.. وَاجْنُبْني وبَنِيَّ أن نعبد الأصنام.. ربِّ إنهن أضلَلْنَ كثيرا من الناس.. فمن تَبِعَني فإنه مني ومن عَصٰني فإنك غفور رحيم..]، أي أن من اختار طريقة تجنب عبادة الأصنام فهو منه، ومن عصاه فخالف طريقته فلا شأن له به.. ولكنه يلتمس له من الله المغفرة والرحمة.

ولقد وصل دعاؤه إلى ذروته في قوله: [ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم.. ربنا ليقيموا الصلوٰة.. فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم.. وَارْزُقْهم من الثمرٰت لعلهم

يشكرون. ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يَخْفَى على الله شيءٌ في الأرض ولا في السماء..]. لقد ترك بعض أهله وذريته في واد قفر.. عند بيت الرحمٰن المقدس.. بغرض أن يكونوا محافظين مداومين على عبادة الله وحده.. لا يشركون به شيئا. والرجاء في الله تعالى رب البيت أن يجعل قلوب الناس تميل إليهم.. وأن يسوق إليهم الثمرات على اختلاف أنواعها.. فلا يحزنون ولا يهتمون وإنما يكونون من الشاكرين. ويعلن إبراهيم أنه قد أقام البيت لله تعالى دون أحد سواه.. ولكن إذا كان في القلب ما لا يدركه فالله تعالى لا تخفى عليه خافية في الكون.. ولا يستطيع أحد أن يُخفي عنه شيئًا بقصد أو بدون قصد.

ينبغي للجماعة الإسلامية الأحمدية أن يأخذوا العبرة والدرس من هذين المسجدين الذين ذكرتهما: أعني المسجد الحرام أول المساجد والمسجد النبوي آخر المساجد.. وأن يذكروا دائما أنهما أقيما فقط لعبادة الله تعالى. إننا لو وضعنا البرامج لبناء المساجد هنا في أستراليا.. وفي كل قارات الدنيا.. بل وفي كل مدينة وقرية.. ولم تكن قلوب البانين عامرة بالتقوى.. وافتقدوا المقدرة على استعمال بيوت الله كما ينبغي.. وافتقروا إلى خصال إبراهيم.. ولم يحوزوا الروح التي تميزت بها عبادة المصطفى ﷺ.. ولم يكن حافزهم الإخلاص الكامل لله تعالى، ولم يتحلوا حلية العباد الصالحين التي يتزينون بها في بيوت الله.. إذا كان الحال كذلك لا سمح الله، فإن البيوت تكون عندئذ لا معنى لها.. ويكون السعي لبنائها بلا فائدة.. ويكون ما أنفق فيها مالا ضائعا.. والعياذ بالله.

وإذن فكلما قامت الجماعة الأحمدية ببناء مسجد، وجب على أعضائها أن يوطدوا في أنفسهم عبادة الله تعالى بتصميم متجدد.. في كل مرة أسافر فيها إلى الخارج لهذا الغرض ينبغي أن أكون مقتنعا بأن أعضاء الجماعة يتقدمون.. فمن كان منهم ضعيفًا في عبادته ازداد قوة، ومن كان منهم مواظبًا في عبادته ازداد كمالاً. ينبغي أن أشعر في سفري أن أعضاء الجماعة يمضون قدمًا في عبادتهم لله عز وجل بما يوجِّه نظرات محبته ورحمته نحونا. إن عبادتكم للمولى سبحانه وتعالى هي التي تسبغ المجد على برنامج بناء المساجد وتملؤه بالإخلاص والصدق.

عليكم أن توطنوا أنفسكم على العبادة بإخلاص، تعلَّموا أداء العبادة حق الأداء، علِّموا عائلاتكم الصلاة على وجهها الصحيح، ودرِّبوهم على المواظبة فيها وفهم معانيها فهما كاملا. ازرعوا محبة الله تعالى في قلوب أُسركم وادعوا لهذا الزرع المبارك. إذا فعلتم ذلك فسترون كيف أن الله تعالى الذي أمال قلوب الناس نحو أول بيت وضع لله، سيميل قلوب أهل أستراليا نحو هذا «البيت الجديد».. وعندئذ لن تقدر قوة على الأرض من وقف وفودهم إلى هذا البيت.

إن أستراليا من الوجهة الروحانية صحراء، والبيت الذي نشيده فيها يشبه البيت الذي شيده إبراهيم عليه السلام. فقد قام في موقع صحراوي مهجور ماديا وروحانيا. وأستراليا برية قفر تماما.. صلوا وابتهلوا إذن بكل إلحاح وإصرار.. لعل الله تعالى يرضى ويتقبل هذه الروح الصادقة في برنا وإخلاصنا وعبادتنا.. وأن يتفضل علينا فيميل قلوبا كثيرة نحو هذا البيت الذي نشرع في تشييده، وألا يبقى هذا البيت وحيدا وإنما يكون، بعونه، نموذجا لآلاف وآلاف من البيوت التي تبنى هنا لعبادة الله عز وجل.. وأن تمتلأ جميعها بعبَّاد الله.

هذا هو هدف حياتنا وهذه هي جنتنا، هذا هو رضوان الله تبارك وتعالى. فإن أسبغه علينا آمنا بأننا قد أفلحنا في هذه الحياة وحققنا الغرض من وجودنا.

أي الديانات خالدة، بقية

يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصلحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما]. وقد نال المسلمون كل درجة روحية، نالها السابقون ولا يزال الخير في مؤسس الإسلام وفي أمته إلى يوم الدين.

والآن حان لنا أن نقول بكل قوة ونعلن للملأ بصوت أعلى بأن الدين الإسلامي هو وحده دين عالمي خالد، وأن تعاليمه وحدها سوف تكون المرجع الأخير للعالمين، وليس هناك دين غيره يثبت في العراك العنيف بين الدين والفلسفة، ويزيل وساوس الإلحاد، ويقشع سحب اللادينية بقوة الحجة والبرهان، وليس هناك دين غيره يفتح على الإنسان باب الوحي والإلهام، ويدخل الطمأنينة إلى قلبه ويجعله من المقربين. فالإسلام هو الدين العالمي الخالد، وهو المنهل الصافي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه ترجعون.

الإسلام كما يراه مسيحي عربي

للأستاذ: أبو خالد

طلع علينا مؤخرًا الأستاذ أنيس شدُّش الداعية المعمداني بكتابه «الإسلام».. كما يراه مسيحي عربي». ويقع هذا الكتاب في ثلاث مائة صفحة من الحجم المتوسط، وقد نشر بواسطة شركة ناشبيل تينسي في الولايات المتحدة سنة ١٩٨٨ باللغة الأنجليزية.

ينقسم هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين: الأول ويشتمل على نقد بل وطعن في بعض المبادئ الإسلامية. وفي الثاني يتحدث الكاتب عن المناظرة الدينية التي جرت بينه وبين الشيخ أحمد ديدات أحد العلماء المسلمين في بريطانيا.

لقد ادّعى صاحب الكتاب أنه استطاع لكونه مسيحيا عربيًا، أن يكشف النقاب عن حقيقة الدين الإسلامي، وأنه كان موجها إلى المسلمين عامة وللعرب منهم خاصة، أولئك العرب الذين، كما يقول، يدعون ربهم يوميا: [اهدنا الصراط المستقيم]. وفي آخر مقدمته للكتاب يرجو أن يجد القارئ فيه (أقوى وأنجع دفاع عن المسيحية في مواجهة الإسلام).

وحسبنا للتعرف على الكاتب ما يقوله الدكتورأدريان روجرز رئيس المجمع المعمداني في جنوب الولايات المتحدة وهو يقدم لهذا الكتاب:

«إن الدكتور شدُّش يفهم المسلمين أكثر من أي مسيحي آخر، لأنه نشأ وترعرع في مدينة الناصرة حيث تعيش أكثرية مسلمة، ثم في القدس الشرقية حيث يكون المسلمون أيضا أكثرية سكان المدينة. وفي خارج البلاد المقدسة كان الكاتب أكثر القساوسة العرب صلة بالمسلمين. وهو مطلع على القرآن ومبادئ الدين الإسلامي، ويعرف أين يتفق المسلمون والمسيحيون وأين يختلفون. كما وأنه فهم اليهود ولم يتردد عن إعلان حبه لهم من أجل يسوع المسيح وبذلك كسب عطفهم أيضًا. لقد فقد والده وعمه أثناء اجتياح القوات الإسرائيلية لبلدة الناصرة سنة ١٩٤٨، فهاجر مع أمه إلى الأردن وهو يافع، ومن ثم إلى الولايات المتحدة حيث أتم دراسته وحصل على لقب دكتور في اللاهوت وأصبح مبشرًا دوليا. وقد ألف العديد من الكتب كان آخرها الكتاب الذي بين أيدينا».

لقد تعرض الكاتب إلى عدة نواح من الدين الإسلامي، وجمع ما ساغ له من الملاحظات والاعتراضات، دون أن يتوخى الصدق والنزاهة ودون أن يقف على الحقائق والوقائع التاريخية الثابتة في كثير من الأحيان. ولم يستنكف عن سرد حوادث وعبارات استهدف منها الطعن السافر في مبادئ الدين الحنيف والنبي الكريم ﷺ.. حتى يسمح لنفسه أن يطغى على لغة القرآن العربية لغة الوحي وكلام الله تبارك وتعالى. ومن الغريب بل ومن عدم اللياقة أن تصدر عن رجل دين حصل على درجة عالية من علم اللاهوت، اتهامات باطلة كهذه لدين سماوي له قداسته الراسخة في قلوب مئات الملايين من سكان الكرة الأرضية.

لقد أهداني هذا الكتاب أحد الأصدقاء المعمدانيين، وبعد أن تصفحته توجهت في الحال برسالة إلى صاحبه أنكرت عليه بعض ما كتبه، لكنه لم يجبني حتى الآن. وبتُّ أترقب الفرصة لأرد ولو على بعض تلك المطاعن، حتى علمت باستعداد مجلة «التقوى» الغراء لنشر ما أعده من رد على ذلك الكتاب. ومع أنني لن أتمكن من الرد على كل ما جاء فيه إلا أنني سأتطرق إلى بعض النقاط الهامة قدر استطاعتي، سائلا المولى التوفيق، وراجيا أن تصل هذه الملاحظات إلى علم صاحب الكتاب بطريق أو آخر.

في الجزء الأول من الرد سأتناول اعتراضات المؤلف على القرآن الكريم، وسأحاول الرد على أكبر عدد منها، وسأتبعه إن شاء الله بردود متلاحقة.

يقول الكاتب في الصفحة ٢٤ عن القرآن الكريم ما يلي:

«لقد استمر نزول القرآن وتدوينه مدة ثلاث وعشرين سنة. بعض أجزاء القرآن سمعها كتاب الوحي من شفتي محمد، وقد تكون دونت أو أنها حفظت في مكان ما، ثم دونت في أزمان لاحقة...»

«أجزاء كثيرة من القرآن حفظت عن ظهر قلب فقط ولم تدون في حياة النبي قط».

«أول مخطوط كامل للقرآن جمع بعد وفاة النبي بعشرين سنة ثم أودع عند حفصة أرملة النبي».

وجوابنا على هذه الملاحظات أن الكاتب أخطأ فيما قال، لأنه لم يكلف نفسه عناء البحث والتحقيق ومراجعة المصادر الموثوقة والعديدة حول هذا الموضوع بنزاهة.

أبدأ بما قاله في الملاحظة الأولى من أن القرآن استمر نزوله ثلاث وعشرين سنة. ومع أنه لم يعلق على ذلك، لكن أغلب الظن أنه رأى في هذه الحادثة موضعا للطعن والنقد، ولو أنه لم يفعل ذلك صراحة. وذلك لأن هذا الأمر كان منذ القدم موضعًا لطعن أعداء الإسلام، ولأن الكاتب كما تبين لم يأت بنصوص قرآنية إلا لغرضين اثنين، إما لأجل الطعن، أو لأنه وجد في تلك النصوص تأييدًا لرسالة عيسى عليه السلام وتقديسا له ولأمه. وسواء قصد الاعتراض أم لم يقصد، فإني أرى من الفائدة له ولكل من يظن سوءً بكتاب الله المجيد أن أذكر الآية القرآنية حول هذا الموضوع ففيها الجواب الشافي:

[وقال الذين كفروا لو لا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة. كذلك لنثبِّتَ به فؤادَك ورتَّلناه ترتيلا] (الفرقان: ٣٣). وأذكر أيضا ما قاله النبي أشعيا بهدا المعنى: «لمن يعلم معرفة، ولمن يفهم تعاليم، للمفطومين عن اللبن، للمفصولين عن الثدي، لأنه أمر على أمر، أمر على أمر، فرض على فرض، فرض على فرض، هنا قليل هناك قليل». (أشعيا ٤٨: ٨ و١٠).

فلفائدة الكاتب وللفائدة العامة نقول إن القصد من نزول القرآن على مدى ثلاث وعشرين سنة، وليس جملة واحدة، هو كما لا يخفى على كل عاقل فهيم أن يتسنى حفظه وتعليمه وتطبيقه شيئا فشيئا، كما جاء في الآية الكريمة وفي الكتاب المقدس.

يقول الدكتور شدش أن كُتاب الوحي سمعوا من النبي الكريم «أجزاء» فقط من القرآن الكريم وليس القرآن كله. ثم يمضي ويقول: «إن هذه الأجزاء قد تكون دونت زمن النبي أو قد تكون دونت في أزمان لاحقة بعد وفاته».

إن هذا الادعاء باطل لا أساس له من الصحة، ولا يستشف منه سوى محاولة المؤلف التشكيك في صحة أجزاء من القرآن الكريم كي يلقي غلاله من شك على القرآن كله. فإذا لم يسمعوا كتاب الوحي من النبي الكريم، كما يقول، إلا أجزاء معينة من القرآن فقط، فمن أين جاءتنا الأجزاء التي يجب أن تكون موضع الاعتراض وهدفا للنقد. وكان واجبا على الأستاذ الدكتور أن يفصح لنا عن مصادر تلك الأجزاء ومن أين جاءت، أمن رأس زيد، أم من رأس عمرو، وذلك ليزيل عن أفكار السامعين والقارئين لأقواله.

إن جميع الشواهد التاريخية والعقلية تؤيد أن كتاب الوحي سمعوا من النبي ﷺ القرآن «بكامله» حين نزوله، وكانوا يعدون بالعشرات، وأنهم دونوه «بكامله» في حياة النبي الكريم وتحت إشرافه وحفظه عن ظهر قلب «بكامله» والنبي الكريم لا يزال حيا يرزق.

ثم إن ادعاء المؤلف أن أجزاء كثيرة من القرآن «حفظت عن ظهر قلب فقط ولم تدون في حياة النبي» فهو ادعاء باطل أيضا. وكما جاء آنفًا، فإن القرآن قد دون (بكامله) في حياة النبي وتحت إشرافه، بالإضافة إلى حفظه كاملا أيضا زيادة في التأكيد من حفظ النصوص القرآنية. مع أن الحفظ عن ظهر قلب كان بحد ذاته أداة كافية لسلامة هذه النصوص ونقاوتها. عندما كلف الخليفة الأول أبو بكر الصديق زيد بن ثابت بجمع نصوص القرآن في مخطوط واحد، وجد زيد جميع أجزاء القرآن، مكتوبة ومدونة، وجدها في بيت النبي ﷺ، ووجدها في بيته هو وفي بيوت آخرين من الصحابة. بالإضافة إلى سماعه هذه النصوص من عشرات الصحابة الذين حفظوها عن ظهر قلب.

وفي الملاحظة التالية يقول صاحب الكتاب: «إن أول مخطوط كامل للقرآن أعد وجمع بعد وفاة النبي بعشرين سنة». وهذا أيضا قول عار عن الصحة تماما. ولقد تجنى الكاتب في ذلك على الحقائق التاريخية الثابتة. ولا يمكننا إلا أن نجزم أن الكاتب تعمد هنا التشويش والتشكيك وإحداث البلبلة والريبة لدى السامعين. ثم إنه لم يراع الدقة والصدق في سرد ما حدث فعلاً.

لقد جمع القرآن في مخطوط واحد بعد موقعة اليمامة وبعد وفاة النبي بسنة واحدة تقريبًا وليس عشرين سنة. وقد أعد هذا المخطوط زيد بن ثابت بأمر من الخليفة الأول أبي بكر الذي تولى أمور المسلمين بعد النبي مدة سنتين فقط. وقد أتم زيد هذا العمل بدقة متناهية وصنف النصوص بأسلوب علمي صحيح. وكان هذا أول مخطوط رسمي أعد للقرآن الكريم. وكما يروي لنا البخاري وغيره، كان هذا المخطوط عند الخليفة أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين. وفي عهد عثمان بن عفان الخليفة الثالث، وبعد وفاة النبي ﷺ بحوالي ست عشرة سنة «نشر» هذا المخطوط بأمر من الخليفة بعد أن قام زيد بن ثابت بمراجعته وتحقيقه. والمصاحف المداولة بين المسلمين اليوم نسخ أصلية عن ذلك المصحف الذي أعده وجمعه زيد زمن أبي بكر، ونشر زمن عثمان. لم يغير أو يحرّف فيه كلمة ولا حرف واحد. ويعتبر، حتى بشهادة بعض علماء الغرب من غير المسلمين، أصح الكتب التي عرفها العالم من حيث دقته وصفائه. ونحن نقول عن إيمان ويقين إنه سيبقى كذلك لأن الله تعهد بالحفاظ عليه حيث قال تعالى: [لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه]. وقال أيضا: [إنا نحن نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون]. وقد صدق الله العظيم فيما قال. فقد تحقق هذا الوعد فعلا وعملا، ولم يتطرق إلى القرآن تحريف أو تزييف على مدى

أربعة عشر قرنا، وسيظل كذلك نقيا صافيا إلى يوم يبعثون.

المصادر العربية التي تتحدث عن موضوع القرآن كثيرة وعديدة ولا تختلف في أن القرآن «كله» نزل على محمد ﷺ، وهو هذا القرآن المتداول بيننا اليوم، وهو ذلك القرآن الذي أملاه النبي ﷺ على أصحابه من كتاب الوحي حين نزوله، فكتبوه «بكامله» نصا وترتيبا، وحفظه المئات منهم «بكامله» عن ظهر قلب في حياته وتحت سمعه وبصره ﷺ. فكانت مجموعة من هذا النص المنزل في بيت النبي ﷺ ومجموعة أخرى عند زيد بن ثابت وثالثة عند علي بن أبي طالب. ومجموعات أخرى عديدة عند الصحابة رضوان الله عليهم.

لم يكن ممكنا نشره مجموعا في مصحف واحد زمن النبي ﷺ لأنه ظل يتنزل طوال حياته ﷺ. فقام بالخطوة الأولى الخليفة الأول أبو بكر بعد وفاة النبي بسنة تقريبا. وأقر «بالمجموعة الرسمية الأولى» بعد أن قام بتحقيقها زيد بن ثابت ومعه جماعة من الصحابة الثقاة. فكانت بحيازة أبي بكر، ثم بحيازة عمر، ثم بحيازة حفصة، حتى نشرها فيما بعد عثمان بن عفان الخليفة الثالث بعد أن راجعها زيد بن ثابت ثانية، وهي التي عرفت «بمصحف عثمان». وهذا هو المصحف الموجود بين أيدينا حتى هذه الأيام.

وفيما يلي أقدم للقراء الكرام بعض ما جاء في المصادر العربية مختصراً، حول هذا الموضوع وسألحقها بشيء مما كتبه المستشرقون بهذا الخصوص:

أ. يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه «مناهل الفرقان في علوم القرآن» صفحة ١٣٩ وصفحة ٢٥٥:

«اتخذ الرسول كتابا للوحي. كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثيق والضبط والاحتياط في كتاب الله، حتى تطابق الكتابة الحفظ، ويعاضد النقش اللفظ. وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة، كأبي بكر وعمر وزيد بن ثابت وأبي بن كعب. ثم يوضع المكتوب في بيت الرسول ﷺ. وهكذا انقضى العهد النبوي السعيد والقرآن مجموع على هذا النمط منثوراً بين الرقاع والعظام والعسب.

ويروي عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا تنزلت سورة دعا بعض كتاب الوحي وقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي ذكر فيه كذا وكذا. فالجمع في عهد النبي كان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها في مكانها الخاص من السورة. وعن زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع. وهذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبي. وصفوة القول إن القرآن كان مكتوبا كله على عهد الرسول ﷺ، ولكن لم يكن مجموعًا في صحف ولا مصاحف عامة».

(ب). ويقول الإمام الحارث المحاسبي في كتابه «فهم السنة»:

«كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته بين يديه، ولكنه كان مفرقًا في الرقاع والأكتاف والعسب. وكانت توضع الآيات في مواضعها بأمره وبتوثيقه ﷺ. فإنما أمر العديد بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرا، فجمعها جامع، وربطها بخيط، حتى لا يضيع منها شيء.

(ج). ويقول أبو عبد الله الزنجاني في كتابه «تاريخ القرآن» ص ٤٤ إلى ٤٦:

«كان للنبي كُتاب يكتبون الوحي وهم ثلاثة وأربعون أشهرهم الخلفاء الراشدون وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وكان الكتبة يكتبون الآيات في العسب واللحاف والرقاع وأحيانا في الحرير والأكتاف، وكان يطلق عليها الصحف. وكانت تلك الصحف تكتب لرسول الله وتوضع في بيته. ويقول محمد بن إسحاق في الفهرس: كان القرآن مكتوبا بين يدي رسول الله في اللحاف...الخ». وفي روايته لعلي بن إبراهيم عن أبي بكر الحضرمي: أن رسول الله قال لعلي: يا علي إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه وأجمعوه، ولا تضيعوه كما ضيقت اليهود التوراة. فانطلق علي، فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه». وقد جمع على عهد النبي بعض من الصحابة القرآن كله، منهم علي بن أبي طالب وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت. ووافقه البخاري في أربعة منهم».

(د). ويقول المحقق ابن جر العسقلاني في كتابه فتح الباري:

«لقد أملى النبي بنفسه على كتاب الوحي حين نزوله وكانوا كثيرين (يذكر منهم خمسة عشر). وكلما نزل الوحي كان النبي يدعو من هؤلاء الكتاب من يدونونه. كان القرآن كله مكتوبا في المخطوطا، لكنها كانت متفرقة، فجمعها أبو بكر في مجلد واحد. ولم يجمع أبو بكر من القرآن إلا ما أكد على أنه كُتب زمن النبي وكان موجودًا بالتأكيد. كان في بيت النبي ﷺ وعند العديد من الصحابة. وكان الغرض أن لا ينسخ شيء إلا مما كتب بحضور النبي وليس من الذاكرة فقط».

والآن أقدم فيما يلي بعض ما قاله المستشرقون، ممن درسوا الإسلام وحياة النبي الكريم، من علماء الغرب. إن المصادر العربية كانت دائما لهم المرجع والأساس في دراساتهم وتحقيقاتهم. إلا أنني أصبحت أن أورد شيئا مما قاله هؤلاء الباحثون من غير المسلمين لعل ذلك يزيد من اطمئنان الكاتب بصحة ما قلناه، وعلى أمل أن يقتنع بالحق والحقيقة، ويقلع عن النقد الرخيص،

والاتهامات الباطلة.

(أ). يقول السيد وليام ميور في مقدمة كتابه «حياة محمد»:

«كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام. وقد وعت القرآنَ ذاكرةُ كثير من المسلمين الأوليين إن لم يكونوا جميعًا. وقد بلغ بعض أصحاب النبي من قوة الذاكرة ودقتها، ومن التعلق بحفظ القرآن واستذكاره، بحيث استطاعوا معه أن يعيدوا بدقة يقينية كل ما عرف منه إلى يوم كانوا يتلونه. فمن اليسير أن نستنبط غير مخطئين أن الآيات التي وعتها الذاكرة بدقة قد سجلتها الكتابة بمثل هذه الدقة. كذلك كان شأن القرآن أثناء حياة النبي، وكذلك كان شأنه إلى عام بعد وفاته.. بقي مسطورًا في قلوب الذين آمنوا به، مسجلة أجزاؤه في نسخ كانت تزداد كل يوم عددًا. وكان لزاما أن يتطابق هذان المصدران تمام التطابق.

ونستطيع كذلك أن نؤكد استنادًا إلى أقوى الأدلة أن كل آية من القرآن دقيقة في حفظها كما تلاها محمد. والنتيجة التي نستطيع الاطمئنان إليها هي أن مصحف زيد وعثمان لم يكن دقيقا فحسب، بل كان كما تدل الواقائع كاملا، وأن جامعيه لم يتعمدوا إغفال أي شي ء بين الوحي. إن القرآن بمحتوياته ونظامه ينطق في قوة بدقة جمعه، فقد ضمت الأجزاء المختلفة بعضها إلى بعض ببساطة تامة لا تصنُّع ولا تكلف فيها. وهذا الجمع لا أثر فيه ليدٍ تحاول المهارة والتنسيق. وهو يشهد بإيمان الجامع وإخلاصه لما جمع، فهولم يجرأ على أكثر من تناول هذه الآيات المقدسة و وضع بعضها إلى جانب بعض. والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل ثلاثة عشرة قرنا (واليوم أربعة عشرة) كاملا بنصٍ هذا مبلغ صفائه ودقته. وليس هناك مشابهة بين نصوص القرآن ونصوص الكتب السماوية الأخرى».

(ب). يقول نولديكية في مقالته عن القرآن في الموسوعة البريطانية (الطبعة التاسعة):

«إن قرآن عثمان لا يشتمل إلا على العناصر الأصلية في القرآن، وإن محاولات العلماء الغربيين للبرهنة على أنه أدخل إلى القرآن حشو في أزمان لاحقة قد باءت كلها بالفشل».

تجار الدين يحاكمون أهل الله ! ! ، بقية

وكان محمد بن إبراهيم من رجال التفسير الفرس، وكانت كتاباته واضحة سهلة يفهمها الجميع، ولكن المولويين المتعصبين والعلماء (الجهلة) يريدون التفسير الديني في غلالة من الضباب وأدى هذا الخلاف في الرأي إلى أن يرموه بالكفر.

القرن الثاني عشر

كان مولانا معصوم علي شاه مير صوفيًا من دكا بجنوب الهند، حيث وقع في مشادات دينية مع طبقة الكهنوت الذين أقنعوا الملك علي مراد خان أن هذا الصوفي فاسق وخائن للملة. وهكذا اغتيل الرجل، وقطعوا من أتباعه الآذان والأنوف، وحلقوا لهم اللحي.

وكان شاه ولي الله الدهلوي مجدد القرن، مترجم القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية التي كانت لغة الهند الرسمية وقتئذ. أغضب هذا التصرف رجال الكهنوت، لأنه لم يجرؤ مسلم قط على ترجمة كلمة الله من العربية إلى أي لغة أخرى. وتآمروا على قتل المترجم، واستأجروا جماعة من الأشرار ليحيطوا به عند خروجه من المسجد بعد صلاة العصر، ولكنه نجا بأعجوبة إذ لم تتمكن العصابة من إيذائه، وخرج سليما. ثم خمدت المعارضة ضده بالتدريج. وعالم الإسلام اليوم ينظر باحترام كبير إلى العالم الجليل ولي الله شاه.

وكان مرزا مظهر جان جانان شاعرًا صوفيا عظيما ومحبا للأدب. أُطلق عليه النار وقتل. واعتبر ذلك من فعل المولويين المتعصبين.

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي العربي، والمصلح الإسلامي في عصره وموطنه، ومؤسس الحركة الوهابية، فقد قذفه المفتي وإمام الحرم المكي بالهرطقة. واليوم نجد العرب في المملكة السعودية، بما فيهم الأسرة الملكية، من الوهابيين.

القرن الثالث عشر

المولوي عبد الله الغرنوي عالم إسلامي راسخ؛ وقع في المتاعب مع أشباه المتعلمين من شيوخ البلاط الأفغاني، فأخرجوه إلى المنفى في زمن أحد الأمراء. ولما عاد إلى موطنه في زمن الأمير التالي أذلوه وسجنوه حتى مات.

ومولانا محمد قاسم النانوتوي، تلميذ الشاه عبد الغني الدهلوي، مؤسس معهد ديوباند الشهير بالهند للدراسات الإسلامية. وكان مولانا قاسم قائدًا إسلاميا محبوبا، ومناظرًا شديد المراس أمام قادة الديانات الأخرى. أفتى بردته وكفره اثنا عشر عالما من مكة واثنان وثلاثون من المدينة لقوله بأن بعث نبي جديد تابع للنبي محمد ﷺ لا يبطل مقام النبي الأكرم ﷺ بوصفه خاتم النبيين.

المظاهر العلمية للقران الكريم

البروفسور صالح محمد إله الدين
ترجمة: نادر الحصني الحسيني

هناك وجهة جانبية صامتة للقرآن الكريم، فهو دائمًا يُلفت انتباهنا إلى المظاهر الطبيعية المختلفة، ويَحُثنا على التأمل والتمعن في سرّها ومجراها. وبهذا يخلق الدوافع، ويُولِّدُ الرغبات في دراسة العلوم. وباعتبار أن الغاية الرئيسية للقرآن الكريم هي أن يقود بني الإنسان في طريق الهداية إلى خالقهم، فهو يُركز في أننا يجب أن نجعل دراستنا للعلوم ليست فقط وسيلة للتعرف على عالمنا الدنيوي، بل كدليل قائم وشاهد على وجود الخلاق العظيم.. رب العالمين، والتعرف على صفاته من إحكام خلقه وجماله.. والإبداع في دقة تنظيمة، والحكمة من وراء هذا الخلق.

وغاية هذا الموضوع أن نُمثل هذين المظهرين وجمالهما من القرآن الكريم من حيث التشجيع على دراسة الطبيعة، وخلق الحنين إلى الخلاّق والولع والتشوق للوصول إليه من وراء هذه الدراسة.

يقول القرآن الكريم: [وإلٰهكم إله واحدٌ لا إله إلا هو الرحمٰن الرحيم* إن في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الَّيل والنهار والفُلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فَأحْيَا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابةٍ وتصريف الريٰح والسَّحاب المُسخر بين السماءِ والأرض لآيٰت لقومٍ يعقلون* ومن الناس من يتخذُ من دون الله أندادًا يُحبونهُم كحُب الله والذين ءامنوا أشدُّ حبًّا لله ولو يَرَى الذين ظلمُوا إذ يَرَونَ العذَاب أنَّ القُوةَ لله جميعًا وأنَّ الله شديدُ العذابِ*] (سورة البقرة: ١٦٤ و١٦٦).

لا بد هنا أن يكون الجمال البادي في دراسة الظواهر الطبيعية محلاً للملاحظة والتأمل، وقد اندمج في الأسس المركزية لماهية الدين، وقامت قوانينه للاستدلال عليها. ومن المُلاحظ أيضًا أن الانتباه قد وُجه إلى عناصر متعددة من هذه المظاهر الطبيعية، للحث والتشجيع على سائر الدراسات العلمية في جميع فروعها المتوزعة ومواضيعها المختلفة.

ويقول الله تعالى: [إن في خلق السمٰوات والأرض واختلٰف الَّيل والنهار لآيٰتٍ لأُولي الألباب* الذين يذكرون الله قيٰمًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السمٰوات والأرض ربَّنا ما خلقت هذا بٰطلاً سبحٰنك فَقِنا عذاب النار*]. (آل عمران: ١٩١ و١٩٢).

هذه الآيات تزودنا بالدافع للدراسات العلمية، ونشاهد تأثيراتها تنعكس في الدرجة العالية من الإبداع والدقة المُدهشين التي بلغها علماء المسلمون في العصور التالية لبعثة محمد ﷺ. وهناك مخطوطات علمية من إنتاج هؤلاء العلماء المسلمين في متحف (سالار جنغ) في حيدر آباد، ومكتبة (خدا بخش) في (بَاتْنَا)، يستهل بها الكاتب إنتاجه بالاستشهاد بهذه الآيات السابقة من سورة آل عمران، اعترافا منهم بأنهم مدينون للقرآن الكريم بتزويده إياهم بالدافع لهم على دراساتهم.

هنا يخبرنا القرام الكريم أن الأكوان من حولنا لم تُخلق عبثًا، وأولو الألباب يُدركون بأنه تعالى ما خلق هذا باطلاً.. فهي آيات لهم تهيبُ بهم أن يتفكروا فيها، ويتمعنوا في دقةِ صنعها وخلقها.. ويُحققُوا في الخواص والأسس المبنية عليها في مختلف أشكالها.. وأن يتقصوا المنافع من هذه المعارف.

المشكلة الأولى التي يعقد العلماء على حلها الآمال، ويترتبُ على حل عقدتها حل الكثير من المشاكل العلمية الغامضة، هي ولا شك كيفية بدء الخلق أو المنشأ العلمي لخلق السمٰوات والأرض. فهي من المعضلات ذات الأهمية الأولى في العلوم.

ألبرت اينِيْشتاين أعظم علماء القرن في هذا المجال يقول: ليس اهتمامي بهذه المشاهدات ولا تلك المظاهر وكيف تعليلها، ولكن اهتمامي ينصب على كيفية إنشاء الله للسمٰوات والأرض عند بدءِ الخليقة.

تُعلمُنا هذه الآيات بأن تحقيقاتنا واستنتاجاتنا يجبُ أن تترافق بذكر الله، موقنين بأنه تعالى وراء هذه البدائع كُلها، فهي من صنع يديه، فإن نغفل عن ذلك بُرهة فلسنا من أولي النَهى، ولسنا من ذوي الفطنة والعقل في الاصطلاح القرآني. وقد علّمنا

القرآن الكريم ذلك الدعاء القيّم: [وقُل ربِّ زدْني علمًا]. (طه: ١١٥).

فبينما تدفعنا الآية الكريمة لأن نقصد العلم والمعرفة ونغرف من معينهما، فإنها تعلمُنا من جهة أخرى بأن الله سبحانه هو مصدر كلِّ علم ومعرفة، ولن نصل إليها إلا بتوفيقه وعونه. وتشير الآية أيضًا إلى أن العلم يصدر عن معينٍ لا ينضَبُ، وليس هناك حدٌّ للتقدُّم في مجاله.

ومثال آخر للأسلوب الرفيع الذي يدفعنا فيه القرآن الكريم، ويقوي عزائمنا في طلب العلم والتبحر فيه، وفي نفس الوقت يُضفي على الموضوع جوًّا من الروحانية، نجده في الآيتين التاليتين من سورة الفاطر:

[ألم ترَ أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرٰت مختلفًا ألوانها ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سود* ومن الناس والدواب والأنعٰم مُختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماؤُا إن الله عزيز غفور*]. (فاطر: ٢٨ و٢٩).

دراسة الألوان وجهة من مظاهر العلوم اليوم.. والكواكب السمٰوية تختلف ألوانها بالانعكاس. ودراسة الألوان المنعكسة عن أشعاعها.. يكشف عن الموارد المتوفرة في الكوكب ونوعيته وماهيته. فالدراسة التفصيلية للألوان في غاية الأهمية في العلوم المعاصرة. والتعمق في دراسة الطبيعة يجب أن يترك عندنا بالضرورة انطباعًا قويًا لعظمة الخلاق. فالآية توكد أن خشية الله هي نتيجة حتمية لكل علاّمة غزير الاطلاع.

ومثال آخر للأسلوب المتقن الرائع الذي يوجه به القرآن الكريم الانتباه إلى الظواهر الطبيعية، وفي نفس الوقت، يوجه العقل ويهيب به أن يفكر بعظمة الخلاق.. هذه الآيات من سورة المؤمنون، التي تركز خاصة على العلوم الحيوية، حيث يقول:

[ولقد خلقنا الإنسٰنَ من سلٰلة من طين* ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين* ثم خلقنا النُطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظٰمًا فكسونا العظٰم لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبٰرك الله أحسن الخٰلقين*]. (المؤمنون: ١٣ إلى ١٥).

ما أبدع وما أجمل هذه الإشارة القرآنية التي تصف المراحل الفيزيائية لنمو الجنين من مبدأ تكوُّنه إلى إنسانٍ كامل، فتبلغ الذروة في تمجيد الله من خلال أعلى وأسمى تصميم، ألا وهو خلق الإنسان.

وانظر بالاعتبار أيضًا إلى الآيات المشوقة التالية التي تُزودنا بالدافع القوي لدراسة العلوم.. كما توجه انتباهنا في نفس الوقت إلى وجود الخالق المنظم، والرب الذي يكلأ خلقه بالعناية.

[أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت* وإلى السماء كيف رُفعت* وإلى الجبٰل كيف نُصبت* وإلى الأرض كيف سُطحت* فذكر إنما أنت مُذكر* لست عليهم بمُصيطر*]. (سورة الغاشية: ١٨ إلى ٢٢).

لقد أُثير الانتباه هنا عرضًا إلى المبدأ القرآني القائل: [لا إكراه في الدين]، فقد طُلب من الرسول الأعظمﷺ أن يُذكر، ونَفى أن تكون له أي سيطرة. والإشارة إلى رسول الله كمُذكر ومبشر ونذير، يُلهبُ في قلوبنا نار المحبة والشُكر ومعرفة الجميل والاعتراف بالفضل. فمن خلاله وبواسطتهﷺ وصلتنا الرسالة المُهيمنة والهدى الكامل للقرآن الكريم.

وكعالم فلك أشعرُ بكل التقدير ويُثيرُني الإعجاب أيضًا بهذه الآيات:

[أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيٰنٰها وزيَّنٰها وما لها من فروج* والأرض مددْنٰها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا من كل زوج بهيج* تبصرةً وذكرٰى لكل عبدٍ منيبٍ] (سورة ق: ٧ إلى ٩).

الرسالة التي يعرضُها علينا القرآن هنا هي بالغة الأهمية. فلقد لعب الفلك دورًا بارزًا في توليد النظريات العلمية. فالكواكب السماوية لا تضيءُ علينا فقط.. بل تُثير أفكارنا أيضًا باقتراحات لتعليل المشاهدات المرئية. فالعلامة الفرنسي المختص بالرياضيات الفلكية (إتْش يوّيني كيْن) يكتب: «نجوم السماء لا تُرسل إلينا فقط أضوائها المرئية الواضحة التي تستقبلها عيوننا الفيزيائية، ولكن أيضًا تأتينا منها أضواء تُنير عقولنا».

فالقرآن الكريم يتوقع منا أن نرجع إلى الله من خلال ما توجه إلينا هذه الكوكب من التنظيم الهائل للخلق.

ومثال آخر أيضًا من الأسلوب القرآني في إثارة التفكير والتمعن في الظواهر الطبيعية متوطئًا تشويق الروح إلى معرفة الخلاق من ورائها.

[والسماء بنيٰنٰها بأيدٍ وإنّا لموسِعُون* والأرض فرشنٰها فنعم المٰهدُون* ومن كل شيءٍ خلقنا زوجين لعلّكم تذكَّرونَ* ففِرُّوا إلى الله إني لكم منهُ نذيرٌ مبينٌ* ولا تجعلوا مع الله إلٰهً ءاخر إني لكم منه نذيرٌ مبينٌ*]. (سورة الذاريات: ٤٨ إلى ٥٢).

إن كثيرا من صفات الله تعالى وأسمائه العُليا تتجلى، ولا شك، من وراء خلقه للسمٰوات والأرض. وإنه خلق من كل شيء زوجين: هي نقطة مثيرة لمزيد من الاهتمام في دراسة العلوم.

فهنا جُمعت السماء والأرض كزوجين متقابلين بينهما اتحادٌ واتفاقٌ وتآلف، كمثال لما يجب أن تكون عليه علاقة الخالق بالمخلوق والروح بالجسد من رجع الصدى والتجاوب. فالإنسان يثار ليتجه إلى الله [ففروا إلى الله] وحققوا تلك الوحدة معه التي

هي الغاية المتوخاة من الخلق.

وهكذا يُعلمنا القرآن الكريم أن نحرز تقدمًا في كلا المجالين: مجالي العلوم الدنيوية والترقي الروحاني. وباتباع تعاليمه تستطيع الإنسانية أن تبلغ حظًا من مجال العلوم بدون أن تؤدي بها المعرفة إلى تحطيم نفسها وخراب مجتمعاتها. لقد وُصف الله تعالى بأنه [الرحمٰن الرحيم]. ووُصف رسوله الكريم بأنه [رحمة للعٰلمين]. (سورة الأنبياء: ١٠٨). وعليه فالمؤمن الحق الذي يتبع تعاليم القرآن الكريم هو وحده يستطيع أن يسخر علمه لخدمة الإنسانية ومنافعها.

القرآن الكريم يُثير الاهتمام بدراسة العلوم بضرب أمثلة من الطبيعة في مجال تلقين الدروس في التربية الروحية والقيم الأخلاقية حيث قال:

[الشمس والقمر بحسبانٍ* والنجم والشجر يسجدانِ* والسماءَ رَفَعهَا ووضع الميزانَ* ألا تطغوا في الميزان* وأقيمُوا الوزنَ بالقسط ولا تُخسروا الميزان*]. (سورة الرحمٰن: ٦ إلى ١٠).

لاحِظ هذا الأسلوب الساحر الأخاذ الذي وجه به القرآن الكريم الانتباه إلى التوازن الدقيق المدهش في حركة الأجرام السماوية، ثم وَجَّهَنا بأن نقيم التوازن العادل في معاملاتنا الاجتماعية، مركزين أفكارنا على المثل السامي الذي قدمه لنا رب العالمين.

القرآن الكريم يؤكد مشدِدًا على وجوب اتباع الحق والتزام الصدق، فهي مزايا أساسية في كل مجتمع فاضل، كما هي مزايا أساسية في كل علامة يتحرى الحقيقة، فمثلا، على الرغم من أن الإسلام قد بُني على التوحيد الكامل، فإننا نجد أنه يطلب من الرسول الأعظم ﷺ: [قل إن كان للرحمٰن ولدٌ فأنا أول العٰبدين*]. (سورة الزخرف: ٤٦).

فهنا يضع القرآن الكريم قاعدة أساسية في دراسة العلوم، فهمها تكُن الفكرة أو النظرية بعيدة عن المألوف، ومهما خالفت عاداتنا وتقاليدنا ومُعتقداتنا، فللتحقيق فيها يجب أن نقترض إمكانياتها، فالحق أحق أن يُتبع. ومهما تكن الفكرة أو النظرية السائدة قريبة من قلوبنا ومشاربنا، إذا عارضت الحق، فالحق يجب أن يتجلى.. فهو يعلو ولا يُعلى عليه.

القرآن الكريم يُهيب بنا أن نعمل بجدٍ ونشاط فيقول: [وأنْ ليس للإنسان إلا ما سَعٰى*]. (سورة النجم: ٤٠).

والقرآن الكريم يوصينا أيضًا بالثقة والشجاعة حين يعطينا التأكيد من رب العالمين بأنه سيقود إلى الهُدى أولئك الذين يحثون الخطى في سبيله، فنجده يقول: [والذين جٰهَدوا فينا لنهدينَّهُم سُبُلَنا وإن الله لمعَ المُحسنين] (سورة العنكبوت: ٢٩). وهكذا لا يكتفي القرآن الكريم بمجرد تشجيعنا على دراسة العلوم والغوص في بحر الحكمة والمعرفة، ولكنه يولد فينا تلك الصفات التي نجد أن دراسة العلوم في الحاجة الماسة إليها، وعليها يتوقف النجاح لكل علاّمة يجدّ في طريق المعرفة.

القرآن الكريم كلام الله، والعلوم ما هي إلا الدراسة لخلقه صنع يديه سبحانه وتعالى. فليس من مجالٍ لوجود التناقض والتعارض بين الدين والعلم، إذا ما تفهمنا كليهما على وجه الصحة.

بعض الحقائق العلمية الموجودة سابقًا في القرآن الكريم، قد أقيم الدليل عليها اليوم في العلوم المعاصرة. مسيو موريس بيكهاي في كتابه (الكتاب المقدس والقرآن والعلوم)، قد ذكر بعض هذه الحقائق. وأنا بدوري أحب أن أذكر حقيقة علمية سابقة لأوانها في القرآن الكريم، لم تكتشفها العلوم المتقدمة حتى اليوم.

حاليا هناك مشكلة على غاية الأهمية يسعى لجلائها العلماء، هي اكتشاف الحياة في الفضاء خارجًا عن نطاق كُرتنا الأرضية. وفي حقيقة الأمر أن لجنة من اتحاد المراصد الفلكية قد شكلت فعلاً للبحث فيما إذا كانت هناك حياة فيما وراء الفضاء الخارجي للأرض؟

القرآن الكريم الذي أوحى به قبل أربعة عشر قرنًا، يحتوي على الملاحظة التالية حول الموضوع: [ومن ءايٰته خلقُ السمٰوات والأرض وما بث فيهما من دابةٍ وهُو على على جمعهم إذا يشاءُ قدير*]. (سورة الشورى: ٣٠).

فالقرآن الكريم يثير حب الاستطلاع العلمي، ويركزُ على هذه الإثارة، ويزيد في حدتها، ويشغل في لهيبها، حتى حول أحدث المواضيع العلمية المستجدة اليوم. وباختصار يُشجع على اكتساب العلم والتحلي بالمعرفة، ويحث عليه، ويُنمي فينا الملكات العلمية، وفي نفس الوقت يوجهُ انتباهنا إلى العلي القدير، ويوحي إلينا بالحنين إلى قربه، ويشحذ الشوق لمعرفته من خلال خلقه.

تجّار الدين يحاكمون أهل الله ! !

بقلم: الأستاذ المرحوم فيض الرسول
ترجمة: الحاج محمد حلمي الشافعي

منذ أن وقف إبليس متجبرا وأعلن قائلا: «لأقعدن لهم صراطك المستقيم».. وهو دائب على تنفيذ كلمته. وأسلوبه يتكرر عبر العصور؛ كلما بعث الله رسولا، أو أقام مصلحا تصدت له ذرية إبليس، عملا بوصية أبيهم. وذرية إبليس هم أولئك الذين يلبسون مسوح الكهنوت، ويرتزقون من تجارة الدين، يحتمون خلف سلاطين الجور، ويختفون تحت ستار المناصب الدينية. وهم كسلفهم جرأة، بل وقاحة.. يتهجمون على رجال الله ويرمونهم بالكفر، والارتداد، والمرق، والخروج، والتجديف، والزندقة، والإلحاد، والتعطيل، والابتداع، والفسوق، والعصيان، والهرطقة.. وبكل ما يفرزه عقولهم الشريرة من اتهامات.. يخدعون بها العامة، ويعرقلون بها مهمة رجال الدين.

إبليس الرجيم.. يفاخر آدم (عليه السلام) ويزعم أنه خير منه.

أبو لهب الذميم.. يسب محمداً ﷺ ويرميه بالكذب.

شرار الخلق في كل زمان يقذفون الأبرار الأطهار.

هذا هو أسلوب إبليس وذريته منذ خلق الإنسان وإلى يومنا هذا.. أو على حد التعبير القرآني: [أتواصوا به؟]. وكأنه صار قانونا لتمييز رجال الله المصلحين.. أن ينالوا قسطا كبيرا من الاتهامات والأكاذيب والأباطيل.. من يد الملأ الذين استكبروا.. حكاما وكهنة.

وفي كتاب (الفطرة السليمة عن الأحمدية) للكاتب فيض الرسول (رحمه الله)، يطرق هذا الموضوع. وقد اقتبسنا لكم صفحات منه، تعرض أفعال بني إبليس مع أولياء الله منذ القرن الهجري الأول وحتى القرن الهجري الثالث عشر؛ ويتبين منها السنة الإبليسية الكهنوتية في محاربة رجال الله. ولعلنا نوفق، إن شاء الله، في نشر الكتاب كاملا. [المحرر]

عندما أوشك أعداء الإسلام على اغتيال الخليفة الراشد الثالث.. ذي النورين، والمبشر بالجنة.. سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.. قال لقتلته:

«لو قتلتموني اليوم، فتذكروا أن المسلمين لن يتحدوا بعدها في صلاتهم ولا في جهادهم ضد أعدائهم حتى آخر الأيام».

ولا تزال هذه اللعنة تصاحبنا؛ فقد كثرت الطوائف التي يكفر بعضها بعضا؛ ويساء الحال قرنا بعد قرن.. بما تطلّب ظهور المجدد أو المصلحين، ثم المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

القرن الأول الهجري

كانت هناك فئة كهنوتية في طور النشوء، ولها أتباع خاضعون لفكرها. اتهمت هذه الطائفة الخليفة الثالث عثمان، والخليفة الرابع علي، والأمام الحسين بن علي.. رضي الله عنهم أجمعين.. اتهمتهم بالكفر والردة، ثم عملت على اغتيالهم.

القرن الثاني الهجري

وصموا الجُنيد، ومحمد الفقيه، والإمام مالك بن أنس، والإمام الشافعي.. بالكفر والارتداد.. وكلهم رجال من أهل التقى والورع والعلم.

الإمام أبو حنيفة النعمان، مؤسس مدرسة الفقه الحنفي، التي تقوم عليها إلى اليوم المذهب الحنفي، وهو أحد المذاهب الإسلامية السنية الكبرى.. رموا هذا الإمام بالكفر والارتداد؛ فاعتقلوه، وحبسوه، وعذبوه، وسمّموه، ومات في سجوده بالسجن. وحفروا قبره فيما بعد، ونبشوا جثته، وأحرقوها، ودفنوا كلبًا في قبره، وجعلوه مرحاضا في بغداد. أعلن الكهنوت الجاهل أن كل الأحناف كفار خارجون عن ملة الإسلام. ولما كان الحال هكذا، فإن الغالبية الكبرى من المسلمين غير العرب، بما فيهم علماؤنا

وطبيبا ورياضيا، ومؤلفا لشروح أرسطاليس المشهورة، ومصنفا لكتب أخرى كثيرة متنوعة. وهو أحد أعاظم العرب الخمسة في كتاب البروفسور فيليب حتّي (العرب في التاريخ). نجح علماء زمنه في أن يرموه بالهرطقة والخروج، وعزلوه من مركزه الرفيع، ونفوه، وأحرقوا كتبه. وإن كانوا لم يقتلوه.. لأنه كان متبعا للشريعة في حياته حق الاتباع. وفيما بعد استدعوه، وردوا اعتباره جزئيا.

والصوفي الأندلسي العظيم، محي الدين ابن عربي، كان يدعو قائلا:

اللهم «أدخلني في محيط أحديتك اللانهائي». وهذه هي أول عبارة في كتاب (ما هي الصوفية) الذي كتبه مارتن لانجز في القرن الرابع عشر الهجري (١٩٧٥) عن رجل عاش في القرن السادس الهجري. ذلك هو الصوفي الذي أعلن كهنوت عصره أنه كافر، فاسق، المرتد الأعظم.

وهناك صوفي عظيم آخر هو شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي، سجنوه ثم خنقوه حتى الموت.

وهناك أيضا صوفيان مشهوران.. هما فريد الدين العطار وشهيب حسن المغربي، تعرضا للمضايقة والإزعاج على يد (الجستابو الديني) من العلماء والمولويين المتعصبين.

القرن السابع الهجري

كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي والشيخ عزيز بن عبد السلام من أقطاب الصوفية وكتابها المعروفين، ومع ذلك رموا بالتجديف.

ونظام الدين أولياء، سلطان الأولياء المشهورين في الهند، والمدفون في دلهي، شجبوه لسماعه الموسيقى. وأثناء محاكمته قدم لهم الدليل على أن النبي ﷺ استمع إلى الموسيقى، ولكن ذلك لم يكن كافيا لدى المفتي الحنفي المذهب والذي أصر على دليل يثبت أن الإمام أبا حنيفة استمع إلى الموسيقى!

والإمام ابن تيمية، العالم الجليل، سُجن في مصر زمنا طويلا، وعذّبوه حتى مات في السجن. وقُبيل وفاته بساعات جاءه وزير دمشق يستسمحه لأنه كان أول من تهجم عليه. فقال الإمام الموشك على الموت: إني أصفح عنك وعن كل من عارضوني، لأنهم لم يعرفوا أني كنت على حق. وأصفح عن الملك الناصر الذي أمر بسجني لأن مستشاريه لم يعرفوا الحقيقة.

وكان شمس التبريزي وليا كريما في عصره، وكان معلما لعدد ممن صاروا بعد ذلك أولياء. سلخوا جلده حيًا لأنه قال بأن التغني بالتسابيح حلال.

وجلال الدين الرومي، الدرويش ذو الشهرة الواسعة؛ مؤسس الطريقة المولوية وصاحب «المثنوي» المعروف (فن شعري في الأدب الفارسي)، كفّروه وكل الذين اتبعوه.

القرن الثامن الهجري

كان (هراطقة) هذا القرن شخصيتان هامتان. أحدهما الإمام ابن القيم الذي لم يسوِّ بين زيارة قبر إبراهيم (عليه السلام) في جبرون وزيارة الكعبة في مكة وزيارة المسجد النبوي وقبره في المدينة؛ فسجنوه، وحقروه، وعذبوه.

وثانيهما الصوفي تاج الدين السبكي الذي هاجمه الكهنوت وأعنتوه.

القرن التاسع الهجري

اتهم بالهرطقة مولانا عبد الرحمان جامي، الولي المعروف.

والسيد محمد الجونبوري مؤسس الصوفيه المهدوية، رموه بالكفر، لأنه ادعى بأنه مهدي الوقت.

وكان الشيخ علائي قائد الحركة المهدية في البنغال، وأعلن (العلماء) وجوب عقابه وضرب عنقه.

القرن العاشر الهجري

استشهد مولانا أحمد البيهاري في دلهي، وهو الحكيم الجليل.. بتهمة الكتابات التجديفية.

كما أن الصوفي بايزيد البسطامي ذهب إلى بشاور ليدعو إلى أفكاره، فقذفوه بالخروج والفسوق.

القرن الحادي عشر

كان الحكيم علي ثاني مجدد هذا القرن. وكانت مهمته بالطبع أن يقيم الاعوجاج الذي زحف إلى الدين خلال القرن. وقاده هذا إلى الصراع مع الكهنوت، فاتهموه بالهرطقة أمام المحكمة الإمبراطورية بدلهي. ولقد نجا من العقوبة ولكنهم أبقوه في السجن.

أما الصوفي الأرمني سرمد، الذي دخل الإسلام، وذهب إلى الهند، فقد أوقعته غرابة مسلكه في المتاعب مع العلماء والمولويين، وحكموا بضرب عنقه. ولما تقدم نحوه الجلاد شارها سيفه، وكان ذلك أمام المسجد الجامع في دلهي، قرأ هذه الأبيات من شعره:

أيقظتنا ضجة من سبات العدم.. ففتحنا العيون.

وإذا بليل المحن لم ينجل بعد، فحُدنا إلى النوم.

المبدعون: أبو الأعلى المودودي، والسير محمد إقبال، وأبو الحسن على الندوي والحنفاء.. كلهم كفار، وفقًا لقول أسلافهم الروحيين، وإخوانهم العلماء في القرن الهجري الثاني. ولما كان هذا غير ممكن، ثبت عليه الاتهام وأدين بالفسوق.

القرن الثالث الهجري

الإمام البخاري.. صاحب صحيح البخاري، أصح كتاب بعد القرآن الكريم.. رموه أيضا بالكفر، وشهد على (كفره) ثلاثة آلاف من (العلماء) الجهلة. ونفوه من بخاري إلى خارتانج، وهناك لم يدعوه في سلام، وفي كربه الشديد.. دعا الله تعالى.. فأراحه بالموت العاجل.

عالم عظيم آخر.. الإمام أحمد بن حنبل، سجنوه، وقيدوه في السلاسل الثقيلة، وأكرهوه على المسير في الأصفاد من طرسوس إلى بغداد؛ وتحت لفح الشمس المحرقة ضربوه بالسياط وهو صائم في رمضان.. وفي العشر الأواخر من الشهر.

كل هذه الوحشية والقساوة من الكهنوت.. لأنه أبى التسليم بأن القرآن مخلوق كسائر مخلوقات الله. وما زال يرفض هذا القول تحت كل ضربة سوط تقع على ظهره حتى سقط مغشيا عليه.

أما علماء الصوفية الثامنة: ذو النون، وسهل التستري، وأحمد بن يحي، وأبو سعيد الخزاز، وابن الحنان، وأبو العباس بن عطا، أبو المحسن النوري والإمام النسائي.. فقد اتهموا وطُوِّقوا. واتهموا إما بالكفر أو الارتداد أو الفسوق أو التشجيع أو الإلحاد أو ما شاكل ذلك من التهم. ثم حبسوهم وغلّلوهم وعذبوهم، ونصحوا الملك بإعدامهم حتى لا يُشيعوا الكفر في الأرض.

وعندما أوقفوهم أمام السيف والنطع.. بادر النوري قائلا: أنا أومن بتضحية النفس وخدمة بني الإنسان. ألتمس من الملك أن يأمر بضرب عنقي أولاً.. كي ينال رفاقي لحظات أطول من هذه الدنيا.. لا تيعدها ألف سنة من الآخرة. عندئذ أوقف الملك بتنفيذ الإعدام، وأمر القاضي أن يعيد النظر في قضاياهم ويرفع الأمر إليه.

كان تقرير القاضي في صالحهم، جاء فيه: هؤلاء الحكماء الأجلاء هم أصدق إيمانا بتوحيد الله من أي أحد أعرفه. فأطلق الملك سراحهم مع الكثير من الاعتذار والتشريف والعطايا.

القرن الرابع عشر

كان منصور الحلاج أشهر صوفية الوقت. وكان في نشوة تأملاته يجد نفسه أحيانا مستغرقا في اللاهوت فيصيح: أنا الحق.

ولما كان الحلاج يعيش في عصر الإسلام الغريب المتحجر، فإن الكهنوت، من علماء ومولويين، لم يستطيعوا إدراك أغوار الإسلام العميق لدى المتصوفة، فانقضوا عليه، واعتقلوه، وسجنوه، وجلدوه، وقطعوا أطرافه، ثم صلبوه. أما الذي أوقعه في هذا الشدائد فقوله:

أنا من أُحِبُّ ومن أحب أنا * نحن جسد واحد له روحان
فإذا رأيتني فقد رأيته * وإذا رأيته فأنت تراني

وقبل صلبه، وقف الحلاج يصلي وقال: وهؤلاء عبيدك الذين اجتمعوا متعطشين لقتلي من أجل دينك وابتغاء مرضاتك.. فاغفر لهم يا ربي، وارحمهم.. لأنك لو كشفت لهم ما كشفت لي، ما فعلوا ما هم فاعلون، ولو أنك سترت عني ما سترته عنهم ما قاسيت هذا البلاء. تباركت فيما تفعل، وتباركت فيما تشاء. (نقلا عن الإسلام ص ١٤٦، ألفرد جويللوم، بليكان)..

وكذلك اتهم بالكفر والانشقاق والخروج الإمام أبو الحسن الأشعري والإمام أبو بكر الشبلي والإمام أبو عثمان المغربي.. وكلهم من علماء الإسلام الكبار.

القرن الخامس الهجري

ولم يفلت الإمام الغزالي الشهير، فقد وصمه (العلماء) بأنه ملحد، مفكر حر، مرتد، كُتبه مخالفة للسلف وغير إسلامية. أمروا بحرق كتبه، ونهوا المسلمين عن قراءتها. وأمروا بقطع أعناق مريديه إن ظهر له مريدون. وبعد قرون أصبحت كتبه أكثر الكتب رواجا في عالم الإسلام والمسيحية.

قيل بأن أسرة الغزالي وجدت قطعة من الورق في ردائه الذي مات فيه، كتب عليها: هذا لست أنا، إنه القفص الذي عشت فيه كالطير، والآن، بعد أن حررنا مولاي فقد انطلقت طائرا.

والإمام ابن حزم، العلامة الكبير، تستند كتاباته وأدلته إلى القرآن الكريم والحديث النبوي، وبينت أخطاء من هم دونه من العلماء والشيوخ، فتألبوا عليه حتى نُفي الإمام ليموت في أحراس (لا بالا) بأسبانيا.

القرن السادس الهجري

كان حضرة عبد القادر الجيلاني من علماء الشريعة الإسلامية المعروفين، وبعد ذلك صار سلطان الصوفية، وامتد نفوذه الروحي زهاء ٨٠٠ عام وإلى وقتنا هذا. قذفه بالخروج والارتداد عن الإسلام العلامة أبو الفرج عبد الرحمان الجوزي، وسانده فئتان من المؤيدين في أفعاله الشنيعة ضده.

وكان العلامة ابن رشد قاضي أشبيلية وقرطبة، فيلسوفا

أثر علم الفلك على تطور الفكر العلمي

البروفسور صالح محمد إله الدين
أستاذ علم الفلك، الجامعة العثمانية، حيدر آباد، الهند.

ترجمة: الحاج محمد حلمي الشافعي

العلم الذي خلق علوما

منذ زمن سحيق والقبة السماوية الفسيحة تجذب انتباه الإنسان، وتثير أفكاره. وعلم الفلك الذي يبحث في الأجرام السماوية، هو أقدم فروع العلم، ويمكن تسميته (أبو العلوم). وقبل العصور التاريخية المعروفة بزمن طويل لاحظ الإنسان الحركة المنتظمة للشمس والقمر والنجوم، واكتشف أن كثيرا من النجوم تكون تشكيلات من المجرات في السماء، تحتفظ بشكل وحجم ثابتين ليلة بعد أخرى. ولاحظ الإنسان أيضا حركة القمر بالنسبة للنجوم. وكان على معرفة بالمذنبات والخسوفات التي تقع للشمس والقمر. ويرجع تاريخ أقدم خسوف مسجل إلى سنة ٢١٣٧ ق.م. أورده أبولزر في كتابه Canon der Fensternessa. (قانون فنسترنسا).

وللظواهر الفلكية مساهمات وثيقة الصلة بحياتنا اليومية بحيث تعتبر من المسلمات. فحياة الإنسان تنتظم بفعل ظاهرة فلكية هي تعاقب الليل والنهار. واستطاع الإنسان البدائي أن يتعرف على الوقت خلال النهار من نظرة إلى ارتفاع الشمس في السماء. ونشأت فكرة قياس الوقت لدينا من دراسة السماء، وساقتنا أطوار القمر الدورية إلى فكرة الشهر، ودلنا تغير الفصول مع ظهور بعض المجرات واختفائها إلى فكرة السنة. وبتدقيق الملاحظة تبين أنه إلى جانب النجوم الثوابت، التي تتخذ دائما وضعا نسبيا ثابتا في السماء، هناك سبعة أجرام سماوية سيارة، تتحرك منتقلة من مجرة إلى أخرى، تلك هي: الشمس، القمر، عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري وزحل. وأطلقوا أسماءها على أيام الأسبوع السبعة. وقد زودنا علم الفلك بالتقويم الذي يتعذر علينا الاستغناء عنه.

وفي الماضي دفعت متطلبات الحياة العملية الإنسان نحو دراسة علم الفلك. ومكن هذا العلم الإنسان من أن يعين خطوط الطول والعرض على سطح الفلك. ومكن هذا العلم الإنسان من أن يعين خطوط الطول والعرض على سطح الكرة الأرضية، ومن ثم ساعد على تقدم علم الجغرافيا؛ ولعب دورا حيويا في تقدم الملاحة ورسم الخرائط.

وحب استطلاع المجهول كان في الأزمنة القديمة، ولا يزال، دافعا إنسانيا غاليا لدراسة علم الفلك. فعلى سبيل المثال، اكتشف الفلكي اليوناني هيباركيوس (١٢٠، ١٩٠ ق.م) تقدم الاعتدالين لفترة تبلغ ٢٦٠٠٠ عاما، ولم يكد يكون لهذا الاكتشاف أي قيمة عملية آنذاك. وربما كان «أريابهاتا» (المولود عام ٤٧٦ م في الهند) أول فلكي قال بدوران الأرض حول محورها وقدر فترة دورانها الفلكي بدقة ملحوظة.

ولقد لعب علم الفلك دورا حيويا في تقدم العلوم الحديثة، ولو لا دراسة الأجرام السماوية ما أمكن لعدد من المكتشفات الأساسية أن تتحقق. خذ مثلا اكتشاف قانون الجاذبية للسير إسحاق نيوتن، والذي يقول بأن كل جسمين في الكون يجذب كل منهما الآخر بقوة تتناسب طرديا مع كتلتيهما، وعكسيا مع مربع المسافة بينهما. هذا الاكتشاف يعد واحدا من أعظم المنجزات العلمية، وله أهمية أساسية في الفيزياء والهندسة، وله تطبيقات في عصرنا هذا، عصر الفضاء. تعالوا بنا نستعرض بعض التطورات البارزة التي بلغت أوجها باكتشافه، إذ أن ذلك يوضح الدور الحيوي الذي لعبه علم الفلك في تطور الفكر الإنساني.

قيل: إن تفاحة سقطت على نيوتن، فقادته إلى هذا الاكتشاف. ولكن سقوط تفاحة لا معنى له إن لم يكن نيوتن عارفا بأعمال الفلكيين السابقين. ولقد قال نيوتن بلسانه: «إذا بدوت عملاقا فذلك لأني وقفت على أكتاف العمالقة». ولعل إدراك القدامى لتقسم الأجرام السماوية إلى نجوم وكواكب هو أول حدث عظيم في

طريق التقدم. فقد أثار شذوذ مسلك الكواكب فضولا شديدا، وكان مشكلة قائمة لمدة طويلة حتى أمكن التنبؤ بحركتها.

لقد صنف الفلكي اليوناني بطليموس (١٥٠ م) كتابه المجسطي في ١٣ جزء، قدم فيه تمثيلا هندسيا للنظام الكوكبي، جعل فيه الأرض في مركز الكون، وتدور حولها الكواكب السيارة. وكان يظن حينئذ أن المدار الدائري وحده هو المدار الذي يناسب حركة جرم سماوي سيار. ولما تبين عدم إمكان تفسير الملاحظات بافتراض أن الكواكب تسير في دوائر حول الأرض، تصور بطليموس أن الكوكب يدور في دائرةٍ مركزها يدور حول الأرض. ولتحقيق قدر من الدقة أكبر، أدخلت دوائر أخر، ومن خلال هذا النظام المركب نجحوا في التنبؤ بحركات الكواكب.

ثم وسع العرب أعمال اليونان، وخطوا بعلم الفلك بقوة إلى الأمام. وأنشأوا علمَي الجبر وحساب المثلثات، ونقلوا نظام الترقيم الهندي إلى أوروبا. وسيطروا بدرجة كبيرة على النشأة الأولى لعلم الفلك في أوروبا العصور الوسطى. ويعد البطاني واحدا من أعظم الفَلكيين العرب، قال عن الفلك: إن علم النجوم يأتي بعد علوم الدين مباشرة كأشرف وأكمل العلوم؛ ويزين العقل، ويشحذ الذكاء، وبتقدمه يشد المرء نحو وحدانية الله وكمال حكمته وقدرته.

من كوبرنيكس إلى نيوتن: التقدم العظيم

في عام ١٥٤٣ نشر كوبرنيكس نظريته القائلة بأن الشمس في المركز، وأن الكواكب، ومن بينها الأرض، تدور حول الشمس. فكانت هذه النظرية تقدما عظيما جدا نحو اكتشاف قانون الجاذبية. وكان قبول مثل هذا القول صعبا لدى أهل ذلك العصر، واحتاج إدراك قيمة آراء كوبرنيكس وقتا طويلا حتى من الرياضيين والفلكيين.

وبعد كوبرنيكس (١٤٧٣ إلى ١٥٤٣)، جاء تيكوبراهي (١٥٤٦ إلى ١٦٠١)، فقدم بملاحظاته الدقيقة لمواقع الكواكب خدمة جليلة للعلم. ولما رحل خلف وراءه تركة هائلة من البيانات. ثم جاء جوهانز كبلر (١٥٧١ إلى ١٦٣٠)، فدرس تلك البينات دراسة متفحصة. وبعد سنوات من الحسابات المضنية استنبط من البيانات ثلاثة قوانين أولية عرفت بقوانين كبلر لحركة الكواكب.

ودرس السير إسحاق نيوتن (١٦٤٢ إلى ١٧٢٧) قوانين كبلر على ضوء قوانين الديناميكا التي اكتشفها جاليليو وهيجنز ونيوتن نفسه. وقد اشتق مفاهيم الكتلة والسرعة والقوة في هذه القوانين من تجارب أجريت على الأرض، ثم طبق نيوتن هذه المفاهيم على الأجرام السماوية، وفسر قوة الجاذبية التي جعلت التفاحة تسقط بأنها نفس القوة التي تجعل القمر يدور حول الأرض. ولفتت دراساته انتباهه ليضع حساب الكاليكيولس أي (التفاضل والتكامل)، وأثبت أن الجسمين المتجانسين يتجاذبان كما لو كانت كتلة كل منهما مركزة في نقطة. بتأليف الحقائق المتنوعة من الفلك والفيزياء استنبط نيوتن قانونه الشهير للجاذبية الكونية. وبشر هذا الكشف بثورة عظيمة في الفكر العلمي، وأدرك أن حركة الكواكب تحكمها قوانين طبيعية، وأن هذه القوانين نفسها تحكم أيضا حركة النجوم.

وباكتشاف قوانين الحركة وقوانين الجاذبية وضع أساس ميكانيكا الأجرام السماوية، واستحدث عديد من الرياضيين البارزين أساليب رياضة حديثة، استخدموها في حل مسائل حركات الكواكب والقمر. وأمكن التنبؤ بوجود الكوكبين (نبتون وبلوتو) حسابيا أول الأمر، ثم ثبت وجودهما شهوديا. وقام لابلاس (١٧٤٩ إلى ١٨٢٧) بحل كثير من المعضلات في ميكانيكا الأجرام السماوية، وفكر أيضا في حل مسألة نشأة النظام الشمسي الذي لا يزال حتى اليوم موضوعا لم يحسم بعد. ومن ميكانيكا الأجرام السماوية شبت رياضيات الفيزياء؛ ومثالا لها الدوال التي أدخلها (بسل) لتسهيل الحسابات الفلكية وتعرف باسم دوال بسل (Bessel Functions).

ولقد أثر تقدم ميكانيكا أجرام السماء تأثيرا عميقا في نمو الفروع الأخرى من علم الطبيعة كالحرارة والضوء والصوت والكهرباء، وميكانيكا الكم أيضا. والميكانيكا فرع أساسي في الهندسة أيضا. والأقمار الصناعية التي تنتشر في جو أرضنا اليوم تروي الكثير من تطبيقات علم الفلك العملية طويلة الأمد.

علم الفلك يحث تطور قوانين الفيزياء

لم يؤد علم الفلك إلى اكتشاف قوانين الجاذبية لنيوتن فحسب، وإنما مكّننا أيضا من اكتشاف ما فيها من قصور. نجحت هذه القوانين نجاحا مذهلا جعل الناس يحسبونها بالغة الكمال. ولذلك لما ظهر اختلاف بسيط بين النظرية والملاحظ في حركة الكوكب (عطارد) ولم يمكن التوصل إلى حل لها، وافترضوا بناء على قواعد ميكانيكا نيوتن وجود كوكب جديد. ووصل بهم الأمر أن أطلقوا على الكوكب المتوقع اسم (فولكان). ولكنهم فشلوا في العثور على هذا الكوكب، وتبين أن قوانين نيوتن غير كافية. وأخيرا جاءت نظرية أينشتين النسبية العامة، فوقفت بين النظرية والواقع الملحوظ.

وهكذا تعلمنا من علم الفلك درسا ثمينا؛ فنحن اليوم على استعداد للتشكك في أقوى النظريات رسوخا على ضوء الملاحظة. ومن الأمور ذات المغزى أيضا أن اختبارات الملاحظة الثلاث والتي قدمت في باديء الأمر لتحقيق النظرية النسبية العامة،

تنتمي إلى الظواهر الفلكية. ونظرية النسبية الخاصة، التي أدت إلى اكتشاف العلاقة بين الكتلة والطاقة وأنهما وجهان لعملة واحدة، نشأت من الجهود الرامية إلى تعيين الحركة النسبية بين الأرض والأثير الكوني الفرضي. واليوم، تشكل العلاقة بين القوة والطاقة أساس تكنولوجيا القوة النووية.

ولقد لعب علم الفلك دورا هاما أيضا في تطور التحليل الطيفي والنظرية الذرية. يحتوي طيف النجوم على خطوط خاصة، متنوعة الشدة، لمختلف العناصر. وكان المعتقد أن النجوم تتكون أساسا من العناصر التي لها أشد خطوط الطيف. وفي عام ١٩٢٠ قدم (مجهاندساها) النظرية الفيزيائية الصحيحة لتنوع طيف النجوم، وعزا اختلاف طيف النجوم أساسا إلى اختلاف درجات حرارة سطوحها، وليس بسبب تفاوت تكوينها الكمياوي. فنجوم (O)، الساخنة تصل درجة حرارتها السطحية إلى ٣٠٠٠٠ درجة، في حين أن نجوم (M)، الباردة تصل درجة حرارة سطحها إلى ٣٠٠٠ درجة، ودرجة حرارة سطح الشمس تبلغ ٦٠٠٠ درجة؛ أما درجة الحرارة في باطن النجوم فهي أعلى بكثير، من فئة ١٠ ملايين درجة.

وقد اكتشف غاز الهليوم أولا في طيف الشمس، ووجد أن النجوم والمجرات تحتوي على نفس العناصر التي في الأرض، وقوانين الكمياء نافذة في كل مكان من الكون.

وأعطت دراسة تركيب النجوم دفعة قوية لتطوير الفيزياء الذرية والنووية، قال إيفانز: «ربما لا نبالغ لو قلنا إن كثيرا من مسارات الفكر والبحث التي أدت النظرية الحديثة ترجع في أصلها إلى اكتشافات فلكية».

السماوات.. أكثر معاملنا ثراءً

تزودنا الأجرام السماوية بمعامل هائلة، توجد فيها المادة تحت تشكيلة مذهلة من الظروف، تثري دراستها معرفتنا بالطبيعة. ففي سديم السرطان تبلغ نسبة القوة الكهرومغناطيسية إلى قوة الجاذبية كنسبة ١٠٠٠٠٠٠ إشعاعات. وتلعب السيكلوترون (أي مسارع الاليكترونات) في ذلك دورا هاما. والسديم عبارة عن شيء ساطع يمتد على مدى واسع في الطيف الالكترومغناطيسي. وقد اكتشفت أشياء عجيبة، مثل الكواسارات والبلصرات Quasars & Pulsars، أما الكواسار فهو شيء مكتنز، له هيئة النجم، ولكن إنتاجه من الطاقة يعادل أو يزيد على مجرة بتمامها. ويعتقد أن الكواسارات هي أنوية لمجرات لا تظهر مكوناتها الخارجية في التصوير الفوتوغرافي بأكبر التلسكوبات لأنها باهتة، وكثير من طاقتها تأتي من المنطقة الرادية (أشعة الراديو). وأما البلصار فإنه شيء يعطي نبضات من الطاقة الإشعاعية الرادية، زمن نبضتها قصير جدا، من فئة ٠٣٣ و٠ من الثانية. ويعتقد أن البلصار نجم نيوتروني سريع الدوران، زمن دورته يعادل زمن نبضته!

لقد أتاح لنا مجيء عصر الفضاء الرصد والمراقبة من ارتفاعات شاهقة بحيث أمكن رصد الإشعاعات فوق البنفسجية وجاما وإكس، مما فتح آفاقا جديدة للبحوث.

من مضامين نظرية الجاذبية العامة لأينشتين إمكان وجود الثقوب السوداء والبيضاء. أما الثقوب السوداء فهي كثيفة بدرجة لا تسمح للضوء بالنفاذ منها، فلا يراها الراصد لها عن بعد. وتدل نظرية نشوء الأجرام السماوية على أن الثقب الأسود هو المرحلة النهائية من مراحل نشأة أي نجم عملاق الوزن. وأما الثقوب البيضاء فهي أجسام متفجرة، يعتقد أنها كانت شدية التوهج في المراحل الأولى من انفجارها.

وعلينا أن ندرس الظواهر الفلكية بتواضع شديد، لأنه لا يزال هناك الكثير والكثير لنتعلمه.

آفاق تتسع

قال أدوين هيجل (١٨٨٩ إلى ١٩٥٣)، وهو أحد رواد البحث في دنيا المجرات: «إن تاريخ الفلك هو تاريخ الآفاق المتسعة».

لقد ركز علماء الفلك جهودهم حتى القرن التاسع عشر على المجموعة الشمسية. وفي عام ١٨٣٨ تم لأول مرة قياس بعد أحد النجوم، وهو النجم (سيجني ٦١)، وذلك بطريقة حساب مثلثات التغير الظاهري لموقع النجم، للفلكي بسل (F.W. Bess el). وهذا النجم يبعد عنا بمسافة عشر سنوات ضوئية تقريبا، وهذا يعني أنه أبعد من بعد الشمس عنا مليون مرة.

والقرن العشرون هو قرن المراصد الفلكية العملاقة. وقد كشفت الدراسة في هذا القرن عن أن الشمس ليست إلا واحدة من مائة بليون نجم تسكن مجرة درب التبانة أو طريق اللبن Milky Way. واكتشف هارلو شابلي عام ١٩١٧ أن الشمس بعيدة حاليا عن مركز المجرة بما يقرب من ٣٠٠٠٠ سنة ضوئية، وأن الشمس تدور حول مركز المجرة دورة في زمن قدره مائتي مليون سنة. وفي أوائل عام ١٩٢٠ دار جدل شديد حول وجود مجرات أخرى غير مجرتنا. ونعرف الآن أن مجرتنا ما هي إلا واحدة من بلايين كثيرة من المجرات المبعثرة في الكون الملحوظ!

وانتقل الاهتمام الرئيسي من الكواكب إلى النجوم، ومن النجوم إلى المجرات، ثم من المجرات إلى مجموعات المجرات، ثم إلى الكون بأجمعه. وهكذا مع تقدم علم الفلك اتسع فكر الإنسان في جهد يستهدف إدراك سعة الكون الهائلة. وبوسعنا اليوم أن نرصد مناطق من الكون يصلنا ضوؤها في بلايين السنين، ونحاول أن نستدل على حالة الكون بعد أن تكون بلحظات قلائل! وهذا

يجعل علم الفلك يلامس فيزياء الجسيمات الأولية.

يتساءل المرء: هذه المجرات التي لا حد لها، كم فيها من النجوم التي لها توابع مثل ما في نظامنا الشمسي، وكم من هذه التوابع عليها حياة؟ الكواكب (التوابع) هي باهتة الاستنارة جدا حتى لا يمكن رؤيتها بأقوى أجهزة الرصد المقرِّبة (التلسكوبات). بيد أن بعض النجوم القريبة تبدو في حركتها دلائل على وجود توابع لها. فليس من المفاجآت إن وجدت التوابع شائعة في الكون كله.

خلال الاجتماع الثامن عشر للاتحاد الدولي الفلكي الذي انعقد في مدينة باتراس باليونان عام ١٩٨٢، تقرر اختيار مهمة جديدة للاتحاد، هي البحث عن الحياة خارج الأرض. والغرض من هذه المهمة يتضمن البحث عن كواكب حول النجوم، والبحث عن إرسال رادي (لاسلكي) قادم من خارج الأرض، والبحث عن جزئيات لها صفة بيولوجية بين الأجرام السماوية، ودراسة عمليات تكونها. ويبدو من المحتمل ان اتصال علم الفلك بعلم البيولوجي سيكون وثيقا في المستقبل. ويوشك أن يبدأ حالا عهد جديد لعلم الفلك مع وضع تلسكوب في الفضاء الخارجي يستطيع الفلكيون به رؤية الكون بتفصيل مضاعف ألف مرة؛ وربما يتيح لنا ذلك اكتشاف كواكب حول النجوم الأخرى.

وإذن فلعلم الفلك منافع فكرية كثيرة، فهو يغذي ملكة البحث عن الحقيقة، ويعين على إماطة الظلام والخرافة عن العقل. فالنجوم لا ترسل لنا الضوء المرئي الذي يطرق أبصارنا فحسب، ولكن يصلنا منها أيضا نور لطيف ينير بصائرنا وعقولنا. لقد علمنا الفلك ألا ننخدع بالمظهر الخارجي، فكل ما يبدو واضحا ليس صحيحا بالضرورة. فالأرض التي نراها جامدة هي في الواقع متحركة، والكواكب التي يبدو جريانها غريبا غير منتظم هي في الحقيقة محكومة بنظام عميق نابع من قوانين الطبيعة.

منصة جمالية روحانية

يزودنا جمال الأجرام السماوية وجلالها بوليمة فكرية لذيذة. ولذلك عندما نظر جاليليو في منظاره التلسكوبي، واكتشف ضخامة عدد النجوم الجديدة في (درب التبانة)، والأقمار الأربعة حول جوبيتر، وأطوار القمر وتفاصيل سطحه، وغير ذلك من الظواهر الفلكية، كتب يقول: إنني بكياني كله مع نفسي في الإعجاب والامتنان الذي لا حدّ له، لربنا الذي شاء أن يتيح لنا اكتشاف هذه الروائع العظيمة.

ولقد أعطانا علم الفلك أكثر بكثير مما أعطى لجاليليو. لقد تأثر الفكر الإنساني بما للكون المادي من اتساع هائل في الفراغ والزمن، ولما يتصف به من تنوع ثري من جهة، وفي وحدته الأساسية من جهة أخرى؛ بمعنى أن نفس القوانين الطبيعية نافذة في كل مكان من الكون. ولا يقل عن ذلك تأثيرا تاريخ تطور الكون ونشوء الحياة المفكرة فيه.

وموجز القول، يطور علم الفلك الملكات الفكرية التي تتصل بتقدم العلم، وبذلك يساعد فروع العلم الأخرى. وكما كتب (بوانكير): لقد سهل علم الفلك عمل العلوم الأخرى بطريقة مباشرة مفيدة، حيث أنه منحنا روحا ذات طبيعة قادرة على الإدراك.

وصدق الله العظيم الذي قال في كتابه الحكيم القرآن الكريم:

[إن في خلق السمٰوات والأرض واختلاف اليل والنهار لأٰيتٍ لأولي الألباب، الذين يذكرون اللهَ قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السمٰوات والأرض. ربَّنا، ما خلقت هذا باطلا، سبحانك...] (سورة آل عمران: ١٩١ و١٩٢).

وكلُّ النور في القرآن لكن ... يميل الهالكون إلى الدخانِ

به نِلنا تُرَاثَ الكاملينا ... به سِرْنا إلى أقصى المعاني

فَقُمْ وَاطْلُبْ معارفَه بجهدٍ ... وخَفْ شرَّ العواقب والهوانِ

(المهدي والمسيح الموعود عليه السلام)

منوعات

الأمومة

لم تتمالك الأم مشاعرها عندما رأت ابنها البطل الرياضي توني ويلسون وهو يتلقى اللكمات والضربات المتلاحقة داخل حلبة المصارعة. فهرعت من بين مقاعد المشاهدين كالوحش الكاسر لتعتلي الحلبة، وتخلع حذاءها، وتنهال على غريم ابنها بالضرب.

وكانت النتيجة الإعلان عن فوز توني في هذه المباراة بعد أن رفض ستيف مكارثي (٢٦ عام) إكمال المباراة.

تبدأ القصة عندما أقيمت إحدى مباريات المصارعة في سوت أمبتون بأنجلترا لكنها لم تكن مباراة عادية، لكنها كانت من أغرب مباريات الملاكمة..

يقول مكارثي بنبرات حزينة وكلمات مخنوقة:إذا احتسبت هذه المباراة لصالح غريمي توني، فإن هذه الهزيمة سوف تعتبر الأولى بالنسبة لتاريخي الرياضي داخل حلبة المصارعة، فقد سجلت في آخر مباراة اشتركت فيها في سبتمر الماضي فوزا ساحقا إذ جاءت النتيجة ١٢، صفر لصالحي، غير أنني أعترف أن هزيمتي الأولى جاءت على يد امرأة. (الأهرام ٥، ١، ١٩٩٠)

والملكة أيضا يطبق عليها القانون

حررت مخالفة سرعة لملكة الدنمارك الأم أنجريد (٧٩ عام) نظرا لقيادتها سيارتها الجاجورا بسرعة ١٣٠ كيلو في الساعة بالرغم من أن الحد الأقصى المسموح به مائة كيلومتر فقط.. مما اضطرها إلى دفع الغرامة المطلوبة. (الأهرام ٥، ١، ١٩٩٠)

ترفع دعوى على جارتها لأن «شخيرها» يزعجها

حتى عند النوم تواجه حواء المتاعب.فقد تلقت سيدة أمريكية تدعى كلارا أمرا بالحضور أمام المحكمة وهي لا تعرف التهمة الموجهة إليها، غير أنها فوجئت بأن التهمة هي إزعاج الجيران. فقد قامت إحدى الجارات تقديم بلاغ عاجل ضد جارتها بدعوى أنها لم تذق طعم النوم منذ نحو ثلاثة أشهر بسبب «شخير» الجارة المرتفع، إذ أن حجرة نومها لا يفصل بينها سوى جدار رفيع. ولم يجد القاضي أمامه حكما لهذه القضية إلا أن يطلب من المجني عليها شراء سدادات للأذن، كتلك التي تستعمل في الطائرات، لتستخدمها عندما تتوجه للفراش للنوم. (الأهرام ٥، ١، ١٩٩٠)

أول قضية حول أطفال الأنابيب

تنظر محكمة نيوهامبشير بالولايات المتحدة قضية رفعها زوجان مطلقان اختلفا على تقسيم أنبوبتين صغيرتين محفوظتين بأحد المستشفيات المتخصصة،كان الزوجان قد اتفقا على حفظهما لحين استعدادهما للإنجاب. وعندما بدأ الزوجان إجراءات الطلاق طلبت الزوجة حضانة الأنبوبتين باعتبارها الأم، إلا أن الزوج رفض وقال إن مطلقته لا تستطيع إجباره على الأبوة بعد الطلاق. ولما كانت هذه هي أول مشكلة من نوعها فقد استمعت المحكمة إلى آراء علمية عديدة حول متى تبدأ الحياة؟ وهل يمكن اعتبار أطفال الأنابيب في حكم الأحياء قبل زرعهم في رحم الأم.. ومازال القاضي يبحث هذا الوضع الشائك.. عجبي!

هذه هي سنة القانون وأسلوبه فهو أعمى لا يفرق بين عالم وجاهل غني أو فقير قوي أو ضعيف.. الجميع سواسية أمام منصته العليا منصة الحق والعدل والمساواة. (الأهرام ٥، ١، ١٩٩٠)

الزيتون
يغنيك عن الدواء

فالزيتون فاتح للشهية، مسمِّن للجسم، مقوٍّ للمعدة. ويقول ابن سينا: «إذا طبخ الزيتون على النار حتى يهرأ لحمه، يصبح دواء ناجعا لالتهاب المستقيم، وعلى الأخص البواسير».

ويتركب الزيتون من الأدهان المعروفة «الزيت الطيب» ومن أملاح معدنية أهمها الكالسيوم والبوتاسيوم والحديد، ويحتوي على فيتامين (أ) و(ب) و(ج) و(د).

وقد أثبت الطب الحديث أن لزيت الزيتون مفعولا في طرد الصفراء وحصى الكلى، والحمى المتقطعة تعالج بمنقوع أوراقه.

أخبار الجماعة في باكستان

إعداد: رشيد احمد شودرى سكرتير الإعلام بالجماعة

جريدة «الفضل» اليومية، التي تصدر في ربوة، باكستان، هي لسان حال الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.. تسلمت إدارة الجريدة مذكرة بتوقيع حاكم إقليم جهانج، (بنجاب).. السيد محمد أطهر طاهر، يحظر إصدار الجريدة لمدة شهرين، والتهمة الموجهة إلى الجريدة هي:

١. أنها تنشر موضوعات من العقيدة القاديانية (الأحمدية).

٢. من المحتمل أن نشر (الفضل) يسبب الخوف والذعر بين المسلمين خاصة والجمهور عامة.

وقد أقيم عدد قياسي من القضايا الخبيثة ضد الجريدة، ومحررها، وناشرها، وطابعها منذ نوفمبر ١٩٨٨.. عندما عادت إلى الصدور بعد فترة حظر امتدت إلى أربعة أعوام. وكان الحظر الأول تحت المادة ٢٩٨ من قانون العقوبات الباكستاني، بتهمة طبع آيات قرآنية وعبارات إسلامية.

السيد رشيد أحمد شودري، المتحدث باسم الجماعة الإسلامية الأحمدية، استنكر هذا الحظر قائلا: «أصبح محل شك ما تدعيه حكومة باكستان من أن الصحافة صارت حرة بعد أن وصلت إلى السلطة هذه الحكومة المنتخبة (حكومة بينازير) بطريقة ديموقراطية».

وأضاف السيد شودري: «إن الجماعة الإسلامية الأحمدية، تنتهج الإسلام دينا لها، وتسعى بكل جهدها لترسيخ القيم والتعاليم الإسلامية في أنحاء العالم. والجماعة لا تعرف لها دينا غير الإسلام، فلا مناص لها من أن تنهل من القرآن الكريم وتستخدم التعبيرات الإسلامية في كتاباتها. فالقول بمنع الجريدة الأحمدية من ذلك يعني انتهاك الحقوق الإنسانية الأساسية للجماعة الإسلامية الأحمدية».

وقال المتحدث: «لقد صادرت الحكومة جميع الكتب والمطبوعات الأحمدية تقريبا».

وناشد المتحدث الأحمدي بلاد العالم، وبلاد الكمنولث بصفة خاصة، أن ينتبهوا إلى انتهاكات حقوق الإنسان ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية وأن يبذلوا مساعيهم الحميدة لإلغاء القانون المعادي للأحمدية.

تشك سكندر، غجرات

الملا أمير محمد، هو المسئول عن إراقة دماء الأحمديين وتخريب ممتلكاتهم يوم ١٦ يوليو في العام الماضي.. ضاعف هذا العدواني من حملة الكراهية ضد المسلمين الأحمديين.. من بقى منهم في القرية، ومعظمهم من النساء والأطفال والشيوخ. أعلن الملا أنه سيمحو أثر الأحمديين من القرية. ورفض الشرطة أن يتخذ أي إجراء ضد هذا الملاّ، ونصحوا الأحمديين أن يتخلوا عن عقيدتهم.

أبوت آباد

أمسك عدد من الملات بصبي أحمدي عمره ١٦ عاما، وجروه من الطريق العام إلى مركز الشرطة، زاعمين أنه كان يدعو الملات إلى عقديته! سجلت الشرطة الشكوى ضد الغلام وأودعوه السجن لثلاثة أيام.

لاهور

منذ بناء مسجد الجماعة الإسلامية الأحمدية في مغل بورا (لاهور) وعليه لوحة من الرخام منقوش عليها الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله). جاءت جماعة من الشرطة إلى المسجد العام الماضي وخربوا اللوحة وغطوا النقش بورقة. سقطت هذه الورقة في شهر فبراير من هذا العام، فجاء الملات ومعهم رجال الشرطة لتثبيت الورقة مرة أخرى!

حبسته الشرطة ووضعته خلف القضبان

ذهب جماعة من ملات «مجلس تحفظ ختم النبوة» إلى بعض المدارس الخاصة، فطلبوا من نظارها عدم السماح لأي تلميذ أحمدي أن يلتحق بمدارسهم، كما طلبوا استبعاد المدرسين الأحمديين منها، ونتيجة لمسعاهم الذميم طرد التلميذ مبشر أحمد، وقال الناظر لأم الطفل: إن ملات المنطقة اعترضوا على التحاق التلميذ بالمدرسة. وفي اليوم التالي فصل مدرس أحمدي.

سرجودا

السيد جل محمد، أحمدي من تشك ٩٨ بالقسم الشمالي سرجودا.. ذهب إلى السوق على دراجته الآلية للتسوق. وهناك شاهد بعض أعضاء تنظيم مجلس ختم النبوة ملصقة بالكلمة الطيبة على الدراجة. فأمسكوا بالأحمدي وحاولوا إحراقه مع الدراجة بالبنزين، ولكن صاحب المتجر أنقذه من الحريق. وأخيرا اقتادوه إلى الشرطة وسجلوا شكواهم ضده.. تحت المادة ٢٩٨ س من قانون العقوبات الباكستاني. فحبسته الشرطة ووضعته خلف القضبان.

مارس الماضي. تقول التفاصيل أنه كان يسير في ميدان بسرجودا، فأوقفته الشرطة، وضبطت معه خاتما عليه نقش قرآنى يقول [أليس الله بكافٍ عبده]. قيدت الشرطة ضده شكوى مع بعض الملاّت الذين اعترضوا على أن الأحمدي، لكونه غير مسلم، لا يجوز له لبس الخاتم بهذا النقش!

ومنذ وقت قريب أخلى سبيل السيد عبد الشكور من قضية أخرى أمام قاضي قسم سرجودا، حيث كان متهما «بالتشبه بالمسلمين» لأنه عرض لوحة من متجره عليها آية قرآنية. وقد استمرت القضية منظورة سنتين، احتجزوا خلالها السيد عبد الشكور لمدة شهرين، ثم أطلقوه بعد دفع الكفالة.



صورتان للسيد عبد الشكور (صاحب اللحية) وهو مقيد في سبيل الله.



ALTAQWA
ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

شروط المبايعة

للانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية

معربةً من كلام الإمام المهدي والمسيح الموعود (عليه السلام)

أن يتعهد كل مبايع من صميم فؤاده على ما يلي:

١. أن يجتنب الشرك حتى الممات.

٢. ألا يقرب الزنى، ويجتنب قول الزور، وخيانة الأعين، ويحترز من جميع أنواع الفسق والفجور والظلم والخيانة، ويتنكب عن طريق البغي والفساد، ولا يدَعَ الثوائرَ النفسانيةَ تتغلب عليه مهما كان الداعي إليها قويًا وهامًا.

٣. أن يواظب على الصلوات الخمس بالالتزام.. تبعًا لأوامر الله تعالى وتعاليم رسوله الكريم ﷺ.. ويداوم جهد المستطاع على إقامة صلاة التهجد، والصلاة على النبي ﷺ، وطلب العفو من ربه على ذنوبه والاستغفار، ويذكر كل يوم نعم الله ومننه بخلوص قلبه، ثم يشكره عليها، ويتخذ من حمده والثناء عليه وردًا له.

٤. ألا يؤذي أحدًا من خلق الله عمومًا، والمسلمين خصوصا.. بثوائره النفسية، لا بيده، ولا بلسانه، ولا بطريق آخر.

٥. أن يكون مخلصا لله تعالى وراضيا بقضا ه في جميع الأحوال.. حالة الترح والفرح، والعسر واليسر، والضنك والنعم.. ويكون مستعدا لقبول كل ذلة وهوان، وتحمل كل مشقة وعناء في سبيله؛ ولا يُعرض عنه عند حلول مصيبة أو نزول بلية.. بل يمشي إليه قُدُما.

٦. أن ينتهي عن اتباع الرسوم والعادات والأهواء والأماني الكاذبة؛ ويقبلَ حكومة القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة، ويتخذ قول الله وقول الرسول ﷺ دستورًا لعمله في جميع مناهج حياته.

٧. أنه يطلِّق الكِبْرَ والزَّهو طلاقا باتًّا، ويقضي أيام حياته بالتواضع والخضوع، ويقابل الناس بالبشر، ويعاملهم بالحلم والخلق الحسن.

٨. أن يكون الدينُ وعزُّه، ومواساةُ الإسلام أعزَّ عنده من نفسه وماله وأولاده.. ومن كل ما هو عزيز لديه.

٩. أن يواسي جميعَ خلق الله تعالى، ويعطفَ عليهم ابتغاءً لمرضاته، وينفق.. بقدر الإمكان.. كلَّ ما رزقه الله من القوة والنعم في خير أبناء جنسه ونفعهم.

١٠. أن يعقد مع هذا العبد (الإمام المهدي والمسيح الموعود) عهدَ الأُخوّة.. خالصًا لوجه الله تعالى.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكثه حتى الممات. ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدلها العلاقات الدنيوية.. سواء كانت علاقاتِ قرابة أو صداقة أو عمل.

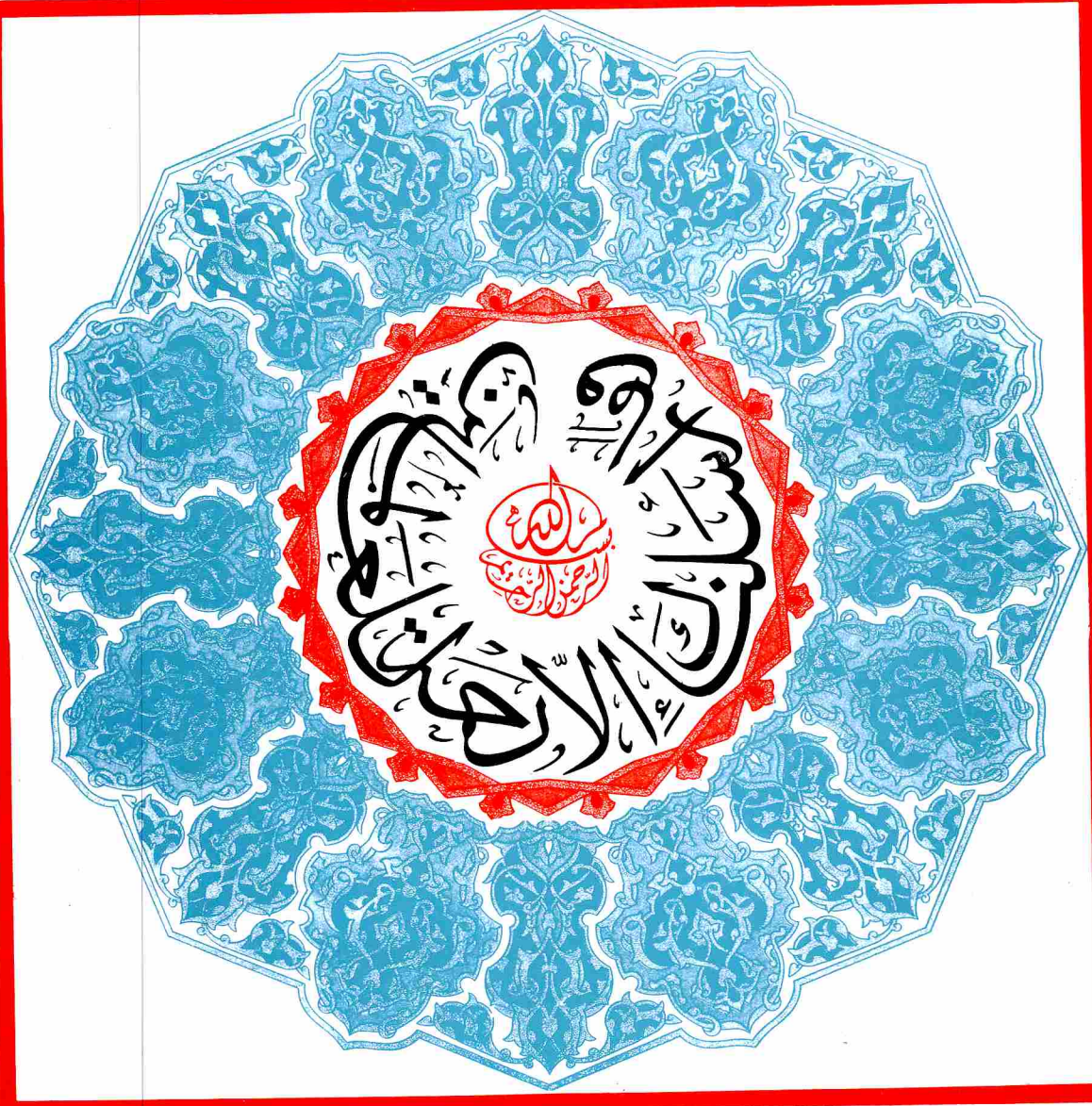
(إعلان تكميل التبليغ في ١٢ يناير ١٨٨٩).

Volume 3, Issue No 4, August 1990

ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية



المجلد الثالث، العدد ٥ و٦، سبتمبر وأكتوبر (أيلول وتشرين الأول) ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

التقوى

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الإسلامية الأحمدية

مدير الإدارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الإسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
إسلام اباد - بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
جوامع الكلم	٨
كلام الإمام	١٠
قصيدة	١١
محمد.. الإنسان الكامل (ﷺ)	١٢
يا نجباء العرب !!	٢٢
الكفر ملة واحدة	٢٣
أزمة الخليج ومسئولية العالم الإسلامي	٢٥
معجزة عظمى	٣٥
استغاثة اللاهفين (قصيدة)	٣٦

ثمن النسخة : جنيه ونصف £1.5 والاشتراك السنوي £18 أو ما يعادل ذلك خارج بريطانيا. ترسل قيمة الاشتراك باسم التقوى إلى عنوان المجلة.

الافتتاحية

أخط هذه الأسطر وأنا في دوامة من المشاعر المتباينة من السعادة والحزن. إنى سعيد بمناسبة المولد النبوي الشريف وأهنئكم بها، وحزين لرؤية ما صارت إليه أمة سيدنا الحبيب ونبينا المصطفى محمد ﷺ، من حالة سيئة، بسبب فقدان قيادة حكيمة تقية. ومما يدمي القلب أكثر أنهم لا ينفكون يجلبون عليهم، وعلى دينهم، وعلى رسولهم، الخزي والعار، بأيديهم وبأيدي الكافرين.

فلم يكن أهل الإسلام ليتخلصوا من الفتن والمحن الدائرة في فلسطين ولبنان وكشمير حتى انفجرت أزمة الخليج بصورة مروعة للغاية، لتنقسم البلاد الإسلامية على نفسها، وذلك بسعي ودجل الغرب. فتفاقمت المصائب بشكل مخيف جدًا.

أما وكيف التخلص من هذا المأزق بل الكارثة، فلا يعرف عن ذلك أحد.

ولكن لا يزال هناك بارقة أمل، ففي هذا العدد نقدم إلى المحبين المخلصين للأمة الإسلامية خطبتين ألقاهما بتاريخ ٣، ٨، ٩ و١٧، ٨، ٩٠ بلندن، إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية سيدنا مرزا طاهر أحمد أيده الله، ينبه فيهما العالم الإسلامي بخطورة الموقف، وبالأخطار التي تحوم حولهم عيانًا، أو التي لم تظهر بعد، ويهديهم إلى طريق الخلاص منها. كما يحذر حضرته القيادات الإسلامية بأن لا يتحاكموا إلى الطاغوت الغربي، إذ يشهد التاريخ أن الحكام المسلمين كلما تحاكموا إلى أعداء الإسلام، كلما نال الأعداء منهم، بل لا يزال العالم الإسلامي يقاسي نتيجة لأخطاء أولئك الحكام الجاهلين. فليس أمام القيادات الإسلامية إلا أن يرجعوا إلى تعاليم القرآن، وأن يسووا خلافاتهم فيما بينهم بالعدل والتقوى، وإلا سوف يعرضون بلادهم، لا قدر الله، لدمار شامل. فياليتهم، يستمعون إلى الناصحين قبل فوات الأوان.

كما نقدم إلى حضراتكم مقالاً تاريخيًا كتبه سيدنا الخليفة الثاني لسيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، عند تأسيس دولة إسرائيل، حثَّ فيه حضرته القيادات الإسلامية على مساعدة العرب ضد عدوهم. فلم ينتبه العالم الإسلامي إلى هذا الناصح الأمين، مما عرض البلاد الإسلامية في الشرق الأوسط إلى ويلات لا تنتهي.

* * *

في ٢٠ أغسطس الماضي تظاهر أمام السفارة السعودية في لندن وبقيادة المشائخ حوالي ٢٠٠٠ مسلم أكثرهم من الهنود والباكستانيين، وجاءوا من عدة مدن بريطانية، احتجاجًا على دعوة الحكام السعوديين للقوات الأمريكية وغيرها للتدخل في أزمة العراق والكويت. كال هؤلاء المتظاهرون للحكام السعوديين والأمريكان سبًا فاحشًا مثل: الهلاك للسعودية. ابن السعود.. ابن اليهود. الملك فهد.. الشيطان الأكبر. الملك فهد.. ابن بوش. السعودي.. اليهودي. تبًا للمقامرين السعوديين، وما شابه ذلك.

إننا نبدى مزيد الأسف على هذه الأخلاق غير الإسلامية. فوالله، لم يكن خلق محمد كخُلقهم، وإنما كان خلقه القرآن. فليس لأحد أيا كان أن يفسد أخلاق أمة محمد ويشوه سمعة الإسلام باسم الدين، بسبب خلافٍ مع السعودية أو العراق.

نستنكر هذه الشتائم رغم أن السعودية هي الدولة التي كانت ولا تزال ترتكب ضد الجماعة الإسلامية الأحمدية أشنع المظالم، وذلك بواسطة «رابطة العالم الإسلامي». وأكبر هذه المظالم أن الحكام السعوديين قد منعوا المسلمين الأحمديين من أداء فريضة الحج لبيت الله الحرام ظلمًا، متناسين قول الله القهار: [ومن أظلم ممن منعَ مساجدَ الله أن يُذكَر فيها اسمُه]. لقد منعونا من الحج ولسنا من المشركين، وإنما نؤمن ونتمسك من الأعماق بأركان الإسلام كلها، فلا يدخل في جماعتنا، كما يقول حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، إلا الذي دخل في دين الإسلام واتبع كتاب الله وسنن سيدنا خير الأنام، وآمن بالله ورسوله الكريم الرحيم، وبالحشر والنشر والجنة والجحيم، ويعد ويقر بأنه لن يبتغي دينًا غير دين الإسلام، ويموت على هذا الدين دين الفطرة متمسكًا بكتاب الله العلام، ويعمل بكل ما ثبت من السنة والقرآن وإجماع الصحابة الكرام. ونؤمن ونتبع جميع تعاليم القرآن التي منها أداء الحج.

إننا إذ نستنكر هذه الشتائم البذيئة والأخلاق غير الإسلامية، نذكِّر الحكام السعوديين بأنهم كانوا ولا ينفكون يغدقون الملايين على المشائخ المستأجرين الذين استخدموا ضد قادة الأحمدية لغة بذيئة فاحشة جدًا، ولكنهم (السعوديين) لم يشعروا أبدًا بتوبيخ الضمير. لعل هذه الأحداث توقظ ضمائرهم، فلا يفسدوا أخلاق المسلمين باسم الإسلام. [المحرر]

بسم الله الرحمن الرحيم

في عالم التفسير

(مختصر من تفسير الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وخليفته الثاني).

[ويسألونك عن ذي القَرنين قُل سَأَتْلُوْا عليكم منه ذِكْرًا*] ٨٤.

المفردات: قرن شيئا بشيء: وصلهما. القرن: الطرف؛ الرجل النبيل؛ المساوي في السن؛ الجيل؛ شعب في زمن معين؛ مائة سنة؛ عصر.

التفسير: أشارت سورة الكهف فيما مضى إلى عصرين من الازدهار المادي للشعوب المسيحية. وبدأت بالحديث عن المسيحيين الأوائل وذكرت تقواهم وإخلاصهم لدينهم؛ ثم تناقُصِ نشاطهم الروحاني عندما يحصلون على السلطة السياسية، مع احتفاظهم بشيء من الإيمان بالمسيح. ثم جاء ذكر إسراء موسى (عليه السلام) الذي بيَّن أن بعثة نبي الإسلام ﷺ تفصل بين عصري الازدهار المسيحي، وكيف أن عصرهم الثاني يكون أشد ازدهارا من الناحية المادية، وأقل روحانية حتى كأنهم موتى من الناحية الروحية.

تناولت الكتب السماوية السابقة ذكر الموت الروحي هذا مع قيام قوة يأجوج ومأجوج، وسيأتي الحديث عنهما في الآيات التالية. يأجوج ومأجوج تسمية أطلقت على بعض القبائل التي عاشت في شمال غرب آسيا، والتي كانت تُغير على سهول آسيا في الجنوب، والتي لو تمكنت من الاستيلاء عليها لغيرت مجرى أحداث التاريخ تماما. ولقد تمكن ذو القرنين من إقامة سد بينهم وبين هدفهم.. مما أدى إلى اتجاههم إلى الغرب.. حيث اتصلوا بالشعوب المسيحيين في أوروبا ودخلوا المسيحية.. وبقي فيهم تطلعهم نحو الشرق الآسيوي. وقد تفجر هذا الشعور العدائي نحو الشرق في القرون الأخيرة.. وعادوا إلى إعاثة الفساد في الشرق بعد أن استشرى فيهم. وبسبب ازدهارهم المادي المتسارع.. عادوا يحملون الفوضى الروحية.. تحت اسم الدجال.

يذكر القرآن الكريم أمورا عن ذي القرنين.. لا على أنها أحداث تاريخية، فالقرآن ليس كتابا للتاريخ، وإنما لأنها إشارات ونبوءات تتعلق بالمستقبل. انتصارات ذي القرنين الأول.. وفتوحاته شرقا وغربا.. ونجاحه في صد غارات يأجوج ومأجوج.. إشارةٌ إلى قدوم ذي القرنين الثاني.. ليحقق فتوحات في الشرق والغرب.. ويصد يأجوج ومأجوج عندما يعودون إلى الشرق. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الفاتح العظيم باسم (المهدي والمسيح).

أما ذو القرنين الأول فهو مؤسس الإمبراطورية الفارسية الميدية، الملك الصالح قورش الذي وصفه القرآن بالصلاح والعبودية لله، وأنه كان فاتحا عظيما عادلا رحيما، وأنه زحف وفتح في الغرب وتوقف عند بحيرة مظلمة. ثم اتجه إلى الشرق حيث أخضع مناطق واسعة، وفي الطريق تصدى لهجمات يأجوج ومأجوج وبنى سدًّا يصدهم.

وتنطبق كل هذه الصفات على الملك قورش، فقد ذكرت التوراة صلاحه ونصرة الله له (أشعياء: ٤٤، عزرا: ١، أخبار الأيام الثاني: ٣٦)، وسُمِّيَ صديقُ يَهْوَه، وعمل حسب رغبته.

وذكر (تاريخ العالم للمؤرخين) صفاته الطيبة ودخول بعض الشعوب تحت حكمه عن طيب خاطر. كما أنه فتح بلادا كثيرة، وأنشأ مملكة واسعة امتدت من البحر الأسود غربا إلى أفغانستان شرقا. وقد ذكر التوراة أن شعوب يأجوج ومأجوج كانت في روسيا (تكوين ١٠) وأنهم عبروا ممر دربند، واحتلوا فارس حتى طردهم قورش (تاريخ العالم).

ونسب بعض المؤرخين السدَّ القوقاسي الموجود في داغستان غرب قزوين إلى الإسكندر الأكبر، ولكن فترة فتوحات الإسكندر العاصفة لم تكن لتسمح له بإنشاء هذا السد الذي بلغ طوله عشرات الكيلومترات.

[إنا مَكَّنَّا له في الأرض وءَاتَيْنَاه من كل شيءٍ سببًا* فَأَتْبَعَ سببًا* حتى إذا بلغ مغرِبَ الشمسِ وجدها تغرُبُ في عينٍ حمِئَةٍ ووجد عندها قومًا. قلنا يٰذا القرنين إما أنْ تُعذِّبَ وإما أن تتخذ فيهم حُسنا*] (٨٥ إلى ٨٧).

المفردات: الحمأ: الوحل الأسود الوخِم. العين الحمئة: في مائها وحل أسود.

التفسير: لقد أعطى الله قورش جميع الأسباب والوسائل لفتوحاته العظيمة، ورعى توجهاته، وأعطاه ممالك الأرض. (سفر

أشعياء: ٤٥: ١٣، وعزرا ١: ٢) ومغرب الشمس يعني أقصى مُلك قورش الغربي، ناحية تركيا.. ويشير إلى البحر الأسود الذي إذا وقف إنسان عند شاطئه لرأى الشمس وكأنها تغرب في مائه.

[قال أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فسوف نُعذِّبُه ثم يُرَدُّ إلى ربِّه فيعذبُه عذاباً نُكْرًا * وأما مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صٰلحًا فله جزاءً الحُسْنَى. وسنقول له مِنْ أَمْرِنا يُسْرًا * ثم أَتْبَعَ سببًا * حتى إذا بَلَغَ مَطلِعَ الشَمسِ وَجَدَها تطلُعُ على قومٍ لم نَجْعَلْ لَّهم مِنْ دونها سِترًا * كذلك وقد أَحَطْنَا بما لديه خُبرًا *] (٨٨ إلى ٩٢).

التفسير: قوله [ثم يرد إلى ربه] يدل على أن قورش مؤمن بالبعث والثواب العقاب.. ذلك لأنه كان من أتباع نبي الفرس زردشت الذي أكَّد على الحياة بعد الموت (الموسوعة اليهودية ج ٤). وتبين الآية التالية إنسانيته وحسن معاملته التي تتسم بالرحمة.

والآية الثالثة تشير إلى حملة قورش نحو الشرق إلى أفغانستان وبلوخستان. وقوله [لم نجعل لهم من دونها سترا].. يدل على أن الأقوام هناك وقتئذ لم يكونوا متحضرين، بل يعيشون في خيام أو أكواخ.. وأنها منطقة قاحلة مكشوفة شديدة الحرارة.. وهذا ينطبق على بلوخستان.

وقوله [أحطنا بما لديه خبرا] يفيد أن قورش كان تحت رعاية الله في غزواته. وهذا يتفق مع ما جاء في التوراة «سأذهب أمامك وأقوم المعوج» (أشعياء ٤٥: ٢).

[ثم أَتْبَعَ سَبَبًا * حتى إذا بَلَغَ بين السدَّيْنِ وَجَدَ مِن دونهما قومًا لا يكادون يفقهُون قولا * قالوا يٰذا القرنين إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مفسدون في الأرض فهل نجعلُ لك خَرْجًا على أن تَجعلَ بيننا وبينهم سدًّا * قال ما مَكَّنِّي فيه ربي خيرٌ.. فأَعِينُوني بقوةٍ أجْعَلْ بينكم وبينهم رَدْمًا * ءاتُوْنِي زُبَرَ الحديد. حتى إذا سَاوَى بين الصَّدَفين قال انْفخوا حتى إذا جعله نارًا قال ءاتُوْني أُفرِغْ عليه قِطْرًا * فما اسطٰعوا أن يَظْهَروه وما استطٰعوا لَه نقبًا * قال هذا رحمةٌ من ربي. فإذا جاء وعدُ ربي جَعَلَه دَكَّاءَ وكان وعدُ ربي حقًّا *] (٩٣ إلى ٩٩).

تشير الآية إلى حملة قورش إلى شمال فارس في المنطقة بين جبال القوقاس وبحر قزوين. والآية ٩٤ تدل على أن شعوب المنطقة يصعب عليهم التحدث بالفارسية. وقد طلب سكانُ المنطقة بناء جدار يسد الممر الذي يعبره المغيرون من الشمال. فأخبرهم أن الله تعالى منحه الوسائل والخطط، ولا يطلب منهم سوى الأيدي العاملة. وبنى لهم جدارا يسد ما بين البحر والجبال، واستخدم العمال في نقل خامات النحاس والحديد لتقوية الجدار بالحديد، ويحميه النحاس من الصدأ. وزوده بأبراج للمراقبة. ولم تستطع القبائل المغيرة هدمه أو المرور منه.

قوله [هذا رحمة من ربي] يدل على تواضع قورش وتقواه، إذ لم ينسب إلى نفسه فخر إنجازاته. أما عبارة [فإذا جاء وعد ربي] فتشير إلى أن الجدار لن يجدي في المستقبل لصد تقدم تلك الشعوب الشمالية (يأجوج وماجوج).

وهدم الجدار مجازيا يعني سقوط الدولة الإسلامية وسلطانها.. كما حدث للدولة العثمانية التي كانت تكبح جماح الغرب وتمنعه من السيطرة على الشرق.

[وتَركْنا بعضَهم يومئذ يموج في بعض ونُفِخَ في الصُوْر فجمعنٰهم جمعًا * وعَرَضْنا جهنمَ يومئذ للكٰفرين عَرْضًا * الذين كانت أَعْيُنُهم في غِطاءٍ عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعًا *] (١٠٠ إلى ١٠٢).

تشير الآية ١٠٠ إلى أنه في زمن سيطرة يأجوج ومأجوج ستتقارب شعوب العالم وتختلط كأنها شعب واحد. وسيقوم شعب على شعب، وتعم الكراهية والضغائن وينتشر الفساد.

الآيتان ١٠١ و ١٠٢ تدلان على أن هذه الشعوب سوف ينزل بها العقاب سريعا وشديدا.. ويكثر فيهم الهلاك والدمار.. وسيتعرضون لأنواع من العقاب الإلهي بسبب انغماسهم في الخطايا وانشغالهم عن ذكر الله.

نلفت النظر هنا إلى أن هذه الشعوب مع ازدهارهم السياسي والعسكري والتكنولوجي إلا أنهم سيجلبون على أنفسهم غضب الله على صورة حروب مدمرة، وأمراض اجتماعية فتاكة.. وأنهم حسب رؤيا موسى (عليه السلام) سيعودون إلى مجمع البحرين بعد أن ضلوا عنه، أي يقبلون بالإسلام بعد أن رفضوه طويلا.

وقد أشار سفر الرؤيا إلى وقت غلبة الشعوب في رؤيا يوحنا: «ثم متى تمت الألف سنة يحل الشيطان من سجنه، ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج وماجوج، ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر..» (رؤيا ٢٠).

وتبدأ الألف سنة من هجرة النبي ﷺ، أي في القرن السابع

عشر الميلادي تبدأ هذه الشعوب نهضتها وازدهارها.

هذا ولقد ذكرت قصة ذي القرنين في القرآن الكريم لما تتضمنه من إشارات مستقبلية لها صلة بالماضي البعيد، وليست أخبارا تاريخية. ولقد تحققت بعض أنبائها في شخص النبي ﷺ ويتحقق الباقي منها في المستقبل.

إن قصة ذي القرنين تشير إلى ضرورة ظهور ذي قرنين آخر.. لصد هجمات نفس الشعوب الشمالية التي أوقف هجماتها ذو القرنين الأول. وخطر يأجوج ومأجوج هو الفساد الروحاني المدمر للأخلاق.. ولا بد من أن يكون ذو القرنين مكلفا بهذه المهمة.. مهمة وقف هذا الفساد المخرب. ولقد سمي قورش في التوراة (المسيح)، وكذلك سمي ذو القرنين الثاني باسم المسيح أيضا. أما ذو القرنين الثاني فهو حضرة أحمد المسيح الموعود والمهدي. وثمة مشابهات أخرى بين (قورش) و (حضرة أحمد) من الناحية الطبيعية والروحية: فالاثنان من أصل فارسي. وكلاهما ذو قرنين: قورش ذو قرنين أي جهتين هما مملكة فارس ومملكة ميديا. أما حضرة أحمد فقد شهد قرنين هجريين، وقرنين ميلاديين وقرونا أخرى غيرها.

والآن نذكر بإيجاز تعريبا لما كتبه حضرة المهدي والمسيح الموعود حول تفسير هذه الآيات من سورة الكهف، وأوضح علاقتها بشخصه الكريم، قال حضرته:

«سماني الله تعالى (ذَا القرنين) وخاطبني بالوحي أني (جَرِيُّ الله في حلل الأنبياء) أي أني رسول من الله في رداء الأنبياء جميعا، وهذا يظهر أن لي مزايا ذي القرنين الذي كان يتلقى الوحي من الله.. كما يستدل من قوله تعالى [قلنا يا ذا القرنين]. فدل الوحي المذكور الذي أُخبرت فيه بأني ذو القرنين.. أن قصته الواردة في القرآن المجيد نبأ يتعلق بي.

إن معنى (ذي القرنين): الحائز على قرنين من الزمان. وأنا حائز على قرنين بحسب جميع التقاويم المعتبرة. لقد بلغت من العمر اليوم ٦٧ عاما، وقد شهدت قرنين هجريين، وقرنين شمسيين، وقرنين عبريين، وقرنين هنديين.

(ولد حضرة أحمد المهدي والمسيح الموعود في فجر الجمعة ١٤ شوال ١٢٥٠ هج. وتوفي في يوم الثلاثاء ٢٦ مايو ١٩٠٨، فشهد القرنين ١٣، ١٤ من الهجرة، و ١٩، ٢٠ من الميلاد المسيحي، وكذلك شهد القرنين ٥٥، ٥٦ من التاريخ العبري).

سأشرح الآيات القرآنية المتعلقة بذي القرنين من سورة الكهف حسبما كُشف علي من الله تعالى. وقبل الشرح أؤكد لكم أني لا أنكر التفاسير السابقة لأنها تحدثت عن الماضي، أما تفسيري فيتحدث عن المستقبل.. لأن القرآن الكريم ليس مجموعة قصص للترفيه عن القراء، تشتمل على تقارير عن حوادث لامعة تمت في الماضي.. بل هو كتاب عظيم من الوحي الإلهي.. كلٌّ حادث فيه يشير إلى نبأ عظيم عن المستقبل. وما جاء عن ذي القرنين فإنه نبأ تحقق في شخصي أنا المسيح الموعود.

(آيتا ٨٤، ٨٥) قوله [وآتيناه من كل شيءٍ سببا].. تلقيت وحيا بنفس المعنى ونشر في (البراهين الأحمدية) وهو «ألم نجعل لك سهولة في الأمر». ومن الواضح أن الله تعالى قد منحني وسائل تمكنني من القيام برسالتي لم تتسنَّ لنبي قبلي.. فقد تقاربت في زمني الشعوب بعضها من بعض، فالأسفار التى كانت تتطلب سنوات تستغرق الآن أياما. وتطورت وسائل الاتصال، فتنتقل الأخبار عبر آلاف الأميال في دقائق قليلة. ونشرت اليوم الكتب التي كانت خافية على الناس. واكتشفت الوسائل للوصول إلى جميع أطراف الأرض بسهولة. وسهلت آلات الطباعة نشرَ الكتب وضاعفت توزيعها. فينشر اليوم من الكتب في عشرة أيام ما كان ينشر في عشر سنين. ويمكن اليوم إذاعة كتاب في بلاد العالم في أربعين يوما.. مما لم يكن ممكنا إنجازه في مدى عمر الفرد كله.

(الآيات من ٨٦ إلى ٨٩) تعني أن ذا القرنين بما لديه من تسهيلات سوف يتجه أولا إلى الغرب للقيام بإنعاش روحاني فيهم. وسيجد هناك أن شمس الحقيقة والتقوى قد انطفأت فلا نور لها، وسيجدها تغرب في عين موحلة ماؤها آسن. وسيجد حول هذه العين نصارى الغرب تائهين في ظلام حالك ليس لهم نور يهتدون به، ولا عين ماء عذبة يروون منها ظمأهم.. وبعبارة أخرى: تفسد معتقداتهم وأعمالهم، وليس لديهم نور إلهي يهديهم إلى الطريق السوي، ولا ماء روحي يروي ظمأهم للحق.

عندئذ يُخوِّل الله تعالى لذي القرنين معاقبتهم على سوء فعالهم أو يعفو عنهم إن شاء.. أي يدعو الله أن ينزل بهم العقاب السماوي.. كما أشارت إلى ذلك الأحاديث النبوية الموثوقة: «فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. (صحيح مسلم)»، أو أن يترفق بهم. فيجيب ذو القرنين أنه لن يدعو بالعقاب إلا على الظالمين، أما الذين يتمسكون بالتقوى والفضيلة فسينالون أحسن الجزاء.

والخلاصة أن المسيح الموعود سيظهر في وقت يكون فيه الغرب غارقا في ظلمات روحية، قد غربت شمس الحقيقة أمام أعينهم في عين فسد ماؤها.. أي فسدت معتقداتهم وأعمالهم، ولن يكون عندهم ماء سماوي يشربون منه، ولا بصيص من نور يهتدون به. وهذا هو واقع حال المسيحيين في زماننا الحاضر والتي مركزها في بلاد الغرب.

(الآيات ٩٠ إلى ٩٢) سيحول المسيح الموعود انتباهه ناحية

الشرق، حيث يجد قوما لا يملكون ما يسترون به أجسامهم من الشمس اللافحة، ويجدهم يحترقون برغباتهم الشهوانية وانكبابهم على الدنيا، غرباءَ عن روح الدين. يأتيهم ذو القرنين بكل بركة روحية ويهبها لهم، ولكنهم ينصرفون عنها ولا يقبلونها. وستكون حالهم كمن لا يجدون بيتا أو ثيابا أو حتى شجرة ترد عنهم وهج الشمس وشدة حرها.. فكأنهم طلعت عليهم شمس الهدى فلم ينتفعوا بنورها، ولكنهم أحرقت جلودهم وخطفت أبصارهم.. على خلاف الفريق الغربي الذي غربت عندهم شمس الهدى.

تحتوي هذه الآيات على إشارة إلى النواحي الثلاث من وظيفة المسيح الموعود: أنه أولا يحافظ على من أضاعوا روحانياتهم ويقيمون حول عين مظلمة موحلة، وثانيا يصلح الذين يواجهون الشمس عرايا.. فقدوا كرامتهم واحترامهم، وافتقروا إلى حسن التربية، وتطرفوا في سلوكهم كالحيوانات ذات النزعات الخصامية. لم ينتفعوا بنور الشمس،وأصابهم منها الاصطلاء والاحتراق فقط. وهذا حال المسلمين الذين عندما يظهر فيهم المسيح الموعود، فإنهم بدلا من معاملته بالاحترام والإجلال.. يقفون في وجهه بالمعارضة، فيحرمون من البركات التي كان من الممكن أن ينتفعوا بها.

(الآيات: ٩٣ إلى ١٠٢) تشير إلى أن ذي القرنين سيتجه وجهة ثالثة، إلى مكان يقع بين جبلين.. أي أنه يجد قوما يتهددهم خطر مزدوج: الضلال الديني والقوة المادية. هؤلاء القوم سيجدون الهداية صعبة بسبب انغماسهم في الخطأ عملا وعقيدة. ولكن المسيح الموعود سيتعامل معهم، وسيحالفهم الحظ ويستفيدون من تعاليمه. وسوف يطلبون منه أن يقيم جدارا بينهم وبين يأجوج ومأجوج، ويستأذنونه في جمع الأموال. وسيخبرهم بأن ما آتاه الله أجدى من المال. فيزودهم المسيح الموعود بالحجج والبراهين على صدق الإسلام التى تكون جدارا يحميهم من غزو الأعداء وهجماتهم. وسوف يقوي جدارهم هذا بالحديد الذي عولج بالنار والنحاس. أي يطلب منهم أن يتمسكوا بتعاليمه فلا تفلت منهم، ويشعلوا نار محبة الله في قلوبهم حتى تَحمَرَّ من حرارة المحبة ويشع منها النور.. فتنعكس فيهم صفات الله تعالى الذي هو وحده مصدر الأنوار.

وحُبّ الله يعني أن يرتوي المحب من روح صفات الله.. بحيث تنعكس هذه الصفات في ذاته.. ولو على نطاق ضيق فقط. إن ادعاء الإنسان بحب الله دون أن يصل إلى هذه الحالة القدسية من الوصال بالذات الإلهية.. يظل مجرد بخار يتصاعد من عقول متفاخرة.

أما حال الحب الحقيقي فيشبه الحديد الذي يحمى على النار فيحمر وتصير فيه خصائص النار من الإحراق والإنارة. ! وإذا كان الإسلام عاجزا عن إيصال الإنسان إلى هذا المقام القدسي فكأنه شبكة لاصطياد الناس، وقشر بلا لب. ولكن الإسلام والحمد لله ليس كذلك.. الإسلام قادر على أن يوصل الإنسان إلى هذا المقام المنشود، بل وأبعد من ذلك.. بشرط واحد ووحيد: أن يكون الإنسان قويا ثابتا كالحديد الذي يكتسب خصائص النار مع بقائه حديدا.

ومن المؤسف أن بعض الحمقى لا يستطيعون استيعاب هذه العلاقة بين الخالق والمخلوق، ويطعنون في الوحي الذي تلقيته: «إنما أمرك إذا أردت شيئا أن تقول له كن فيكون». وهو ليس كلامي، وإنما كلام نزل من رب العالمين. وقد أكد الصدقَ الكامن في هذا الوحي الشيخُ عبد القادر الجيلاني (رحمه الله) وأقره بجلاء في كتابه (فتوح الغيب). والأهم من ذلك أنه، رضي الله عنه، يؤيد أقواله بهذه العبارة بالذات: وإنه لما يؤسف له أن الناس عندما يتحدثون عن العقيدة يكتفون بالقشر فقط، ويعتبرون التعمق إلى اللب وحصول المعرفة الكاملة كفرا. ويظنون أن أحدا لا يستطيع فعلا أن يحظى بالمكالمة والمخاطبة الإلهية بعد النبي ﷺ على الإطلاق.

ثم يقول الله تعالى أن ذا القرنين سيطلب من هذا القوم المهدد دوما من يأجوج ومأجوج أن يزودوه بمصهور النحاس ليصب على الجدار حتى يقيهم ويحميهم من غزوات يأجوج ومأجوج. ولا يخفى أن الحديد عندما يتعرض للنار يحمر ويحمي ويأخذ خواص النار، ولكن انصهاره أصعب من النحاس. فالإشارة هنا أن الباحث عن الله يجب أن يتصف بقلب لين يذوب في سبيل الله. فكأن الآية تقول: يطلب ذو القرنين من هذا القوم أن يكونوا ذوي قلوب مستعدة للقبول، لينة تذوب لرؤية الله.. لأن القلوب القاسية لا تؤثر فيها آيات الله. ولكي يتقي الإنسان همزات الشيطان ينبغي أن يكون ثابتا وصلبا كالحديد. وأنه يأخذ من النحاس صفة الليونة والذوبان إذا ما تعرَّض لنار المحبة الإلهية، ويصب هذا المصهور على قلبه الثابت الصلب فيحفظه من التفتت والتشتت.. كما يحمي النحاس الحديد من الصدأ. تلك هي الشروط الثلاثة التي يجب أن تتوفر للإنسان الذي يريد السير في طريق الحب الإلهي الكامل، الذي سيكون سدا يحمي من هجمات الروح الشيطانية ويتعذر عليها اختراقه. ثبات وقوة كالحديد، الاستجابة لصفات الله تعالى وعكسها في نفسه كما يعكس الحديد المحمي صفات النار، ثم ليونة وخشوع لذكر الله وتعاليمه كالنحاس الذي يسهل صهره وصبه،فيسد الثغرات ويحمي من الصدأ.

ثم يقول الله تعالى إن كل ذلك سيتم بفضل من الله وبيده تعالى،

وليس بتدابير البشر وعند اقتراب الساعة.

ثم يقول الله تعالى.. أنه في زمن ذي القرنين (المسيح الموعود) تهب الديانات تدافع عن معتقداتها وتتصادم بعضها مع البعض الآخر كتلاطم أمواج البحر. ثم ينفخ الصور من السماء، أي يبعث الله المهدي والمسيح الموعود ويقيم بواسطته قوما.. يظهر آياته العظمى لتأييدهم.. إلى أن يجتمع أهل السعادة في العالم على دين واحد هو الإسلام.. هؤلاء السعداء الذين استمعوا لصوت المهدي والمسيح الموعود وينضمون إليه. فيكون قطيع واحد وراع واحد. ستكون تلك الأيام ذات محن، ويظهر الله وجهه بتجليات القهر.. وتنزل المصائب بأنواعها على رأس من يصرون على الكفر. ويرون نار جهنم في حياتهم.

ويقول الله تعالى بأن الذين كانت أعينهم في غطاء عن كلامي وصمّت آذانهم لأوامري.. أولئك الذين ألهُوا وعبدوا رجلا عاجزا.. وحسبوني متعطلا.. ليس أهون عندي من إنزال عذاب كعذاب جهنم بهم في هذه الحياة الدنيا. وسيظهر الله آياته الدالة على صدق مسيحه. انظروا.. ما أعظم أفضال الله الكريم على هذه الحفنة من تراب.. أنا.. ذلك الإنسان الذي كفره معارضوه وسمّوه دجالا!!

(الآية ١٠٣) تتحدث عن الأقوام التي يتخذون من يسوع المسيح بن مريم مخلصًا لهم وابنًا للّه، والذين أشير إليهم في أول السورة. وهذا يدل على أن الآيات السالفة تتناول موضوع هذه الأقوام نفسها.. أي الشعوب الغربية المسيحية.

(الآيات ١٠٤ إلى ١٠٩): إن هؤلاء الأقوام يسعون للحصول على الراحة المادية والمنافع الدنيوية، واختراع واستنباط كل جديد من شأنه أن يحقق لهم تلك الراحة. إنهم يكتفون في هذه الدنيا بمتعتهم المادية دون أن يكون لله تعالى مكان في قلوبهم. أما وقد تنكروا للحياة الأخرى، فلن يكون لأعمالهم ومكاسبهم أثر نافع، بل ستعود عليهم بالضرر. وبما أنهم قد صُدُّوا عن الله وكسب مرضاته فلا يتوقعون في الحياة الآخرة سوى نار جهنم.. جزاء على كفرهم وسوء أفعالهم وهزئهم بآيات الله واحتقارهم لرسله.

ولسوف يتقدم الإسلام ويرتقي على أنقاض مجد المسيحية، وستوضع أسس نظام جديد أفضل. وينال المؤمنون في النهاية حسن الجزاء على ما بذلوا وتحملوا، وسيكون لهم السعادة والراحة الفكرية بحيث لن يخطر لهم على بال أبدا تبديل هذا النعيم الروحي المبارك.

(آية ١١٠) تفاخر الشعوب الغربية المسيحية باختراعاتها واكتشافاتها العلمية ويظنون أنهم قد أدركوا سر الخليقة. تقول الآية لهم: إن تفاخركم باطل، فلا حد ولا نهاية لأسرار الله. نعم، لقد منح الله عباده قوى واستعدادات عجيبة، ولكن ما يُكتشف لا يتعدى قطرة واحدة من بحر. وتشير الآية إلى أن تلك الأيام ستكون أيام نشر الكتب والمطبوعات بكثرة. ولكن بحر العلم الحقيقي سيبقى خفيا عن علمهم المادي.

(آية ١١١) يطلب الله تعالى من النبي ﷺ أن يخبر الشعوب المسيحية، أن الله أظهره على كثير من الغيب، وأطلعه على الأنباء الخاصة بنصر الإسلام وسقوط المسيحية.. ومع ذلك فهو لا يجرؤ على الادعاء بأنه ابن الله أو أن له قوى إلهية.. ما هو إلا بشر كسائر البشر، وإنما فضله في كونه حامل الرسالة السماوية. فمن أراد أن يتبارك بهذا الوحي.. فعليهم أن يقلعوا عن الإشراك بالله.. وعندئذ تتنزل عليهم بركات الله وأفضاله، وتفتح لهم كنوز السماء.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ الآيات العشر الأواخر من سورة الكهف حماه الله من فتنة الدجال». وهذا يظهر أن الدجال ويأجوج ومأجوج شعب واحد.. هم الأقوام المسيحية الغربية. فالدجال يمثل دعايتهم الدينية الشريرة، ويمثل يأجوج ومأجوج سلطانَهم المادي والسياسي.

وكلُّ النور في القرآن لكن ... يميل الهالكون إلى الدخانِ

به نِلنا تُرَاثَ الكاملينا ... به سِرْنا إلى أقصى المعاني

فَقُمْ وَاطْلُبْ معارفَه بجهدٍ ... وخَفْ شرَّ العواقب والهوانِ

(المهدي والمسيح الموعود عليه السلام)

من جوامع الكلم

عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة. فخفَّض فيه ورفَّع. حتى ظننَّاه في طائفة النخل. فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا. فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله! ذكرتَ الدجال غداةً. فخفَّضت فيه ورفعتَ. حتى ظننَّاه في طائفة النخلِ. فقال: : «غيرُ الدجال أخوَفُني عليكم. إن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجُهُ دونكم. وإن يخرج، ولستُ فيكم، فامرؤٌ حجيجُ نفسه. والله خليفتي على كُل مسلمٍ. إنه شابٌّ قططٌ. عينه طائفةٌ، كأني أشبِّهُهُ بعَبد العُزَّى بن قطنٍ. فمَنْ أدركَهُ منكُم فليقرأ عليه فواتحَ سورة الكهف. إنه خارجٌ خلةً بين الشام والعراق. فعاث يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد الله! فاثبُتُوا».

قلنا: يا رسول الله! وما لبثُهُ في الأرض؟ قال: «أربعُون يومًا. يومٌ كسنةٍ. ويومٌ كشهرٍ. ويومٌ كجمعةٍ. وسائر أيامه كأيامكُم». قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنةٍ، أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ. قال: «اقدُرُوا له قدرهُ».

قلنا: يا رسول الله! وما إسراعُهُ في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرتُه الريحُ. فيأتي على القوم فيدعُوهُم، فيؤمنونَ به ويستجيبُون له. فيأمر السماء فتُمطرُ. والأرضَ فتُنبت. فتروحُ عليهم سارحَتهم، أطول ما كانت ذُرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمدَّه خواصر. ثم يأتي القوم. فيدعوهم فيردون عليه قولهُ. فينصرف عنهم. فيصبحون ممحلين، ليس بأيديهم شيٌ من أموالهم. ويمر بالخربةِ فيقول لها: أَخرجي كنوزكِ. فتتبعه كنوزُها كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلا ممتلئًا شبابًا. فيضرِبُه بالسيفِ، فيقطعُهُ جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوهُ فيُقبل ويتهلل وجههُ يضحك.

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرُودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطَرَ. وإذا رفعهُ تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلُؤ. فلا يحلُّ لكافرٍ يجدُ ريح نفسه إلا ماتَ. ونفسه ينتهِي حيث ينتهي طرفُه. فيطلبُه حتى يُدركه بباب لُدٍّ فيقتله.

ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منهُ. فيمسح عن وجوههم ويحدثُهم بدرجاتهم في الجنة.

فبينما هو كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي، لا يدانِ لأحدٍ بقتالهم. فحرِّزْ عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدبٍ ينسِلُون. فيمر أوائلُهم على بُحيرة طبريةَ. فيشرَبُون ما فيها. ويمُرُّ آخرُهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرةً، ماءٌ.

ويُحصَرُ نبي الله عيسى وأصحابه. حتى يكون رأسُ الثورِ لأحدهم خيرًا من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم.

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه. فيُرسل الله عليهم النغفَ في رقابهم. فيصبحون فرسى كموتِ نفس واحدةٍ.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض. فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأه زهمُهم ونتنُهم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله. فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخت. فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ. فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة. ثم يُقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك. فيومئذٍ تأكل العصابة من الرُّمانةِ ويستظلون بقحفها. ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحةَ من البقر لتكفي القبيلة من الناس. واللقحةَ من الغنم لتكفي الفخذ من الناس.

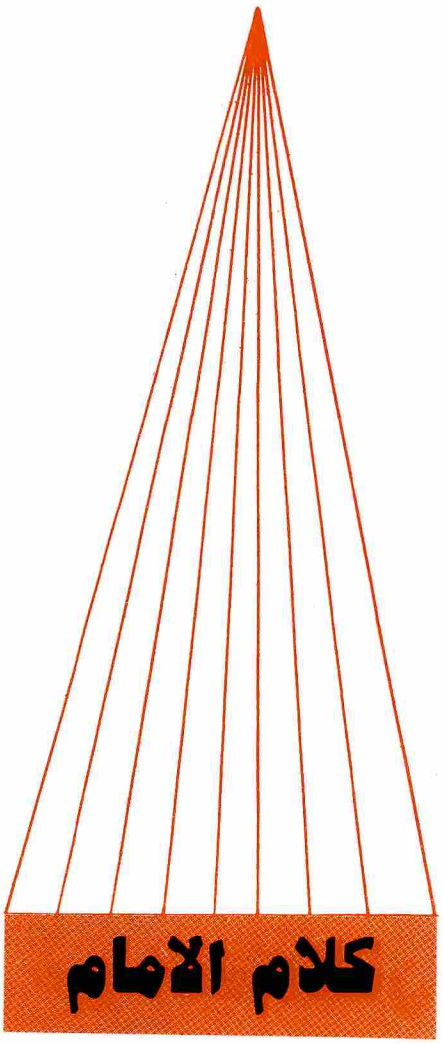
فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبةً. فتأخذهم تحتَ آباطِهم. فتقبض رُوح كُل مُؤمنٍ وكل مسلمٍ، ويبقى شرارُ الناس، يتهارجُون فيها تهارُج الحُمر، فعليهم تقوم الساعة».

(صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته)

شرح الكلمات:

خفّض فيه ورفّع: عظّمه وفخّمه.
قطط: شديد جعودة الشعر.
خلة: قُبالة.
عاث: أفسد.
السارحة: الماشية.
ذرًا: جمع ذروة أي أسمنةً.
أسبغه: أطوله.
أمدّه خواصر: أطوله خاصرةً لكثرة امتلائها من الشبع.
ممحلين: مصابين بالمحل أي القحط.
يعاسب النحل: جماعة النحل.
جزلتين: قطعتين.
رمية الغرض: أي يجعل الجزلتين مقدار رمية.
مهرودتين: ثوبين مصبوغين بورس وزعفران.
طأطأ: خفض.
جمان: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ. أي يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته.
لا يدان لأحد: أي لا قدرة لأحد.

حرِّز: أي ضمهم واجعله لهم حرزًا.
يأجوج ومأجوج: من أجّ يئج أجيجًا. والأجيج النار.
حدب: موضع مرتفع.
يرغب: يرغب إلى الله للدعاء.
النغف: مرض كالطاعون.
فرسى: جمع فريسة.
زهمهم: دسمهم وشحمهم.
البحت: الإبل.
لا يكن: لا يفلت.
مدر: طين صلب.
الزلفة: المرآة.
العصابة: الجماعة.
قحف: قشر.
الرِسل: اللبن.
اللِقحة: الناقة القريبة العهد بالولادة.
الفئام: الجماعة الكثيرة.
يتهارجون: يجامعون كالحمير علانية.



لسيدنا المسيح الموعود والمهدى المعهود عليه السلام

(١)

«ذلك النور الإلهي الذي وهب لإنسان.. أعني الإنسان الكامل، لم يكن ذلك النور لا في الملائكة.. ولا في النجوم.. ولا في القمر.. ولا في الشمس؛ ولم يكن في بحار الأرض.. ولا في أنهارها؛ ولم يكن في اللَّعْل.. ولا في الياقوت.. ولا في الزمرّد.. ولا في الماس.. ولا في اللؤلؤ.. بالاختصار.. لم يكن ذلك النور في أي شيءٍ من الأرض أو السماء، وإنما كان في إنسان كامل.. ذلك الإنسان الذي كان أتمَّ وأكمل وأعلى وأرفع فرد من بني الإنسان.. سيدنا ومولانا سيد الأنبياء.. سيد الأحياء.. محمد المصطفى ﷺ..

(الخزائن الروحانية، ج٥، مرآة كمالات الإسلام ص ١٦٠، ١٦١)

(٢)

«إنني دائما أنظر بعين الإعجاب إلى هذا النبي العربي.. محمد عليه ألف ألف صلاة وسلام. ما أرفع شأنه! لا يمكن إدراك سمو مقامه العالي، وليس بوسع إنسان تقدير تأثيره القدسي. الأسف، أن الدنيا لم تقدر مكانته حق قدرها. إنه هو البطل الوحيد الذي أعاد التوحيد إلى الدنيا بعد أن غاب عنها. إنه أحبَّ الله غاية الحب، وذابت نفسه تماما شفقة على خلق الله، لذلك فإن الله العالمَ بسريرته فضَّله على كل الأنبياء، وعلى الأولين والآخرين جميعا، وحقق له في حياته كل ما أراد».

(الخزائن الروحانية، ج ٢٢، حقيقة الوحي، ص ١١٨ إلى ١١٩).

(٣)

«إن ذلك الحادث العجيب الذي جرى في برية العرب.. حيث بُعث مئات الألوف من الموتى في أيام معدودات.. وتحلَّى بالصـ الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مر الأجيال، وأصبح العمي يبصرون، والبُكْم بالمعارف الإلهية ينطقون.. وحدث انقلاب في العالم لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط.. هل تُعرفون كيف حدث ذلك؟ إن تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة.. عبدٌ متفان في الله.. هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلا على يد ذلك الأمي الضعيف الحيلة.

اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وآله.. بعدد همّه وغمّه وحزنه لهذه الأمة، وأَنزِلْ عليه أنوارَ رحمتك إلى الأبد».

(الخزائن الروحانية ج ٦، بركات الدعاء ص ١٠ و ١١).

(٤)

«اليوم، ليس لبني آدم كلهم رسول ولا شفيع إلا محمد المصطفى ﷺ..عليكم أن تسعَوا جاهدين أن تقيموا رابطة حب صادق مع هذا النبي ذي الجاه والجلال، ولا تفضِّلوا عليه غيره بأي شكل.. لكي تُكتبوا في السماء من الناجين. وتذكروا أن النجاة ليس شيئا يظهر بعد الموت.. وإنما النجاة الحقيقية هي تلك التي يظهر نورها في هذه الدنيا. من هو الناجي؟ هو ذلك الذي يوقن بأن الله حق، وأن محمدًا هو الشفيع بينه عز وجل وبين خلقه، وبأنه لا رسول بمنزلته، ولا كتاب بمرتبة القرآن تحت السماء. لم يُرد الله لأحد أن يحيا حياة أبدية.. بيد أن هذا الرسول حيّ إلى الأبد».

(الخزائن الروحانية ج ١٩، سفينة نوح، ص ١٣، ١٤).

في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

الأستاذ: أحمد عبد الرحمٰن أبو غدير

يا معجزَ الفحصاء بالقرآنِ ... هذا القريض وهذه أوزاني
يا خيرَ من وطئ الأديمَ برجله ... هذا المديح إليك من متفانِ
في حبِّ ذاتك يا سلالةَ هاشمٍ ... يا خيرَ من بُعثوا من الرحمٰن
يا ابنَ الأسود إذا الحروب استحكمتْ ... حلقاتُها والقومُ في الميدانِ
يا ابنَ الكرام وما الكرامُ سواكمو ... يا ابنَ الأماجد من بني عدنانِ
الناسُ، يا خير الأنام، تنكَّبوا ... عمَّا تركت لنا من الفرقانِ
الناسُ بعد جهادهم قد أجفلوا ... الناسُ مثل الحالم الوسنانِ
غرقي ببحر مظلم أمواجُه ... هي مورثات الإثم والبهتانِ
وإذا أتاهم منقذ استكبروا ... ويصيح عالمهم إلى العميانِ:
هذا يكفركم فخافوا واحذروا ... هذا سيخضد شوكة الإيمانِ
يا خيرَ مبعوث بأكرم آية ... أَكرِمْ بها هي آية القرآنِ
هذا النذير أتى وهذا فضله ... عمَّ الدُنى وهو المسيح الثاني
في قبضتيه النور وهو أمدنا ... بشعاعه من فيضك النوراني
حمل الكتاب فعطرت آياته ... كل البلاد بعيدها والداني
شرح الكتاب فقطعت آياته ... أوصال أهل الشرك والطغيانِ
قد قال أحمد ليس عيسى خالدًا ... كلا وحاشا! كلُّ عبدٍ فانِ
إن ابن مريم في التراب مُوسَّد ... وبذاك تجري سنة الدَّيَّانِ
قد كان أَولَى أن يدوم محمد ... إذ منه كل الفضل والعرفانِ
هل يستقيم القول أن محمدًا ... خيرَ النبيين العظيمَ الشأنِ
ثاوٍ ببلقعةٍ وعيسى خالدٌ ... كلاّ، وربِّ العرش والميزانِ
يا رب، صلِّ على الذي أنواره ... شمسٌ أضاءت سائر الأكوانِ
واختم بتسليمٍ لحضرة أحمدَا ... سيف الهدى وهو المسيح الثاني

« إن رسولنا خاتم النبيين وعليه انقطعت سلسلة المرسلين، فليس حق احد ان يدعى النبوة بعد رسولنا المصطفى على الطريقة المستقلة، وما بقى بعده الا كثرة المكالمة، وهو بشرط الاتباع لا بغير متابعة خير البرية.»
(المسيح الموعود).

محمد... الإنسان الكامل (ﷺ)

ترجمة: عبد الله نايف

خطاب ألقاه إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، أمير المؤمنين، أيده الله بنصره العزيز سيدنا مرزا طاهر أحمد الخليفة الرابع لسيدنا المهدي المسيح الموعود عليه السلام، في حفل كبير أقامته الجماعة في هونسلو، لندن، بمناسبة السيرة النبوية الشريفة في ١٥ نوفمبر ١٩٨٠م. حضر هذا الحفل البهيج العديد من الشخصيات البارزة من غير المسلمين ومدحوا النبي ﷺ في كلماتهم، منهم: سعادة المستشار وليام تشات، عمدة هونسلو السيد برثر غراوند، عضو البرلمان البريطاني السيد تشاري وولر، ونائب عمدة مدينة إيلنغ، بالإضافة إلى عدد لا بأس به من الهنادك والسيخ. [المحرر].

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم* الحمد لله رب العٰلمين* الرحمٰن الرحيم* مٰلك يوم الدين* إياك نعبد وإياك نستعين* اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين*].

[قل إنما أنا بشر مثلكم يُوحٰى إليَّ أنما إلهكم إله واحد. فمن كان يرجو لقاءَ ربه فليعمَلْ عملاً صٰلحًا ولا يُشرِكْ بعبادة ربه أحدا*] (سورة الكهف: ١١١).

سعادة عمدة هنسلو، أعضاء البرلمان المحترمين، يا من تحملتم الكثير من العناء لحضوركم هنا هذا المساء لمشاهدة هذه المناسبة التي نعتبرها غاية من القداسة بسبب الموضوع الذي سنبحثه هنا هذا المساء.

ضيوفنا الأعزاء، يشرفني جدا ويسعدني التحدث إليكم هذا المساء في موضوع أحبه حبا جمًا. لقد بدأت الخطاب بتلاوة كلمة الشهادة، وكذلك بآية من القرآن المجيد من سورة الكهف. وكلمة الشهادة التي تلوتها هي أكثر تفصيلا من الشهادة المعروفة عامة، (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وهي مركبة من مقطعين، الكلمة الأساسية التي تقول: بأن (لا إله إلا الله) والثانية (أن محمداً عبده ورسوله). والتشديد هنا على كونه إنساناً قبل اعتباره رسولا نبيًا.

يكتب «موريس ليدز» عن هذه الكلمة: «من الغريب أن جيبون الذي أعطى محمدا حق قدره في النتيجة الإجمالية، كان عليه أن يقول من البداية بأن دين محمدٍ يتضمن حقيقة أزلية وأسطورة ضرورية. فهنالك إله واحد، وهذا حسب قوله، حقيقة أزلية، أما القول بأن محمداً رسول الله، فهو حسب قوله، أسطورة ضرورية.

ويتقدم بورتوالد سميث بقوله: لقد كان وكأنني أحاول إظهار أي وهم لمحمد نفسه أو لأصحابه. لو كان الأمر كذلك لما استطاع محمد أن يقوم بما عمله ولا أن يكون كما هو اليوم.

وإننا نشكر سميث على التمسك بتقييم جيد للموقف الغربي تجاه الإسلام وخاصة تجاه نبي الإسلام الرسول محمد ﷺ. ويبحث هذا في مرحلتين من التاريخ. وأقتبس عنه ما يلي:

«لم يكن بمقدور العالم المسيحي خلال القرون الأولى من المحمدية، أن ينتقد أو يشرح، وكان بمقدوره فقط أن يرتعد ويترقب بسكون. ولكن عندما تلقى السيراكيون أول صفعةٍ في قلب فرنسا أمام الشعوب الهاربة من وجههم أداروا وجوههم كما يفعل قطيع من البقر عندما يهرب من كلب واحد يأمر بالوقوف. ورغم ذلك لم يجرأوا على القتال. وما كان بمقدورهم إلا تشوية سمعة عدوهم المتراجع.

ثم يتابع بذكر أمثلة من تشويه السمعة كما دونها سميث، ولدي مراجع وجيزة عنها، وسأعود لذكرها لاحقًا في فقرة من خطابي.

ويُروى في أسطورة لتمبيون مقتبسة على يد رينان بأن محمداً المدمر المتعصب ضد كل عبّاد للأصنام صُنع صنم من ذهب باسمه

ونُصب للعبادة بعد تسُّوس عظامه. ثم يقول بأنه دجال، وفاسق، وسفيه القرن. ولا أدري ماذا أكثر من ذلك.

ولا أظن بأن مؤلفًا واحدًا خرج عن هذا الاستثناء الغريب حتى منتصف القرن الثامن عشر. وهنالك يهودي باسم ميمونيدس الذي يتكلم عنه ﷺ كدجال نتن، ونبي كاذب، ويتوسع أكثر في الموضوع فيعلق عليه أساطير بافومات التي كانت شائعة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ويعزو له ﷺ أي نوع من الجرائم، كما فعل الأثينيون بآريوس ووصفوه بالفاسق، سارق الجمال، وكردينال (بمعنى رئيس) لم يحصل على أي طموحات كردينالية. اخترع دينًا جديدا وفرض نفسه على إخوته واحتل مكانا بارزا في الجحيم.

وداتتيه يضعه في دائرته التاسعة بين أحط طبقات الديانات المختلفة.

ومن معلومات رئيسة نرى أن محمدًا ﷺ أعظم مصلح ديني يقابَل بقليل من التعاطف، وتبدو الكراهية تجاهه طبيعية، متغايرة عكسيًا حسب المعرفة. فلوثر يشك فيما إذا كان أسوأ من ليو. وماليتكوف يعتقد بأنه إما أن يكون إلها أو شبه إله، وبالأحرى كلاهما معا.

وهذا الفصل الثالث من تشويه السمعة والكراهية القسوى، وعلى وجه الخصوص ضد مؤسس الإسلام المقدس ﷺ لم ينته بعد، لكنا نرى تحولا في الاتجاه. كتب عنه أحد كبار المؤلفين عن الإسلام من أنجلتر وهو كارلايل، الذي افتتح عصرًا جديدا من التقارب نحو الإسلام، والذي كان القنبرة الأولى، وملك الشجاعة والنبل لإنشاء المدائح على النبي محمد ﷺ، في عصر قاتم بالكراهية. فكان أول زهرةٍ تبشر بالربيع.

وبعد كارلايل بدأت الأمور تتغير، ولكن لسوء الحظ، لم تخط قُدمًا لتطور إلى اتجاه عام، لأنه كثيرًا ما كان يظهر أولئك المنادون الذين رددوا أناشيد العودة إلى الماضي. وعلى مدى تاريخ الانتقاد على النبي محمد ﷺ نلاحظ دائما أمثال سلمان رشدي هنا وهناك. وهكذا فإن تولد سلمان رشدي ليس بظاهرة جديدة في تاريخ التعصب الديني وانعدام التسامح، لأنه شيء معروف عند الإنسان، وله صلة وثيقة بالجهل. ولكن دعوني أعد الآن إلى كارلايل الذي يقول:

«واحسرتاه، إن الأبطال والبطولة ومثل هذه النظريات لجديرة بالرثاء إذ ما أوصلتنا إلى ما خلق الله. دعونا نكفر به كليةً. هنالك فرض بتحريم الشك. وهذا يشير إلى عجز الخدمات الروحية، وإلى مجرد حياة ميتة لأرواح الناس. ولا أظن بأن نظريةً أكثر تجردًا وبعدًا من الله قد تولدت على هذه الأرض. رجلٌ زائف أسس دِينًا.. لماذا؟ فالرجل الزائف لا يقدر على بناء بيت من الآجر. فإذا لم يفعل ولم يتقيد هو نفسه به بإخلاص فإن أملاك الميِّت ومخزونه وكل ما يمكن أن يُعمل به لا يعمل بيتًا، وإنما هو كومة نفايةٍ لن تصمد اثني عشر قرنًا لِتُؤوي مائة وثمانين مليونًا، وإنما تنهار فورًا.

ثم يقول: إن الأكاذيب الصادرة عن حسن النية تكدست حماسًا حول هذا الشخص، وكانت مؤلمة لأنفسنا فقط. وعندما استقصى «بهوكوك» بجدية: في أين تكمن الحقيقة من قصة تلك الحمامة اتجه لالتقاط دليل من أذن النبي محمد، ويتخطى إلى ملاكٍ يبلغه. وكان الجواب الإجمالي بأنه لا وجود لدليل. ولقد حان الوقت لتفنيد كل ذلك.

إن الميزة أعظم أهمية في نظري موجودة في الكلمة التي هي مبدأ الإيمان الإسلامي، ألا وهي كلمة (عبد)، وتعني إنسانًا صادقًا جدًا لسيده، وتتضمن معنى الخادم الأمين أيضا.

ولقد اخترت اليوم أن لا أتكلم عن نبوءة محمد ﷺ وعن ميزته تلك، وإنما اخترت لإلقاء الضوء على شخصيته كإنسان فقط، كعبدٍ فردٍ محض لله تعالى، وكشخص متواضع عاش بين إخوانه وأصحابه وأعدائه خلال حياته كلها كرجل صادق. واخترت في هذه الناحية أوجهًا قليلة من حياته الحقيقية، وسأشارككم معي فيها. ولكم أن تحكموا في ذلك الإنسان.

الدليل على صدقه

لماذا قلت: إنها كانت الأعظم أهمية؟ لأن الناحية المتعلقة بالنبوة تختلف الآراء حولها دائما، وأنه لصعب جدا للناس العاديين أن يؤمنوا أو ينكروا النبوة كليةً، لأن أحد أطراف النبي يكون مفتوحًا تجاه الله تعالى، وذلك الطرف هو الأكثر تعقيدًا. لذلك فإنه من الصعب على الإنسان العادي مراقبة تلك الناحية من النبوة التي لا يمكنه المشاركة فيها إطلاقا. ولكن كبشر فمن الممكن لكل إنسان أن يحكم على كل مدعٍ للنبوة بعدل وإنصاف. وهكذا فإذا كان الرجل صادقًا فلا يمكن لذلك الشخص أن يكون نبيًا كاذبًا. إن محور الفكرة كون ذلك الرجل مسبقًا صادقًا أو غير صادق. وهكذا إن أردنا أن نحكم على النبي محمد ﷺ بأنه إنسان صادق ولا شيء غير كونه إنسانا صادقا، فمن المحتم علينا أن نستنتج بأن رجلاً صادقًا لا يمكن له أبدا أن يكون نبيًا كاذبًا.

وسأبدأ ثانية ببعض المقتطفات من علماء غربيين، وأعود لأقتبس من بورتوالد سميث. ودعوني أولا أن أبدأ بشرح عن قوامه ﷺ، وكيف كان شكله كرجل، وكيف يظهر لنا كإنسان:

حُليته المباركة

كان محمد ﷺ متوسط القامة، وذا بنية قوية فوق الاعتياد. كان رأسه كبيرًا، وله جبهة عريضة يتقدمها حاجبان جميلان مقوسان، بنيته قوية واضحة، وإذا ما غضب احمر لونه احمرارًا (وأقول لكم أنه نادرًا ما غضب). كانت عيناه سوداويين باردتين في إشراقهما. شعره قليل التجعد، وله لحية طويلة. وكالشرقيين الآخرين يقف صحيحا حيثما رُئي. ويضاف إلى هذا التأثير العالم لظهوره بأن خطوته كانت سريعة وثابتة كشخص صاعدٍ إلى تلٍ.

حياته ﷺ قبل التكلف بالرسالة

ومرةً أخرى يكتب بوتوالد سميث عن ميزاته بالكلمات التالية: «كان رجلاً وجيز الكلام. أصدقاؤه قلائل وسبب ذلك بصورة خاصة وفوق كل شيءٍ صدقه وحسن عقيدته. وكانوا يسمونه الأمين. كان عنايته بجمهور خادميه في أسفاره إلى سوريا مشهورة. ومن المحتمل صداقته القصيرة هناك مع سرجيوس أو الراهب النستوري بحيري. وكانت عادته المشهورة مساعدة المظلومين.. توظف عند خديجة لرحلات تجارية وتزوجها بسرور فيما بعد. وكانت هذه الحوادث الوحيدة المعروفة عنه في أول حياته.

الأمين الصدوق

ويخبرنا كارلايل بوصف عن حياته قبل النبوة:

«كان في سنٍ مبكرة مشتهرًا كرجل صدق وأمانة، وسماه أصحابه الأمين. كان صادقًا فيما فعل وفيما فكر وتكلم. ولاحظوا أنه دائما يعني شيئا. وكان رجلاً بالحري بليغ الكلام وصامتًا عندما لا تكون هنالك حاجة لقول شيءٍ. ولكنه موضوعي وذكي ومخلص. وإذا تكلم كان دائما يلقي ضوء على الموضوع، وكان هذا هو نوع الحديث الموجب للكلام. ونجده خلال حياته كلها يُعتبر رجلا أخويًا حصيفا صلبًا، أصيلاً، متميزًا بسلوك رزينٍ مخلص، ومع ذلك أنيسًا ودودًا حلو المعشر ومرحًا، يتمتع بضحكة جميلة مع الجميع. وهنالك رجالٌ ضحكهم حقيقي صادق كأي شيءٍ فيهم، ولا يمكنهم الضحك. ويتأثر الإنسان بجمال محمد ووجهه الجميل الحصيف الأصيل، وله عينان مشرقتان سوداويان. وأنا أميل إليه بعض الشيء أيضا. وفيه ذلك السؤدد على الحاجب الذي تضخم وشمخ عندما كان في حالة غضب. وعاش بين قومه طيلة أربعين عامًا من حياته المبكرة حتى بُعث نبيًا من الله تعالى».

ويتفق على ذلك جميع المؤرخين بلا خلاف، فلا يوجد أي تعارض حول الواقع، وحتى أن أشد المنتقدين لشخصيته لا يمكنهم أن يَضع أصبع الاتهام على حياته المبكرة حتى بلوغه الأربعين، عندما كُلف بالنبوة من الله تعالى. وهكذا تحدى القرآن المجيد أولئك الذين رفضوه: [فقد لبثتُ فيكم عُمُرًا من قبله أفلا تعقلون] (سورة يونس: ١٦)، أي لماذا لا تستعملون عقولكم وتتفكرون. أولا ترون أن شخصا عاش بينكم أربعين سنة حياة خالية من غش ولا اتهام، وفجأة ينقلب إلى أكذب وأخبث رجل على الأرض. والرجل الذي لم يكذب قط على إخوانه من بني قومه، فكيف يمكنه أن يتجرأ ويفتري على خالقه الذي أحبه من كل قلبه.

أربح صفقة

كانت خديجة التي ورد ذكرها آنفًا والتي توظف عندها محمد ﷺ سيدة ثرية أرسلته في رحلات تجارية مختلفة إلى سوريا، وكانت دائما ناجحة. ولكني أعتقد أن أنجح صفقة من تلك التجارة على الإطلاق لم تُذكر وهي التي تم فيها زواجه من خديجة التي عرضت نفسها عليه. وكان عندئذ شابًا في الخامسة والعشرين وكان خديجة قد جاوزت سن الصبا وبلغت إلى ما فوق الأربعين، ورغم هذا الفارق في العمر قبِل عندما عرضت نفسها عليه. وعاش معها خمسا وعشرين سنة أخرى. وعندما تزوجت معه خديجة مع علمها بخلقه ونبله قدمت له كل ما تملكه، وفي الحقيقة ملَّكته كل ما كان لها. والصفقة التي ذكرت والتي كانت أعظم روعةً ونجاحًا كانت هذه عندما استلم أملاكها، فوزعها كلها على المحتاجين والفقراء، ولم يحتفظ بدرهم واحد لنفسه. وإنها لمأثرة عظيمة له ولخديجة أيضا، لأنها إذا كانت من أثرى الناس في الجزية العربية السعودية غدت واحدة من أفقر الفقيرات بدون أن تُبدي شيئا من التذمر أو الاحتجاج. وعاشت باطمئنان وسلام مع النبي ﷺ. لقد كانت تحب ذلك الإنسان الذي لم يكن بعد نبيًا، لم تُحبه لجماله الخارجي وإنما أحبته لجماله الداخلي الذي كان متلألأ كالجواهر النفيسة.

خديجة.. أول المؤمنين

وهكذا عندما تلقى نبي الإسلام ﷺ أول وحيٍ من الله تعالى كان يرتعد، فعاد إلى بيته يرتجف من الخوف الذي ملك نفسه. وكان الإنسان عندما يصاب بالحمى يشعر بقشعريرة حادة تجعله يرتجف. وظنت خديجة أنه ربما أُصيب بمرضٍ، فغطته بما كان في البيت من بطائن وألحفةٍ. وبعد ذلك أخبرها بما جرى معه من

أن ملاكًا ظهر له، وأمره من الله تعالى بأن يقرأ. وقال بأنني ارتجفت كليةً ولا أدري ما جرى لي، وقد خشيت على نفسي. وعندها خاطبته خديجة وقالت: كلا والله لن يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. إنك صادق ودائمًا كنت صادقًا. وإني أؤمن بما رأيت وسمعت.

وهكذا كانت خديجة أول من آمن بالإسلام. وكانت الإنسانية الكامنة في نفسه هي ما أقنع زوجته بأنه نبي صادق. وكما قلت فإن الرجل الصادق لا يمكن أن ينقلب في النهاية إلى نبي كاذب.

لقد روى بورتوالد سميث هذه الحادثة وحسب أقواله توجهت خديجة إليه وقالت: إن الله لن يخزيك أبدا. ألم تكن محبًا لأقربائك، رحيما لجيرانك، محبا للفقراء، وفيًا لكلمتك، مدافعًا دائما عن الحق.

بداية المعارضة

هكذا كان موقف خديجة، ولكن موقف جميع أصدقائه تحول فجأة، بعد ادعائه بأنه رسول الله، إلى ثورة كاملة ضده. وأولئك الذين كانوا يسمونه الأمين والموثوق به جدًا، وكانوا يذهبون إليه لحل خلافاتهم، ووثقوا به ثقة كاملة، وعرفوا عنه بأنه رجل تقيٌ، بدأوا فجأة يتهمونه بأشنع أنواع الكذب. وأعلنوا عنه بأنه رجل مفسد من الدرجة الأولى. ويسجل لنا بورثوالد سميث بعض المواقف للناس الذين كانوا يتصارخون ضد محمدﷺ بعد تكليفه بالنبوة من الله تعالى بقوله: هناك يمشي بن عبد الله الذي تلقى محادثة من السماوات وسموه: مجنون، شاعر، منجم، وسخر منه أبناء عمومته، وعامله جمهور السكان بلا مبالاة كان تحملها قاسيًا عليه. وبعدها بدأ الاضطهاد الفعلي. ثم يخبرنا بأنهم حاولوا إقناعه واستمالته للعدول عن دعواه فعرضوا عليه العرائس والتهديدات. فأجابهم محمدﷺ بأنهم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري فلن أتخلى عن غايتي. ويكتب بورتوالد سميث بأن هذه ليست كلمات كاذب وأسلوب متنبئ.

تواضعه

لقد كانﷺ إنسانًا متواضعا جدا من كل ناحية في جميع علاقاته. كان متواضعًا تجاه إخوته القدامى وهم أنبياء الله السابقون. وكان متواضعا حتى مع صحابته الذين قبلوه نبيًا من الله تعالى. وسأقتبس قليلا من الحوادث من حياته.

فمرة بعد أن بُلغ من الله تعالى بأنه (خاتَمُ النبيين) وتعني في الحقيقة أفضل النبيين، أثار أحد صحابته جدلاً مع شخص آخر كان يبجل جدا نبيًا آخر اسمه يونس صاحب الحوت، كما تعلمون. وطال النقاش بينهما فيمن هو أفضل. وقال ذلك المسلم بأن نبينا أفضل، وقال الآخر: لا، يونس أفضل منه. وعندما أخبر النبيﷺ بذلك قال: لا تفضلوني على يونس بن متى، لأن هذا يتعارض مع كرامة العلاقات الإنسانية بأن تتفاخروا بتفضيل زعمائكم على زعماء الآخرين. فمن هو أفضل ومن هو أقل أفضلية هو أمر الله تعالى يقدره كيف يشاء. وعلى البشر أن لا يضيعوا أوقاتهم ومجهوداتهم بمثل هذه المناقشات والمفاخرات. وتلك هي الرسالة التي قدمها لنا، ولكن كثيرا من المسلمين مع الأسف نسوا هذا الأمر.

وبعدها جاء ذكر موسى، عندما قال أحد المسلمين ليهودي بأن نبينا أفضل من موسى. فاغتاظ اليهودي جدا واتخذ أيضا موقفا مغايرا ومتعاليا ومتطرفًا للغاية. فصفعه ذلك المسلم. وذهب اليهودي إلى النبيﷺ واشتكى عليه، فوبخ النبي صاحبه توبيخا عنيفا. ومرة ثانية استعمل نفس التعبير قائلا: لا تفضلوني على موسى. وتابع حديثه فروى ميزة من مزايا موسى عليه السلام ثناءً له لوضع مرهم على الجرح الذي ربما أصاب قلب اليهودي.

ثم نسمع عنه بأنه كان يقف طول الليل سائلا ومتوسلا المغفرة والرحمة من الله تعالى إلى درجة أن أصحابه رأوا بأن قدميه قد تورمتا بسبب وقوفه الطويل بين يدي الله متضرعا لمغفرته تعالى. وبما أنهم لم يروا منه يومًا أي ذنب قط وكان أطهر إنسان على وجه الأرض، لذلك استغربوا فتوجهوا إليه وسألوه: لماذا تشق على نفسك يا رسول الله؟ تطلب المغفرة من الله، وتقف طول الليل متضرعا لمغفرته حتى تورمت قدماك؟ فأجاب: أفلا أكون عبدًا شكورًا على ما أنعم الله به عليَّ.

وفي مناسبة أخرى جرى فيها بحث نفس السؤال عن المغفرة وتقوى الإنسان، قال النبي لأصحابه: لن يغفر الله لأحد على الأرض بسبب أعماله الصالحة، وإنما هو فضل الله تعالى الذي يُنعم به، ويُنجي الإنسان في النهاية من ربقة الذنوب ويُدخله الجنة. واندهش أولئك الذين سمعوا هذا الحديث، وتساءل أحدهم: حتى ولا أنت يا رسول الله، ألا يغفر لك بتقواك وأعمالك الصالحة؟ فأجابﷺ: لا حتى ولا أنا. إن كل ما يُعطى هو من فضل الله. كل شيٌ له ولا شيٌ لنا. وكل ما أنعم به علينا نستعمله ونستخدمه بأقصى علمنا ومقدرتنا، وكل شيٌ مرجعه إليه.

التواضع ليس له حدود. لقد كانﷺ إنسانا متواضعًا يجلس مع أصحابه، ويرتدي ثيابًا عادية، ويأكل من نفس الطعام مما يأكلون، ولم يحتل مكانًا مجهزًا له بصورة خاصة، وكثيرا ما كان

بعض الأجانب يخطئون في من هو مؤسس الإسلام ﷺ. وبما أن أبا بكر رضي الله عنه الذي أصبح فيما بعد الخليفة الأول في الإسلام، كان أكبر منه سنا وأطول لحية، ولا أتأكد من ذلك، وإنما هو تصوري، ولكن لا بد أنه كان به شيء جذب إليه بعض الغرباء، فخاطبوه كنبي الله. وعلى أثر ذلك مباشرة وبصورة فجائية كان يتجه بتواضع وإجلال نحو النبي ﷺ مشيرًا إليه قائلا: إنه رسول الله ولست أنا. وهكذا كانت عادته في الجلوس بين أتباعه.

ومرة استأذنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي أصبح فيما بعد الخليفة الثاني في الإسلام لتأدية العمرة، وهي صورة مصغرة للحج، وتعني زيارة الكعبة المشرفة والقيام بمناسك الحج في غير ميعاد الحج الذي هو العاشر من ذي الحجة، فأذن له الرسول ﷺ قائلاً له: قم بالعمرة ولكني أرجو منك أن تتذكرني في صلواتك ولا تنساني في أدعيتك.

الإنسان الذي اعتمد كل مسلم على صلاته وسعى كل مسلم للتبرك من أدعيته، نراه بهذا التواضع يطلب من أحد صحابته أن لا ينساه في أدعيته أثناء صلاته خلال زيارته لبيت الله.

مشاركته في معاناة الآخرين

لقد شارك مع صحابته في تحمل صنوف المشاق وأنواع الشدائد بصورة عامة خلال حياته كلها. عُرف عنه أثناء معركة الخندق بأنه شارك مع كل المسلمين بتحمل الجوع، وأنه قام بحصته من العمل في حفر الخندق. وكانت المشاركة في العمل قد فُرضت على كل فردٍ، ولم يُستثن حضرته ﷺ منها. ومرةً رآه أحد الصحابة بهذه الحالة، فامتلكه القلق ويُروى قوله: رأيت النبي ﷺ يوم معركة الأحزاب حاملاً التراب. وكان التراب يغطي بياض بطنه وهو يقول:

اللهم لولاأنت ما اهتدينا * ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلَنْ سكينةً علينا * وثبِّتِ الأقدام إن لاقَينا
إن الأُلى قد بَغَوا علينا * إذا أرادوا فتنة أَبَينا

(صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الخندق)

ثم يروي لنا الصحابي جابر: بأنا كنا نحفر الخندق، وقت معركة الأحزاب فجابهتنا كَديةٌ (أي صخرة عظيمة)، فشكونها لرسول الله ﷺ وقلنا: هي ذي هنا صخرة ظاهرة في الخندق. فقال: ها أنا نازلٌ إلى تحت. ثم رفع سترته، فظهر حجر مربوط إلى بطنه لأننا لم نكن أكلنا شيئا لثلاثة أيام. وكانت العادة عند العرب أن يربطوا حجرًا إلى معدتهم عندما كانوا يعانون من الجوع بشدة متناهية، وربما كان ذلك يساعد على تحمل الجوع أو تخفيف آلامه. وفي حادثة أخرى كما يحدثنا الراوي: كنا مدركين كلنا بأننا جميعا قد ربطنا إلى بطوننا حجرا واحدا لكل منا، ولم نكن مطلعين على حالة النبي ﷺ. ولكنه رفع قميصه مرة فظهر لنا حجران مربوطان إلى بطنه، وكان هذا تعبيرًا بأنه كان جائعا أكثر من أي أحد من أصحابه. وهكذا كما يروي جابر بأنني عندما شاهدته في هذا الضيق لم أعد أطيق ذلك. فاستأذنت رسول الله ﷺ وذهبت إلى خيام النساء وفتشت عن زوجتي، وسألتها فيما إذا كان عندها أي شيء للأكل. فقالت: بأنه بقي لدي جدي واحد وبعض الطحين. فقلت لها: من فضلك، اذبحي الجدي وجهزي بعض الخبز لأنني رأيت النبي ﷺ في حالةٍ لا أطيق تحملها.

وكان ذلك هو الإنسان الذي شارك كل وقته مع صحابته الأوفياء، دون أي فارق على الإطلاق. وكما ذُكر في عدة روايات موثوقة يمكننا أن نعتقد بحق أنه تحمل أكثر من غيره. كان حقيقة وبلا أدنى ريب شخصًا خاليا من أي عيب.

الشجاعة

وكلما طرأ خطرٌ كان حضرته أقرب إليه من غيره. ولقد اشترك في المعارك كلها مدافعًا، ولم يحصل قط أنه بدأ حربًا عدوانية.. وكان يتواجد أثناء المعركة في تلك الساحة التي كان الخطر فيها أشد. ولقد ذُكر هذا على لسان كثير من الرواة في زمنه وشهدوا بأننا كلما أردنا اكتشاف المكان الذي قد نجد فيه النبي ﷺ فنتطلع إلى تلك الساحة من المعركة حيث القتال مشتعل بأشد ضراوة، ودائما وجدناه في وسطها.

ومرة وهو في المدينة حيث هاجر إليها بعد ثلاث عشرة سنة من الاضطهاد في مكة، سمع الناس بالليل ضجة أزعجتهم، وكانوا في تلك الأيام خائفين من الهجوم من جميع الجهات، ولهذا أسرجوا خيولهم وذهبوا للاستطلاع. فوجدوا النبي ﷺ عائدا من ذلك المكان ولم يسرج حصانه، وقال بأنه لم يكن لديه وقت لذلك. فذهب وحده على عجلٍ ولذلك لم يسرج حصانه. وكان عائدًا، وقال لهم: ليس هنالك أي ضرر ولا خطر. عودوا إلى بيوتكم، وناموا ليلاً مريحًا.

التوكل على الله

ومرة كان في رحلة أثناء يوم صيف حار جدا، فنام تحت شجرة. فرآه بدوي من عبدة الأصنام فظن بأن الفرصة لقتله مواتية لأن النبي ﷺ كان وحده ولم يرافقه أحد من أصحابه. فاقترب منه البدوي والتقط سيفه ثم أيقظه وقال له: الآن من يستطيع إنقاذك مني يا محمد نبي الله؟ وقال الكلمتين الأخيرتين

بسخرية. فقال له النبي ﷺ: ربي. فأثرت هذه الكلمة في أعماق نفسه وامتلكت عليه كل حواسه. لقد كان الإيمان والاتكال على الله والحق الصريح في هذا الجواب القصير مما جعل يديه ترتعد، وسقط السيف من يده. فالتقطه النبي ﷺ، وقال للبدوي: والآن من سينقذك مني؟ فقال مستجديًا: من فضلك، إنك إنسانٌ رحيم وكريمٌ جدًا فلا تقتلني. فقال له النبي ﷺ: ويلك، ألم تتعلم درسًا مني؟ كان عليكَ أن تقول كما قلتُ أنا. أتعلم ما قلت؟ ربي سينقذني منك. ومن الطبيعي أن النبي ﷺ عفا عنه.

التسامح

لقد كان إنسانًا ذا قلب كبير رحب جدًا. أصبحت المساجد اليوم أماكن للتنازعات في جميع أرجاء العالم كما كانت الكنائس يومًا ما، ولكن النبي ﷺ أحب المساجد حبًا جمًا بشكل لم يحلم أحد بمحبتها وإجلالها. وكانت نظرته مختلفة عن هذه الأماكن المخصصة للعبادة. كان إنسانًا واسع القلب جدًا. تصوروا أن بدويًا غير مسلم جاء يومًا لزيارة المدينة. فاستضيف للمبيت في المسجد. وكانت المساجد تستعمل لهذه الغاية أيضا كما هو موجود اليوم في بعض نواحي الهند حيث أُقيمت في بعض المساجد دورٌ للضيافة على حدة. فاستُضيف ذلك البدوي وأُنزل في المسجد لقضاء الليل. فبال في المسجد حيث يُصلي الناس ويسجدون وحيث لا يجوز لكم أن تخطوا بأحذيتكم للمحافظة على نظافته. وحدث هذا الشيء أثناء حضور النبي ﷺ وأصحابه. فهرع بعض الصحابة لضرب ذلك البدوي. فأوقفهم النبي فورًا. ليس لأنه لا يجب أن يُعاقب ولكنه قال لهم: لا تزعجوه. دعوه ينهي ذلك، وليس لكم حقٌ في ما أنتم فاعلون. وعندما انتهى ذلك البدوي من فعلته طلب النبي ﷺ دلوًا من الماء وغسل ذلك المكان بنفسه. ثم استدار إلى أصحابه وقال: اذكروا بأن الله تعالى ما أقامكم لإحداث الصعوبة للناس، وإنما أقامكم لجلب الراحة إلى الناس، فدائما تذكروا هذا. وهكذا كان ﷺ.

ومرة قدم إلى المدينة وفد مسيحي للمناظرة معه في الإسلام والمسيحية. ومكثوا هناك ثلاثة أيام. ومرة عندما كانوا منهمكين في نقاش داخل المسجد الذي كان يسمى المسجد النبوي حان وقت صلاتهم. فاستأذنوا بالخروج لأداء صلاتهم، فقال لهم النبي محمد ﷺ: أليس هذا مكانًا للعبادة، فلماذا لا تؤدون عبادتكم هنا؟ فصلوا فعلاً في المسجد. وفي هذه الأثناء وصل بعض الصحابة الآخرين ورأوا المصلين متجهين إلى غير الاتجاه الذي كانوا يتوجهون إليه. وكادوا يعترضون عليهم، إلا أن النبي ﷺ منعهم بشدة من التدخل، وقال بأنني أذنت لهم لأن هذا بيت الله، ولا حق لأي إنسان في الاعتراض أيًا كان على عبادة الله في أي مكان خُصص للعبادة.

ومرة قدمت جماعة من رجال الدين المسيحيين ممثلين في وفدٍ من دير سانت كترين، وعرضوا على النبي ﷺ وثيقة خطية كإعلانٍ يطالبون فيها بالحماية بديرهم عندما تصل الفتوحات الإسلامية إلى ذلك الجزء من العالم وأن لا يكون أي تدخل في شؤونهم. فقبل حضرته ذلك الطلب على الفور. وما زالت تلك الوثيقة الخطية محفوظة حتى اليوم كما يذكر في مكان ما بتركيا. ويُقرأ فيها بأنه لا حق لأحد أن يتدخل في أملاك الدير تحت شعار الصليب أو في قالب آخر يمثل عقيدتهم. ويجب أن لا يُضايَقوا بأي شكل في الكلام. ومن تجرأ على التدخل في هذا الدير فليس مني. أنا محمد رسول الله ﷺ.

ذُكر الكثير عن الكراهية بين المسلمين واليهود. وبالرغم من أن النبي ﷺ كان قد واجه اعتراضات شديدة وقاصية جدًا نتيجة المكائد اليهودية داخل المدينة وفي ما حولها، إلا أن موقفه كإنسان لم يتغير تجاه اليهود قيد شعرة. فمرة بينما كان جالسًا مع أصحابه رأى جنازةً، فوقف احترامًا. فذكر له أحد الحاضرين بأن هذه جنازة يهودي، وكان الجواب: ألم يكن هذا الإنسان من مخلوقات الله تعالى وهو سبحانه الذي منحه الحياة؟ أليس كذلك؟ تذكروا بأن علينا أن نظهر الاحترام للآخرين في الأشياء المشتركة بين الناس بغض النظر عن دينهم وقوميتهم أو عقائدهم. وكان هذا جوهر روح الإسلام الذي عُلم في زمن الرسول ﷺ وطبق بجميع تفاصيله على يد رجل المحبة، تلك المحبة التي امتزجت مع تواضعه.

حبه للصغار

وكان في الواقع رائعًا في جميع نواحي حياته اليومية. لقد أحب الأطفال بل احترمهم. فمرةً مر أحد صحابة النبي ﷺ من بين مجموعة من الأطفال كانوا يلعبون، وقال لهم: السلام عليكم. وكان الأولاد متعجبين كيف أن هذا الشخص المسن المحترم وهو من صاحبة النبي ﷺ، يُبادرهم بإلقاء السلام. فقال لهم: أتدرون لماذا؟ لأنني دائما ألاحظ أن رسول الله ﷺ يفعل ذلك. لقد كان حضرته البادئ بإلقاء السلام حتى على الأولاد وكانت هذه عادته.

وروى مرة أسامة بن زيد بأنني أذكر أنني عندما كنت طفلاً حملني ﷺ ووضعني على إحدى ركبتيه. ثم أخذ حفيده الحسن وأجلسه على ركبته الثانية واحتضننا الاثنين وقال: اللهم ارحمهما كما أرحمهما. ولقد تركت هذه الحادثة أثرًا لا يمحى من قلب أسامة بن زيد، ولم يكن بمقدوره نسيانها. وعندما روى هذه الحادثة كانت الدموع تترقرق بين عينيه.

مِزاحه

كان من عادته مداعبة الأطفال وإدخال الفرحة إلى قلوبهم بالتحدث إليهم. ودعابته لم تؤذِ أحداً قط، وإنما كان مواسيًا. وهنالك عدة روايات عن نكاته الخفيفة مع الأطفال والمسنين، وسأقدم لكم لونًا من خلق دعابته. فمرة اقتربت منه سيدة عجوز وطلبت منه الدعاء ليغفر الله لها ويدخلها الجنة. وكان جوابه بأن العجائز لن تدخل الجنة، فصدمت وقالت: ماذا تعني؟ فقال لها: إن كل من يدخل الجنة سيكون شابًا. وهكذا كان محورُ دعابته رقيقًا جدًا، واستعمل فيه دائما ما يجلب البهجة والسعادة، وليس ما يثير الكآبة.

عدله

لقد كان إنسانا كثير التمسك بالعدل، والعدل الكامل في كل شيء. وكان إنسانا رحميا جدا. وفصاحته في مجال العدل والرحمة كان أجمل نشيد وحوارٍ. ورُوي عنه أنه في معركة بدر التي هاجمت فيها قريش المدينة أسر فيمن أسر أحد أعمامه. فكبّلوا بأيديهم وأرجلهم في المسجد حول عمودٍ كان فيه، لأنه لم يكن في ذلك الوقت سجن غيره. وحصل أن البعض ربطوا أولئك الأسرى بقساوة وخشونة. ولم يتمكن النبيﷺ من النوم، فراح يمشي حول مبيته بغير استقرار. ولاحظ عليه ذلك أحد الصحابة فقال له: ما يزعجك يا رسول الله؟ ولم لا تذهب للنوم بعد هذا اليوم الشاق؟ فقال لأنني أسمع صوت عمي العباس من المسجد، فلعل أحداً ربطه بقساوة. فذهب أحد الصحابة وخفف رباطه. وبعد قليل لم يعدﷺ يسمع الأصوات. فقلق على ذلك، وقال: لماذا لا أسمع أي صوتٍ. فقال له أحدهم: إنه بسببك يا رسول الله، فقد خففنا رباطه. فقال: ما دمتم قد فعلتم له ذلك، فافعلوه مع جميع الأسرى، وإلا فلن أتمكن من الاطمئنان والشعور بالراحة. وهكذا خُفف رباط جميع الأسرى.

ومرة سرقت بنت أحد كبار الزعماء في الجزيرة العربية شيئا وقُبض عليها. وكان اسمها فاطمة كاسم بنت رسول اللهﷺ فاطمة. وحصل خلاف إذ أصر بعض الناس على الرأفة بهذه البنت لأنها كانت بنت زعيم كبير جدا. وأقنعوا ابن خادمهﷺ سابقًا أسامة بن زيد للشفاعة لفاطمة هذه. وبما أنه كان بعد حدثًا وعلى البساطة ولا يعلم الكثير عن مزايا مؤسس الإسلامﷺ، ذهب إليه وتشفع فيها. فاحمر وجههﷺ (وكانت تلك إحدى المناسبات النادرة التي احمر وجهه فيها) وقال لأسامة: ماذا تعني؟ أتشفع في فاطمة؟ إني سأفعل كل ما يأمرني به الله بكل تأكيد. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. فلا تدخل في حدٍّ من حدود الله التي أُنزلت عليَّ. وما أنا إلا عبد مأمورٌ ولا خيرة لي فيما فرض الله.

ومرة أقرضه يهودي بعض النقود، وحسب زعم ذلك اليهودي مر ميعاد الدفع وأصبح النبيﷺ متأخرًا بتسديد الدين. فجاء للنبيﷺ وهو برفقة بعض أصحابه، ووجه إليه كلمات قاسية جداً، وزاد على قوله مردداً: إنك واحدٌ من قريش الذين نعرف بأنهم مدينون سيئون ولا يوفون أبدا بعهودهم. وكان عمر رضي الله عنه هنالك، فثارت ثائرته وامتدت يده إلى سيفه. فأوقفه النبيﷺ. وبينما كان عمر على وشك الانقضاض عليه خرجت من فمه الكلمات النابية ضد اليهودي نظرًا لموقفه المشين تجاه النبيﷺ. فتحول النبي إليه وأوقفه قائلاً: اسمع يا عمر، إنك لا تتصرف كما ينبغي. أتدري ما كان عليك أن تفعل؟ فقال: نعم يا سيدي، ماذا كان عليَّ أن أفعل؟ فقال له: كان عليك أولاً أن تقول لي: من فضلك عندما تقترض شيئا من شخصٍ فالرجاء أن تتذكر دائما العقد بينكما، وأن تؤدي ما عليك في الميعاد. وبعد ذلك تتوجه إليه وتطالبه بالليونة في الطلب. إنهم لرحماء أولئك الذين أقرضوا شيئا. وبعدها تحول إلى صحابته وقال: بقي ثلاثة أيام، وأنا أعلم بأن الميعاد لم يمض بعد. إني مدين له وسأزيده. إنهﷺ قدر وجوب تعويضه مقابل تعرضه لخشونة موقف عمر رضي الله عنه، بإضافة شيء إلى المبلغ الذي كان النبي محمدﷺ مدينًا له به.

كان اقتفاؤه للعدل يفوق كل شيء، وكان كاملا، وغير متحيز بتاتا، ولا مرتبطا بأي شيء، وليس وفاء لعشيرته ولا لقبيلته. ومرة أخرى أقتبس بعض الأمثلة عن علاقته مع اليهود، لأن هذا الأمر قد أسيء فهمه اليوم، ومن الجدير تصحيح هذا المفهوم عن العلاقات اليهودية الإسلامية، ويجب أن نقتدي بأسوة نبي الإسلامﷺ، فإن كل منهج غيره لن يكون جديرًا بالذكر. لقد بنى النبيﷺ بنفسه مثل الإنسان العادل في المجتمع. عند وقوع خلافات بين يهود ومسلمين أو بين وثنيين ومسلمين كانوا دائما يذهبون عند النبيﷺ لإصدار حكمه بينهم. وأقتبس بعض الأمثلة من هذه الخلافات لتروا كيف حكم بالعدل في تلك القضايا.

وقع خلاف بين مسلم ويهودي حول قطعة أرض. فقدما إلى النبيﷺ وطلبا منه أن يحكم بينهما. وتوجه النبي قبل كل شيء إلى المدعي المسلم وسأله: هل معك شاهدٌ؟ أو أي دليل يثبت أن قطعة الأرض هذه هي لك؟ وأنك لم تبعها مؤخرًا لهذا اليهودي؟ فأجاب المدعي: ليس معي أي شاهد، ولكني أقول الصدق. فاستدار النبيﷺ إلى المدعي عليه وقال: هل تقسم بالله على أن

هذه الأرض لك؟ فاحتج المسلم قائلا: إنه سيحلف باطلاً بدون خوفٍ. فقال له النبيﷺ: نعم، ربما أنا لا أعلم ولكني أحكم حسب المبادئ. فإذا حلف فالأرض له. وذلك ما حصل بالفعل.

ومرة زار خيبر مجموعة من التجار، وهي مدينة استوطنها يهود بني نظير وسكنوا فيها بعد ترحيلهم عن المدينة، وقصة ترحيلهم لا شأن لها بالموضوع. وخيبر أصبحت بعد سكناهم فيها مكانًا منيعًا، ولم يسكن في تلك المنطقة سوى اليهود. وهكذا فعندما زار مجموعة أولئك التجار ذلك المكان حصل أن قُتل أحدهم. فرجعوا إلى النبيﷺ وطالبوا بديةٍ نقدية يدفعها اليهود. فسألهم النبيﷺ: هل معكم شاهدٌ؟ فأجابوا: لا، ليس معنا أي شاهد، ولكن تلك المنطقة لا يسكنها سوى اليهود وليس هنالك أي احتمال إلا أن نعتقد بأن يهوديًا قتله. فأجابهم النبيﷺ: إني لا أستطيع فرض ذلك عليهم بدون شاهد أو دليل، ولكن ما أستطيعه فهو دفع الدية نيابة عن القاتل، كائنا من كان. وهذا ما فعله.

رحمته بالعبيد

كان رحمته متنوعة بمقتضى روح العدالة في أجمل صورها. وكانت مشاهدته في تطبيقها مغنمًا وهناء. وكان أيضًا رحيمًا جدًا مع خدامه وعبيده. ومسألة العبودية قد أُسيئ فهمها لدى أهل الغرب، ولن أدخل في هذا الموضوع في حد ذاته بالتفصيل، ولكني أخبركم فقط بأنه لا توجد سوى طريقة واحدة حسب القرآن تسمح بجعل الآخرين عبيدًا. وهذا الأمر ذُكر في آية واحدة من القرآن المجيد وهي قوله تعالى: [ما كان لنبي أن يكون أَسرٰى حتى يُثخِنَ في الأرض] (سورة الأنفال: ٦٨). وتعني الآية بأنه في حالة نشوب حرب طاحنة ومعركة شديدة جدا وليس مجرد مناوشة، يمكن أسر أحد. ذلك لأنه لم يكن في تلك الأيام نظام معتقلات أو معسكرات لأسرى الحرب. وهكذا كانت العادة في تلك الأيام في جميع أنحاء العالم.. القبض على الأسرى وتوزيعهم لحماية البيوت. وهذا ما يقوله القرآن المجيد بأن هذه هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطته أسر أي إنسان. ويواصل القرآن المجيد في بيان الكثير من السبل التي يتاح بواسطتها تحرير الأسرى وإطلاق سراحهم. وهنالك آيات قرآنية عديدة جدا تتحدث عن هذا الموضوع، وإن الإنسان عندما يتعمق في تلك يستغرب كيف يمكن لمسلمي اليوم تصور خاطئ للعبودية التي شدد القرآن المجيد عليها إلى حد أنه إذا لم يحرَّر الأسير (العبد) بفدية تُدفع بواسطة أقربائه ولا يملك وسيلة أخرى لتحريره، فيمكنه حسب القرآن المجيد وسنة الرسولﷺ أن يتوجه إلى محكمة إسلامية ويطلب إطلاق سراحه الفوري مقابل تعهده بدفع ما قدرت قيمته به حتى بأقساط مريحة بأمدٍ طويل. وهذا ما كان مطبقًا بصرامة أيام النبيﷺ. ولذلك كان يتم أحيانا تحرير ألوف الأسرى في يومٍ واحد. ولكن هذا الأمر كان في عصرٍ سادته المتاعب وبسبب توارثه عن الماضي. وكان بعض الأسرى قد توارثهم بعض الناس، واستمروا على الخدمة في البيوت الخاصة.

وبشأن أمثال هؤلاء حث النبيﷺ المسلمين مرارًا بأن يكونوا رحماء بعبيدهم كما هم رحماء بذويهم، وشدد على ذلك كثيرًا جدًا. ونجد روايات عديدة ومتكررة عن بعض المناسبات التي كان يذهب فيها العبد مع سيده إلى بعض المتاجر لاقتناء بعض الحاجيات وما كان باستطاعة التاجر أن يميز بين العبد والسيد. وذُكرت رواية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الرابع بعد النبيﷺ أنه ذهب مرة إلى متجر وطلب قطعتين من القماش متشابهتين، فسأله التاجر: لمَ؟ ولمَ لا تختار ثوبين من كل لونٍ آخر؟ فأجاب: بأن سيدي أوصاني بمعاملة خادمي كما أعامل أفراد عائلتي وأقربائي، ولذلك فإني سأجعله يلبس نفس ما ألبس، ولا شيء غير ذلك.

ويروي أبو مسعود أنه مرةً كان يضرب عبده، فسمع صوتًا من ورائه قائلا: إياك يا أبا مسعود، حذار يا أبا مسعود، حذار يا أبا مسعود. وقال: لم أكن أعرف لمن ذلك الصوت وما اهتممت به، ولكني عندما استدرت إلى ناحية الصوت رأيت النبيﷺ منزعجا جدًا، وابتدرني قائلاً: آه يا أبا مسعود، عليك أن تعلم بأن الله تعالى أقوى منك بكثير وأقدر منك من قدرتك على عبدك. وعندما سمعت هذا حررت ذلك العبد فورًا. فقال النبيﷺ: لو لم تفعل ذلك للفحت النار وجهك.

كان زيد، كما نعلم من التاريخ، قد عاش معهﷺ، عمرًا طويلاً. ويذكر بأنه خلال مدة خدمتي الطويلة للنبيﷺ صدرت مني طبعًا أخطاء كثيرة، ولكنهﷺ لم يقل لي ولا كلمة تأفف واحدة، حتى ولا مرةً واحدة، ولم ينتقدني قط. ومن الطبيعي أنه لا مجال لذكر الضرب الذي لم يحدث بتاتًا.

كان زيد متأثرًا جدا في أعماقه بنبل النبيﷺ: مرة أثناء مكوثه في المدينة سمع أبوه وخاله بأخباره وأنه يخدم عند النبيﷺ. فقدما إلى المدينة وطلبا بتوسل النبي أن يحرره، فأجابﷺ بأنني فاعل ذلك بالتأكيد ولكن لم لا تسألانه؟ إنه إنسان حرٌ، وإن قَبِلَ الذهاب معكما فليذهب، ولكنه إن رفض فلن أجبره على ذلك. وحضر زيد فسلم على أبيه وخاله اللذين أظهرا له كل شوقٍ ومحبةٍ، وذكراه بأيام طفولته. وكان يستمع إليهما. فقال لهما: إن كان لي الاختيار فلن أعود معكما، لأنني وجدت إنسانًا أعز عليَّ من أمي وأبي وخالي ومن أي شخص في العالم. وعندما سمع النبيﷺ ذلك دعاهم إلى الخارج، وطلب من بعض الناس

أن يحضروا إليه، وأعلن أمامهم بأن هذا الرجل المسمى زيدًا لم يعد من اليوم عبدًا، إنه إنسان حرٌ. وأعلن أيضا بأنني أتبنّاه ويجب أن يدعى من اليوم فصاعدًا زيد ابن محمد.

هكذا كان موقفه مع العبيد وهكذا علم أصحابه معاملة العبيد برأفة ورحمة. وإنه لما يدهش الإنسان حقًا.

رحمته بالنساء

وأنتقل الآن إلى ناحية أخرى من نواحي حياة محمدﷺ في مجال القيم الإنسانية: كزوج، وأب، وقريبٍ للكثير من الناس. لقد تصرف حضرته بأسمى الإمكانيات في الإنسانية والرحمة، حتى إنك لن تسمع أي ذكر من أي مصدر عن خشونته للسيدات في أي علاقة معهن. نسمع كثيرًا من الروايات على لسان عائشة رضي الله عنها بأنهن كن يغضبن عليه ويكلمنه بخشونة. ولم يُذكر حتى ولا مرة واحدة أنه رد عليهم بمثله أو أنه رد على تهجمهن بنوعٍ آخر من الكلام.

تروي عائشة أنه ساعدها في أعمال البيت، هذا بالإضافة إلى أشغاله اليومية العديدة وإلى جانب مسئوليته النبوية لصالح الإنسانية جمعاء. لقد وجد الوقت لمساعدتها في أشغالها البيتية اليومية.. خاط ثيابه الخاصة، أصلح أحذيته بنفسه، وقام لتناول الماء لنفسه بنفسه كلما احتاج منه. ولم يطلب من أحد شيئا كان بحاجة إليه، بل قام إليه وفعله بنفسه.

ولقد أثرت هذه الناحية من خلقه على أصحابه تأثيرا بالغا. فمرة بعد وفاتهﷺ كان أحد صحابته راكبًا وسقط منه سوطه. فركض أحد الأولاد لمناولته له، فقال له: لا، من فضلك دعني أنزل عن جوادي وألتقطه، لأنني شاهدت النبيﷺ لا يزعج أحدًا قط ولا يعتمد على أحد في قضاء شؤونه الخاصة، وإنما كان يفعله بنفسه..

زهده بالدنيا

كان فراشه، كما تروي عائشة، نوعًا من القش مخيطًا بنوع من الثقال أو القصب، ولم تكن تمضي علينا ثلاثة أيام نأكل فيها الخبز، وكانت تمضي علينا أحيانا أيام وحتى أشهر لم نكن نأكل فيها لحمًا، وإنما كنا نتغذى بالتمر وبعض الحليب الذي يتيسر لنا ما عدا قطعة لحم كانت تُرسل أحيانا للنبيﷺ عندما كان يذبح أحد غنمةً وما شابه ذلك.

ويروي عمر رضي الله عنه بأنه زار مرة النبيﷺ في حجرته الصغيرة، فوجده مستلقيا على حصير من الليف ورأى آثار الليف على جنبه الذي كان مستلقيا عليه. ويقول: كنت واقفا في الغرفة وأنظر إلى ما فيها من الأثاث، فإذا هي خالية ولم يكن فيها سوى دلو من الماء وغرض أو غرضين. ويقول: كنت أعلم أنه الإنسان الأحب إلى الله تعالى الذي وصل الذروة في التواضع. فغمرني هذا التباين بالحزن إلى درجة أني بدأت في البكاء. فتوجه إلي النبيﷺ وقال: ماذا يزعجك وما يؤلمك إلى هذا الحد؟ فقلت: يا رسول الله، إن الله تعالى يحبك حبًا جمًا، وإنك الأفضل من خلقك، ومع ذلك أراك في هذه الفاقة التي ما دونها فاقة. ليس عندك فراش لائق، ولا شيءٌ يليق ببيتك، ولا شيءٌ عندك. فتبسم النبيﷺ وقال: أتفضِّل يا عمر، الأشياء الدنيوية في هذه الحياة أم ما هو مقدر لنا من الله تعالى في الآخرة؟ فقال عمر: طبعًا يا رسول الله، إني أفضل ما قدر الله لنا في الآخرة. وهنا انتهت المحادثة.

فمن هذه الحادثة البسيطة يستطيع الإنسان أن يستنتج أنه هل من الممكن لدجال محتالٍ أن يفعل ذلك؟ فلماذا يلفق الناس الأكاذيب حوله ولأي غاية؟ أن يعيش إنسان في مثل هذه الفاقة والمعاناة، ويشارك الناس في بأسهم حين وقوعها مع القيام بكل واجباتهم اليومية؟؟ فلو كان ذلك الزعم حقًا فلن يكون هنالك إذًا أي معنى للحق بحد ذاته، ويكون كل ما في الإنسان باطلاً.

رحمته بالحيوانات

لقد كانﷺ رحيمًا حتى بالحيوانات وأقتبس بعض الأمثلة على ذلك. فمرة أثناء سفره مع أصحابه سمع صوت نياح طيرٍ وكانت أنثى تصيح في ألمٍ. فتحول نحو صحابته وسألهم: ماذا فعلتم بها؟ فقال أحدهم: أخذت بيضتين من عشها. فقال له: أعدهما إلى مكانها. وفي رواية أنه أخذ فرخين وليس بيضتين. وذُكر في تلك الرواية أنه توجه إلى أصحابه وقال لهم: يجب أن لا تتألم أي أم وتتوجع من أجل أولادها. ومن هذا يتبين بأن الأمر لم يكن مسألة طيورٍ أو فراخ فحسب وإنما مسألة تتعلق بالحياة ذاتها.

وكذلك ذكرﷺ لأصحابه مرةً أن إنسانًا كان يومًا في الصحراء وقد أجهده العطش. فاكتشف بئرًا فيها ماءٌ. فنزل إلى البئر وشرَب حتى ارتوى. ثم صعد إلى السطح، فوجد كلبًا يلهث ألمًا من العطش، وعلى وشك الموت. فنزل إلى البئر ثانية، وملأ حذائه ماءً وصعد من البئر ممسكًا بحذائه بأسنانه، فقدمه للكلب. وهكذا خفف من شدة ظمئه. فغفر الله له ذنوبه بهذا العمل.

وفي رواية بأنها كانت عاهرةً وليس رجلاً. وكما قال رسول اللهﷺ فإن الله تعالى غفر لها جميع ذنوبها بسبب هذا العمل البسيط الذي أظهرت فيه الشفقة والرأفة بالحيوان.

وسأله أحد الصحابة فقال: وهل نُثاب على شفقتنا بالحيوانات. فأجاب: نعم، لجميع الحيوانات ذات الكبد الرطبة، ويعني الحيوانات المتصفة بالليونة والحساسية. فالحيوانات على مختلف أنواعها ذات المعدة التي المتميزة بالحساسية والاستقرار، فتلك يجب معاملتها برفق ورحمةٍ وسيجازيكم الله خيرًا على شفقتكم بتلك الحيوانات.

وذات مرةٍ رأى ﷺ شخصًا يحلب ماعزًا، وخشي أن لا يُبقي شيئا للجدي، فتوجه إليه ناصحًا وقال: تذكر دائمًا عندما تحلب الماعز أو غيرها من الحيوانات أن تُبقي شيئا لصغارها.

وبعدما منع صحابته من قتل أي طير أو حيوان بغية القتل فقط، قال لهم: إنكم ستسألون عند الله إن قتلتموها بلا سبب ودون أي وجه حق. فسألوه بأي حقٍ يمكننا فعل ذلك؟ فأجابهم: عندما تكونون مثلاً بحاجة إلى اللحم يحق لكم أن تقتلوها. وذكرهم بأن لا يكونوا مجردين من الشفقة عند ذبحها، بل يسرعوا في الذبح حتى يشعر الحيوان عند الذبح بأقل ما يمكن من الألم. ولذلك فعندما يسألني الإخوة الأحمديون عن وجوب تحويل رأس الذبيحة أولاً ثم ذبحها، فهل هذه هي الطريقة إسلامية أقول لهم: نعم، إنها إسلامية حقًا. وما عليكم أن تستعملوها. وإني لا أتفق مع بعض العلماء المسلمين المتعصبين الذين يقولون بأن هذا لم يكن معلومًا لدى المسلمين الأوئل. صحيح أن التولج في وسائل مساعدة الحيوانات أثناء ذبحها لتخفيف آلامها لم يكن مخترعًا في تلك الأيام، ولكن المبدء يرجع إلى ذلك العهد الذي فيه النبي ﷺ أوصاهم بإظهار الشفقة والرأفة حتى في الذبح.

عقوبة التجديف

والآن أنتقل إلى السؤال الأكثر جدلاً في هذه الأيام وهو موضوع التجديف بالإسلام، لقد لاحقني هذا السؤال في كل مكان زرته في العالم. ماذا عن فتوى الخميني، وإدانته لقتل سلمان رشدي؟ فكنت أقول لهم حسبما أعلمه عن الرسول ﷺ: ليست هنالك أية عقوبة ضد التجديف، وليس هنالك مجال للتهديد بالقتل أو غيره. وعن هذا الشيء بالذات أقتبس هذه الحادثة من حياة النبي ﷺ التي ذُكرت بإيجاز في القرآن المجيد نفسه.

كان هنالك زعيم في المدينة قبل وصول رسول الله ﷺ إليها مع من هاجروا إليها من مكة. وكان النجم المتألق في عصره وكان في نظر جميع القبائل المختلفة في المدينة زعيمهم. وكان الناس فيها يتبعون ديانات وقيادات مختلفة. وعندما وصل النبي ﷺ تغيروا تدريجيا، ومن المؤكد أنهم قبلوا النبي ﷺ بأن يكون زعيم المدينة في جميع المجالات. ومن الطبيعي وجود الخلافات بينهم ولكنه بلا شك كان الرئيس الوحيد الذي رجعت إليه مقاليد الأمور في كل نواحي المدينة. وهكذا غدا عبد الله بن أبي بن سلول، وهذا كان اسمه، حاسدًا جدًا. فراح يُظهر بواطن مشاعره المجروحة بصيغة أو بأخرى. وأطلق عليه صحابة رسول الله ﷺ زعيم المنافقين. ففي أثناء العودة من غزوة كانت فاشلة بكل معنى الكلمة ومضنية وقاسية، وكل من اشترك فيها كان منهك القوى ومرهقا، وكانت هذه الغزوة في آخر أيام الصيف.. وأثناء عودتهم منها إلى المدينة فكر عبد الله هذا بأن الفرصة مواتية لينتقم لنفسه، فأعلن على مسمع من بعض الناس: [لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ]، وكل من سمعه فهم ما يعنيه وإلى من تشير كلماته. وأُبلغ رسول الله ﷺ بذلك. ولما سمع عمر رضي الله عنه بالخبر استأذن الرسول ﷺ لقتل هذا الرجل قائلاً: إننا لا نطيق ما سمعناه منه ولا الطريقة التي يحاول بها إهانتك. فقال ﷺ: لا تفعلوا شيئا ولا عقاب له من أي نوعٍ.

وفي رواية أن ابن عبد الله بن أُبي بن سلول أتى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، ربما أنك أذنت بقتل ولدي، فإن كنت فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل لك رأسه. فوالله، لقد علمت الخزرج ما كان بها رجلٌ أبر بوالديه مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي إلى أن أنظر قاتل عبد الله بن أُبي يمشي في الناس فأقتله. فأكون قد قتلت رجلاً مؤمنا بكافر، فأدخل النار. فابتسم الرسول ﷺ وقال: لا تفعل شيئا، ولا عقاب له.

وعادوا إلى المدينة، وعاش هذا الرجل بأمان في ظل حماية النبي الكاملة وهو الذي كان قد جدف عليه. وعندما مات قرر النبي ﷺ الإمامة في صلاة الجنازة عليه. وهذا كان أثقل من أن يطيقه بعض الصحابة رضوان الله عليهم. ويذكر عمر بأنه وقف في طريق النبي ﷺ قائلا: أليس هو زعيم المنافقين؟ أليس هو الرجل الذي قال الله عنه: [إنْ تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفرَ الله لهم]؟ يا رسول الله، يا من ينزل عليك وحي الله، لماذا تتغاضى عن كل هذه الأمور المتعلقة بك ولم أنت ماض للصلاة عليه؟ وكان الجواب: أخره عني يا عمر. دعني لوحدي سأصلي عليه وأرجو أن يغفر الله له، لأنني أستغفر له أكثر من سبعين مرة. وهذا ما فعله ﷺ.

هذا هو نبي الإسلام.. إنسان تحلى بأسمى درجة من الرحمة والحنو والشفقة. رجل مبدأ وعاش حياته كلها حياة صدق ولا شيء غير الصدق.

حربه ضد العنصرية

وعندما علم بقرب رحيله من هذه الدنيا إلى بارئه تعالى ألقى خطابًا في حشدٍ من الناس لم يبلغ فيه مثل ذلك العدد من الناس من قبل في كل تاريخ الأرض العربية. وكان ذلك في حجة الوداع وهو



يا نجباء العرب ! !

(سيدنا حضرة مرزا غلام أحمد القادياني
الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام).

«السلام عليكم، أيها الأتقياء الأصفياء من العرب العرباء. السلام عليكم، يا أهلَ أرضِ النبوة، وجيرانَ بيت الله العظمى. أنتم خير أمم الإسلام، وخير حزب الله الأعلى. ما كان لقوم أن يبلغ شأنكم. قد زدتم شرفًا ومجدًا ومنزلاً. وكافيكم من فخرٍ أن الله افتتح وحيه من آدم، وختم علي نبي كان منكم ومن أرضكم وطنًا ومأوًى ومولدًا.

وما أدراكم من ذلك النبي محمد المصطفى، سيد الأصفياء، وفخر الأنبياء، وخاتم الرسل، وإمام الورى.. اللهم فصَلِّ وسلم وبارك عليه، بعدد كل ما في الأرض من القطرات والذرات والأحياء والأموات، وبعدد كل ما في السماوات، وبعدد كل ما ظهر واختفى. وبلِّغه منا سلاما يملأ أرجاء السماء. طوبى لقوم يحمل نير محمد على رقبته، وطوبى لقلب أفضى إليه وخالطه، وفي حبه فنى.

يا سكان أرض أوطأتها قدم المصطفى، رحمكم الله ورضي عنكم وأرضى، إن ظني فيكم جليل، وفي روحي للقائكم غليل، يا عباد الله.

وإني أحنّ إلى عيان بلادكم، وبركات سوادكم، لأزور موطئ أقدام خير الورى، وأجعل كحلَ عيني تلك الثرى، ولأزور صلاحها وصلحاءها، ومعالمها وعلماءها، وتقرّ عيني برؤية أوليائها ومشاهدها الكبرى. فأسأل الله تعالى أن يرزقني رؤية ثراكم. ويسرني بمرآكم بعنايته العظمى.

يا إخوان، إني أحبكم، وأحب بلادكم، وأحب رمل طرقكم، وأحجار سككم، وأوثركم على كل ما في الدنيا.

يا أكباد العرب، قد خصكم الله ببركات آثيرة، ومزايا كثيرة، ومراحمه الكبرى. فيكم بيت الله التي بورك بها أم القرى، وفيكم روضة النبي المبارك الذي أشاع التوحيد في أقطار العالم، وأظهر جلال الله وجلّى. وكان منكم قوم نصروا الله ورسوله بكل القلب، وبكل الروح، وبكل النهى، وبذلوا أموالهم وأنفسهم لإشاعة دين الله وكتابه الأزكى. فأنتم المخصوصون بتلك الفضائل. ومن لم يُكرمْكم فقد جار واعتدى.

يا إخوان، إني أكتب إليكم مكتوبي هذا بكبدٍ مرضوضة، ودموع مفضوضة، فاسمعوا قولي، جزاكم الله خير الجزاء».

(مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، ج٥، ٤١٩ إلى ٤٢٢)

«إني معكم، يا نجباء العرب، بالقلب والروح. وإن ربي قد بشرني في العرب، وألهمني أن أمونهم، وأريهم طريقهم، وأصلح لهم شؤونَهم، وستجدونني في هذا الأمر، إن شاء الله، من الفائزين.

أيها الأعزة، إن الرب تبارك وتعالى قد تجلى علي لتأييد الإسلام وتجديده بأخص التجليات، ومنح علي وابل البركات، وأنعم علي بأنواع الإنعامات. بشّرني في وقت عبوس للإسلام، وعيش بؤس لأمة خير الأنام، بالتفضلات والفتوحات والتأييدات. فصبوتُ إلى إشراككم، يا معشر العرب، في هذه النعم. وكنت لهذا اليوم من المتشوفين. فهل ترغبون أن تلحقوا بي لله رب العالمين؟».

(حمامة البشرى، الخزائن الروحانية، مجلد ٧ ص ١٨٢ و١٨٣)

الكفر ملة واحدة

بقلم: الحاج مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي المسيح الموعود عليه السلام

لما وُجدت إسرائيل بعد تمزيق فلسطين في سنة ١٩٤٨م نتيجة للمؤامرات الدولية التي لعبت فيها بعض الدول الكبرى دورا رئيسيا، أدرك حضرة الحاج مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية عندئذ ببصيرته النافذة، أن هذه الأوضاع ستدفع الإسلام والتراث الإسلامي المجيد إلى أعظم الويلات والدمار، فلم يلبث حضرته أن كتب مقالا هاما للفت أنظار العالم الإسلامي إلى تلك العواقب الوخيمة، وقد تُرجم ووُزّع المقال على نطاق واسع عندئذ. نقدم إلى القراء الكرام مرة أخرى ترجمة ملخصة لذلك المقال التاريخي الذي لم تنتبه إليه القيادات الإسلامية عندئذ، مما عرض البلاد الإسلامية في الشرق الأوسط لمحنٍ مستمرة إلى اليوم، عسى أن تصحو القيادات الإسلامية من غفوتها، فلا تضع أيديها في أيدي الأعداء.

[المحرر]

إن الأيام التي أُنبئ عنها في القرآن المبين والأحاديث النبوية منذ مئات السنين، والأيام التي أخبر بها في التوراة والإنجيل، والأيام التي قيل عنها بأنها تكون عصيبة، وذات شدة وعناء وحيرة للمسلمين، يظهر أنها قد اقتربت حيث بدأ اليهود يستعمرون بفلسطين مرة أخرى.

إن قضية فلسطين تهم العالم الإسلامي كله، إن فلسطين على مقربة من الأرض المقدسة التي فيها مرقد سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ، الذي كانت اليهود تخالفه في حياته وتُعارضه في أعماله بكل وقاحة، مع أنهم لم يرو منه إلا البر والخير والإحسان.

إن الحروب التي نشبت بينه ﷺ وبين العرب أكثرها كانت بإغراء اليهود وتحريضهم. وهم الذين كانوا استثاروا كسرى على قتل سيدنا محمد ﷺ، ولكن الله خيبهم في مكرهم وسود وجوههم. ولا ريب أن اليهود لتحريضهم كسرى على قتله ﷺ أبدوا ما حملوا ضده من حقد وعداوة.

إن القيادة في غزوة الأحزاب أيضا كانت بأيدي اليهود، تلك الحرب التي لم تجتمع العرب من قبل كما اجتمعت فيها. إن حشد هذا الجند العظيم والجيش العرمرم حول المدينة المنورة لم يكن إلا من أعمال اليهود المطرودين منها. إن العرب كما نعلم لم تكن عندهم قوة إدارية كهذه. فاليهود، بلا شك، ما قصروا في مكرهم، ولكن الله خيبهم في تلك المرة أيضا.

ولا يخفى أن أعداء النبي ﷺ في الحقيقة كان معظمهم من كفار مكة، لكنهم لم يسعوا أبدا لقتله غيلةً كما فعلت اليهود. لما ذهب رسول الله ﷺ إلى الطائف رافضا، حسب القانون الرائج، جميع الحقوق المدنية في مكة، ثم أراد الرجوع إليها، تقدم عندئذ لنصرته ألد أعدائه من كفار مكة، وأعلن أنه يعطي محمد ﷺ الأمان بمكة. ثم دخلها برفقة خمسة من أبنائه الذين قال لهم: إن محمد ﷺ رغم كونه من أعدائنا، لكن المروءة العربية تأبى إلا أن نمنحه الأمان، ما دام يريد منا أن يدخل هذا البلد وبنصرتنا. وإننا إن لم نلبي طلبه لا تبقى لنا عزة بعد هذا اليوم. وكان أوصى أبنائه كل واحد منهم بالدفاع عنه إذا أراد أحد من أعدائه الهجوم عليه، وأن لا يدعو عدوه يصل إليه إلا أن يموتوا دونه.

هذا هو العدو الكريم من العرب. وإزاء هذا نرى أن اليهود الأشقياء، الذين يقول الله تعالى عنهم في القرآن المجيد إنهم أشد عداوة للذين آمنوا، دعوا رسول الله ﷺ مرة إلى بيتهم بحجة الصلح والموادعة، ناوين اغتياله بإلقاء حجر الرحى من فوق سقف البيت على حين غرة منه. ولكن الله أعلمه بخطتهم هذه بوحي منه، فرجع سالما.

وكذلك دعته مرة امرأة يهودية إلى مأدبة، وقدمت إليه طعاما مسموما، لكن الله سبحانه وتعالى حفظه من مكرها أيضا. وهكذا بدا من اليهود ما كانت تكن صدورهم من الضغائن.

فهذا هو العدو اللدود الذي يريد أن يرفع رأسه الآن بصورة حكومة قوية على مقربة من المدينة المنورة، ربما بنيته التقدم نحوها ومهاجمتها بعد أن ترسخ أقدامه في فلسطين. إذا كان هناك

مسلم يرى غير هذا ويظن أن الدواعي لتحقيق هذا الخطر غير قوية، فلا شك أن آفته هو الفهم السقيم. أما العرب فتفهم هذه الحقيقة جيدا وتعلم، أن الصهيونية مزمعة على إجلائهم من وطنهم، ولذلك إنهم قاموا ضد الصهاينة كرجل واحد.

إن قضية فلسطين ليست بقضية عربية فقط، بل إنها قضية عالمية تهم العالم الإسلامي كله. إنها ليست قضية فلسطين فحسب، بل هي قضية المدينة المنورة. ولا تهمنا القدس فقط، بل تهمنا مكة المكرمة. هذه القضية ليست قضية زيد أو بكر، بل قضية عزة محمد ﷺ وشرفه.

ألا ترون أن الأعداء مع شدة العداوة وكثرة الخلافات الداخلية قد وحدوا صفوفهم ضد الإسلام متفقين. فهلا لا يتحد المسلمون، ووجوه الاتحاد بينهم كثيرة، في هذه الآونة العصيبة؟

فحان لنا أن نفكر ونحكم أنفسنا: هل يليق بنا أن نموت متفرقين جماعة بعد جماعة، أم يجدر بنا أن نكون يداً واحدة، ونبذل كل جهدنا للفتح متكاتفين مجتمعين.

أرى أن الوقت ينادي المسلمين بأعلى صوته أن يُبَيِّتُوا رأيهم ويعزموا على أنهم إما يموتون مجاهدين في سبيل نيل حقوقهم، أو يستأصلون الدسائس ضد الإسلام كل الاستئصال.

لا شك أن اليهود اليوم أقوى من العرب في القوات الجوية، ولكني أرى أن المسلمين في الزمن الحاضر أيضا قد بلغوا من العدد حيث أنهم لو قاموا ضد أعدائهم غير خائفين الموت ولا وجلين منه، فلا يمكن لأحد أن يهلكهم ويستأصل شأفتهم. ولو نصروا العرب بالأموال والأنفس فسوف تنتهي فتنة اليهود، إن شاء الله.

إن هذه الأيام أيام الضحايا.إذا كان مسلمو باكستان يريدون أن يعملوا شيئا فعليهم أن يقترحوا على حكومتهم أن تأخذ على الأقل واحدًابالمائة من أموالهم في الوقت الحاضر. وبهذه الصورة يمكن لباكستان جمع ألف مليون روبية. وبهذا القدر من المال يمكن حل أزمات الإسلام الحاضرة إلى حد لا يستهان به. وإذا سلكت مسلكها الممالك الإسلامية الأخرى واتخذتها أسوة، وقدمت بدورها مثل تضحيتها، يبلغ المجموع من المال نحو خمسة أو ستة آلاف مليون من الروبيات. ويمكن بها شراء الأسلحة والمعدات الحربية لفلسطين، على الرغم من مخالفة الدول الأوروبية.

ها إني أذكِّر المسلمين وأنبههم كي يعرفوا خطورة الموقف وشدة الخطب، ويعلموا أنه قد ظهر صدق ما قال النبي ﷺ بكل جلاء. لقد قام الصهاينة قومة رجل واحد لمحو عظمة الإسلام وشوكته. إن الأمم الأوروبية كانت من قبل تصول على الإسلام متفرقة أمة بعد أمة، وأما اليوم فقد هاجمت المسلمين في عقر دارهم. فهلموا أيها المسلمون، ندفع عنا شرهم متحدين. هلموا نقاومهم جميعا. فإذا لا يوجد خلاف بيننا في هذه القضية فمن السفاهة والغباوة إذاً أن نقحم اختلافاتنا الأخرى في القضية التي نحن متفقون عليها. إن القرآن المجيد يدعو للاتحاد حتى مع اليهود في المسائل المتفق عليها بقوله:

[قل يأهل الكتٰب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبدَ إلا الله ولا نشركَ به شيئا ولا يتخذَ بعضُنا بعضًا أربابًا من دون الله].

فالقرآن المجيد يدعو اليهود للاتحاد مع وجود الاختلافات الدينية. ألم يأنِ للمسلمين، سواء كانوا من باكستان أو أفغانستان أو إيران أو ماليزيا أو أندونيسيا أو أفريقيا أو تركيا أو غيرها من البلاد الإسلامية أن يوحدوا صفوفهم وكلمتهم، وهم ينظرون إلى أن الفأس قد وُضعت على جذور الإسلام، وأن المقامات المقدسة قد تعرضت للأخطار. ألم يأن لهم أن يقوموا كلهم مع العرب ويدفعوا الحملات الشعواء التي يريد بها العدو دحض قوة المسلمين وكسر شوكتهم وجعلهم أجلاء مهانين؟؟؟

الصبر والحسد

إصبرْ على كيد الحسود
فإن صبرَك قاتِلُهْ
كالنار تأكل بعضها
إنْ لم تجد ما تأكلُهْ

أزمة الخليج ومسئولية العالم الإسلامي

خطبتا جمعة ألقاهما سيدنا مرزا طاهر أحمد أيده الله، الخليفة الرابع لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، بتاريخ ٣ و١٧ أغسطس ١٩٩٠ في المملكة المتحدة. [المحرر].

ترجمة: الحاج محمد حلمي الشافعي

خطبة يوم ٣، ٨، ١٩٩٠

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم* الحمد لله رب العٰلمين* الرحمٰن الرحيم* مٰلك يوم الدين* إياك نعبد وإياك نستعين* اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين*].

[وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأَصلِحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقٰتلوا التي تبغي حتى تفِيْءَ إلى أمر الله. فإن فاءت فأصلِحوا بينهما بالعدل وأقسِطوا إن الله يحب المقسطين* إنما المؤمنون إخوة فأصلِحوا بين أَخَوَيكم. واتقوا الله.. لعلكم تُرحمون*] (سورة الحجرات: ١٠ و١١).

منذ السنوات العشر الماضية تتنزل المصائب على العالم الإسلامي، ولا تزال الأمة الإسلامية تعاني باستمرار كثيرا من المحن؛ ولو كان هذا الشقاء ينزل على المسلمين من خارجهم لكان شيئا مؤلما، ولكن الأشد ألما،ولا شك،أن عالم الإسلام أنفسهم هم المسئولون عما يصيبهم من بلاء. لقد انقسم العالم الإسلامي إلى قسمين لسنوات طويلة. فريق منهم دأب على خلق الشقاء والمصاعب أمام الفريق الآخر من عالم المسلمين. لقد زودت الثروة البترولية مزايا كثيرة لعديد من بلاد المسلمين، ولكنها في الوقت نفسه أحدثت بعض الضرر كذلك. ومن بين الأضرار، بل وأعظمها أنهم بالتدريج فقدوا روح التقوى، وحوّل الثراءُ الدنيوي انهماكهم ناحية الدنيا تمامًا. ويسجل المؤرخون هذه الحقيقة قائلين: إن علامات التقوى كانت موجودة في بلاد الإسلام عندما كانت فقيرة، ولكن يبدو كما لو أن ثروات البترول قد أحرقت تقواهم. وقامت حكومات المسلمين على أساس علماني دنيوي، مع أن مسئوليتهم الأولى أن يسلكوا سبل التقوى، وأن يدعوا مواطنيهم لمراعاة التقوى، وأن يحسموا الخلافات المتبادلة في عالم الإسلام من خلال التقوى، كما عليهم أن يقيموا العلاقات على أساس التقوى، وأن يحلّوا المشاكل بروح التقوى. ولكن الحال ليس كذلك.

القرآن الكريم تعاليمه عالمية، وقد لمس كل مشكلة محتملة، ووصف لها العلاج المناسب أيضا. فعلى سبيل المثال، نظر القرآن الكريم بعين الاعتبار إلى إمكان وقوع خلافات بين البلاد الإسلامية، قد تصل إلى حد أن تعتدي بعضُ البلاد على الأخرى، وأن تتعارك البلاد الإسلامية وتتنازع فيما بينها. وعن هذا الاحتمال قال القرآن الكريم:

[وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأَصْلِحوا بينهما]، إذا ما نشب مثل هذا النزاع بين قوتين مسلمتين، كان الواجب على العالم الإسلامي بأجمعه أن يشترك ويسعى لإقرار السلام بينهما.

[فإن بغت إحداهما على الأخرى.. فقٰتِلوا التي تبغي حتى تفِيْء إلى أمر الله].

فإذا أصرت إحدى القوتين على التمرد ولم تتوقف عن أعمال العدوان.. فإن الحل لذلك الموقف هو أن تتحد كل بلاد المسلمين وتكون يدًا واحدة لتُخضع الفئة المتمردة وتقهرها. فإذا أبدت هذه الفئة استعدادًا للنزول على أحكام الله تعالى وقبول أوامره.. يجب أن تتوقف أعمال القتال على الفور دونما تجاوزات ضدها، وتبذل الجهود من جديد لإقرار السلام بين الطائفتين المتنازعتين.

ويجب عليكم أثناء ذلك أن تكون جهودُ المصالحة جارية.. وفي حسبان الجميع تقوى الله والقسطاس المستقيم. ويعظ القرآن هنا مرة ثانية باستخدام العدل لأن الله تعالى يحب المقسطين.

ثم يقول القرآن المجيد: [إنما المؤمنون إخوة].. فاذكروا هذه الأخوة بين المؤمنين وإذن [فأصلحوا بين أخويكم].. أي ينبغي أن توطدوا السلام بين إخوتكم.. [واتقوا الله لعلكم ترحمون].

وفي ضوء هذه الآيات.. يتضح ويتأكد أمرٌ واحد.. ذلك أن عالم الإسلام لم يضع هدي هذه الآيات القرآنية في اعتباره. لو أن قوى الإسلام حاولت حل خلافاتها في نور هذا التعليم القرآني الواضح، لما شبت تلك الحرب الدموية الفظيعة التي طال أمدها بين العرب وبين إيران، ولتوقفت بعد شهور قلائل على الأكثر. المشكلة أن العرب يريدون الأمور بتشكيل تجمعات لمصالح أنانية ولا يحافظون على روح التقوى. فمثلاً انقسمت البلاد العربية على نفسها وتحاربت لإحدى عشرة سنة، وكانت بعض القوى تساعدهم، ولكنهم تجاهلوا المبدأ الإسلامي الذي يقضي بأن يتخذوا قرار موحدا، وأن يعلنوا الحرب جبهة واحدة ضد الجانب المعتدي. لو أنهم فعلوا ذلك ما كان هناك ما يسمى حرب العرب وإيران. كان على كل البلاد الإسلامية: باكستان وإندونيسيا وماليزيا وغيرها وبلاد شمال أفريقيا أن توحد قوتها وتوقف عدوان الجانب المعتدي.

وثمة موقف مماثل مؤلم أمامنا اليوم بعد أن توقفت الحرب بين إيران والعرب، فها هم العرب قد انقسموا على أنفسهم، وهاجمت دولة عربية مسلمة دولة عربية مسلمة أخرى. وهناك جامعة الدول العربية التي تأسست لتنظر في مثل هذه المسائل.. سمعت تصريح أحد ممثليها في برنامج تلفزيوني، واندهشت من أنه على الرغم من طول التجربة المؤلمة التي عانوها إلا أنهم لم يستعملوا عقلهم بعد، وبدلا من تطبيق المبدأ القرآني فإنهم يعرضون بعض المقترحات للتوفيق. أما الاعتداء الأعظم فيتمثل في أن بعض البلاد التي لها علاقة بالإسلام.. قد اتحدت وأخذت أهبتها للتدخل في النزاع، وأن بعض البلاد الإسلامية تدعوهم للتدخل.

لقد شاهدت في التلفزيون مقابلة مع خبير غربي أعلن فيها أنه بسبب الحرب الجارية بين العراق والكويت نشأت دائرتان مركزيتان.. إحداهما صغيرة، وهي دائرة العالم الإسلامي؛ والأخرى كبيرة، وهي دائرة العالم بأجمعه. قال: نحن ننتظر ونأمل أن تتنبه الدائرة الإسلامية إلى مركز النزاع وتنجح في وساطتها، ولكننا لا نرى احتمالاتها، وإنما هناك احتمال بضرورة تدخل الدائرة الكبرى في النزاع.

وفي هذه الخطبة الوجيزة أود أن ألفت انتباه العالم الإسلامي إلى ضرورة العودة إلى تعاليم الإسلام التي يمكن أن تحل لهم مشاكلهم. إنه لمن العار والضرر أن يتدخل العالم كله في شئون بلاد المسلمين، ويلعبوا بهم وكأنهم أحجار الشطرنج، ويستخدموا بعضهم ضد بعض كما كانوا يفعلون في الماضي. الواقع الحاضر هو أن المسلمين يستخدمون ثروتهم ضد إخوانهم. إن البترول الذي منحهم الله كبركة لعالم الإسلام؛ البترول الذي أتى برسالة التقدم العظيم للأغيار، وبفضله تجري عجلات صناعاتهم.. كل مصادر الطاقة تتواجد جذورها في بلاد المسلمين وتخلق لهم وسائل الانتقام.. هذا البترول تستخدمه البلاد الإسلامية ليحرق بعضهم بيوت بعض ويحولوها إلى رماد. هذا هو الواقع الذي لا تجد له تفسيرا آخر.

لا يزال هناك بعض الوقت، إذ اتبع عالم الإسلام سبل التقوى، وعزموا على السير بحسب تعاليم القرآن فإن ذلك يسدّ الطريق أمام أي قوة غير إسلامية، فلن تسعى للتدخل في شئون بلاد الإسلام. إن العمل بحسب الآيتين القرآنيتين، أساسي في حصر النزاع داخل العالم العربي، ذلك النزاع الذي انفجر بطريقة منذرة بالخطر الشديد. وذلك أنه لو خرج العالم الإسلامي من هذه المشكلة، وجعلها العرب محلية لا علاقة لها بالإسلام.. فإن يد المعونة الإلهية سوف ترفع عنهم. ففي تعاليم القرآن ليس هناك ذكرٌ لدولة معينة. الهديُ الذي يسوقه القرآن يذكر المسلمين على أنهم جماعة، وأنهم جميعا إخوة.. فالمشكلة ليست عربية بأي حال من الأحوال.. إنها مشكلة العالم الإسلامي.. إنها تتعلق بإندونيسيا تماما كما تتعلق بباكستان، أو الجزائر، أو ماليزيا أو غيرها من بلاد المسلمين. ينبغي أن يتشكل مجلس من كل هذه البلاد ليضع التدابير الضرورية لإجبار الأطراف المتنازعة على التصالح. وإذا لم يُبدوا الاستعداد للتصالح فينبغي إذن أن تستخدم كل القوى الإسلامية ضد القوة العاصية، وعليهم أن يطالبوا كل القوى غير الإسلامية بأن يرفعوا أيديهم عن المسألة، وألا يتدخلوا في شئونهم. ويقولوا لهم إننا باتباع تعاليم القرآن.. نحن قادرون على حل مشاكلنا وحسم نزاعاتنا.

ولكننا للأسف لا نرى ما يدل على اتباع هذه التعاليم أو العمل بمقتضاها. إن واقعة الحرب بين العراق والكويت.. أو نقول الهجوم العراقي على الكويت.. تحمل في طياتها كثيرا من المخادعة ونقض العهود. إنها ليست خلافا بين العرب وحدهم، ولكن دولا بترولية إسلامية أخرى متورطةٌ في هذا الأمر. فمثلا: إندونيسيا كانت تشكو بشدة من الإخوة العرب المسلمين الذين يؤلفون منظمة الأوبك.. أنهم أنفسهم ينقضون الاتفاقات في الخفاء، ومن ثم فإن كل نفع يمكن التوصل إليه عن طريق القرارات الجماعية ينقلب إلى خسارة.. وبعد ذلك تلجأ كل دولة إلى وسيلتها الخاصة، وتحاول بيع بترولها سرًا لتجمع أكبر قدر من المال. وهكذا نجد نقصًا في التقوى خلف هذه الأعمال. فهي ليست مسألة حرب بين العراق والكويت، ولكنه ضعف التقوى فيما بينهم من تعاملات.

ومهما وأي منظمات دولية تقوم لعلاج المصاعب المترتبة على هذه الحرب بين الدولتين، أو هجوم دولة على أخرى، فعليها أن تصل إلى أعماق النزاع، وأن تمحص الأسباب التي تنشأ عنها تلك

المواقف الخطيرة من حين لآخر، وأن يضموا إليها إيران على قدم المساواة، ولا تبقى بلد مسلمة خارج هذا الأمر. إذا أمكنهم فعل ذلك.. فكما يقول القرآن الكريم: [والله يحب المقسطين].. فإن محبة الله سوف تظاهرهم، وينالون العون الإلهي ويفلحون في جهودهم، ولا ريب.

وقول الله تعالى: [إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون] يعني ضرورة إقامة أواصر المحبة بين الإخوة.. فهم إخوتكم وإخوة لبعضهم البعض. فاتبعوا سبل التقوى لأن رحمة الله من نصيب أهل التقوى. ومن ثم فكل أمرٍ يتعلق بالإسلام أو القرآن لا حل له بدون التقوى.

لقد أوجز سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود تحليل جميع المصاعب التي تواجه المسلمين في كلمات قلائل، ولكنها تحتوي على تحليل يحيط بكل المواقف.. قال حضرته: «لقد ضلوا عن سبيل التقوى».

فاسم الإسلام باق، ولكن لم تعد هناك تقوى، لقد ضاعت منهم. وإذا ضاع طريق التقوى فلا يبقى شيٌ سوى التجوال في متاهات الأدغال وكثبان الصحراء.

ولكوني إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية.. أقدم نصيحة متواضعة، ولكنها مؤكدة إلى جميع إخوتنا المسلمين، بغض النظر عن أنهم يعتبروننا إخوة لهم أم لا: إن أمة سيدنا محمد ﷺ تتعرض لأشد الأخطار. كل القوى المناهضة للإسلام تتلمس الذرائع لتتدخل حتى في الأمور البسيطة. ولقد مضى عليكم دهر طويل وهم يتلاعبون بكم بين أيديهم كقطع الشطرنج لا حول لكم ولا قوة، ويضرُّ بعضكم البعض. فعليكم من الآن أن تتمسكوا بالتقوى أشد التمسك.

إن أمة محمد المصطفى ﷺ يُنظر إليها في العالم اليوم بعين العار، ويتخذون منها أضحوكة.. كل القوى العظمى في عالمنا تتطلع إلى العالم الإسلامي بالازدراء الشديد، ويشعرون أن دول المسلمين في قبضتهم كالفأر في براثن القط، بوسعهم أن يلعبوا بهم كما يشاءون، ووقتما يشاءون يمسكون بهم ويدخلونهم الحجر. هذا هو الحال المخجل الذي يمثل أشد العار، ولطخة فوق لطخة توضع على عالم الإسلام، ويتضرر شرف الإسلام ومكانته. فاتقوا الله تعالى، وارجعوا إلى تعاليم الإسلام، وليس لكم من ملجأ سواه

وإني لأشعر بأن هذه المرحلة من المحن والانحطاط وما يرافقها من بؤس وشقاء.. ليست سوى ثمرة رفضهم للإمام المهدي والمسيح الموعود عليهم. لا شك في هذا أبدا. ورسالتي الأخيرة لكم بهذا الصدد أن عليكم الإذعان لإمام الوقت؛ عليكم بقبول كل من يقيمه الله لكم؛ فهو الذى لديه المقدرة على قيادتكم، ومن دونه، تكونون كجسد بلا رأس. يبدو في الظاهر حيًّا، والأطراف تضطرب من الألم والوجع، ولكن الرأس هي التي جعلها الله لهداية الجسد وقيادته. فعليكم بالعودة وتوطين علاقتكم بالقيادة الربانية. بعد هجر القيادة التي أقامها الله تعالى لا سبيل لكم إلى السلام والرخاء. لقد طال زمن المحن.. يجب أن تتوبوا إليه وتسعْوا إلى غفران الله تعالى. دعوني أؤكد لكم.. أنه مهما كانت الأمور قد أوغلت في السوء.. لو أنكم سلمتم اليوم للقيادة التي أقامها الله تعالى فإنكم ستنهضون قوة عظمى في هذه الدنيا، بل وسوف تنشط تلك الحركة العظمى لسيادة الإسلام بحيث لن تستطيع قوة أخرى أن تحاربها؛ وما يتطلب قرونًا مديدة سوف يصبح مسألة عقود معدودة، ثم سنوات قلائل. وسواء أُلحقتم بنا أم لا، فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية تخاطر بالجسم والروح والمال، كما هو دأبها من تقديم التضحيات في الماضي والحاضر؛ لن تنفك عن تقديم التضحيات في الغد كذلك. ولسوف يُكتب شرف النصر النهائي من قدر الجماعة الإسلامية الأحمدية وحدها. فهلم لتكونوا من أهل هذا الحظ التاريخي الطيب المبارك.

عسى الله تعالى أن يوفقكم إلى فعل ذلك.

وعسى الله تعالى أن يوفقنا من خدمتكم.

لقد وُهبتم أفضل الخُدَّام الذين هم باسم الله تعالى وفي سبيله، وفي حب المصطفى ﷺ، مستعدون ومتشوقون في كل وقت عصيب أن يقدموا التضحيات من أجلكم.. ولكنكم لا تنتفعون بهم وتحرمون أنفسكم من خدماتهم. وإن هذا لمن سوء حظ العالم الإسلامي في الزمن الحاضر.

عسى الله تعالى أن يمنحهم الفطنة والفهم!

أما عن الجماعة الإسلامية الأحمدية فإن نصيحتي لكم.. أنه سواء انتفعوا بكم أم لا، وسواء عدُّوكم إخوة لهم أم لا.. فعليكم من خلال الدعاء أن تدأبوا على مساعدة أمة محمد ﷺ، وألا تنسوا أبدا تعاليم المسيح والإمام المهدي (عليه السلام):

يا قلب، تذكر دائما أن هؤلاء المعارضين ينتسبون إلى النبي الحبيب ﷺ، فمن أجل ذلك الحبيب كن دائما بهم رفيقًا.

عسى الله تعالى أن يوفقنا إلى فعل ذلك. آمين.

خطبة يوم ١٧ أغسطس ١٩٩٠

الموقف في الشرق الأوسط يزداد سوء يوما بعد يوم. ومعظم سكان هذه المنطقة من المسلمين، ولذلك فمسلمو العالم قلقون حتما للوضع. كما أن الأراضي المقدسة العزيزة عند المسلمين، مكة والمدينة، حيث كان المصطفى ﷺ يطأها بقدمه، وتعطرت أجواءها بأنفاسه المباركة، هذه المقدسات معرضة للأخطار والمؤامرات. ولذلك يُحس المسلمون جميعا بالألم العميق، ولكن الجماعة الإسلامية الأحمدية هي أشد الناس ألمًا، لأنهم المسلمون حقًا، والممثلون المخلصون للإسلام اليوم.

وبقولي هذا قد يظن جاهل أن هذا تباهٍ أجوف، أو ادعاء صرف، أو أنه يؤذي مشاعر المسلمين الآخرين، الذين يحسبون أنفسهم حاملي لواء الإسلام المعتمدين، أو ملاك الترخيص المعتبرين، وكما لو كنا لا نحمل تعاطفا صادقا للإسلام، ولكنني عندما أحلل لكم الموقف سيتضح الموقف تماما، ويتبين أنه لو كان هناك في الدنيا جماعة تحس بالألم من أجل الإسلام فإنما هي الجماعة الإسلامية الأحمدية.

لقد أصبحت السياسة اليوم عفنةً وخاوية من العدل والتقوى، والدول الإسلامية التي تتعالى باسم الإسلام لا تبني سياستها على القيم الإسلامية، ولا على العدالة الإسلامية السامية، وإنما ترتبط بالمصالح والأنانية. ولهذا نجد تناقضًا بينًا بين ممارسات العالم الإسلامي. وكما فعلت الجماعة الإسلامية الأحمدية، أبدت كل الطوائف الإسلامية في العالم موقفًا أو آخر مع هذا الحليف أو غيره، واختاروا هذه أو تلك من الدول يؤيدونها، في حين أن متطلبات التقوى تقتضي أن يكون التأييد للقيم الإسلامية فقط. لو كان هناك حب صادق للإسلام لأخلصوا فقط لمتطلبات الإسلام، التي هي متطلبات القرآن المجيد، والتي هي متطلبات السنة المحمدية الشريفة.

ولو فكرنا في السياسات الحالية على ضوء تلك المتطلبات لوجدنا أنه لا سياسات المسلمين، ولا سياسات غيرهم تقوم على أخلاقيات سيدنا محمد ﷺ. الدول الأخرى تدعي ادعاءات عريضة باسم العدالة، كما لو كانوا هم وحدهم المعنيون لتوطيد أركان العدل في العالم، ولولا هم وسلطانهم لاختفت العدالة من الدنيا. وتدعي الدول الإسلامية أيضا ادعاءات ضخمة باسم الإسلام، ولكن بالنظرة الفاحصة ترى أن العدالة التي يقدمها القرآن المجيد معدومة في الفريقين كليهما. وسأتحدث الآن بصفة خاصة عن الموقف الذي نشأ حاليا.

بناء على بعض الشكايات قامت العراق بالهجوم على دولة صغيرة مجاورة، وقبل أن تدرك الدنيا ما حدث، سيطرت العراق على البلد تماما. ونتيجة لذلك حدث هياج عالمي. والذين لم يُحسوا من قبل بأي ألم من أحداث مشابهة في العالم، ولم يغضبوا ولم يسارعوا إلى تقديم المساعدات الاستثنائية، فجأة تجلى تعاطفهم مع الكويت متوهجا بقوة شديدة، وأحدثوا اضطرابا قويا لا نكاد نرى مثيلا له في التاريخ الحديث.

ولا أريد الحديث أكثر من ذلك عما وقع حتى اليوم، فالذين يقرأون الجرائد يعلمون بما جرى وبما يجري. ولكن أود أن أضع أمامكم أمورا قليلة، لأريكم إلى أي حدٍ يحرص هؤلاء على متطلبات العدالة الإسلامية، أو إلى أي مدى تخلو السياسة المعاصرة منها.

عندما اتخذت أمريكا وحليفاتها ما ارتأته من خطوات لعزل حكومة بغداد وإجبارها على الخضوع، بدا أن هذا البلد الإسلامي الكبير سوف يواجه موقفا بحيث لا يكون في استطاعته القتال. ولذلك ازداد اهتمامي تلقائيا، ونظرت في الموقف نظرة عميقة، ما يجري من محادثات، وما يقترح من حلول. زار أمريكا مؤخرا ملك الأردن حسين، وظُن أنه يحمل خطابا معه، ولكن اتضح أنه لم يحمل خطابًا بل رسالة شفوية وبعض المقترحات. وأثناء ذلك كانت لغة الحرب الكلامية في التلفزيون والراديو والجرائد فيما بين الرئيس الأمريكي والرئيس العراقي تبين خطورة الموقف، وكيف أن قادة الدول العظمى في العالم يتخلون عن الكرامة الإنسانية المعتادة، ويستخدمون لغة هابطة. يتعجب المرء كيف أنهم يتبادلون الشتائم، ويستعملون صفات من صنف: كذّاب وغشاش وغير أمين وما إلى ذلك من سباب.

والسبب وراء كل ذلك أن دولة مسلمة كبيرة احتلت دولة مسلمة صغيرة؟

لقد وقعت حوادث مماثلة بشكل أشد خطورة في أماكن أخرى من العالم ولا تزال تقع، بحيث لو أخذت تلك الحوادث بالاعتبار لكانت الحادثة الأخيرة أقل أهمية بكثير. ولكن هناك بالتأكيد أسبابًا كثيرة وراء هذا التصعيد الاستثنائي السريع. على أي حال، ما أن وقع الاحتلال حتى كانت له ذيوله التي تبدت في ردود فعل متطرفة في العالم، ونتيجة لها أرسل الرئيس العراقي رسالة إلى الرئيس الأمريكي: أنك إذا أردت العدالة فينبغي أن تُتبع العدالة في كل المنطقة. نحن على استعداد لإعادة الحكومة في القطر العربي الشقيق، ونعيد السلطة إلى الأسرة الحاكمة، ولكن ثمة مواقف مماثلة في المنطقة. هناك احتلال غير شرعي تم بمعرفتكم وتعاونكم وبالتحالف معكم ومشاركتكم، عليكم أن تساعدوا في تحرير المنطقة من الاحتلال. هناك مثلا احتلال الإسرائيليين للضفة الغربية بالأردن، ذلك الاحتلال الذي يزداد رسوخا كل يوم، ويوطنون

المهاجرون الروس. هذا احتلال من أناس يختلفون في كل شيء حتى في الدين، ويحمل لهم العرب عداوة شديدة. والمحتلون يشددون قبضتهم ويوطدون احتلالهم، وقيم العالم الغربي صامة لا تبدي حراكًا نحو هذا، ولا تظهر العدالة الغربية أي اهتمام مطلقا. فضعوا هذا أيضا في الاعتبار. وهناك أيضا سوريا الدولة الإسلامية التي أرسلت قواتها إلى لبنان واحتلتها، وتبعث جنودها لتفعل ما تشاء. فينبغي أن توقفوهم وترغموهم على الانسحاب. يجب أن تضعوا الأحداث التي تنتمي إلى نفس المنطقة في سلة واحدة.

هذا العرض العراقي له مبررات جيدة، ولو أنك تحدثت على ضوء متطلبات العدل فينبغي فعلا أن تنظر في الأحداث التي وقعت بالمنطقة ككل.

وهناك نقاط أخرى تتعلق بالموضوع. إذا نظرت بمنظار التقوى والعدالة فليس هناك سبب مشروع لهجوم صدام على الكويت إلا كي يحتل اليهود الضفة الغربية من الأردن ويضموها إليها بصفة دائمة، كما قيل في هذا الصدد.

وبالإضافة إلى ذلك نسب إلى العراق بعض أعمال العنف والعدوان. فمثلا أذاعت وسائل الإعلام الغربي أن أحد البريطانيين قُتل عند الحدود أثناء محاولته مغادرة البلاد. وهذه، إن صحت، حادثة واحدة، لو قُورنت بما يحدث في لبنان أو في المنطقة التي دأب اليهود على ارتكاب اعتداءاتهم عليها، أو لو قورنت بهجوم إسرائيل على العراق وتدمير المفاعل النووي العراقي في وضح النهار بلا حياء، لو قورنت بكل هذه الأحداث ما كانت شيئا يذكر. ولكن لم يرفع أحدهم عندئذ إصبعا واحدا، ولم يحرك الإعلام الغربي ساكنا! عندما يُقتل رجل واحد منهم تزمجر وسائل الإعلام في أنحاء العالم، ولكن هناك آلاف الناس العزل المضطهدين يرقدون عاجزين في المعسكرات، تُقطع منهم الرقاب، وتحطم رؤوس أطفالهم بالأحجار، ويذبحون أمام عيون أمهاتهم الناحبات، ثم لا تنجو الأمهات من القتل بعد ذلك. هذه الأحداث الرهيبة وقعت في لبنان، ولم يرفع أحد منهم صوته ضدها هكذا.

السؤال الآن: هل هذه الأمور من العدالة أم هي شيء آخر؟ إذا كانت مبرراتهم قائمة على العدالة، فلا بد من أن تشمل العدالة كل نواحي العالم بنفس النظرة، فمعايير العدالة لا تتغير.

ونشروا إشاعات بأن جنود العراق أساءوا معاملة المضيفات البريطانيات واغتصبوهن، وهاجت أيضا وسائل الإعلام. ولكن في الأشهر الماضية القليلة تعرضت كشمير باستمرار لاعتداءات بالغة ضد المسلمين، وروت الصحف أحداثا تقشعر منها الجلود، ولكنهم يغمضون عيونهم عن كل ذلك. وتلك الحادثة التي قيل إنها وقعت في العراق، واصطنعوا لها الصُراخ والضجيج، تبين أنها كذبة مختلقة.

والعراق أيضا لا يوفون بمتطلبات العدالة الإسلامية. الإسلام لا يسمح، حتى في حالة الحرب، أن يُتخذ المواطنون المنتسبون لدولة محاربة رهائن للمقايضة والمساومة، ولا يجيز اضطهادهم بأية صورة تخالف التقوى. فالاضطهاد هو ضد التقوى على أية حال. الإسلام ضد كل تجاوز للحدود، تشهد بذلك كل وقائع النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ. لم يكن هناك حادثة واحدة تعرض فيها أبناء أمة يعيشون في بلاد المسلمين لأي بغي أو تجاوزات، وإن كانت أمتهم في حرب مع المسلمين. كانوا دائما أحرارًا، يتحركون كيفما يشاؤون، ولم يرتكب أحد من المسلمين ضدهم أي عمل ظالم، بل بالأحرى يُوصي الإسلام حماية أي إنسان إذا طلب الحماية وإن كان من الأعداء.

ولكن العراق تجاهلوا هذه القيمة الإسلامية الأخلاقية السامية، واعتبروا النزلاء البريطانيين المقيمين في العراق والكويت وكذلك الأمريكيين وغيرهم، ممنوعين من مغادرة البلاد، وحرموهم من الحياة العادية في مساكنهم، وحشروهم في فنادق معينة. ولم يسلم النزلاء من البلاد الإسلامية أيضا من هذا القيد. ويتضح من تطور الأحداث أن هؤلاء النزلاء سوف يُتخذون رهائن في العراق. فما الحديث عن القيم الإسلامية: إذا كانت الأمور ضد القيم المعروفة في العالم فأين القيم الأخلاقية؟

في عالم اليوم، سواءً في بلاد الإسلام أو غيرها، لا توجد سياسة تفي بمتطلبات التقوى السامية، أو بمتطلبات الأخلاق الإسلامية العالية. هناك ثغرات واسعة في كل مكان.

وأخيرًا، اعتمادًا على قرارات مجلس الأمن، يُحكمون الحصار على العراق من جميع الجهات. منعوا كل شيء يدخل أو يخرج من البلد. وبهذا يرتكبون نوعين من التجاوزات: أولهما أن مجلس الأمن لا يمكن أن يكون قد شمل في قراره المواد الغذائية أو ضرورات الحياة، والثاني أن مجلس الأمن لا يمكن أن يكون قد قرر إجبار كل بلاد العالم على المشاركة في المقاطعة.

وفي هذين المجالين تقوم أمريكا وبريطانيا بخداع مكشوف. فهم من ناحية يدعون على العراق بارتكاب أفعال غير سليمة، ومن ناحية أخرى هم بأنفسهم يرتكبون أفعالا غير سليمة، يغلفونها بلغة الدبلوماسية، فيخفون خطورتها، ولكنها في الحقيقة لو قورنت باحتجاز أربعة آلاف بريطاني، أو ألفين من الأمريكان، بل وقتلهم، لا قدر الله، لكانت هذه أخف كثيرا من تلك.

وبيان ذلك أنه يدخلون الأردن في هذا الظلم. ودولة شرق

الأردن كانت دائما مخلصة للعالم الغربي، بل كانت مخلصة لهم لدرجة مخجلة. كانت أشد البلاد الإسلامية في الشرق الأوسط إخلاصًا للغرب. ومع أن المملكة السعودية هي أيضا من المخلصين لهم جدًا، إلا أن ذلك ليس وفاء للغرب، وإنما لأن المصالح السعودية امتزجت بالمصالح الأمريكية حتى صارت اسمين لمسمى واحد. فالمسألة ليست وفاء. ولكن شرق الأردن، الدولة الصغيرة، كانت معروفة بولائها للغرب منذ زمن طويل، ولها علاقات صداقة بل أخوة مع البريطانيين والأمريكان. وكانوا يضعون هذا البلد على رأس قائمة أصدقائهم في المنطقة. والمشكلة أن الأردن لو قاطعت العراق لتعرضت للموت، ولن يكون أمامها خيار سوى محاولة البقاء على حياتها. وهذه لا تستطيع صدها، لأنها لا تملك القوة ولو لبضع ساعات. ولذلك تكون الأردن تحت هذا القيد.

ولكن الغرب تجاهل ذلك، وقرر جعل الأردن هدفا لتهديدهم إياها بالحصار إذا لم تشترك في مقاطعة العراق. ولما كان الغذاء وضرورات الحياة تدخل في مسألة الحصار كان ذلك مؤامرة لقتل الناس جوعا بطريقة مؤلمة للغاية، وليرغموهم على فقدان شرفهم وكرامتهم أو التنازل عن مواقفهم.. بصرف النظر عن كون موقفهم عادلا أو غير عادل!!

ليس هذا فحسب.. بل هناك أهداف شريرة أخرى ترتعد لها الفرائض. أين هي العدالة؟ إن السياسة الغربية وممارساتها الدبلوماسية تسمى في قاموس الإسلام (دجلاً). وقد مضت بلاد الغرب اليوم إلى أقصى حدود الدجل باسم الدبلوماسية والسياسة. يغلفون جرائمهم دائما بتلك الأغلفة: رقة في الكلمات، دعايات قوية تقدم كلامهم في صورة منطقية. هكذا الموقف من هذه الناحية.. فالأزمة تزداد عمقا يوما بعد يوم. وهناك أخطار شديدة ترفع رءوسها وتتضح. ولكن هناك أخطارا أخرى لم ترفع رؤوسها بعد بحيث يراها الإنسان العادي، وإذا درستها بعمق فسوف تراها. إذا نظرت إلى بركة ماء صغيرة فإنك ترى الماء أول الأمر، فإذا اقتربت رأيت السمك عند السطح، وكلما دنوت رأيت السمك عند القاع، ولم تكن تراه باديَ النظر. وهكذا الأمور الدنيوية.. بالنظرة السطحية ينظر الأناس العاديون، ثم بعد ذلك يرون من السمك ما يرفع رأسه. أما إذا نظرت بعين المؤمن وبصيرة الذكى.. رأيت الموقف الصحيح إلى أبعد أعماق. ومن هذه الزاوية هناك أخطار كثيرة لم تتضح بعد، ولسوف يبديها الزمن، ولكني أدعو الله تعالى أن يبعد تلك الأخطار التي تحوم حول رأس العالم الإسلامي!

وفيما يتعلق بالفرق الإسلامية وردود فعل المسلمين فهي ردود تعسة شديدة الخطورة. في إحدى خطبي الأخيرة أوضحت الأمر أمام العالم الإسلامي، وصرحت للجرائد.. وسواء نشرت تصريحي أم لا.. ولكني طلبت أن يرسل موجز هذه النصيحة أو المقترحات إلى قادة المسلمين. وخلاصة الأمر هو أن يعود الجميع إلى تعاليم القرآن الكريم.. لأنه يقول: [إذا تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول..]، أي أن أسلم طريق لحسم النزاع أن تعرضوا الأمر على الله ورسوله، والوجهة التي يوجهكم إليها القرآن وسنة رسول الله ﷺ ينبغي عليكم أن تسيروا فيها. وفي هذا وحده السلام، وفي هذا وحده الحياة. فبدلا من مسايرة ركب السياسيين العالميين.. سووا خلافاتكم معا، وعودوا إلى تعاليم القرآن المجيد، واستمدوا النور من النهج الذي يرسمه لكم القرآن ويوضحه ويبينه لكم. ليس هذا الأمر لأمة مسلمة واحدة، وإنما في حالة النزاع بين بلدين مسلمين بما يهدد بنشوب حرب بينهما.. يجب على كل البلاد الإسلامية أن تجتمع وتتشاور وتتدارس، وتبذل ضغوطها على البلد الذي يميل إلى الشر. عليهم أن يستمعوا للطرفين، وأن يسعوا لإقرار السلام العادل بينهما. فإذا لجأ أحد الطرفين المتنازعين رغم كل محاولات الصلح، إلى العدوان والهجوم، فواجب المسلمين جميعا أن يقاتلوا هذا الباغي. ولم يرد في أي توجيه قرآني أن نلتمس المعونة من الآخرين لفض نزاع بين مسلمين.

إذا كانت هذه التعاليم في الحسبان لتغير الموقف وما صار إلى ما هو عليه من سوء وخطورة بالغة. إني أفهم القرآن بعون الله.. وأثق ثقة كاملة بأنهم إذا عملوا على ضوء تعاليمه.. ومهما كانت قوة الدولة المسلمة الباغية.. فإن اتحاد البلاد الإسلامية، مع ما يملكونه من قوة.. سيكون قادرا على إجبارها وكسر عدوانها وبغيها، إن هي استمرت على موقفها الباغي. لو لم يكن ذلك ممكنا ما شرع الله تعالى هذا التعليم. إنه تعليم من الوضوح والدقة واليقين والثقة بأنه مهما كانت الدولة المسلمة الباغية قوية.. وحاول المسلمون الآخرون تسوية الأمر طبقا لتعاليم الإسلام، واتحدوا جميعا، وضموا قواهم، فإنهم سيقدرون على إجبار هذه الدولة على الخضوع لقرارهم.

إنها بشارة يحملها لنا القرآن الكريم لمن ينتفع بها ويطبقها.

ولكن الموقف الحالي أصبح خطيرا بعد أن دعت السعودية شركاءها للتدخل الفوري، وإرسال قواتهم.. فها هي قوات أمريكا وبريطانيا بدأت تصل إلى هناك، ويسعون للضغط على الدول الكبرى لتشارك بعض المشاركة. ووصلت من الشرق والغرب وحدات بحرية، وقوات جوية وبرية. والهدف أن تكون العراق في جانب والعالم في الجانب الآخر، وأن تعزل العراق وحلفاؤها كالأردن مثلا. وهم يقولون إنها خطوة دفاعية، وسيحاولون اتخاذ

خطوات أخرى للحد من الخطر ثم وقفه.

وهناك الدول الإسلامية التي وقع معظمها تحت ضغط القوى العظمى، وأجبرت أو تطوعت فأرسلت قواتها أيضا.. حتى بلغت الحماقة بدولة باكستان، فانضمت إلى الدول التي أرسلت جيشها إلى السعودية كي يقاتلوا إلى جانب القوات الأمريكية والبريطانية ضد الدولة المسلمة، وأصبح الموقف سريع التقلب.

إن التفكير بأن كل هذا الاستعدادات والخطوات لحماية السعودية فحسب حماقة كبرى. ولا يمكن تبسيط الأمور إلى هذا الحد، ويظن أحد أن العمليات الهائلة التي تجري، والحصار البحري من جميع الجهات، والخطط الحربية الخطيرة التي لم تستخدم في حرب سابقة.. كل هذه الأسلحة الحديثة التي تجمع هي لمجرد حماية المملكة السعودية من العراق.

إن الخطر الذي أخشاه أنهم بحجة الدفاع عن السعودية، سوف يحرمون العراق من السلام والمؤن من جميع الجهات، ثم يسمحون لإسرائيل بمهاجمة العراق. وباستمرار الأردن في الطريق الذي تسير فيه ومساندتها للعراق بسبب ظروفها القهرية.. يكون لهم عذر كبير في معاقبة الأردن كحليفة للعراق. ويضم اليهود الضفة الغربية من الأردن، ويحتلون ما تبقى من الأردن، وتحتل العراق ما تستطيع من الأردن.. ثم بعد ذلك يعاقبون العراق عقابا شديدا.

ومن هذه الناحية هناك خطر من أن يزداد هذا الضغط، وبتأثير الجوع الشديد تضطر العراق إلى الركوع. فإذا أحسوا في ذلك الوقت أنه من المناسب إعطاء الإشارة إلى إسرائيل والسماح لها بالهجوم.. فعلوا ذلك. ويمكنهم القول بأننا ننضم إلى القوات الإسلامية، ونمكث هنا لحمايتهم، ولا دخل لنا بالحرب بين إسرائيل والعراق، والعالم الإسلامي كله معنا في عملياتنا الحربية الدفاعية، ونحن لم نرتكب أي عدوان. هذه مسألة بين العراق وبين إسرائيل، وعليهما تسويتها ولن نتدخل بينهما.

وما دامت قوات البلاد الإسلامية قد حُبست هناك فلن تستطيع الانفصال ومساعدة العراق ضد إسرائيل.. لو أنها حاولت ذلك!

وإذا لم يحدث هذا، فهناك خطر حقيقي من الانتقام من العراق وتمزيقها إربا. ذلك لأن نار الانتقام لم تهدأ؛ لأن هذا البلد الإسلامي والصاعد ليكون قوة كبرى في المنطقة، فلا بد من القضاء عليها نهائيا. ولقد نشأ هذا الهدف في إسرائيل أولا. وما زلت أطلع على تصريحات إسرائيل في الصحف؛ وعلى الدعاية التي تقوم بها إسرائيل منذ زمن طويل بأنها تتعرض للخطر العراقي. وهذه الأشياء متفرعة عن نفس الشيء. كيف جهزوا العراق لتحتل الكويت؟ وكيف يعمل هذا المخطط؟ الله تعالى أعلم! ولكن كل هذه الأحداث ليست من قبيل المصادفات.. بل هناك أسباب وراءها. هناك مؤامرات تدبر بليل وتحاك تحت الأرض. هناك عملاءُ CIA، في بعض المواقع، وهناك الخونة الذين ينفذون المؤامرات السرية بذكاء خارق لتحقيق أهداف القوى العظمى. ويأتي ذكر هذا النوع من النشاط في آخر سور القرآن الكريم.. فالخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس.. هو تلك القوى الخبيثة التي تبذر بذور الشقاق، ثم ترتد مبتعدة، ولا يعرف أحد من أين بدأ هذا الشر أو كيف حدث؟ ولو حدثت خطورة حمقاء.. فمن يكون المسئول عنها؟ ولكن في الحقيقة وراء ذلك دائما بعض الدول الكبرى. ومن هذه الزاوية أيضا اتخذ الموقف شكلا خطيرًا للغاية.

ولو تفحصت عالم الإسلام اليوم من الناحية التاريخة سوف يتبين لك أن قوى الإسلام لم تتضرر أبدا إلا لوجود تحالفات بين البلاد الإسلامية وأعداء الإسلام. وتاريخ الإسلام كله شاهد عدل على هذه الحقيقة. فكلما وقفت قوى الغرب عائقا أمام تقدم قوة إسلامية، أو حطمتها من خلال أنشطة حربية معلنة أو مستترة.. ستجد أن ذلك يتم دائما بفضل معونة دولة إسلامية. وسأذكر لكم هنا التاريخ بإيجاز.. في نقاط جديرة بالاهتمام.

ذكر المصلح الموعود رضي الله عنه، الخليفة الثاني للإمام المهدي المسيح الموعود عليه السلام، في التفسير الكبير توضيحا لذلك أول مرة عند شرح القيمة العددية لإحدى المقطعات القرآنية [الر].. عندما تناول الحديث الشريف الذي يدل على أن القيمة العددية لها فيه إشارة إلى تاريخ الإسلام. والقيمة العددية للمقطعة [الر] هي ٢٧١. وهذا العدد يمثل القرون الثلاثة الأولى.. التي هي خير القرون، القرون الآمنة المحمية. وعام ٢٧١ هج هو العام الخطير الذي حفر فيه أساس انحطاط العالم الإسلامي. وكل الذي وقع بعده من انقسامات وعلامات ضعف في أماكن متنوعة بدأ في الواقع في تلك السنة.

وأهم الأحداث التي قدمها المصلح الموعود كعلامات لذلك هي أنه في عام ٢٧١ هج عقدت الحكومة المسلمة في أسبانيا معاهدة مع البابا لضرب حكومة بغداد المسلمية وهزيمتها.. ووعد البابا بمساعدة مسلمي أسبانيا. وكان النفوذ البابوي قويًا ومؤثرا في عالم السياسة الغربي وقتئذ، بحيث يمكن اعتبار حكوماتهم حكومة البابا نفسه. وكانت لذلك معاهدة خطيرة، وهي تشبه مؤامرة اليوم التي قررت بها حكومة السعودية العمل مع قوى الغرب على هزيمة حكومة مسلمة.. هي ذاتها حكومة بغداد أيضا.

وفي الجهة الأخرى، وفي عام ٣٧٢ هج عقدت معاهدة مماثلة بين حكومة بغداد والإمبراطور الروماني. لم تكن الحكومة يومئذ تمثل العراق وحده، وإنما بلادًا أخرى معها، ولذلك من الأنسب

أن تسمى الحكومة الإسلامية في بغداد. وكان الغرض من المعاهدة تضافر الطرفين للقضاء على حكومة المسلمين في أسبانيا.

فكان عام ٢٧١ هج فاتحة الطريق إلى تخريب سلام المسلمين إلا الأبد. وكل حدث جلل وقع بعد ذلك على رؤوس المسلمين تورطت فيه حتما دولة مسلمة متآمرة على غيرها من المسلمين.

في عام ١٢٥٨ هج دمرت بغداد على يد هولاكو خان. هكذا كان قدرها. يخبرنا التاريخ أن المستعصم آخر خلفاء العباسيين كان غاية في الضعف. كان وزيره من الشيعة، ويحمل ضغينة للمستعصم لما اتخذه من إجراءات عنيفة ضد الشيعة. والحق أن أعمال المستعصم كانت عدوانية، ولم يكن له الحق فيها. فانتقموا منه بهذه الطريقة. كان هولاكو ماضيا في غزوه.. ولكنه تردد في الهجوم على بغداد ظنًّا منه أنه غير مجدٍ أو معقول. فأرسلوا إليه رسالة من الوزير الشيعي يشرح له أن رهبة حكومة بغداد لا أساس لها، وأنها دولة فارغة من الداخل. وعمل الوزير على تشتيت الجيش الإسلامي، وزعم للمستعصم أن خزانة الدولة لا تتحمل عب ء ذلك الجيش الضخم. وأرسل جزء من الجيش إلى حدود لا خطر يتهددها. وباختصار، دُعي هولاكو لدخول بغداد. فوقع بها الخراب الفظيع، وسقطت الحكومة المسلمة. وليست المناسبة للدخول في تفصيل هذا الحدث المؤلم، ولعل الكثيرين منكم قد قرأوا عنه.. فقد كتبوا روايات محزنة عن بغداد ودمارها.. وهي حادثة مشهورة، وفيها اشترك فريق من المسلمين من داخل بلاد الإسلام، في التآمر مع أمة من خارجه، وطلبوا منهم الهجوم على بغداد!

وبعد ذلك في عام ١٣٨٦م خربت بغداد مرة ثانية على يد تيمورلنك، وفي هذه المرة أيضا كان نتيجة لنفاق بعض المسلمين وطوائفهم، الذين أعطوا ليتمورلنك الفرصة ليدمر بغداد ويقضي على الإمبراطورية الإسلامية.

والمرة الثالثة كانت على يد الأتراك العثمانيين. قضوا على حكومة بغداد المسلمة بالقوات التركية المسلحة. وبعد ذلك طلبت الحكومة الأنجليزية مساعدة الأسرة الحاكمة السعودية للقضاء على الحكومة التركية. كانت الأسرة هي نفسها التي تحكم السعودية اليوم وتنتمي إلى نفس الطائفة. وكانت الكويت في ذلك الوقت تعين الأنجليز عونا ملحوظا. ولولا عون هذه الأسرة السعودية، وهي أسرة سياسية، استغلت الفكر الوهابي للوصول إلى الحكم، لولا هم ما تمكن الأنجليز من القضاء على الإمبراطورية التركية في العالم الإسلامي. وهم السعوديون الذين رفعوا شعار (التعريب) وغيره من الأعمال.. إنها قصة طويلة. وهكذا في هذه المرة أيضا استخدمت قوة أجنبية بعض المسلمين للقضاء على إمبراطورية إسلامية عظمى.

الأتراك دمروا حكومة بغداد أولا، ثم بمساعدة المسلمين في الكويت والسعودية قُضي على حكومة الأتراك وكسرت شوكتهم. وهاك موقف مشابه يحدث مرة أخرى. فبمساعدة الحكومة السعودية، وبتأييد من الحكومات المحيطة بها.. تتعرض دولة مسلمة كبيرة لخطر شديد. وكما قدرت.. فإنهم قرروا هذه المرة أيضا أن تنال العراق عقابا شديدا رهيبا.. حتى تكون عبرة للآخرين لعشرات قادمة من السنين.. فلا تحاول دولة إسلامية أن تنهض وترفع رأسها ضدهم أو أن تتحرر من سلطانهم.

والسبب الأكبر وراء ذلك هو إسرائيل. إنها دأبت على إحداث جلبة شديدة منذ فترة طويلة.. تتظاهر بالخوف من هجوم عراقي كيماوي. يقولون نحن دولة صغيرة، ولو هاجمتنا العراق لمحتنا من على سطح الأرض. وسواء أكان الخطر حقيقيا أو وهميا، ومن دون البحث عن المسئول.. فمن المتيقن المؤكد أن إسرائيل ومصالح إسرائيل هي السبب الأكبر خلف الموقف الحالي. ويبدو الموقف الآن وكأن عالم الإسلام قد هبَّ للدفاع عن مصالح إسرائيل وحمايتها. وفي سبيل ذلك قرروا القضاء على دولة مسلمة، وقعت في أعمال غير إسلامية، وكانت ضد التقوى وضد العدل. ولكنها بالرغم من ذلك.. لا تستحق الدمار الشامل والخراب الكامل.

لطالما انتهكت العدالة في كثير من أنحاء العالم، ولم تحرك القوى الكبرى ساكنا، ولم ترفع إصبعا واحدا ضدها. إنه ما تفعله هذه القوى ليس من أجل العدالة.. بل هناك عداوات دفينة.. تحركهم للانتقام. وهذا الهجوم الشرس هو في حقيقته موجه ضد الإسلام.. وإن كان ظاهره الهجوم على دولة مسلمة ارتكبت أعمالا غير إسلامية.

هذه العداوات عميقة، ولها جذور تاريخية. اتخذوا قراراتهم على مستويات عليا. رأوا أن العراق دولة ناهضة قوية، ولو تركوها لتشب وتنهض فسوف تبتلع البلاد المجاورة، وتخلق بذلك قوة اتحاد في عالم الإسلام وفي منطقة الشرق الأوسط الذي يحتوي معظم الثروات البترولية في العالم، وسوف تكون لها القدرة على الاكتفاء الذاتي في الميادين الأخرى، وقد تصبح قوة عسكرية كبيرة.

هذه هي مخاوفهم، وأيًا كانت تلك المخاوف، فإن الخطر الأكبر الذي يجب أن يراه العالم الإسلامي اليوم.. أنه بمساعدة وتأييد بلاد إسلامية اتُّخذ قرار لتدمير دولة إسلامية ناهضة. والفئة الحاكمة التي تدير دفة الأمور في هذا البلد هي المسئولة

وحدها.. فماذا يكون الحل في مثل هذا الموقف؟

أرى أن الوقت لم يفت بعد بحيث لا يمكن السيطرة عليه. ولكن ليس أمام المسلمين طريق للخلاص والسلام سوى طريق العودة إلى الله ورسوله. فبالنسبة للعراق.. عليهم أن يكفوا عن تشويه القيم الإسلامية، وأن يتوقفوا عن تعريض الإسلام لمزيد من سخرية العالم. كل الناس من جميع الجنسيات المقيمة تحت يدهم.. ينبغي أن ينالوا حرية غير محدودة للذهاب حيث شاءوا. يجب أن يعترف العراق قائلا: لا حق لنا عليكم. لو قاتلنا حكوماتكم فسوف نسوي حساباتنا معهم وليس معكم، وأنتم أفراد أبرياء في ذمتنا. إن تعاليم الإسلام تجعل من كل أجنبي مقيم بسبب مشروع في بلد إسلامي أمانة في يد الدولة.. حتى وإن دخلت في نزاع أو قتال مع بلده.. فهو لا يزال أمانة. وخيانة هذه الأمانة له عواقب وخيمة وتبعات رهيبة. إن نار الانتقام المشتعلة اليوم سوف تتأجج وتزداد التهابا.. فتحرق مئات الألوف من المسلمين. إن قادة الدول وأعوانهم نفر قليل العدد، ولكن الضحايا سيكونون من عامة المسلمين الأبرياء، وهم الذين سيكونون وقودًا للحرب، وهدفا للانتقام بعد الحرب.

وبالإضافة إلى ذلك، يجب على قادة العراق أن يسلكوا سبيل التقوى، وعندها يمكن أن ينفتح أمامهم طريق السلام. فعليهم أولا أن يفعلوا ذلك، أي يطلقوا حرية النزلاء الأجانب. وثانيا أن يبلغوا العالم الإسلامي باستعدادهم لقبول قراراتهم والخضوع لأحكامهم، ويعرضوا استعدادهم لتقديم كافة الضمانات بالانسحاب من الكويت، وإقامة السلام. ليس لهم شرط سوى أن يكون القرار للدول الإسلامية وحدها، ولا يتدخل غيرهم في الأمر.

لو تمت هذه الخطوة، وبالقوة الفعالية كما جرى في معاهدة السلام مع إيران بعد حرب دموية طويلة، ضاعت فيها الملايين بين قتلى وجرحى، وكما عادت كل الأراضي.. وليتهم فعلوا ذلك كله قبل سفك الدماء.. أقول: كذلك ينبغي على العراق أن تقدم على الخطوة التالية، فتنسحب من الكويت، وتؤكد للعالم الإسلامي أنه كما عقدت معاهدة سلام مع إيران للوقوف أمام القوى المضادة للإسلام كذلك نحن مستعدون لمعاهدة سلام معكم جميعا لحمايتنا من اعتدائهم.. وأن عدوانهم علينا عدوان على كل بلاد الإسلام. أما إذا تجزأوا وتقطعوا أمرهم، وطلبوا المعونة من القوى الأخرى فستهلك كل قوى الإسلام لعشرات السنين. إن هذه السحابات المرعبة تزمجر مرعدة، والبرق المحرق يلمع.. فإذا كانوا لا يرونه فذلك مدهش حقا.. ألا تسمعون أصوات الرعد، ولا ترون الأخطار المحدقة.. وتتصرفون كشأن الجهلة، فتتفرقون إلى حزبين، وتستعدون لمقاتلة بعضهم بعضا!

لا بد وأن تبعث العراق بهذه الرسالة، وتذيعها مرات ومرات في أنحاء العالم بكل وسائل الإعلام. يجب أن تخبر عالم الإسلام وتقول: إننا نريد التوبة، ونعترف بخطئنا، ونخضع لمحكمة الإسلام. فقط استبعدوا الآخرين من هذا النداء يجعل الرأي العالم الإسلامي يهب مؤيدا العراق بقوة تجعل الحكومات الأخرى.. التي اضطرت لطلب المعونة من غير المسلمين.. لتعدل من موقفها وتتصرف تصرفا سليما إزاء هذا النداء. وإذا لم تعدل هذه الحكومات موقفها.. وكان تصرف الدول الإسلامية إرضاء لله، وعلى ضوء تعاليمه وبالرجوع إلى القرآن الكريم.. فإن الله تعالى سيكون حاميهم، ولسوف يصونهم من كل خطر يحوم حولهم.

إن دعوتي هذه دعوة (درويش) إنها نصيحة للإخوان.. ولو وَعاها القلب وانصاع لها.. انتفع بها.. لأنها تعاليم القرآن الكريم. أما إذا رفضت نصيحتنا بدافع الكبر والكبرياء.. فإني أحذركم اليوم.. بأن عالم الإسلام سوف يواجه أخطارًا فظيعة لا قبل له بها.. وسيبقى عالم الإسلام بسببها باكيا، ضاربا برأسه في الصخر. ولن يكون لهم مخرج، وليس لهم سبيل لاستعادة قوتهم الضائعة وشرفهم وكرامتهم التي اكتسبها عالم الإسلام.

الواقع أن بلاد الإسلام وصلت إلى مرحلة تمكنها من التقدم بهدوء وحكمة، بعيدا عن العنف، إنهم في العشر أو الخمس عشرة سنة القادمة سيكونون قادرين على أن يكونوا قوة عظمى، لا ينظر إليها الآخرون نظرة خبيثة حتى وإن أرادوا ذلك. أما إذا تعثروا وارتكبوا الخطأ.. فستكون مرحلة خطيرة، ويقعون في وهدة الهلاك يتعذر معها النجاة.

وأود في نفس الوقت، أن أذكر الجماعة الإسلامية الأحمدية بأن يبتهلوا إلى الله تعالى بجد وقلب يتألم. ومهما كانت التجاوزات التي ترتكبها الحكومات الإسلامية ضدنا، أو التي ارتكبتها في الماضي، أو سوف ترتكبها في المستقبل.. فهذا فعالهم الذي يحاسبهم الله عليه.. ولكننا كما قلت آنفا.. نحن المخلصين للإسلام وقيم الإسلام.. لا نخشى الإشارة إلى خطأ تقع فيه دولة مسلمة.. ونسألهم في تواضع.. أن يصححوا خطأهم ويصلحوا من أنفسهم. ولربما صاروا أعداء لنا بسبب نصحنا لهم، أو ربما فكروا في الانتقام منا في قادم الأيام.. ولكننا لا نعبأ بذلك.. لأن موقفنا خالص لوجه الله تعالى. نحن نعرف أن روح الإسلام في القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم ﷺ. وما دمنا نحب القرآن وسنة المصطفى ﷺ فلا بد وأن نحافظ على هذه الروح، ونحميها بأرواحنا. والأحمديون في أنحاء العالم مستعدون للتضحية بكل شيء في سبيل الله. ولن يتوقفوا عن قول الحق. ولن تستطيع قوة

في العالم أن تمنعهم من التعبير عن الحق. ومثل كلماتي هذه الصادقة، ونصيحتي القلبية التي تستهدف صالح الجميع.. إذا لم يرض عنها أحد.. فإن ملاذنا إلى الله تعالى، وثقتنا في ربنا جل جلاله، ولا نخشى ساسة الدنيا.

وفي هذا الصدد أود أن أسوق لكم البشرى بشأن النصيحة التي قدمتها آنفا.. فقد كان مقدرا لي أن أقدمها اليوم.. قدر الله تعالى ذلك منذ زمن طويل. لقد كتب الإمام المهدي والمسيح الموعود في كتابه (حمامة البشرى):

«إن ربي بشرني في العرب، وألهمني أن أُمونهم وأريهم طريقهم، وأُصلح لهم شؤونهم، وستجدونني في هذا الأمر إن شاء الله من الفائزين».

فالمهمة التي عيّن الله الإمام المهدي المسيح الموعود لها هي هدايتهم إلى طريق الحق، وتصحيح مواقفهم.. وأنا خادمه الصغير، وخليفته.. أقوم الآن بمهمته. وعلى ضوء البشارة في هذا الوحي، أبشر عالم المسلمين أنهم إذا اتبعوا النصيحة المتواضعة من هذا (الدرويش).. فلا شك أنهم سوف يتباركون ويفلحون ويعلون في هذه الدنيا وفي الآخرة.

أما، لا سمح الله، لو أنهم نبذوها بسبب عبوديتهم لمصالحهم الدنيوية، وألقوا مصالح الإسلام وراء ظهورهم، ولم يبالوا بتعاليم الإسلام.. فلن تكون هناك قوة لإنقاذهم من غضب الدنيا وغضب الله تعالى.

عسى الله تبارك وتعالى أن يبهج أبصارنا بالإسلام، وأن يسعد قلوبنا، ويقر أفئدتنا، ويزيل عنا الهم والحزن، ويفرج عنا الكرب الذي يعاني منه كل مسلم أحمدي. آمين.

محمد.. الإنسان الكامل (ﷺ)، بقية

آخر حج اشترك فيه النبي ﷺ. وفي موعظته أبرز أمرًا واحدًا كان رسالته إلى جميع بني نوع الإنسان لكل الأجيال القادمة، وقال: أيها الناس، ولم يقل أيها المسلمون، ويعني جميع بني نوع الإنسان. اسمعوا قولي وتذكروا بأن إلهكم واحد، وأن أباكم واحد وهو آدم، وتذكروا بأنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأناس من قوميات مختلفة على غيرهم. وتذكروا بأن الفضل الوحيد المقبول للإنسان هو تقوى الله أي أن يكون الإنسان يخشى الله تعالى بأقسى درجات الخشية، قائما بواجباته تجاه الله والناس، وهذا هو معنى التقوى. هذا هو الإنسان المفضل ولا أحد غيره. والآن أخبروني: هل بلغت الرسالة؟ فأجابوا كلهم بصوت واحد: نعم يا رسول الله لقد بلغت. فقال: لا، عدُوني بأنكم ستبلغون هذه الرسالة إلى بني نوع الإنسان في جميع أنحاء العالم. ألا، فليبلغ الشاهد الغائبَ، ويجب أن يستمر هذا إلى نهاية العالم.

العنصرية مسألة تثير جدلاً ساخنا في هذه الأيام وبعض المثقفين الراقين ينكرون الواقع لأنهم واقعون تحت تأثير العنصرية. وحسب خبرتي وبعد أن تجولت في بلدان عديدة، فلا تزال العنصرية موجودة في كل قوم، وفي كل شعب، في كل جزء من العالم، وليس ذلك مسألة شعورٍ بتفوق الأبيض على الأسود وإنما هو أيضا مسألة شعور السود بتفوقٍ انتقامي على البيض. وهكذا فإن العنصرية هي أخطر ما يجري حاليًا على أفكار البشرية وحوافز الإنسانية. وها أنا أبلغكم برسالة الإسلام كما بلغها النبي ﷺ إطاعةً وتنفيذًا لأمره البين الصريح، وأرجو أن تتذكروا بأننا جميعا مخلوقات الله تعالى، وننتسب إلى نفس الأب. ويجب أن لا نسمح لأنفسنا بأن تنحدر إلى مستوى التفكير بمفهوم عنصري، وإنما بمفاهيم التفوق الإنساني على الآخرين.

إن آخر كلمات سُمعت من فم نبي الإسلام ﷺ حينما كان على وشك الرحيل هي «في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى»، أي لقد خُيرت من الله تعالى بين البقاء على هذه الأرض بضعة أيام أو بضعة سنوات أخرى أو أن أعود إليه عز وجل، فاخترت في الرفيق الأعلى، إلى مولاي الأبدي. أفوض نفسي كليةً له وليستُرني كاملا.

كان هذا هو الإنسان محمد، فإن كنتم ترونه كاذبًا فمن الطبيعي أن لا تروا صادقًا أبدًا. وأؤكد لكم بأن إنسانًا قضى كل حياته في الصدق لا يمكن أن يكون قطعًا كنبي كاذب، هذا من المحال. ولكنه، لسوء الحظ، سنة الناس وتعصبهم وضيق فكرهم اللذان يحرفان الحقائق. إنها طبيعة الإنسان العقلية التي تُبدل الحقائق إلى غشاوة وخرافات يمكن تخيلها؟ إن ذلك يتوقف على نوعية الإقرار بالفضل. فبعض الأساطير تنشأ بدافع المحبة وتجعل منشئيها يتخطون ويهملون خلق الإنسان إلى ما هو فوق مقدرة الإنسان، قريبًا من الله تعالى الإله الحقيقي، إلى الوحدة مع الله، أو ما شئتم أن تسموه. وأما الإله الذي هو من تصور البشر فينتهي دائما نتيجة الإفراط في المحبة إلى تحريف الحقائق وإلى غشاوة وخرافات. وهذا ما يحدث لمعظم الديانات في العالم. ومع ذلك فإننا نشاهد ظاهرة معاكسة لهذه تمامًا.

لقد كان النبي محمد ﷺ عاملا على نبذ خرافة الكراهية، ولكن هذه الممارسة للأسف لم تنته بعد. إنكم عندما تحكمون على الناس فلا تحكموا عليهم حسب الخرافات المنسوبة إليهم، وإنما احكموا عليهم على ضوء الحقائق الثابتة فيهم.

وفقكم الله جميعا، وشكرا.

معجزة عظمى

معجزة دعاء سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

السلاح الوحيد.. السلاح الصارم الذي استعمله الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم رضي الله تعالى عنهم، وانتصروا على المعاندين قاطبة انتصارا باهرا.. نعم ذلك السلاح هو سلاح الدعاء والابتهال أمام الله القادر على كل شيْ. ظهر الأنبياء عليهم السلام بغير الأسلحة الدنيوية من مسدسات وبنادق.. وبين أقوام ظالمين وأولي الأيدي والأبصار، ولكن الغريب جدا أن سيوف الأعداء كلّت وانثلمت، وأسلحتهم انكسرت وانثلت، ولم تفدهم السهام ولا السنان، وراحت مكائدهم أدراج الرياح، وذهبت جنودهم ضحية العذاب من السماء. وإن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

والسر في هذا الانقلاب العظيم هو أن الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم تحصنوا بحصن حصين، ألا وهو حصن الله تعالى، كالرضيع الضعيف في حضن أمه الرؤوم المستعدة لتضحية كل ما لديها في سبيل قرة عينه، وتسلحوا بسلاح البكاء في حضرة الله العليا مثل الرضيع الباكي جوعا، فينزل الحليب من ثدي أمه لإروائه. كذلك الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم رضي الله عنهم، يتسلحون عند مظالم الكفار عليهم «بسهام الليالي»، ويرمون بها في نحو أعدائهم، فيبيدونهم إبادة ويعدمونهم إعداما.

كم وكم اخترع الكفار المظالم الشنعاء لمحو المسلمين الأوائل من الأرض في حياتهم المكية وبالحروب المتوالية الطاحنة في حياتهم المدنية، ولكن الأدعية النبوية «سهام الليالي» هي التي ساعدت المؤمنين، وسرعان ما انقلب الحال إلى حال، وانتصر المسلمون على أعدائهم انتصارا كاملا، وانكسرت شوكة الكفار نهائيا.

ولكن الإنسان من طبيعته أن ينسى الحوادث مهما كانت عظيمة، أو يتناسى على الأقل بمرور الزمان، ولذلك نرى الفلاسفة اليوم ينكرون الدعاء بتاتا، ويعدونه لغوا، بل كثير من المسلمين لا يعتقدون بالدعاء ويسخرون منه، وهكذا يحقّرون ذلك السلاح المجرب الذي به وحده انقلب العالم رأسًا على عقب، لا مرة ولا مرتين، بل في كل مكان وفي كل زمان.

وعندما اشتدت هذه البلية في هذا الزمن وأُهمل قول القرآن الكريم: [قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاءكم]، اقتضت غيرة الله أن تظهر عجائب الدعاء، عجائب خارقة للعادة ومحيرة للعقول، فأرسل أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في قاديان، بنجاب، الهند، فأعلن في كتابه (ضرورة الإمام) صفحة ٢٦، ما تعريبه:

«أعطيت معجزة كثرة الاستجابة لدعائي، وما من أحد يستطيع أن يجاريني فيها. وأقسم بالله أن دعواتي وقد قاربت الثلاثين ألف، قد استجيبت، وعندي ثبوتها».

وكتب أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في كتبه بعض المعجزات. وها نحن نذكر واحدةً منها فيما يلي:

كان صبي من حيدرآباد دكن اسمه عبد الكريم، هاجر وطنه لتحصيل العلوم إلى قاديان، حيث دخل في المدرسة الأحمدية، وبقي يتعلم ما شاء أن يتعلم. وفي ذات يوم عضه الكلب الكَلِبُ. وعلى أثر الحادثة أخذوه ولاة الأمر إلى مستشفى «كسولي» الواقع فوق جبل حيث الطقس جيد والتداوي متيسر. فشُفي بعد جهد جهيد، وأخذ الشهادة من مدير المستشفى بأنه قد طاب من المرض بكل معنى الكلمة. فرجع إلى قاديان، ولكنه بعد أيام شعر أنه مريض، وفعلاً ظهرت آثار العلة وعلم الناس أن المرض قد عاد مرة أخرى. ولما أشرف الولد على الهلاك أبرق ولاة الأمر إلى مدير المستشفى في بلدة «كسولي» يخبرونه عن الواقع، ويطلبون منه أن يهديهم إلى دواء مجرب يشفي المريض، ولكنه عوضا أن يصف لهم علاجا أرسل البرقية التالية: Sorry, nothing can be done for Abd-ul-Karim. وتعريبه: واحسرتنا، ليس في الإمكان من شيْ يفيد عبد الكريم.

ولما **بلغ أحمد** الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام **الخبر عن حالة** المريض المزعجة ويأس الأطباء عن صحته قال **عليه السلام: لا** تيأسوا من رحمة الله، واتركوا الأدوية والاتكال **عليها جانبا**، وعليكم بالدواء الوحيد الذي يشفي كل مريض شفاءً لا **يغادر سقما، ألا** وهو الدعاء. وقد ألقى الله في روعي أن ادعوا لعبد الكريم، **والله** يشفيه شفاء كاملا، وفيه دليل على صدقي ومعجزة عظمى لأولي الألباب.

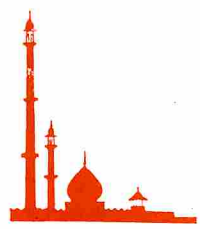
فدعا أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام للولد. فأجاب الله دعاءه حتى شفي الولد، وعاش طويلا واشتغل بالتجارة في بلاده وتزوج ورُزق له، ومات هرما بعد أن ترك وراءه من يرثه. وإن في ذلك لآية للمتفكرين.

(من «البشرى»)

استغاثة اللاهفين

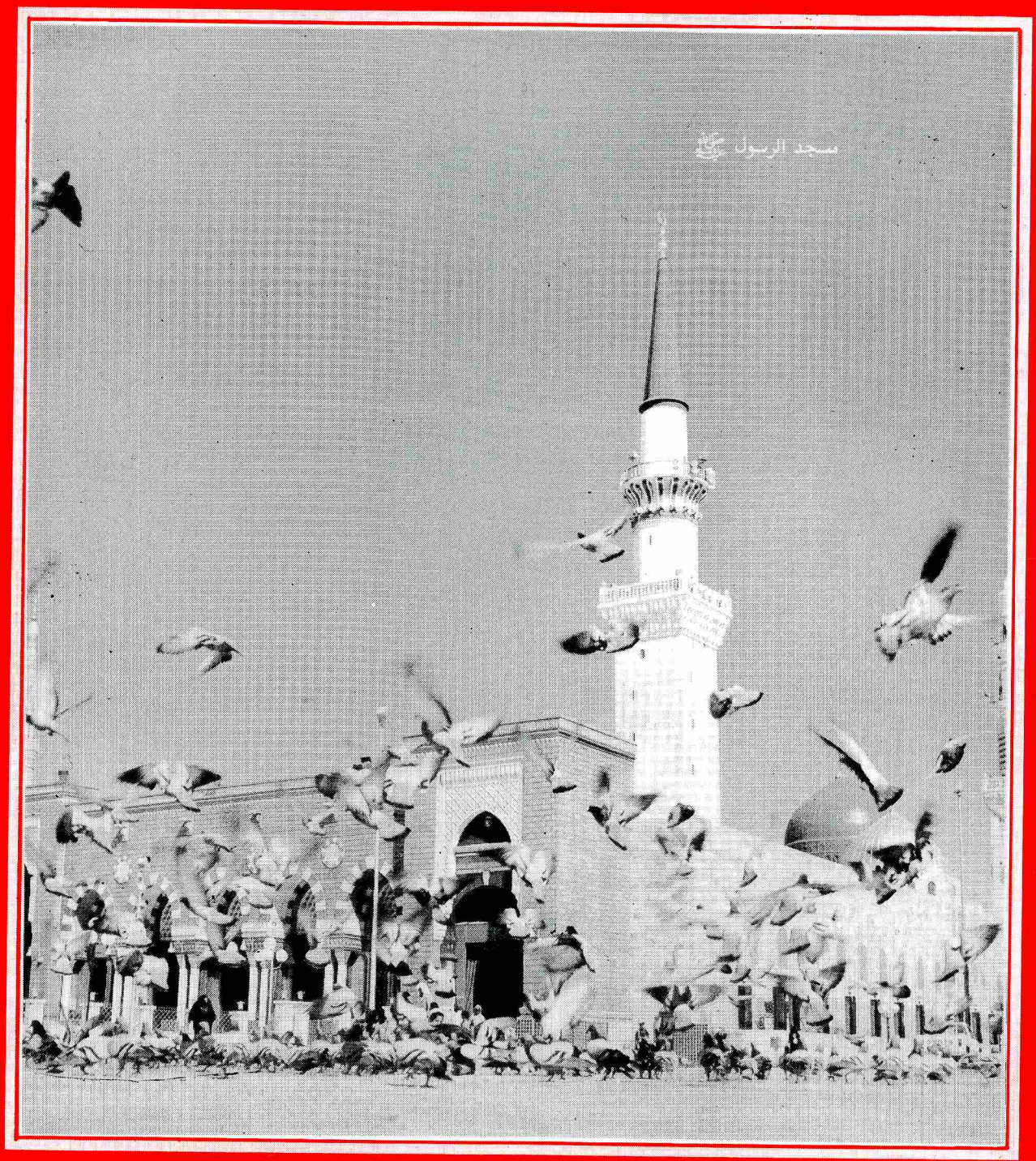
الأستاذ: محمد إسحاق الصوفي

فدتك، يا رسولَ الله، نفسي ... وروحي، يا إمامَ المرسلينا
وجودك نافعٌ لا شك فيه ... لأنك قدوة للسالكينا
دعوتَ إلى الهدى ولبثتَ دوماً ... منارَ النور للمسترشدينا
رأيت الشرك والكِذْبَ عيانا ... فصرتَ منبِّها للغافلينا
فأما الخاشعون الضارعون ... فجاءوا للهداية طالبينا
وأما الكافرون القاسطون ... فصاروا للهداية كارهينا
كذا كانت حياتك طولَ دهرٍ ... بقيتَ مبشراً للطائعينا
وأما بعد موتك قد تركتَ ... كتاباً كاملاً للمؤمنينا
قُراناً غير ذِي عِوَج تركتَ ... بلا ريبٍ هُدى للمتقينا
فما للمسلمين قَدِ استهينوا ... وصاروا لغيرهم مستعبَدينا
وما للمسلمين عموا وصمّوا ... وباتوا في الضلالة تائهينا
فمهلاً، يا أخا الإسلام، مهلاً ... وأنظرنا نُخبِّرك اليقينا
لماذا المسلمون غدوا وباتوا ... لأعداء الشريعة خاضعينا
فهلاَّ المسلمون بقوا دواماً ... لأحكام الشريعة ماسكينا
فلو تبعوا الشريعة واستقاموا ... لما عاشوا حياة الفاسقينا
ولكن النفوس طغتْ وجارتْ ... فصاروا للشريعة تاركينا
وعاشوا عيشة لا خير فيها ... وصار الأغلبية مجرمينا
فَلَمَّا زادت الآثام قلنا ... أغِثْنا يا شفيعَ المذنبينا
فإنا جئنا بابك لاهفينا ... وجئنا بالشفاعة موقنينا
فبالله عليكا لا تُخيِّب ... فقد قمنا أمامك نادمينا
وخوِّلنا حياة غير هذي ... فمنها قد مللنا أجمعينا
وبُثَّ فينا من رُوح ورَوح ... نَعشْ من بعدها كالمكرمينا
فإنا تُبنَا من عيش رديء ... وعُدْنا إليك، كهفَ العالمينا



ALTAQWA

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE



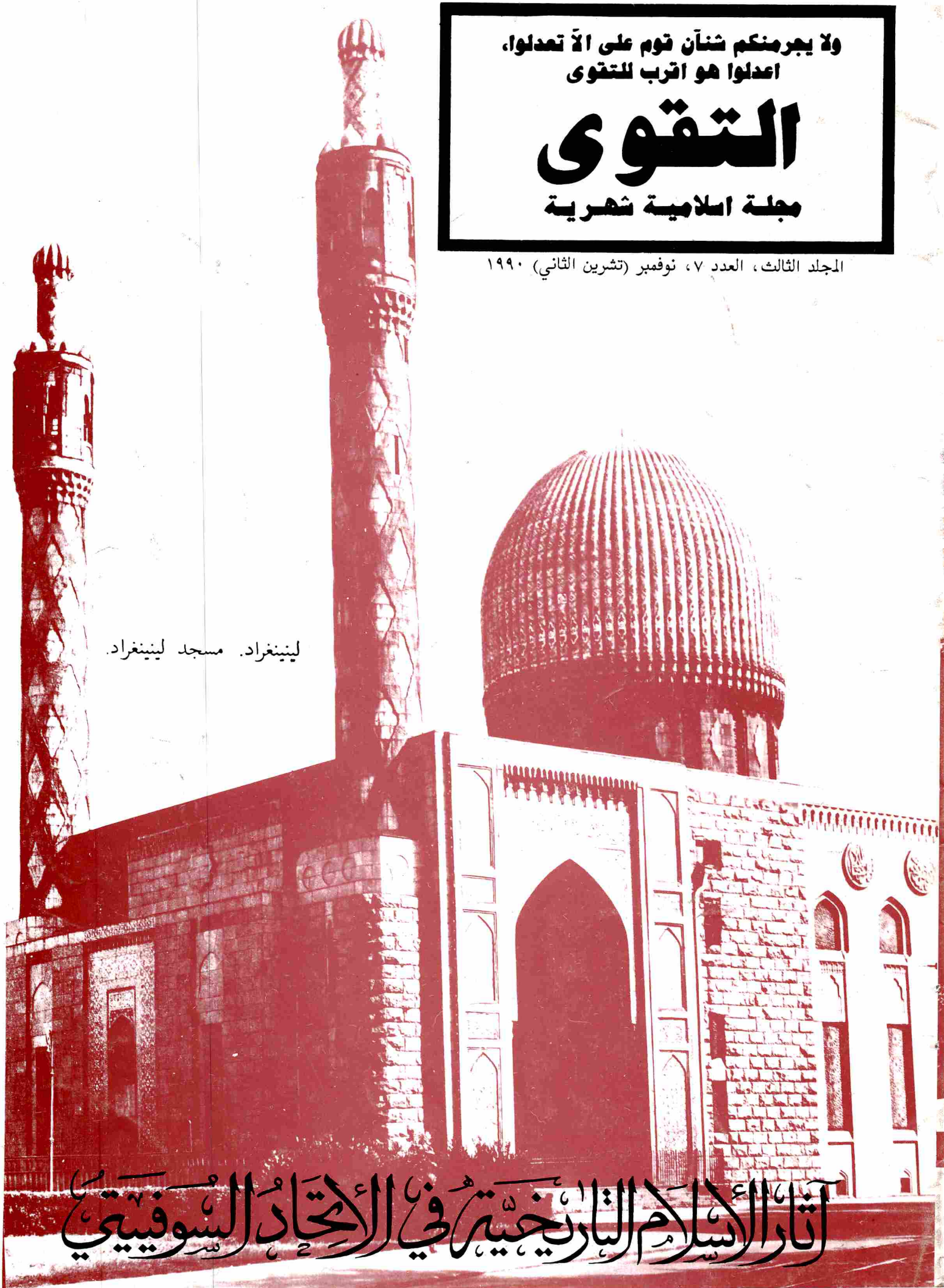
Volume 3, Issue No 5 & 6, September & October 1990

ولا يجرمنكم شنآن قوم على الاّ تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

المجلد الثالث، العدد ٧، نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٠



لينينغراد. مسجد لينينغراد.

آثار الإسلام التاريخية في الاتحاد السوفيتي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

التقوى

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الإسلامية الأحمدية

مدير الإدارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الإسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
إسلام اباد ـ بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
جوامع الكلم	٥
كلام الإمام	٦
انهيار النظام الشيوعي والتنبوأت السماوية	٧
الإلحاد إزاء الإيمان	١٣
حركة القمر والتقويم الإسلامي	٢١
جاء المسيح المنتظر (قصيدة)	٢٤
حوار طريف	٢٥
أخبار الجماعة في باكستان	٣١

ثمن النسخة : جنيه ونصف ٤١.٥ والاشتراك السنوي ٤١٨ أو ما يعادل ذلك خارج بريطانيا. ترسل قيمة الاشتراك باسم التقوى إلى عنوان المجلة.

الافتتاحية

الموقف في الخليج ينذر باندلاع حرب مروعة جدًا جدًا، وذلك لحماية مصالح الاستعمار الأمريكي والغربي، ولحماية إسرائيل الغاشمة، ولنهب ثروات المسلمين وللقضاء على قوتهم ومصالحهم لأمد بعيد، من حيث يدرون ولا يدرون. فلا حول لنا ولا قوة لدفع ويلات هذه الكارثة، لا قدرها الله، ولحل القضية حلاً عادلاً سلميًا، إلا أن نرفع أكف الضراعة والابتهال أمام الله القدير على كل شيء، سائلين إياه: اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

ولقد قام إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية حضرة مرزا طاهر أحمد أيده الله، في إحدى خطبه مؤخرًا، بتوجيه أنظار محبي الإسلام إلى ضرورة وأهمية الدعاء في هذا الوقت العصيب، نقتبس من الخطبة ما يلي بوعدٍ منا بنشرها كاملة في عدد قادم، إن شاء الله.

«من الدعاية المكثفة التي تقوم بها وسائل الإعلام الغربي في شأن أزمة الخليج، يدرك المرء بسهولة تامة أن الغرب يمهد للحرب ضد العراق، محاولاً كسب تأييد الرأي العالمي وضمه إلى صفه. مما يعني أن هناك استعداداً كاملاً للحرب.. حربٍ تسلَّط على العالم الإسلامي ليساعد فيها المسلمون وبكل حماسٍ الغربَ للقضاء على مصالح المسلمين قضاءً نهائيا.

فهل يمكن تصور خطر أشد وأشنع من هذا ضد الإسلام.. بأن يتعاون معظم المسلمين، وبالأحرى الدول الإسلامية بما فيها باكستان، وبكل حماس وجدية، مع الغرب ليقضي على دولة مسلمة صاعدة قضاء يمحو أي أثر منها.

فما بأيدينا من حيلة إلا الدعاء والابتهال أمام الله تعالى. لقد سبق أن وجهت أنظار الإخوة إلى ذلك، وكنت مازلت أبتهل إلى ربي القدير، وأنا متأكد أن الإخوة مستمرون في الدعاء، لأن هذا الخطر ليس بهين، وإنما هو خطر يهدد العالم الإسلامي كله، وتليه أخطار جسيمة أخرى. لا بد أن تكون لهذا الأحداث ردود فعل تؤدي إلى تزايد العنصرية ومَلْءَ الخريطة الجديدة للعالم بتطورات هائلة.

ولكن لا يزال هناك فرصة، فلو سعينا جاهدين بالدعوات واستخدام قوانا العقلية والقلبية لمقاومة هذه الأخطار المحتملة، وعاهدنا الله تعالى بصدق نية على الدفاع عن حياض الإسلام بكل ما أوتينا من قوة، متصدين لكل سهم يوجه إلى وجه الإسلام الأغر، أقول لو فعلنا ذلك، فإني أؤكد لكم بأن ابتهالاتنا أمام الله تعالى ومساعينا المخلصة لا بد وأن تأتي بنتائج طيبة في صالح العالم، وسوف نُحبط بعون الله تعالى كل تلك المؤامرات التي تحاك ضد دينه الإسلام. وفقنا الله تعالى لذلك».

بسم الله الرحمن الرحيم

في عالم التفسير

بقلم حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

[ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين *].

شرح الكلمات:

ءامنا: آمن: صدَّق. وقد سبق أن ذكرنا ثلاثة معانٍ للإيمان تحت آية: [الذين يؤمنون بالغيب]، ونُضيف إليها قول الإمام الراغب: «الإيمان يستعمل تارةً اسمًا للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، ويوصف به كل من دخل في شريعته، مقرًا بالله وبنبوته؛ وتارةً يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك بإجماع ثلاثة أشياء؛ تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح.». وقد بين القرآن الكريم هذا المعنى في قوله: [قالت الأعراب آمنّا. قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبكم] (سورة الحجرات: ١٥)؛ وقوله: [وجَحَدوا بها واستيقنتْها أنفسُهم] (سورة النمل: ١٥).

التفسير:

من هذه الآية يبدأ ذكر طائفة من الناس، وهم المنافقون. والمنافقون على نوعين: نوع ينضم إلى المؤمنين ظاهرًا، ولكنهم ينكرون عقائد الإسلام في باطنهم. وهم يتظاهرون بالإيمان من أجل المصالح الدنيوية، أو العصبية القومية. ونوع آخر يصدِّق مبادئ الإيمان بالأدلة العقلية، ولكنهم لا يملكون من قوة الإيمان ما يمكنهم من الصمود وتقديم التضحيات. وهذا النوع يبدو عليه التكاسل والتهاون، ولا يكون السبب وراءه اختلافا في العقيدة، بل ضعف القوى الإيمانية التي تجعلهم يلتزمون بما يؤمنون به. فإن اشتدت عليهم وطأة الكفار أظهروا ميلهم إليهم وأخذوا يذكرونهم بعلاقاتهم الودية، ولا يرون بأسا في مداهنتهم، قائلين في أنفسهم: إن الحق غالب بفضل الله، ولا يضيره أن ندفع عن أنفسنا الأذى بالتودد لأعدائه.

هذه الآية إشارة إلى القسم الأول من المنافقين، الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام وإن كانت قلوبهم منكرة له. وهنا اقتصرت الآية على ذكر الإيمان بالله والإيمان بالآخرة. اكتفاء بذكر الحلقة الأولى والحلقة الأخيرة من حلقات الإيمان على سبيل الإيجاز المعبر عن المقصود تماما. والواقع أن هذا الأسلوب القرآني سمة إعجازية، فالقرآن كتاب جامع للعلوم كلها.. روحانية ومادية.. يتضمن الإلهيات، وعلم الأفلاك والضرورات المعيشية، ومبادئ الاقتصاد وأساسيات الاجتماع والأحكام المدنية الأخلاقية. وأحكام العبادات وما يتصل بالعباد من حقوق، وواجبات الحاكم والرعية والغني والفقير وأصحاب المصانع والعمال، وفيه حقوق أفراد الأسرة وواجباتهم، وفيه أحكام الحرب والسلم، ومبادئ القضاء، وآداب الأكل والشرب.. عشرات ومئات من الأحكام والتوجيهات.. ذكرًا وشرحًا مع بيان حكمة وضرب أمثلة. وكان عليه أيضا أن يبصر الناس بآيات الله المتجددة، ويُطلعهم على تاريخ الأنبياء السابقين، ويخبرهم بأنباء المستقبل.. ليزداد المؤمنون في كل زمن إيمانا، ويجد الكافرون فيه عبرةً وهدىً.

فكيف لكتاب أن يتناول كل هذه الأمور.. لولا هذا الإيجاز المعجز. ومع أن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، وكذلك كتب الفيدا.. أضخم حجما من القرآن بكثير، إلا أن المقارنة بينها تكشف عن المكانة السامية التي يتمتع بها القرآن مادة وموضوعا، كلمة وأسلوبا. فالقرآن المجيد مع ما فيه من حقائق وافرة وموضوعات متنوعة ومنهج متكامل.. نجد أنه يتناول كل ذلك بأسلوب موجز بليغ، مع سهولة لفظه وسلاسة أسلوبه، والوضوح والخلو من الألغاز والمعميات.

ومثل هذا الإيجاز يتحقق باتباع ما رأينا من التلخيص. فإذا أريد مثلا أن يذكر تقسيما طبيعيا لشيءٍ ما، اكتفى من حلقاته بالحلقتين الأولى والأخيرة. وإذا قصد إلى العبرة من إحدى قصصه، حَذَفَ ما لا ضرورة له، وذَكَرَ ما لا بد منه للاستنباط، وأتى من الكلمات ما يدل على أوسع المعاني. ثم ساق الجمل على نسق بحيث يعبر كل لفظ عن معناه المستقل.. مقترنا بسائر الكلمات. ثم رتب الآيات ترتيبا لو فصلت معه كل آية عن موضعها لدلت على معنى خاص يغاير معناها وهي مرتبطة بسائر الآيات. ثم نسق مجموعات الآيات بحيث يدل كل حرف على معنى مستقل بجانب دلالته الخاصة من جهة اتصاله بما قبله وما بعده. وقد اختار القرآن الكريم هذه الأساليب لكي تحتوي كلماته القليلة على معان غير محدودة.

ولقد ذكرت ما سبق بشيء من التفصيل.. لأن بعض الجهلة يستدلون بمثل هذه الآيات على أن مجرد الايمان بالله واليوم الآخر يغني عن لوازم الإيمان، إذ أن الإيمان، بزعمهم، يتوقف في هذه الآية على هذين الأمرين. ولعل هؤلاء الناس يجهلون أو يتناسون تلك المباديء القوية المحكمة التي استعملها القرآن الحكيم لأجل الإعجاز والجامعية.. وهي سمة عامة في جميع القرآن الكريم. وتدليلا على ما سبق، وتصديقا على ما أوردنا.. نسوق مثالا من القرآن:

[وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ مصدِّقُ الذي بين يديه ولتُنذِرَ أمَّ القرى ومَن حولها. والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون*] (سورة الأنعام: ٩٣).

فمن هذه الآية يتبين أن الإيمان بالآخرة يستلزم الإيمان بالقرآن، ومن يؤمن بالقرآن فعليه أن يؤمن بمحمد ﷺ، لأن الإنسان تشرف بهذه النعمة الكبرى، نعمة القرآن المجيد عن طريقه ﷺ. وكذلك عليه أن يؤمن بالملائكة، لأن القرآن يذكرهم بكثرة.

بل تبين هذه الآية أيضا أن فعل الأعمال الصالحة تدخل في الإيمان لأن الله تعالى يقول هنا بأن الذين يؤمنون بالآخرة هم لا يؤمنون بالقرآن فحسب، بل أيضا يعملون حسب تعاليمه.

وللآية الكريمة وجه آخر، فهي تحكي ما قاله المنافقون من إيمانهم بالله واليوم الآخر، وتركِهم ذكرَ الرسول ﷺ والقرآن والملائكة عمداً، لأنهم لم يؤمنوا بهم.. فاكتفوا بما قالوا لخداع المؤمنين.

وفي قوله تعالى: [ومن الناس] تعريض لطيف بالمنافقين، إذ تشير إلى واجبهم كأناس لهم عقل وفكر، فكان عليهم ألا ينساقوا وراء من أسلم من قومهم دون أن يستخدموا عقلهم وفكرهم؛ وأن إنسانيتهم كانت تقتضي أن يتدبروا ما جاء به الرسول ﷺ.. فإن تبين لهم صدقه آمنوا به واستمسكوا به، وإن كان غير ذلك تمسكوا بما هم عليه من دين آبائهم. أما أن يقلدوا أحداً كالأنعام التي يتبع بعضها بعضا دون تدبر.. فهذا فعل يتنافى وخصائص الإنسان.

وهذه الآية وما سبقها من الآيات الكريمة ترد ردا حاسمًا على مزاعم من يقول بأن القرآن أمر بإكراه الناس على الإسلام، ذلك الخطأ الذي وقع فيه بعض المسلمين أيضا. ولو فكر هؤلاء المُتَعَثِّرُون من أعداء الإسلام ومن انخدع بقولهم من المسلمين في هذه الآية وحدها لعرفوا حق المعرفة أن الإسلام يضاد الإكراه والإجبار. ذلك لأن الإكراه يسبب النفاق؛ وإكراه أحد على الإسلام يعني دعوته إلى التفوه بالإسلام والتظاهر به، وإن كان قلبه غير مطمئن إليه. وهذا هو ما تستنكره الآية وتعرِّض به. إن الإسلام دين يرفض بشدة دخول المنافقين فيه، ولكنه يرحب بكل من هو مطمئن القلب صحيح العقيدة. ومن ثم فلا يُتصور أبدا أن الإسلام يرغم أحدا على دخوله بقوة السيف أو بالإكراه. لا يمكن أن يسمح الإسلام بذلك، لأنه الدين الذي يصف المؤمنين بقوله: [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون*] (سورة الحجرات: ١٦).

فالإسلام يريد مؤمنين واثقين مطمئنين إلى عقيدتهم، يضحون في سبيلها بكل غال ورخيص.. يريد إيمانا صادقا وليس نفاقا.. فكيف يكره إنسان على ذلك؟

قال

سيدنا المسيح الموعود والمهدى المعهود عليه السلام

«لا يدخل في جماعتنا إلا الذي دخل في دين الإسلام، واتبع كتاب الله وسنن سيدنا خير الأنام، وآمن بالله ورسوله الكريم الرحيم وبالحشر والنشر والجنة والجحيم، ويعد ويقر بأنه لن يبتغي دينا غير دين الإسلام، ويموت على هذا الدين دين الفطرة.. متمسكا بكتاب الله العلام. ويعمل بكل ما ثبت من السنة والقرآن وإجماع الصحابة الكرام. ومن ترك هذه الثلاثة فقد ترك نفسه في النار، وكان مآله التباب والتبار».

(مواهب الرحمان، ص ٩٦ و ٩٧)

«إنا نحن مسلمون. نؤمن بالله الفرد الصمد الأحد قائلين: لا إله إلا هو. ونؤمن بكتاب الله القرآن ورسوله سيدنا محمد خاتم النبيين. ونؤمن بالملائكة ويوم البعث والجنة والنار، ونصلي، ونصوم، ونستقبل القبلة، ونحرم ما حرم الله ورسوله، ونحل ما أحل الله ورسوله. ولا نزيد في الشريعة، ولا ننقص منها مثقال ذرة. ونقبل كلما جاء به رسول الله ﷺ وإن فهمنا أو لم نفهم سره، ولم ندرك حقيقته. وإنا بفضل الله من المؤمنين الموحدين المسلمين».

(نور الحق، الجزء الأول ص ٥)

جوامع الكلم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرًا» (مسلم).

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أولَى الناس بي يومَ القيامة أكثرُهم عليَّ صلاةً» (الترمذي).

عن أوسِ بن أوسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أفضَل أيامكم يوم الجمعة، فأكثِروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ». قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد أرمتَ؟ (قال: يقولُ بلِيتَ)، قال: «إن الله حرَّم على الأرض أجسادَ الأنبياء» (رواه أبو داود).

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكرتُ عندهُ فلم يُصلِّ عليَّ» (الترمذي).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدًا، وصَلُّوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلُغنِي حيثُ كنتم» (رواه أبو داود).

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البخيل من ذُكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ» (الترمذي).

عن فضالة بن عبيدٍ رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعُو في صلاتِهِ، لم يحمدِ الله تعالى، ولم يُصلِّ على النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «عجِلَ هذا». ثمَّ دعاهُ، فقال له أو لغيره: «إذا صلَّى أحدُكم فليبدأ بتحميد ربِّه سُبحانه والثناء عليهِ، ثم يُصلِّي على النبي ﷺ، ثم يدعُو بعدُ بما شاء» (أبو داود).

عن أبي محمدٍ كعبِ بن عُجرةَ رضي الله عنه قال: خرجَ علينَا النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله، قد علِمنا كيف نُسلِّمُ عليك، فكيفَ نُصلِّي عليكَ؟ قال: «قولوا: اللهُم، صلِّ على مُحمَّدٍ وعلى آل محمدٍ، كما صليتَ على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، اللّهمَّ باركْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد» (متفق عليه).

كلام الإمام

لسيدنا المسيح الموعود والمهدى المعهود عليه السلام

إن في مذهبي ومعتقدي أشياء ثلاثة لا غير أعطاكموها الله لهدايتكم، وأول هذه الأشياء الثلاثة القرآن-(١)

الحق والحق أقول: مَنْ نقَضَ أصغر وصية من السبع مئات من وصايا القرآن،بيدِهِ سَدَّ على نفسه باب النجاة. القرآن فاتح لسبل السلام والحق الكامل، وأما ما سواه من الصحف فهي ليست إلا ظلاله. لذلك فاقرأوا القرآن بتدبر وأحِبّوه حبًا جمًا، جبًا ما أحببتم أحدًا كمثله. ذلك لأن الله ناجاني وقال: الخير كله في القرآن.

إي وربي، الخير كله في القرآن. فوا حسرة على أولئك الذين يقدمون عليه غيره. أيها الناس، إن فلاحكم وفوزكم كله في القرآن.

ما من حاجة من حاجات دينكم إلا وتوجد في القرآن بأكملها. وسيكون القرآن وحده مصدِّقاً أو مكذبا لإيمانكم يوم القيامة.وبغير القرآن لا يوجد تحت أديم السماء كتاب يستطيع أن يهديكم.

إن الله أحسن إليكم إحسانا عظيما إذ أعطاكم كتابا كمثل القرآن. أقول لكم حقًا، إن الكتاب الذي يُتلى عليكم لو كان تُلِيَ على النصارى لما هلكوا، وإن هذه النعمة والهداية التي أوتيتموها لو أُوتِيَها بنو إسرائيل بدلَ التوراة لما كفر بعضهم بيوم القيامة. لذلك فاقدروا هذه النعمة التي أوتيتموها. إنها لنعمة محبوبة للغاية وما أعزها من نعمة! فلو لا القرآن لكانت الدنيا بحذافيرها كمثل مضغة متعفنة...

إنه ليستطيع أن يطهركم في أسبوع واحد إن لم يكن هناك إعراض معنوي أو صوري، وإنه لعمري يستطيع أن يجعلكم مثل الأنبياء لو لا أنتم أنفسكم تفرون منه. أَروني أي كتاب سوى القرآن علَّم قُرّاءه منذ البداية دعاء [اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم]، ومَنَّاهم بأمنية المنعَم عليهم من الرسل والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ لذلك أَعلُوا همتكم، ولا تردوا دعوة القرآن، فإنه يريد أن يهبكم تلك النعم التي وهبها للأولين. (سفينة نوح)

(٢) السنة ذريعة ثانية للهداية وأعني بها أسوة رسول الله المقدسة التي أقامها بأفعاله وأعماله، فمثلا صلّى حضرته الصلاة، وأرانا بعمله أن نصلي كمثل صلاته، وصام وهدانا بعمله أن نصوم كمثل صومه. فهذا اسمه السنة ومعناها السيرة النبوية التي تُري قول الله في صورة الفعل. والذريعة الثالثة هي الحديث، وهو عبارة عن أقوال الرسول المجموعة بعده. وهو دون القرآن والسنة رتبةً، ذلك لأن الأحاديث أكثرها أخبار محتملة للصدق والكذب وقد تصل درجة اليقين إن أيَّدتها السنة.

إنهيار النظام الشيوعي والتنبوءات السماوية

بقلم حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

بمناسبة الاحتفالات التي يقيمها العالم وخاصة أهل أروبا الشرقية بالذكرى السنوية الأولى بانهيار الشيوعية، نقدم إلى حضرات القراء مقتبسًا من خطاب هام ألقاه فقيد الإسلام حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه قبل حوالي نصف قرن حينما كانت الشيوعية في أوج نشوتها، أمام حشد كبير من العلماء، والدكاترة، والأساتذة، والسياسيين والطلاب بلاهور في فبراير ١٩٤٥. بيَّن فيه حضرته أن النظام الشيوعي سوف ينهار، ليس لأنه نظام غير طبيعي فحسب، بل لأن الله قد نبأ بانهياره منذ آلاف السنين. (وقد نُشر المقال بالعربية بعنوان: نظام الاقتصاد في الإسلام).

كما نُردف المقتبس بمقتطف هام من خطبة جمعة لسيدنا مرزا طاهر أحمد أيده الله تعالى، الإمام الحالي لجماعتنا والخليفة الرابع لسيدنا المهدي عليه السلام، يبين فيه كيف أن الله تعالى قد قرّب زمن تحقق هذه النبوءات، وكيف في حادث انهيار الشيوعية حقق الله تعالى كشفًا رآه حضرته قبل بضع سنوات، رأى حضرته كتابة (FRIDAY THE 10th)، أي الجمعة، اليوم العاشر، وقد فَهِمَ منه أن حدثًا جللاً سوف يقع في ذلك اليوم.

[المحرر]



ما هي روسيا؟ هي بلد ظفر بمكانته وأهميته خلال ثلاثة قرون أو أربعة، وقبل ذلك كان الشعب الروسي أشتاتا. كانت هناك بضع قبائل بددا، وكل قبيلة كانت تستقل بمنطقة صغيرة، لكنها أيضا لم تكن ذات سيطرة فيها. وكانت روسيا قبل ألف سنة خاملة مجهولة، وكانت خرابا لا يلتفت إليها أحد لأجل تفاهتها وخرابها، وكانت قبل ألفين وخمسمائة بحيث لا يعرفها أحد إلا من شذ وندر من علماء الجغرافيا، حتى كان لا يكاد أحد يتوجه نحوها في تلك الأحقاب المجهولة البعيدة. عندما لم تكن لروسيا أية أهمية تنبأ نبي الله حزقيال قبل اليوم بألفين وخمسمائة سنة بنبأ عظيم ما زال مسجلا بالتفصيل في صحف العهد القديم، وذلك في الإصحاحين ٣٨ و٣٩ من كتاب حزقيال كما يلي:

«وكان إليّ كلام الرب قائلا: يا ابن آدم، اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيسِ رُوش، ماشِك وتُوبال، وتنبأ عليه، وقل: هكذا قال السيد الرب؛ هأنذا عليك يا جوج رئيس روش، ماشك وتوبال، وأُرْجعك وأضع شكائم في فكّيك، وأُخرِجك أنت وكل جيشك خيلا وفرسانا كلهم، لابسين أفخر لباس،جماعة عظيمة مع أتراس ومجانّ، كلهم ممسكين السيوف، فارس وكوش وفوط معهم، كلهم بمجن وخوذة، وجُومَر وكل جيوشه، وبيتَ تُوجرمة من أقاصي الشمال مع كل جيشه شعوبا كثيرين معك. إستعِدَّ وهَيِّئ لنفسك أنت وكل جماعاتك المجتمعة إليك، فصرتَ لهم موقرًا.

بعد أيام كثيرة تُفتَقَدُ في السنين الأخيرة.

تأتي إلى الأرض المستردَّة من السيف المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل التي كانت دائما خربة للذين أخرجوا من الشعوب وسكنوا آمنين كلهم. وتصعد وتأتي كزوبعة، وتكون كسحابة تغشي الأرض، أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك.

هكذا قال السيد الرب: ويكون في ذلك اليوم أن أمورا تخطر ببالك فتفكر فكرا رديئا، وتقول إني أصعد على أرض أعراءٍ، آتي الهادئين الساكنين في أمن كلهم ساكنون بغير سور وليس لهم عارضة ولا مصاريع لسلب السلب ولغنم الغنيمة لرد يدك على خرب معمورة وعلى شعب مجموع من الأمم المقتني ماشيةً وقُنْيةً الساكنُ في أعالي الأرض. شبا وددانُ وتجار ترشيش وكل أشبالها يقولون لك: هل لسلب سلب أنت جاءٍ؟ هل لغنم غنيمة جمعت جماعتك لحمل الفضة والذهب، لأخذ الماشية والقنية، لنهْبِ نهبٍ عظيم.

لذلك تنبأ يا ابن آدم وقل لجوج: هكذا قال السيد الرب: في ذلك اليوم عند سُكنى شعبي إسرائيل آمنين، أفلا تعلم. وتأتي من موضعك من أقاصي الشمال أنت وشعوب كثيرون معك كلهم راكبون خيلا جماعة عظيمة وجيش كثير. وتصعد على شعبي إسرائيل كسحابة تغشى الأرض. في الأيام الأخيرة يكون. وآتي بك على أرض لكي تعرفني الأمم حين أتقدس فيك أمام أعينهم يا جوج.

هكذا قال السيد الرب. هل أنت هو الذي تكلمتُ عنه في الأيام القديمة عن عبيدي أنبياء إسرائيل الذين تنبأوا في تلك الأيام سنينا أن آتي بك عليهم. ويكون في ذلك اليوم يوم مجيءِ جوج على أرض إسرائيل، يقول السيد الرب:إن غضبي يصعد في أنفي وفي غيرتي في نار سخطي تكلمت أنه في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل، فترتعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والدابات التي تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال، وتسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض. واستدعي السيف عليه في كل جبالي. يقول السيد الرب. فيكون سيف كل واحد على أخيه. وأعاقبه بالوباء وبالدم، وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطرا جارفا، وحجارة برد عظيمة، ونارا وكبريتا. فأتعظم وأتقدس، وأُعرَفُ في عيون أمم كثيرة، فيعلمون أني أنا الرب.

وأنت يا ابن آدم، تَنبَّأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك يا جوج رئيس روش ماشك وتوبال، وأردّك وأقودُك، وأصعدك من أقاصي الشمال وآتي بك على جبال إسرائيل، وأضرب قوسك من يدك اليسرى، وأسقط سهامك من يدك اليمنى. فتسقط على جبال إسرائيل، وأنت وكل جيشك والشعوب الذين معك. أبْذُلُك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل على وجه الحقل. تسقط لأني تكلمت، يقول السيد الرب.

وأرسل نارا على مأجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين، فيعلمون أني أنا الرب. وأُعرفُ باسمي المقدس في وسط شعبي إسرائيل، ولا أدع اسمي المقدس ينجَّس بعد، فتعلم الأمم أني أنا الرب قدوس إسرائيل.

ها هو قد أتى وصار، يقول السيد الرب، هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه. ويخرج سكان من إسرائيل، ويُشعلون ويحرقون السلاح والمجان والأتراس والقصيّ والسِهام والحِراب والرماح، ويوقدون بها النار سبع سنين. فلا يأخذون من الحقل عودا، ولا يحتطبون من الوعور، لأنهم يحرقون السلاح بالنار، وينهبون الذين نهبوهم ويسلبون الذين سلبوهم. يقول السيد الرب:

ويكون في ذلك اليوم أني أعطي جوجًا موضعًا هنا للقبر في إسرائيل ووادي عباريم بشرقي البحر، فيسد نفس العابرين. وهناك يدفنون جوجًا وجمهوره كله، ويسمونه وادي جمهور جوج. ويقبرهم بيت إسرائيل ليطهروا الأرض سبعة أشهر. كل

شعب الأرض يقبرون،ويكون لهم يوم تمجيدي مشهورا، يقول السيد الرب:

ويُفرزون أناسا مستديمين عابرين في الأرض، قابرين مع العابرين أولئك الذين بقوا على وجه الأرض تطهيرا لها. بعد سبعة أشهر يفصحون، فيعبر العابرون في الأرض، وإذا رأى أحد عظم إنسان يبني بجانبه صُوَّةً حتى يقبره القابرون في وادي جمهور جوج، وأيضا اسم المدينة همونة، فيطهرون الأرض.

وأنت يا ابن آدم، فهكذا قال السيد الرب:قل: لطائر كل جناح، ولكل وحوش البر: اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتي التي أنا ذابحها لكم ذبيحةً عظيمةً على جبال إسرائيل، لتأكلوا لحما وتشربوا دما. تأكلون لحم الجبابرة، وتشربون دم رؤساء الأرض. كِباش وحُملان وأعتدة وثيران، كلها من مسمَّنات باشان. وتأكلون الشحم إلى الشبع، وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتي التي ذبحتُها لكم. فتشبعون على مائدتي من الخيل والمركبات والجبابرة وكل رجال الحرب، يقول السيد الرب

وأجعل مجدي في الأمم، وجميع الأمم يرون حكمي الذي أجريته ويدي التي جعلتها عليهم».

والآن انظروا وفكروا كيف تنبأ حزقيال النبي حينما لم يكن أحد يعرف روسيا وعندما لم يكن في حسبان أحد أن ستتقدم تقدما تسود به سائر العالم، إنه أخبر قائلا:

يا ملك روش وموسكو وطوبالسك، إن إلهك يقول إنني سأزيدك في أوخر أيام الدنيا قوة ومنعة وعظمة زيادة خارقة حتى أنك في نشوة القوة المتزائدة والشوكة المتوسعة ستسعى الاستيلاء على البلاد الأجنبية، وتحاول استلاب أموالها ودوابها، حتى أنك ستسيطر على فارس أيضا (وهذه السيطرة في طريق التحقق بمطالبة روسيا حقها في منابع فارس). فيا ملك «روش وموسكو وطوبالسك» إنك ستخرج من بلدك لتنهب ثروات البلاد الأجنبية وتستولي على ذهبها وفضتها وتستلب أموالها وماشيتها (وهذا الجزء من النبأ ليدل على أن النظام الاقتصادي الشيوعي هو أشد خطرا للبلاد الأخرى من سائر النظم)، وإنك لتواصل الزحف والهجوم على البلاد الأخرى حتى أنك ستقصد إلى التسلط على أورشليم العازلة عن وسائل الدفاع، وعندئذ سيلتهب غضبي عليك، وأمطر عليك النيران والكبريت، وإنني سأطعنك بالخناجر حتى أمزق فمك وفكيك، وإنني أدمرك وأبيدك، حتى تمتلئ الغابات بجثث أمواتك وسيحفر الناس شهورا لدفنهم.

إنني أعلن للذين لا يعتقدون بالأنباء السماوية، أنه إن لم يكن للدنيا من إله يُطلع أنبياءه على الغيب، فمن الذي أخبر النبي حزقيال قبل ألفين وخمسمائة سنة بأن روسيا ستصير يوما قوة عظمى، وتهجم على البلاد الأخرى لأجل استلاب ذهبها وفضتها، وسوف تغشاها كالسحاب المطبق، ولكن لن يلبث أن يثور عليها غضب الله، فتصير عرضة لعذاب الله حتى تبيد عن آخرها؟ إن التفكير في هذه الحقيقة لا بد وأن يوجه الإنسان إلى الاعتراف بأن الله وحده يخبر بالغيب. فإن كان للدنيا إله واحد، وهو الذي أخبر حزقيال بهذا النبأ الذي ما زال مكتوبا في التوراة، فلا يعني هذا الخبر قبل ألفين وخمسمائة سنة إلا أن الله العليم القدير لا يرضى ببقاء هذا النظام الشوعي في العالم.

نبأ حضرة سيدنا المهدي عليه السلام عن روسيا

والآن استمعوا إلى نبأ جديد، إن سيدنا المهدي عليه السلام قد أخبره الله في هذا العصر عن قيصر روسيا، بأنه سيصاب بعذاب أليم، كما قال حضرته في بعض أشعاره الأردية:

«زار بهي هوگا تو هوگا اُس كَهڑی با حالِ زار»

أي أن قيصر روسيا أيضا سيكون في تلك الساعة العصيبة بحال يرثى لها. فطبق هذا النبأ إن الشيوعيين في روسيا عذبوا قيصر وسيدات عائلته أشد التعذيب، وقتلوه وإياهن شر قتلة بعد الاعتداء عليهن اعتداء وحشيا. وتلك الحوادث الأليمة القاسية لتذوب لها اليوم أيضا قلوب ألد أعداء قيصر وترتعد فرائصهم.

وعلاوة على هذا الخبر قد أخبر الله سيدنا مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام بنبأ آخر وهو كما يلي تعريبه:

«إنني رأيت في ٢٢ يناير ١٩٠٣م بحالة الكشف أن عصا قيصر روسيا بيدي، هي طويلة رائعة الجمال. فأمعنت فيها النظر، فوجدتها بندوقية، ولكنها لا تبدو لي كبندوقية. وفيها أنابيب سرية، فكأنها تبدو بالظاهر كعصا، لكنها بندوقية أيضا» (التذكرة، (مجموعة إلهامات وكشوف سيدنا الإمام المهدي عليه السلام) ص: ٤٢٩).

وإعطاء عصا حكومة في الرؤيا عبارة عن الفوز بالسلطان والسيطرة على تلك البلاد. فكما أن نبأ حزقيال يدل على أن النظام الاقتصادي الشيوعي لن يرضى الله ببقائه في العالم، وأن أصحابه الذين يتولون تنفيذه سيتعرضون لأشد العذاب الذي سيجعلهم عبرة لسائر الدنيا إذا لم يتوبوا إلى الله عن ذلك، ولم يكفوا عن التدخل في شؤون البلاد الأخرى، كذلك فإن حضرة مؤسس الحركة الأحمدية عليه السلام قد أخبر من الله العليم الخبير، بأن نظام روسيا أيضا سيخضع لتصرفنا وسيفوض إلينا القيام بإصلاحه.

هذه الأنباء من قبل إله العالمين، وهي جاءت في حين لم تكن تبدو فيه أية عوامل لظهورها أو تحققها، ولا تبدو لنا الآن أيضا. إن نبأ حزقيال النبي أُلقِيَ إليه قبل المسيح الناصري عليه السلام بستمائة عام حينما لم يكن أحد يعرف روسيا، ولم يكن الممكن أيضا أن يخطر ببال أحد أنها ستنال قوة تتدخل بها في شؤون البلاد الأخرى، وتستولي بها على ذهبها وفضتها. ففكروا الآن أيها المستمعون، ما أعظم هذا النبأ الذي عن روسيا، ثم إنني قد قرأت على مسامعكم النبأ الذي تلقاه سيدنا مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بهلاك قيصر. والدنيا شاهدة على أن نبأه هذا قد تحقق. والنبأ الثاني منه هو أن حكومة روسيا ستطور تطورًا عظيما تنتقل به عصا حكومتها إلى يد حضرة الإمام المهدي المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. لقد رأى سيدنا ومولانا محمد ﷺ أنه أُعطيَ مفاتيح كنوز كسرى وقيصر، لكن تلك المفاتيح أعطيتْ عمرَ رضي الله عنه بدلا منه. فكذلك إن عصا قيصر روسيا، وإن قدِّمتْ في الرؤيا لحضرة مؤسس الحركة الأحمدية عليه الصلاة والسلام مباشرة، ولكن هذا النبأ سيتحقق بواسطة أتباعه عليه السلام، لأن أخبار الأنبياء لا تتحقق كلها بوجودهم، بل إن معظمها يتحقق بواسطة أتباعهم. وهذا النبأ الأخير أيضا سيظهر بهذه الصورة، وليس ذلك بأمر خيالي، بل إننا نتيقن يقينا أكيدا بأن الله قد ولاّنا إصلاح مفاسد روسيا وتعديل نظامها، وسيطبق أهل روسيا بعد إسلامهم يومًا من الأيام النظامَ الذي تمثله الأحمدية، وإن الخطر الشيوعي المتهدِّد سيزول عاجلا أو آجلا، وإن العالم سيتبين أن إصلاح فساد الدنيا وعلاج آلامها منوط بالتعاليم الإسلامية وحدها.

رؤيا أخرى

رأيت في المنام قبل أربعة وعشرين عاما أنني قائم في ميدان واسع، فإذا أنا بجِنِّيٍّ ضخم بصورة أفعى عظيمة تسعى إليّ من بعيد. طولها يتراوح بين عشرة وعشرين ذراعا وعرضها كعرض ساق دوحة عظيمة. ورأيتها تتقدم إلي بسرعة، ويبدو كأنها آتية من نهاية الدنيا، وتأتي على كل ما يعترض طريقها من الأحياء حتى وصلت إلى المكان الذي كنا فيه. فرأيتها وهي تبتلع الناس. وسَعَتْ وراء أحمدي، فأخذ يهرب أمامها وهي تلاحقه. فلما رأيتُها بهذه الصورة طاردتها وبيدي عصا. لكني أشعر في الرؤيا أنني لا أستطيع أن أسعى بسرعة الأفعى، وكلما أخطو نحوها خطوة سبقتني بعشر خطوات، ولكني واصلت السعي حتى رأيت ذلك الأحمدي أنه وصل إلى شجرة فتسلقها بسرعة، وظن أنه سينجو من الأفعى بهذا الطريق، لكنه لم يكد يصل منتصف الشجرة حتى فاجأته الأفعى فابتلعته. فَكَرَّتْ عليّ غاضبة لأني كنت أردت تخليص ذلك الأحمدي منها. ولما هجمتْ علي رأيت بقربي هيكل سرير خشبي غير منسوج. وعندما اقتربت الأفعى إلي، فقزتُ إلى السرير، فقمت على هيكله واضعا كلا من قدمي على جانبيه.

فلما رأى الناس أن الأفعى تقترب إلي قالوا لي: لا يمكنك أن تقاومها، لأن رسول الله ﷺ قد سبق أن قال: «لا يدانِ لأحد بقتالهما». فعندئذ أدركت أن هجوم الأفعى إنما يعني هجوم يأجوج ومأجوج، لأن هذا الحديث النبوي ورد عنهما، وعندئذ أظن أيضا أن هذا هو الدجال أيضا. وخلال ذلك زادت الأفعى اقترابا إلي، فرفعت يدي إلى السماء وأخذت أبتهل إلى الله بالدعاء. وفي هذه الأثناء توجهت للأحمديين الذين منعوني من مقاومة الأفعى قائلين: إن رسول الله ﷺ قد سبق أن قال إنه لا يمكن لأحد في العالم أن يناضل يأجوج ومأجوج، وقلت لهم: إن رسول الله ﷺ إنما قال: لا يدانِ لأحد بقتالها، أي ليست هناك مِن يد تقاومهما، لكنني لم أرفع يدي للمقاومة، إنما رفعتها إلى الله تعالى، ولم ينكر رسول الله ﷺ رفع اليدين إلى الله وطلب الانتصار منه.

فبدأت عندئذ بالدعاء قائلا: أللهم إني لا أملك قوة على مقاومة هذه الفتنة، لكنك مصدر كل قوة وطاقة، إنني أتضرع إليك أن تكشف عنا هذه الفتنة. فلما دعوت الله بهذا التضرع، رأيت أن تغيرا سماويا أخذ يطرأ على تلك الأفعى، وكما تتغير وتذوب الدودة البرية بإلقاء الملح عليها، فأخذت ثورة الأفعى تخف حتى استلقت بهدوء. وعندئذ رأيتها فإذا هي كغدة، فصارت كماء سال وانتهى. فقلت لأصحابي: انظروا الآن، ما أقوى تأثير الدعاء. لا شك بأنني كنت عاجزا عن مقاومتها، لكن الله ربي كان يقدر على تبديد هذا الخطر.

أمر جدير بالذكر

وما ينبغي أن لا يغيب عن بالكم أننا لسنا أعداء لأحد، إنما نحن ناصحون للجميع، ولا نضمر في قلوبنا العداء لأحد، حتى ولا لألد أعدائنا. إنما نريد أن تنتصر الأخلاق الحسنة في العالم وتزدهر الروحانية الدينية، وتتأسس حكومة الله ورسوله. إنما نبغي أن يكون النظام اقتصاديا كان أو سياسيا، ثقافيا كان أو اجتماعيا، يتسع لله تعالى ورسوله الكريم ﷺ، ولا يحول دون اتباع الناس بأحكامها. فإننا لسنا أعداء لروسيا ولا للشيوعية، بل إنني أكن لروسيا المواساة من صميم فؤادي، وإنني لأتمنى أن يتقدم هذا الشعب الذي ظل عدة قرون هدفا للاضطهاد والظلم، وتدول أيامه السود، غير أنني لا أرضى ولا يرضى كل رجل حرّ باتخاذ فلسفة خاطئة أداة لتقدم بعض الشعوب وتأخر البعض

الآخر. فإن اضطلع أحد من النظم العالمية بتعليمات الله ورسوله و صبَّغَ هيئته بصبغة إسلامية، فإننا نرحب به كل الترحيب، لكنه إذا لم يفعل ذلك فأتباع الدين مضطرون لرفضه، لأن أزمة الجوع، وإن كانت أشد الأزمات، لكن الدين هو المتاع الأعز الذي للمؤمن ألا يضحي به في أي وضع كان.

مقتبس

من خطبة لإمام الجماعة الحالي

لقد تحدثت في إحدى خطبي في السنة الماضية، عن سقوط «سور برلين»، مؤكدًا بأن هذا الحدث يُعتبر، بلا مراء، من أهم أحداث هذا القرن. فقد أكدت على ذلك الجرائد أيضا ونشرته بعناوين عريضة.

وقبل أيام كتب إليَّ أحد الإخوة رسالة ملفتًا نظري إلى أمر هام لم أنتبه إليه من قبل، وبعد البحث والتحقيق وجدت قوله صحيحًا. وهذا الأمر الهام أن هدم «سور برلين» تم في يوم الجمعة، وفي العاشر[1] من الشهر الهجري والميلادي كذلك. والعنوان الذي اختارته الجرائد لذكر هذا الحادث هو: الجمعة، اليوم العاشر (FRIDAY, THE 10th).

وهذا أمر مدهش حقا، إذ (أولا) من النادر جدًا اجتماع تاريخ التقويم الهجري والتقويم الميلادي في يوم واحد (أي أن يكون التاريخ العاشر من الشهر الهجري والميلادي في يوم واحد)، و(ثانيا) أن يحصل هذا الاجتماع يوم الجمعة.

واليوم أود تناول هذه الأحداث من الناحية الدينية، وأريد أن أبين علاقتها بجماعتنا.

كل أحمدي صغير وكبير يعرف بأن الله تعالى قد بشّر سيدنا المهدي المسيح الموعود عليه السلام أنه تعالى سوف ينشر أتباعه في روسيا بكثرة حتى لا يُعدَّون كما لا تعد ذرات الرمال. وفي رؤيا أخرى رأى حضرته عليه السلام في يده عصا روسيا. وكل مسلم أحمدي ينتظر تحقق هذه البشارات بفارغ الصبر.

لقد كان حضرة «المصلح الموعود» رضي الله عنه (الخليفة الثاني لسيدنا المهدي المسيح الموعود عليه السلام) يحث الإخوة دائمًا على بذل التضحيات حتى يقرب الله زمن تحقق هذه النبوءات. لقد كانت الظروف عندئذ صعبة، ورغم ذلك تقدم لهذه الخدمة بعض الإخوة، وأود اليوم ذكر بعضهم حتى تعرف الجماعة تاريخها وتذكرهم في دعواتها.

من المجاهدين الأوائل في هذا السبيل هو حضرة المولوي ظهور حسين. توجه هذا المجاهد في شهر يوليو سنة ١٩٢٤ إلى روسيا مع السيد محمد أمين والسيد حضرة صاحب زاده عبد المجيد أحد صحابة سيدنا المهدي عليه السلام. أما الأستاذ صاحب زاده عبد المجيد فقد توقف في إيران للتبليغ هنالك، بينما توجه الآخران إلى روسيا. ولكن حضرة المولوي ظهور حسين مرض في مدينة مشهد، واستمر الأستاذ محمد أمين في السفر إلى بخارا لينتظر هناك وصول المولوي ظهور حسين بعد شفائه من المرض. ولكن شاءت الأقدار أن ألقي القبض على المولوي ظهور حسين على محطة القطار في مدينة (ARTHAK)، وأُودِعَ السجن.

والغريب أن اليوم الذي دخل فيه حضرته الحدود الروسية هو أيضا العاشر من ديسمبر ١٩٢٤. فتلقى صنوف التعذيب من كيّ وضرب في السجن لمدة طويلة لدرجة أنه عندما عاد إلى قاديان كان شبه مجنون. طرده الروس وألقوه إلى الحدود التركية. وأخذه الأتراك إلى السفارة البريطانية، ولما كان مختل الحواس بشدة لما لاقاه من تعذيب، ويكرر كلمة قاديان، قاديان في هذيانه، عرف أحد المسئولين البريطانيين أنه من قاديان في الهند. فأوصلوه إلى هناك.

وزالت علامات الجنون المؤقت بعد مدة، ولكن آثار التعذيب لم تغب من جسمه. وبعد شفائه خدم حضرته على مناصب مختلفة، وألف كتابًا ضمنّه هذه الأحداث التي جرت معه في روسيا.

ولما كان لا يعرف اللغة الروسية عندما سُجن، رأى سيدنا «المصلح الموعود» رضي الله عنه في المنام يقول له: يا ظهور حسين، لماذا لا تبلّغ؟ ففهم الإشارة الربانية، وبدأ يبشر السُجناء بالأحمدية حتى فاز في مرامه. وأول من دخل في الأحمدية على يده كان أحد السجناء، وهكذا أحي حضرته سنة نبي الله يوسف عليه السلام. واسم هذا المسلم الأحمدي الروسي عبد الله خان. كان من أهل تاشقند. وبعد دخوله الأحمدية انجذب إليها غيره من السجناء وقبلوها.

بعد رجوع حضرة المولوي ظهور حسين من روسيا انقطعت

أخبار المسلمين الأحمديين الروس، لأن حضرته لم يستطع ذكر أي شيءٍ عنهم للمركز بسبب مرضه الشديد. ولما شُفي أخبر بإلحاح أن في روسيا أحمديين بل جماعات منهم.

وأول ما قرأتُ عن وجود المسلمين الأحمديين الروس هناك قرأته قبل فترة في موسوعة ألفها أحد العلماء الروس، ذكر فيها وجود المسلمين الأحمديين في روسيا، ولكن صلتهم منقطعة عن مركزهم.

وهنا أود سرد رؤيا رآها حضرة «المصلح الموعود» رضي الله عنه. رأى حضرته في الرؤيا أن اضطرابًا حصل في البلاد اضطرني للهجرة. فهاجرت وفي حضنيابن من «أم طاهر»حتى دخلت حدود بلد آخر. فسألتهم: أي بلاد هذه؟ قالوا: روسيا. فقلت: من القوم؟ فقال لي أحدهم بصوت خافض: لا ترفع صوتك، نحن أحمديون، وكل هذه القرية بل المنطقة أحمدية، ولكننا لأسباب نعيش هنا مختفين. وانتهت الرؤيا إلى هنا.

إذا ألقى المرء نظرًا شموليًا على جميع هذه الأحداث وجد أنها ليست من قبيل المصادفات، بل هي سلسلة محكمة بيد القدرة من حلقات متصلة. فاستئناف العلاقة بين المركز والأحمديين الروس، ثم كشفي الذي رأيت فيه كتابة FRIDAY THE 10th، الجمعة.. العاشر، ثم وقوع هذه الأحداث في يوم الجمعة في اليوم العاشر من الشهر الهجري والميلادي كليهما، مما فتح المجال لنشر رسالة الأحمدية إلى روسيا، ثم اتصال الزعماء والعلماء المسلمين الروس بي مباشرة، كل هذه الأمور تؤكد أنها ليست من قبيل المصادفات. فما من أحد من خلفاء سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أنشأ معه الزعماء والعلماء الروس صلة شخصية. فقد اتصل بي العديد منهم مثلاً الحاج عبد الله ييف (Abdallah Yev)، وزعيم من داغستان، وزعيم من آذربائيجان. ثم أرسل لي الزعماء المسلمون من منطقة (Byello Russia)، رسالة أبدوا فيها فرحتهم باستلام ترجمتنا لآيات مختارة من القرآن الكريم .

إنني إذ أبشركم بأن زمن تحقق النبوءات التي أخبر بها الله تعالى سيدنا الإمام المهدي عليه السلام قد قرب، فإني أذكر بواجباتكم في هذا المجال. إن أوربا الشرقية قد فتحت الأبواب لنشر رسالة الأحمدية (الإسلام الحقيقي)، وحصول هذا الحادث الجلل في السنة التي نحتفل فيها باليوبيل المئوي (١٩٨٩) لأمر مدهش وموجب علينا الشكر لله تعالى. علينا أن نستعد لأداء الواجبات في المجال. عسى الله أن يوفقنا لذلك.

(ملخص من خطبة جمعة يوم ٢٣، ٢، ١٩٩٠)

(١) مع العلم أنه بعد غروب الشمس وبالتحديد بعد منتصف الليل هاجم الناس السور لهدمه، كما نشرت الجرائد، مما يعني أن اليوم الجديد وهو العاشر من الشهر الهجري والشهر الميلادي كان بالفعل قد بدأ. ذلك لأن بداية اليوم الجديد في التقويم الهجري القمري تكون بغروب الشمس، وأما في التقويم الميلادي الشمسي فيبدأ اليوم الجديد بعد منتصف الليل. إذن فاليوم العاشر من نوفمبر ١٩٨٩م، ومن ربيع الثاني ١٤١٠هج هو اليوم الذي تم فيه هدم السور.

الإلحاد إزاء الإيمان

بقلم: الأستاذ المرحوم فيض الرسول
ترجمة: الحاج محمد حلمي الشافعي

الإلحاد إزاء الإيمان بالله يمثل خلافا قديما قدم الدهر. كان هناك دائما مفكرون من ذوي الثقافة العالية.. يؤمنون بوجود الله، منهم أفلاطون وتلاميذه؛ ومفكرون مثلهم من المثقفين أيضا.. يكفرون بوجود الله، منهم أرسطاليس وأتباعه.

وفي الأزمنة القديمة كان هناك جماعة (الرواقيين) المتدينين، وأناس دنيويون، وجماعة (الأبيقوريين) الماديين.. الذين اعتقدوا في أن السعادة القصوى في هذه الدنيا؛ ولكن واحدًا من قمم الإلحاد في عصرنا، سيجموند فرويد، اعتقد بأن السعادة غير ممكنة في هذه الحياة، بسبب التعاسة التي تنجم عن الكوارث الطبيعية وتصرفات الآخرين والأمراض التي في داخلنا، وليس لنا سيطرة على أي منها.

وفي العصور الوسطى آمن جون كالفن وجون هس وجون فوكس بالإله التقليدي، في حين أن فولتير وروسو وتوم باين لم يؤمنوا. وكانت هناك مشادات كبيرة بين ملحدي القرن التاسع عشر: ماركس وداروين وهكسلي وبين آباء الكنيسة. أما شارلز برادلو، عضو البرلمان ورئيس الجمعية العلمانية البريطانية.. فقد تحدى في اجتماع عام أن يضر به (الرب) بصاعقة في مدى خمس دقائق، وأثبت بذلك أن (الرب) غير موجود!

ولا تزال الأمور على حالها. هناك أصحاب الفلسفة الإنسانية التي تقول بقدرة الإنسان على تحقيق الذات من طريق العقل، وترفض الإيمان بأية قوة خارقة للطبيعة، والملحدون موجودون في بريطانيا وبلاد الغرب؛ كما يوجد المسيحيون المؤمنون بالرب.

وفي مقدمة الملحدين في بريطانيا اليوم (١٩٨٤م).. البروفسور جون أليجرو، فقيه اللغة ومؤلف كثير من الكتب. وعلى رأس المؤمنين في بريطانيا الآن.. حضرة مرزا طاهر أحمد، الخليفة الرابع للحركة الإسلامية الأحمدية، الكاتب العظيم الذي يتقن عدة لغات.

ومع علمنا بوجود المتعصبين بين كل من المتدينين والملحدين، فسنحاول أن ننقل إليكم جانب القضية بنزاهة. ووجود (الرب) أو عدم وجوده مسألة مهمة، لأنه لو كان هناك (رب).. بينما نعيش ونرتب أمور حياتنا الدنيوية على أساس أنه لا (رب) هناك.. لكنَّا جالسون فوق فوهة بركان حي.. والعكس صحيح.. ولعلنا نجلس بالفعل فوق البركان.

يبتدئ الملحد العصري الموضوع قائلا: لقد تخيل الإنسان البدائي وجود الآلهة عندما هاجمته الظواهر الطبيعية كالعواصف والزلازل والطوفان. وقد تتطورت فكرة الآلهة القديمة إلى التوحيد في العصور المتأخرة مع ارتقاء الفكر البشري. ونظرًا لأنه لم يرو إنسان بدائي ما تخيله إلى أحد من الملحدين العصريين.. فإن هذا من جانب الملحد (تَخَيُّل) لما (يُفترض) أن (تخيَّلَه) الإنسان البدائي.

وفي مقابل ذلك، تعلّم المسلمون من القرآن أن الله تعالى أرسل الأنبياء إلى كل الأقوام، ودعوا إلى إله ونادوا بإله واحد فرد. بيد أن الأقوام اتجهوا بعد ذلك نحو تعدد الآلهة. وهذا يمكن التحقق منه، فقد اعتقد الصينيون أصلا في التوحيد ثم صاروا إلى التعدد فيما بعد. فمنذ أكثر من ٢٥٠٠ عام خلت، كان الطاويون الصينيون في الموحدين. وليس (طاو) في الحقيقة سوى ما يسمونه في الغرب (الرب). طاو واحد، البداية والنهاية، كل شيء من قبضته، وإليه يرجع كل شيء. (من كتاب: إيقاع الحياة). كانت الهندوسية في بدايتها توحيدية، ولكن الهندوس أخذوا بالتعددية في الأزمنة المتأخرة. ودعا أخناتون (١٣٧٥ إلى ١٣٥٨ ق.م) في مصر إلى التوحيد، ولكن الكهنة الذين أخذوا بالتعدد قمعوه.

ويعتقد المسلمون بأن القرآن هو الكتاب الذي يحوي كلمات الله التي أوحاها للنبي محمد ﷺ؛ وأن الكون الذي يحوي الأشياء والأحداث التي خلقها الله هو أيضا قرآن. والاثنان لا ينفكان يتطابقان، ويؤيد كل منهما الآخر؛ وما يقوله قرآن منهما سوف يحدث في العالم الآخر. ومع أن الديانات والكتب المقدسة جاءت أصلا من الله، إلا أنها أصابها التحريف فيما بعد، وقد نسخها الله بالقرآن.

يقول جورج سيل لترجمة القرآن عام ١٧٣٤:

«لا أجدني بحاجة إلى الاعتذار لنشر هذه الترجمة، أو السعي للتدليل على أنها عمل ذو نفع، وأيضا من باب حب الاستطلاع.

والذين يتوجسون من أي خطر من مثل هذا الزيف البين.. لا بد وأن لديهم رأي وضيع عن الدين المسيحي، أو أن جذورهم فيه ضعيفة. ولن أبحث هنا عن الأسباب التي جعلت شريعة محمدﷺ تلاقي مثل هذا اللقاء الذي لا مثيل له في الدنيا (لأن الذين يتصورون أنه انتشر بالسيف وحده وقعوا في خدعة كبيرة)، ولن أبحث عن الوسائل التي جعلت أمما تعتنقها مع أنها لم تشعر بقوة الأسلحة المحمدية، بل وأممًا جرَّدت العرب من فتوحاتهم، وقضت على سيادتهم، وحتى خلفائهم. لكن يبدو أن هناك شيئا ما فوق ما يتصوره العامة عن ديانة حققت ذلك التقدم المدهش.. وأيضا كي نتمكن من كشف هذا الدجال بدرجة فعالة... لقد نجح البروتستانت وحدهم.. في مهاجمة القرآن، ومن ثم حفظت لهم العناية الإلهية مجد هزيمتهم».

بعد قراءة ترجمة (سيل) كتب المؤرخ إدوارد جيبون قائلا: «بروح الحماس أو الغرور.. يعلق النبي صدق رسالته على فضل كتابه؛ يتحدى الإنسان والملائكة أن يأتوا بمثل جماله صفحة واحدة منه، ويتجاسر فيؤكد أن الله وحده الذي يستطيع أن يملي مثل هذا الكلام الذي لا نظير له. ومثل هذا الحوار يُوجَّه بكل قوة إلى العربي الورع، الذي تهيأ عقله مع الإيمان والنشوة، والذي يبتهج أذنه لموسيقا الألحان، والذي لا يمكن جهله من تمييز نتاج النبوغ البشري. فالانسجام والوفرة في الأسلوب لن تصل من خلال الترجمة إلى الأوروبي الكافر. إنه سيقرأ بصبر نافذ ملحمة لا تنتهي من الخرافة والوصايا والخطابة، نادرا ما تثير عاطفة أو فكرة، والتي تزحف أحيانا في التراب، وأحيانا أخرى تضل في السحاب. إن الصفات الإلهية تسمو بخيال المبعوث العربي؛ ولكن أسمى ألحانه لا بد وأن يذعن للبساطة الرفيعة في سفر أيوب الذي أنشئ منذ زمن بعيد، في نفس الإقليم وبنفس اللغة.

إذا كان القرآن يفوق ملكات الإنسان، فإلى أي ذكاء علوي تنسب الِياذة هوميروس، وخطب ديموستين الفيليبية؟ مقتبسة عن (القرآن، تبسر أربري وألن وأيون).

وفي مقدمة القس روديول لترجمة القرآن (١٨٦١م) قال:

«وفي اتصال وثيق بالملاحظات السابقة.. تقف مسألة إخلاص محمد وصدق غرضه من تقدمه كرسول لله. فلو أنه كان حقا الشخص الأمي كما يتمثله المسلمون.. لتعذر التهرب من استنتاجهم بأن القرآن معجزة قائمة.. كما يؤكدون. ولكن، من ناحية أخرى، لو كان القرآن كتابا مزيجا من عدة مصادر، وبعون خارجي كثير، ونُشر على أنه وحي إلهي.. لكان مؤلفه مستحقا على الفور لتهمة الدجال الأعظم، بل والكفر الشرير. وتبين الدلائل بالأحرى أن محمدًا في كل ما فعل وكتب كان مدفوعًا برغبة مخلصة لتحرير قومه من وثنيتهم المُحطة.. وأنه كان متحركا برغبة قوية لإعلان الحقيقة العظمى بوحدانية الله التي ملكت عليه روحه كلية، وأن النهاية المستهدفة بررت لعقله الوسائل التي اتخذها في إنشاء سُوَره، وأنه شَغَل نفسه باعتقاد أنه تلقى نداء الله، وأنه حُمل بفضل قوة الظروف والنجاح المتزايد بالتدريج إلى تصديق نفسه بكونه رسول السماء المفوض».

وبسبب نجاحات العلم العظيمة ونشاطه في القرن الماضي وشطرا من هذا القرن، اعتقد أهل أوروبا أن بوسع العلم معالجة كل شيء، يجعل الدنيا أفضل، وينقذ البشر، ويجيب على كل الأسئلة؛ وأن الرب ميت، فقد قتله العلم. وهذا لم يعد صحيحا. فهناك علماء بارزون لا يؤمنون بالله، وهناك علماء أجلاء آخرون يؤمنون بالله. فممن لا يؤمنون هناك البيولوجي هالدين، والفيزيائي برنال، والبيولوجي هكسلي وغيرهم. ومن المؤمنين الفيسيولوجي الطبي هوروبين، والذري ولترهيتلر، والفلكي هوويل وغيرهم. لا يستطيع العلم أن يثبت أو ينفي وجود الله، لأن العلم يستطيع فقط التعامل مع المادة الخاضعة للقياس. وبذلك يكون القرآن هو كتاب العالم، والإسلام هو دين العالم، ومحمدﷺ هو نبي العالم. أما العالم المسيحي، سواء منهم المتدينون أو العلمانيون المحدثون.. فإنهم يسخرون من كل ذلك.

وسوف نقتبس مقتطفات عن مختلف الكتاب المعروفين.. منها ما يؤيد، ومنها ما يعارض القرآن والإسلام والنبي محمدًاﷺ.

أول ترجمة للقرآن إلى اللغة الإنجليزية قام بها الكسندر روس عام ١٦٤٧م، يتوجه في مقدمتها إلى القراء المسيحيين فيقول:

«لطالما تضافرت فرق وهرطقات كثيرة ضد الحق. ولما وجدت محمدًا لا يصمد للاختبار، رأيت من الخير أن أكشف عن حقيقته، فإنك إن رأيت عدوك بحجمه الكامل أخذت أهبتك لمواجهته، وترجو الغلبة عليه. ولعلك تجفل إذ تراه يتكلم الأنجليزية، كما لو أنه قد غزا الأمة، ولكنك سرعان ما تتخلص من هذا الخوف وتحس بالسعادة.. إذا فكرت في أن القرآن (وهو أساس الدين التركي) قد ترجم من قبل إلى كل لغات العالم المسيحي (أكثرها شيوعًا على الأقل كاللاتينية والإيطالية والفرنسية إلخ،) ولم يكسب أتباعا قط.. حيثما لا يسود السيف، وهو أقوى حججه وأمضاها...

«ولسوف تجده (أي القرآن) فجًا، متعارضا، حشوه المتناقضات والهرطقات والقول الفاحش والخرافات السخيفة.. ومع كونه سمًّا لوث جزء كبيرا، هو الأقل حصافة، من العالم، فسوف ينقلب ترياقا يقوي الإيمان بالمسيحية».

وأول إنجليزي أثنى على القرآن هو «توماس كارليل»، صاحب (الأبطال وعبادة الأبطال)، في كتابه «البطل النبي: محمد الإسلام»، ١٩٤١م، كتب يقول:

«... لقد اخترنا محمداً، ليس بوصفه أبرز الأنبياء، وإنما بوصفه الواحد الذي نكون أكثر حرية في الكلام عنه. وهو ليس أصدق الأنبياء على الإطلاق، ولكن أحسبة صادقا.

«وبالإضافة إلى ذلك، فما دام ليس هناك خطر على أحد منا أن يصير «محمديا»، فأنى عازم على قول كل شيء حسن أستطيع قوله عنه بإنصاف. وهذا هو السبيل للتوصل إلى سره. هيا نحاول فهم ما ذا أراد محمد لهذا العالم، فيتضح لنا أكثر الجواب عن ماذا أراد العالم، وما يريد منه.

«وفكرتنا الحالية عن محمد أنه كان دجالا ماكرًا، والباطل متجسدا، وأن دينه كومة من الشعوذة والسخافة المحض، ولا يمكن لأحد أن يتمسك بها. إن الأكاذيب التي كدّسها الحماس المتعمد ضد هذا الرجل.. عار وخزي لنا وحدنا...

«ومن الغريب حقا أن المرء إذا بحث عن «التناقضات في الذوق القومي»، فهناك أبرز مثال لها! فبوسعنا أن نقرأ القرآن؛ وترجمتنا التي قام بها (سيل) معروفة بأنها ترجمة أمينة. ويجب عليَّ القول بأنها أشد ما قرأته مشقة على نفسي.. فهي خليط مضطرب مضجر، فج، تكرار لا ينتهي، وهراء، تعقيدات أشد الفجاجة، incondite؛ وبالإجمال هو بلاهة لا سند لها. ولو لا الإحساس بالواجب لن يستطيع شيء أن يحمل الأوروبي على قراءة القرآن. إننا نقرأه كما نقرأ في الأوراق الحكومية حيث توجد أكوام من سقط المتاع غير المقروء، قد نجد فيها بعض لمحات من رجل له شأن. الحقيقة أننا نأخذه مأخذ العيوب، ويرى العرب فيه منهجا لهم أكثر ما نجد...

«... ولكن ينبغي القول بأن حب العرب له بهذه الدرجة ليس أمرًا غامضا. فلو خلصت رأسك من هذه الجلبة القرآنية المربكة المشوشة، وأزحتها خلف أذنيك بمسافة كافية، بدأت سمته الجوهرية تتضح. وفي هذا ميزة تختلف تماما عن سمته الأدبية. فإذا جاء الكتاب من القلب، فإنه لا يزال يصل إلى قلوب الآخرين، وتكون قيمته الفنية والصناعية عندئذ قليلة بالمقارنة إلى الأخرى. ويمكن القول بأن الخاصية الأساسية للقرآن هي أصالته ومصداقيته...».

ونقتبس هنا عن ه. ج ويلز.. الكاتب الذي أحب الإسلام ولكنه لم يحب نبيه، من كتابه (مختصر التاريخ) Outline of History، وعن برناردشو الكاتب الذي أحب النبي لأسباب تختلف عن تلك التي لدى المسلمين، من كتابه (مغامرات البنت السوداء بحثا عن الإله).

قال ويلز:

«كان للإسلام حتى اليوم أساتذة ومدرسون ووعاظ، ولكن ليس له قس. كان مفعما بالعطف والسماحة والإخاء. كان دينا بسيطا مفهوما. كان مشبعا بمشاعر الشهامة البدوية، ووصلت جاذبيته مباشرة إلى أكثر الغرائز شيوعا في تكوين الإنسان العادي. وبإزاء الإسلام كانت اليهودية الشوهاء.. التي أخذت من الإله ذخيرة للعنصرية؛ والمسيحية التي تدعو إلى تثليث وعقائد وهرطقات لا يستطيع الإنسان العادي أن يعرف لها رأسًا من قدم؛ ومزدكية، هي دين زرادشت المجوسي الذي أوحى بصلب (ماني).

«معظم الناس الذين وصلهم تحدي الإسلام لم ينزعجوا بكون محمد من أهل الهوى أم لا، أو أنه فعل بعض الأفعال الماكرة المريبة، وإنما الذي أعجبهم كان ذلك الإله الذي دعا إليه محمد: الله، الذي كان بحسب معيار الضمير في قلوبهم.. إلها للبر والخير؛ وأن القبول المخلص لعقيدته وطريقته فتح الباب واسعا.. من عالم الشك والخيانة والتمزق الذي لا يحتمل، إلى أخوة عظيمة متنامية بين رجال أمناء على الأرض، وإلى جنة ليست لتدريبات الحمد والعبادة.. يتبوأ فيها القديسون والكهنة والملوك الممسوحون الدرجات العلى، وإنما جنة من الرفاق المتساوين، والمباهج البسيطة المعقولة.. التي طالما اشتاقت إليها نفوسهم. لقد أدخل محمد تلك العقائد الجذابة إلى قلوب البشر من دون رمزية غامضة، وبغير ظلمات الهياكل والمذابح وترانيم الرهبان..».

وقال برنارد شو:

«أسس محمد الإسلام بعد يسوع بستمائة عام. وتقدم بخطوات واسعة، من وثنية خالصة للعجز والصنم.. إلى عقيدة التوحيد، متحررة متنورة للغاية. ومع أنه مات فاتحا منتصرا، ونجا بذلك من أن يكون المشهد الرئيسي في غرفة الرعب العربية، فإنه وجد من المحال حكم العرب من دون إغرائهم وتخويفهم، بوعد الحياة البهيجة للمؤمنين، وتهديد بالعذاب المرعب للأشرار.. ذلك بعد الموت الجسدي. ثم وبعد احتجاج صادق من جانبه، قبل ما أضفاه عليه أتباعه المؤمنون بالخرافات الصبيانية من صفات خارقة للعادة، وبسبب ذلك يتطلب الأمر إعادة اكتشافه في طبيعته الحقيقية قبل أن يرجع الإسلام إلى الأرض كدين حي».

وفي كتاب (معاني القرآن المجيد)، وهو ترجمة تفسيرية بقلم محمد مارماديوك بيكثال، جاء بالمقدمة:

«الغرض من هذا العمل أن يقدم للقراء الأنجليز ما يعتقده المسلمون في أنحاء العالم عن مدلول كلمات القرآن وطبيعة ذلك الكتاب.. في لغة موجزة بعيدة عن عدم اللياقة، مع نظرة إلى

متطلبات المسلمين الأنجليز. ومن المعقول الاحتجاج بأنه لا يمكن لكتاب مقدس أن يحظى بتقديم عادل على يد من لا يؤمن بوحيه ورسالته؛ ولكن هذه أول ترجمة أنجليزية للقرآن قام بها رجل أنجليزي مسلم. وتحتوي بعض الترجمات على تعليقات تنفر المسلمين، كما أنهم كلهم تقريبا.. يستخدمون أسلوبا يتعرف عليه المسلمون على الفور، ويجدونه جائرا غير لائق.

«ويعتقد الشيوخ السلفيون أن القرآن لا يمكن ترجمته، وهذا أيضا ما يراه الكاتب. وقد قدم الكتاب هنا بطريقة حرفية تقريبا، وبذل كل ما في الجهد لاختيار اللغة اللائقة. ولكن ثمرة كل ذلك ليس القرآن المجيد.. تلك السمفونية الفريدة، التي تحرك نغماتها دموع الناس ووجدهم. إن هذا العمل محاولة لتقديم معاني القرآن، وربما شيئا من جماله، باللغة الأنجلزية، ولا يمكن أبدا أن تحل هذه الترجمة محل القرآن في لغته العربية، ونحن من جانبنا لم نرد ذلك».

وكتب البروفسور أرثر أربري في كتابه (تفسير القرآن):

«القرآن، كتاب المسلمين المقدس، يضم في سوره المائة وأربع عشرة مجموع الوحي الذي يُعتقد بأنه تنزل على النبي محمد، بوصفه التعبير النهائي لمشيئة الله ومراده للإنسان. وقد تلقى هذا الوحي بطريقة خارقة، في أحوال تشبه الغشيان.. وذلك على مدى سنوات عديدة، وفي دفعات.. كانت السورة الأولى (رقم ٩٦) عام ٦١٠م، والأخيرة قبيل موت محمد عام ٦٣٢م.

«وليس من المتقين تسجيل نص القرآن كاملا في حياة النبي، فقد قيل إنه كان أميا، وأنه لم يزد عن تلاوة الكلمات التي تلقاها من السماء. وفيما عدا تعديلات إملائية محدودة، أريد بها إزالة اللبس وتسهيل قراءة النص الأصلي.. فإن القرآن المطبوع في القرن العشرين مطابقٌ تماما للقرآن الذي أجازه الخليفة الثالث عثمان منذ أكثر من ١٣٠٠ عاما.

«وفي محاولتي هذه.. التي أسعى بها إلى تحسين أداء من سبقوني، وتقديم شيٍ مقبول يعكس صورة، ولو باهتة، للبلاغة العربية الرفيعة القرآنية.. جهدت كثيرا لدراسة النغمات الغنية المتداخلة، والتي إلى جانب الرسالة نفسها، تساند القرآن في دعواه التي لا تُنكر كواحد من أعظم الروائع الأدبية.

«وقمت بهذه المهمة دون ما تهاون، رغم ما كنت فيه من كرب شديد، ووجدت فيها مواساة ومؤازرة بحيث لا ينفك الكاتب ممتنا لها. ولذلك يعترف الكاتب بامتنانه لتلك القوة.. أيًا كانت.. والتي ألهمت الإنسان والنبي.. فكان أول من تلا هذه الصحف المقدسة.

«وأتمنى لهذه الترجمة.. التي تمثل صدًى ضعيفًا للأصل المجيد.. أن ترشد القاريٍ وإلى حد ما، أن تلهمه».

ونقرأ في كتاب مارتن لنجز (ما هي الصوفية؟)

«كان من عادة الصوفي الأندلسي العظيم، محي الدين العربي، أن يدعو بدعاء يقول في أوله: اللهم أدخلني في محيط وحدانيتك اللانهائي. وفي التعبير الصوفي، يُذكر هذا (المحيط) مرارا وتكرارا على سبيل الرمز إلى الغاية التي يتجه إليها طريقهم.

«دعنا إذن نبدأ القول، اعتقادًا على هذا الرمز، في الجواب على سؤال: ما هي الصوفية.

«من حين لآخر ينساب الوحي في موجة مدّ عظيمة.. من محيط اللانهائية إلى شطآن دنيانا المحدودة؛ والصوفية هي المعرفة وقواعد السلوك وعلم الغوص في إحدى هذه الموجات، عند انحسارها والذهاب معها وهي تنسحب إلى مصدرها السرمدي اللانهائي.

«وإذا كان السؤال بالإشارة إلى رمزيتنا الأساسية.. إلى أين تأخذ الموجة المدية، فيكون الجواب أنها تأخذ إلى ما هو من أسلوب كل كتاب.. والقرآن بالتحديد..

«ومن خصائص القرآن.. وهو الوحي الأخير.. أن يبدو أحيانًا كما لو كان شفافا كي يتألق الوحي الأول من خلال آياته؛ وهذا الوحي الأول، وأعني كتاب الطبيعة.. ينتمي لكل إنسان...».

ويكتب فرثجوف شون Frithjol Schuon في كتابه (فهم الإسلام Understanding Islam):

«القرآن كالدنيا.. واحد ومتعدد في نفس الوقت. فالدنيا تعدد يشتت ويفرق، والقرآن تعدد يقرب معًا ويقود إلى الوحدة. فتعدد الكتاب المقدس، ينبوع كلماته وعباراته وصوره وقصصه، يملأ الروح ثم يستغرقها دائما في «براعة إلهية»!

ويكتب العالم الفرنسي موريس بوكاي Maurice Bucaille، في كتابه (الكتاب المقدس والقرآن والعلم، ص ٨ و٩، ١٥٠ و١٥١):

«كانت دراستي الأولى للوحي القرآني بروح موضوعية تماما وبدون أفكار مسبقة. كنت أبحث عن درجة الانسجام بين النص القرآني وحقائق العلم الحديث. وعرفت من ترجمات القرآن أنه كثيرا ما ألمح وأشار إلى كل أنواع الظواهر الطبيعية، ولكن معرفتي عنه كانت معرفة موجزة فحسب. ولقد درست النص العربي عن قرب، ودونت قائمة بهذه الظواهر، وفي نهاية الأمر كان عليّ الإقرار بما بين يدي من دليل: فالقرآن حقًا لا يحتوي عبارة واحدة تلقى اعتراضا من وجهة النظر العلمية الحديثة.

«وأعدت الدراسة ذاتها على العهد القديم والأناجيل بنفس النظرة الموضوعية. في العهد القديم، لم أجدني بحاجة للمضي بعد السفر الأول (التكوين).. كي أجد عبارات لا تساير بالمرة حقائق العلم الحديث.

«وبمجرد فتح الأناجيل يواجه المرء مشكلة خطيرة على الفور، إذ في الصفحة الأولى نجد نسب يسوع. ولكن المتن حول هذا الموضوع في إنجيل متى يتعارض مع نظيره في إنجيل لوقا.

«وهناك مشكلة إضافية، فبيانات إنجيل لوقا عن إنسان العصور القديمة لا تتوافق مع المعارف الحديثة.

«وللوحي القرآني تاريخ يختلف أساسا من الكتابين الآخرين. لقد امتد لفترة تزيد على عشرين عاما، وبمجرد أن تلقاه محمد من رئيس الملائكة جبريل.. تعلمه المؤمنون عن ظهر قلب. كما أنه دُون في حياة محمد. وأنجز المراجعة الأخيرة للقرآن بتوجيه الخليفة عثمان بعد وفاة النبي باثني عشر عاما، وتمت بعده بأربعة وعشرين عاما. وكان لديهم ميزة المراجعة على يد أناس حفظوا النص عن ظهر قلب؛ لأنهم تعلموه وقت وحيه وتلوه بعدئذ على الدوام. ونظرا لذلك فإننا نعلم أن النص قد حفظ بحرص ودقة، ولا يتسبب في أي مشكلة من جهة بأصالته.

«ويلي القرآن الكتابين الموحى بهما من قبله، ومع سلامته من التناقضات في رواياته.. فهناك علاقات متعددة على التلاعب البشري من الأناجيل.. ولكنه يكشف عن نوعية خاصة به وحده لمن يدرسون بطريقة موضوعية وعلى ضوء العلم.. أعني توافقه التام مع معطيات العلم الحديث. وفوق ذلك فهو يحتوي على تقريرات تتصل بالعلم، (كما سبق عرضه، ومع ذلك فلا يتطرق التفكير إلى أنها من تأليف رجل من عصر محمد. ويتيح لنا العلم الحديث أن نفهم آيات معينة من القرآن كان المستحيل تفسيرها.

«والمقارنة بين عديد من الروايات الكتابية والقرآنية في نفس الموضوع تكشف عن وجود فروق أساسية بين الروايات الكتابية، وهي غير مقبولة؛ وتكشف أيضا في القرآن عن بيانات متفقة تماما مع الحقائق العلمية الحديثة. وهكذا كان الحال في مسألة خلق العالم والفيضان مثلا. وقد جاء في القرآن تكملة لموضوع «الخروج Exodus» في الكتاب المقدس. وهي تكملة مهمة للغاية.. حيث تتفق النصوص إلى درجة كبيرة مع الاكتشافات الأثرية التي ترجع إلى زمن موسى. وإلى جانب ذلك، هناك اختلافات هامة بين القرآن والكتاب المقدس حول موضوعات أخرى، وهي تدحض كل المزاعم العارية من أي أثر لدليل.. والقائلة بأن محمد قد نقل عن الكتاب المقدس ليؤلف نصوص القرآن.

«وعندما أجريت دراسة مقارنة للتصريحات المتعلقة بالعلم الموجودة في مجموعة «الأحاديث» المنسوبة إلى محمد، (وهي ظنية الثبوت، وإن كانت تعكس عقيدة عصرها).. والبيانات المشابهة في القرآن، فإن البيان يبدو واضحا حتى إنها تستبعد أي فكرة عن وجود أصل مشترك.

«وبالنظر إلى مستوى المعرفة زمن محمد.. لا يمكن تصديق نسبة البيانات القرآنية المتصلة بالعلم إلى عمل الإنسان. وفضلا عن ذلك يحق تماما اعتبار القرآن تعبيرًا عن الوحي، وأن يُمنح منزلة خاصة جدا.. بناء على ما يتميز به من توثيق مضمون، وما يقدمه من بيانات علمية.. إذا درست اليوم قامت تتطلب التفسير بعبارات بشرية». (Science in God, P 74)

إن العقبة أو الحائل الحقيقي أمام الملحدين أو العقلانيين من كل صنف هو الوحي الإلهي، أن يتكلم الرب مع رسله المصطفين. ولقد قلنا من قبل، ونعيده هنا أن نجاح العلم العظيم في القرن التاسع عشر وما بعده.. جعل العلماء والمثقفين يعتقدون أن بوسع العلم، إذا أعطى الوقت الكافي أن يجيب على كل تساؤل، ويعالج كل المشاكل، وينقذ البشرية. وهذا لم يعد صحيحا بعد. ومنذ العلم الذري.. صارت مقاييس الأشياء التي يعتمد عليها العلم مستحيلة. وهذا يسدل الستار على مزاعم العلم. يقول برناردشو Bernard Show:

«قد يكون المعمل جنة الأحمق أو جحيم المتشائم: فقد هُيئ ليكون واحدا من الاثنين. قد يوصد باب في وجه المتافيزيقا: بما فيها الشعور، والهدف، والعقل، والتطور، والخلق، والاختيار، وأي شيء آخر يواجهنا من شتى نواحي عالم الحقيقة. ولأن العلم لم يكتشف فرقا كيميائيا بين الجسد الحي والميت، وإنما هو فارق السلوك فحسب، فقد يفترض العلم أنه ليس هناك فرق، وقد يلغى كل الحقائق التي تتفق مع الإصرار الفيزيائي على أنها أوهام متافيزيقية. وباختصار، فإنه سوف يحول نفسه إلى سخافة باسم العلم بحروف كبيرة». (Everybody's political What's What? 1944, p190)

كتب البروفسور دافيد هوروبين: (David F. Horrabin, Science is God)

«أجمل هيزنبرج Heisenberg، المشاكل في مبدئه الشهير «مبدأ الشك» الذي صاغه عام ١٩٢٧... هناك عائق أمام المعرفة يبدو من المستحيل الذهاب فيما وراءه، ليس لأي سبب وإنما بسبب نظري لا يمكن اجتنابه. ليس بوسع الإنسان أن يعرف كل ما هنالك ليُعرف عن الذرة وتركيبه».

فإذا كان الإنسان لا يعرف كل شيء عن المادة، فهناك احتمال أقل ليعرف ما وراء المادة.. كالوحي الإلهي على سبيل المثال.

وفي أحد كتُب برنارد شو لمناقشة شئون الإنسان.. وصل إلى نقطة معنية وقال: هذا القدر الذي إليه عقلنا».

وفي سنواته الأخيرة أثناء الحرب العالمية الثانية كتب ه. ج. ويلز (H.G. Wells)، كُتيبا اسمه «العقل عند غاية طاقته» (The Mind at The End of its Tether?)

ويدل هذان التصريحان على أن هناك «منطقة» لا يستطيع ذكاؤنا المنطقي أو عقلنا أن يتوغل داخلها. وعندما نتحدث عن الوحي الإلهي فإننا نتحدث عن أخبار النبوات القادمة من «منطقة» الغيب إلى رسله المختارين، أو الأنبياء، من وسطنا.

ها نحن نحكي بإيجاز عن الكون.. كيف بدأ، والهدف من خلقه، وما هي نهايته.. بأخبار من القرآن أو أقوال النبي محمد ﷺ (الحديث):

«كان الله كنزا مخيفا فأراد أن يُعرَفَ». فكان لا بد من خلق الإنسان، متصفا بالادراك حتى يعرف الله أو يُنكر وجوده، ومن ثم كان الكون الضرورة العظمى.. وإن كان ذلك «لأجل محدود». وكذلك الإنسان كائن ليعرف الله، ويعبده، ويرجع إليه في الحياة الآخرة.. تلك المنطقة الغيبية التي أسلفنا ذكرها. الإنسان في هذه الحياة في طريق وعركي يكتسب لنفسه ممرا إلى الجنة في الحياة الأخرى. ويمكن له ذلك باتباع تعاليم خالقه وربه، تماما كما نتبع توجيهات صانع أي آلة مثلا، كي نحصل على أفضل النتائج؛ توجيهات الله تعالى، ويوم الدين، وحياة التقوى في هذه الدنيا.. بهذه الطريقة يمكن للإنسان أن ينال تذكرته إلى الجنة في الحياة الآخرة، وعلى ذلك يقوم مجتمع إنساني في هذه الحياة الدنيا.

لقد خلق الله الإنسان من «جوهر الطين»، ثم سلالته من «ماء دافق». هؤلاء السادة من الماء الدافق، والذين يسمون البشر تأدبا.. بدلا من اتباع أوامر الله تعالى، يتبعون أهواءهم ونزواتهم ويعيشونها، مما أدى إلى عالم ظالم، صخاب إجرامي. وكم سيد في «ماء دافق» شب ليكون عدوا لله.. ثم تتساقط أسنانه، ثم يضمر، ثم يصير عجوزا أخرق.. وينسى تماما أنه كان ذات مرة يترافع في القضية ضد الله تعالى.. قبل أن يجرّه ملك الموت ليقف بين يدي الله. هذه هي قضية الجنس البشري.

والآن نقتبس فقرة أو اثنين على كل موضوع من القرآن الكريم. (القرآن، تفسير أربري، ناشر جورج آلن وآنون، ١٩٥٥، The Koran, interpretted by A.J. Arberry, published by George Allen & Unwin Ltd 1955.

يقول القرآن الكريم عن الله تعالى:

[بسم الله الرحمٰن الرحيم * قل هو اللهُ أحدٌ * اللهُ الصمَدُ * لم يلِدْ ولم يُولَد * ولم يكن له كُفوًا أحدٌ *] (سورة الإخلاص).

[اللهُ لا إلهَ إلا هُو الحيُّ القيُّوم لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ له ما في السمٰوٰت وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يُحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كُرسيُّه السمٰوٰتِ والأرضَ ولا يئودُه حفظُهما وهو العلي العظيم *] (سورة البقرة: ٢٥٥).

وعن الخلق يقول الله تعالى:

[الله الذي رفع السَّمٰوٰتِ بغير عمدٍ ترونها ثم استوى على العرشِ وسخَّر الشمسَ والقمرَ كلٌ يجرى لأجلٍ مسمًّى يُدبر الأمر يُفصلُ الأيٰت لعلكُم بلقاءِ ربكم توقِنون * وهو الذى مدَّ الأرض وجعَل فيها رٰوسِيَ وأنْهٰرًا ومن كلِّ الثمرٰتِ جعلَ فيها زوجينِ اثنينِ يُغشى الَّيلَ النَّهارَ إنَّ في ذلك لأيٰت لقومٍ يتفكرون * وفي الأرض قطعٌ متجٰورٰتٌ وجنّٰتٌ من أعنٰبٍ وزرعٌ ونخيلٌ صِنوانٌ وغير صنوانٍ يُسقٰى بماءٍ وٰحدٍ ونُفضِّلُ بعضَهَا على بعضٍ في الأُكلِ إن في ذلك لأيٰت لقومٍ يعقلونَ *] (سورة الرعد: ٣ إلى ٥).

وعن خلق الإنسان يقول:

[يٰأيها الناسُ إن كُنتم في ريبٍ من البعثِ فإنَّا خلقنٰكم من تُرابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم من مُضغةٍ مخلَّقةٍ وغير مخلَّقة لنُبين لكم ونُقرُّ في الأرحام ما نشاءُ إلى أجلٍ مُسمى ثم نُخرِجكم طفلاً ثم لِتبلُغُوا أشُدَّكم ومنكُم من يُتوفى ومنكم من يُردُّ إلى أرذلِ العُمر لكيلا يعلم من بعدِ علمٍ شيئًا وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتَّزت وربَتْ وأنبتَتْ من كل زوج بهيجٍ * ذلك بأنَّ الله هو الحقُّ وأنهُ يُحي الموتٰى وأنَّه على كل شيءٍ قديرٌ * وأنَّ الساعة ءَاتيةٌ لا ريبَ فيها وأنَّ اللهَ يبعثُ من في القُبُور *] (سورة الحج: ٦ إلى٨).

ويقول: [ولقد خلقنَا الإنسٰن من سُلٰلةٍ من طينٍ * ثم جَعَلنٰه نُطفةً في قرارٍ مكينٍ * ثم خلقنَا النُّطفةَ علقةً فخلقْنا العَلَقة مُضغةً فخلقنَا المُضغةَ عظٰمًا فكسونَا العظٰم لحمًا ثم أنشأنٰه خلقًا ءَاخَرَ فتبارك الله أحسنُ الخٰلقين * ثُم إنَّكم بعدَ ذلك لَميِّتُون * ثم إنكُم يوم القيٰمة تُبعَثون *] (سورة المؤمنون: ١٣ إلى ١٧).

وعن الحياة الدنيا يقول القرآن الكريم:

[وما الحيٰوةُ الدنيا إلا لعِبٌ ولهوٌ ولَلدارُ الآخرةُ خيرٌ للَّذين يتَّقونَ أفَلاَ تعقِلون *] (سورة الأنعام: ٣٣).

ويقول: [يٰأيُّها النَّاسُ إنَّ وعدَ اللهِ حقٌ فلا تغُرَّنكُمُ الحيٰوة الدُّنيا ولا يغرَّنكم بالله الغَرُور *] (سورة فاطر: ٦).

وعن الموت يقول القرآن المجيد:

[كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ وإنَّمَا تُوَفَّونَ أُجُورَكُم يومَ القيٰمةِ فمن زُحزِحَ عن النَّار وأُدخل الجنَّةَ فقد فاز وما الحيٰوة الدُّنيا إلا متٰع الغُرور *] (سورة آل عمران: ١٩٨).

[قل يتوفاكم مَلَكُ الموت الذي وُكِّلَ بكم ثم إلى ربكم تُرجَعون *] (سورة السجدة: ١٦).

ويقول القرآن عن نفسه: [أفلا يتدبرون القرءانَ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلٰفًا كثيرًا *] (سورة النساء: ٨٣).

ويقول: [وما كان هذا القرءان أن يُفترٰى من دُون اللهِ ولكن تصديقَ الذي بين يديهِ وتفصيلَ الكتٰب لا ريب فيه من ربِّ العٰلمين *] (سورة يونس: ٣٨).

وعن يوم القيامة يقول القرآن المجيد:

[أيَحسَبُ الإنسٰن أن يُترك سُدًى * ألم يَكُ نُطفةً مِن منيٍّ يُمنىٰ * ثم كانَ عَلقةً فَخَلَق فسوّى * أليس ذلك بقٰدرٍ على أن يُحيِيَ الموتٰى *] (سورة القيامة: ٣٧ إلى ٤١).

ويقول الله تعالى عن الجنة والنار:

[إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقٰموا فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنُون * أولئك أصحٰبُ الجنةِ خٰلدين فيها جزاء بما كانوا يعملون *] (سورة الأحقاف: ١٤ و١٥).

[ويوم يُعرَض الذين كفروا على النار أذْهبتُم طيبٰتكم في حياتكم الدُنيا واستمتعتُم بها فاليوم تُجزَون عذابَ الهُون بما كنتم تستكبرونَ في الأرض بغيرِ الحقِ وبما كُنتم تفسقُون *] (سورة الأحقاف: ٢١).

[وقال الشيطٰن لمَّا قُضِيَ الأمرُ إنَّ الله وعَدَكُم وعْدَ الحق ووعدتُّكُم فأخلفتُكم وما كان لِيَ عليكُم من سُلطٰنٍ إلا أنْ دعوتُكُم فاستجبتُم لى فلا تلُوموني ولُومُوا أنفُسكم ما أنا بِمُصرِخكُم وما أنتُم بمُصرخيَّ إني كفرتُ بما أشركتمونِ من قبل إن الظٰلمين لهُم عذابٌ أليمٌ * وأُدخِلَ الذين ءامنوا وعمِلُوا الصٰلحٰتِ جنّٰتٍ تجرى من تحتها الأنهٰرُ خٰلدين فيها بإذن ربِّهم تحيتُهُم فيها سلٰمٌ *] (سورة إبراهيم: ٢٣ و٢٤).

ويقول الله عز وجل عن النبيﷺ: [قل يٰأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا *] (سورة الأعراف: ١٥٩).

ويقول: [ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكُم ولكن رسولَ اللَّهِ وخَاتَمَ النَّبيِّينَ وكان الله بكل شيءٍ عليمًا *] (سورة الأحزاب: ٤١).

ويقول: [الذين كفروا وصدُّوا عن سبيلِ الله أضلَّ أعمٰلَهم * والذين ءامَنُوا وعملُوا الصٰلحاتِ وءامَنوا بما نُزِّلَ على محمدٍ وهو الحقُّ من ربهم كَفَّرَ عنهُم سيئاتِهم وأصلحَ بالَهم * ذلك بأن الذين كَفرُوا اتَّبَعُوا البٰطِلَ وأنَّ الذين ءامنوا اتبعُوا الحقَّ من ربِّهم كذلك يضرِبُ الله للنَّاس أمثٰلَهُم *] (سورة محمد: ٢ إلى ٤).

وعن الدين يقول الله تعالى.

[إن الدين عند الله الإسلٰم... *] (سورة آل عمران: ٢٠).

ويقول: [لا إكراه في الدينِ قد تبيَّن الرُّشدُ من الغَيِّ فَمَن يكفُرْ بالطٰغوتِ ويُؤمِنْ بالله فقد استمسَكَ بالعُروة الوُثقى لا انْفصامَ لها والله سميع عليمٌ *] (سورة البقرة: ٢٥٧).

ويقول. [وما أصٰبَكم من مُصيبةٍ فبِمَا كسبَتْ أيديكُم ويعفُوا عن كثيرٍ *] (سورة الشورى: ٣١).

ويقول: [لا يكلف الله نفسًا إلا وُسعَهَا لهَا ما كَسَبتْ وعليها ما اكتَسَبَتْ ...*] (سورة البقرة: ٢٨٧).

ويقول: [إليه مرجعكم جميعًا وعدَ اللهِ حقًّا إنه يبدؤُا الخلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصٰلحات بالقسط والذين كَفَرُوا لهُم شرابٌ من حميمٍ وعذابٌ أليمٌ بما كانُوا يكفُرون *] (سورة يونس: ٥).

ويقول: [تنزيل الكتٰب من الله العزيز الحكيم] (سورة الجاثية: ٢).

ويقول: [إن الذين ءامنوا وعملوا الصٰلحٰت لهم جنّٰتُ النعيمِ * خٰلدين فيها وعدَ الله حقًّا وهُو العزيزُ الحكيمُ *] (سورة لقمان: ٩ و١٠)

ويقول: [... اليوم أكملتُ لكُم دينَكُم وأتْممتُ عليكُم نعمتِي ورضيتُ لكُمُ الإسلٰمَ دينًا...*] (سورة المائدة: ٤).

ونروي الآن ثلاث نبوءات جاءت منذ ١٤ قرنا، وتحققت جميعها في عصرنا الحاضر. اثنتان منها جاءتا في القرآن المجيد، وثالثة وردت في الحديث النبوي الشريف. الاثنتان في كلام الله تعالى، والثالثة إخبار الله تعالى لنبيه، قالها بكلماتهﷺ.

النبوة الأولى تتعلق بفرعون، ملك مصر الذي غرق في البحر الأحمر بينما كان يطارد بني إسرائيل يقودهم موسى (عليه السلام) في عملية الخروج من مصر. يقول القرآن الكريم. [وجٰوزنا ببني إسرائيل البحرَ فأتبَعهم فِرعونُ وجنودُهُ بغيًا وعدْوًا حتى إذا أدْرَكَه الغرقُ قال ءامنتُ أنه لا إله إلا الذي ءَامَنَتْ به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * ءالٰٓن وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين * فاليوم نُنجِّيك ببدنك لتكونَ لمن خلفك ءايةً وإنَّ كثيرًا من الناس عن ءايٰتنا لغٰفلون *] (سورة يونس: ٩١ إلى ٩٣).

يقول موريس بيكاي:

«إن علاقة هذه الآفات بالفساد الذي ذكرت مصارده آنفا يجعل حفظ مومياء فرعون مسألة مشكوكا فيها، ما لم تتخذ الاحتياطات والإجراءات الوقائية على الفور. ولا بد لهذه الإجراءات أن تكفل الاحتفاظ بالدليل الحاسم.. والذي لا يزال بين أيدينا.. مع مرور الزمن، الدليل على غرق فرعون موسى، الذي طارد بني إسرائيل عند خروجهم من مصر.. ونجاة جسده بتقدير من الله.

ومن الأمور المرغوبة عند البشر دائما.. العمل على حفظ آثار تذكارية من تاريخهم؛ ولكن لدينا في هذه الحالة شيئا وراء ذلك؛ إنه الوجود المادي لجسد محفوظ.. لرجل عرف موسى، وعارض مطلبه، وطارده عندما هرب، ثم فقد حياته في هذه العملية. ونجا من الفناء ما تبقى من جسده الدنيوي.. بإرادة الله، ليكون آية للناس كما يقرر القرآن.

والذين يفتشون في المعطيات العصرية، بحثًا عن دليل على صدق الكتب المقدسة.. سيجدون بيانا رائعا لصدق الآية القرآنية التي تتعلق بجسد فرعون.. إذا هم زاروا قاعة المومياوات الملكية في متحف الآثار المصرية بالقاهرة».

وفي النبوءة الثانية أخبر الله تعالى كل أنبيائه في أرجاء العالم أن يبلغوا أقوامهم عن مجيء النبي العالمي.. سيدنا محمد المصطفى ﷺ، وأن يصدقوه عندما يبعث. يقول القرآن الكريم: [وإذ أخذ الله ميثق النبيّين لما ءاتَيتُكُمْ من كتٰبٍ وحِكمةٍ ثم جاءكمْ رسولٌ مصدقٌ لما مَعكمْ لتُؤمِنُنَّ بهِ ولتنصرُنَّهُ قالَ ءأقررتُم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقرَرنا قال فاشهدوا وأنا معكُم من الشٰهدين * فَمَن تولَّى بعد ذلك فأولئك هُم الفاسقون *] (سورة آل عمران: ٨٢ و٨٣).

والقرآن أحدث كتب الوحي نزولا في الدنيا؛ فالعهد الجديد (الإنجيل) نزل قبله بستة قرون، والأسفار الأخرى أسبق منه بأكثر من ألف عام. وكان الناس في الماضي يعيشون بمعزل عن بعضهم البعض، وقلما عرفوا عن كتب غيرهم. ولم يبدأوا في التعرف على بعضهم سوى في القرنين الأخيرين، ولم يشرعوا في الاطلاع على أسفار بعضهم سوى في القرون الحديثة. ولذلك وجد أن ظهور النبي محمد ﷺ ورد ذكره في عديد من الأسفار الدينية.

ويعتقد المسلمون الأحمديون أن حضرة مرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٥ إلى ١٩٠٨) هو المسيح الموعود والإمام المهدي للمسلمين، الذي جاء بعد سيدنا محمد ﷺ بأربعة عشر قرنا كذلك. وهناك مشابهات عديدة بين المسيحين: الإسرائيلي والمحمدي؛ فالأول عاش في إقليم اليهودية من فلسطين تحت الحكم الروماني، والثاني عاش في إقليم بنجاب بالهند تحت حكم بريطاني. والأول حاكَمَه الوالي الروماني بيلاطس النبطي، والثاني حاكَمَه الكابتن م. دوجلاس القاضي البريطاني لمحافظة جورداسبور.. بتهمة قتل باطلة. ارتد في نحر المدَّعِي. والأول رفضه معظم قومه من اليهود، والثاني: لم يقبله حتى اليوم الجانب الأكبر من المسلمين وسواد البشر الذين بُعث إليهم.

أورد الحافظ الدارقطني، المحدث المعروف، قول النبي ﷺ:

«إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض؛ ينخسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه. ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض». (سنن الدارقطني، باب صفة صلاة الكسوف والخسوف وهيئتهما).

ومن المعلوم أن خسوف القمر يقع في ليلة من ليالٍ ثلاث في الشهر القمري: ١٣، ١٤، ١٥؛ وأن خسوف الشمس يحدث في يوم من أيام ثلاثة من أيام الشهر القمري هي: ٢٧، ٢٨، ٢٩. طبقا لهذا الخبر النبوي، يجب أن يقع خسوف القمر في أول ليلة من ليالي الخسوف، أي ليلة ١٣ من شهر رمضان؛ وأن يحدث كسوف الشمس في منتصف أيام الكسوف وهو يوم ٢٨ من نفس الشهر؛ وأن يقع الحدثان بعد ظهور الإمام المهدي وليس قبله. ولقد تحقق ذلك تماما: ففي ليلة ١٣ من شهر رمضان عام ١٣١١، الموافق ٢١ مارس ١٨٩٤ وقع خسوف القمر، وفي يوم ٢٨ من شهر رمضان نفسه الموافق ٦ أبريل ١٨٩٤ كسفت الشمس.. بما يطابق نبوءة المصطفى ﷺ حق المطابقة.

ويمكن التحقق من صحة هذه الأحداث بسهولة من سجلات مكتب الإرصاد الهندي والأمريكي أيضا.

وهناك نبوءات مشابهة عن وقوع الحربين العالميين الأولى والثانية قبل نشوبهما بزمن طويل.

نبوءات المسيح الموعود متنوعة ويصعب تصديقها. قال عن الحرب العالمية الثالثة:

«سوف تكون بحجم كبير مرعب. سوف ينهمر الموت والدمار من السماء. سوف يخر عملاق الحضارة الغربية على الأرض. ولسوف يتصادم المعسكران المتعارضان تصادما سريعا بحيث يفجأ كل إنسان. وسيقف الناجون من الهلاك مبهوتين ذاهلين من وقع المأساة. وسيفيق الروس قبل الغرب من الكارثة..»

يقول تعالى: [وكأيِّنْ من قريةٍ عَتَتْ عن أمرِ رَبِّهَا ورُسُلِهِ فحاسبنٰها حِسَابًا شديدًا وعذَّبنٰها عذابًا نُكْرًا * فذاقت وبال أمرها وكان عٰقبة أمرها خُسرًا * أعد الله لهم عذابًا شديدًا فاتقوا الله يأولى الألبٰب الذين ءامنوا قد أنزل الله إليكم ذكرًا *] (سورة الطلاق: ٨ و٩).

سرّ الغِنى

يُحكى عن شاب، أنه قصد مزارعا غنيا متقدما في السن ليقف منه على الكيفية التي تكونت له الثروة الكبيرة التي جمعها. وكانت زيارته ليلا. ولما سأله عن سبب غناه أجاب المزارع: إنها قصة طويلة يا بني، فالأفضل أن نطفئ الشمعة توفيرا لها، وقام من مقعده وأطفأ الشمعة. فأجاب الشاب مقاطعا: لا لزوم يا عماه، بأن تستمر في سرد القصة، فلقد فهمت كيف جمعت ثروتك.

حركة القمر والتقويم الإسلامي

(بروفسور صالح إله دين، وبروفسور ج. موهان بالاب)
مركز دراسات الفلك المتقدمة، الجامعة العثمانية، حيدر آباد، الهند.

ترجمة: الحاج محمد حلمي الشافعي

تأثير الاضطرابات الشمسية على مدار القمر.
التغيرات في دورة القمر.
طريقة التنبؤ للمدى الطويل بالتقويم الإسلامي وقيودها،
المواعيد المكنة للخسوف بالتقويم القمري.

يقول الله تبارك وتعالى: [هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمرَ نورًا، وقدَّره منازلَ لتعلموا عددَ السنين والحساب. ما خلق الله ذلك إلا بالحق. يفصّل الآيٰت لقوم يعلمون*] (سورة يونس: ٦).

كما أشارت الآية القرآنية الكريمة.. كانت دراسة القمر ذات نفع دائم وخصوصا في تقدم العلوم الرياضية. وحركة القمر شديدة التعقيد حتى إن السير إسحاق نيوتن قال لصديقه هالي: إن نظرية حركة القمر كثيرا ما صدعتني وأرقتني. ولن أفكر فيها أكثر من ذلك.

الأرض والقمر جرمان قريبان من الشمس بدرجة كافية لكي تؤثر الشمس في مسار القمر حول الأرض، وتحدث فيه اضطرابات شديدة. ويزداد الأمر تعقيدا بسبب القرب الشديد بين القمر والأرض، حتى إن إزاحة قدرها كيلومترين في موقع القمر بالفضاء يترتب عليها تغيير في قوس دورانه الظاهري في السماء يبلغ ثانية واحدة. فإذا أردنا التنبؤ بموعد خسوف الشمس بدرجة من الدقة لا تتعدى قوسا مقداره ثانية واحدة.. فلا بد من معرفة موضع القمر في السماء بدقة لا تتجاوز نصف الثانية. وإذن يتحتم أن تكون نظرية حركة القمر على مستوى عال من الدقة.

يسبح القمر في الفضاء حول الأرض في فلك (مدار) بيضوي (إهليلجي)، تحدده ٦ عناصر مدارية هي:

١. Semi-major axis، المحور الكبير (a)، ويصف حجم المدار.

٢. Eccentricity، الانحراف عن المركز (e)، وتصف شكل المدار.

٣ و٤. Inclination & Longitude، ميل (i)، وخط طول نقطة اللقاء الصاعدة؛ وهما يحددان توجيه مدار القمر بالنسبة لدائرة مسار الشمس الظاهري.

٥. Perigee، موضع الحضيض القمري (w)، وهو أقرب نقطة في مدار القمر إلى الأرض.

٦. Time، الوقت (T)، الذي يكون فيه القمر بالحضيض.

ونتيجة لتأثير جاذبية الشمس يضطرب مدار القمر بقدر ملموس، وتتغير العناصر الستة السالفة الذكر. وتنشأ اضطرابات أقل من هذه بسبب جاذبية الكواكب الأخرى للقمر، وأيضا بسبب انحراف شكل القمر والأرض عن الكروية التامة. وقد وَضَعَ النظريةَ القمريةَ علماء الرياضة الفحول من أمثال نيوتن، يولر، لابلاس، بواسون، هانسن، ديلوني، هيل، براون. وفي هبوط الإنسان على سطح القمر شهادة بينة على المستوى الرفيع الذي وصل إليه علم ميكانيكا الفضاء.

لو اعتبرنا الشمس والأرض والقمر مجموعة ثلاثية، تتركز كتلة كل واحد منها في نقطة.. فإنه يمكن تمثيل حركة القمر بالنسبة للأرض بالمعادلة الرياضية التالية:

$$\ddot{\vec{r}} + \frac{G(E+m)\vec{r}}{r^3} = Gm' \left(\frac{\vec{\Delta}}{\Delta^3} - \frac{\vec{r}'}{r'^3} \right)$$

حيث $(\vec{r})$ البعد القطبي للقمر، $(\vec{r}')$ البعد القطبي للشمس، $\vec{\Delta} = \vec{r}' - \vec{r}$، (E) كتلة الأرض، (m) كتلة القمر، (G) ثابت الجاذبية.

والحد الثاني في المعادلة يمثل القوة الرئيسية المؤثرة على القمر بفعل جاذبية الأرض. ويمكن التعبير عن الحد الأيمن من المعادلة بأنه معدل تغير دالة الاضطراب (R)، ونجد أن:

$$R = Gm' \left(\frac{1}{\Delta} - \frac{\vec{r}\,\vec{r}'}{r'^3} \right)$$

حيث $\frac{٢}{٢'} \sim \frac{١}{٤٠٠}$.

ومن ثم نحصل على امتداد في معدل التغير (R): يتوقف على $\frac{٢}{٢'}$.

ويمكن تقدير التغيرات في العناصر المدارية الستة مع الزمن باستخدام معادلات (لاجرانج) للكواكب، وهي تربط بين مشتقات الزمن للعناصر المدارية مع مشتقات دالة الاضطراب بالنسبة لهذه العناصر.

وتظهر دراسة تأثير الشمس على مدار القمر أن العناصر (i, e, α) تتعرض لتغيرات دورية، في حين أن العناصر (T, W, Q) تحدث لها تغيرات دورية وأخرى قرنية. ومتوسط قيم العناصر الثلاث الأولى هو:

$e = 0.0549$ و $\alpha = 434400$ Km و $i = 5°09'$

وتتراجع نقطة التقاطع (Ω) حول دائرة حركة الشمس الظاهرية لتكمل دورة كاملة في ١٨،٦٠ سنة، في حين يتقدم الحضيض القمري (w) ليكمل دورته في ٨،٨٥ سنة.

ويبلغ تغير موضع نقطة التقاطع عن القيمة المتوسطة بمقدار ± ١،٤٠، وتغير الحضيض بمقدار ± ٢٠، ١٢. ويختلف الانحراف عن المركز بمقدار ± ٩.

وثمة تأثير قرني له أهمية معتبرة في البحوث، ذلك هو حركة خط الطول المتوسط للقمر (١)؛ وقد لاحظ ذلك ابن يونس ومنجال. وبالاعتماد على سجلات الخسوفات القديمة وجد (هالي) أنه يمكن تمثيل (١) بالمعادلة:

$l = l_0 + nt + \sigma \left(\frac{t}{100}\right)^2 +$ حدود دورية

حيث n هي متوسط الحركة و (t) الزمن ويقاس بالسنوات الجولیانية، و σ معامل التسارع القرني وتبلغ قيمته ١١" تقريبا. ومن التأثيرات الشمسية ذات الدرجة الأولى استطاع لابلاس أن يقدم تفسيرات نظرية لمعامل التسارع [٥]. ولكن (آدم) درس المسألة بعد ذلك بتفصيل أعمق، واتخذ في حسبانه حدودا من درجات أعلى، فحصل على قيمة متوسطة قدرها ٧٢ر٥"، وهذه القيمة المحسوبة والمشاهدات يرجع إلى تباطئ قرني في حركة دوران الأرض.. ناشئ عن احتكاك المياه بالأرض أثناء حركات المد والجزر بالبحار. ولكن مجال البحث لا يزال مفتوحا في هذا الموضوع. ويبدو أن مشاهدات البلصار (Pulsars)، تستبعد حدوث أي تغيير في قيمة ثابت الجاذبية [G]، وهناك تساؤل عما إذا كانت ثمة حدود من درجة أعلى تسهم في هذه الفروق. ونعرف من نظرية الكواكب أن m/M، تعطي التأثير القرني في تغير المحور الأكبر والمحور الأكبر مع دورة الفلك ينتميان إلى قانون (كبلر) الثالث حيث مقدار $\frac{p^2}{a^3}$ = مقدار ثابت.

وهكذا تحدث لدورة مدار القمر [P]، تغيرات دورية بسبب الاضطرابات الشمسية. وتتراوح دورة القمر، كما تشاهد من سطح الأرض، ما بين ٢٩ و٣٠ يوما، بمتوسط قدره ٥٣٠٥٨٨ر ٢٩ يوما.

ويبتدئ الشهر في التقويم الإسلامي مع أول رؤية للهلال. ولكن يستخدم الطول المتوسط للتنبؤ بفترة طويلة في التقويم الإسلامي. ويرجع التقويم الإسلامي الهجري إلى يوم ١٦، ٧، ٦٢٢م، الموافق غرة المحرم عام ١ هج. وعدد أيام الشهور الهجرية هي: المحرم ٣٠ يوما، صفر٢٩، ربيع الأول ٣٠، ربيع الثاني ٢٩، جمادي الأولى ٣٠، جمادي الثانية ٢٩، رجب ٣٠، شعبان ٢٩، رمضان ٣٠، شوال ٢٩، ذو القعدة ٣٠، وذو الحجة ٢٩ يوما، ولكنه في السنة الكبيسة ٣٠ يوما. وتتحدد السنة الكبيسة بقسمة السنة على ٣٠، فتكون السنة كبيسة إذا كان باقي القسمة: ٢، ٥، ٧، ١٠، ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٦ أو ٢٩. وبذلك تكون السنة الهجرية القمرية ٣٥٤ والكبيسة ٣٥٥ يوما. وإذن من بين كل ٣٠ عاما هجريا توجد ١١ سنة كبيسة و١٩ سنة بسيطة.

وهذا التعديل يجعل متوسط الشهر القمري ٥٣٠٥٦ر٢٩ يوما فقط، وبذلك يكون هناك خطأ يقدر بيوم واحد كل ٢٠٠٠ سنة، ولذلك يلزم إضافة يوم للتقويم كل ٢٠٠٠ سنة.

ويمكن أن يكون تاريخ أي شهر بحسب رؤية الهلال مختلفا عن التقويم المذكور آنفا، فما التقويم إلا مرشد تقريبي في هذا الصدد. وقد قدمت معايير متنوعة لتحديد الرؤية الأولى للهلال في بداية كل شهر قمري. ومن المعايير الجيدة مدة مكث الهلال في السماء، وهي الفترة الزمنية التي تفصل بين غروب الشمس وغروب الهلال. وقد أخرج الدكتور إلياس الجدول التالي يبين فيه الحد الأدنى لهذه الفترة، مقدارا بالدقائق عند خطوط العرض المبينة، وذلك بناء على المشاهدات:

أقل فترة	٠	٣٠	٤٠	٥٠
خط العرض	٢±٤١	٤±٤٦	٩±٤٩	١٥±٥٥

وجدير بالملاحظة أن الترددات (التذبذب بالزيادة والنقصان) في نصف الدورة من الهلال إلى البدر التام، ومن هذا إلى ذاك، أكبر بكثير من الترددات في الدورة الكاملة؛ فبسبب لامركزية مدار القمر (لكونه بيضوي الشكل) هناك ترددات أكثر في السرعة الزاوية للقمر على طول مداره. وهذه الترددات في نصف الدورة تؤثر على التوقيت الذي يمكن أن يحدث فيه الخسوف.

ويقع الخسوف القمري عندما يكون القمر بدرا، أما الخسوف الشمسي (أي الكسوف) فيحدث عندما يكون القمر هلالا،

وبالتحديد يمكن أن يحدث خسوف القمر في إحدى ليالي الشهر القمري التالية: ١٣ أو ١٤ أو ١٥، ويمكن أن يحدث كسوف الشمس في أحد الأيام القمرية التالية: ٢٧ أو ٢٨ أو ٢٩.

ولقد درسنا تكرار حدوث الخسوف والكسوف في شهر رمضان، للتعرف على مدى ندرته، فوجدنا أنه خلال فترة ٢٢ عاما هناك عام أو عامان متتاليان يقع الكسوف والخسوف معا في رمضان. ولكن يجدر بنا ملاحظة أن وقوع الكسوفين معا.. وفي التاريخين المحددين في شهر رمضان.. وفي منطقة جغرافية معينة.. أمر نادر تماما. ولقد درسنا احتمال وقوع الكسوفين على مدى قرنين من الزمان، من عام ١٨٠٠ إلى عام ٢٠٠٠م، فوجدنا أن عام١٨٩٤ هو العام الوحيد الذي يقع فيه الكسوفان بحسب الشروط المحددة في النبوءة المحمدية.

ولسيدنا ونبينا محمدﷺ نبوءة رائعة تتصل بالقمر. قال حضرته:

«إن لمهدينا آيتين، لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض: ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه، ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض». (الدارقطني).

أي أن علامة الإمام المهدي الذي يقيمه الله تعالى في آخر الزمان أن يحدث خسوف للقمر في شهر رمضان، وذلك في اليوم الأول من أيام الخسوف، وأن يحدث للشمس كسوفا في نفس الشهر، ويكون ذلك في اليوم الثاني من أيام الكسوف، ويشهدهما قومه في موطنه، ويكونا آية له وحده.

ولقد ادعى حضرة مرزا غلام أحمد القادياني بأنه الإمام المهدي الموعود عام ١٨٩١ م بناء على ما تلقاه من وحي إلهي. ثم وقع الكسوفان طبقا للوعد النبوي المحمدي، وفي الموعدين المحددين تماما وذلك عام ١٩٨٤. وأعلن حضرته أن هاتين الآيتين تؤيدان دعواه.

ولقد درسنا تكررا حدوث الخسوف والكسوف في شهر رمضان، للتعرف على مدى ندرته، فوجدنا أنه خلال فترة ٢٢ عاما هناك عام أو عامان متتاليان يقع الكسوف والخسوف معا في رمضان. ولكن يجدر بنا ملاحظة أن وقوع الكسوفين معا.. وفي التاريخين المحددين في شهر رمضان.. وفي منطقة جغرافية معينة.. أمر نادر تماما. ولقد درسنا احتمال وقوع الكسوفين على مدى قرنين من الزمان، من عام ١٨٠٠ إلى عام ٢٠٠٠م، فوجدنا عام ١٨٩٤ هو العام الوحيد الذي يقع فيه الكسوفان بحسب الشروط المحددة في النبوءة المحمدية. فصدق رسول اللهﷺ، وصدق مهديه أحمد عليه السلام.

* m: كتلة الكوكب، M كتلة الشمس، m مشتقة من الدرجة الثالثة.

تأسف واعتذار

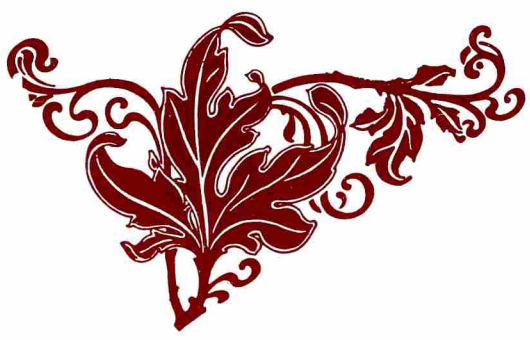
نبدي مزيد الأسف على ورود أخطاء في أعداد أغسطس و سبتمبر وأكتوبر ٩٠، حيث قُدِّمتْ صفحة رقم ٢٥ على صفحة رقم ٢٤ في عدد أغسطس. كما وردت آية قرآنية خطأً حيث كُتبت: [ما كان لنبي أن يكون أَسرٰى حتى يُثخنَ في الأرض]، والصحيح: [ما كان لنبي أن يكون له أَسْرٰى حتى يُثخنَ في الأرض]، وذلك في عدد سبتمبر وأكتوبر صفحة ١٩.

نحن إذ نعتذر إلى القراء الكرام على ورود هذه الأخطاء ونلتمس إليهم تصحيحها في نسخهم، نطلب إليهم إخطارنا دائما بأي خطأ يرد في مجلتهم «التقوى»، رغم تحاشينا إياه قدر المستطاع، وخاصة في الآيات القرآنية الكريمة. [الإدارة]

جاء المسيح المنتظر

شعر: محمود زيدان

جاء المسيح المنتظر من شَرقِهِ ... يُنبي بما جاءُوا به وينشُرُ
جاء المسيح المنتمي للمصطفى ... بالموعدِ المحدود لا تستكثروا
أنباءه الأكوان قد شاعت به ... نورٌ من الأعلامِ إن تستعبروا
قد قال عنه «الخاتَمُ»: الإسلامُ في ... أَنْ تعترِفْ، تنْجُ وبيتُك يُعمَرُ
بَايِعْه لو حبوًا على الثلج، ولا ... تفعل كعاصٍ للنبيْ يَستنسِرُ
واعرَفْ إمامَ القرن لا تكفُرْ به ... واسألْ براهينًا بها تتبصرُ
خُسِفَ القَمَرْ قد زاغ عن تكذيبه ... أُنظُرْ إلى من جاء كي لا تُقهَرُ
قرآنه قرآن دين المصطفى ... لا يعرف الأحزاب لا يُستصغرُ
فَالْحَقْ بما قد جاء يدعو، لا تخف ... إن «المسيح المنتظرْ» لا ينكَرُ
نورٌ وسلمٌ دربُهُ من يهتدى ... يمشي، ويمحي دينَهُ لن يُقهَرُ
قرنٌ مضَى، يا إخوتي، من حينِهِ ... فانجوا به هَلاَّ لكم أنْ تُبصروا
لو كان كذبًا أو نفاقًا نورهُ ... فالله أَدرَى، لا تكن مُستكبرُ
لو كان بدعًا لم يقُم له قائم ... فالله لا يُنجي دعيًّا يهتِرُ
النَّصر يأتي دائما للمُتقي ... فالمنتمِي للحق لا يستفقِرُ
لا تنتظِرْ بعد الذي أُخبرتَهُ ... لَنْ يأتِ بعد الهادِ ذا مستنظَرُ
فَالْحَقْ بِركبِ المصطفى واسْلَمْ به ... فالله لا ينسى نصيرًا يَصبِرُ



حوار طريف

حول عقيدة موت المسيح وحياته

للأستاذ أبو العطاء الجالندهري، رحمه الله

كان محمود وخالد صديقين، وكانا مولعين بالبحث والتدقيق. واتفق أن محمودًا قرأ كتب الأحمدية وحبذ مبادئها، فاعتنقها وانضم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية.

ثم ذهب محمود ذات يوم إلى بيت صديقه زائرًا فرآه على غير عادته كئيبا سابحًا في بحر الخيال والتّفكر. فقال له: ما بال أخي أراه حزينًا فأجابه؟ خالد: إنني كلما فكرت في مصير العالم الإسلامي وجدته مخيفًا، ورأيت أن تدهوره لا يقف عند حد. وكنت أعتمد على أن المسيح ابن مريم عليه السلام سوف ينزل من السماء وينشر الإسلام في أقطار العالم في سويعات، ويهلك الكافرين بنفسه، وإذ بابني الأكبر يفاجئني بأنه اقتنع بموت المسيح الطبيعي، لأن الأحمديين ملأوا العالم بنشراتهم ولم يستطع أحد أن يرد على أدلتهم التي تثبت موت المسيح عليه السلام، ولم يأت أحد بدليل يقنع العقلاء بحياة المسيح الجسدية في السماء. فلما سمعت قولة ابني إسماعيل هذه غضبت عليه غضبًا شديدًا حتى طردته من البيت، لأنه يريد أن يسلبني آخر ما أتوكّأ عليه لإصلاح بني قومي وإعادة مجدهم الغابر.

محمود: لا يا أخي، ليس المعقول أن تطرد فلذة كبدك لأجل هذا الأمر، وكان عليك أن تتريث حتى تسمع أدلته ولربما اقنعك بموت المسيح.

خالد: أي حاجة للاستماع إلى هذه السخافات وإن سادتنا المشائخ والعلماء يقولون بحياة عيسى ابن مريم عليه السلام.

محمود: هل العلماء معصومون من الخطأ؟ ويقول تعالى: [وفوق كل ذي علم عليم]. فمن الواجب أن تسمع ما يقول القائلون بموت المسيح عليه السلام أيضا.

خالد: عهدي بك متصلبًا متعصبا لعقيدة حياة المسيح ومالي أراك اليوم توصيني باستماع أدلة هؤلاء القاديانيين!

محمود: كنت ولا أزال غيوراً على الحق، ولكني وإيم الحق تبين لي أخيرًا أن المسيح عليه السلام قد مات كما جاء في آيات القرآن المجيد الكثيرة، وفوق ذلك إن عقيدة حياة المسيح تنال من كرامة سيدنا محمد ﷺ وتجعل موقف الإسلام من المسيحية موقف المستجدي من الغني المعطي.

خالد: أحسب أن الغضاضة التي تبدو في كون المسيح حيًا في السماوات جالسًا عند الله منذ ألفي سنة وكون سيدنا محمد ﷺ مدفونًا في المدينة المنورة، ليست بشيء وقد يكون للعلماء فيها تأويل.

محمود: أنا خبرت ما لديهم من تأويلات ركيكة، وشاهدت بعيني رأسي كبيرًا منهم يخرس أمام قس عندما أتى الأخير بهذا الذكر. يا أخي خالد، هل من فائدة في بقاء المسيح في السماوات هذه المدة كلها وهل من حكمة فيه؟ وهل لا يكون قول النصارى بلا هوته أقرب إلى الصواب إذا آمنا بأن المسيح لا يأكل ولا يشرب ولا يتغير على مرور قرون من السنين، بل هو الآن كما كان حسب قول السادة المشائخ.

خالد: أراك تحاول أن تزلزل عقيدتي وتضعف إيماني بحياة المسيح، ولكنك لن تظفر مني بما تروم، وإن هذه البيانات العقلية لا تنفعك شيئًا لأنني أعلم كما قال القرآن الكريم: [إن الله على كل شيء قدير].

محمود: تدبر يا أخي، هل انحصرت قدرة الله في إبقاء المسيح في السماوات، وإذا ثبت أن المسيح قد مات أفلا يثبت صدق قوله تعالى: [إن الله على كل شيء قدير]؟ مات إبراهيم ونوح وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام حتي مات سيد الخلق وأفضل المرسلين ﷺ. ألم تكن لله قدرة على كل شيء عند موت هؤلاء كلهم، وإنما ظهرت قدرته في المسيح فقط؟ أليس من المضحك المبكي أن كل الأنبياء ماتوا وكان الله على كل شيء قديرًا، ولكن لو مات المسيح لما ثبت كونه على كل شيء قديرًا؟ لو أنصفت لعرفت أن القدرة الإلهية في أن يخلق الله مثل المسيح، بل أفضل منه من أتباع سيدنا محمد خاتم المرسلين، وأما إبقاؤه تعالى سيدنا المسيحَ المرسل إلى بني إسرائيل فهو دليل على أن الله خاف من عدم قدرته على خلق مثل المسيح، سبحانه وتعالى عما يقولون.

خالد: يظهر أن عقيدة موت المسيح تغلغلت في نفسك،

وصرتُ من المناظرين الماهرين. فلنذهب إلى خطيب الجامع وهو يلزمك الحجة من كتاب الله.

قام الاثنان من مجلسهما، وبعد هنيهة كانوا في بيت الخطيب، وحمى وطيس الجدال بين الخطيب ومحمود الأحمدي. وكان خالد مصغيًا إلى ما يجري بينهما من الكلام.

الخطيب: لماذا خرجت يا محمود من الإسلام وأفسدت عليك آخرتك بقولك بموت المسيح عليه السلام وقد حصل الإجماع على حياته.

محمود: سيدي! أنا مسلم وسأكون في الآخرة إن شاء الله من عباده الصالحين. أؤمن بموت المسيح عليه السلام، لأن القرآن المجيد قد نص عليه، ولم يحصل إجماع الأمة على حياة المسيح قط، بل بالعكس أجمع الصحابة عند وفاة الرسول ﷺ على أن جميع الأنبياء، وفيهم المسيح ابن مريم، قد ماتوا. روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه أن أبا بكر رضي الله عنه خطب يومئذ مؤكدًا أن الرسول ﷺ قد توفى، لأن بعض الناس، ومنهم عمر بن الخطاب، كانوا ينكرون ذلك، وقال رضي الله عنه: «من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله: [وما محمد إلا رسول قد خَلَتْ من قبله الرسلُ... إلى قوله تعالى..الشاكرين]، وقال (الراوي): والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتي تلاها أبو بكر. فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فَعُقِرْتُ حتى ما تقلّني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات» (صحيح البخاري: كتاب التفسير).

الخطيب: دعنا من هذه الثرثرة وهات برهانا من القرآن الكريم كما زعمت إن كنت من الصادقين. أليس من المستغرب أننا نقرأ القرآن ليل نهار ولم نجد فيه ذكر موت المسيح عليه السلام، وأنت وأمثالك من القاديانيين يجدون هذا الذكر؟

محمود: قال تعالى: [إذ قال الله يا عيسى إني متوفِّيك ورافعُك إليّ ومطهِّرك من الذين كفروا وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيٰمة ثم إلي مرجعكم فأحكمُ بينكم فيما كنتم فيه تختلفون] (سورة آل عمران: ٥٥).

الخطيب: أنا أعرف هذه الآية ولكنها تذكر [ورافعك إلي] فكيف تستدل بها على موت المسيح؟ سبحان الله كيف مُسخت العقول.

محمود: ولكن قبل ذكر الرفع يوجد قوله [إني متوفيك] ولذلك من الضروري أن يموت المسيح أولا ثم يرفع إلى الله. ونحن لا ننكر الرفع، ولكن نقول أنه حصل بعد التوفي كما يقتضيه ترتيب الآية الكريمة.

الخطيب: أنت مخطيء! أليس لنا حق أن نؤخر عند التأويل قوله تعالى: [إني متوفيك] بعد قوله تعالى: [ورافعك إلي]؟

محمود: كلا! ليس لأحد حق أن يؤخر ما قدمه الله، ولا يجوز تحريف كلم القرآن عن مواضعه، وما أدراك أن [متوفيك] متأخر [ورافعك] متقدم؟

الخطيب: أنتم عامة الناس لا تفهمون هذه الأسرار. فلنفترض أن [متوفيك] هو المتقدم، ولكن معنى [متوفيك] حسب تفسيرنا [رافعك]، فلا ذكر لموت المسيح في الآية ولا يصح معنى متوفيك مميتك أبدًا.

محمود: ورد في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: متوفيك، مميتك. فما قولكم في ابن عباس؟

الخطيب: أين هذا القول؟ وإذا ثبت فنقول إن ابن عباس قد أخطأ في هذا القول.

محمود: يوجد هذا القول في كتاب التفسير من صحيح البخاري في باب (ما جعل الله من بَحِيرةٍ). وإيراد البخاري إياه في صحيحه يدل على أن الإمام البخاري أيضًا كان يعتقد بذلك.

الخطيب: كلاهما مخطي. هل نحن مقلدون لهؤلاء الناس؟ حسبنا كتاب الله.

محمود: عجبًا تعرضون عن أصح الأقوال ثم تدعون بالإجماع على حياة المسيح؟ يا حضرة الخطيب، لا يجوز تفسير متوفيك إلا بمميتك، لأن لفظ التوفي إذا ورد بهذه الهيئة، أي عندما يكون من باب التفعل، ويكون الله فاعله والإنسان مفعولا به، ولا توجد ثمة قرينة صارفة مثل الليل والمنام، فلا يكون معنى التوفي إلا الموت، أعني قبض الروح التام. وأنا أتحداك أن تذكر لي مثالا واحدًا ينقض هذه الدعوى.

الخطيب: تتحداني أنا؟ وأنا أكبر عالم في هذه المدينة.

محمود: أنا أتحداك أنت وكل من يدعي العلم، أن ينقض هذا القانون، وإن لم تستطيعوا أن تنقضوه فعليكم بالاعتقاد بموت المسيح.

الخطيب: والله لن نؤمن بموت المسيح ولو انقلبت علينا الأرض، وأما تحديك فها أنا ذا أنقضه، يقول تعالى: [وهو الذي يتوفاكم بالّيل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضٰى أجلٌ مسمًّى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون] (سورة الأنعام: ٦١). ومعنى يتوفاكم بالليل لا يكون مميتكم بالليل بل معناه يقبض الأرواح في المنام. فالقول بأن معنى التوفي لا يكون إلا الموت غير معقول كما جاء في قوله تعالى: [اللهُ يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تَمُتْ في منامها فيُمسكُ التي قضى عليها الموتَ ويرسلُ

الأخرى إلى أجل مسمًى إن في ذلك لآيت لقوم يتفكرون] (سورة الزمر: ٤٣).

محمود: اسْمَحْ لي يا حضرة الخطيب، بأن أقول: إنك ما فهمت كلامي، لأنك ذكرت الآيتين وفي كلتيهما قرينة صارفة موجودة وهي لفظ الليل في الأولى ولفظ المنام في الثانية، لذلك هاتان الآياتان لا تنقضان التحدي بتاتًا. وآية: [متوفيك] التي نحن الآن بصدد البحث فيها، ليس فيها ذكر الليل والمنام. فما استطعتم نقض التحدي ولن تستطيعوا. إقرأ الآية التالية لآية سورة الأنعام التي ذكرتها وهي: [وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظةً حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفَّتْه رسلنا وهم لا يفرِّطون] يظهر لك بقرائنها أن لفظ التوفي بغير قرينة الليل والمنام لا يكون له معنى إلا الموت وقبض الروح التام. وإنك كنت قلت إن معنى متوفيك هو رافعك، ولكنك لم تفهم، لو كان هذا صحيحًا لما جاء لفظ [رافعك إليَّ] بعد [متوفيك]، وثانيًا هل يعني [التوفي] الرفعَ في هاتين الآيتين اللتين ذكرتهما الآن أيضا؟

الخطيب: أنا كنت أسمع أن القاديانيين يفسرون القرآن برأيهم وها قد جربت اليوم بنفسي.

محمود: بل بالعكس، حضراتكم تفسرون القرآن برأيكم. ولقد ورد لفظ التوفي في حق الكفار كما في قوله تعالى: [ولو ترى إذ يتوفَّى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوهَهم وأدبارَهم وذوقوا عذابَ الحريق] (سورة الأنفال)، ومعناه الموت، وورد في حق المؤمنين كما في قوله تعالى: [والذين يُتَوفَّون منكم ويَذَرون أزواجًا]، وكما في قوله تعالى: [وتَوفَّنا مع الأبرار]، ومعناه الموت، وورد في حق يوسف عليه السلام كما في قوله عز وجل: [توفَّني مسلمًا وأَلْحِقْني بالصٰلحين] ومعناه الموت، وورد في حق سيد البشر ﷺ كما في قوله: [وإنْ ما نُرِيَنَّك بعضَ الذي نَعِدُهم أو نتوفَّينَّك فإنما عليك البلٰغ وعلينا الحسٰب]، ومعناه الموت. ولكن إذا ورد لفظ التوفي في حق المسيح عليه السلام في قوله تعالى: [يا عيسى إني متوفيك] فمعنى التوفي يختلف عندكم، لماذا؟ أليس هذا هو التفسير بالرأي بعينه؟

الخطيب: انتهينا من البحث في هذه الآية فهات آية أخرى إذا كانت تدل على موت المسيح؟

محمود: يقول تعالى: [وما محمد إلا رسول قد خلَت من قبله الرسل أفإن ماتَ أو قُتل انقلبتم على أعقٰبكم ومَنْ ينقلبْ على عَقِبيْه فلن يضرَّ الله شيئًا وسيجزي الله الشٰكرين]. ويتبين من هذه الآية الشريفة أن جميع الرسل الذين كانوا قبل الرسول ﷺ، وفيهم المسيح بن مريم، قد خلوا وماتوا.

الخطيب: أنا أقول: إن المراد من (الرسل) جميع الرسل إلا المسيح، ويجب أن تفهم هذا التفسير جيدًا.

محمود: أنا أقول إن لفظ [الرسل] شامل للمسيح وغيره من المرسلين، ولو كان المسيح مستثنًى من هذا الخلو، وكان حيًا في السماوات، فهل يصح استدلال أبي بكر على موت الرسول ﷺ؟ وهل يعقل أن الصحابة ولا سيما سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، يهدأ بالهم لموت الرسول أفضل البشر في حين كان المسيح جالسًا يمين الله بالجسد العنصري عندهم؟ وأنا لا أعدو الحقيقة إذا قلتُ إن هذه الآية جاءت للتأكيد على موت المسيح عليه السلام خاصة، وذلك لأن قوله تعالى: [ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل]دل على موت جميع الرسل الذين أتوا قبل المسيح، وأما المسيح عليه السلام فبقي ذكر موته فقال تعالى: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] أي إن المسيح أيضا قد مات.

الخطيب: كلامك معقول، ولكن تفسِّر لفظة [خلت] ب [مَرَّتْ]، ونقول إن سائر الرسل خلوا بمعنى ماتوا، وأما المسيح فقد خلا بمعنى رفع إلى السماء بالجسد.

محمود: إن هذا، والله لغريب. تريدون أن تؤيدوا قول النصارى في حياة المسيح المادية في السماء، وهم يتخذونها حجة على لاهوته. إن هذا التفسير المعوج لا يجوز، لأن القرآن المجيد يفسر بعضه بعضًا، وأنت رأيت أن لفظ [خلت] تكرر في آية المسيح وآية النبي محمد ﷺ، فلا بد وأن يكون لهما معنى واحد. وثانيا لا يوجد هذا الاستثناء للمسيح في الآية التي بين أيدينا. وثالثا روح اللغة العربية واستعمال القرآن المجيد لا يتفقان وهذا الاستثناء الأعوج في هذه الآية الكريمة. يقول الله تعالى: [تلك أمة خَلَتْ]. ويقول صاحب ديوان «الحماسة»:

إذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ * قَؤُولٌ بما قال الكرام فَعولُ

ورابعا: إن تفسير [خَلَتْ] موجود في قوله تعالى [أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ]،فخلوُّ جميع الرسل الذين جاءوا قبل النبي ﷺ لم يكن إلا بإحدى هاتين الطريقتين لا ثالثةلهما: الموت أو القتل. وبناءً على ذلك من الضروري أن نؤمن، يا حضرة الخطيب، بأن المسيح عليه السلام قد مات، لأن نص القرآن الكريم يدل على أنه لم يُقتل، فلم يكن خلوه إلا الموت كما ورد في قوله تعالى: [وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفَّيْتَني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم].

الخطيب: بس بس، لا تُطل اليوم هذا البحث، وأنا سمعت أن لكم حجة قوية في زعمكم في آية [فلما توفيتني]، وأنا لدي أشغال أخرى في هذا اليوم، وأريد أيضا أن أستعد لإبطال حجتكم، فلذلك تذهبون الآن وتحضرون يوم الخميس القادم ووقتئذ نكمل البحث.

قام محمود وخالد للعودة، فودعهما الخطيب عند الباب.

ذهب محمود وخالد إلى الخطيب يوم الخميس، وإذا به وسط جمع من المشائخ وحوله أكداس من الأسفار. فسلَّم الاثنان على الجميع، ولكنهما لم يتلقيا ردًا للتحية. فجلسا في مكان قد أُعدّ لهما، وقال لهما الخطيب: إننا اليوم على أتم استعداد لإثبات أن سيدنا المسيح بن مريم حي بجسده في السماوات، ولكننا لا نريد أن نعيد البحث في الآيتين اللتين قد تكلمنا عنهما في المرة الماضية.

محمود: لا تودون أن تردوا على ما أثبتناه من قوله تعالى: [إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعُك إليّ ومطهِّرك من الذين كفروا]، وقوله تعالى: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل]، ولكني أرجوكم، كما وعدتموني، أن تناظروني في إثبات وفاة المسيح وحياته من حيث الآية الشريفة: [وكنت عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفَّيتني كنتَ أنت الرقيبَ عليهم وأنت على كل شيء شهيد].

الخطيب: القرآن المجيد مجمل، ولذلك لا يمكن أن نجعله مدار البحث، وأما الآية التي تريد أن تكون محور كلامنا اليوم فلا أرى لك مبررًا لهذا الإصرار الشديد عليها، ومع هذا إنني جمعت اليوم كتبًا كثيرة، وهؤلاء علماؤنا سوف يشهدون لي بالأغلبية عليك.

محمود: حسبنا كتاب الله كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وليس هناك شيء يوثق به أو يعتمد عليه أكثر من القرآن الكريم، لأنه هو الحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وإن لي حقا أن أطلب منكم البحث في معنى قوله [فلما توفيتني]، لأنكم وعدتموني به. وها إني أبين لكم استدلالنا بهذه الآية الشريفة على موت المسيح وأرى كيف تستطيع أنت وشهداؤك نقض برهاننا.

يجيب سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام عن سؤال الرب تبارك وتعالى إياه: [أأنت قلتَ للناس اتّخِذوني وأمّيَ إلهَينِ من دون الله]، ويقول فيما يقول: [وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفَّيتَني كنت أنت الرقيبَ عليهم] أي ما قلت لهم هذا القول، بل أمرتُهم بعبادة الإله الواحد، وبقيت رقيبًا عليهم ولم أتركهم لكي يتخذوني وأمي إلهين ما دمتُ فيهم، وفعلاً كانوا موحدين طول بقائي بينهم، ولكن فلما توفيتني، أي قبضتَ على روحي وأمَتَّني، كنت أنت الرقيب عليهم. فاتخاذ النصارى المسيح وأمه إلهين متى جرى؟ تقول الآية بأنه حصل بعد ما توفى سيدنا المسيح بن مريم، وبما أن النصارى قد اتخذوهما إلهين فيجب علينا أن نجزم بأن المسيح قد مات.

وثانيا: إن الآية [وكنت عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيبَ عليهم] تدل صراحةً على أن المسيح إما أن يكون موجودًا في قومه شهيدًا عليهم، وإما أن يكون قد توفى ومات. فإذا لم نجده موجودًا بين أظهر النصارى فلا شك في أنه قد توفى ومات، لأن نص القرآن الحكيم يحصر حال المسيح في اثنين: الوجود في قومه أو التوفي، ومحال أن لا يكون المسيح في النصارى ولم يكن قد مات.

الخطيب: هذا الكلام يقوله المسيح يوم الحشر أمام الرب فكيف تستدل على موته الآن؟

محمود: إن ما قلتُه واضح وليس له علاقة بأن هذا القول متى قيل أو يقال. فلنفرض أن هذا القول يقوله المسيح بعد مليون سنة من النشور. لا يهمنا وقت القول، بل نفس الكلام، لأن المسيح أقرَّ فيه بأنه لم يزل شهيدًا على النصارى إلى أن وافته الوفاة، وعندئذ، بعد التوفي، لم يبق شهيدًا عليهم، فاتخذوه وأمه إلهَين. فاتخاذ النصارى إياه وأمه إلهين لم يكن إلا بعد موته وكذلك لم يغب المسيح عن قومه إلا بموته، وبناء على هذا الاستدلال الواضح أقول إن ذكر القيامة والحشر هنا لا ينفعكم شيئًا.

الخطيب: نقول إن معنى [فلما توفيتني] هو فلما أخذتني إلى السماء، فيقول المسيح إنه كان شهيدًا على النصارى حتى أخذه الله إلى السماء.

محمود: لا يجوز تفسير [التوفي] في مثل هذه الآية إلا بالموت وقبض الروح، كما قلنا سابقًا وتحديناكم، فلم تستطيعوا نقضه. وإذا كان معنى [التوفي] الرفع إلى السماء فكيف تفسرون قوله تعالى [يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ] بمعنى الرفع مرتين. ثم إن النبي ﷺ قد فسر [فلما توفيتني] بالموت حيث قال في حديث أورده الإمام البخاري في صحيحه:

وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب، أُصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفيتَني كنت أنت الرقيب عليهم] (كتاب التفسير).

إن النبي ﷺ يقول كما قال المسيح [فلما توفيتني]، فما معنى توفي سيد البشر ﷺ؟ الموت أم الرفع؟؟

الخطيب: النبي ﷺ توفى بمعنى مات وأما المسيح فتوفى بمعنى رفع جسده إلى السماء، وأنت ماذا يضيرك لو سلمت معنا أن [فلما توفيتني] يعني فلما أخذتني بالجسد إلى السماء، وعندئذ تعرف أن المسيح حي في السماء.

محمود: تلك إذًا قسمةٌ ضِيزى، ولست أدري كيف تسوغون هذا التلاعب باللغة العربية وبآيات القرآن المجيد؟ ومن الغريب أنكم لا تستطيعون إثبات حياة المسيح إلا إذا حرفتم الكلمات

الإلهية عن مواضعها وغيرتم ألفاظ العربية الفصحى عن معانيها، وبعد ذلك تقولون ماذا يضيرك.

الخطيب: أنا لا يمكنني أن أتحول عن أن معنى [فلما توفيتني] هو فلما أخذتني إلى السماء. وما دمت لا تقول بهذا القول لا فائدة في بقاء المناظرة بيننا.

محمود: هذا سلاح العاجز عن إقامة البرهان على دعواه، ولكني إتمامًا للحجة أقول: إن المسيح لن يرجع إلى الدنيا مرة أخرى مهما كان معنى [التوفي] ههنا، لأنه يقول بين يديه تعالى ما معناه: كنت رقيبًا على حالة قومي وهم لم يتخذوني إلهًا، وأما بعد ما توفيتني فلست أدري ماذا أحدثوا بعدي، بل كنت أنت الرقيب عليهم، أي لا أعلم هل اتخذوني وأمي إلهين ومتى اتخذوا؟ فليتدبر حضرة الخطيب! لو كان المسيح عائدًا إلى الدنيا ونازلاً من السماء فيكون قد رأى ما تزعم النصارى من لاهوته وعبادة الصلبان، فكيف يكذب أمام الله ويقول إني لا أعلم من هذا الاتهام شيئًا؟ فعلى كل حال لا ينفعكم هذا التحريف ولا يثبت به حياة المسيح. وقد حصحص الحق فإلام تنكرون؟

الخطيب (وقد رَمَى بنظره إلى الأرض): يظهر أن البحث في هذه الآية من أدق الأبحاث، وأنا لا أستطيع اليوم أن أرد على كل ما تقول، لأنك، كما يتبين، على أتم استعداد، فأمهلني أسبوعا آخر حتى أدقق النظر في هذه المسألة من حيث القرآن المجيد. فإلى الخميس المقبل.

أتى محمود وخالد غداة الخميس إلى بيت الخطيب، فألفياه لدى الباب ينتظر مجيئهما، وكانت علائم الارتياح بادية على وجهه، فسلما عليه ومدَّا أيديهما للمصافحة، فحيَّ الخطيب بأحسن منهما وصافحهما، وذهب بهما إلى غرفة خاصة في داخل الدار قد أُعدتْ لهذا الاجتماع. وبينما كانوا مارين أبصرهم أولاد البيت فتصايحوا: جاء الأحمدي، جاء الأحمدي. فأسرع إلى لقائهم إسماعيل نجل خالد الذي أعاده أبوه مساء موقرًا محفوفا بالكرامة إلى بيته، ودخلوا جميعا في الغرفة كأنهم إخوان متحابون وليسوا بخصوم.

التطور الجديد في موقف الخطيب نحو محمود وخالد، وهذا العطف عليهما واستقبالهما بهذه الحرارة، إن دل على شيء، فهو أن الخطيب قد شعر بضعف حجته، ولان قلبه، ورأى أن من الصواب أن يطرح التعصب جانبًا ويحقق المسألة على بينة وبصيرة، فكان طيلة هذا الأسبوع يراجع القواميس، ويمعن النظر في فحوى الآيات القرآنية لا سيما تلك الآيات التي استدل بها محمود على إثبات وفاة المسيح بن مريم عليه السلام، لأنه كان أدرى الناس بأن حجة محمود في هذا الباب ناصعة وأن مجادلته معه كانت مكابرة، ومهما اشتدت لهجة كلامه وعلا صوته في أثناء المناظرة، ولكن قلبه كان يلومه على هذه الشدة والقسوة في الكلام، [بل الإنسٰن على نفسه بصيرةٌ ولو أَلقٰى معاذِيرَه].

وكان محمود يعلم أن الحق له الغلبة والتأثير ولو بعد مدة من الزمان، ولكنه لم يخطر بباله أن هذا الشيخ المتعصب سينقلب هذا الانقلاب العجيب خلال أسبوعين، ولكن الله يهدي من يشاء.

فساد السكوت الغرفة بضع دقائق عقب دخولهم. وأخيرا قال الخطيب: إنني يا أخي محمود، تدبرت الآيات الثلاث التي ذكرتها فيما مضى، وتفكرت في استدلالك بها على موت سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، فوجدت نفسي عاجزًا عن نقض استدلالك. فقلت في سري: أذهب إلى شيخ الإسلام في العاصمة لعلي أجد عنده الجواب الصحيح.

فقصدته يوم الأحد الفائت، وذكرت له القصة برمتها. فقال: اعرض علي تلك الآيات. فقلت: أولا، يقول الله تعالى: [إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعُك إلي ومطهِّرُكَ من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا]، فلا بد أن يحصل التوفي قبل الأمور الثلاثة الموعود بها. ومعنى متوفيك مميتك كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

وثانيا يقول عز شأنه: [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل]. والمسيح ممن خلوا قبل الرسول ﷺ، فمات كما مات الأنبياء الآخرون عليهم السلام.

وثالثا قوله تعالى على لسان المسيح بن مريم: [وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفَّيتَني كنت أنت الرقيبَ عليهم وأنت على كل شيء شهيد]. فإما أن يكون المسيح موجودًا في قومه ناهيا إياهم عن الإشراك بالله، وإما أن يكون قد توفي ومات.

ولاأكتمكم أيها الإخوان، أن شيخ الإسلام لم يستطع أن ينقض هذه الأدلة، وعبثًا حاول إقناعي بعدم ضرورة هذه الأبحاث وعدم مخالطة الأحمديين. فعدت إلى مدينتي وقد تحقق لدي أن القرآن المجيد لا يبرهن على حياة المسيح الجسدية في السماء، ولذلك لا أناظركم اليوم، بل أريد أن أستمع من الشيخ الفاضل محمود إذا كانت هناك آيات أخرى تؤيد هذه العقيدة.

محمود: أولا أحمده تعالى الذي شرح صدركم، وأراح ضميركم، وأنارلكم سبيل الحق، فاتبعتموه، ثم أذكر لكم الآيات الأخرى لمزيد الإيضاح، وقد مر بنا ذكر الآيات الثلاث:

يقول تعالى: [ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمُّهُ صدِّيقة كانا يأكلان الطعٰم]. فالمسيح لم تتغير فيه سنة الله عما كانت عليه في سائر الرسل، فلا بد أن يخلو كما خلوا، ويموت كما ماتوا، وليس من سنته تعالى أن يُبقي أحدًا من الرسل

في السماوات قبل الموت. وأما قوله تعالى: [كانا يأكلان الطعام] فهو صريح بأن المسيح وأمه لا يأكلان الآن. لماذا لا يأكلان؟ نحن نقول: إنهما ماتا فلا يأكلان، والمشائخ يقولون ماتت مريم فلا تأكل، ولكن المسيح حي ولا يأكل، وهذا ينافي قوله عز وجل في حق الأنبياء: [وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين].

يقول تعالى: [وما جعلنا لبشر من قبلك الخلدَ أفإنْ مِتَّ فهم الخالدون]، أي لم يبق بشر على حالة واحدة لا تتبدل، ولا يجوز أن يبقى الأولون، والمسيح منهم، ويموت النبيﷺ. ولكن المشائخ انعكست عندهم الآية، حيث يفتون بإسلامنا ما دمنا نقول بأن موسى وإبراهيم ونوحا وإدريس وهارون ويوسف عليهم السلام ماتوا، حتى هم أنفسهم لا يتحرجون في القول بموتهم، بل يموت سيد البشر محمد بن عبد اللهﷺ، ولكنا إذا قلنا بأن المسيح الذي كان بشراً قبل النبيﷺ قد مات، فهم ينهالون علينا بفتاوي الكفر والزندقة.

يقول المسيح: [وأوصاني بالصلوة والزكوٰة ما دمتُ حيًا]. فإذا قيل بحياة المسيح فلا بد من إثبات صلاته وزكاته أيضًا. ولست أدري لماذا لا يتفكر المشائخ في أن عقيدة حياة المسيح تقتضي عدم نسخ شريعة التوراة في حق المسيح أو نزول القرآن على المسيح في السماء، في حين كان ينزل على النبيﷺ في الأرض، ثم أين هي الزكاة التي يؤديها المسيح إذا كان حيا؟ وإلى من يؤدي؟

يقول المسيح عليه السلام: [والسلٰم عليّ يوم وُلدتُ ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حيًا]. ذكر المسيح عليه السلام ثلاثة أوقات للسلام عليه وهي لا تختلف من الأوقات التي ذكرها الله في حق يحي عليه السلام: [وسلٰمٌ عليه يوم وُلدَ ويومَ يموتُ ويوم يُبْعَثُ حيًا]. فإذن مات المسيح كما مات يحي عليهما السلام.

يقول تعالى: [والذين يَدْعُون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يُخلَقون * أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يشعرون أيَّانَ يُبْعَثون]. وهذه الآية تحكم بموت جميع الإلهة الباطلة عند نزول الآية، والمسيح كان منهم. فهو، كمثل عُزيز وغيره، ميت غير حي، ولا يشعر أيان يبعث ويحشر، لأن علم الساعة عند الله وحده.

إن النصارى اتخذوا المسيح إلهًا من دون الله، ونطقت الآية بموت كل من اتُّخذ إلها من دون الله إلى تلك الساعة، فمات المسيح وتُوفي.

يقول تعالى: [ولكم في الأرض مستقر ومتٰعٌ إلى حين]، ويقول: [ألم نجعلِ الأرضَ كِفاتًا أحياءً وأمواتًا]، ويقول: [فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرَجون]. هذه الآيات وأمثالها تبين قانونًا لكافة البشر ولجميع أفراد ذرية آدم بأنهم في حالتي الموت والحياة لا ينفذون من الكرة الأرضية، والمسيح عليه السلام بصفته بشراً يجب عليه أن يقضي أيام حياته في الأرض ويموت فيها.

يقول تعالى: [ومَنْ نُعمِّرْه نُنكِّسْه في الخلق أفلا يعقلون]، ويقول تعالى: [ومنكم من يُتَوفّٰى ومنكم من يُردُّ إلى أَرذَلِ العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا]. فإذا كان المسيح لم يُتوفَّ بعد ومضت عليه عشرون قرنًا، فهل تفيد عودته المشائخَ بفائدة بعد هذه السنة الإلهية في الذين يطول بهم العمر؟ ولن تجد لسنة الله تبديلا.

انتهى السيد محمود من إلقاء بيانه. وقام الخطيب وأعلن اقتناعه بموت المسيح بن مريم عليه السلام، فسبحان الله مقلب القلوب، يصرفها كيف يشاء.

شعر للمسيح الموعود عليه السلام

يا أيّها النّاسُ اتَّقُوا ... يوماً يُشيّبُ ذَوْهَدَا

واللّهِ، إني ما ضَلِلتُ ... وما عَدِلتُ عن الهُدَى

لكنني مُذ لم أَزَلْ ... ممن إذا هُدِيَ اهْتَدَى

واللّهِ، لو كُشِفَ الغطا ... ءُ وجدتَني عينَ الهدى

و نُظِمتَ في سِلك الرِفا ... قِ و جئتَني مُستَرشِدا

(كرامات الصادقين)

أخبار الجماعة في باكستان

إعداد: رشيد احمد شودرى سكرتير الإعلام بالجماعة

اعتقال والد وابنه لجريمة الصلاة، هلال بور:

اعتقلت الشرطة الباكستانية في ١٣، ٥، ١٩٩٠ الأخ قاسم نور وابنه شاهد أحمد، وهما أحمديان من هلال بور سارجودا. كانت تهمة الأب أنه أدّى صلاة المغرب في المسجد المحلي للجماعة الإسلامية الأحمدية، أما الابن فتهمته صلاة الفجر في نفس اليوم ونفس المسجد. وبناء على شكوى المشائخ المتعصبين أغارت الشرطة على منزلهما في الساعة الحادية عشرة ليلا من نفس اليوم، وسألت عن المتهمين. تم اعتقال الوالد، ولكن الابن الذي كان مريضا في مكان آخر فقد سلم نفسه للشرطة بعد يومين، ليلحق بأبيه في الحجز رهن المحاكمة.

اعتقال والد مع ابنيه، أوكارا:

اعتقل الشيخ عبد الحكيم وابناه شيخ عبد الرشيد وشيخ بشير أحمد في مدينة أوكارا يوم ٢٢، ٧، ١٩٩٠. أغارت الشرطة على محلهم ومساكنهم، وقامت بتفتيشها ومصادرة بعض المطبوعات الدينية. ووجهت إليهم تهمة نشر الكراهية الدينية، ورفضت طلب الإفراج عنهم بكفالة مالية.

اعتقال ستة من المسلمين الأحمديين، مهاجمة مسجد بكراتشي:

اعتقلت الشرطة ستة من المسلمين الأحمديين في بلدة أورانجي، كراتشي يوم ٤، ٨، ١٩٩٠، وهاجمت عصابة من الغوغاء سقيفة يستعملها الأحمديون مسجدا لصفة مؤقتة لأداء الصلوات بعد أن ختمت السلطات على مسجدهم ومنعت استعماله، وأوقع الغوغاء بالمبنى تخريبا جسيما.

سجن مسلم أحمدي، جوجرنوالا:

حكم القاضي رانا فاروق أحمد من جوجرنوالا يوم ١٩، ٨، ١٩٩٠ على مسلم أحمدي من قرية رمولاوركان بالسجن لمدة عام مع الشغل ودفع غرامة مالية قدرها ١٠٠٠ روبية، وذلك لأنه كتب الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله). وقد استؤنف الحكم.

اعتقال ثلاثة مسلمين أحمديين، ربوة:

اعتقلت الشرطة في ربوة يوم ١٥، ٨، ١٩٩٠ كلاً من الإخوة عبد الحميد أسلم ابن عبد السلام، ورانا ظفر أحمد ابن حبيب الرحمان، وفضل دين. تحركت الشرطة لاعتقالهم لأن الكلمة الطيبة مكتوبة على جدران المسكن الذي يقيمون فيه.

اضطهاد الطلبة المسلمين الأحمديين في كلية العلامة إقبال الطبية بلاهور، باكستان

خلال الشهور الماضية لقي الطلبة المسلمون الأحمديون، الذين يدرسون الطب في كلية العلامة إقبال الطبية بلاهور، أشد ألوان الاضطهاد والتعذيب، على يد طلاب الكلية من جمعيات الطلبة الإسلامية، المنتمين إلى منظمة (جماعتِ إسلامي) المتطرفة.

ففي سبتمبر من العام الماضي أجبروا سبعة من الطلاب الأحمديين على مغادرة مساكنهم المخصصة لهم في مساكن الطلبة بالكلية، ونهبوا كتبهم ومراجعهم وأدواتهم الثمينة، وأحرقوا حاجياتهم. وبالرغم من بذل أطيب المساعي من جانب الطلبة الأحمديين والمشرفين في أقسامهم.. لم يتحرك أحد من إدارة الكلية، ولا من الإدارة المحلية، ولا من حكومة بنجاب.. لرد المظالم؛ ولم يُتَّخذ أي إجراء تأديبي أو غير ذلك ضد المعتدين طبقا لنظام الكلية أو القواعد المدنية أو القوانين الجنائية.

وفي شهر مايو من هذا العام، ليلة ٢٠، ٥، ١٩٩٠ قام نفس المجموعة الطلابية السابقة بقيادة زعمائها أنفسهم، بطرد الطلاب الأحمديين العشرة من مساكن الطلبة بكلية الطب ذاتها مستخدمين القوة. كما ضربوا أربعة من هؤلاء الطلاب الأحمديين ضربا مبرحا، وعاملوهم بقسوة بالغة خلال عملية الطرد التي

استغرقت ساعتين والنصف. أحرقوا كل متعلقاتهم، ونهبوا ما معهم من أشياء ثمينة، وسلبوا مبلغ ٦٠٠٠ روبية من أحد الأحمديين، و٣٥٠٠ روبية من طالب آخر، واستولوا على دراجة نارية من طالب ثالث. وقد بلغت جملة ما أحرقوه وسلبوه من الطلاب المسلمين الأحمديين مبلغ ١٠٠ر٠٠٠ روبية.

وهذه هي الحادثة الثانية في هذه الكلية منذ سبتمبر عام ١٩٨٩. ويبدو أن موقف الإدارة في كلية الطب والسلطات الحكومية كما هو دونما تغير.. أعني موقف اللامبالاة الكاملة والاستهتار المتعمد تجاه الطلاب الأحمديين بشأن حماية حقوقهم كطلبة ومواطنين؛ والبلادة التامة وعدم الاكتراث في اتخاذ أي موقف تأديبي ضد المعتدين اللئام؛ أو حتى إبداء أي علامة للسخط وعدم التشجيع نحوهم. وهم بذلك يمنحونهم الحرية التامة للانغماس في ممارسات لا إنسانية ومخالفة للقانون كسابقة ليس لها مثيل.

وقد أرسل الطلاب الأحمديون برقيات مطولة إلى كل من رئيس باكستان، ورئيس الوزراء، ووزير أول بنجاب، والسلطات الإدارية، والشرطة المختصة لإنصافهم من الظلم الذي وقع بهم.

ويبدو أن هناك مؤامرة مستترة وراء هذه الأحداث التي لا تزال تقع في العامين الأخيرين بالمعاهد الدراسية، وفي كليات الطب والهندسة بصفة خاصة، وذلك بغرض اضطهاد وتعذيب الطلاب الأحمديين على يد جماعات طلابية منظمة، تحركها المنظمات الدينية المتطرفة مثل (جماعتِ إسلامي).

والهدف الحقيقي وراء هذه الأنشطة البغيضة هو حرمان الطلاب الأحمديين، على المدى الطويل من فرصة الحصول على دراسات مهنية في مجال الهندسة والطب. وبعبارة أخرى، سد السبل أمامهم في التعليم المهني، فيفقدون كل فرصة للوظائف في القطاع الخاص والأعمال الحرة. وفي نفس الوقت فإن حكومة بنجاب واضحة في عدم تشجيعها لاستخدام الشباب المسلم الأحمدي المتعلم في وظائفها.

وأعمال العنف هذه محسوبة ومخططة، وترتكب عمداً لإرهاب الشباب الأحمدي حتى لا يسعى للدراسات المهنية في هذه المعاهد التعليمية، وليخلق جوا يجعل إدارة الكلية مترددة في قبول الطلاب الأحمديين متعللة بحجة متطلبات القانون والنظام.

ولا مناص من الإشارة إلى أن أفعال العنف هذه غير المسبوقة سوف تشجع المنظمات الطلابية في الكليات والجامعات الأخرى. وهنا يجدر الإشارة بأنه ابتداءً من ٢١، ٥ إلى ٢٩، ٥، ١٩٩٠ هناك منظمة أخرى تدعي اتحاد شباب تحفظ ختم النبوة تحاول - خلق جو مماثل في الكليات الهندسية في لاهور، تحت سمع وبصر الإدارة الإقليمية. وحتى الآن لم تُر علامات تثنيهم عن عزمهم.

وفيما يلي نص البرقية المرسلة إلى السلطات والجهات المسئولة على مختلف المستويات.

١. في ليلية ١٩، ٢٠ من شهر مايو ١٩٩٠ طرد الطلاب الأحمديون العشرة الذين يدرسون بكلية العلامة إقبال الطبية، والمقيمون بمساكن الكلية رقم ١، ٣، ٤؛ طردوا جميعا بالقوة، ونهبت وأحرقت حاجياتهم كلها بيد ٧٠ إلى ٨٠ من طلاب الكلية ذاتها، الذين ينتمون إلى جناح (جماعتِ إسلامي)، واستولوا على مبلغ ٦٠٠٠ روبية من أحد الطلبة الأحمديين، و ٣٥٠٠ روبية من طالب ثان، ودراجة نارية من طالب ثالث. كما ضرب أربعة طلاب ضربا مبرحا. ويبلغ مجموع ما أحرق ونهب من متعلقات الطلبة الأحمديين حوالي ١٠٠ر٠٠٠ روبية باكستانية.

٢. هذا هو الحادث الثاني من نوعه في هذا المعهد منذ سبتمبر عام ١٩٨٩. وفي الحادث السابق الذي وقع في العام الماضي نهبت وأُحرقت كل متعلقات الطلبة الأحمديين المقيمين، والقى بالطلاب خارج المسكن بالقوة.

٣. نلتمس العمل الفوري الحاسم بصدد هذه الواقعة التي ارتكبت عن عمد لجعل الموقف القانوني والنظامي أسوأ حالا، ولإحراج الحكومة في إقليم بنجاب الذي يعاني حالا من عدم الشرعية لم يسبق له مثيل. ونلتمس أيضا اتخاذ الخطوات الفورية لتسكين الطلبة الأحمديين في مساكن الطلبة مع كفالة الحماية التامة لهم. ونلتمس أيضا إصدار الأمر بالتحقيق في الموضوع وتوقيع العقاب على المسئولين عن هذه الأحداث بيد من حديد.

٤. ونحن مضطرون للإشارة إلى أنه لم يتخذ أي إجراء من أي نوع في حادثة العام الماضي الإجرامية، لا بمعرفة سلطات الكلية ولا الإدارة المحلية، الأمر الذي شجع المجرمين، وسول لهم تحدي الإدارة مرة ثانية.

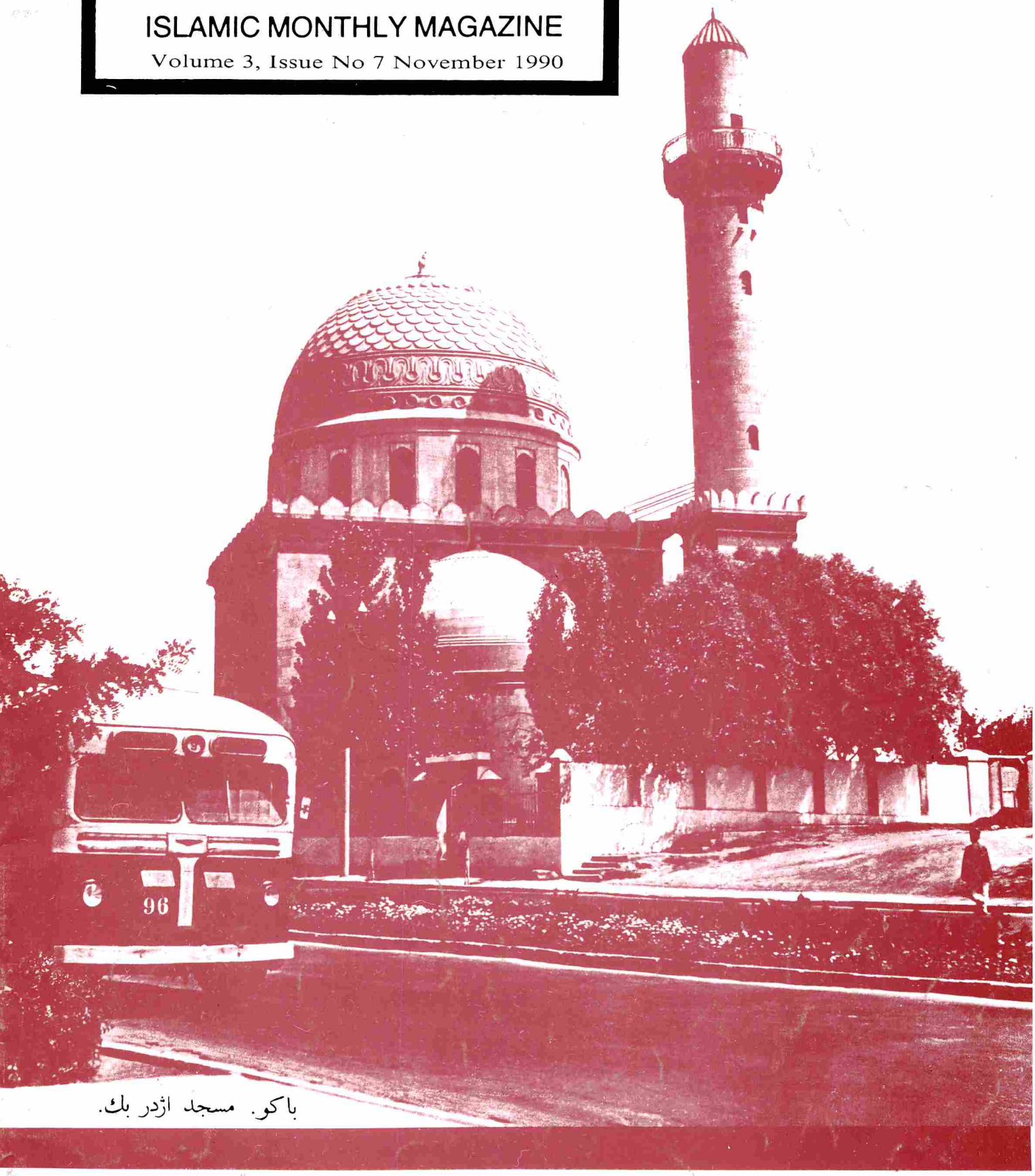
٥. ونلتمس أن تنال هذه الحادثة الالتفات المناسب، وأن تعالج بحزم كاف لإقرار أن هذا الحادث لا يتمتع ببركات الإدارة.

مقدمه: جلزار أحمد، طاهر أحمد، محمد أمجد باجوه، مقصود الحسن، عثمان أحمد، مظفر أحمد، مبشر أحمد، سلطان أعظم، محمد يحي منصور، عبد الصبور (طلبة كلية العلامة إقبال الطبية).

ALTAQWA

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

Volume 3, Issue No 7 November 1990



باكو. مسجد اژدر بك.

آثار الإسلام التاريخية في الإتحاد السوفيتي

ظفر الله خان
بطل قضية فلسطين
في الأمم المتحدة

ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

المجلد الثالث، العدد ٨، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٠



بسم الله الرحمٰن الرحيم

التقوى

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الإسلامية الأحمدية

مدير الإدارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد

دار النشر والتوزيع
الشركة الاسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
اسلام اباد ـ بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
جوامع الكلم	٦
كلام الإمام	٧
ظفر الله خان بطل قضية فلسطين	١٠
هذه الأزمات من يخلقها ضد المسلمين	١٨
قصيدة	٢٩
أزمة الخليج وآراء المشائخ والعلماء	٣٠
أخبار الجماعة في باكستان	٣٥

ثمن النسخة : جنيه ونصف £1.5 والإشتراك السنوي £18 او ما يعادل ذلك
خارج بريطانيا. ترسل قيمة الإشتراك باسم التقوى الى عنوان المجلة

الافتتاحية

فيما يتخبط المشائخ والعلماء في الفتاوي المتضاربة في استدعاء القوات الاجنبية في السعودية يخطط الغرب بكل مكر ودهاء لتوجيه ضربة قاضية إلى العراق، بل بالأحرى إلى العالم الإسلامي. والكل يعرف أن هذه الحرب سوف تدمر العراق وتضعف المسلمين لأمد بعيد. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بعد أن تبين للعالم بل تجلى حتى لرجل الشارع أيضا من يعمل من المسلمين للغرب ويواليه نُقدم للقراء الكرام مقالاً هامًا يكشف عن كذب هؤلاء الموالين المتهمين للأحمدية بأنها عميلة إسرائيل والغرب. يُكشَف عن هذا الدجل في مقال الأستاذ عبد الحميد الكاتب (في مجلة العربي الكويتية ١٩٨٣). كل قارئ حصيف سوف يعرف كيف أن الغرب يتمكن، عن طريق بعض المستأجرين من المسلمين، من تشويه الحقائق وتشتيت شمل المسلمين.

لا شك أن هذه الأزمات والمؤامرات ترجع إلى سبب وحيد هو إسرائيل. فالغرب ليس له هم إلا حماية إسرائيل بإضعاف القوى المسلمة. كل ثائر على مظالم إسرائيل والغرب يسميه الغرب عقلا مريضًا، ومع أن هذه التسمية صحيحة إلى حد كبير، لأنه لا يستخدم الرأي قبل الشجاعة، إلا أن اللوم كله على الغرب الذي لا يكف عن خلق هذه العقول المريضة، بل لا يلتفت إلى أسبابها وهي الظلم الذي يمارسه إسرائيل ضد العرب، والسياسة الغربية ذات الكيلين.

هذا التحليل الممتع يقوم به سيدنا إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية في سلسلة من خطبه منذ فترة. نقدم هذه الخطب بالأقساط في «التقوى».. عسى أن يهدي الله الحكام إلى الصواب، وإلى اللقاء.

بسم الله الرحمن الرحيم



بقلم حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

[يخادِعون اللهَ والذينءَامَنوا وما يَخدَعون إلا أنفسَهم وما يشعرون *]

شرح الكلمات

يخادعون: خدع الشيءُ: فسد (التاج). خدعه: ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلمه (أقرب). يقال: خادَعَ: إذا لم يبلغ مراده، وخدع إذا بلغ مراده. خادعه: إذا تركه. خادع العين: شكّكها فيما ترى. خادَعَه: إذا كاسَدَه. (الكليات). الخداع: إنزال الغير عما هو بصدره بأمرٍ يبديه على خلاف ما يخفيه. (المفردات). الخدْع: إظهار خلاف ما تخفيه. وجاز يفاعل لغير اثنين لأن المثال يقع كثيرًا في اللغة للواحد نحو عاقبتُ اللص. والعرب تقول: خادعتُ فلانًا، إذا كنت تروم خدعَه (اللسان). وخدعه: منعه، يقال: كان فلانا كريمًا ثم خدع، أي أمسَكَ ومَنَعَ. وسوق خادعة: أي مختلفة متلونة تقوم تارةً وتكسدُ أخرى (التاج). وخادع الحمد: تركه (أقرب).

إذن فمعني [يخادعون الله] أنهم أولا: يريدون خداع الله ولكن الله لا ينخدع منهم. (ثانيا): يشككون غيرهم بإظهار خلاف ما في صدورهم. (ثالثا): يفسدون في الدين. (رابعا): يحاولون منع الله بمعنى أنهم يعرقلون نشر دينه. (خامسا): يعاملون الله معاملة المتلونين، فأحيانا يطيعونه، وأخرى يعصونه.

يشعرون: شعره وشعر به: فطنه، علمه، أدركه، أحس به. (أقرب). والشعر هو العلم بدقائق الأمور. وقيل هو الإدراك بالحواس. ويجوز استخدام [لا يعقلون] مكان [لا يشعرون]، لأنه كثيرًا مايكون الشيءُ معقولا، ولكن لا يشعره الإنسان. فالفرق بين الشعور والعلم أن الشعور يكون بالحس الباطني أما العلم فيحصل بالوسائل الظاهرية (التاج).

التفسير

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن الإيمان النافع يتأسس على النية الحسنة والإخلاص لله عز وجل مع الصدق. والإيمان الذي ينقصه الإخلاص ليس بشيءٍ، بل هو من باب الخداع، والله تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يمكن أن ينخدع.

وقد كان لهذه الآية نصيبها من الاعتراضات، فقالوا: كيف يمكن لأحد أن يخدع الله؟ وإذا كان المراد قصد المخادعة: فكيف يحاول أحد خداع الله تعالى بعد الإيمان به؟ والمخادعة تعني اشتراك الله تعالى في عملية الخداع، فكيف يجوز ذلك على الله؟ أليس فيه انتقاص من قدره عز وجل؟

وردا على هذه الاعتراضات نقول:

إن فعل خادَعَ غير خَدَعَ، فهو يعني حاول الخدع، ولا يلزم المحاولةُ وحدها ليكون الخدع واقعًا. وإذا أريد به معنى خدع، فلا اعتراض، لأن المعنى يكون من وجهة نظر المنافق.. إذ يعامل الله تعالى معاملة الخادع الذي يعوزه الصدق والإخلاص. ولا يعني ذلك أن ينخدع الله تعالى بهذه المعاملة، فهو سبحانه العليم الخبير الذي يستحيل خدعه وانخداعه كما يقول: [وما يخدعون إلا أنفسهم]. فمخادعة الله هنا ليست بحقيقة وإنما هي مجاز، ومعناها مماطلة أحكام الله، والتنصّل عن الواجبات المفروضة من قبله، ومثله قول الشاعر: وخادعتُ المنيةَ عنك سرًّا، وأراد به إزالة أسباب الموت.

وإذا كان معنى الخداع هو قصد الخدع وإرادته، فما وجه الاعتراض على ذلك؟ إن في هذه الدنيا طائفة من العلماء والفلاسفة الذين لا يعتقدون بعلم الله عز وجل، ويظن بعضهم أن علمه سبحانه وتعالى يقتصر على الكليات ولا يحيط بالجزئيات. وأمثال هؤلاء كانوا موجودين وقت نزول القرآن أيضا كما ذكرهم في قوله:

[ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أَردُكم فأصبحتم من الخٰسرين *] (سورة فصّلت: ٢٣ و٢٤).

ووصفهم في قوله تعالى:

[ألا إنهم يَثْنُون صدورَهم ليستخفوا منه. ألا حين يستغشُون

ثيابَهم يعلم ما يُسِرُّون وما يعلنون. إنه عليم بذات الصدور*] (سورة هود: ٦).

ولا يعتقد هذه العقيدة إلا ضعفاء الإيمان ممن يجهلون صفات الله تعالى، ولا يدركون كنهها حق الإدراك، فيتخبطون في هذه العقائد والأعمال المنكرة، متشبثين بقشة الغريق.. يقولون: [واللهِ ربِّنا ما كنا مشركين*] (سورة الأنعام: ٢٤). يظنون أن الله تعالى يغفر لهم لأنه رحيم غفار، بل إنهم مظاهر مغفرة الله، ولو لا هم ما ظهرت مغفرته. ولكن الآية الكريمة تقرر أنهم يخدعون أنفسهم بإيمانهم الفاسد وعقيدتهم الباطلة.

أما من يقولون بأن المخادعة تعني المشاركة فيكون الخداع من الله تعالى أيضا، وهذا ينال من عظمة الله وعلو شأنه. فنرد على اعتراضهم بأن المفاعلة لا تستلزم المشاركة من الجانبين، بل قد تدل على صدور الفعل من جهة واحدة كقولك: عاقبتُ اللص. فهذا لا يعني أنك عاقبته وهو عاقَبَك. كذلك يعني قوله [يخٰدعون الله] أن محاولة الخدع حدثت من جانب المنافقين وحدهم.

هذا، وإن جزاء الجريمة يعبر عنه أحيانا بلفظ الجريمة كما جاء في قوله تعالى: [وجزاؤا سيئةٍ سيئةٌ مثلها] (سورة الشورى: ٤١)،

[... فَاعْتَدُوا عليه بمثلِ ما اعتَدٰى عليكم] (سورة البقرة: ١٩٥)..

فالمعنى أن المنافقين يخادعون الله، والله يخدعهم.. أي يعاقبهم ويجازيهم على خداعهم. وهذا الاستعمال شائع في اللغة العربية وهو من باب المشاكلة، يقولون: «حَسَدَني اللهُ إن كنتُ أحسُدُك»، أي عاقَبَني على الحسد (أقرب).

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهَلْ فوق جهلِ الجاهلينا

ومثله قول الطحوي:

فنكَّبَ عنهُمُ درءَ الأعادي وداوَوا بالجنون من الجنونِ

ويتدعم هذا المعنى من قول الله تعالى:

[إن المٰنفقين يخٰدعون الله وهو خٰدِعُهم] (سورة النساء: ١٤٣).

خلاصة القول: إن الآية لا تعني أبدا أن الله تعالى يمكن خداعه. فهذا الفهم الخاطئ يخالف نصوص القرآن الصريحة، وهو افتراء جريء على العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية.. كما قال عز وجل بنفسه:

[ولقد خلقنا الإنسٰن ونعلم ما تُوسْوِسُ به نفسُه ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد*] (سورة ق: ١٧)،

[إنه عليم بذات الصدور*] (سورة الأنفال: ٤٤)،

[ولا أصغَرُ من ذلك ولا أكبَرُ إلا في كتٰب مبين*] (سورة سبأ: ٤)،

[ألم تَرَ أن الله يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض. ما يكون من نَّجْوٰى ثلٰثةٍ إلاّ هو رٰبعُهم ولا خمسةٍ إلاّ هو سٰدسُهم ولا أدْنٰى من ذلك ولا أكثَرَ إلا هو معهم أينما كانوا، ثم يُنبِّئُهم بِما عملوا يوم القيٰمة، إن الله بكل شيءٍ عليم*] (سورة المجادلة: ٨)،

[يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور*] (سورة غافر: ٢٠).

نخلص من هذا البحث بالأمور التالية عن المنافقين وسلوكهم:

١. أنهم بسلوكهم يتعاملون مع الله تعالى معاملة الخادع.

٢. أنهم يريدون خداع الله تعالى مع أنه يجلّ عن الانخداع.

٣. أن الله تعالى يعاقبهم على أعمالهم بما يوقعهم في مغبة خداعهم.

٤. أنهم يتناءون عن الله بسلوكهم.. (حيث خدع تعني هجر).

٥. أنهم لا يستقرون على حال بسبب عدم إخلاصهم فيما يدعونه من إيمان. فهم أحيانا يتصرفون تصرف المؤمنين ويسايرونهم خوفا منهم، وأحيانا يخضعون لوطأة الكفار وينحازون إلى صفوف أعداء الإسلام.. (حيث خدع بمعنى اضطرب ولم يستقر على حال كقولهم: سوق خادعة).

٦. أنهم يسلكون مسلك المفسدين.. (حيث الخداع يعني الفساد).

٧. أنهم يخادعون رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ومن يسعى لخداع الرسول ﷺ فكأنما يريد بذلك خداع الله تعالى. ويتبين هذا المعنى من قوله تعالى: [إن الذين يُبٰيعونك إنما يُبٰيعون اللهَ يدُ اللهِ فوق أيديهم] (سورة الفتح: ١١)، [فإنهم لا يكذبونك ولكن الظٰلمين بِأٰيٰت الله يجحدون*] (سورة الأنعام: ٣٤).

فمبايعة الرسول ﷺ مبايعة لله، وتكذيب الرسول ﷺ جحود بآيات الله. ولقد ورد نفس الأسلوب في الحديث القدسي: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضتُ فلم تَعُدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلانًا مرض، فلم تَعُده؟ أما علمتَ أنك لو عُدتَه لوجدتَني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتُك، فلم تُطعمني. قال: يا ربِّ كيف أُطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه. أما علمتَ أنك لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسْقيتُك فلم تَسقني. قال: يا ربِّ، كيف أسقيك وأنت رب

العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقِه. أما إنك لو سقيتَه لوجدت ذلك عندي» (مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض).

وقوله تعالى: [وما يخدعون إلا أنفسهم] يدل على حقيقة ناصعة، وهي أن أعمال المنافقين التي يعوزها الإخلاص ستعود عليهم وبالا، لأن الخديعة لا تحلّ إلا بصاحبها.. فيكون في الدنيا والآخرة من الأذلاء السافلين. إنه يظن أنه يخدع الله تعالى، ولكنه في الواقع يخدع نفسه ويدفعها نحو الهلاك.

وقوله تعالى: [وما يشعرون] أي لا يفطنون إلى حقيقة الأمر. والشعور يختلف عن العلم والعرفان والعقل والفكر. فالشعور هو العلم بالأمور الدقيقة، والعلم هو ما يحصل عن طريق الحواس الظاهرة. أما العرفان فهو العلم المتكرر للشيء، ولذلك تسمى العلوم الروحانية بالعرفان، لأنها تدرك أولا بكلام الله تعالى أو بالفطرة الصحيحة التي فطر الله الناس عليها؛ وهذا هو العلم الابتدائي الذي تقترن به المشاهدة فيصير عرفانا، ويسمى صاحبه عارفا، لأنه شاهد صفات الله التي علمها من كتاب الله تعالى وعرفها حق المعرفة. والعقل هو قوة توجه الإنسان نحو العمل طبق علمه وفكره وشعوره. والعاقل هو الذي يستعمل في أعماله العلم الصحيح والفكر الصائب والشعور النافذ إلى دقائق الأمور، ويمنع نفسه من مخالفة هذه القوى. أما الفكر فهو قوة تساعد على الاستنتاج من المعلومات الخارجية. والمفكر هو الذي يرتب معلوماته البسيطة ترتيبا يؤدي به إلى نتائج جديدة لم يكن يعرفها أحد من قبل.

فالشعور إذن أن يحس المرء بقواه الباطنية، ويهتدي إلى الصراط المستقيم.. بعد أن يشعر بالقوى التي جُبل عليها. والشَعْر من الشعور لأنه يظهر من الداخل إلى الخارج. والشِعار هو اللباس الداخلي الملتصق بجسم الإنسان. والشعار الشجرة لأنها تنبت خارجة من الأرض. والشِعار أيضا هو كلمة السر التي يتفق عليها بين الحارس وغيره من الخفر، وسمى كذلك لأنه من الأسرار الخفية. والشِّعر سمي كذلك لأنه يعبر عن المشاعر والعواطف الباطنية. والشعائر هي مظاهر إرادة الله عز وجل، وبها تتجلى مشيئة الله تعالى وصفاته. والمشاعر أيضا هي الحواس الباطنية.

فقوله: [وما يشعرون] يعني أن الفطرة السليمة تمج الخداع، ولكن المنافقين لا يعرفون حتى ولا نفوسهم فضلاً عن حقائق الدين، وأنهم لا يدرون أن النفاق من الأفعال القبيحة التي ترفضها الفطرة الصافية النقية بنفسها دون أن يوجهها أحد.

وكما سبق أن ذكرنا أن هذه الآية تشير إلى جماعة من أهل المدينة كانوا يتظاهرون بالإسلام قولا بأفواههم ولم يكونوا مسلمين في الحقيقة. فلما أسلم غالبية أهل المدينة دخل هؤلاء مع الداخلين في الإسلام.. دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير الجاد. ولكنهم لما أمعنوا النظر في حقيقة الإسلام ووجدوا أن هناك تضحيات لا بد من تقديمها لأجل الإسلام.. تراجعوا وابتعدوا عنه شيئا فشيئا. ولكنهم لم يجرؤوا على إنكار الإسلام جهارًا خشية قومهم. والقرآن الكريم يذكر ذلك فيقول لهم: [لا تعتذروا.. قد كفَرْتم بعد إيمانكم. إنْ نَعْفُ عن طائفةٍ منكم نعذِّبْ طائفةً بأنهم كانوا مجرمين* المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديَهم، نسُوا اللهَ فنَسِيَهُم. إن المنافقين هم الفاسقون*] (سورة التوبة: ٦٦ و٦٧).

هذه الأزمات.. بقية عن جوهر كل نصيحة أستطيع تقديمها لهم. في إحدى غزوات النبي الأكرم ﷺ أوى حضرته إلى ظل شجرة لينال قسطا من الراحة على بعد من الجيش. وتمكن أحد الأعداء من التسلل إلى موقعه، ووقف عند رأسه رافعا سيفه. وانتبه النبي من غفوته على صوت الرجل يقول: يا محمد، من يعصمك الآن مني؟ في هذه اللحظة المباغتة، والعدو ممسك بسيفه أمام النبي في وضع الرقاد.. لم يغير النبي ﷺ من وضعه وإنما رد على الرجل سؤاله في هدوء وسكينة واطمئنان قائلا: الله. نعم ربه الله هو الذي يمنعه ويصونه ويحميه.

ما أعظم ذلك الرد! هناك إجابة واحدة قائمة إلى يوم الحساب، تقال في مواجهة كل المحن والابتلاءات، يقولها المؤمن كما قالها المصطفى ﷺ لذلك الطاغية. وسوف يقولها كل مؤمن، ليرد بها على كل طاغية. وإذا لم يقلها.. فلا ضمان لسلامته.

أنظروا إلى الأيدي التي تمسك السيف، وتذكروا تحت أي سلطان وقدرة تعيش هذه الأيدي التي ترفع السيوف على رقابكم. إنهم يحسبون السيف ينزل أولا.. ولكن الله ربنا.. يعلم ويشهد أنه سوف تنزل صاعقة غضبه وتضرب وتسبق سيفهم. وتلك الأيدي التي ترتفع اليوم لهدم الأحمدية سوف ترتد شلاء عاجزة. ولن تستطيع قوة في الأرض أن ترد قدر الله تعالى. لسوف يؤذونكم، ولسوف تقاسون الألم، هذا ما يقرره القرآن المجيد، ولكنكم لن تضاروا في أرواحكم وعاطفتكم، ولن تبرحوا صامدين ثابتين. وإذا ما بقيتم على تعلقكم بالله أبدا بالجواب الذي أجاب به المصطفى ﷺ.. بإخلاص تام، وثقة كاملة، وقلتم: يا عدونا الذي ترفع سيفك، بالأمس نجّا الله عباده الصالحين من سيفك، وحفظهم الله في حمايته. واليوم، نقسم بقوته وعزته.. هو نفس الإله الحي.. سوف يحمينا من كل هجماتكم وفظائعكم وشروركم.

فإذا كنتم تشعرون بالألم من ادعاءاتهم.. فإني تألمت أيضا من ردود فعل أولئك الأحمديين الذين ظنوا بأن السيف الذي في يد الأعداء سوف يقطع رقبة الأحمدية لا سمح الله! أقسم أن ذلك لن يحدث أبدا. إن عدوان الأعداء كان دائما وأبدا يخلق وسائل تقدم الأحمدية، ويفتح لها سبلا جديدة للازدهار. وفي زمن الابتلاءات الماضية.. في حكم ضياء الحق العسكري لمدة أحد عشر عاما، كانت كل لحظة منها كحية تزحف في صدره، ولكنه لم يستطع أن يوقف موكب تقدم الأحمدية في العالم. وفي نهاية المطاف.. خرج من الدنيا بالذلة والعار، وباء بالخسران المبين.

فما الذي تخشونه لو انتقل السيف إلى يد أخرى؟

حافظوا على إيمانكم وإخلاصكم وثباتكم. ثقوا في الله ربكم. كونوا على يقين متين من قوله جل وعلا: [كتب الله لأغلِبنّ أنا ورسلي].

من جوامع الكلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظنَ فإن الظن أكذَب الحديث. ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسُوا، ولا تنافسُوا، ولا تحاسدُوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا؛ وكونوا عباد الله إخوانًا، كما أمركم. المسلم أخو المُسلم: لا يظلمُهُ، ولا يخذُلُه، ولا يحقرُهُ. التقوى هٰهُنا، التقوى هٰهنا»، ويشير إلى صدره. «بحسب امري ء من الشر أن يحقر أخاهُ المسلم. كل المسلم على المسلم حرامٌ: دمهُ وعرضُه وماله. إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم». (مسلم).

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّك إن اتبعتَ عوراتِ المسلمين أفسدتهم، أو كدتَ أن تُفسدهم» (أبو داود).

وعن أبن مسعود رضي الله عنه أنه أُتي برجلٍ فقيل له: هذا فلانٌ تقطُرُ لحيته خمرًا. فقال: إنا قد نُهينا عن التجسُّس، ولكن إن يظهر لنا شي ء نأخذ به. (أبو داود).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إيَّاكم والظن، فإن الظن أكذبُ الحديث» (متفقٌ عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطَب، أو قال العُشب». (أبو داود).

كلام الإمام
فلسفة الوحي

لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود
عليه وعلى مطاعه الصلاة والسلام

ترجمة: عمرو عبد الغفار

إعلموا أن الإنسان مخلوق كي يسعى حتى يعرف خالقه، ويتوصل إلى الإيمان اليقيني بذاته وصفاته. لقد خُلق عقل الإنسان ومخه بحيث يكون، من جهة، قادرا على اكتشاف الله عن طريق الملاحظة العاقلة للمخلوقات، وبالتأمل في التفصيل والتدبير الموجود في الجزئيات والنظر في كل النظام الكوني الذي يتكون في النهاية من تلك الجزئيات. والملاحظة العاقلة كفيلة بإقناع الإنسان أن في هذا التدبير ولطائفه الدقيقة يكمن دليل لا جدال فيه على وجود الخالق الأعظم. إن ما في الخليقة من عظمة غير محدودة لتشير إليه جل وعلا بلا مقاومة. فملكوت السماء وتجهيز الأرض لا يمكن أن يحدث من تلقاء نفسه، بل لا بد لذلك من خالق. ومن جهة أخرى، وهب الإنسان حواسا وقدرات روحانية. ويعني ذلك أنه إذا عجزت القوى العقلية، أي الفكرية، للإنسان عن التوصل إلى معرفة الخالق معرفة حقيقية تامة، فبوسعه تحقيق ذلك عن طريق قواه الروحية.

ومن الجلي أن القوى الفكرية لا تتوصل إلى الإدراك التام لله جل وعلا، وهي لا تستطيع ذلك. لا تملك القوى العقلية أكثر من إقناع الإنسان بأنه لا بد أن يكون وراء هذا الخلق: سمائه وأرضه، وما فيه من تدبير كامل لا يخطئ ولا يفشل، خالق عظيم. ولكن هذا لا يكفي للإقناع بأن ذلك الخالق حي باقٍ. (١)

قد تبدو حتمية وجود الخالق بينة جلية، ولكنها لا تنهض مكافئة للمعرفة المؤكدة. إن أمامنا حقا تنوعا عظيما من المخلوقات، وأيضا توحي هذه التشكيلة من الخلق بوجود الخالق؛ ولكن هل تضمن عقلانية الإيمان بوجود الخالق الاقتناع بأن الخالق موجود فعلا؟ ويترتب على ذلك أن الطالبين للحقيقة، الذين أوتوا فطرة البحث عن الحقيقة، ويبدون الطموح للتوصل إلى معرفة الأمور معرفةً تامة أكيدة، لا بد من أن يكون لهم، بالإضافة إلى قواهم العقلية، قوى روحانية، يمكنهم بإعمالها إزالة الحجب التي تعوق رؤيتهم للحق المطلق؛ وبذلك فقط يستطيعون تحقيق شهود الوجود الإلهي، الذي بحثوا عن وجهه الحبيب، والذي هو الحق وراء كل الأشياء.

إن قوانا العقلية لا تستطيع أن تكفل لنا مشاهدة وجه هذا الحق المطلق. ولا غرو إذن أن الله الرحمٰن الرحيم، الذي غرس في الكائن البشري هذا التطلع الفطري إلى المعرفة التامة بالحقيقة، قد وهب الإنسان نوعين من القوى: القوة الفكرية ومركزها العقل أو المخ، والقوة الروحية ومركزها القلب؛ وهي التي تتوقف سلاسة عملها على سلامة قلوبنا. وما تعجز القوة العقلية عن التوصل إليه تنجح في تحقيقه القوى الروحانية.

إن قوانا الروحية قابلة للتأثير، ويجب أن تكون هكذا. إنها تزودنا بالسلاسة التي بها تنعكس أفضال الله، ومن ثم ينبغي أن تكون قوانا الروحية مستعدة دائما لاستقبال أفضال ربنا الرحمٰن ثم إشعاعها. وينبغي لأداء هذه الوظيفة بنجاح ألا يكون بين الله تعالى وبين الإنسان حجاب أو عائق. وهكذا فقط يمكن للإنسان أن يتوصل إلى المعرفة الكاملة بربه الذي يطلبه. لا يكفي للتعرف على الله والعلم بوجوده أن يستنبط المرء حتمية وجود خالق لهذا النظام الكوني، بل ينبغي التيقن من وجود الخالق جل وعلا. ولا يأتي اليقين إلا إذا باركنا الخالق وتفضل علينا بصوته اليقيني. ينبغي أن يتاح لنا شهود لا يخطئ لآيات وجوده. ينبغي أن نكون كمن يرى وجهه الكريم فيتحقق من وجوده. ينبغي أن نكون قادرين على الجزم بأن الخالق موجود حقا. ولكن الطبيعة البشرية مغلفة بأحجبة فوق أحجبة. هناك حب الدنيا الذي تتقولب فيه حياتنا الحاضرة، وهناك حب الذات، والغرور، والعجب، والكبر، والمراءاة، والاستعلاء، وتعمد الإهمال لحق الله وحق الناس، وتجاهل الحياة الطيبة وأشراطها، وتناسي لطائف المودة والولاء، والعيش بدون تعلق بالله تعالى. هذه كلها من الحجب التي تحاصرنا، إلى جانب حجب الشهوات والعواطف (٢). كل هذه مجتمعة تجعلنا غير أهل لاستقبال رسالات الذات الإلهية، وتتركنا غير قادرين على تلقي النور الذي يتولد من التقارب والتواصل مع الله تعالى..

ومع ذلك فإن الله الكريم لا يود أن يدع الناس محرومين تماما من الوصال الذي يتمتع به الأبرار المقربون، ولذلك فإن عادة الله

تعالى جرت بالسماح للإنسان كي يرى قبسا من هذا الوصال من حين لآخر، وذلك في صورة رؤى وكشوف تتحقق. فإذا ما وقع ذلك عرف الناس أن ثمة طريقا مفتوحا لمزيد من المعرفة. وليست هذه التجارب العرضية بدليل على قبول خاص أو رضا من الله تعالى؛ وليست برهانا على محبته وفضله، بل لا يزال هؤلاء الناس منهمكين في طبائعهم الحيوانية. فإذا ما أراهم الله رؤيا صادقة أو تجربة مشابهة، فإنما يريد الله ليذيقهم بعض ما يناله النبيون والمقربون بنصيب أوفر. إن عامة الناس لا يتركون من غير أن يجربوا بعضا من فيض ما يحصل عليه الأنبياء.

إن عامة الناس إذا حرموا بالمرة من مثل هذه التجارب؛ وإذا لم يكن لهم أقل فرصة للاستدلال على وجود الله تعالى عن طريق الاتصال به بين حين وآخر، لكان لهم بذلك عذر مناسب أن لم يؤمنوا بالله وأنبيائه، ولكان في استطاعتهم القول بأنهم لم يدركوا بالتجربة مدلول النبي ومفهوم النبوة، ولكان بوسعهم القول بأنهم كانوا في جهل مطبق وغفلة تامة عن إمكان معرفة الله عن طريق التجربة. إنهم لم تكن لهم بهذا الصدد أقل نصيب من الممارسة، ولذلك فشلوا في إدراك وفهم حقيقة التجربة الروحية، فبقيت مخفية عنهم.

لذلك، فإن عادة الله تعالى جرت منذ بدء الزمان أن يكون للإنسان، كل إنسان: التقي أو الفاسق، المحب للخير أو المائل للشر، ذي الدين الصحيح أو متبع الملة الفاسدة، نصيب من التجربة الروحية، في رؤيا صادقة أو حتى في كشف متحقق. وبذلك تصل ملاحظاتهم في عالم الطبيعة، وحدسهم عن الخالق مما يشيع بين الناس، أو من تأثير المجتمع حولهم، يصل ذلك إلى مستوى العلم؛ وإن كان علما أوليا، الذي نسميه العلم الاستدلالي أو الاستنتاجي. (٣)

ويجعل الله تعالى ذلك يحدث للناس كي يتقدموا في طريق الروحانية. فقد جعل الله الحكيم المخ والعقل للإنسان كي يستطيع به الوصول إلى الإيمان بالله، ليس فقط عن طريق الاستدلال والاستنتاج على وجوده بملاحظة الكون الطبيعي، وإنما أيضا باكتساب درجات اليقين من خلال قواه الروحية بما تحدثه الرؤى والإلهام الصادق. وعلينا أن نتذكر أن تلك التجارب الروحية العرضية لا تتضمن أي منزلة أو رتبة روحية لمن يراها، وإنما تكون كمثال بسيط يتذوق به ماهية التقدم الروحي. (٤)

وتشير هذه التجارب الروحية من رؤى وكشوف إلى حقيقة أن من يحصلون على هذه التجارب يملكون طبائع ملائمة، وأنهم إذا استطاعوا حماية أنفسهم من العواطف الأنانية، وإذا لم تكن هناك حجب وعوائق تكبتهم.. فبوسعهم مواصلة التقدم. ويشبه هذا أرضا نعرف أن في باطنها ماء يمكن استخراجه، وهو مدفون تحت طبقات من ترابها. فإذا أردنا الحفر للحصول على الماء فلسوف نصيب في باديء الأمر ماء مخلوطا بالطين من كل نوع، فإذا وصلنا في الحفر إلى عمق كاف حصلنا على الماء الصافي الذي يناسب حاجتنا. وربما تطلب الأمر عملا شاقا لأيام كثيرة قبل الحصول على الماء بما يوازي الجهد المبذول. فالذين يحسبون تجاربهم الجزئية هي كل ما يُرتَجى في الحياة الروحية، وأنها أقصى ما يستطاع التوصل إليه. فهؤلاء قليلو الهمة والحمقى والمتشائمون. إن الإنجازات لا تنتهي عند حد تلك التجارب العرضية، ولكنها تمضي إلى أبعد من ذلك كثيرا. إنها تتطلب منا العمل الدءوب والصبر. وهناك شروط ينبغي الوفاء بها قبل الحصول على المكافأة وبهجة الإنجاز الكامل. وإلى أن تتحقق كل تلك الشروط، ستبقى التجارب العرضية اختبارا أعده الله الكريم. نجانا الله تعالى، وكل كادح مجتهد في هذا المضمار من الضرر الذي قد يترتب على تلك التجارب العرضية.

والذين يتوقون إلى موضوع الوحي، ينبغي عليهم أن يتذكروا أن الإلهام أو الوحي على نوعين: وحي الابتلاء، ووحي الاصطفاء. أما وحي الابتلاء فيراد به اختبار الموحى إليه، وقد يؤدي إلى دماره الروحاني، ومثاله بلعام (٥). ولكن من يتلقى وحي الاصطفاء، وهم من يختارهم الله عز وجل، فلا يمكن أن يلقى الدمار أبدا. كما أن هذا الوحي ليس شائعا، فلا يتلقاه كل من هب ودب. والذين لا يستطيعون استقبال أي وحي فكثير ما هم. إنهم كمن ولدوا صما أو بكما أو عميانا. فكما أن هناك من يولد معوقا في جسده، هناك أيضا من يولدون بلا قوى روحية. وكما يعتمد المكفوف في تحركاته على غيره من المبصرين، كذلك يعتمد المحرومون من القوى الروحية على غيرهم. إنهم يتقبلون، وليس لهم إلا أن يتقبلوا، شهادة غيرهم ممن يبصرون. وشهادتهم صالحة وصحيحة ما داموا يبصرون؛ ولا يصح للمكفوف أن يتهم الآخرين بالعِمى مثله. إنه واقع نشهده كل يوم. فما من مكفوف يرمي المبصرين بأنهم كذابون في ادعائهم القدرة على الرؤية. وليس بوسع الأعمى أن ينكر وجود الملايين ممن ليسوا عميانا. الذين يذهبون هنا وهناك بنور بصرهم، والذين يستطيعون القيام بأمور يعجز عنها المكفوفون.

نعم، قد يذهب بنا الخيال إلى زمن لا يكون في العالم إلا العميان وحدهم، وليس فيه مبصر واحد. ويمكن عندئذ طرح هذا التساؤل: هل كان هناك قط وقت يولد فيه كل الناس بأعين سليمة؟ ويمكن للأعمى أن يقول بأن هذا الوقت لم يكن أبدا. وأخال هذا الأعمى غير ملام على إنكاره هذا.

والذين يرون الرأي المضاد (أي هناك من ولد بعين سليمة) يستطيعون تقديم الأمثلة من الماضي فقط، ولا يستطيعون ذكر مثال واحد من عصرهم أنفسهم لرجل يملك القدرة المدهشة على رؤية الأشياء وتقدير المسافات. إنهم يعترفون بوجود هذه القدرات في الزمن الغابر، ولكنها اليوم لم يعد لها وجود. ومثل هؤلاء الناس يخسرون القضية في نهاية المطاف، فالله الكريم لا يتعامل مع خلقه بهذه الطريقة؛ والناس لا يزالون إلى اليوم يحتفظون بمواهبهم الجسدية من بصر وسمع وشم ولمس وذاكرة وفكر. ولا يتفق مع المنطق أبدا أن القوى الروحية كانت للناس في الماضي، ولم تعد لهم في الحاضر، وولت مع الزمن الغابر، مع أن القوى الروحية أشد أهمية من القوى الجسدية للتقدم الملائم لفكر الإنسان وروحه، وسلامة القوى الجسدية في الإنسان، واستمرار وجودها في الناس، واستطاعة كل إنسان أن يشهد وجودها وسلامتها.. كل ذلك يفضح كم هي مجافية للحق تلك الديانات التي لا تقول باستمرار القوى الروحية في الإنسان. إنهم يقرون باستمرارية القوى الجسدية، ولكنهم لا يعترفون باستمرارية القوى الروحية في الحاضر كما كانت في الماضي!

والنقطة الأساسية التي نود بيانها هنا أن التجارب الروحية من رؤى صادقة أو إلهامات حقة.. لا دلالة فيها على أية منزلة روحية لصاحب التجربة، إذ أن هناك شروطا أخرى لا بد من استيفائها أيضا. وترتبط التجارب العرضية بمزاج المخ أو العقل عند المتلقي. وليس من اللازم أن يكون المتلقي من الأولياء ليمر بمثل هذه التجارب، ولا يتطلب ذلك أن يكون المرء صالحا أو مؤمنا شديد الصلاح والإيمان، ولا حتى يحتاج الأمر أن يكون مؤمنا أو مسلما، فمن خلال عقل معين، يمكن للمرء أن يبدي مقدرة فائقة على إدراك وفهم الأمور الدينية؛ ومن غير أن يكون متدينا، بمعنى أن ما يبديه هو رد فعله إزاء المسائل والمشاكل الحياتية اليومية. وهناك أثر صحيح يصف مثل هذا الشخص بما معناه:

القول قول مؤمن، والقلب قلب كافر.

ويقول الشاعر ما ترجته:

وكم من الشياطين أوادم مقنَّعة..

فلا حاجة بك إذن لتقبل كل شخص بجدية.

وهذا الصنف من الناس، الذي يرى رؤى حقة، ويتلقى إلهامات صادقة.. وليس له مقام روحي، يحيون حياتهم في ظلام، ولا يبدو منهم ذلك البريق والتألق الذي تشاهده على وجوه ذوي النسيج الأخلاقي الطيب. وفيما عدا القليل النادر، لا يظهر فيهم أثر تقوى الله وأمارات قبوله. ومعرفتهم لما يكشف لهم من غيب ليست ميزة لهم، وإنما يشاركهم في ذلك آخرون يعدون بالملايين، ويمكنكم التحقق مما أقول. إن التجارب العرضية من رؤى وإلهامات صادقة قد تحدث للخطاة والآثمين والمستهزئين بالدين، وللنسوة الفاجرات أيضا.

إن الذين يبالغون في تأثرهم بالرؤى والإلهامات العرضية الصادقة لا يتصفون بالحكمة، لأنهم للأسف يخطئون ويضلون بسبب هذه التجارب، ويحسبون أنهم قد حققوا مقاما روحيا.

تذكروا أن مثل هذا الشخص كمثل الذي يحيط به ظلام الليل، ويرى دخانا، ولكنه لا يبصر ضوء ولا يحس حرا، ولا يستشعر دفئا أو راحة من البرد. ولا يجد هؤلاء الناس مع تجاربهم الروحية نصيبا من بركات الله تعالى، وأفضاله الخاصة. وهم لا يُقبَلون ولا يرضى الله عنهم بأي حال. وهم لا يقال عنهم أبدا بأن لهم بالله تعالى صلة من أي نوع. فهم لم يسلموا ضعفهم البشري لأشعة النور الإلهي. وهم معرضون لتأثيرات الشيطان الشريرة بسبب عدم ارتباطهم حقا بالله تعالى. إنهم ينفعلون بما في أنفسهم وعقولهم ورغباتهم، وحالهم كحال شمس استترت خلف طبقات من السحاب الكثيف، مختفية كل الوقت فيما عدا لمحة خاطفة أو إطلاله باهتة بين لحظة وأخرى. هؤلاء الذين لهم تجارب عرضية من الرؤى الحقة والإلهامات الصادقة يبقون غالبا في الظلام، ويحدد لهم الشيطان تجاربهم لأنهم دائما في صحبته. (عن كتاب حضرته «حقيقة الوحي»).

(١) يقتنع العقل منطقيا بوجود الخالق لهذا الكون، ولكن هل هذا الخالق لا يزال حيا قيوما؟

(٢) ليكن معلوما أن الأنبياء والمبعوثين الربانيين لهم عواطفهم وحاجاتهم الجسدية. وهم إذ يتحرون إرضاء الله تعالى يودعون ميولهم ورغباتهم وكأنهم يقتلونها، وعندئذ يعيدها الله إليهم. إنهم يستردون ما أسلموه لله تعالى. ولا يبقون محرومين من ميولهم ورغباتهم.

أما الذين لا يقتلون شهواتهم الذاتية في سبيل الله تعالى فإنهم لا يبرحون محاصرين بها. فتكون حجبًا تحول بينهم وبين رؤية الله تعالى. إنهم كالديدان في أرض حمئة، ويلقون مصيرهم في طينها. ولا وجه للمقارنة بين أهل الله وبين هؤلاء. إن السجن يضم بين جدرانه الموظفين والحراس، وفيه السجناء أيضا؛ ولكن شتان ما بين هؤلاء وهؤلاء!

(٣) العلم أنواع ثلاثة: (ا) علم اليقين، وهو أكثرها بدائية. لأنه يقوم على الاستدلال وحده؛ كأن تستدل على وجود النار برؤية الدخان فقط. (ب) علم عين اليقين، وهو المرتبة الثانية من العلم، ويقوم على الإدراك الحسي، كأن ترى النار بعينك فتعلم وجودها. (ج) علم حق اليقين، وهو أعلى مراتب العلم، وهو العلم المؤكد بأكثر من حاسة، كأن ترى النار بعينك، وتحس بيدك، وتسمع أزيزها بأذنك. فتتأكد من وجودها.

(٤) المراد بالتجارب الروحية العرضية ما ليس له صفة الدوام والخصوصية.

(٥) متنبئ ورد ذكره في التوراة. راجع ما جاء عنه في سفر العدد ٢٢: ٥. (المترجم).



ظفر الله خان بطل قضية فلسطين في الأمم المتحدة

بقلم: عبد الحميد الكاتب

نُشر هذا المقال في مجلة «العربي» الكويتية في عدد يونيو ١٩٨٣. تعيد [التقوى] نشره كما هو مع إضافة بعض الصور منها مع شكرها العميق لصاحب المقال و«للعربي» الغالية، ليطلع الباحثون عن الحقيقة كيف أن الاعداء قد تمكنوا من تسميم أذهان العرب بتهمة أن المسلمين الأحمديين (الذين منهم السير ظفر الله خان، رحمه الله) عملاء لإسرائيل. ويجدر الإشارة إلى أن هذه التهمة المنكرة الخطيرة إنما أثارها الاستعمار المؤيد لإسرائيل الغاشمة عن طريق بعض المشائخ المستأجرين لديه، وذلك حينما كانت جماعتنا الإسلامية الأحمدية تحاول جاهدة لتوحيد صفوف المسلمين ضد عدوهم اللدود إسرائيل. ولكي يعرف القارئ الكريم صدق قولنا نقدم له ماكتبه أحد الكتّاب العرب الكبار الأستاذ علي الخياط أفندي، في جريدة «الأنباء» العراقية بتاريخ ٢١، ٩، ١٩٥٤، وهاك نصه:

«أصابع الاستعمار التى تلعب وراء القاديانية في كل مكان ليس هناك سوى سبب واحد وهو إصبع الاستعمار الذى يلعب دورا هاما في هذه القضية لبث الشقاق والتفرقة بين المسلمين الذين لا زالوا بانتظار اليوم الموعود الذى يقومون فيه بجولتهم الثانية لتطهير البلاد المقدسة من أرجاس الصهيونية وإعادة فلسطين إلى أصحابها الشرعيين.

إن الاستعمار يخشى أن يتحقق حلم العرب هذا،وتزول دولة إسرائيل التى تحمل الكثير من المشاق في سبيل تكوينها» فيعمد إلى إثارة الشقاق بين طوائف المسلمين بإثارة النعرات، لتقوم بعض العناصر بتكفير فئة الأحمدية والتشهير بهم، حتى يؤدى ذلك إلى الشقاق بين باكستان وبين بعض الدول العربية التى تقوم صحفها بتكفير «ظفر الله خان» وزير خارجية باكستان الذى يتبع الطريقة الأحمدية.

ولعل كثيرا من القراء يذكرون محاولة بعض العناصر في باكستان قبل مدة تأسيس (الاسلامستان) أي جامعة الدول الإسلامية، وذلك بجمع كافة الدول الإسلامية في منظمة واحدة لتسير سياستها الخارجية والمحافظة على كيانها واستقلالها. إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل بعد أن وقف بعض العناصر منها موقفا معارضا. وكان من جملة الأسباب التى أدت إلى فشل هذا المشروع هو سلاح التكفير الذى ناوله الاستعمار ليد بعض المتطرفين، ليشهروه في وجوه الذين تبنوا المشروع المذكور، لأنهم «قاديانيون ومارقون عن الإسلام».

وقد يظن بعض القراء أن ما أذكره من تدخل الاستعمار في هذه القضية ليس إلا وليد الحدس والظن، إلا أنى أؤكد للقراء بأنى مطلع كل الاطلاع على تدخل الاستعمار في هذه القضية، إذ أنه حاول أن يستغلنى فيها بالذات عام ١٩٤٨ أثناء حرب فلسطين.

كنت حينئذ أحرر إحدى الصحف الفكاهية وكانت من الصحف الانتقادية المعروفة في عهدها. وقد أرسل إلى موظف مسئول في إحدى الهيئات الدبلوماسية الأجنبية في بغداد، يدعونى لمقابلته

وبعد تقديم المجاملة وكيل المديح على الأسلوب الذى اتبعه في النقد رجانى أن أنتقد الجماعة القاديانة على صفحات الجريدة المذكورة بألذع طريقة ممكنة، لأنها جماعة مارقة عن الدين. فأجبته في بادئ الأمر بأنى لا أعلم شيئا عن هذه الجماعة وعن معتقداتها ولذلك لا يمكننى أن أنتقدها. فزودنى ببعض الكتب التى تبحث في معتقدات القاديانية، كما أنه زودنى ببعض المقالات عسى أن تنفعنى بعض عباراتها في كتابة مقالاتى الموعودة. واستطعت أن أطلع على بعض عقائد الجماعة من مطالعة الكتب التى زودنى بها المسئول المذكور، والتى لم أجد فيها شيئا يدل على تكفيرهم حسب اعتقادى. وبعد عدة مقابلات طلبت منه أن يعذرنى عن تلك المهمة نظرا لاعتقادي بأن ذلك يسبب الشقاق بين الطوائف الإسلامية في مثل ذلك الوقت بالذات. فأجاب قائلا: ألا إن هؤلاء ليسوا بمسلمين، وقد كفّرهم علماء جميع الطوائف الإسلامية في الهند. فقلت له: إن أقوال علماء الهند ليست أقوى حجة من الآية القرآنية التى تصرح بأن لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا. فما كان منه إلا أن قال غاضبا: وهل أثرتْ فيك دعاية القوم، فخرجتَ عن الاسلام، وأصبحتَ قاديانيا، وأخذتَ تدافع عنهم؟ فقلت متهكما: كن على يقين يا هذا، بأنى لا أستطيع أن أدعى بأنى مسلم بكل ما في هذه الكلمة من معنى بالرغم من قضائى عشراتِ السنين بين المسلمين، فهل تكفى مطالعة بضعة كتب للقاديانية أن تجعلنى قاديانيا؟

وقد اطلعت خلال ترددى على هذه الهيئة بأنى لست الوحيدَ المكلف بهذه المهمة، بل هناك أناس آخرون يشاركوننى التكليف. كما أنى لم أكن الشخص الوحيد الذى رفض، بل رفضه غيرى أيضا.

كان ذلك عام ١٩٤٨ في الوقت الذى اقتطع فيه جزء من الاراضى المقدسة وقدم لقمة سائغة للصهيونيين. وإنى أظن أن إقدام الهيئة المذكورة على مثل هذا العمل كان ردّ فعل للكراستين اللتين نشرتهما الجماعة الأحمدية في ذلك العام بمناسبة تقسيم فلسطين، وكانت إحداهما بعنوان «هيئة الأمم المتحدة وقرار تقسيم فلسطين» التى كانت تبحث في المؤامرات التى دبرت في الخفاء بين المستعمرين والصهيونيين، وكانت الثانية بعنوان «الكفر ملة واحدة»، وكانت تحث المسلمين على توحيد الصفوف وجمع المال لمحاربة الصهيونيين وتطهير البلاد المقدسة من أرجاسهم.

هذا ما اطلعت عليه بنفسى في ذلك الحين، وإنى واثق كل الوثوق بأن الأحمديين ما داموا يبذلون الجهود لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، ويبحثون عن أسباب تتيح للمسلمين القضاء على دولة إسرائيل اللقيطة ضيعة المستعمرين، فإن الاستعمار لن يتوانى عن تحريك بعض الجهات للتشهير بهم بقصد تشتيت الكلمة».

نص مقال الأستاذ عبد الحميد الكاتب

فلسطين هي الدولة الوحيدة التي أصدرت الأمم المتحدة قرارا بتقسيمها وإسرائيل هي الدولة الوحيدة التي أصدرت الأمم المتحدة قرارا بإنشائها وهذا هو أهم وأخطر قرار أصدرته المنظمة العالمية طوال عمرها الذي يبلغ الآن الثامنة والثلاثين، ومن المؤكد أنها لن تستطيع أن تصدر مثل هذا القرار مهما طال عمرها وامتدت بها السنوات.

إن من يريد أن يدافع عن الأمم المتحدة يستطيع أن يقول أن قرارها في نوفمبر ١٩٤٧م لم يكن إلا إقرارا للأمر الواقع في فلسطين، إذ كانت «مقسمة» فعلا بين العرب واليهود أرضا وسكانا.. فقد اجتاحت فلسطين طوال عهد الانتداب البريطاني موجات متتابعة من الهجرة اليهودية، ونزح إليها أفواج تلو أفواج من اليهود منذ قام الحكم النازي وبسط سيطرته في أروبا، وامتلك اليهود النازحون مساحات كبيرة من الأرض اشتروها وأقاموا فيها المستوطنات التي تحولت إلى قرى عامرة ومدن كبيرة.. فصارت مدينة تل أبيب مثلا مدينة يهودية محضة، بينما بقيت نابلس أو الخليل أوغزة مثلا مدنا عربية صرفة، فجاءت الأمم المتحدة وأقرت الوضع القائم فعلا.

ولكن هذا الكلام، الذي ردده دعاة تقسيم فلسطين داخل الأمم المتحدة وفي أجهزة الإعلام الدولية، لا تستنده الأرقام والحقائق.

فعندما ألقت بريطانيا بما سمته «مسألة فلسطين» على الأمم المتحدة كان عدد سكان فلسطين أقل قليلا من ٢ مليون نسمة، بينهم ٦٠٨ ألف يهودي، وأكثر من مليون وثلاثمائة ألف عربي، أي أن اليهود كانوا أقل من ثلث سكان فلسطين.

أما قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة فقد أعطى ثلثي الأرض لأقل من ثلث السكان.. أما العرب الذين يشكلون أكثر من ثلثي السكان فقد أعطاهم القرار ثلث الأرض.. وانتزع منهم أيضا مدينة القدس التي قررت الأمم المتحدة أن تكون منطقة ذات طابع دولي ولها إدارة خاصة!

أما واقع الأرض فقد كان أكثر دلالة على مدى الظلم الذي انطوى عليه قرار الأمم المتحدة.. فحتى اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم لم يكن ما يملكه اليهود من الأرض يتجاوز ٤.٦ بالمائة من مساحة فلسطين، أما ٩٥.٤ بالمائة من الأرض فكانت ملكا للعرب، لم يفرطوا فيها رغم ما كان يعرضه اليهود، وتعرضه

هيئاتهم الأمريكية والأروبية التي كانت تُمول حركة الهجرة والاستيطان، من أسعار مغرية.

ما الحقيقة ؟

وقد سمعنا وقرأنا مرارا وتكرارا حتى كدنا نصدق أن العرب في فلسطين باعوا أرضهم لليهود.. وهذا افتراء، أما الحقيقة فهي أن أكثر ما اشتراه اليهود من الأرض لم يكن ملكا للفلسطينيين، لا للأغنياء منهم ولا للفقراء، وإنما كان لآخرين يملكون مزارع وبساتين هناك ويعيشون من إيرادها الكبير عيشة باذخة في أوروبا وفي لبنان، ويحمل بعضهم أسماء عربية طنانة. وبعضها أسماء مسلمة، وبعضها أسماء مسيحية !

كان قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين قرارا خاطئا وظالما من حيث المبدأ وهو أن الأمم المتحدة لا تملك بتاتا الحق في تقسيم وطن من الأوطان.. فارتفعت حينذاك أصوات عربية، وأصوات إسلامية، وأصوات أخرى تنكر على الأمم المتحدة أن يكون لها الحق في تقسيم فلسطين، وتسوق البراهين التاريخية، والقانونية، والواقعية، التي تبين أن تقسيم فلسطين ظلم.. وخطأ.. له ماله من نتائج وعواقب وخيمة.. وكان من تلك الأصوات صوت محمود فوزي ممثل مصر، وصوت فارس الخوري ممثل سورية، وصوت شارل مالك ممثل لبنان، وصوت الشيخ حافظ وهبة ممثل المملكة السعودية، ولكن أقوى الأصوات وأكثرها قدرة على إقناع العقول لو أرادت أن تقتنع.. وعلى النفاذ إلى القلوب لو أرادت أن تستشعر المأساة التي تبدو نذرها في الأفق.. كان صوت محمد ظفر الله خان، وزير خارجية باكستان حينذاك، والذي كان علما بارزا في الأمم المتحدة على مدى عشرين سنة، بمواقفه العظيمة في كل قضية عربية وإسلامية.. قضية فلسطين وقضية كشمير، وقضية أرتيريا، وقضية الجزائر.. وكل ما قام وثار من قضايا الشعوب المقهورة.

وقد توافرت في ظفر الله خان ثلاث صفات جعلته من أبرز الشخصيات في الأمم المتحدة.. فكان وراءه تاريخ حافل في سياسة بلاده، كما كان خطيبا قديرا ومحاميا فذاً، وكان حجة في القانون من جانبيه الدولي والإسلامي.

فأما دوره في سياسة بلاده فلعله كان ثالث الثلاثة الذين تزعموا حركة إنشاء دولة باكستان، مع زعيمها ورئيسها الأول



سمو الملك حسين عاهل الأردن يمنح بطلَ القضية الفلسطينية أسمى وسام مملكته

محمد علي جناح ومع لياقت علي خان أول رئيس وزارة لها. وأما مقدرته القانونية فقد أهلته فيما بعد ليكون قاضيا في محكمة العدل الدولية، ثم رئيسا لها لسنوات عديدة ختم بعدها حياته السياسية ثم أوى إلي بيته في باكستان بعيدا عما جرى فيها من أحداث حزبية في السنوات الأخيرة.. أو لعله أمضى وقته في كتابة تفسير للقرآن الكريم، فقد كان مسلما متدينا وكان يؤدي الصلاة في وقتها في قاعة صغيرة عند مدخل مبنى الأمم المتحدة.. وهو قادياني المذهب، ولكنني أعتقد أنه كان يدين بالإسلام على وجه صحيح سليم.. أما قدرته في الخطابة فكانت تشد إليه الأسماع والعقول حتى وهو يرتجل على مدى ست ساعات، استغرقت جلستين كاملتين في مجلس الأمن، خطابا عن قضية كشمير وحق أهلها في تقرير مصيرهم!

الدولة اليهودية!

وكان ظفر الله خان هو «بطل» قضية فلسطين في مرحلتها الأولى حين أُلقيت تلك القضية الكبرى في حجر الأمم المتحدة.. بعد أن تعقدت هذه القضية وتشابكت أطرافها منذ أصدرت بريطانيا، قبل هذا بثلاثين سنة، وعد بلفور «الذي وعدت فيه بالمساعدة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، على ألا يكون في هذا مساس بحقوق الطوائف الأخرى في فلسطين».

وأرادت بريطانيا أن تنفذ وعد بلفور بشقيه: الشق الخاص بإنشاء وطن قومي لليهود، وليس إنشاء دولة يهودية.. والشق الثاني وهو عدم تأثير قيام هذا الوطن القومي على حقوق العرب وأولها حقهم في السيادة على أرض وطنهم.. أي أن السياسة البريطانية أرادت أن تنفذ أمرين متعارضين، متناقضين، في وقت واحد.. وكان لا بد أن تسلك إلى هذا طرقا ملتوية أدت إلى تحويل فلسطين التي كانت نموذجا في العالم لالتقاء أتباع ثلاثة أديان، وسلالات أجناس مختلفة، إلى ساحة للصراع والصدام والقتال.

وحاولت بريطانيا أن تحل المشكلة التي خلقتها بوسائل سياسية دبلوماسية كان منها إيفاد لجنة برئاسة اللورد بيل التي ذهبت إلى فلسطين في سنة ١٩٣٦م واستمعت إلى وجهة نظر العرب كما قدمها الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس اللجنة العربية العليا، واستمعت إلى وجهة نظر اليهود كما قدمها حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية.

وكان من بين أعضاء اللجنة أستاذ جامعي اسمه ريجنالد كوبلاند، الذي طرح لأول مرة فكرة تقسيم فلسطين.. وطرح هذه الفكرة الخطيرة في سؤال وجهه إلى وايزمان قائلا: ما رأيك يا دكتور وايزمان في موضوع أفكر فيه من باب الافتراض فقط.. وأنا أعرف أن الحكومة البريطانية لا تفكر فيه وقد لا تقبله.. ما رأيك في تقسيم فلسطين بين العرب واليهود على أساس اتحادي.. أعني ما رأيك في أن تقوم الحكومة البريطانية بعد خمس أو عشر سنوات بتقسيم فلسطين إلى قسمين، تقوم في كل منها حكومة مستقلة ومرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة تحالف مثل المعاهدة التي تربط بين بريطانيا ومصر، أو بين بريطانيا والعراق، ما رأيك في هذا؟

وتردد وايزمان في إبداء رأيه.. وطلب إمهاله بعضا من الوقت ليفكر في هذا الأمر ويصف سكرتيره زخاروف الروسي كيف كان وايزمان منفعلا.. وكانت نفسه تجيش بالعواطف، وعيناه تفيضان بالدموع، وهو يقول محدثا نفسه: يجب أن أقبل جزءا من فلسطين، حتى لو كان جزءا صغيرا، أقيم عليه الدولة اليهودية.. فهذا هو حلمي وأملي طول حياتي!

وتقابل كوبلاند ووايزمان مرة أخرى في مدرسة زراعية للبنات من تلك المدارس التي أقامها اليهود فيما أقاموا من مستوطنات ليعلموا أولادهم وبناتهم الزراعة التي لم يمارسها اليهود دهرا طويلا.. وفي تلك المدرسة الصغيرة تبلورت فكرة التقسيم، وربما رسمت فيها خريطة جديدة لفلسطين.

بريطانيا تهادن العرب!

ورفض العرب مقترحات لجنة بيل جملة وتفصيلا، وانتقد اليهود التقرير من حيث مساحة الأرض المعطاة لليهود وطالبوا بمساحة أوسع.. وفي وجه المعارضة العربية من جانب والمساومة اليهودية من جانب، طوت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة الذي بذر البذرة الأولى في تقسيم فلسطين.

فلما بدأت نذر الحرب العالمية تبدو في الأفق وأخذت سحبها تتراكم، راحت السياسة البريطانية تؤمن جانبها بتهدئة مناطق التوتر في أرجاء امبراطوريتها مثل الهند ومصر وفلسطين.. فدعت إلى عقد مؤتمر لندن في سنة ١٩٣٩.. وحضرته وفود كبيرة من الدول العربية كان من بين رؤسائها الأمير محمد عبد المنعم، أحد أعمام الملك فاروق والذي خلفه وصيا على العرش إلى أن ألغيت الملكية في مصر.. والأمير فيصل وزير خارجية المملكة السعودية وعاهلها العظيم فيما بعد.. ورفضت بريطانيا دعوة الحاج أمين الحسيني زعيم العرب في فلسطين، مثلما رفضت أخيرا أن يأتي إليها ممثل لمنظمة التحرير ضمن وفد عربي، ودعي بدلا منه ابن عمه جمال الحسيني.. ودعي أيضا حاييم وايزمان ممثلا للوكالة اليهودية.

وفي هذا المؤتمر أبدت الوفود العربية وأبدى الوفد الفلسطيني إدراكا سياسيا ناضجا.. فإلى جانب المطالبة بإنهاء الانتداب البريطاني، وإعلان استقلال فلسطين وبإلغاء وعد بلفور ووقف الهجرة اليهودية، اعلنوا قبولهم أن يكون لليهود الموجودين في

فلسطين حق المواطنة وأن تحترم حقوقهم الثقافية والدينية وأن توزع الإدارة الحكومية المستقلة بين العرب واليهود حسب نسبة السكان.

ولكن اليهود أصروا على استمرار الهجرة اليهودية دون قيود أو تحديد.. وطالبوا بتقسيم فلسطين على شرط أن تعطى لهم مساحة كبيرة لإقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين.

وانقض المؤتمر دون أن يصل إلى أية نتيجة فقررت بريطانيا أن تفرض الحل الذي تراه، فأصدرت في مايو ١٩٣٩ «الكتاب الأبيض المشهور.. الذي سماه اليهود «الكتاب الأسود».. فقد أعلنت بريطانيا أنها لن تقسم فلسطين، وأنها لا تقبل قيام دولة يهودية هناك.. وأعلنت أن سياستها ترمي إلى قيام دولة تتألف حكومتها وبرلمانها من العرب واليهود بنسبة عدد السكان، على أن يتحقق قيام الدولة بعد عشر سنوات.. أما الهجرة لليهود فستعمل على تحديدها، فلا تتجاوز خمسة وسبعين ألف يهودي، يهاجر منهم الآن خمسة وعشرون ألفا ويهاجر باقيهم على مدى خمس سنوات بمعدل عشرة آلاف كل سنة..

ثورة اليهود

وثارت ثائرة اليهود، لا في فلسطين وحدها، بل في بريطانيا وأمريكا وكل مكان فيه يهود.. وغمرت فلسطين موجة من الاضطرابات العنيفة، وأخذت جماعات الهجاناة، وهي نواة الجيش الإسرائيلي، تحارب العرب وتحارب الإنجليز معا.. وقامت إلى جانبها جماعات إرهابية عديدة، تقتل العرب وتقتل الإنجليز وتدمر المرافق.. وكانت هذه الجماعات الإرهابية التي يرأس مناحيم بيجن إحداها، هي أول ما عرفته هذه المنطقة من أعمال الإرهاب في العصر الحديث.

ثم خمدت هذه الحركات أو أخمدت خلال سنوات الحرب العالمية الثانية فلما وضعت الحرب أوزارها تجددت الاضطرابات في فلسطين، ووجدت بريطانيا التي أرهقتها الحرب وأنهكتها وأخذت تصفي امبراطوريتها الواسعة أنه لا قبل لها بحل مشكلة «فلسطين» فألقت بها في حجر الأمم المتحدة؛ وبعثت إلى أمينها العام تطلب إليه عقد دورة خاصة للجمعية العامة لبحث ما أسمته «مسألة فلسطين».

وفي ٢٨ أبريل ١٩٤٧ انعقدت الجمعية العامة في دورة خاصة، واستمعت إلى بضع خطب تؤيد تقسيم فلسطين وبضع خطب تعارض التقسيم.. وقررت تشكيل «لجنة فلسطين» لتقصي حقائق الوضع في فلسطين، وكانت اللجنة مكونة من إحدى عشرة دولة من الدول الصغيرة بعد أن استبعدت اقتراحا سوفيتيا لتكوين



حضرته رئيسًا للدورة السابعة عشرة لهيئة الأمم المتحدة

اللجنة من الدول الخمس الكبرى: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والصين.

وسافر أعضاء اللجنة إلى فلسطين، واتصلت بكثير من العرب واليهود من قيادات ومن أساتذة وصحفيين وعامة الناس.. ثم وضعت تقريرا.. اتفق فيه أعضاء اللجنة على بضع نقط أهمها ضرورة إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين لأن العرب واليهود جميعا ضد استمرار الإدارة البريطانية في فلسطين، ثم اختلف أعضاء اللجنة فيما ينبغي أن يحدث بعد انتهاء الانتداب: هل تقوم دولة فلسطين المستقلة، الموحدة، التي يعيش فيها العرب واليهود معا تحت حكومة ائتلافية تمثل الفريقين، أم هل تقسم فلسطين، فيأخذ اليهود جزءا وجزء يبقى للعرب.

وأيد قرار التقسيم سبعة أعضاء هم ممثلو كندا وهولندة والسويد وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا وأورجواي، بينما طالب مندوبو الهند وإيران ويوغوسلافيا بإقامة دولة موحدة تجمع العرب واليهود في نظام فيدرالي، وامتنع ممثل استراليا عن تأييد الجانبين على أساس أن مهمة اللجنة هي تقصي الحقائق وليست وضع الحلول، فهذا متروك للجمعية العامة. ونلاحظ هنا أن الدول التي أيدت قرار التقسيم كانت تمثل المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي معا، وتمثل دولا أوربية صناعية ودولا لاتينية في دور التنمية. أما الدول التي تؤيد قيام دولة موحدة فإحداها آسيوية يعيش فيها عشرات الملايين من المسلمين والأخرى إسلامية، والثالثة دولة تحاول أن تنهج طريق الحياد.. أما استراليا فتمثل وجهة نظر بريطانيا التي كانت ما تزال حائرة بين التقسيم والتوحيد، وتود ألا تجد الأمم المتحدة حلا لمشكلة فلسطين، فتطلب إلى بريطانيا أن تستمر في حكم فلسطين وإدارتها.

ميلاد إسرائيل

وعرض تقرير تلك اللجنة على الجمعية العامة عندما انعقدت في دورتها العادية في سبتمبر ١٩٤٧.. وتوالى مندوبو الدول يخطبون عدة أسابيع، منهم من يؤيد تقسيم فلسطين ومنهم من يعارضه. وكان أعلى الأصوات وأكثرها حماسا في المطالبة بتقسيم فلسطين اثنين يمثلان دولتين لم يسمع باسميهما من قبل أهل فلسطين!.. هما ممثلا جواتمالا واورجواي ولهذا فإن في تل أبيب وفي مدن إسرائيلية أخرى نجد اليوم شوارع تحمل اسم جرانادوس ممثل جواتيمالا.. واسم فابريجات ممثل اورجواي. وقد أمضى هذان الرجلان بعد هذه عدة سنين يدعيان إلى إلقاء الخطب في الاجتماعات التي تنظمها الهيئات الصهيونية في أمريكا لقاء مكافآت مالية سخية، ووضع جرانادوس كتابا عنوانه «ميلاد إسرائيل» اشترت منه هذه الهيئات آلاف النسخ ووزعتها في كل مكان.

أما بطل الدفاع عن مشروع فلسطين الموحدة فكان محمد ظفر الله خان الذي حشد في دفاعه عن الحق العربي في فلسطين كل مواهبه ومقدرته الخطابية، والقانونية، والسياسية.. كما كانت خطبه تنبض بروح إسلامية صادقة، وبإيمان قوي بأن الشعب الفلسطيني جدير جدارة الشعب الباكستاني وغيره من شعوب العالم بأن يتحرر من الحكم البريطاني، ومن الزحف الصهيوني، على السواء.. وقد كافأته إحدى الحكومات العربية على هذا الدفاع المجيد عن الحق العربي في فلسطين وعن كل قضية عربية وإسلامية طرحت على الأمم المتحدة في ذلك الوقت، بأن ألصق به «مفتي الديار» في مصر تهمة الخروج عن الإسلام، بل تهمة الكفر،



حضرته في حديث مع الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر



الملك الراحل فيصل مع حضرته وكان ضيفًا ملكيًا على السعودية في الستينيات

والعياذ بالله، لأنه طالما كان يقول في أحاديثه ومحاضراته أن تدهور أمور المسلمين يرجع إلى تدهور أولى الأمر فيهم.. ولم يرض هذا الكلام ملك مصر حينذاك فصدرت عن المفتي فتواه المشينة.. ولكن الشعب المصري كان أكثر وفاء وأحسن تقديرا من ملكه ومن مفتيه، وعبر عن هذا الأستاذ أحمد أبو الفتح في مقال نشرته صحيفته «المصري» عنوانه «أَنعِمْ به من كافر» تحدث فيه عن مواقف ظفر الله خان الإسلامية المجيدة.

وكانت من الحجج القانونية التي ساقها ظفر الله خان أن الأمم المتحدة لا تملك بتاتا الحق في تقسيم أرض أية دولة من الدول.. حتى لو كانت هذه الدولة مستعمرة أو محمية وإنما هذا متروك لشعبها وسكانها وحدهم.. وليس في ميثاق الأمم المتحدة ولا في قواعد القانون الدولي، ما يبيح للأمم المتحدة أن تفرض على شعب من الشعوب أن يقسم نفسه ويوزع أرضه قطعة هنا وقطعة هناك.. وطلب أن تستفتى محكمة العدل الدولية في هذا الأمر، وأن يوجه إليها هذا السؤال:

«هل تملك الأمم المتحدة، أو هل يملك أي عضو من أعضائها، أن تفرض قرارا أو أن تصدر توصية بتعلق أية خطة لتقسيم فلسطين، أو تقسيم أي وطن في العالم، ضد رغبة سكانه وبدون موافقتهم عليه؟»

وعرض هذا الاقتراح البسيط العادل للتصويت في اللجنة السياسية للجمعية العامة.. فرفضته.. ورفضته بصوت واحد!» فقد أيدته عشرون دولة، وعارضته إحدى وعشرون دولة، **وامتنعت عن التصويت ثلاث عشرة دولة!**

وبنفس العجلة والاندفاع الذي رفضت فيه اللجنة السياسية للجمعية العامة كل مقترح للإبقاء على فلسطين موحدة.. أسرعت واندفعت إلى الموافقة على المقترح الباقي أمامها وهو تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أجزاء.. فأيدته خمس وعشرون دولة، منها الدولتان الكبيرتان الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي.. وعارضته ثلاث عشرة دولة أكثرها من الدول العربية والإسلامية، وامتنعت عن التصويت سبع عشرة دولة من بينها بريطانيا.. وتغيبت دولتان عن حضور الاجتماع.. وصدر القرار لأن المؤيدين أكثر من المعارضين.

ولكن إجراءات الأمم المتحدة بأن يعاد التصويت الذي جرى في اللجنة السياسية على الجمعية العامة لكي تصدر القرار النهائي.. وهذه القرارات تقتضي موافقة ثلثي الدول التي تشارك في التصويت. فلو صوتت الدول هذه المرة كما فعلت في المرة الأولى لسقط قرار التقسيم، لأن الأصوات الخمسة والعشرين التي أيدت التقسيم أقل من ضعف الأصوات الثلاثة عشرة التي عارضت التقسيم، اي أنه مطلوب صوت واحد على الأقل ينضم إلى مؤيدي التقسيم.

المواقف الإنسانية

وفي خلال يوم أو يومين نشطت الأجهزة الصهيونية في كل مكان. داخل البيت الأبيض وداخل الكونجرس، وداخل وزارة

الخارجية الأمريكية، وداخل وزارة الخارجية في بلاد عارضت التقسيم مثل الفيلبين أو امتنعت عن التصويت مثل ليبيريا.. وحتى داخل مكتب الأمين العام للأمم المتحدة الذي كان أكثر الناس حماسا لتقسيم فلسطين وإقامة الدولة اليهودية.. فلما صوتت الجمعية العامة انقلبت أصوات عدد من الدول، وصدر القرار النهائي بأغلبية ثلاثة وثلاثين صوتا مع التقسيم وثلاثة عشر صوتا ضد التقسيم، وعشرة أصوات ممتنعة عن التصويت.. أي أن قرار التقسيم ظفر بالأغلبية اللازمة وعليها سبعة أصوات أخرى!

وهنا يجب أن نذكر دائما أن أعضاء الأمم المتحدة وقد بلغ عددهم الآن مائة وسبعة وخمسين دولة.. ليس من بينهم سوى ثلاث وثلاثين دولة أيدت قرار تقسيم فلسطين.. أما المائة وعشرون دولة أو أكثر أي أربعة أمثال الدول التي أيدت التقسيم.. فليست مسؤولة عن هذا القرار، فمنها من عارضه، ومنها من امتنع عن التصويت، ومنها وهي الأكثرية الكبرى من الدول العالم الثالث، لم تكن هناك.. ولو كانت حينذاك عضوا في الأمم المتحدة لما أمكن صدور هذا القرار الظالم والخطير..

ووقف ظفر الله خان على منصة الجمعية العامة للأمم المتحدة يلقي خطابا يفيض بالمرارة.. ولكنه أيضا ينظر فيه إلى بعيد.. ويتنبأ بما سوف يترتب على هذا القرار من نتائج وعواقب، لن تنجو منها تلك الدول التي تحمست واندفعت لتقيم الدولة اليهودية فوق أنقاض الوطن الفلسطيني.. قال ظفر الله خان في خطابه المدوي في ذلك اليوم الحزين:

«تقولون أننا لم نفعل أكثر من أن نأخذ جزءا من فلسطين ليقيم فيه اليهود لأن هذا أمر تقتضيه «الإنسانية» تجاه هؤلاء «المضطهدين».. لو كان ما تقولونه صدقا لقبلتم مقترحاتنا بأن تفتح كل دولة أبوابها لتأوي عددا من اليهود الذين لا وطن لهم ولا مأوى.. ولكنكم جميعا رفضتم.

«استراليا.. قارة بأكملها.. تقول لا، فأنا بلد «صغير المساحة» ومزدحمة بالسكان! وكندا تقول لا، فأنا أيضا مساحتي صغيرة وأرضي مكتظة بالسكان.

«والولايات المتحدة، بمثلها الإنسانية العظيمة، وبمساحاتها الشاسعة ومواردها الهائلة، تقول: لا، ليس هذا هو الحل..

«ولكنكم جميعا تقولون: «دعوا اليهود يذهبون إلى فلسطين.. فهناك الأراضي الفسيحة، وهناك الاقتصاد المزدهر فليذهبوا إليها، بعيدا عنا.. ولن تكون هناك متاعب ولا مشاكل..!!

وينقلب صوته الساحر وهو يتحدث عن المواقف «الإنسانية» التي تدعمها هذه الدول إلى صوت من التحذير والنذير وهو يوجه كلامه إلى أمريكا وأشياعها قائلا:

«أنصحكم أن تتذكروا الآن أنكم في حاجة إلى أصدقاء في الشرق الأوسط.. فلماذا تجعلون من شعوب تلك البلاد أعداء لكم.

لا تحطموا بأيديكم مصالحكم في تلك البلاد».



حضرته مع العاهل المغربي الحسن الثاني

هذه الأزمات
من يخلقها ضد المسلمين

خطبة يوم ٢٤، ٨، ١٩٩٠

خطبتا جمعة

ألقاهما سيدنا حضرة مرزا طاهر أحمد (أيده الله)
إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية
في ٢٤، ٨، ١٩٩٠ و٩، ١١، ٩٠
بمسجد الفضل، لندن.

ترجمة: محمد حلمي الشافعي

اشهَدُ انْ لَّا إلٰهَ إلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَاشْهَدُ انَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
أمَّا بَعْدُ
فَاَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ. الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ.
مٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ.
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ
عَلَيْهِم غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلَا الضَّالِّينَ.
آمِينْ

منذ قرون عديدة ومنطقة الشرق الأوسط لا تبرح تعاني من تدهور مستمر، وتحدق بها الحروب والاضطرابات وأحداث العنف، وتنزل بها صنوف البلايا والشدائد الأليمة. وقد زادت هذه الأمور، ولا تزال تزداد في العقود الأربعة الأخيرة من هذا القرن. ولعله لا يتعذر معرفة العلة وراء ذلك، ولكن لا الشرق ولا الغرب يبدون اهتماما لتحري الأسباب. والواقع أن السلام في هذه المنطقة قد اختل في الأربعين سنة الماضية مرات عديدة، وفي كل مرة كان سلام العالم كله يتعرض للاضطراب. وكان رد فعل الغرب نتيجة لذلك أنهم يخلقون أخطارا تحيق بالمستقبل بأكبر قدر يستطيعون.. ويصعدون هذه الأخطار بدلا من إزالتها. وبعد كل تجربة منها تكون ردود فعل المسلمين الذين يعيشون في هذه المنطقة هي نفس ردود الفعل التي تسبب لهم الضرر، وتزيد من معاناتهم مرة بعد أخرى. وبعد مرورهم في تجارب متكررة يصلون إلى نفس النتائج التي ثبت خطأها. وهذا ليس من سمات العقل والذكاء بأي حال. ولكن لأن من الواضح وجود رجال أذكياء في الجانبين، فلا بد إذن من سبب آخر.. لأنه بدلا من حل الموقف فإنه يزداد سوء. وحصيلة ذلك أن أساس كل هذه الاضطرابات هو إسرائيل. ومع أن الغرب كان بعد كل حرب يقدم تحليلا للموقف، ويخبر بالأخطاء التي وقع فيها الشرق الأوسط وقادته، والتي أحدثت كل تلك الأضرار.. لكنهم لم يستبينوا جذور المرض أبدا، ولم يلقوا بالا نحو تصحيح موقفهم.

ومثالا لذلك، فإنهم كانوا يلومون الرئيس المصري عبد الناصر، ويتهمونه بالجنون، وفقدان الاتزان، وأنه لم يكن يدرك وقوف القوى العظمى ضده، وأنه وحلفاءه لا يقارنون بتلك القوى العظمى.. وفي كل مرة يذهب إلى الحرب ليلقي الهزيمة، ويزداد الموقف سوء. فتبعًا لتحليل الغرب: يقوم قائد مجنون، ويستولي على قلوب شعبه بفضل حماسه، ولكنه محروم من الذكاء، ولا يفعل شيئا يفهمونه حقا. ونتيجة لذلك تنقلب تصرفاته حيال أعدائه عليه وعلى أصدقائه. وفي كل مرة يحارب فيها الآخرين لا يحقق أهدافه، ويؤوب بالخسائر، ويبقى في معاناة الهزيمة والخسران.

وكان الحال كذلك أيضا مع من تبعه من القادة. فالتحليل الغربي للفترة الأولى هو قيام قائد مجنون متحمس من بين العرب. وهم يقدمون نفس التفسير بشأن الرئيس صدام حسين، ويوجهون الأنظار إليه: هاكم قائدا مجنونا آخر قد قام، ترتكز جذوره على الناصرية والنازية الهتلرية. والأصل هو النازية التي كان هتلر رمزا لها. ويمكن القول بأنه موقف مشابه لموقف هتلر. وهم يعرضون في التلفزيون هذه الأيام أفلام هتلر، ويعرضون أحداث الحرب العالمية، يسترجعون بها ذكرى أيام هتلر، ليثيروا الغرب دونما حاجة للتعليق، وبطريقة لا شعورية يربطون بين صدام حسين ودوافعه وبين النازية ودوافعها.

هذا هو التحليل الغربي. ولكننا لم نسمع من خبير غربي ما يبين لنا: إذا كان هؤلاء القادة مرضى حقا، فما هو المرض الذي أوجد هذه العقول المريضة؟ ولم يفكروا أنه حتى لو قطعت تلك

الرؤوس المريضة فسيبقى المرض. ليتولد عنه مزيد من الرؤوس التي لن تكون أبدا خالية من المرض وتأثيراته. ما هو هذا المرض؟

إنه إنشاء دولة إسرائيل في هذه المنطقة. ثم هو استمرار التمييز في تعامل الغرب مع إسرائيل. فما كان هناك موقف يثير مسألة رعاية مصلحة إسرائيل في مقابل مصلحة العرب المسلمين.. إلا وكان الغرب دائما وأبدا، ودونما حالة استثنائية واحدة، يهرع إلى تفضيل مصلحة إسرائيل، والتضحية بمصالح العالم العربي المسلم. ولقد عبر شاعر عربي عن جوهر هذا الموقف في قوله:

من كان يلبس كلبه ثوبا * وحسبي أن جلدي على بدني
لا ريب يؤثر كلبه عني * والكلب خير عنده مني

هذا هو التشخيص الدقيق النهائي للمرض، وهذا هو ما غرس في قلوب العرب. وتحليلهم يقوم على حقائق واقعة. فالعالم الغربي لا شك يكسو كلابه، ويتركهم عرايا. هذا هو الحال الذي يطابق تماما ما يجري مع إسرائيل مقارنة بالعرب. هكذا كانت دائما استجابة الغرب في تلك المناسبات ليتخلصوا من العالم العربي الجاهل، ويحموا العالم من أذاه. وسبيلهم الوحيد لذلك هو تفكيك العرب وتفتيتهم إلى قطع صغيرة، وتدمير كل إمكانيات نهضتهم في المستقبل.

هذا تحليل آخر، وإن كان ليس بالفظاعة والإجرام مثلما حدث بعد الحرب العالمية الأولى، ثم تكرر بعد الحرب العالمية الثانية، وتحليلهم في الحالين كان خاطئا. وما داموا لا يلقون نظرهم على الأسباب الأساسية التي ولدت النازية أو الناصرية أو الصدامية، ولا يشخصون المرض تشخيصا صحيحا، ولا يتنبهون إلى معاملاتهم.. فإن تلك الرؤوس ستقوم مرة ومرات وستبقى سببا مستمرا لقطع رؤوس أخرى، ويكبر هذا الورم السرطاني ويكتمل نموه، إلى أن يأتي وقت يفلت فيه من سيطرة حكومات الغرب.

إن السلطة التي أعطيت لصدام حسين هي في الحقيقة انعكاس لمظالم الغرب، وانعكاس لموقفهم اللامبدأي. بل وقبل صدام حسين كان الغرب وحده واضع أساس الخومينية. إن فرنسا هي الدولة التي لجأ إليها الخوميني، وعاش فيها ردحا طويلاً من الزمن. وبنفوذ فرنسا ومساعداتها تحرك جهاز الإعلام المتخصص حتى أشعل الثورة التي ما تزال قائمة. في ذلك الوقت.. عندما أحس الغرب أنه إذا لم يصل الخوميني إلى السلطة، ولم تتملك الثورة الدينية زمام الأمور في إيران.. فإن الكراهية الشديدة نحو الشاه سوف تزداد عمقا في الشعب، وينتهي الأمر إلى ثورة شيوعية. فلم يكن حب الغرب للخومينية، أو لذلك المفهوم الإسلامي الذي ظهر في إيران.. وإنما كان الخوف من عدو أقوى هو الذي ألجأهم إلى تغذية الخومينية، حتى تنال القوة والسلطان. ونظرا لأنهم رجال دين، ويعرفون أن قيامهم كان نتيجة للشعور الديني، فمن صالح الغرب أن يبقى الشعور الديني مشتعلا، ليحل محل الكراهية، ويحولها نحو مسار آخر. فالثورة الأولى قامت على الكراهية، وكانت موجهة نحو شاه إيران؛ وفي خلفيتها موجهة إلى حليفته القوية وشريكته أمريكا. فاستخدموا هذه الكراهية نفسها، وصوروا أمريكا على أنها الشيطان الأعظم. وبكل وسيلة احتفظوا بالحماس الديني حيا في الشعب، لأنه كان متصلا بمشاعر الكراهية وقائما عليها. ونتيجة لذلك تدعمت الخومينية.

فكل تعكير لصفو السلام في المنطقة من قبل، أو الحروب المروعة، أو الاضطرابات وسفك الدماء والمظالم.. تقع مسئوليتها الأساسية على العالم الغربي. إنه الأساس، لأن عدوان الشاه كان مدعوما من الغرب، فهم المسئولون. كيف يمكن أن أمريكا ذات القدرة الهائلة في التجسس والمخابرات وكشف المعلومات من أماكن بعيدة، بما لا يعرفه أهل تلك الأماكن التي لم تتيقظ مداركهم بعد.. وتبلغهم تقارير المخابرات الأمريكية وتعرفهم بكل تلك الأمور؟ فمن العجيب مثلا أن ثورة حدثت في بلدنا باكستان، واشتكى الحكام لأن أمريكا لم تبلغهم بالأمر! رئيس الحكومة أزيح من موقعه، وتغير الحزب الحاكم، فيشتكون لأن أمريكا لم تخبرهم عن ذلك. بلدك الذي تعيش فيه ولا تعلم ما يجري بداخله، وتشتكي لأن الأمريكان لم يبلغوك بما يجري من ورائك! هناك نقص في الوعي بات يأت واضحا في بلاد الشرق. هناك زيادة في عدم إحساسهم بأنفسهم؛ يقابله وعي متزايد وإحساس حاد عند الآخرين. أقول: كيف يمكن إذن ألا يكون الأمريكان عالمين بالطغيان الذي أطلق الشاه عنانه في إيران؟ مدركين مدى خطورته على ردود الفعل المتنامية في البلاد! فإبان هذا الطغيان تقع تبعة المشاركة، أول ما تقع، على عاتق أمريكا. ولا يمكن لعاقل أن يعفي أمريكا من هذه المسئولية. ليس هذا إحساس بالكراهية أو مسألة مشاعر.. إنما هي حقيقة لا يجد إنسان عادي الذكاء مندوحة عن الاعتراف بأن المملكة التي كانت في إيران كانت تحت رعاية أمريكا، ولذلك فإن كل التفاعلات التي حدثت تقع تبعتها الحقيقية على أمريكا. وكل فعل قامت به أمريكا للسيطرة على تلك الأحداث كان لازما لحماية مصالحهم، أو بحسب زعمهم، لحماية المصالح العالمية.

لقد أحسوا أن المستفيد من هذا التفاعل قوتان لا غير: إما الخومينية الدينية، وإما الشيوعية. ولما كانت الشيوعية عدوا أشد خطرا، لو وصلت إلى السلطة ما أمكن عقد تلك المعاهدات

والاتفاقات بين روسيا وأمريكا، ولا قامت الصدامية، ولكان هناك خطر شديد في الشرق الأوسط من قبل روسيا وإيران الشيوعية، ولكان خطرا لا يستطيعون محاربته، وما كانت بهم طاقة على قتاله، فبالنظر إلى مصالحهم، وبالنظر إلى مصالح العالم كله كما يقولون، خلقوا الخومينية، وغذوها حتى شبت وقويت. ثم استخدم الخومينيون ذكاءهم واتبعوا طريقا وسطا لاستمرار نظامهم، وحمايته من شرور التأثير الأمريكي. كان طريقا وسطًا بمعنى أنهم ساروا في الوسط بين أمريكا وروسيا، ولكنه بميزان عدالة الإسلام لا يعد وسطا، لأنهم اتخذوا من القتل والاغتيال رياضتهم اليومية.. ذات اليسار وذات اليمين، وفعلوا ذلك باسم الإسلام!

وهكذا قاسى عالم الإسلام كثيرا من الشدائد. لما أراد الغرب الانتقام من إيران.. خلقوا الصدامية، وشجعوا العراق بكل السبل، وطلبوا من النظم العربية الخاضعة لنفوذهم مساعدة العراق، كما ساعدوها مباشرة في اليوم الذي واجهت العراق فيه خطرًا شديدا، وبدا أن الجيش الإيراني على وشك ابتلاع بغداد. عندئذ أعلنت أمريكا صراحة أن هذا لن يحدث؛ أو بالأحرى أنهم لن يدعوا هذا يحدث أبدا. وسرعان ما زادوا قوتهم الدفاعية حتى صارت إلى مستوى هجومي.

واليوم يروجون الدعاية في العالم.. من أن صدام طاغية مخبول، لا يتردد في استخدام الغازات السامة ضد البشرية.. الغازات التي تفتك بالاعصاب وتحدث القروح وتخنق المصابين، وأنه لا بد من تحرير العالم من هذا الطاغية. مع أنهم هم أنفسهم الذين علموه بالأمس صنع هذه الغازات المهلكة. كانوا يعلمون كل شيء عن تلك المعامل الكيمياوية، وأقيمت تحت سمعهم وبصرهم، وهم الذين أعطوه سر الصناعة وتكنولوجيتها.. لأنهم يومئذ كانوا يواجهون العدو الأكبر: إيران. ولو ادعت هذه البلاد اليوم أنه لم يكن لديهم علم بذلك، وأن العراق فعلت كل ذلك وحدها سرا.. لكان قولهم كذبا محضا. عندما بدأت المعامل الكيماوية في ليبيا صناعة غاز الأعصاب.. ضربوا المعامل بالقنابل. وأعلنوا للعالم أنهم لن يسمحوا بأن تقام هذه المعامل مهما كان الثمن، لأنها تمثل خطرا داهما على سلام العالم. أعطوا التفاصيل كاملة صحيحة لدرجة مذهلة. قالوا إن ليبيا تزعم أنها معامل أسمدة وبعض الكيمياويات، ولكن ها هي صور المعامل من الداخل، وهذا ما يصنع بداخله. كانوا يعرفون تفاصيل المعامل وكل شبر فيها، وعرضوه أمام أنظار العالم. فكيف كانت عيونهم مغلقة مع العراق، في حين أنهم هم الذين ساعدوها، وأرادوا بكل ثمن غال أن يمنعوا إيران من السيطرة على العراق أو العالم العربي، وألا تحرز نصرا حاسما عليهم، وخافوا أن يخرج الأمر من سلطانهم وسيطرتهم؟

في ذلك الوقت، كانت إيران هي التي تصرخ بأن هناك انتهاكًا صارخًا، وظلمًا فاضحا، وقسوة بالغة. ونشروا الصور التي تبين ضحايا الغازات السامة. وبعد عرضها مرة أو مرتين توقفت وسائل إعلام الغرب عن نشر هذه المشاهد.

والآن. هذا هو الرجل الذي يصفونه بالجنون والمرض العقلي.. هم الذين خلقوا هذا العقل المريض بأيديهم! ولما أرادوا أن يفضحوه ويعيروه.. نشروا نفس المشاهد الفوتوغرافية التي سبق ونشرتها إيران، وقالوا للعالم: هذا هو الطاغية الذي ارتكب جرائم القسوة ضد إخواننا الإيرانيين المسلمين؛ كيف يسلم العالم مع وجود هذا الطاغية؟ كيف سيبدي رحمة نحو الآخرين ويعاملهم بالإنسانية؟

فهذا هو نفس التصرف القديم.. ونفس الطريقة القديمة. إنهم لا ينظرون إلى المرض الذي أثمر العقول المريضة. إنهم يتجاهلون تلك القوى، قواهم أنفسهم، التي تساعد دائما على خلق المرض. إنهم يخلقون المرض من بدايته حتى يصل إلى مراحله الأخيرة. وفي النهاية يحولون الانتباه إلى تلك العقول المريضة، لأنهم يريدون فصلها عن أجسادها، وليبدوا للعالم أنهم مضطرون إلى ذلك.. فهناك عقل مجنون قد ارتفع رأسه، ومن المقدر أن نقطعها من هذا الجسد وإلا صار خطرا على رؤوس العالم.

والنهاية هي نفسها: لماذا يظهر هذا العقل المريض؟ إنه بسبب المعاملة الظالمة المستمرة.. من جانب الغرب.. مع العالم العربي المسلم بصفة خاصة، ومع المسلمين في إيران. إنها معاملة ظالمة، قاسية، جائرة.. وذلك على الرغم من أن الغرب فاز بصداقات كثيرة من هذه البلاد، وساندهم وعاونهم في الظاهر، ولكن فعاله كشفت السبب بوضوح: إنهم يريدون استغلالهم، وأفضل طريق لذلك أن يقيموا معهم علاقات صداقة. إنهم يصادقونهم كي يحصلوا على كل ثرواتهم البترولية ودائع في بنوكهم. إنهم يستغلونهم مرتين: أولا تكون هذه الأموال ثروة تضاعف من قوة رؤوس الأموال العالمية في الغرب، وثانيا: تكون هذه الأموال رهينة في أيديهم يمسكون بها عند التهديد بأي خطر.

والآن عندما يتحدثون عن الائتمان في أماكن أخرى يتغير مفهومهم، أعني أن يذهب مواطن إلى بلد آخر فيكون أمانة، ويجب ألا يخونوا هذه الأمانة، ولكن ذلك في زمن السلم والصداقة والثقة والانتفاع بحماية نظام اقتصادي عالمي أو الاعتماد عليهم؛ ولكن في وقت الخصومة يضعون أيديهم على تلك الثروة ويقولون نحن نجمدها لصالح الناس. كم من دولة شرقية جمدوا أموالها في حالة الحرب وزمن الخطر! والآن جمّدوا أموال الكويت.. بقصد

تحريرها فيما بعد لأنهم أصدقاء، وجمّدوا كل ثروات العراق في جميع البلاد. هذه هي أشكال من الخداع دقيقة.. وهم قادرون على تقديم كل هذه المهارة وكل تلك المظالم في لغة مصقولة، وهم أساتذة هذا الفن. وفي مقابل هذا، وفي كل مرة، يحاول العالم العربي التعس محاربة الذكاء بالعاطفة ويدعون عواطفهم ترتطم بالذكاء.. فيحطمون العاطفة وينثرونها فتاتا، ويوقعون المسلمين في العار والمذلة أكثر وأكثر.

إن أكبر غلطة وقع فيها العالم العربي، ولا يزال يكررها، أن الأهداف السياسية والأمور الدنيوية التي لا يتغير رد فعل الأمم الأنانية بإزائها دونما تفرقة دينية، فإن العرب بدلا من الاحتفاظ في إطارها الذي تنتمي إليه.. يحولونها إلى قضية دينية، وتتزايد الكراهية التي خلقوها باسم الإسلام.

المجتمع الإنساني يعطيهم حق مقاتلة الذين هاجموا مصالحهم، ولكنهم يحولونها بلا مبرر إلى جهاد ديني، فيعطون المهاجمين فرصة إضافية. فبعد أن كانوا يهاجمون العالم الإسلامي فقط.. إذا بهم يهاجمون الإسلام أيضا، ويقولون للدنيا كلها إن المرض الحقيقي هو الإسلام ذاته. وليست الإسرائيلية هي سبب مظالمنا، وإنما الإسلام هو الدين الذي ينزع إلى الالتواء ومجانية الشرف. إنه دين غير منصف، وينشر الفكر الظالم.

فمثلا في عملية إيران، لو أنهم عرضوا الأمر على العالم دون خلطة بالإسلام .. لوافق العالم على أن الإيرانيين قد تعرضوا فعلا للعدوان المستمر، وإذا قالوا إننا كنا من قبل لا حول لنا ولا قوة، ولكن جاء دورنا الآن للانتقام.. لكان من الممكن أن يتفهم العالم موقفهم. إن قمة الجهل بالإسلام والظلم أنهم لا يقولون للعالم قولا سديدا.. بصراحة ووضوح: إننا لا حول لنا ولا قوة، وهم قد ولدوا فينا الكراهية الشديدة قرونا، والآن كلما تتاح لنا الفرصة نتصرف كرجل ضعيف يجد حجرا فيلتقطه ويقذفه، ولا يبالي بما سينزل به من عقاب، ولا ما لسيفعله به الأقوياء.. إنهم بدلا من أن يعرضوا الموضوع على أساس من التقوى، وطبقا لتعاليم الإسلام، وبالقول السديد في وضوح واستقامة.. وبما ينطوي على منافع خفية رائعة، فإنهم مرة أخرى يعطونهم الفرصة لمهاجمة الإسلام. في الأولى دعوهم لمهاجمة ذاتهم، ثم اليوم يدعونهم لمهاجمة روحهم.. فيقدمون الإسلام في صورة مشوشة مشوهة، يلونونها ويظلمونها؛ والمثقفون في العالم يعرفون أن فعالهم لا علاقة لها بالدين، ولكن ما داموا ينسبونها للدين فلا بأس.. نهاجم دينهم وننسب إليه الالتواء. ولا ننسبه لعقولهم.

فالقادة الذين وصفوهم أمام العالم بأنهم مرضى بسبب ما خلقوه من شرور، هم الذين أعطوهم الفرصة لنسبة المرض إلى الإسلام. ويُعرض هذا التشخيص الخاطئ أمام العالم ثانية، ويُرغَم العالم على قبوله.. لأن كلمات المريض مسموعة أكثر. المريض يقول: أنا مصاب بصداع، وتناولت كيت وكيت من الطعام فأصابني الصداع. إذا قال الطبيب غير ذلك فلا يقتنع الناس، ويقولون إن المريض خير من يشخص سبب مرضه. تعرض هذه الرأس المريض على الدنيا، ويقول الرجل المريض: ديني هو المجنون.. ديني يأمرني بالظلم مع النساء والأطفال.. الإسلام يعطيني الحق في الانتقام بهذا الشكل، وأن نقوم بعمليات التخريب، وإفساد أمن المدن بالمتفجرات، والانتقام بأي صورة كانت لمعاناتنا، والله يعيننا والإسلام يؤيدنا ويعلمنا أن نفعل ذلك باسم الدين!

إن هذا خطأ تماما. وليس ثمة تبرير له مطلقا. كل ما قلته لكم أمور حيثما عرضتها في العالم سيضطر إلى قبولها كتبرير لوجود هذه الرؤوس المريضة والسبب في مرضها. وهكذا لم يسمح أولئك الظالمون للعالم أن يهاجمهم وحدهم، بل وعرضوا الدين أمامهم ليكون أيضا هدفا للهجوم.

هذا ملخص طغيانهم وظلمهم الذي يعتبرونه اليوم شرعيا. ومن أهم الأمور الآن أن تتفهم القيادة الإسلامية الأسباب، وتوجه كل انتباههم إلى المرض الحقيقي، وتطلب من الآخرين أن يتنبهوا له، ويقدموا تحليلا واضحا أمام العالم، ويقولوا: إننا اضطررنا للانضمام إليكم ضد صدام حسين.. ولكن ذلك لا يعني أنكم أبرياء، ولا يعني ذلك أن الخلاص من صدام حسين، أو القضاء على العراق هو الإسلام؛ بل سيكون ذلك سببا إضافيا لهدم الإسلام، وتستمر الأسباب تفعل فعلها، وتبقى الأمراض، ونتيجة لها يضطرب السلام من حين لآخر في منطقة الشرق الأوسط، ويشعر العالم بالأخطار تتهدده نتيجة لذلك.

وإذا تحدثنا عن العدالة ، فسترون أنه بعد كل حرب تحتل إسرائيل جزء من بلاد المسلمين؛ ونظرا لتفضيل الغرب لإسرائيل فإنه يساندها. إنهم لم يعيدوا شبرا من الأرض التي احتلوها إلا لمصر. وفي كل مرة يسلم الإسرائيليون سينا لمصر فإنهم يضطرونها إلى قبول شروطهم، حتى اضطرت في النهاية إلى عقد معاهدة مع إسرائيل. التي اعتقدت أنها تقطع مصر بها عن العالم الإسلامي نهائيا. وتصبح غرضا لكراهيتهم، ويصبح استمرار وجودها متوقفا على إسرائيل، ويقولون: ما دمنا نعضدها فإنها تعيش، ولولانا لتحطمت وانهارت. هكذا كانت توقعاتهم التي على أساسها أعادوا تلك المنطقة الصحراوية لمصر بعد ان احتلتها إسرائيل. وسوى ذلك لم يعيدوا أي أرض احتلوها للمسلمين؛ أعني أن إسرائيل لم تدفع لتسليم أي أرض محتلة إلى أهلها الذين لم يقبلوا بمعاهدة للإذلال.

كم طال بالأردن مصادقتهم؟ إنهم حتى اليوم يذكرونهم في نشرات الأخبار.. أن انظروا أصدقاءنا.. كنا نعتمد عليهم أكثر من أي شيء. كما نحن حمقى! لقد ظهر أنهم أصدقاء غير مخلصين، ولا يرون كيف ملنا إليهم في صداقتنا. كل ذلك الوقت.. وشطر أرض بلادهم في أيدي أعدائهم، والأصدقاء يساعدون العدو على الاستمرار في هذا الاحتلال غير الشرعي.. ومع ذلك استمروا على صداقتهم لهم! وحيث يقول القرآن المجيد بعدم مولاة أعدائكم.. خلق بعض الملات (المشائخ المتعصبون) من العصور الوسطى انطباعا خاطئا حول ذلك الأمر، ونتيجة لذلك أعانوا أعداء الإسلام على تشويه سمعته. وهذه هي الأوضاع التي يقول فيها الإسلام لا توالوا أعداءكم! لا توالوا قوما بأن تبيعوا من أجلهم متطلبات الإسلام والعدل. هذا هو الأساس في ذلك التعليم القرآني؛ فقد صرح بأن الله لا ينهي عن مصادقة أولئك الذين لا يضمرون العداوة لكم ولا يظلمونكم، بل أحرى بكم أن تعاملوهم بالحسنى.. [لاينهاكم الله عن الذين لم يُقَتِلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من ديْركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم. إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم وأخرجوكم من ديْركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم. ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون.]. هذا هو الإسلام، ولكنهم تجاهلوا تعاليم الإسلام الحكيمة الذكية، واتبعوا فهمهم الذي ألبسوه رداء الذكاء. فحيث تحرم الموالاة كانوا يوالونهم، وحيث أُمروا بالصداقة والموالاة تجنبوها. هذا هو آخر شكل من أشكال مرضهم. إنهم ابتعدوا عن التقوى.. وعن تعاليم الإسلام.

قال المصطفى ﷺ: لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين.. ولكن ما أكثر ما لُدغوا، ثم يضعون أصابعهم في نفس الجحر، وحتى اليوم لم يفهموا.

وإذا حللتم موقف الغرب الحريص المتبصر، تبين لكم أنه في الحقيقة جاهل أحمق. وما دام هذا المرض موجودا فستستمر الأخطار تحوم حول العالم بنفس الطريقة تماما. ومن الناحية الأخرى. فإن البلاد الإسلامية أيضا بالرغم مما قاسته مرارا وتكرارا لم يتعلموا من أخطائهم المعادة. فما هو العلاج؟

إنه علاج واحد، علمه الدنيا سيدنا محمد المصطفى ﷺ.. ذكرته من قبل، وأود اليوم أن أذكركم به. هناك نبوءات طويلة، أريد أن أشير إلى واحدة منها. جاء في الحديث النبوي الشريف: «... أوحى الله إلى عيسى عليه السلام أني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحَرِّزْ عبادي إلى الطور (أي اجعله لهم حماية)... فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى: (أي يدعون الله ويرغبون إليه في إهلاك يأجوج ومأجوج، وإنجائهم من مكابدة بلائهم وشرهم...) (صحيح مسلم، كتاب الفتن). يقول النبي الأكرم ﷺ في حديثه عن الأيام الآخرة أن يأجوج ومأجوج سوف يتسلطون على الأرض، وأنهم ينهضون موجة بعد موجة، وأن موجات سلطانهم سوف تغطي الدنيا كلها، وأن المسيح وأتباعه سيحاولون قتالهم بقصد هزيمتهم، وعندئذ يخبر الله تعالى المسيح بأنه لا يملك إنسان على الأرض القوة لقتالهم. ولم يعط المسيح هذه القوة أيضا. هناك علاج واحد، إنه اللجوء إلى الطور (الجبل) والابتهال إلى الله تعالى. فالدعاء هو وحده القوة التي تؤدي إلى الفوز على هذه الأمم. ولكن ما المراد بالجبل؟ أعتقد أن النبي الكريم ﷺ هو الجبل المقصود هنا. يقول الله تعالى: [لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله]، أي لو أوحى هذا القرآن إلى جبل لاهتز لعظمته ولتحطم إلى شظايا، [إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون]. فالمصطفى ﷺ كان له التفوق على الجبال، لأنه كان أعظمها جميعا. إن جبال الدنيا لا تملك القدرة على تحمل جلال هذا الوحي؛ ولكن المصطفى ﷺ كان وحده أعظم الجبال وأعلاها وأشدها. والمراد أن عودوا إلى عظمة المصطفى ﷺ، وتعوذوا بتعاليم المصطفى ﷺ. الجأوا إليه واستمدوا القوة منه. إذا فعلتم ذلك وابهلتم إلى الله عز وجل.. يكون دعاؤكم قد عُذِيَ من حفاظته، فلا يضيع أبدا، وتنالون نصيبا من عظمته، وتأخذ دعواتكم قسطا منها.

والعبرة في هذا.. أنه لم يرد في الأحاديث أن الله تعالى أمر أحدا من مسلمي ذلك الوقت أن يبتهل ويدعو؛ إنما الإشارة إلى أتباع المسيح الموعود ولا أحد غيرهم. ومعنى هذا أن الإيمان في دعاء الآخرين من مسلمي ذلك الوقت يكون قد رفع من الناحية العملية؛ ومن لا قيمة لدعائهم، فلا معنى ولا فائدة من إشراكهم في وصفة الدعاء.

وبوسعكم الآن رؤية قدر العظمة في تصريحات الحكام المسلمين التي تصدر الآن. فمنهم من يقول: هلموا إلى أمريكا، اطلبوا معونتها وحمايتها. ومنهم من يقيم معاهدة مع إيران أو يتفق معها في أمور لينتفع من قوتهم، ولا أحد منهم يقترح الاتجاه إلى الملاذ الإلهي، ويفكر في ملجأ المصطفى ﷺ. لم يذكرهم أحد ويقول لهم: أيها المسلمون، هذا وقت الدعاء والابتهال إلى الله تعالى.. لأنه السبيل الوحيد للنصر على الأعداء. ولكن هناك جماعة فريدة.. جماعة الإمام المهدي المسيح الموعود.. مسيح محمد المصطفى ﷺ.. الذي قدر الله أن تكون نجاة العالم الإسلامي بفضل دعائهم، بشرط أن يلوذوا بمعاذ عظمة محمد المصطفى ﷺ، ويتحصنوا بشخصيته وسنته، ويواظبوا على التضرع والابتهال إلى الله تعالى.

ولو أن هؤلاء اقترحوا حلا مؤقتا لهذه المشكلة.. فليكن من المعلوم أنه الحل الذي يسير بأهل الشرق الأوسط وبالعالم كله نحو

وضع أسوأ. سوف ينشا وضع مريع للغاية. وما دامت الأمراض والبلايا موجودة.. فليس ثمة حل عندهم. إذا كان هناك حل فهو معكم أنتم.. يا جماعة المسيح المحمدي. ينبغي عليكم أن تتضرعوا إلى الله تعالى بلا انقطاع؛ لأن هذا الألم سوف يستمر إلى زمن طويل، وللموقف تقلبات كثيرة، وسوف يدخل في مراحل متجددة.

وإذن فلا تؤخروا الدعاء.. فنحن القوم الذين دعوا من قبل. ولكن في دنيا اليوم، وعلى ضوء الموقف كما حللته أمامكم.. أؤكد لكم أنه لا علاج لأمراض هذه الدنيا، وأمراض الأمة الإسلامية سوى دعاؤكم. وعليكم أيضا أن تبتهلوا من أجل العالم الغربي، كي يمنحهم الله العقل والفطنة. لقد فشلوا من قبل مرات عديدة في أن يحللوا مشكلات الدنيا من خلال ذكائهم وسياستهم. لم ينجح ذكاؤهم مرة واحدة، ولم يكن له نفع للعالم، لأن دوافعهم الأنانية وراء مهارتهم، وإفراطهم في الغرور خلف قراراتهم النهائية. الذكاء الحقيقي مرتبط بالتقوى ولم تفهمه الدنيا بعد. وعندما يؤكد القرآن الكريم على التقوى فإنه لا يقصد الملات المجانين (المشائخ المتعصبون)، وإنما يؤكد على التقوى التي تكفل حدة البصيرة، فتجعل المؤمن يرى بنور الله. وكل مهارة محرومة من التقوى سوف تؤول في النهاية حتما إلى الفشل والخسران. سموها إن شئتم مهارة، ولكنها ليست ذكاء. فعالم اليوم.. من الشرق أو من الغرب.. خلوّ من الذكاء والفطنة الحقة.. لأنه محروم من التقوى.

فيا جماعة محمد المصطفى ﷺ.. يا جماعة المسيح المحمدي (عليه السلام).. لطالما كنتم مناط التقوى وأهل أمانتها.. فأوفوا بحق هذه الأمانة، وما دمتم باقين عليها مستحقين لهذه الأمانة، فلسوف يهبكم الله النصر، وتمضون قادرين على قلب المستحيل ممكنا، ولسوف تظهرونه للعالم.

عسى أن يعيننا الله تعالى على تحقيق ذلك! آمين!

خطبة يوم ٩، ١١، ١٩٩٠

إن الموقف الذي تمر به الأمة الإسلامية في هذه الأيام لموقف يصيب كل مسلم أحمدي بالهم الشديد، وبدلا من أن تنقص الهموم فإنها في ازدياد. وسبق أن ذكّرتُ الجماعة الإسلامية الأحمدية بالدعاء والابتهال، وأود اليوم أن أذكرها تارة أخرى في خطبتي هذه بالدعاء والضراعة إلى الله العلي الكبير.. بمزيد من الجدية، وبإخلاص عميق وألم بالغ. ينبغي على كل أحمدي أن يرفع أكف الضراعة إلى الله عساه جل وعلا أن يزيل، بفضله وكرمه، ما يواجه الأمة الإسلامية من أخطار. ومع أن السحاب الأسود يحيط من كل اتجاه، إلا أن الله تعالى قادر على أن يغير اتجاهه إن شاء الله. ليس هناك جزء من العالم في الوقت الحاضر إلا والمسلمون يواجهون فيه الأخطار المباشرة وغير المباشرة، والمسلمون حيثما كانوا غير مستعدين لمواجهة كل هذه الأخطار. ولا تجد ردود فعل إسلامية تتسم بالعقل والحكمة في أي مكان. لذلك، فمن واجبنا أن نقدم لهم النصح، ونسعى لإفهامهم.. سواء أنصتوا لنا أم أبوا فواجبنا أن نضع بين أيديهم كل نصح ضروري؛ ولا يجوز أن نحصر أنفسنا في إطار النصح وحده.. لأن النصيحة لدى من يسدون آذانهم، والإيضاح عند من يغلقون عيونهم، والهداية لمن طبع العناد على قلوبهم.. لا تجدي ثمارها الطيبة مهما أراد المرء أن يفعل. ومن ثم فالدعاء ضرورة ملحة، والدعاء مطلوب كي يكون للنصيحة أثرها.

أما بالنسبة للعالم الخارجي، فالدعاء لازم لتغيير اتجاههم. فينبغي أن يكون لدعائكم وجهان: أحدهما أن يخلق الله تعالى قيادة عاقلة بين المسلمين، وأن يهب العقل لولاة الأمور فيهم، وأن ينعم عليهم بنور التقوى، وأن يمكنهم من إدراك الموقف الراهن على حقيقته، والثاني: أن يحول الله تعالى اتجاه كل أولئك المعتدين الذين يوشكون على مهاجمة الإسلام من الداخل أو من العالم الخارجي؛ أولئك الذين سوف يحدثون به أشد الضرر من العالم الخارجي، وأولئك الذين يناهضون الإسلام تحت عباءة الإسلام.. وأن يحبط الله كل جهودهم ويعودوا بالفشل التام.

سأضع أمامكم الآن ما يحدث في الساحة بإيجاز؛ لقد سبق وأن ألقيت عليه الضوء من زوايا متنوعة. فكما يعرف الإخوة أن هذا الصراع مع العراق هو في الواقع بسبب احتلاله الكويت، ولقد قدمت لكم سببا أو سببين لما تقوم به قوى العالم من حشد ضد العراق؛ ولكن هناك أسبابا أخرى عميقة، سوف أسردها لكم في المستقبل إن أذن الله تعالى بذلك؛ وسأتناولها بمزيد من التفصيل، وأحكي لكم عن الأيدي التي تنسج هذه المؤامرات بالفعل.

وملخص هذا الصراع أن بلدا مسلما احتل إقليما، يحسب أنه كان جزء من بلده، كان قد اقتطعه البريطانيون وأقاموا له دولة مستقلة. هذه هي قضية العراق. وفي مقابل ذلك يقال: إننا لو تركنا بلدا يحتل منطقة على أساس من الحق التاريخي فسوف يفرض ذلك خطرا جسيما على سلام العالم، ولا يمكن بأي ثمن أن نسمح لبلد أن يتخذ مثل هذه الخطوة العدوانية.

لا ينفك قادة الغرب يرفضون القول بأن اهتمامهم ينصب على منابع البترول، ويقولون: بل هو السلام العالمي الذي يهمنا؛ واحتلال بلد لإقليم ما على أساس أنه كان ينتمي لها تاريخيا لهو شئ سخيف تماما، ولا يمكن أن نسمح له.

دعُونَا نُلقِ نظرة سريعة على تاريخ هذه الفترة لنرى ماذا كان يجري ونفحص المنطق الذي قدموه لنتعرف على حقيقته. فبالنسبة للأراضي الإسلامية.. تأتي فلسطين في المقدمة، حيث تحكم إسرائيل الجزء الأكبر منها، وزَحَفَ سلطانها على الضفة الغربية من نهر الأردن. وهذا في الواقع نزاع تاريخي، فمنذ آلاف السنين حكم اليهود هذه الأرض وبنوا فيها المعابد، وهي عندهم ذات أهمية قصوى. وبهذا التاريخ القديم في الذهن قامت القوى الغربية وغيرت جغرافية هذه المنطقة، وأبدوا عنادا وجسارة، حتى إن الدنيا بأسرها ما برحت تصرخ مع بلاد الإسلام، وقامت قوى كثيرة من العالم تساندهم، قائلين بأن التاريخ القديم الذي يرجع إلى ثلاثين أو أربعين قرنا من الزمان، هي كشظية في جبل من الرماد.. تنفخون فيها للتوقد ثم تكون نارا: أي حق لكم اليوم لقبول هذه الدعوى عن الماضي السحيق وتغيرون خرائط العالم اليوم؟

ولكن القوى الغربية العظمى هي ذاتها التي تتلهف اليوم على تدمير العراق، وقالوا إنه يريد تغيير الجغرافيا على أساس من التاريخ القديم. والجغرافيا شيء دائم التغير. وبوسعكم النظر إلى تاريخ ولاية «كشمير» أو ولاية «جوناكَر» أو «حيدر أباد دكن».. وبالإيجاز، هناك بلاد كثيرة تنتصب شاهدا على أنه في زمننا هذا، وفي الفترة التي نمر بها، قد غيروا الجغرافيا استنادا إلى التاريخ، وأيضا بدون أي سند تاريخي.. ومع ذلك لم تتعرض سياسات العالم إلى أية أخطار. وأيا كان المنتمي السياسي لهم.. لم نسمعهم ينوحون بسبب تلك التغيرات، ولم تحدث محاولات لتوحيد العالم يدا واحدة لإعادة تلك التغييرات الجغرافية إلى حالتها الأولى!

ليس ذلك وحسب، وإنما لو ننظر إلى تاريخ أفريقيا نجد مشهدا أعجب وأشد رهبة. سأقرأ لكم مقتطفات من مجلة تدعى الحقيقة الواضحة PLAIN TRUTH، الصادرة من هنا (بريطانيا)، كي تعلموا من ذا الذي له حق تغيير جغرافية العالم، ومن لا يملك هذا الحق. يتلخص الموضوع الذي أوردت المجلة المذكورة تفاصيله، وهو مسجل أيضا في صفحات التاريخ، أنه في تلك التقسيمات التي أحدثها الاستعمار الغربي في أفريقيا لم يضعوا في حسبانهم أي مصلحة لأمة أفريقية أو دولة أفريقية، لم يقسموا الناس على أساس من القومية أو اللغة، لم يأخذوا في الاعتبار مصالح الناس الاقتصادية، لم يقدروا إذا كانت بعض الأقسام ضئيل الحجم بدرجة لا تسمح له بالاستقلال الاقتصادي، وبعضها كبير الحجم بدرجة تهدد حقوق الدول الأخرى ومصالحها.

هذا ما نجده في التاريخ، وهذا ما غطاه المقال في المجلة جيدا. ونتيجة لتلك التقسيمات هذه المعاناة الشديدة التي كان على البلاد الأفريقية مقاساتها ولا تزال تقاسي منها. لقد فتتوا قارة أفريقيا إلى دويلات صغيرة جدا، أو أقسام كبيرة جدا.. بهدف أن تعود المنفعة منها جميعا إلى دول الغرب، وأن يستمر انتفاعها منها على مر الأيام. ومعظم المصاعب والمشاكل التي تعاني منها أفريقيا بعد تحرر بلادها تعود إلى هذا التقسيم الجائر. مع تصاعد مفهوم الوحدة الوطنية يتصاعد أيضا مفهوم وحدة اللغة، ويجد الإنسان أن هذه الحدود الجغرافية مختلفة تماما عن الحدود اللازمة للوحدة الوطنية، وتبدو تلك الحدود مختلفة تماما. وهناك أيضا عداوات تاريخية داخل الأمم الأفريقية، فمثلا في نيجيريا هناك عداوات بين بعض الأمم، بل وتمتد العداوة وخارج نطاق الدولة الواحدة لتغطي مناطق كبيرة. وقد فصلوا بعض الأمم بحيث يفرض الأقوى منها نفسه على الأضعف. وموجز القول إن هناك أشكالا كثيرة تبرز لتجعل أفريقيا محاطة بالاضطراب وانعدام الثقة وشتى أنواع البغضاء. ولم يوجهوا انتباههم إلى إزالة هذه المظالم، ولا يرون ذلك ضروريا..! ولقد تصاعد الأمر إلى حد القول بأن إزالة هذه المظالم يتطلب تقسيم أفريقيا من جديد، وبذلك يتعرض سلامها لمزيد من المخاطر أكثر مما تعاني منه اليوم. هذه هي خلاصة الرابطة بين التاريخ والجغرافيا!

وإذا عدنا إلى مسألة احتلال العراق للكويت، وحللنا الموقف كله كما أراه، فإنه إذا احتل بلد غير إسلامية هذه الأراضي الإسلامية وغيرت حدودها الجغرافية.. فلن يتعرض سلام العالم لخطر ما. وإذا قامت قوة غربية، أو اتحدت كلها لتغيير جغرافية قارة كبيرة، أو حتى لتدميرها، أو لو أنهم قسموها لتبقى أبد الدهر منطقة متفجرة كالبركان.. فإن هذا لا يمثل تهديدا للسلام العالمي! ولكن إذا ما احتل بلد إسلامي بلدا إسلاميا آخر.. فهذا هو التهديد الذي ما بعده تهديد لسلام العالم بأجمعه؛ وهذا ما لا يطيقونه ولا يسمحون بهذا التهديد أبدا!!

هذا هو المنطق الأساسي الذي يبرز أمامنا بعد التحليل. وعلى الرغم من أن كل هذه الأمور معروفة تماما؛ وأنها ليست تاريخا نقبتُ عنه ولم يكن مألوفا لدى المتنورين المسلمين أو لدى القادة المسلمين.. فكل شيء أمامهم، ومع ذلك فإنهم لا يدركون ما يحدث في الشرق الأوسط؛ أو ما هو موشك على الحدوث، وأن الضرر كله سوف يقع على رأس الإسلام وأتباع الإسلام، وأن النفع كله سيصل إلى الحكومات غير الإسلامية وأهل الأديان غير الإسلامية.. وكما سبق أن ذكرت.. غرم الحرب كله سوف تحتمله البلاد الإسلامية وحدها. وكل هذا الذي يجري على الساحة من نقل قوات ونشرها من قارة إلى أخرى يتطلب نفقات

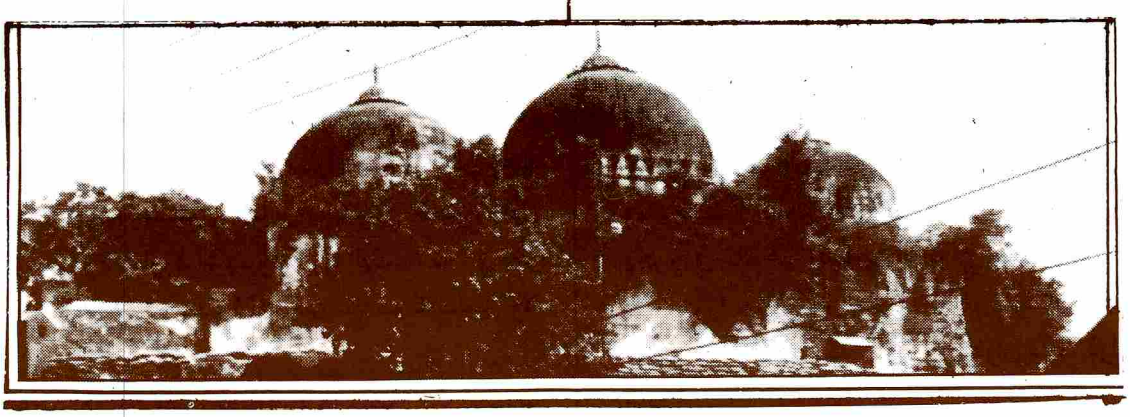
باهظة.. هي نفس جبال المال الذي أودعته السعودية والمشيخات في بلاد الغرب، ولسوف تتحول تلك الأموال بطريقة قانونية إليهم؛ تلك الأموال التي يقولون إنها تخصكم، ولا مطمع لنا فيها! ونتيجة لذلك لسوف يدمرون دولة إسلامية صاعدة دمارا أبديا، ويؤكدون بذلك أن مجرد تفكير المسلمين في اتخاذ خطوة مستقلة لحماية أوضاعهم يعد من الجرائم.

ولقد حاولنا بأقصى جهدنا أن نرسل هذه الرسالة إلى العراق. قلنا: بحق الله تعالى، ومن أجل صالحكم وصالح الإسلام.. الذي تعتبرونه صالحكم أيضا.. يجب أن تتراجعوا عن خطوتكم الظالمة، لأن تغير الحدود الجغرافية على أساس من التاريخ لم يعد ممكنا. كما قلت، لم يعد ممكنا بالنسبة لأفريقيا أيضا، ولم يعد ممكنا في معظم بلاد العالم، ومن ثم فإن مصلحتكم، ومصلحة الكويت، ومصلحة الإسلام تبقى في رجوعكم عن هذه الخطوة التي اتخذتموها، ثم في أن تعملوا على تقوية أنفسكم وتوحيد العالم الإسلامي. ولكنهم لم يهتموا لذلك لسوء الحظ.

وبلاد العرب أيضا لم يبدوا أي اهتمام، وانضموا إلى القوى غير الإسلامية. وهم يتحملون الثمن كاملا لظلمهم. وهم مستعدون لتدمير دولة مسلمة.. يضطرب بعدها سلام المنطقة كلها إلى الأبد. وسواء تعرض سلام العالم للخطر أم لا.. فإن هذه البلاد التي استأجرت المقاتلين من الخارج، والتي سوف تتحمل غرم الحرب كاملا.. أؤكد لهم أنهم لن يكونوا أبدا قادرين على العودة إلى الماضي. لسوف ينزلقون من سيئ إلى أسوأ، ولن يعود السلام إلى المنطقة مرة أخرى. وبعد ذلك، وكما قلت لكم، لم يبق إلا الدعاء. عسى الله تعالى أن يرحمهم ويمنحهم العقل والحكمة. ومهما كان نصحنا ضعيفا في ظاهره.. فعسى الله جل وعلا أن يضفي عليه بفضله من القوة.. فتميل إليه القلوب وتتقبله. الله وحده هو القادر على تغيير الأحوال. ما أجمل ما قاله كاتب المقال مجلة «الحقيقة الواضحة»: إن القدر الإلهي هو الذي يحل هذه المشكلة بسلام.

ولنلق نظرة على الهند. ما حدث في الماضي قد حدث، وما كان يحدث في كشمير لا يزال يحدث اليوم. ولكن المأساة العظمى أنهم أيضا يقومون الآن بتغيير جغرافي على أساس تاريخي. يقولون إن بابر (ظهير الدين محمد بابر، ١٤٨٣، ١٥٣٠م، مؤسس سلالة المغولة الإمبراطورية في الهند مكان سلطنة دلهي، وهو من سلالة تيمورلنك وجنكيزخان)، هدم معبدا هندوسيا في أيوديا، يسمى «معبد راما» وشيد في مكانه مسجدا يسمى «المسجد البابري». ما أبعد الحقبة الزمنية التي يرجع إليها هذا الحدث، ومع ذلك لا يزال الجدل مستمرا حولها في إحدى محاكم الهند. والدعوى في أساسها تستند الى رؤيا منامية لدرويش مسلم، رأى أن جثمان «راما» مدفون تحت المسجد البابري حيث كان هناك معبد هندوسي! هذه رؤيا قديمة لذلك الدرويش، وهي المرجع الذي يؤسس عليه الهندوس قضيتهم، وقدموا مستندات ليس لها أساس تاريخي حقيقي، على أي حال.. المسألة في يد القضاء؛ وهناك يترافعون ويتخاصمون، متجاهلين ما إذا كانت الدعوى صادقة أم باطلة، ويحاولون تغيير الجغرافيا على أساس تاريخ مضى منذ ٤٥٠ عاما، ويعتبرون ذلك عملا شرعيا بحسب ذلك المبدأ.. مبدأ القوى الغربية: أعني إذا فعله غير المسلمين فهو عمل شرعي، أما إذا فعله المسلمون فهو غير شرعي! لم يكن البناء شرعيا للمسلمين وقتئذ، وليس الاحتفاظ به شرعيا لهم اليوم؛ وهو شرعي للهندوس وقتما يشاءون، ولهم أن يغيروا ممتلكات اليوم وجغرافية اليوم بناء على التاريخ القديم.

ففي الهند أيضا يواجه المسلمون خطرا عظيما؛ وإن كان أشد خطرا من التغيرات الجغرافية التي تحدث في أماكن أخرى.. لأن التهديد هنا موجه إلى شرف الإسلام ووحدة الإسلام، خطر يواجه عقيدة عظمة الله وعظمة وحدانية الله. المكان الذي يعبد فيه إله واحد.. يريدون أن تعبد فيه أصنام زائفة ترتبط بآلهة باطلة لا وجود لها! فإذا تغير مكان لعبادة الإله الواحد، ويرفع عنه لواء وحدانية الله.. ليصير مكانا لعبادة الأصنام، فذلك ليس حدثا



صورة للمسجد البابري. بناهُ مؤسس الدولة المغولية في الهند ظهير الدين بابر في أيودهيا عام ١٥٢٨م.

عاديا، ولكنه هجمة على قواعد الإسلام. ولسوف ينتشر هذا الحدث بعيدا في كل اتجاه، ونتيجة لذلك سوف يضطرب سلام المسلمين، وتبدأ مسلسلة من الاضطرابات يتعذر وقفها.

على أي حال.. هذا أمر هام من ناحية العواطف ومن ناحية العقيدة، ويجب على عالم الإسلام أن يتفهمه. ولكن في نفس الوقت لا بد وأن يكون رد الفعل إزاءه إسلاميا. ويؤسفني أن الموقف يشبه الموقف المتصل بمشكلة العراق. ففي بنغلاديش غضب الناس من هجمات الهندوس على «المسجد البابري»، ودخول بعضهم في ساحته وعبادة أصنام وضعوها في حرمه. وتمثل رد فعلهم الغاضب في بنغلاديش في إحراق كثير من المعابد، ونهب ممتلكات الهندوس وقتل عدد منهم.

فهل هذا رد فعل إسلامي؟ كلا، ولا شك. من المحال في ضوء تعاليم الإسلام أن يكون هذا رد فعل مشروع؛ لأن الإسلام يصون شرف وحرمة كل ديانات العالم. وليس معنى ذلك أن الإسلام يأمر بالانحناء للدين تشريفا له، ولكن المراد أن الإسلام يحمي من الناحية القانونية أولئك الذين يؤمنون أن للدين كرامة وشرفا، وكيفما كانت عقيدتهم فلهم حق العبادة وفقا لها.. وإن كانت في نظر الإسلام باطلة. ففيما يتعلق بما في قلوبهم، واحترام ما في قلوبهم.. فالإسلام في الواقع يصون كرامة تلك الديانات. إنه يصون حرمتها.. بمعنى أنه لا يسمح للمسلم أن يهدم أماكن العبادة للآخرين، ولا يبيح أن يبنى مسجد أو أي شيء آخر في هذه الأماكن.

وما يحدث في الهند هو في الواقع رد فعل لبعض الأحداث التي وقعت في باكستان. فمثلما كانت ردود الفعل في بنغلاديش للأعمال التي وقعت في الهند.. كذلك كانت للأعمال التي وقعت في باكستان ردود فعل مشابهة في الهند. فبعض المشائخ المتطرفين الباكستانيين ينادون باسم الدين بفرض حكمهم على الآخرين، لذلك يقول الحزب السياسي الهندوسي المسئول عن تلك الأحداث في الهند: إذا كان من حق المشائخ في باكستان أن يغتصبوا باسم الإسلام كل حق لمن يعدونهم غير مسلمين.. فلماذا لا يكون من حق الدين الهندوسي أن يسمح لنا باسم الهندوسية، وفي سبيل كرامة الهندوسية.. أن نغتصب الحقوق الأساسية لكل المسلمين؟ وفي إحدى المناسبات، على سبيل المثال، أعلن زعيم ذلك الحزب أنه ينصح المسلمين: إما أن يعيشوا في خضوع كامل لحكم الهندوس، أو يحملوا فراشهم ويغادروا البلد، لأنه، في نظر هذا الزعيم الهندوسي، لم يعد هناك مكان عندهم للمسلمين ولا للإسلام.

هذا الإعلان هو من نفس فصيلة الإعلانات التي يصدرها المشائخ المسلمون في باكستان بشأن المسلمين الأحمديين. ولكونهم في الهند هندوسًا غير مسلمين.. فإنهم لم يصدروا إعلانهم بصدد هندوس نسبوهم إلى الإسلام على غير رغبتهم، فيكونوا قد ارتكبوا ظلما ولا شك؛ وإنما أصدروا إعلانهم بشأن المسلمين.. نفس المسلمين الذين يعدوننا معشر الأحمديين غير مسلمين. أي أن مشائخ باكستان يظلمون حتى في أساس الظلم. إن الهندوس في الهند يعلنونها صراحة: هذه هي مشاعرنا تجاه من ليسوا هندوسا. ولكن يبقى القرار في يد الإنسان ليحدد هل هو من الهندوس أم لا. إنهم لا يفرضون قراراتهم على الناس ويقولون للبعض إنهم هندوس وللبعض الآخر إنهم غير هندوس. فالظلم والتجاوز الذي يرتكبونه في باكستان سار خطوة أبعد من مظالم الهندوس؛ فهم أولا: بالنسبة لأولئك الذين وهبوا حياتهم للإسلام أعلنوا أنهم غير مسلمين! ثم ثانيا: سمحوا بأن ترتكب أشد صنوف المعاملة التي لا تحتمل ولا يرضى بها الإسلام.. ضد الذين يتلون كلمة الشهادة الحقة: بوحدانية الله تعالى، وصدق نبوة محمد المصطفى ﷺ. ولأنهم فعلوا ذلك معهم بعد إعلان أنهم غير مسلمين.. لذلك وجد غير المسلمين في ذلك حجة وعذرا لهم، فقالوا: ما دام المشائخ المسلمين في باكستان يستخدمون شهادة الإسلام، ويعاملون من يعتبرونهم غير مسلمين بهذه الطريقة.. فلماذا لا يكون لنا نحن الهندوس، غير المسلمين، الحق في أن نعامل المسلمين بالمثل؟

فإذا ما هدموا المساجد في باكستان (والمقاطعات الأربع الباكستانية شاهدة على هذه الحقيقة، حيث هدموا دورا لعبادة الله الواحد الأحد، وحيث يجتمع الناس خمس مرات في اليوم على محبة قوية حقة لله تعالى)، عندما حاولوا تخريب مساجد الأحمديين، وعندما حرموا تلاوة كلمة الشهادة وشرعوا لها عقوبة.. لماذا لم يتقوا الله وقتئذ؟ لماذا لم يفكروا بأن قدر الله تعالى يعاقب الطغاة، ويريهم انعكاسات سوء فعالهم؟

كل نشاط تعيس يجري في الهند، وكل الفظائع المتطرفة التي ترتكب هناك ضد المسلمين.. كل ذلك وضع أساسه المشائخ في باكستان. الشيخ هو المجرم، وهو المسئول أمام الله تعالى. ولسوف يأتي في هذه الحياة الدنيا يوم ينزل بهم عقاب الله بسبب مظالمهم وتعدياتهم. ويوم القيامة يلقون الخزي والعار إلا من تاب منهم وأصلح. إن كل ما يجري في باكستان له أثره في العالم الخارجي. وما يحدث في العالم الخارجي له آثاره على كل جزء من العالم. وما يجري في عالم غير المسلمين له أثره في عالم الإسلام أيضا. إن العالم ليس جزرا معزولة عن بعضها البعض، ولكن التأثير يسرى كالموج ينتقل من مكان إلى مكان آخر. وللعدوان دائما ذراري من عدوان مزيد.

فإذا أردنا توطيد سلام العالم.. وجب أن نعلن الجهاد ضد

الظلم والعدوان ونجاهد في سبيل العدل والسلام. يقول سيدنا المصطفى ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلومًا». فلما سئل أن كيف يا رسول الله، ننصر أخانا الظالم؟ قال: بأن تكف يده عن الظلم. فكل بلد مسلم أبدى رد فعل خاطئ، وقام بتلك الأفعال البغيضة باسم الإسلام.. فنهبوا المعابد الهندوسية أو هدموها، من واجبنا أن نكف أيديهم عن هذه المظالم. وبذلك ننصرهم ظالمين. وكلما يطحن المسلمون في طاحون الفظائع بأيدي الآخرين.. فمن الإسلام أيضا أن نساعدهم بقدر المستطاع. لقد أصدر إلينا هذا الأمر سيدنا محمد المصطفى ﷺ. فعلى كل أحمدي أن يعد نفسه للجهاد في الجبهتين كلتيهما. والاستجابة الصحيحة أولا، وقبل كل شيء، وفي مثل هذه المناسبة، أن تكون البلاد الإسلامية على استعداد لحماية كل دور العبادة لدى جميع الديانات، وأن يكونوا قد تعلموا الدرس من موقف رئيس الوزراء الهندي السابق، السيد فشواناث برتاب سنغ، إنه قائد عظيم، أصبح اليوم خارج السلطة، ولكن الحق يتطلب الإعجاب بموقفه في مساندة الحق. ومن سوء طالع الهند أن تحرم من قيادة هذا الرجل العظيم، الذي كان من الممكن للهند أن تسترد به كرامتها الضائعة؛ لأن القائد الذي يساند الحق وهو مستعد للتضحية بمصلحته الشخصية لا يجد الشعب أفضل منه لقيادته.

قام السيد سنغ بأمرين، مكّن له في القلوب احتراما عظيما، ودعوت الله أن يقدر للعالم قادة يساندون الحق كما فعل سنغ. إنه أولا وقف وحده لحماية حقوق الملايين من طائفة المنبوذين. وتحدى الخلاف مع زعماء حزبه بما هدد استمرار حكمه، وطبق القانون في أنحاء البلاد لرفع الظلم عن المنبوذين المضطهدين منذ آلاف السنين، وأمر بأن تحفظ لهم حقوقهم بأن يكون لهم حق العمل والتوظف في الحكومة، وأن تكون لهم نسبة مقررة في هذه الوظائف بحسب عددهم. كانت هذه خطوة كبيرة أساسية في بلد حكمتْ الطائفية فيه لزمن طويل، ويقول لهم دينهم بأن للطوائف العليا حقوقا، وليس للطوائف الدنيا حقوق. إنها خطوة تكشف عن عظمة رائعة، لا تتوفر إلا في عدد قليل جدا من قادة هذا العالم.

ليس هذا فحسب، وإنما عندما هبت العاصفة في وجهه ناضَلَ بشجاعة وبسالة، ولم يبال بفقد منصبه أو بقائه فيه. ولم يكد يتوقف الضجيج والاضطراب حتى قام المتآمرون ضده بإثارة مشكلة المسجد البابري. كان الألوف والملايين مستعدين للمسيرة نحو المسجد البابري لهدمه وبناء معبد راما القديم، بصرف النظر عما إذا كان لهذا المعبد وجود أم لا. إن القتال بمثل هذه الشجاعة، والاستعداد لإقناع غالبية الجيش الهندي بإطلاق النار على إخوانهم في الدين لو هاجموا المسجد موجةً في إثر موجةٍ، وحماية المسجد وحرمته والقانون وقدسيته.. كل ذلك ليس أمرا عاديًا مألوفا. لا شك أن كثيرا من الهندوس قد قُتلوا في هذه المحاولات بيد الجيش الهندي، وضربوا بيد الشرطة، وجُرح الكثير وسجن الكثير. لقد وضع في السجن قادتهم الذين كانوا يملكون سلطانا قويا يساند حكومة سنغ. وخلاصة القول: إن الرجل رغم علمه بأنه يقطع الفرع الذي يجلس عليه، ولم يكن ذلك عن حماقة بل عن شجاعة ودعما للمبادئ، قَبِلَ هذا القائد العظيم أن يسقط من على كرسي السلطة، ويعرض مستقبله السياسي لخطر دائم.. دون مبالاة بذلك. أمثال هذا القائد.. الذين هم مستعدون للتضحية في سبيل العدالة.. أينما كانوا في العالم، تأمرنا تعاليم الإسلام أن نقر بعظمتهم ونعينهم، فالله تعالى يقول: [وتعاونوا على البر والتقوى]. فالتعاون يدا واحدة ليس مقصورا على دين بعينه، وإنما هو أمر بالتعاون والاتحاد في سبيل العدل وخشية الله تعالى.

سوف يخبرنا تاريخ الهند في مستقبل الأيام عن مدى انتفاع الهند من درس الأحداث، ومدى مقدرتهم على التمييز بين عدوهم وصديقهم.. ولكن على عالم الإسلام أن يكون ممتنا لهذا الرجل. وبدلا من أن يجعلوا الهند هدفا لانتقاداتهم بلا ضرورة، كان ينبغي على عالم المسلمين أن يؤازروا حكومة الهند، ويعلنوا أن كل ما فعله المتطرفون الهندوس ظلم كبير لا نقبله، ولكن قادة الهند يقاتلون هذا الظلم، وهم رغم ضعفهم يقفون ببسالة ضده، ونحن على استعداد لمعاونتهم في كل مجال. هذا كان صوت العدل، الذي هو صوت الإسلام. أما فيما يتعلق بالصخب والتهديد الأجوف فما خاف أحد منه؛ وإنما كان على كل بلاد الإسلام أن يجتمعوا ويرسلوا إلى حكومة الهند رسالة قوية، يشيرون فيها إلى مصالحهم التي تتصل ببلاد الإسلام، ويخبرونهم أنه سوف يترتب على تحقق التهديدات المضادة لمسلمي الهند إضرار بمصالحهم.. لأنه لا يتنافى مع مبدأ العدالة أن تُقاطع دولةٌ مقاطعةً اقتصادية بسبب مسلكها العدواني. هناك وسائل متنوعة للعقاب، وهذا العقاب وسيلة لوقف العدوان. من دولة مسلمة صغيرة مثل الكويت اضطر مئات الألوف من الهنود إلى التضحية بمصالحهم الاقتصادية، وأكرهوا على العودة إلى الهند.. فإذا كان في الكويت مثل هذا العدد الكبير من الهنود فما بالك بحجم مصالح الهند في كل بلاد الإسلام؟ والموقف الاقتصادي في الهند لا يتحمل مثل هذه المخاطر الاقتصادية.

يمكن أن تتشكل الحكومة بأي اسم، وتحت قيادة أي شخص، ولكن يبقى التزامها بالقيم الشرعية الإسلامية. وتجاهُل هذه القيم والوسائل الشرعية، والقيام بإحراق بعض المعابد يجلب المعرة وسوء السمعة للإسلام أكثر وأكثر، ويدل على أن الأمر سِيَّان لو هدمت دار للعبادة هنا أو هناك، أو انتهكت حرمته ودنست أم

لا. وإذا كان الحال كذلك.. فماذا يهم هدم أو انتهاك حرمة مسجد؟ وبدون الفكر الإسلامي، ونور التقوى.. لا يمكن اتخاذ قرار صحيح إزاء هذه الأخطار. وبدلا من ردود الفعل المتسمة بالجهل والانفعال.. ينبغي على عالم الإسلام أن يبدي ردود فعل صالحة، يملك بها القوة، وتكون ذات نفع وجدوى.. وبدلا من تشويه سمعة الإسلام تكون وسيلة لتأكيد عظمته في العالم، ويجنون من ورائها بعض المصالح.

وفيما يتعلق بالحكومة الباكستانية الجديدة.. أبدى كثير من المسلمين الأحمديين القلق، ووصلتني رسائل تتحدث عن وصول بعض العناصر إلى قمة السلطة، وهي عناصر كانت معادية للأحمدية ولا تزال على عدائها. ولقد بلغتنا دعاوي من يقودون الحكومة ويديرون أمورها، ولكني أود قبل تناول الموضوع أن أحكي لكم الموقف الحالي بشان اجتماعات منظماتنا الفرعية في ربوة.

جاءني منذ أيام قلائل في رسالة فاكس.. أن نائب المفوض في محافظتنا (جهانج) قد تصرف معنا بنبل، إذ سمح لنا، ولأول مرة، دونما تردد.. باستخدام مكبر الصوت في اجتماع «لجنة إماء الله» ليس ذلك فحسب، وإنما سمح أيضا باستخدام مكبر الصوت في اجتماع «خدام الأحمدية». كان ذلك غريبا جدا، بل ومستحيلا لأنه سمح بذلك لاجتماع «أنصار الله». ولذلك قمنا بعمل الترتيبات اللازمة لاستعمال مكبرات الصوت.

فخطر بذهني أن يرحم الله تعالى نائب المفوض هذا، لكونه رجلا بسيطاً ونبيلاً شجاعًا. عسى الله أن يقدر الصواب لقولي هذا عنه.

ولقد أبدى نائب المفوض عدم مسئوليته لو تغير هذا القرار فيما بعد. وهذا لا يدل على بساطته فحسب، وإنما يعني أيضا أن هذا الإذن قابل للتراجع. وسرعان ما ذهب المشائخ المتعصبون لمقابلة سكرتير الشئون الدينية بالقسم، وعبروا عن دهشتهم، كيف أُوتِيَ نائب المفوض شجاعة ليمنح الأحمديين إذنًا باستخدام مكبرات الصوت؟ هذا لا يكون أبدا، ويجب أن ينسى ذلك لأنه محال. وبعد يومين تلقت الجماعة أمرا كتابيا من نائب المفوض يأسف فيه على إلغاء الإذن السابق، ويقرر فيه عدم السماح بعقد اجتماع لجنة «لجنة إماء الله». ثم قرر الموافقة على عقد اجتماع «خدام الأحمدية» بلا مكبرات الصوت. واليوم بلغنا أنهم تلقوا أمرا ثانيا يلغي مكبرات الصوت والاجتماع من أساسه.

بسبب ذلك كان هناك اضطراب شديد وشعور بالألم في ربوة، ويبدو من لهجة رسالة الفاكس أن الشباب الأحمدي المحلي والذين قَدِموا من مناطق نائية من باكستان يشعرون بألم شديد. وأود أن يفهموا بأن أمامنا سفرًا طويلاً، وأن مثل هذه الواقعات التي وقعت في مسيرة تاريخ الأحمدية تشير إلى بعض علامات الطريق، ولكننا لا نتوقف عند هذه المراحل. والقوافل التي تخرج في رحلات طويلة توطن نفسها على مواجهة مستمرة لمخاطر الطريق. هناك مخاطر من كل صنف: اللصوص وقطاع الطريق، الوحوش والدواب.. ومهما يعانون من أذاهم تمضي القافلة في سبيلها ولا تتوقف لهذه الأشياء ولا تعوقها عن هدفها. إن الغبار الذي تثيره خطوات القافلة المتقدمة في مسيرها، يتساقط على وجوه من يتبعون أثرها، فيثيرون ضدها الضجيج والعجيج، ويحاول البعض قطع المسيرة، ولكنهم بعد أن يغمرهم غبار التاريخ.. يتوارون عن الأنظار إلى الأبد، ولا يبقى منهم سوى آثار قبورهم.

فأنتم القوم الذين هم على سفر طويل.. منزلكم الأخير عند يوم الحساب. عندما يربط النبي الكريم ﷺ بين المسيح ويوم الحساب.. يظن المسلمون البسطاء وبعض المشائخ المتعصبون أن مجيء المهدي المسيح الموعود يصاحب مجيء يوم الحساب. هذا فهم بالغ الجهل. إن المراد هو أن زمن المهدي المسيح الموعود سوف يمتد إلى يوم الحساب، ولن تكون هناك فترة أخرى تتداخل بينهما. ولقد ربط النبي ﷺ بعثته بيوم الحساب بنفس الأسلوب الذي ربط به بين المسيح المهدي الموعود ويوم الحساب؛ وذلك بأن ضم سبابته مع الوسطى. لم يرد بذلك أنه لا يفصل بينهما فاصل زمني، وإنما أراد أن زمنه ﷺ يمتد إلى يوم القيامة، ولا يقوم حائل فاصل يقطع هذا الزمن، ويقسمه إلى مرحلة أولى ومرحلة ثانية.

فهؤلاء القوم الذين يتعين عليهم القيام برحلات طويلة تنتظرهم.. إذا هم بدأوا يشعرون بالألم لمثل هذه الأمور الصغيرة، ويفقدون شجاعتهم.. فذلك لن يجديهم نفعا في شيء. الحقيقة أنه عندما تولت الحكومة الجديدة أمور السلطة، ووُضع سيف القوة في أيديهم، أعربوا عن خوفهم من الأخطار القادمة من مختلف الاتجاهات. ولكن قادة الحكومة أعلنوا أنهم أناس يعتزون بالشرف وبالنبالة وليس هناك ما يدعو للخوف من الشريف والنبيل؛ ولعل نائب المفوض النبيل اتخذ الخطوة الأولى على ضوء هذا الإعلان. ومن الجانب الآخر وصل إلى أسماع الأحمديين صوت مختلف.. صوت المشائخ الذين يقولون: لا تنخدع بإعلان زعماء الحكومة.. فمهما كان الذين على قمة السلطة، فإن سيف الطغيان والظلم في أيدينا. إننا نملك سل هذا السيف وقتما نشاء.. على عنق من نشاء، وأنت ترى السيف في أيدينا. ويبدو أن الأحمديين سمعوا هذا الصوت فداخل قلوبهم مخاوف شتى وعانوا من شكوك كثيرة، وهذا هو حالهم كما نراه اليوم..

أود أن أذكرهم بأمر آخر يتعلق بنفس الموضوع، وفيه التعبير

بقية ص ٥

وأكبر ظني لو أَتانا محمد ﷺ

الشيخ محمد رضا الشبيبي

ألا ليتَ شِعري ما ترى رُوح (أحمدا) اذ اطلَعَتنا من عدٍ، أو أطلَّتِ
وأكبر ظني لو أَتَانا (محمّد) للاَقَى الذي لاقَاه من أهل مكةِ
عَدَلْنا عن النّور الذي جاءنا به كما عَدَلتْ عنه قريشٌ فضَلَّتِ
إذَنْ لَقَضى لا منهَجُ الناس منهجي ولا ملةُ القوم الأواخِرِ ملّتي
دعوتُ إلى التوحيد يجمع شملكم ولَمْ أَدْعُ للشَمل البديد المشتَّتِ
وجِئتُ رسولاً للحياة ولاَ أَرى بكم غَيْرَ حيّ في مدارج ميّتِ
وحرَّمتُ في الإسلامِ من بَعد حلّها مَسَاوِيَ عَادَتْ بَعد حين فَحُلَّتِ
وأَوصيت بعد الحق بالصبر أمةً على مُبطيلها حجةُ الله حقّتِ
تَلِفْتِ يا رُوحي، وأنتِ غريبةٌ عن الحيّ فاجتازِيْ ولا تَتَلظتِ

أزمة الخليج وآراء المشائخ والعلماء

الآراء المؤيدة للموقف السعودي

(١) الاستعانة بقوات إسلامية وأجنبية للدفاع عن المقدسات أمر يقرّه الإسلام.

إن الإدعاء بأن القوات الوافدة قد دنَّستْ الأرض والحرمات ليس صحيحًا، لأنها وافدة بإذن أصحاب هذه البلاد. (شيخ الأزهر، «جريدة الأهرام» اللندنية ٢٢، ٨، ١٩٩٠).

(٢) ليست المشكلة في وجود القوات الدولية، بل الكارثة في غيابها. تحية لكل زعيم ولكل قائد ولكل جندي من الغرب والشرق جاء أرضنا وبلادنا في رحلة التضحية والفداء» (الأستاذ خالد محمد خالد).

(٣) ضرورة انسحاب العراق من الكويت تنفيذاً لحكم الإسلام. لأولياء الأمور أن يستعينوا بإخوانهم المسلمين وغير المسلمين، إذ الضرورات تبيح المحذورات (فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي، مفتي مصر، الأهرام).

(٤) المسلمون الذين يؤيدون صدام يتاجرون بالدين. إن الاستعانة بغير المسلم تجوز إذا أَمِنَ المسلم جانبَه. إن الخبراء الأمريكيين مكثوا بالسعودية ما يقارب الأربعين عامًا ولم نسمع يومًا أنهم قد دنَّسوا الحرمين (الشيخ محمد هاشم الهدية، مرشد «أنصار السنة المحمدية» بالسودان، جريدة المسلمون، ٢٦ أكتوبر ١٩٩٠).

الآراء المعارضة له

(١) إن دخول وتواجد الأعداء في بلاد الحجاز غير جائز قطعًا، والملوك والأمراء الذين سمحوا لهم بذلك مرتدون عن الإسلام وموالون للكفر (أئمة المسجد الأقصى، جريدة القدس العربي، ٢٤ أغسطس ١٩٩٠).

(٢) أزمة الخليج يجب أن يحلها المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية. إن وجود القوات الأمريكية والبريطانية في الحجاز لا يجوز شرعًا. إن السعودية قد هددت العلماء في بريطانيا بقطع المنح التي يتلقونها من السعودية. ولكنا لسنا مستأجرين لدى السعودية، وإنما هم غيرنا من المشائخ الذين استغلهم الاستعمار دائما (زعماء جماعة أهل السنة في مؤتمر صحفي في برمنغهام، جريدة «جنغ» اللندنية ٢٧، ٩، ١٩٩٠).

(٣) إن اجتماع القوات غير المسلمة في السعودية أمر مخزٍ جدًا. يجب على البلاد المسلمة حل خلافاتها فيما بينها. إن قدومهم سهل ولكن رجوعهم صعب. لو كان هناك نظام كنظام الخلافة الراشدة في أية بقعة من بقاع الأرض لما رأينا هذا اليوم المخزي (علماء حركة الخلافة الراشدة، في اجتماع بلندن، جريدة جنغ اللندنية ٥، ٩، ١٩٩٠).

(٤) إن القوات الاستعمارية جاءت إلى السعودية للاستيلاء على ثروات البترول (المحامي ظهور بط، جريدة «جنغ» اللندنية ٦ و٧ أكتوبر ١٩٩٠.

(٥) القتال سينشب في الخليج العربي لتكريس التواجد الأمريكي والبريطاني ولخدمة مصالح إسرائيل (محمد حسين هيكل، جريدة القدس العربي، ١٨ أكتوبر ١٩٩٠).

(٦) رائحة النفط تفوح من الفتاوي. مفتي مصر الذي يفتي اليوم بجواز الاستعانة من الكفار ومن المسلمين، قد أفتى من قبل بعدم جواز الاستعانة بالكفار، وذلك في كتابه (بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الطبعة الثانية جريدة «العرب» اللندنية، ٢٦، ١١، ١٩٩٠).

الزحف الأخضر

صفحة تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع، وتهتم بشئون الريف والفلاحين.
ترحب بمشاركة جميع القراء، وتشجع الأقلام الشابة وأصحاب المواهب الأدبية.
تصدر في القاهرة

فروزة انسحاب العراق من الكويت تنفيذا لحكم الإسلام

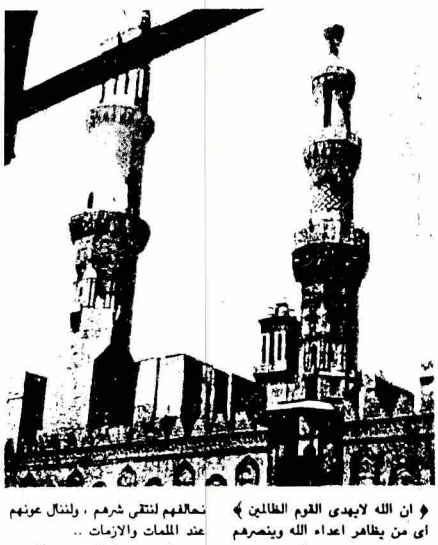
مهمة اختيار الحاكم وعزله مكفولة لأهل الحل والعقد من شعبه دون سواهم



د. محمد سيد طنطاوي

اليكم ما كتبه مفتي مصر عام ٨٧ حول الاستعانة بغير المسلمين

رائحة النفط تفوح من الفتاوى



السيد احمد الصالحين الهوني
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
انا رجل مسلم لا اهتم بالسياسة ولست متعودا ان اكتب للجرائد ولكني قرات مؤخرا مقالا لمفتي الديار المصرية السيد محمد سيد طنطاوي في جريدة الاهرام يجيز الاستعانة بالكفار ضد المسلمين بل ويذهب به الامر الى تحدي الذين افتوا بعدم جواز ذلك مثل المناظرة في الجامعة العربية او اي مكان آخر .

ورغم ان الامة الاسلامية غنية بالعلماء الذين اخلصوا دينهم لله ويستطيعون مناظرته الا انه يمكننا توفير الوقت على السيد طنطاوي وعلى المسلمين اجمع من الدخول في مناقشة فتاوى النفط وذلك بان نتحداه في فتواه التي تخص الاستعانة بالكفار ضد المسلمين وذلك قبل ان تفوح رائحة النفط لتزيف الشريعة الاسلامية .

فهذا هو السيد طنطاوي يفتي بعدم جواز الاستعانة بالكفار ضد المسلمين وذلك في كتابه (بنو اسرائيل في القرآن والسنة — الطبعة الثالثة)

في الصفحات ٢٢١ حتى ٢٢٤ وها انا ابعث اليكم بما كتبه هذا المفتي سنة ١٩٨٧ في الكتاب المذكور وذلك حول الايات الواردة في سورة المائدة فارجو من السيد احمد الصالحين الهوني جزاه الله كل خير ان ينشر هذه الرسالة وتحتها ما كتبه سيد طنطاوي عام ١٩٨٧ م حول الاستعانة بغير المسلم على المسلم ثم نترك للقراء الحكم .

ملاحظة : يمكن توفير الوقت ايضا على فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي في فتواه بجواز الاستعانة بالكفار ضد المسلمين بان نذكر القراء المسلمين حينما وقف هذا الشيخ امام انور السادات في مجلس الشعب ليقول له ،لا يسئل عما يفعل وهم يسألون . حيث وضع السادات مكان الله ، استغفر الله العظيم ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذا ما كتبه مفتي الديار المصرية قبل ان تفوح رائحة البترودولار في سورة المائدة .

(١) في سورة المائدة يقول الله — تعالى ﴿ يا ايها الذين امنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ﴾

روى ابن جرير عن عطية بن سعد قال :

جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج الى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ان لي موالي من يهود كثير عددهم وان ابرا الى الله ورسوله من ولاية يهود ، واتولى الله ورسوله ، فقال عبد الله بن ابى : اني رجل اخاف الدوائر ولا ابرا من ولاية موالي ، فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن ابى ، يا ابا الحباب ، ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو اليك دونه ، قال : قد قبلت ، فانزل الله — عز وجل — ﴿ ياايها الذين امنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم .. الى قوله تعالى : نادمين ﴾

اما تفسير الايتين الكريمتين فهو ﴿ ياايها الذين امنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء .. ﴾ ابتدئت هاتان الايتان بنداء عام للمؤمنين ينهاهم الله — عز وجل — فيه ، عن الاستنصار بأهل الكتاب ، والركون اليهم ، والثقة بمودتهم ، والتحالف معهم ، بعد ان ثبت انهم جميعا قد بدت البغضاء من افواهم وما تخفي صدورهم اكبر وهذا النهي عن موالاة اليهود والنصارى سببه حنقهم الشديد على الاسلام ، وعداؤهم الظاهر والخفي للمسلمين . ولو زال هذا السبب لما وجد النهي ، لان القرآن الكريم يأمر اتباعه ان يحسنوا الى اهل الكتاب . مادام لم يصدر منهم ما يؤذي المسلمين .

قال تعالى في سورة الممتحنة : ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ﴾

فهاتان الايتان صريحتان في كون النهي عن الولاية سببه العداوة ، وكونهم حربا على المسلمين وليس من اجل المخالفة في الدين .

ثم اختتم [illegible] بقوله تعالى : ﴿ ان الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ اي من يظاهر اعداء الله وينصرهم ويستنصر بهم ، فالله — عز وجل — لايوفقه الى الطريق المستقيم ، لانه صار ظالما بوضعه الولاية في غير موضعها الحق ، ومن كان هذا شأنه فهو بعيد عن الهدى والرشاد .

وبعد هذا النهي الشديد عن موالاة اعداء الله . صور القرآن الكريم حالة من حالات المنافقين بين فيها كيفية تولهم اعداء الله ، واشعر بسببه ، ومايئول اليه امرهم . فقال تعالى : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ... ﴾ اي فترى — يامحمد — المنافقين الذين ضعف ايمانهم ، فلم يصل الى رتبة التصديق واليقين ، يسارعون في مناصرة اليهود وتاييدهم . مسارعة الداخل في الشيء ، الثابت عليه ، الراغب فيما يزده تمكنا ورسوخا ، [illegible] تعاليم الاسلام التي يتظاهرون بها ادنى اهتمام ..

والتعبير بقوله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ تعبير قوي رائع وصفوا به كثيرا في القرآن الكريم ، لانه لما كانت قوة القلب تضرب مثلا للثبات والتماسك والقوة النفسية . كان ضعف القلب الذي عبر عنه بالمرض ، يضرب مثلا للخور .. والتردد والتزلزل وانهيار النفس وهذه طبيعة المنافق في كل زمان ومكان ، لايمكن ان يكون صريحا واضحا منحازا الى ناحية معينة ، فهو يتردد بين الناحيتين ويتلمس الحظوة في الجانبين . ولايهمه الا ان يطمئن على نفسه في يومه وغده .

وقد كشف القرآن الكريم عن الذريعة التي تذرع بها المنافقون لموالاتهم اليهود فقال تعالى : ﴿ يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ﴾ اي : يقولون معتذرين عن ارتمائهم في احضانهم نخاف ان تنزل بنا مصيبة مما يدور به الزمان كان تمسنا ازمة او ضائقة او ان يكون النصر في النهاية لهم فنحن نحالفهم لنتقي شرهم ، ولننال عونهم عند الملمات والازمات ..

فرد الله على المنافقين معاذيرهم الباطلة . وبشر المؤمنين بالظفر وبحصول ما يرجون فقال تعالى ﴿ فعسى الله ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ﴾ اي : فلعل الله — عز وجل — بفضله وصدق وعده ، ان ياتي بالقضاء الفصل وهو نصره للمؤمنين على اعدائهم . او بامر من عنده . يقطع دابر اليهود فيصير المنافقون نادمين على بغضهم للمؤمنين ، ومناصرتهم لليهود ، وشكلهم في ان تكون العاقبة لاتباع النبي ﷺ الصادقين . ولقد صدق الله وعده فاذل اليهود . واورث المؤمنين ارضهم وديارهم واموالهم وفضح المنافقين واخزاهم ﴿ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ﴾

هذا ، ولقد اشتملت الايتان على ضروب من توكيد النهي عن موالاة اعداء الله تعالى باساليب متعددة منها النهي الصريح في قوله تعالى ﴿ لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء ﴾ ومنها بيان علة النهي في قوله تعالى : ﴿ بعضهم اولياء بعض ﴾ ومنها التصريح بأن من يواليهم فهو منهم وذلك في قوله تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فانه منهم ﴾ ومنها تسجيل الظلم على من يواليهم في قوله تعالى : ﴿ ان الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ ومنها الاخبار بان موالاتهم من طبيعة الذين في قلوبهم مرض وزيغ خوفا من ان تدور الدائرة عليهم ومنها قطع اطماع المنافقين في النصر وسوق البشارة للمؤمنين بالفتح في قوله تعالى ﴿ فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده ﴾ والرجاء من الله — تعالى — لابد ان يحصل لانه صادر من عزيز كريم لايخلف وعده

لطفي عمر / مصر

الأزهر في بيانه للأمة العربية والإسلامية يؤكد:

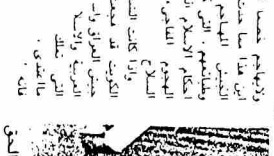
الاستعانة بقوات أجنبية للدفاع عن المقدسات أمر يقره الإسلام

واجب جيوش المسلمين محاصرة الباغي حتى لا يمتد خطره

AUGU 22 - 1990 P 4

■ أعلن فضيلة الإمام الأكبر الدكتور جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر في البيان الذي وجهه أمس الى العالم العربي والإسلامي أن الأزهر الشريف يعلن على قمة الشعب الزاد الأصيل العراقي على استمرار عدوانه على الكويت الشقيق مؤكدا ان الاستعانة بقوات عربية وإسلامية وأجنبية للدفاع عن المقدسات أمر مشروع في الإسلام وان مسئولية الجيوش وشجونه الناس حتى لايمتد خطره. وطالب البيان الرئيس صدام حسين وشجونه الإستماع الى صوت الإسلام والحق والعدول عن سفك الدماء مراعاة لصدق الانتماء للعروبة والإسلام.

وفيما يلي نص البيان:



الشيخ جاد الحق على جاد الحق

...د حسنين هيكل: القتال سينشب في الخليج العربي لتكريس التواجد الامريكي والبريطاني ولخدمة مصالح اسرائيل

...ي الكبير محمد حسنين هيكل عن اعتقاده الجازم بحتمية ...يج وذلك لتعزيز التواجد الامريكي والبريطاني في المنطقة ...ح اسرائيل.

...قمة منذ الآن فهناك اليوم حرب على الجبهة السياسية ...لاقتصادية وثالثة نفسية. ولم يعد ينقص شمولية هذه ... القتال الذي لا محالة من وقوعه.

...حيفة (الاهالي) في عددها الصادر امس ردا على سؤال من ...جلاب مضمونه «حرب ام سلام في الخليج؟» قال هيكل ...يحل المشكلة لكن المنطقة به او دونه لن تعود الى ...ع (امس) الماضي.

...ل هيكل:

...شاركنا في تفريغ عالمنا، ومن ثم ...ابتناء للآخرين.

(٣)

...فكر انني ...والقتال، ...ع الشامل ...جزء من

...ان اخطاءنا في تفريغ احبه اننا

مرشد انصار السنة المحمدية:

المسلمون الذين يؤيدون صدام يتاجرون بالدين



تدنيس الحرمين الشريفين واقوال اثنين ... الثاء

السودان

خاص - بـ «المسلمون»:

□ الشيخ محمد هاشم الهدية مرشد انصار السنة المحمدية بالسودان داعية إسلامي كبير، قال رأيه بوضوح وادان فيه على الملأ موقف حكومة الانقاذ الوطني لتحيزها تجاه ازمة الخليج، وطالب حكومة الفريق البشير بمراجعة نفسها واتخاذ الموقف الذي تمليه النظرة السليمة خارجيا من ازمة الخليج وداخليا بايقاف سياسات التشريد والفصل التعسفي وفتح ابواب الاعداء عليهم.

«المسلمون» التقت بالشيخ «الهدية» ليحدثنا عن المذبحة التي شهدتها ساحة المسجد الاقصى والمؤتمر الإسلامي الذي انعقد بمكة المكرمة وعدد من القضايا الإسلامية الأخرى، ومنا نص الحوار:

● **«المسلمون»: ما هو تقويمكم للمؤتمر الإسلامي الأخير الذي انعقد بمكة المكرمة ا...**

يقويه الله.

وماحدث من اعتداء عراقي يدل على ان صداما لايعرف الإسلام وانه يتمسح به، لانه نكث العهد الذي أعطاه للملوك والرؤساء بعدم الاعتداء. وفي ساعات هاجم شعب الكويت وراح يقتل الناس ويخرب الاقتصاد ويعتدي على الاعراض. وكونه يعتدي على الشعب الكويتي المسلم فهذه جريمة لاتغتفر.

● **الحكومة ... تمت من**

...الآخرين حريتنا

...دي الآخر

ليست المشكلة فى وجود القوات الدولية بل الكارثة فى غيابها

...مدني . استعيروا منه بعض شجاعته وصراحته وحماسته لقد وقف يوم الجمعة الماضي وسط الالوف التائهة من رعاياه . يدعو الشعوب الاسلامية ان تصرخ حكامها وسفطهم ماعدا السيد صدام طيبا الذي بارك عدوانه على الكويت ..

بالخبيث المبكرة ياعباس المجرد انك اخرجت اخيرا نجاحا في انتخاب المجلس المحلية . رحمت تتعجل خلافة المسلمين والسيطرة الغبية الرعناء على مقدراتهم مثلما يحاول استاذك في الصنعة صدام حسين ... هل ازعجك مجيء قوات دولية لانقاذ مايمكن انقاذه من الموت الرهيب الذي يهدد به طاغية العراق كل العرب ..

نرى - هل انك نبأ استنجاد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمشركين والوثنيين . حين لجأ - عام الحزن - الى الطائف ليجتمي بزعمائها المشركين والمشركين

الرسول صلى الله عليه وسلم - ا سيد عباس - ويا اشباه عباس هنا في ...ر وفي كل بلد عربي

...سول صلى الله عليه وسلم ...ل له ربه الاعلى . فانك باعيننا

الرسول صلى الله عليه وسلم الاعظم يحتمي بشر خلق الله الذين لم يرفضوه فحسب . بل سخروا منه . وسلطوا عليه غلمانهم سفهاءهم يحصبونه بالحجارة ..

فالمؤمنون السعودية . والكويت . ودول الخليج اذا طلبت حماية ممن هم القادرون وحدهم على انقاذهم من خطر اشد واشقى من خطر فريش على سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم وماطلبوا الا حماية مؤقتة ربما يرتد عنهم ذلك الاخطبوط المقيت ..

• • •

ثم هل الطريق انسوي ياسيد عباس ان تدعو المسلمين والعرب الى اسقاط حكامهم مضرجين بدمائهم - وفي هذا الوقت بالذات ...

الم تقرا مرة . او تسمع مرة قول سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله ومكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله ...

الم تقرا هذا . ياخا ..

ام انكم لاتقرأون سوى الاحاديث المحرفة التي استحل بها معاوية الخروج على الامام علي ومحا...

ان الطاغية يزداد كل يوم تمكينا لنفسه ولعصابته ..

وهو مصمم كل التصميم على الا يذهب ...ل الغير وحده .. بل لابد ان ياخذ معه كل من يستطيع اخذه . لامن الافراد بل من الشعوب ...

فاذا كان هناك خوف وحيرة امام تهديداته بالاسلحة الكيماوية . فهذه الاسلحة والتهيؤ لاستخدامها يسيران جنبي احتمالا كبيرا ووارداً في ان يفعلها صدام ...

ولكن قسما بذي الجلال والاكرام لن نتركم تعبثون بدين الله وتعيثون في ارضنا فسادا .. ولا كانت الحياة التي تجمعنا بكم وابدم ولا نامت اعين الجبناء

• • •

اما احزاب المعارضة في مصر فقد سلرت على نفس الاسلوب . واستنكرت في كلمات مرتعشة جريمة الغزو ثم عفت فاستخدمت خلعة . لكن . التي اسميها . الخيانة .

ان اصحاب ...

تلك الحرب التي عاد يلعق احذية الايرانيين ليتقبلوا منه مشكورين ماجورين اعتذاره عنها . معلنا في تحد وقح انه بحاجة الى جيشه المرابط هناك كي يخوض به حربه الآثمة الجديدة مع «الاشقاء» العرب كما يسمي بعضهم بعضا ...

ولعله في الحقيقة يريد استرداد ذلك الجيش ليضعه في قبضته . وليامن اي انقضاض منه على نظامه المتعفن وعلى حياته التي تميل للهروب ...

لا تلوموا - اس - من يستنجدون بالغافرين على تصفية نظامه فلو لم يفعلوا لكانوا خطاة اثمين ..

• • •

وهل اتاكم نبأ «ابي عمار» ... لطالما احببت هذا الرجا... كفاحه

ليكونوا عونا له ضد كل ما وشرف ...

واني لاقول - وغدا . لابعد ...ستزون صدق ما اقول : ان هز... تكون مهمتهم القتال في الميدان ...ستكون ...تغلال والعمل السري في كل بلاد العرب وهذا مايجب خطره والتحوط له . تماما مثل من الاسلحة الكيماوية الرجيم

لقد نر قرن . الخوارج . من في كثير من البلاد الاسلامية ايمانها وشبابها وسيكونون اة وايلاما واثارة للغوض من الغافرين

ان صدام حسين حكمي حتى سيدمر شعوب الاسلا...

نقدم إلى القراء الكرام ما أصدره بعض المشائخ والعلماء من فتاوي وآراء حول أزمة الخليج وحول القوات الأجنبية المتواجدة في الحرمين الشريفين. نقدمها لهم ليروا فيها رأيهم ويعرفوا أين الحق والصواب، وأين الإسلام في هذه الآراء والفتاوي المتضاربة.

العجب أن نجد شيخا يصدر فتواه في حق هذا الحاكم وضد ذاك ونرى غيره يعارضه في الفتوى. والأغرب أن كلا منهما يزعم أن فتواه صادرة بمنظور إسلامي أصيل!! ولكن القارئ سوف يدرك أن كليهما يفتي إرضاء لحاكمه ويسمي غيره مهرجا وما شابه ذلك من التسميات، ويريد بذلك صب جام غضبه على الخصم ولا يريد رضى المولى عز وجل.

إن العلماء والمشائخ الذين يؤيدون تواجد القوات الأجنبية وغير المسلمة في الحرمين الشريفين يقولون: إن صدام حسين يريد الاستلاء على الأراضي المقدسة، وجاءت هذه القوات لمنعه من ذلك والدفاع عن الحرمين. ولكن العاقل يدرك أن هذا الخطر الذي يشير إليه هؤلاء إنما هو خطر وهمي لا أساس له ولا وجود، إذ أن صدام حسين لو كان فعلاً يريد الاستلاء على السعودية لاستولى عليها حين احتلاله للكويت حين لم يكن هنالك قوة تردعه من ذلك واتخذ المقدسات كرهينة. ثم إن صدام نفسه لم يُبد أية رغبة في احتلال السعودية والمقدسات الإسلامية.

هناك احتلال واقعي حقيقي على أرض مقدسة، احتلال اليهود على القدس والمسجد الأقصى القبلة الأولى. فما رأي هؤلاء المشائخ المؤيدين لوجود قوات أجنبية غير مسلمة هنا في السعودية في هذا الاحتلال اليهودي الحقيقي. كم هي المرات التي حضَّ فيها هؤلاء السعوديون أصدقاءهم الأجانب على الهجوم على إسرائيل لاسترداد القدس الجريح والمسجد الأقصى الذي بُورك حوله. ثم إن الهجوم العراقي، لا قدر الله، على الأراضي المقدسة واحتلاله لها لا يعني سوى انتقال الحكم من أسرة مسلمة إلى دولة مسلمة فقط، بينما الاحتلال اليهودي على القبلة الأولى يعني احتلال غير المسلمين على مقدسات المسلمين، وهذا الشعب ليس عدوًا للإسلام بل هو عدو لدود له. فما هو رأي المشائخ المؤيدين للموقف السعودي من هؤلاء المحتلين للقبلة الأولى للمسلمين، هل يجوز احتلالهم لها.

هذا وإن تاريخ السعودية يُخبرنا أن الأسرة الحاكمة عليها حاليًا إنما انتزعت الحكم من شريف مكة بعد طرده منها بالقوة، وبمساندة القبائل الكويتية. وهنا سؤال منطقي: إذا جاز في الماضي شرعيًا لأسرةٍ أن تهاجم أسرةً حاكمة على السعودية وتنتزع الحكم منها، أفلا يجوز في الوقت الحاضر ذلك شرعًا. فما الذي غير الشرع اليوم؟

هذه تساؤلات منطقية، ومن مقتضى العقل والعدل أن يفكر فيها القادة المسلمون بدل أن يدفعوا الأمة الإسلامية المسكينة المغلوب على أمرها منذ زمن طويل بسبب مشاكل معقدة إلى دوامة من مخاطرمن حيث لا تدري أين الخطأ وكيف التخلص منها. من مقتضى العدل والتقوى أن تحاول القيادات الإسلامية حل هذه القضية في ضوء التعليم القرآني القائل: [وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتِلوا التي تبغي حتى تَفيءَ إلى أمر الله. فإن فاءت فأصلِحوا بينهما بالعدل وأَقسِطُوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلِحوا بين أخَويكم واتقوا الله لعلكم تُرحمون *] (سورة الحجرات: ١٠ و١١). كما عليها أن لا تعتبر هذه القضية قضية عربية فقط، بل قضية إسلامية تهم العالم الإسلامي أجمع وتحاول حلَّها بالتفاوض والحوار. كان ينبغي لهم أن يستمعوا بالعدل إلى موقف العراق فإذا وجدوه منافيًا للحق ضغطوا عليه حتى ينسحب من الكويت. فإن لم يفعل جمعوا قواتهم وطردوا العراق منه.

هذا، وما دام الرئيس العراقي يُعلن بأنه مستعد للانسحاب بشرط أن تُبذل جهود لحل القضايا الأخرى في المنطقة مثل القضية الفلسطينية والبنانية. فلماذا لا يجد صوته أذنًا صاغية؟ لماذا لا ينصتون إلى قوله بالإنصاف. إذًا فعدول أمريكا وحلفائها عن الاقتراح العراقي يدل على سوء نياتهم وأنهم مصممون على تنفيذ خطة ماكرة ترمي إلى إشعال قتال بين مسلم وأخيه، كما فعلوا في الماضي.

إن الحرب العراقية الإيرانية هي من أكثر الحروب الأخيرة دمارًا وترويعًا. والحقيقة التي لا يجرؤ أحد على إنكارها أن القوى الغربية، أمريكا من ناحية وروسيا من ناحية أخرى كانت متفقة في الخفاء على تزويد الطرفين بالأسلحة المدمرة وتحريضهما على الاستمرار في القتال. والمظالم التي حصلت بسببها إنما كانت إنتاج أمريكا وروسيا التان أدت أسلحتهما إلى هذه الكوارث. فأين العدل والإنصاف.

إننا لا نؤيد أبدًا صدام حسين ولا موقفه، وإنما نقول: إن هذه القضية قد أتاحت للعالم فرصة جيدة لاتخاذ مكيال ومقياسٍ عادلٍ يمكن تطبيقه بالعدل على قضايا المنطقة، بل إنها فرصة لأن تجعل الأمم المتحدة منها مكيالاً تطبقه على القضايا العالمية كلها. ولو تم ذلك لحُلت جميع القضايا المعقدة في مختلف أنحاء العالم. وإلا فلماذا يحرضون المسلمين على الاقتتال فيما بينهم ويمدونهم بأسلحة فتاكة، بينما يستخدمون في مناطق أخرى مكيالاً آخر. لماذا هذه السياسة غير العادلة سياسة مكيالين!!

إن الحكومات التي أرسلت جنودها إلى السعودية تعلن بمكر ودهاء للعالم في دعايتها المكثفة أنها جاءت لتضحي لأجل السلام

العالمي، ولكنها في نفس الوقت تستلم نفقات هذه العمليات أو «التضحيات» من العرب. وهنا سؤال له ثقله ووزنه: هل فعلت هذه الدول هكذا في الحرب العالمية الماضية عندما حاولت جيوشها إنقاذ البلاد الأروبية من جيوش هتلر الزاحفة، هل استلمت من فرنسا وبولندا ويوغوسلافيا وغيرها نفقات الحماية عنها من الهجوم النازي؟؟ لماذا تستلم اليوم نفقات التضحية من العرب. فسياستهم هذه توضح بلا أدنى شك أنهم كانوا قدموا التضحية في الحرب الثانية بنية صالحة، أما الآن فلم يجتمعوا هناك بنية صالحة ولأجل حماية السلام العالمي، وإنما بنوايا أخرى خبيثة، وإلا لما طالبوا بنفقات تضحيتهم.

إننا لا نريد إلا الأمن والسلام للإنسانية جمعاء لذلك نقول لأمريكا أن لا تتخذ من هذه القضية مبررًا للحرب، وإنما عليها أن تضغط على العراق بوسائل سلمية بدلا من إراقة دماء السكان الأبرياء في المنطقة. لسنا أعداء لأحد ولا نؤيد أحدًا، ولا نعارض أحدًا، وأنما نتألم من تعرض أهل الإسلام للأذى والخسران. نريد أن نضع أمام العالم تلك المقاييس العادلة التي علمنا إياها القرآن. لا نريد إيذاء مشاعر أي أحد، كما لا نريد أن نجعل أحدًا هدفًا للانتقاد الفارغ. ولكننا أيضا لا نألو جهدًا في حث الرأي العالمي على الوقوف في وجه كل خطوة مجافية للعدل من أية جهة كانت.

أما فيما يتعلق بفتوى البعض بأن وجود القوات الأجنبية يتسبب في تدنيس الحرمين الشريفين وأن تواجدها هناك حرام شرعًا فنقول إنها فتوى غير صحيحة، ولا تدنيس للحرمين بتواجدها هناك حسب القرآن والسنة. يقول الله تعالى: [لا يَجرمنّكم شَنئَان قومٍ على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى]. هذه الفتوى الإسلامية القرآنية. إن الجماعة الإسلامية الأحمدية هي الجماعة الإسلامية الوحيدة التي تفتي اليوم في ضوء تعاليم الإسلام فتاوى مبرءة من شوائب البغض والعناد إرضاء لربها. ها نحن نقول إنها لا مانع شرعًا من تواجد القوات الأجنبية في السعودية. نقول هذا رغم أن السعودية قد منعتنا ظلمًا من الحج إلى بيت الله الحرام.

إن تواجد هذه القوات هناك لا اعتراض عليه في حد ذاته شرعًا، ولكننا نعارض الموقف السعودي من زاوية أخرى وهي أن السعودية لا تتفهم أنها باستدعائها القوات الأجنبية هناك قد صارت أداة طيعةً في أيدي القوى المعادية للإسلام التي تخطط للقضاء على دولة إسلامية صاعدة، وتتناسى السعودية تعليم القرآن الواضح بأن نُسوي خلافاتنا فيما بيننا ولا نتحاكم إلى أعداء الإسلام، قال الله تعالى: [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ... إلى قوله تعالى لعلكم تُرحمون]. هذه هي الفتوى الصادرة من منظور إسلامي وفي ضوء القرآن الكريم. أما ما سواها من الفتاوي والآراء فهي إما نفطية، كما يسميها البعض، أو هي حاقدة على النفط وتُشتم منها رائحة الحسد على أهله.

وتوضيحًا لقولنا في جواز تواجد غير المسلمين في الأراضي المقدسة شرعًا نقول: إن السلف الصالح قد اختلفوا اختلافًا واضحًا في تفسير الآية: [إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...] (سورة التوبة: ٣٨). وفي مثل هذا الموقف يجب أن لا ننحاز إلى رأيٍ دون رأيٍ، ونعتبره إسلاميًا مائة بالمائة رافضين الرأي الآخر رفضًا تامًا باعتباره غير صحيح أصلا، لأن في ذلك إساءة إلى هؤلاء العلماء الكبار. فينبغي لنا، والحالة هذه، أن نميل إلى الرأي الأكثر ليونةً. وعلى سبيل المثال لو أفتى أحد العلماء من ذوي الراي الصائب بقتل أحد عقابًا على جريمة له بينما أفتى عالم مثله وبمكانته بحيث لا يمكن تفضيل أحد على آخر، بعقاب المجرم بعقوبة أخف من القتل، فالأصل الأخذ برأي من يقول بعقوبة أخف، ونعطي المجرم فائدة الشك.

فالرأي الذي ذهب إليه بعض الصحابة والعلماء الكبار من السلف الصالح أن هذه الآية إنما تعني أن لا يؤدي المشركون هناك شعائرهم المشركة، وليس المراد الحظر على دخولهم هناك بتاتًا.

والدليل الثاني على صحة ما نرى أنه عندما فتح النبي ﷺ مكة المكرمة لم يخرج ﷺ منها المشركين الذين لم يُسلموا والذين نزلت فيهم أيضا الآية، بل مكثوا فيها لسنين، وأسلم بعضهم بعد وقتٍ طويل.

ثم إن الحرم النبوي (المسجد النبوي) في المدينة المنورة يتمتع بقداسة وحرمة مثل الحرم المكي. ومع ذلك نجد نبينا الكريم محمدًا ﷺ يستقبل فيه قبل وفاته بفترة وفدًا من نصارى نجران، ويناظرهم في الحرم النبوي ويسمح لهم بأداء صلاتهم في الحرم النبوي.

هذه هي السنة المحمدية وهذه هي الفتوى المحمدية. أما غيرها من الفتاوي فهي كلها من المغرضين، سواء كانت نفطية أو حاقدة على النفط. لا ندري من الذي يتبع هؤلاء المشائخ شريعته عند إصدار هذه الفتاوي. على الأمة الإسلامية أن تنتبه إلى هذه الأخطار. [التقوى]

أخبار الجماعة في باكستان

رسائل من باكستان

إعداد: رشيد أحمد شوري
مكتب الإعلام بالجماعة

المسلمون الأحمديون في باكستان لا يزالون هدفا للاعتداءات الظالمة والتجاوزات الجائرة من قبل المشائخ والنظام الحاكم. فمن أمثلة عديدة لكبت الضمير وسلب الحرية الدينية ما حدث أخيرا في مركزهم الرئيسي بربوة، حيث أذن لهم حاكم المحافظة بعقد اجتماعات تربوية دينية للتنظيمات الفرعية «خدام الأحمدية»، «أطفال الأحمدية»، و«لجنة إماء الله»، ثم ما لبث أن سحب الإذن بسبب ضغوط المشائخ المتعصبين. وهاكم نص رسالتيه للإذن وسحبه:

الرسالة الأولى: تصريح باستعمال مكبر الصوت

من: حاكم محافظة، جهانج.

إلى: مرزا خورشيد أحمد، ناظر الأمور العامة، ربوة.

رقم: ج ب، بتاريخ ٣، ١١، ١٩٩٠

الموضوع: تصريح باستعمال مكبر الصوت.

مذكرة

إيماء إلى طلبكم المؤرخ..... بشأن الموضوع المذكور بعاليه، وكما أوصى مدير شرطة مركز جهانج.. يصرَّح لكم باستعمال مكبر صوت فيما يتعلق بالاجتماع المركزي السنوي للجنة «إماء الله» المركزية، ربوة، اعتبارا من ٩، ١١، ٩٠ حتى ١١، ١١، ١٩٩٠، بالشروط الآتية:

١. لا تمس الموضوعات المذهبية أو السياسية أو الدينية أو الجماعية أو الخلافية.. بطريق مباشر أو غير مباشر؛

٢. يكون مكبر الصوت موجها نحو الحاضرين، وشدة الصوت منخفضة إلى حد معقول؛

٣. يكون مكبر الصوت داخل جدران أربعة، أو مقر لجنة «إماء الله» المركزية بربوة؛

٤. لا يستعمل مكبر الصوت وقت الأذان أو الصلاة؛

٥. لا يستعمل مكبر الصوت للدعاية أو الإعلان.

عن حاكم محافظة جهانج

توقيع

صورة إلى: ١. مدير الشرطة، جهانج،

٢. القاضي المساعد، تشينويوت.

٣. رئيس المدينة، رئيس العلاقات، ربوة.

الرسالة الثانية: سحب التصريح.

من: نائب الحاكم، ربوة،

إلى: مرزا خورشيد أحمد، ناظر الأمور العامة، ربوة،

التاريخ: ٧، ١١، ١٩٩٠

الموضوع: سحب التصريح باستخدام مكبر الصوت.

أصدر الفاضل حاكم محافظة جهانج توجيها بسحب الإذن الخاص باستخدام مكبر الصوت فيما يتعلق بالاجتماع السنوي لمجلس «خدام الأحمدية»، ربوة، اعتبارا من ٩، ١١، ٩٠ حتى ١١، ١١، ١٩٩٠ في مبنى بيت الأقصى إيوان محمود، ربوة، والذي منحه في رسالته رقم ج ب، ٨٦٦٨ بتاريخ ٣، ١٠، ١٩٩٠

توقيع: نائب حاكم، ربوة

اضطهاد المسلمين الأحمديين في باكستان مستمر

ربوة: حظر مجلة أحمدية.

بناء على الأوامر الصادرة من السكرتير المحلي لبنجاب يوم ٢٣ سبتمر ١٩٩٠.. تم الحظر على عدد شهر مايو من المجلة الأحمدية الشهرية (مصباح)، وعدد شهر أغسطس من مجلة (التحريك الجديد).

دعوى قضائية ضد مجلة أحمدية

بناء على تعليمات السكرتير المحلي بنجاب، قدم حاكم محافظة جهانج دعوى قضائية ضد المحرر والطابع والناشر لجريدة (أنصار الله) بادعاء أن «الكتابات على الصفحات ٢، ٣، ٥، ١٦ من عدد شهر مايو تشكل دعوة صريحة للعقيدة الأحمدية، وبذلك تمثل اعتداء على مشاعر المسلمين».

مقاطعة السند: محاولة اغتيال طبيب أحمدي.

في ١٩، ٩، ١٩٩٠ حدث عدوان على حياة السيد أحمد علي، وهو طبيب أحمدي، كان يمارس مهنته في قرية خوث سلطان علي بالسند، ولكن نظرا لتعرضه إلى تهديدات بالاعتداء على حياته، قرر العودة إلى مسقط رأسه في قرية «كوروندي». ويوم الحادث كان راكبا دراجته الآلية مصطحبا صديقا غير أحمدي، متجها إلى قرية «جوث سلطان علي»، لتقديم واجب العزاء في وفاة زوجة صديق بالقرية. وفي الطريق تربص به رجلان هما: أكبر على أنصاري وعابد علي، وشرعا يطلقان عليه النار، ولكن لحسن الحظ تعطلت البندقية عن العمل؛ فأوقعاه على الأرض وطعناه عدة مرات بسلاح حاد، فأحدثا به جروحا قاطعة: ثلاثة في الرأس وواحد في الكتف. أسرع الجريح ودمه يسيل إلى مستشفى «كانديارو» حيث تلقى العلاج.

خوشاب: المحكمة العليا ترفض الإفراج بالكفالة المالية.

قدم السيد خالد محمود مايلا، قاضي جوهر أباد، ثلاثة من الأحمديين البارزين في «خوشاب» للمحاكمة وهم: السيد عطاء الله بن الله دين، والسيد بشير أحمد بن محمد بخش، والسيد عبد الغفور بن عبد الكريم، وقضى بسجن كل منهم سنة واحدة مع الشغل.. ذلك بجريمة أنهم كتبوا الكلمة الطيبة: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» على جدار مسجد الجماعة الإسلامية الأحمدية، والتي سبق إزالتها من قبل.

قدم استئناف ضد الحكم السابق يدفع ببطلان القضية، نظره السيد محمد محمود قاضي الجلسات الإضافية بالمحكمة. رفض القاضي الاستئناف في ١٦، ٧، ١٩٩٠ قائلا: لا أجد حجة في هذا الاستئناف، ومن ثم فهو مرفوض، على أثر ذلك اعتقل الأحمديون. وعندما قدم طلب دفع كفالة عنهم أمام المحكمة العليا رفضته.

وفي قضية أخرى يوم ٥، ٤، ١٩٩٠ أمام نفس القاضي السابق حكم بالسجن لمدة عام واحد على المسلم الأحمدي السيد مشتاق أحمد بن شير محمد.. بتهمة «تلاوة الأذان في دار العبادة الأحمدية». ورفض السيد محمد محمود قاضي الجلسات الإضافية استئناف الحكم قائلا: نؤيد الإدانة المطعون فيه والمؤرخ ٥، ٤، ١٩٩٠، ومن ثم فالاستئناف مرفوض». اعتقل السيد مشتاق أحمد، ثم رفضت المحكمة العليا طلب الكفالة أيضا.

الحكم بالسجن ثلاث سنوات على مبعوث إسلامي أحمدي

صدر حكم القاضي منظور حسين ضد السيد جاويد أحمد جاويد، المبعوث الإسلامي الأحمدي في خوشاب، باكستان، بالسجن ثلاث سنوات وغرامة ٣٠٠٠ روبية بتهمة التبليغ.

تقول التفاصيل بأن السيد جاويد كان في طريقه لمقابلة زميل أحمدي في قرية مجاورة. وأثناء مسيره عند موقف الحافلات، تعمد الارتطامَ به شخص يركب دراجة، فأوقعه على الأرض. وبمعونة بعض المتواطئين معه حفظوا حقيبة يده وما بها من مطبوعات أحمدية.

توجه السيد جاويد إلى مركز الشرطة القريب ليقدم شكواه ضد المجرمين. انتقلت الشرطة إلى مكان الجريمة وأحضروا المسئولين عنها إلى المركز. ادعى المجرمون أن المبعوث الأحمدي كان يبلغهم بالأحمدية. عندئذ أفرجت الشرطة عن المعتدين، وسجلوا دعوى قضائية ضد المبعوث الأحمدي، ولم يُجده الاحتجاج شيئا. وعند نظر القضية أعرض القاضي عن كل حجج الدفاع وأصدر حكمه بسجن المبعوث الأحمدي ثلاث سنوات مع الشغل وغرامة ٣٠٠٠ روبية.. بناء على المادة ٢٩٨، س من قانون العقوبات الباكستاني، وفي حالة التخلف عن دفع الغرامة يسجن ستة أشهر إضافية.

ALTAQWA
ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE
Volume 3, Issue No 8 December 1990

نحن نعتقد

(من كلام مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام)

« وأما عقائدنا التى ثبتنا الله عليها، فاعلم يا أخى، أنا آمنا بالله ربا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، وآمنا بأنه خاتم النبيين، وآمنا بالفرقان أنه من الله الرحمٰن، ولا نقبل كل ما يعارض الفرقان، ويخالف بيناته ومحكماته وقصصه، ولو كان امرا عقليا، أو كان من الآثار التى سماها أهل الحديث حديثا، أو كان من أقوال الصحابة أو التابعين. لأن الفرقان الكريم كتاب قد ثبت تواتره لفظا لفظا، وهو وحي متلو قطعي يقيني، ومن شك في قطعيته فهو كافر مردود عندنا ومن الفاسقين. والقرآن مخصوص بالقطعية التامة، وله مرتبة فوق مرتبة كل كتاب وكل وحي. ما مسّه أيدى الناس، وأما غيره من الكتب والآثار، فلا يبلغ هذا المقام. ومن آثر غيره عليه فقد آثر الشك على اليقين.»

(تحفة بغداد ص ٢٥)

« لا يدخل في جماعتنا إلا الذى دخل في دين الإسلام، واتبع كتاب الله وسنن سيدنا خير الأنام، وآمن بالله، ورسوله الكريم الرحيم، وبالحشر والنشر، والجنة والجحيم، ويَعِدُ ويُقِرُّ بأنه لن يبتغي دينا غير دين الاسلام، ويموت على هذا الدين دين الفطرة متمسكا بكتاب الله العلام، ويعمل بكل ما ثبت من السنة والقرآن وإجماع الصحابة الكرام. ومن ترك هذه الثلاثة، فقد ترك نفسه في النار، وكان مآله التباب والتبار .»

(مواهب الرحمٰن ص ٩٦ - ٩٧)

ولا يجرمنكم شنآن قوم على الاّ تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

المجلد الثالث، العددان ٩، ١٠، يناير، فبراير (كانون الثاني، شباط) ١٩٩١

حلم السلام .. كيف يتحقق !!

بسم الله الرحمٰن الرحيم

التقوى

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الإسلامية الأحمدية

مدير الإدارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الإسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
إسلام اباد ـ بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
جوامع الكلم	٥
كلام الإمام	٦
حلم السلام.. كيف يتحقق!!	٧
قصيدة	١٣
كذبة ١٩٩٠	١٧
مصالح الإنجليز بالهند وحماتها الحقيقيون!!	٢١
أخبار الجماعة	٣٢

ثمن النسخة : جنيه ونصف £1.5 والاشتراك السنوي £18 أو ما يعادل ذلك خارج بريطانيا. ترسل قيمة الاشتراك باسم التقوى إلى عنوان المجلة.

الافتتاحية

لأسباب تأخر إعداد هذا العدد حتى يشهد نشوب الحرب في الخليج ببداية الغارات الجوية من أمريكا وحلفائها لتدمير العراق تحت شعار تحرير الكويت. وفي كلمتنا هذه نكتفي بإفادة القارئ الكريم بملخص ما اقترحه حضرة إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية على قادة العالم لإحلال السلام في المنطقة، وذلك بمناسبة توجّه السكرتير العام للأمم المتحدة إلى بغداد للتحاور مع الرئيس العراقي. وقد أُرسلت اقتراحات حضرته إلى السفارات العربية والأجنبية في نفس اليوم.

(١) إنه لما يبعث على الراحة أن السكرتير العام للأمم المتحدة السيد بريز دي كولبار قد توجه بنفسه إلى بغداد محاولاً إيجاد حل سلمي لأزمة الخليج. ومن المتوقع أنه سوف يطرح لصدام حسين اقتراحات معقولة سوف تضمن، إلى جانب أمور أخرى، عدم فرض شروط جديدة أو ضغوط على العراق بعد انسحابه من الكويت. وفي هذه الصورة من المؤمَّل أن الرئيس العراقي سوف يبدي رد فعل إيجابي.

(٢) ويمكن أن تكون هذه المقترحات المطروحة كالآتي (مثلاً):

أ. أن يُعطَى العراق ضمانًا أنه لن يهاجَم بعد الانسحاب من الكويت.

ب. أن يتم انسحاب القوات العراقية من الكويت وأيضا انسحاب القوات الأجنبية من المنطقة في وقت واحد، وذلك تحت رقابة قوات الأمم المتحدة.

ج. أن يتم رفع الحظر الاقتصادي على العراق والأردن بصورة كاملة.

د. أن تؤتى الأمم المتحدة عهدًا قويًا بأنها سوف تقوم بخطوات سريعة لحل القضايا الهامة الأخرى في المنطقة بما فيها القضية الفلسطينية، وذلك تحت رقابتها ومظلتها.

(٣) إن الإمام الروحي للجماعة الإسلامية الأحمدية قد ركز مرارًا وتكرارا أن أزمة الخليج قضية يجب أن يحلها فقط القيادات الإسلامية في العالم دون تدخل أجنبي، وذلك امتثالا للتعليم القرآني القائل:

[وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتِلوا التي تبغي حتى تفيءَ إلى أمر الله. فإن فاءَت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ۞ إنما المؤمنون إخوة فأصلِحوا بين أخَويكم واتقوا الله لعلكم تُرحمون ۞] (سورة الحجرات: ١٠ و١١).

(٤) أما إذا لم يستطع العالم الإسلامي حل الأزمة حلاً سلميًا واضطر لاستخدام القوة ضد العراق فيمكن للقوى الغربية مساعدتهم بتزويدهم بالسلاح. ولكن يجب ألا تتدخل في القضية بإقحام جيوشها في المنطقة.

(٥) إن حضرته قد ألقى ضوء على سياسة مكيالين الغربية حول قرار الحظر الاقتصادي وقال: لقد سبق أن أصدرت الأمم المتحدة أكثر من مرة القرار لفرض الحظر الاقتصادي على جنوب أفريقيا. أما ضد العراق فقد كان القرار في غاية القسوة، ومع ذلك لم يمضِ على الحظر ولا شهران حتى غيَّر الغرب موقفه وبدأ يهدد العراق أنه سوف يستخدم القوة ضده إن لم ينسحب من الكويت قبل الموعد حسب قرار الأمم المتحدة. مما يعتبره العراق قرارًا من الإدارة الأمريكية في ثياب الأمم المتحدة.

ويسأل حضرته قائلاً: لماذا لم تُصدر الأمم المتحدة قرارا باستخدام القوة ضد جنوب أفريقيا، رغم اختبارها الطويل وانتظارها الأكثر من اللازم أن الحظر الاقتصادي لا يؤتي ثماره المرجوة. ولماذا لم تُعطِ الأمم المتحدة للحظر الاقتصادي على العراق وقتا أكثر من شهرين حتى يأتي بفوائده المرجوة.

(٦) وأضاف حضرته وقال: رغم كل هذه المحاولات الظاهرية إلا أن صدام لم يقدَّم له إلا خيار الحرب. والحق أن استسلام صدام لضغوط الغرب وانسحابه من الكويت أيضا لن يُنهي المشاكل، لأن القوى الغربية وخاصة أمريكا وبريطانيا قد صرحت مرارًا أنها لن ترتاح حتى تقضي على قوة العراق. إنهم سوف يحققون هذا الهدف إما باستخدام القوة ضده أو باستمرارهم في مقاطعة اقتصادية صارمة ضد العراق حتى يستسلم للرغبة الأمريكية ويأذن لهم بتدمير كل طاقتها العسكرية.

والخيار الوحيد لصدام هو إما أن يموت موتًا بطيئًا بالخنق، أو يحاول محاولة مستميتة متهورة للبقاء مطمئنًا بأن العدو أيضا سوف يناله نصيبه من الجروح التي لن تندمل بسرعة وسهولة. ويبدو أن الخيار الذي قبله العراق هو الخيار الأخير.

وأضاف حضرته: إن القوى الغربية قد تمكنت، بفضل تفوقها الكبير في المجال الدبلوماسي، من إقناع معظم الدول الإسلامية على إرسال جنودها، ولو بعدد رمزي، إلى السعودية بحجة الدفاع عن الأراضي المقدسة. ولكن الحقيقة أنها لم تلجأ إلى هذه الحيلة إلا لتحرم العراق من ردود فعل متعاطفة من قبل المسلمين عندما توجه له القوى الغربية اللطمة القاضية. وقال حضرته.

يا ليت الحكام المسلمين المنضمين إلى صف الغرب قد تصرفوا في هذا الموقف الحسّاس بتعقل وحذر. ولو كانت لهم عيون يبصرون بها المستقبل لرأوا أنفسهم في صفوف أولئك الذين سوف يرفضهم التاريخ في المستقبل.

كما ناشد حضرة مرزا طاهر أحمد زعماء الغرب أن يعيدوا النظر باحتياط في موقفهم تجاه أزمة الخليج. إن الحرب في الخليج لن يقيم أمنًا وسلامًا بل، بالعكس، سوف يخلق موجًا جارفًا جديدًا من الاضطراب وعدم الاستقرار والعنف والإرهاب في كل أنحاء المعمورة. هذا بالإضافة إلى الأضرار الفادحة التي سوف تترتب على الاقتصاد العالمي، والتي قد بدأت آثارها في الظهور. لا شك أن العالم الثالث هو

بقية ص ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

في عالم التفسير

بقلم حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

[في قلوبهم مرضٌ فزادهم اللهُ مرضًا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون*]

شرح الكلمات

المرض: كل ما خرج بالإنسان عن حد الصحة من علة ونفاق وشك وظلمة ونقصان وتقصير في أمر (أقرب). وهو الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، وذلك ضربان: الأول مرض جسماني وهو المذكور في قوله: [ولا على المريض حرجٌ]، والثاني عبارة عن الرذائل كالجهل والجبن والبخل والنفاق وغيرها من الرذائل الخلقية. ويشبه النفاق والكفر وغيرها من الرذائل بالمرض.. إما لكونها مانعةً عن إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل، وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية، وإما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميلَ البدن المريض إلى الأشياء المضرّة. ولكون هذه الأشياء متصورة بصورة المرض قيل: دُووِيَ صدر فلان ونغل قلبه (المفردات).

أليم: موجع (أقرب). عذاب أليم: أي مؤلم (المفردات).

يكذبون: كذب أي أخبر عن الشيء بخلاف ما هو مع العلم به، ضد صدق، وسواء فيه العمد والخطأ.

التفسير

يراد بالمرض في هذه الآية النفاق. وقد ذكرت السورة أولا أصحاء الروح وهم المتقون، ثم ذكرت المصابين بمرض الكفر، ويليهم المنافقون الذين في قلوبهم مرض. ولقد وصف النبي ﷺ علامات هذا المرض في المنافق فقال: «إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعد أخلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ» (البخاري، كتاب المظالم وكتاب الشهادات).

هذه العلامات لوازم النفاق، لأن المنافق يريد أن يخفي نفاقه ويدفع عن نفسه هذه التهمة، فيلجأ إلى الكذب والشجار والسباب لكي يشغل الناس عن عيبه. ولا يستطيع المنافق أن يرضي الجانبين دائما، فليجأ إلى إخلاف الوعد ونقض العهد. ولا يكون المنافق مقبولا عند من ينافقهم إلا إذا خان قومه وأفشى أسرارهم. وهكذا نجد تلك الصفات الذميمة مرتبطة بمرض النفاق ارتباطا وثيقا.

وفي قوله [فزادهم الله مرضًا].. نُسِبَ زيادة المرض إلى الله، لأن ذلك هو نتيجةٌ لمخالفة أحكام الله وقوانينه.. يترتب عليها نتائج حسنة أو سيئة.. قدّرها الله تعالى، لأنه واضع القوانين ومسبب النتائج. وإلا.. فما أنزل الله القرآن للناس ليزيدهم مرضًا، بل أنزله شفاءً لهم من الأمراض حيث يقول: [يأيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور] (سورة يونس: ٥٨).

والمرض المذكور في الآية هو فقدان القوة الحاسمة وعادة الجبن والنفاق كما يقول: [فأعْقبَهم نفقًا في قلوبهم إلى يوم يَلقَونَه بما أخلفوا اللهَ ما وعدوه وبما كانوا يكذبون*] (سورة التوبة: ٧٨).

ولزيادة المرض عند المنافقين معنى ثان، ذلك أنه كلما زاد المسلمون تقدما وقوة، اضطر المنافقون إلى زيادة نفاقهم استرضاءً للمسلمين، مع أنهم أشد استياء وغيظا، وهكذا يزداد مرضهم. وقد عبر القرآن عن هذا المعنى بقوله: [إن تمسسكم حسنةٌ تسُؤهم] (سورة آل عمران: ١٢١).

وازداد مرض المنافقين أيضا كلما نزل القرآن الكريم بأحكامه وأوامره، وتوطدت الشريعة الإسلامية، فاشتد نفاقهم واضطرابهم وَوَجَلُهم وجبنهم. وقد بين الله تعالى ذلك في قوله:

[فإذا أُنزلتْ سورةٌ محكَمةٌ وذُكِرَ فيها القتالُ رأيتَ الذين في قلوبهم مرضٌ ينظرون إليك نَظَرَ المغشيِّ عليه من الموتِ. فأَوْلى لهم*] (سورة محمد: ٢١).

تقرر هذه الآية الكريمة ثمرة النفاق بقوله: [ولهم عذاب أليم]، ولكن ثمرة الكفر في الآية السابقة هي [ولهم عذاب عظيم]. والسبب الفارق بين العذابين أن الكفار مهما تعرضوا للعذاب إلا أنهم يُناوئون الإسلام، ويحاولون بذل جهدهم للقضاء عليه، وهكذا يُخففون عن صدورهم. أما المنافقون فإنهم يكتمون عداوتهم، ولا يستطيعون التنفيس عن غيظهم والإفصاح عن سريرتهم، فيتجرعون المرارة، ويحترقون من الألم، ولذلك وصف عذابهم بأنه عذاب أليم.

الآية

[وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون*]

شرح الكلمات

لا تفسدوا: فسد ضد صلح. الفساد ضد الصلاح، وهو خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج منه أو كثيراً (المفردات).

الأرض: النَفضة والرِعدةُ (التاج). الكوكب الذي نعيش عليه. والأرض: قطعة منها، وتعني البلاد، يقال: أرض الشام وأرض مصر. والأرض في هذه الآية تعني البلاد. وكل ما سفل فهو أرض.

مصلحون: صلح ضد فسد. أصلحه: أقامه بعد فساده. وأصلح بين القوم: وفَّقَ.

التفسير

ظهر فساد المنافقين في تصرفاتهم التالية:

١. إثارة الشقاق بين المهاجرين والأنصار.. متخذين الحمية القومية ذريعةً لتحقيق أغراضهم الهدامة. مثال ذلك ما فعله عبد الله بن أبيّ بن سلول يوم غزوة بني المصطلق، إذ أثار ضجة، وزعم أن الأغراب (يريد المهاجرين) يتسلّطون على الأنصار بسبب تهاون هؤلاء في حقوقهم. فحرَّضَهم على التخلي عنهم وعدم مساعدتهم بالنفقة، وتطاول في كلامه على مقام الرسول ﷺ. وقد حكى القرآن هذه الواقعة كشفاً لحقيقة المنافقين وأهدافهم فقال: [هم الذين يقولون لا تُنفقوا على مَنْ عند رسولِ الله حتى ينفضُّوا] (سورة المنافقون: ٨).

٢. الطعن في سيرة الرسول ﷺ تحريضا للخَوَنة وسعيًا لزعزعة إيمان الناس في أعماله. ومثال ذلك تعريض بعضهم بعدالة النبي ﷺ في توزيع الصدقات. وقد أشار القرآن إلى هذا في قوله: [ومنهم مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَدَقَٰتِ] (سورة التوبة: ٥٨). أو تعريض بعضهم بأن الرسول ﷺ سمّاع لكل ما يقال، وقد ذكره القرآن فقال: [ومنهم الذين يؤذون النبيَّ ويقولون هو أُذنٌ. قل أُذُنُ خيرٍ لكم] (سورة التوبة: ٦١).

٣. الشماتة في المسلمين إذا أصابهم أمر، ومحاولةُ إضعاف روحهم المعنوية. وقد عبر القرآن عن ذلك في قوله: [وإنْ تُصِبْك مصيبةٌ يقولوا قد أخذنا أمرَنا من قبل] (سورة التوبة: ٥٠).

٤. إطلاق الشائعات وترديدها سعيا إلى تثبيط عزيمة المسلمين، وقد ذكر القرآن ذلك في قوله: [وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعُوا به] (سورة النساء: ٨٤).

٥. تحريض غير المسلمين على محاربة المسلمين. قال الله تعالى: [ألم تر إلى الذين نَفقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتٰب لئن أُخرِجْتم لنخرُجَنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحدًا أبدا. وإنْ قوتلتم لننصرنَّكُمْ. واللهُ يَشْهَدُ إنهم لكٰذبون*] (سورة الحشر: ١٢)

وتشير الآية إلى ما يسوقه المنافقون تبريرا لمسلكهم المتلوّن بأنهم يريدون الإصلاح والخير. وهذا دفاع باطل لستر نواياهم الخبيثة، ولكن الأحداث تكشف ما يبطنون من بغض للإسلام والمسلمين.

ووجود المنافقين ظاهرة تلازم الجماعات التي يحكمها نظام دقيق محكم. أما المجتمعات التي تفتقر إلى النظام فإن النفاق لا يتأصل فيها. النظام المحكم يخشاه الجبناء ولا يجرؤون على مناهضته جهرًا، ولذلك يوالون الأعداء سرًّا، ويدسون على النظام دسائسهم في الخفاء.

والجماعة الإسلامية الأحمدية هيئة ذات مبادئ محكمة وأساس سليم، فلذلك عليهم أن يتوقعوا وجود المنافقين الذين يندسُّون بين صفوفهم بتحريض من أعدائهم. وإنّ تواجد المنافقين فيها لدليل على نظامها المحكم. ولقد عرفنا القرآن الكريم سمات المنافقين وكشف الستار عن أعمالهم، فَلْنَحْذَرْهم جيدًا، ولا نغفل عنهم، ولا نغترّ بدعاويهم الخلابة، لأنهم يتلصصون كالشيطان، ويدعون بأنهم من الناصحين.

الآية

[ألا إنهم هُمُ المفسدونَ ولكن لاَّ يَشعُرون*].

التفسير

إن عدم شعور المنافقين بفسادهم دليل على ضعف شعورهم، لأن النفاق مصدره القلب، ولا يفطن إليه إلا بالشعور. ولو أن المنافقين تفقدوا ما في قلوبهم لأدركوا أن أعمالهم لا تهدف أبدا إلى الإصلاح المزعوم، بل إنها راجعة إلى الجبن وعداء الجماعة، ولو فعلوا ذلك لأدركوا حقيقة مرضهم، ولكنهم لا يحاولون النظر فيما تختلج به صدورهم من الأفكار. فهم بذلك يخدعون أنفسهم فضلا عن خداعهم من سواهم من الناس.

الآية

[وإذا قيل لهم ءَامنوا كما ءامن الناس قالوا أنؤمن كما ءامن السفهاء. ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون*].

شرح الكلمات

السفهاء: سَفَهَ الرجل: اتصف بالسفاهة، جهلَ. سفهت الطعنة: أسرع منها الدم وخف. وسَفِهَ نصيبَه: نَسِيَه. السَفَهُ: خفة الحِلْم ونقيضه، أو الجهل، وأصله الخفة والحركة والاضطراب (أقرب). السفه: الخفة في البدن، ومنه قيل: زمام سفيه: كثير الاضطراب؛ وثوب سفيه: رديءُ النسج. واستعمل في خفة النفس ونقصان العقل وفي الأمور الدنيوية والأخروية

بقية ص ١٦

جوامع الكلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُعجبه التيمُّن في شأنه كله: في طهوره، وترجُّله، وتنعُّله. (متفق عليه)

وعنها رضي الله عنها قالت: كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليُسرى لخلائه وما كان من أذًى. (أبو داود)

عن أمِّ عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لهن في غسل ابنته رضي الله عنها: «إبْدَأْنَ بميامِنِها ومواضع الوضوء منها». (متفق عليه)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذَا انتعَلَ أحدُكم فليبدأْ باليمنى، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، لتكُنِ اليمنى أوَّلهما تُنعَلُ وآخِرَهما تُنزَعُ» (متفق عليه)

وعن حفصة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يجعل يَمينَه لطعامه وشرابه وثيابه، ويجعل يسارَه لما سوى ذلك». (أبو داود والترمذي)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا لَبستم وإذا توضَّأتم فابدأوا بأيامنكم». (أبو داود والترمذي)

وعن أنسٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى مِنًى. فأتى الجمرة فرماها. ثم أتى منزلةً بمنًى، ونحرَ، ثم قال للحلاق: «خُذْ»، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر. ثم جعل يعطيه للناس. (متفق عليه)

كلام الامام

لإمام الزمان عليه السلام

مصير عقيدة نزول عيسى ابن مريم من السماء

إسمعوا جيداً أيها الناس! إنه مما أنبأ به خالق السماوات والأرض أنه سوف ينشر دعـوتي في كل أنحـاء العالم، ويجعل أتباعي غالبين على الجميع بالحجة والبرهان، ولسوف تأتي أيام، بل إنها لقريبة حين تكون هذه الدعوة، هي الدعوة الوحيدة في العالم التي تذكر بالعز والشرف. إن الله سوف يبارك في هذه الجماعة بركات كبرى خارقة للعادة، ويخيب كل من يفكر في القضاء عليها، وسوف تستمر هذه الغلبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن فكرة نزول المسيح الموعود من السماء فكرة باطلة تماما. اعلموا جيدا أنه لن ينزل من السماء أحد ، إن جميع معارضينا الموجودين اليوم سوف يموتون، ولكن لن يرى أحدهم أبداً عيسى ابن مريم نازلا من السماء، ثم إن أولادهم الذين يخلفونهم يموتون، ولكن لن يرى أحد منهم أيضاً عيسى ابن مريم نازلا من السماء. ثم يموت أولاد أولادهم، ولكنهم أيضاً لن يروا ابن مريم نازلا من السماء وعندئذ سوف يلقى الله في قلوبهم القلق والاضـطراب، فيفكـرون أن أيام غلبة الصليب قد انقضت، وتغير العالم تماما، ولكن عيسى ابن مريم لم ينزل بعد. حينئذ ودفعة واحدة سوف يتنفّر العقلاء من هذه العقيدة، ولن ينتهى القرن الثالث من هذا اليوم إلا ويستولى اليأس والاضطراب الشديدان على قلب كل منتـظر لعيسى (عليه السـلام) من المسلمـين والمسيحيين، فيرفضون هذه العقيدة الباطلة. وسوف يكون في العالم دين واحد وسيد واحد. وإنني ما جئت إلا لزرع البذرة، وقد زرعت هذه البذرة بيدي ، والآن سوف تنمو وتزدهر، وليس هناك أحد يقدر على منعها من النمو والازدهار.

(الخزائن الروحانية، ج ٢٠ ، تذكرة الشهادتين صفحة ٦٥-٦٦)

حلم السلام .. كيف يتحقق !!

ترجمة: الحاج محمد حلمي الشافعي

منذ انفجار أزمة الخليج وإمام الجماعة الإسلامية الأحمدية يعلق عليها في خطبه يوم الجمعة. ولقد نشرنا ما تم ترجمته منها وسوف نستمر في نشرها حتى يتعرف المسلمون على الحلول التي يقدمها حضرته أيده الله، لمشاكل أهل الإسلام بل لمشاكل العالم كله، على أسس إنسانية وتعاليم إسلامية. وها نقدم إلى حضرات القراء الكرام خطبة من هذه السلسلة، وقد أُلقيت يوم ١٦، ١١، ١٩٩٠ بمسجد «الفضل»، لندن. (التقوى)

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم* الحمد لله رب العٰلمين* الرحمٰن الرحيم* مٰلك يوم الدين* إياك نعبد وإياك نستعين* اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين*].

إن أعظم الأخطار التي يتعرض لها العالم اليوم ناجمة عن التحيزات والأنانية التي تسيطر على عقول الغالبية من السياسيين. ولسوء الحظ اعتاد السياسيون، سواء أكانوا من الشرق أو من الغرب، من البيض أو السود، أن يربطوا حركاتهم الماكرة بالسياسة، بحيث لا يرد موضوع القيم الأخلاقية فيها. والإسلام وحده هو الذي تخلو سياسته من الحركات الخادعة، وهذا ما يسمى السياسة الإسلامية الحقة. ولا حقيقة ولا صدق في القول بأن الإسلام عقيدتنا، ولكن سياستنا منفصلة عن القيم السياسية في الإسلام.

وفي الوقت الحاضر لا نشهد أي نظام للسياسة الإسلامية في مكان ما من العالم أو حتى في الحكومات الإسلامية. وكل السياسيين في أي مكان لهم نفس الأسلوب السياسي الذي تسيطر عليه الأنانية. إن التحيزات، وليست المبادئ، هي التي تحكم السياسة. وهكذا فإن أشد المخاطر التي تواجه العالم هي ثمرة التحيز والأنانية.

عندما بدأت هذه المرحلة الثورية الجديدة للسلام بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا.. تطلع ساسة العالم إلى المستقبل بأمل عظيم، وقالوا: ها قد بدأت فترة من السلام العالمي. ولكن هذا الفكر لا يكون إلا في الأحلام.. أحلام الجهل. هناك بعض المزايا لهذه التغيرات الثورية، كما أن لها بعض المضار أيضا. ومن أشد هذه الأضرار أنه نتيجة للانقسام الأيديولوجي بين الشرق والغرب.. انكشف الآن ما كان مخبوء من تحيزات، وتزداد انكشافا يوما بعد يوم. وهي بصدد خلق الكثير من أنواع الخطر في شتى المناطق.

عندما كان العالم منقسما إلى كتلتين، والأخطار العظمى تواجههم، كانوا يتجاهلون الأخطار الصغيرة أو يكبتونها تحت ظلال الأخطار الكبرى كما هو الحال بالنسبة للأمراض؛ فعندما يعاني المرء من مرض خطير فإنه لا يشعر بالأمراض البسيطة، بل ويتوجه الانتباه كله في الجسم ناحية المرض الكبير. والأخطار التي شبّت اليوم في وجه البشرية تنتشر انتشارا واسعا وبشكل مرعب، وستمضي في اتساعها ما دمنا لا نحللها بعمق، ولا نشرع في الجهاد ضدها من اليوم. وإلى أن يتحقق ذلك، ليس من الصواب الظن بأننا ندخل عصر السلام. إن هذا الظن يشبه القفز في النار معصوبي العين. وأود أن أضع بين أيديكم بعض الأمثلة كي تنقلها الجماعة الإسلامية الأحمدية حيثما كانوا إلى أهل الفكر في بلادهم، ويسعوا بقدر المستطاع لإفهامهم ليضعوا ضغوطهم الفكرية، ويرفعوا أصواتهم ضد هذه الأخطار في بلادهم، ويزودوا الرأي العام بنور المعرفة، ويعرفوهم بأنواع الأخطار التي يتعرض لها العالم اليوم. وإذا لم يتنبهوا اليوم لها فسيكون الوقت قد فات غدا.

في منازعات العراق.. قد يبدو أن الذي خرج إلى النور ووضح تماما هو اتحاد العالم في مواجهة العدوان، وأنه ثمرة السلام أو

التقارب بين كتلتي الاتحاد السوفيتي وأمريكا، وأن العالم اليوم يقف متنبها إلى الأخطار، وأنه كلما تهدد سلام العالم فلسوف تتحد بلاد العالم لمواجهة الخطر.

كلا، هذا غير صحيح. ولسوف أضع أمام أنظاركم أمثلة لبعض أخطار هي أشد فظاعة من الموقف في العراق ولكنهم يغمضون أعينهم عنها، ولقد أغمضوها منذ زمن طويل، ولسوف يستمرون في إغماضها في المستقبل أيضا.. إلى أن تخبرهم مصالح أنانية لهم كي يوجهوا انتباههم إليها. هناك أخطار من التعصبات القومية والعنصرية والفوارق اللغوية والخلافات الدينية والمنازعات التاريخية. وهناك مساحات هائلة يمكن أن توزع عليها هذه الأخطار. ولو وضعنا هذه الأخطار أمامنا لأصبنا بالدهشة بسبب ضخامة تلك الموارد البركانية المتفجرة وشدة خطورتها وهي مدفونة في أماكن شتى، ويمكن أن تثار في أية لحظة.

تعالوا نُشِرْ إلى أمثلة قليلة منها. أمامكم المخاطر الدينية والسياسية في الهند. أمة السيخ هناك اتخذوا كيانا منفصلا، وطالبوا بالانفصال عن الأمم الأخرى. وهذا المطلب قريب الشبه من مطلب إقامة دولة باكستان، لأنه ليس مطلبا سياسيا، وإنما هو ديني سياسي في وقت واحد. وفي مواجهة ذلك قامت ضده تحيزات لكبته. وفي هذا النزاع طالب كل طرف بالجلوس سويا لحسم الخلاف في الرأي طبقا لقواعد العدل، وليصلوا إلى تسوية للأمور بالكياسة والعدل. إذا كان السيخ يتعرضون لخطر ما فينبغي إزالته؛ ولكن الصوت يرتفع من الجانبين: السيخ يقولون إن حياتنا مع الهند خطر يدمر ديننا وشخصيتنا القومية. والهنود يقولون: لو أننا قبلنا المطلب لتقطعت الهند إربا إربا بلا انقطاع. وكلا الصوتين له وزنه. ولكن كما قلت.. السبب النهائي هو الأنانية والتعصب من الجانبين.

وقد لعبت التحيزات دورا في تعامل الهند مع الأقليات منذ التقسيم. يمثل الهندوس الأغلبية الكبرى في الهند، ومع أن الدولة ليست مؤسسة على أساس من الدين، لكن الهندوس اتخذوا لأنفسهم الطابع القومي. وبسبب كثرتهم العددية لا يشاركهم أحد في سلطتهم؛ وبقيت سلطة القرار في يد الهندوس. ومع أنهم ماضون في دعوى أن حكومة الهند علمانية.. لكن الواقع يبقى واقعا، وبقيت السلطات في يد الهندوس.. في يد طائفة واحدة من الهندوس، هم البراهمة، أعلى طوائفهم. هذه هي التحيزات التي ولدت مزيدا من النزاعات. كانت السياسة هي التي تعمل أساسا، ولكن التعصبات مدفونة تحت هذا الأساس، ولذلك كان من المحتم أن يكون الهيكل القائم عليه البناء معوجا. فكثير من الأخطار التي نراها اليوم في الهند سببها المبدأي هو التحيز والميل إلى اتخاذ قرارات تتجاهل مبادئ العدالة. وبوسعكم مثلا رؤية التمييز الذي نشأ بين المسلمين والهندوس وأحدث صدعا عميقا. أساسه عند الهندوس هو تحيز المسلمين، وسببه عند المسلمين هو تعصب الهندوس.

وبالمثل تفعل التعصبات فعلها وراء الأخطار الناشئة عن الفوارق اللغوية أيضا. فهناك شعور متنامٍ بالحرمان لدى أهل جنوب الهند لأن الأجناس التي تقطن الشمال وتتكلم الهندية أو السنسكريتية.. هم الذين يحكمون الهند بأجمعها؛ وهم لا يتعاملون بالعدل مع الأقوام الذين يتكلمون ١٥٠٠ لغة أخرى مستعملة في الهند.. وهكذا تجدون الأنانية وراء كل أنواع النزاعات في الهند. هناك نزاعات لغوية في ناحية، ونزاعات دينية في نواح أخرى، ونزاعات قومية وخلافات عرقية وطائفية هنا وهناك. ومنذ آلاف السنين ما برحت الطوائف الدنيا من الهندوس هدفا للاضطهاد من الطائفة العليا، تسحقهم طاحون الاعتداءات، ولم يكن لهم حق الحصول على قسط من الاحترام الآدمي. لقد كانت معاملة ظالمة للغاية. ولست أشير هنا إلى المعاملة المادية، ولكن كان هناك تفرقة نفسية وفكرية، بحيث لم يكن لتلك الطوائف الدنيا أي كرامة إنسانية.

والسبب وراء انهيار حكومة السيد ف. ب. سنغ التي أقيلت مؤخرا أنه رفع الصوت ضد هذه التحيزات، وأقام مثالا في صالح العدالة. ومع أنه من طائفة (راجبوت) العليا فقد ابتدأ حركة عظيمة لاستعادة حقوق الأقليات. كما أنه عمل على حماية مقدسات الدين الإسلامي.

وموجز القول: إن الحرب التي بدأت في الهند سوف تتخذ أسماء مختلفة، وستقوم الانقسامات على مسميات لتفرقات شتى، ولكن الواقع هو انعدام العدالة وشدة التعصب، وهي الحقيقة الأساسية التي تبرز وراء كل خطر يتهدد الهند، وهو خطر يتزايد يوما بعد يوم.

وفي بلد مثل بريطانيا، وتحسب واحدة من بين أكثر البلاد تقدما في العالم.. ما برحت التحيزات تعمل فيها حتى اليوم. لم تستطع سياستها التخلص من التحامل حتى اليوم. هناك تعصب ديني في أيرلندا مختلط بالسياسة مُبديًا لونه فيها. ومع أن البلد قد انتهى من الممارسات الاستعمارية التاريخية العتيقة إلا أنها لا تزال تطبق؛ ومع أن الحكم البريطاني قد انكمش حتى صار محصورا في أراضيها إلا أن التحكم التجاري البريطاني وسلطانهم السياسي لا يزال منتشرا في كثير من بقاع العالم. وهذا التحامل متولد عن شعورهم بأن لهم الحق في التحكم في العالم وفي اقتصادهم وجغرافيتهم، والتحكم في علاقاتهم مع سائر بلاد العالم، وأن تكون لهم الكلمة العليا الفاصلة على سياستهم الخارجية، وأن

يصوغوا لهم سياستهم مع العالم الخارجي. ومن حيث الظاهر لا تجد صلة بينهم، ولكن البلاد المتقدمة ترغب في وضع البلاد الصغيرة تحت سلطانهم من ناحية تشكيل السياسة الخارجية الأساسية. وتدرك هذه البلاد الصغيرة أن سياستهم غير حرة. والذي يحدث عمليا هو أن البلاد الكبرى تصوغ السياسة الخارجية للبلاد الصغرى بحيث تحصرهم في دوائر محددة يبقون داخلها. وإذا ما حاولت دولة منها إقامة علاقات خارج هذه الدوائر فهنا الاعتراض، وستجد الدول الكبرى ذريعة للتدخل في سياستهم، ولن يسمحوا لهم بالمضي فيها. وهكذا ترون أن بريطانيا تعاني أيضا من التحيزات التي أطلقت العنان لشتى أنواع الفظائع في العالم.

وفي طريق التعصبات العرقية، نجد صنوفا كثيرة من المخاطر في الاتحاد السوفييتي. ومن هذه الوجهة نرى أمة الأتراك تمر اليوم بفترة تاريخية، إذ تنمو فيهم أنواع جديدة من الأفكار والآمال. والواقع أنه خلال السنوات القادمة سوف تخطو هذه الأمة خطوات يمكن أن تؤدي إلى تغيرات عالمية، وقد تؤثر على السلام العالمي. قلت في خطبة قريبة أن أكثر الترك يعيشون خارج تركيا، ونصف هؤلاء يعيشون في الاتحاد السوفييتي. عدد الأتراك في تركيا يبلغ ٤٤ مليونا، وفي الاتحاد السوفييتي ٢٢ مليونا، وفي الصين ٧ ملايين، فعدد الأتراك الذين يعيشون في تلك البلاد الشيوعية يزيد على نصف الأتراك في تركيا. وهم اليوم لا يعطون الأفضلية للبلاد التي يعيشون فيها، وإنما يميلون إلى تركيا، وتركيا تميل إليهم. وهم بدأوا يشعرون بذلك. وعندما كنت في زيارتي القريبة إلى أسبانيا والبرتغال، رغب سفيرا بلغاريا بالبلدين في مقابلتي. وعلمت خلال حديثي مع كل منهما أنهما يخشون الخطر من جانب تركيا. وعندما تعمقنا أكثر، أدركت أن سبب تخوفهم من تركيا أنهم في بلغاريا قد ارتكبوا بعض التجاوزات ضد الأتراك. والآن بعد أن زال عنهم غطاء الحماية الروسية فإنهم يخشون أنهم تُركوا تحت رحمة الأتراك الذين سوف يأخذون بثأرهم التاريخي منهم. وكنت لا أعرف الكثير عن الموقف وقتئذ، ولما عدت من رحلتي بحثت الموضوع على نطاق أوسع، وفهمت السبب وراء قلق بلغاريا. ففي عام ١٩٨٩ الماضي، وصلت اعتداءات البلغار على الأتراك حدا اضطر معه ٣٠٠ ألف تركي إلى مغادرة بلغاريا واتخذوا من تركيا منفى لهم. فالتعصبات القومية ليست موجودة فحسب، وإنما هي تزداد يوما بعد يوم بسبب التغيرات الثورية في الاتحاد السوفييتي.

إنه لجاهل أشد الجهل حقا.. ذلك الذي يقول بأن العالم قد دخل في فترة سلام، وأن مخاطر الحرب قد اختفت؛ فالواقع أن الأخطار المكبوتة ترفع رأسها اليوم. هناك عداوات قديمة بين الأرمن والترك، وبين الأرمن والأذربيجان في الولايات السوفييتية، وبينهم نزاع تاريخي. وهناك أيضا تمييز بين الأتراك الذين يعيشون داخل روسيا؛ فالترك الأزبك يطالبون بكيان منفصل عن الباقين، ويخشون الانضمام مع بقية الترك حتى لا يفقدوا ذاتيتهم ويسيطروا عليهم. وكان هناك نزاع بين أوزبكستان والولايات التركية المجاورة، ولا تزال مستمرة منذ وقت طويل.

وفيما يتعلق بالتمييز العرقي فتعالوا نتطلع إلى أفريقيا. والواقع أن كل المنازعات والأخطار الموجودة فيها، كما قلت في خطبة سابقة، تعود إلى الحكم الغربي السابق في أفريقيا، حيث ميزوا بين الألوان، وفرقوا الأمم. جزّأوا حتى الأمم التي تتحدث لغة واحدة. قسموا القبائل كي يزيدوا الفرقة بدلا من إخمادها. وفي الوضع الحالي هناك مخاطر بين شعوب كانت في حماية السوفييت والأمريكان، وكانت بينهم نزاعات. والآن لن تستمر الحماية، ولسوف تطفو النزاعات إلى السطح. ومثالا لذلك ما حدث في ليبيريا. كانوا يسيطرون على التفرقة القومية فيها إلى حد ما، ولكن عندما توقف التوتر بين البلدين الكبيرين بدأت هذه المخاطر تبرز فجأة وتعود مرة أخرى.

والآن ترتفع أصوات في أفريقيا باسم الديمقراطية وتحاول إدخال نظام الأحزاب المتعددة. ومن وجهة النظر السياسية تواجه أفريقيا مخاطر كثيرة. وبوجهة النظر السياسية أعني أي نوع من النظام السياسي ينبغي أن يقوم هناك. ومن وجهة النظر القومية أيضا، وبالنسبة للخلافات على الحدود، ومن الناحية الدينية أيضا.. هم يواجهون أخطارا كثيرة. والمشكلة أنه حتى الآن لم تبذل مساعٍ لإزالة هذه الأخطار.

من كل هذا يمكنكم أن تقدروا أنهم عندما يقولون بأنهم قد وحدوا العالم كله، وأطلعوهم على خطر العراق، وأن ما فعلوه إنجاز رائع لحماية السلام العالمي.. فكل ذلك قول غير حقيقي ودعاوي باطلة لا صدق فيها. وكل هذه الأخطار التي ذكرتها لكم ليست سوى أمثلة معدودة، وإلا فالأخطار تفوق الحصر، وهي كالألغام المدفونة تحت الأرض في أماكن شتى؛ بعضها يصدر فحيحا ويوشك على الانفجار، وبعضها سوف ينفجر بعد وقت ما. أما الانقسامات القائمة على الفوارق الدينية واللغوية والقومية فهي مستعدة للعمل جهارا نهارا. وسأروي لكم أمثلة قليلة أخرى.

العداوات القديمة بين الشعبين التركي واليوناني كُبتتْ لاشتراك البلدين في منظمة حلف شمال الأطلنطي؛ فاليونان دولة أوروبية، وتعتبر تركيا أيضا بلدا أوروبيًا. ولأنهما عضوان في المنظمة فمن صالحهما في ظل التهديد الروسي ألا يسمحا بنشوب

حرب بينهما. ولم ينته هذا الخطر بعد، بل لا يزال موجودا ولكنهم تجاهلوه بسبب المصالح المباشرة.

وقد سبق أن ذكرت المعارك في الهند حول اللغة، وهناك في سريلانكا حروب خطيرة بسبب الفوارق اللغوية والقومية.

وبالنسبة لموضوع التمييز العنصري فالعالم كله يخشى خطر اليهود كما كان يخشاه منذ آلاف السنين. والأمة اليهودية فيما يبدو تتصدر الصفوف الأمامية للقضاء على التفوق العنصري، ويقومون بدعاية كبرى في العالم للقضاء على التفرقة العنصرية وإزالة التعصب العرقي. وهم إنما يفعلون ذلك مخافة أن تقوم أمة بتسليط نقمتها على اليهود. ولكن الحقيقة بالنسبة لتفوق الأمة اليهودية على سائر أمم العالم أن مفهوم اليهود عن ذلك لا يقل أبدا عن المفهوم النازي. لقد درست، ليس آدابهم المعاصرة، بل وتراثهم التاريخي من عهد سيدنا داود عليه السلام، ووجدت في مادتهم الأدبية كما لو أن أمة اليهود خُلقت للسيادة على العالم واستعباد الخلق! وما لم يدخل العالم كله تحت الحكم اليهودي فلا يمكن استقرار السلام. وهم أيضا يتحدثون عن السلام، ولكن يبدو أن السلام في عيونهم هو ما يراه العالم طغيانا واستبدادا.

وفيما يختص بحماية القانون يحصل الزنوج الأمريكيون على المساواة مع البيض؛ ولكن هذا القانون لم يقض على التفرقة العنصرية. فالتمييز العنصري له قوانينه الفعالة والمسيطرة على سائر القانون. واعتبار السود في أمريكا اليوم متساوين مع البيض لهو الجنون بعينه. فليس لهم مساواة من أي وجه، ودفعوا بكل سبيل إلى الوراء،وكبتوا حتى ترسخت فيهم مشاعر الكراهية. عندما زرت أمريكا قال لي بعض الناس: إن جماعتك تنتشر ببطء في حين أن جماعات أخرى تكسب انتشارا اوسع.. فلماذا لا تتبع وسائل مشابهة لهم؟ فقلت لهم: إني جئت إلى هنا لأجاهد هذه الوسائل.. وسائل استثارة المشاعر المكبوتة باسم الدين، وتحويل الشرر إلى شعلات. هذا يلائم مزاجهم. ولو أن الجماعة الإسلامية الأحمدية شرعت تعلّمهم البغضاء، وتلعب على وتر مركبات النقص فيهم، وسعت لتحويل الجمر إلى لهيب متأجج.. لتفوقت على جميع الفرق بسبب حسن تنظيمها، ولفازت بسود أمريكا جميعا. ولكننا لا نريد نصرا عدديا، ولا يهمنا فوز كمي.. يترتب عليه أن تكره أمة أمة أخرى، ويتحول السلام إلى نار الحرب. إن مفاهيم الإسلامية الأحمدية مختلفة تماما عن هذا. إننا إذا لم نفز اليوم فسوف نفوز بعد قرنين أو أربعة قرون أو بعد ألف سنة.. ولكننا سنحصل على ذلك النصر الذي هو نصر محمد رسول الله ﷺ، نصر أخلاقياته، نصر تعاليمه، نصر القرآن المجيد. هذا هو النصر الذي له قيمة واحترام في قلوبنا. وكل نصر آخر فهو نصر الظلم والقسوة، وهو نصر القوي الشيطانية.. ولا رغبة لنا فيه؛ بل الأحرى أننا خلقنا للقضاء عليه، وبعثنا لمعارضته ومحاربته.

فالتعصب الجنسي موجود في أمريكا، شمالها وجنوبها. أما عن الهنود الحمر فقد أُبيدوا عمليا من فوق الأرض، ولكنهم لا يزالون موجودين بأعداد كبيرة في أمريكا الجنوبية، ويمثلون في بلاد كثيرة أغلبية عددية مقارنة باللاتين، مع أنهم اضطهدوا واعتُدِيَ على حقوقهم حتى صاروا يزدادون ميلا إلى العنف كل يوم. وتتصاعد هذه الحركات فيما بينهم وترمي إلى الانتقام، ولسوف تقع انفجارات غدا إن لم تقع اليوم. ونتيجة لهذه الميول المتفجرة.. تتفجر القنابل في أماكن شتى، وتقضي على أرواح المواطنين البريئة، ويعكرون صفو الأمن بين الجماهير. وما دمت تقف بالخارج مع المتفرجين، ولم تلتفت إلى الأسباب التي تنمي تلك الميول.. فمهما تدين الأفعال وتشجبها بالكلام، فلن يكون بوسعك حل هذه المشاكل، وبمجرد الإدانة على نطاق واسع والانتقاد الشديد لن تحقق شيئا.

مخاطر التمييز العنصري منتشرة في العالم طولا وعرضا. ومثالا لذلك خذ دولة يوغوسلافيا التي تتكون من ست جمهوريات فدرالية، تستشعر كل واحدة منها بالقلق من الأخريات، وتسعى لتنأى بنفسها عن بعضها البعض. اثنتان منها مستقلتان، واثنتان أخريان تتبعان العقيدة الكاثوليكية. وعلى الرغم من العقيدة الكاثوليكية، وعلى الرغم من الحكم الشيوعي لمدة طويلة إلا أن الكاثوليكية لا تزال تتمتع بقوة كبيرة حتى اليوم.. أعني أنها متواجدة كقوة سياسية، ولا ندري إلى أي مدى هي موجودة كدين. وجمهوريتا سلوفينيا وكرواتيا هما الأغنى والأكبر بين الجمهوريات، وأصبح من الجلي تماما تميزهما كحكومتين مستقلتين. ويوجد في الجنوب مقاطعة مسلمة في صربيا، ومقاطعة أخرى هي كوزفا متوهيجا. وفي كل منطقة تتحدث الألبانية تجد الغالبية مسلمين. في هذه المناطق اجتمع الدين والقومية مع الاضطهاد القديم الذي قاسوا منه، ويثيرهم لطلب الاستقلال. وهناك حركات بدأت، وتتخوف الحكومة المركزية اليوغوسلافية من الخطر من جانب المناطق الإسلامية، ويضعون عليها يوما بعد يوم مزيدا من القيود حتى أصبحت زيارة هذه الأماكن أشد صعوبة. وهناك حرية نسبية في بعض الأماكن الأخرى. ولقد أرسلنا مؤخرًا إلى هناك وفدا ليشارك في معرض للكتب، وأخبرنا الوفد أنهم لم يتمكنوا من الذهاب إلى المناطق المسلمة، وتمكنوا فقط من الاتصال ببعض المسلمين الذين يعيشون في مناطق أخرى. والسبب وراء ذلك أنهم يضعون قيودا شديدة على المناطق المسلمة.

ثم هناك النزاعات على الحدود بين الدول. ونزاعات ترتبت على احتلال أمم لأمم أخرى وابتلاعها لها نهائيا. وإلى المدى التي تصل إليها الأمور التاريخية، وحتى لو لم نلمسها واكتفينا بالأحداث قريبة العهد.. نجد أن سلام العالم مهدد بمخاطر شديدة من جراء هذه المنازعات. فمثلا هناك احتلال الصين للتبت. لقد احتلت الصين بلاد التبت عن طريق القوة. ولطالما صاحت الهند وسعت لطرد الصين من هناك، ولكن حكومة الصين لم تدع أي محاولة تنجح بهذا الصدد. وما يذاع من الصور في التلفزيون هنا، لو كانت صحيحة وليست من قبيل الدعاية فحسب.. يكشف عن أن الصين ترتكب كثيرا من الفظائع ضد أمة التبت.

والآن لو فكرتم في احتلال العراق للكويت.. لماذا لم يقارنوا بينه وبين احتلال الصين للتبت؟ والواقع أن هناك فروقا قومية وعنصرية ودينية وفروقا أخرى كثيرة تجاهلوها وسحقوا الأمة هناك؛ أما في حالة العراق والكويت فأمة مسلمة احتلت دولة مجاورة على أساس أنه لا فرق بينهما من الناحية العملية.. فكلاهما عرب، وكلاهما مسلم، وفي التاريخ القريب كانت الكويت جزء من العراق اقتطعته حكومة الاحتلال البريطانية وفصلتهما عن بعض؟ نحن لا ننصح أبدًا بنبش القبور القديمة، ولكني أرمي إلى بيان أن هذا الاتحاد العالمي بين القوى لمعارضة احتلال الكويت ليس مبنيا على البر والتقوى ومبادئ العدل.

وعندما احتلت اسرائيل الضفة الغربية لنهر الأردن.. لم يعر أحد منهم أي انتباه لذلك، ولم يفكر أحد في أن ذلك يعرض سلام العالم لأشد المخاطر. إنها الأنانية التي تحكم عالم اليوم، وهي التي تخلق الأخطار. تميل الأمم الكبرى إلى كبت هذه المخاطر دون علاج،تستخدمها في سبيل مصالحها السياسية، وتستمتع بفكرة أنه لو أساء الزعيم الفلاني تصرفه، أو لوغيرت الأمة الفلانية لونها معنا، فإننا في هذه الحال نثير الأخطار المكتومة، نوقظ البراكين المدفونة لتتفجر وتلقنهم درسا يعلمهم عواقب الاختلاف معنا. وتلاحظون الآن ما حدث عندما تعاملت العراق مع أمريكا بشيء من الخشونة!

والجماعة الإسلامية الأحمدية، المؤسسة على العدل، لم تساند إيران ولا مرة واحدة عندما احتلوا السفارة الأمريكية بلا مبرر. إن الحرمة التي أقامها مولانا محمد المصطفى ﷺ للسفراء، والتعاليم الرائعة التي قررها بالنسبة لهم.. لا يجوز لأي حكومة تجاهلها، لذلك لم نؤيدهم أبدا. وأيضا من الخطأ الظن بأنه كان عدوانا من جانب واحد. فبطريق شاه إيران ما برحت أمريكا تطلق العنان للفظائع ضد شعب إيران، وجعلت منهم هدفا للقسوة والظلم حتى أثمرت هذه المعاملة نوعا من الاضطراب في توازنهم الفكري. وعندما يستثار حماس الانتقام.. لا يمكن لأحد أن يوجهه إلى الطريق الصحيح! الانتقام عندئذ لا يرى ما هو الإجراء المتزن، بل يثور كالطوفان؛ ولا يمكن للطوفان أن يبقى محصورا بين ضفتي النهر. إن الطوفان يعني فيضان الماء فوق الضفاف. وهكذا تفيض عاطفة الانتقام فوق الحدود. ونتيجة لها تقع التجاوزات التي شهدتموها.

ثم جاء انتقامهم من إيران مستخدمين العراق وسيلتهم لذلك. استخدموها بناء على وجود نزاع تاريخي على الحدود بين البلدين، إذ لم يتفقا على أين تنتهي حدود إيران وأين تبدأ حدود العراق. كانت هذه الخلافات محفوظة في ذهن هذه البلاد الذكية المتقدمة، فاستغلوها في هذه المناسبة، وشجعوا العراق ووعدوه بالمساعدة.

وعندما قلت في كتابي (القتل باسم الدين) إن الحكومة السعودية ساعدتهم في ذلك، وأنها التي حرضتهم.. تساءل بعض الناس: ما دليلك على هذا؟ لعلها تخمينات من عندك. الآن أصبح الدليل واضحا كالشمس. الآن تعلن السعودية على دقات الطبول أن العراق بلد ظالم. لقد أعطيناهم القوة ليحقّقوا، ونحن الذين ساندناهم ضد إيران.. والآن ينظرون إلينا نظرة العداء. لقد انكشفت الحقيقة أمام العالم.

أقول إن الأخطار كبتت في أماكن شتى. وهناك المخاطر على مختلف أنواعها، والنزاع في كشمير واحد منها، وهناك نزاعات كثيرة أخرى. هذه الأمم الكبرى تعرف وترى هذه الأخطار المكبوتة، وكما يرسمون الخرائط التي تبين مواضع المعادن في باطن الأرض كذلك يرسمون الخرائط السياسية. هذه الأمم المتقدمة الذكية.. لديهم خرائط رسمية، ويعرفون متى يثيرون الأخطار، وأي القنابل يفجرون. وتبقى هذه الأهداف في أذهانهم محفوظة لمؤامرات الانتقام في المستقبل، وتظهر على السطح عندما تدفعهم بعض مصالحهم الأنانية لاستغلالها، ومن دون ذلك تبقى في أذهانهم كجزء من الدبلوماسية الغربية.

والجانب المحزن أن البلاد الإسلامية قد تورطت في هذه السياسة نفسها. ولسوء الحظ أن البلاد الهندية أيضا وقعت في نفس الفخ، والبلاد البوذية كذلك انغمست في السياسة عينها. وهكذا سيطرت السياسة الظالمة على العالم بأجمعه اليوم، وتبني عليها قواعد الأنانية والمظالم.

وما دامت تلك النزعات لم يقض عليها بعد.. لا يمكن للعالم أن يدخل في عصر السلام، ولن تبرح ظلال الحرب جاثمة على العالم، أو بالأحرى، بعد أن وصل الاتحاد السوفييتي إلى اتفاق مع الولايات المتحدة، فإن الأخطار الصغرى سوف تشب بقوة أعظم، وستكون كالبراكين التي لا يستطيع العالم أن يمنعها من

قذف الحمم.. لأن مصالح بعض القوى ترغب في استمرار حدوث شيٍ من الاستفزاز في مكان أو آخر. وكما يقول غالب، شاعر الأردو:

إن استثارة الجميلات سوف تدوم... ولم يكن هناك لقاء.
فيا غالب.. دع هناك، على الأقل، شوقا بلا إشباع..

فتلك الأمم الكبرى، التي لم تكن بينها محبة، لم تتوقف قط عن استفزازاتها. والآن، بعد أن دخلوا في السلام فيما بينهم، أصبحت الأمم الصغرى جميلات بالنسبة لهم، لا يستطيعون لقاءهن، وإنما يبقى شوقهم للتطفل عليهن والتدخل في شئونهن. وموضوع هذا البيت من الشعر لا ينطبق على الموقف ١٠٠ بالمائة.. لذلك لا بد من تعديله قليلا كي يتفق والحال. فعندما تثار مشاعر الشوق بين المحب والمحبوب، تكون المعاناة دائما من نصيب المحب.. لأن المحبوب هو الأقوى والمحب تنقصه القوة. المحبوب يملك دائما سلطانا على المحب. والفرق في كلمات الشعر يخبرنا أن المحبوب ينبغي أن يسيطر على المحب المشبوب بالعاطفة. والموضوع هنا ليس من أثر المحبة الشديدة والمحب المشبوب، ولكنه موضوع السلطان والخضوع، موضوع القوة والضعف. فإذا كان هنا استثارة من الجميلات.. فلسوف يكون الندم من نصيب الضعفاء. لن يكون الندم أبدا حظ المحبوب، ولكنه دائما حظ المحبين. وسوف يكون هناك ندم كثير من نصيب الأمم الصغيرة الفقيرة. وهؤلاء الناس لن يوقفوا استفزازهم.

وواجب الجماعة الإسلامية الأحمدية إذن.. أن تجعل ساسة العالم تدرك تعاليم سيدنا محمد المصطفى ﷺ. وعلى الأحمديين أن يبدأوا الجهاد في كل بلد يعيشون فيه، ويخبروا الجميع بأن تحليلاتنا النهائية تنبئ أن الأنانية والظلم هي أساس مخاوفكم. أدخلوا في أي اتفاقيات شئتم، وارسموا من الخرائط كيفما يحلو لكم.. ولكن ما دمتم لا تلتفتون إلى العدالة الإسلامية، وما بقيتم لا تعوذون بأخلاقيات المصطفى ﷺ.. الذي بعث رحمة للعالمين، وتعاليمه وحدها هي القادرة على منح السلام لبني البشر.. فكل ما عدا ذلك أوهام وأباطيل، وشرور سياسات، ومكائد دبلوماسية، وعارية عن الحقيقة.

ولإرساء دعائم السلام العالمي.. على الجماعة الإسلامية الأحمدية وحدها أن تضع أساس الجهاد العالمي في مساراته الصحيحة. ولذلك أود أن أذكركم جميعا بالشروع في الجهاد ضد التعصب في أنحاء العالم، ولتبدأوا الجهاد حتى يزول الطغيان والظلم من الدنيا. يجب أن تشرعوا في الجهاد لدفع السياسة نحو العدالة. ولو تم ذلك فسوف يحدث تغير ثوري في تفكير الأمم المتحدة، ويؤلفون لجانا كثيرة للتفكر في صنوف المخاطر التي ذكرتها لكم، ويبدأون في العمل على إزالتها جميعا. وسيجدون في أنحاء العالم قضاة شرفاء محا يدين ممن تقاعدوا، ولا يرتاب في حيادهم ونزاهتهم أحد.

هناك على سبيل المثال القاضي دوشين (Doshane)، الكندي المعروف بعدالته. وهناك في باكستان القاضي الزرادشتي دراب بتيل.. الذي استقال من منصبه لأنه وجد تصرفات منافية للعدالة بعد الانقلاب العسكري، وهو من وجهة نظر العدالة في مقام التقوى. وكلمة التقوى لها معنى واسع، وتنطبق بالفعل على القيم غير الدينية أيضا؛ ذلك لأن القيم الأخلاقية الطيبة تنتمي في صورتها النهائية إلى الله تعالى وحده. فالقاضي الذي يسمو على سائر المصالح والتأثيرات.. نستطيع أن نصفه بالتقوى من جهة عدالته. وإذن سوف يجدون قضاةً أهل تقوى في باكستان والهند وأسبانيا وغيرها. عندما كنت في زيارتي لأسبانيا والبرتغال قابلتُ قاضيا متقاعدا، لم ينل نظرة التقدير والاحترام اللائقة به من الحكومة البرتغالية لأن الأمم المتحدة عينت الرجل مسئولا للنظر في الأمور الدولية والفصل في المظالم. وكانت بعض أحكامه ضد البرتغال. عندما قابلته قال ضاحكا: «أنت تروي لي الفظائع التي ترتكب ضدكم؟ حسنا، سوف أرفع صوتي ضدها، ولكن أي الآذان تسمع؟! إن البلد الذي أعيش فيه، وكنت قاضيا به طول حياتي.. لا يعاملني الآن بإنصاف، وكل أمم العالم قائمة على الظلم. وتحدثت معه طويلا في جو ودي. وهو رجل متقدم في السن، والناس يحترمونه لقيمه الإنسانية، وإن كان مستبعدا من لعبة السياسة.

نعم، يمكنكم أن تجدوا أمثال هؤلاء القضاة المتقاعدين العادلين الشرفاء، ذوي السمعة العالمية الطيبة؛ أو بعض السياسيين الذين ولدوا بسمعة العدل، والذين ينبغي انتقاؤهم على هذا الأساس، وليس على أساس حزبي. لو يُصطفى أناس من هؤلاء بناء على وجهة نظر العدالة، وتعرض عليهم الأخطار التي يتعرض لها العالم في لجان متنوعة، ومن شتى الفئات، تعزم على التفكر في الأسباب الأساسية لهذه النزاعات العالمية، وتبذل أقصى الجهد لتفهم جوهر النزاعات والوصول إلى أعماقها، يتوضح الأمر للأمم المتناحرة وللدنيا بأجمعها وللرأي العام العالمي.. أن هذه هي المنازعات وأسبابها، وهذا ما فعلته اللجنة بهذا الصدد، وهذه هي الصورة الحقيقية التي تبدو أمامنا. ليس بوسعكم التفكير في الحلول فجأة في هذه المرحلة، لأن بعض صنوف المنازعات متشابكة عند الأعماق؛ ولكن لا بد من إيجاد حل لها.

إن بوسعي أن أرى الأمم التي ترى الخطر من العراق اليوم ألف خطر ينتشر في جوانب الدنيا، إذا كانوا حقا راغبين في سلام العالم، فكما سبق أن نصحت لهم، عليهم أن يستقروا على العدالة.. عدالة الإسلام التي لا تميز بين شرق وغرب، ولا تفرق

بقية ص ٣١

أنظرْ إلى المتنصّرين وذانِهِمْ

لسيدنا المهدي المسيح الموعود عليه السلام

أُنظرْ إلى المُتنصرين وذَانِهِمْ ... وانظُرْ إلى ما بَدا من أدرانهمْ

مِن كل حَدَبٍ يَنسِلُونَ تَشذُّرًا ... ويُنجِّسون الأرضَ من أوثانِهِمْ

نَشْكُو إلى الرَّحمٰن شَرَّ زَمَانِهِمْ ... ونعُوذُ بالقُدّوسِ من شيطَانهم

هَلْ مِنْ صَدُوقٍ يُوْجَدَنْ في قَومِهِمْ ... أمْ هل عرفتَ الصدقَ في بُلدانهمْ

هُمْ يَعبُدون الآدميَّ كَمِثلِهِم ... هُم يَنشُرُونَ الفِسقَ في أوطانهمْ

المَاكِرُونَ الكَائدُونَ مِنْ الهَوى ... والزُّورُ كالأثمارِ في أغصانِهم

العَينُ بَاكِيةٌ على حَالاتهمْ ... للعقْلِ حَسَراتٌ على هَذَيانهمْ

مكْرٌ على مَكرٍ خَيَالُ قُلُوبهم ... كذْبٌ على كذبٍ بيانُ لِسانِهمْ

إنِّي أرَاهُمْ كالبنِين لِغُولِهِمْ ... إنَّ التطهُّر لا يحلُّ بخَانِهمْ

كيف الرجاءُ وقد تَأبَّط قَلْبُهُمْ ... شرًّا أرَاهُ دخيلَ جذْرِ جنانِهِمْ

بَلْ كذَّبُوا بالحقِّ لما جاءهُمْ ... وتَمَايلوا حقدًا على بُهتَانِهمْ

وكَمْ من سُمُومٍ هَبَّ عِنْد ظُهورهِم ... كمْ مِّن جَهولٍ صِيْدَ منْ أرسَانِهم

هُمْ أنْكَرُوا بَحْرَ العُلُومِ بِخُبثِهِمْ ... واستغزروا مَا كان في كِيزانِهمْ

لا يَعلمُ النُّوكى دَخِيلةَ أمرِهمْ ... من غيرِ رقَّتِهم ولِينِ لسانِهمْ

واللهِ، لَوْلاَ ضَنْكُ عَيْشٍ مقلِقٍ ... ما مَالَ مُرتدٌّ إلى أديانِهمْ

قد جاءَهم قومٌ بِحرص لبانِهمْ ... ولَيَنْفُضُنْ مَا كان في أردانِهم

كانوا كذِئب البَرِّ مكلُوم الحَشَا ... من جُوعِهِمْ، فسَعوا إلى عُمرانِهم

قومٌ سُقُوْا كَأْسَ الحتُوف بِوعظِهم ... قومٌ خَرُوفٌ في يَدَيْ سِرْحانِهِمْ

عمَّتْ بَلايَاهُم وزاد فسادُهم ... واشتَدَّ سَيْلُ الفِتَنِ من طُغيانِهمْ

يا ربِّ، خُذْهُم مثلَ أخْذك مُفسدًا ... قدْ أفْسَدَ الآفاقَ طُولُ زمَانِهمْ

أدْرِكْ رجَالاً، يا قديرُ، ونِسوةً ... رُحمًا وَنَجِّ الخَلْقَ مِنْ طُوفانهمْ

حلَّتْ بأرضِ المُسلمين جُنودُهُم ... فَسَرَتْ غَوائلُهم إلى نِسْوانِهِم

يا ربَّ أحمدَ، يا إلٰهَ مُحمَّدٍ، ... إعصِمْ عبَادكَ من سُمُوم دُخانِهِمْ

يا عوننَا، انصُرْ، مَن سِواكَ مَلاذُنَا ... ضَاقتْ عَلَيْنَا الأرضُ مِنْ أعوانِهِمْ

كسِّرْ زُجاجَتَهُمْ إلٰهي بالصَّفَا ... واعصِمْ عِبَادكَ مِنْ سُموم بَيانِهم

سَبُّوْا نبيَّكَ بالعِنادِ وكذَّبُوا ... خيرَ الورى، فانظُرْ إلى عُدوانِهم

يا ربِّ، سحِّقْهُم كَسَحْقِكَ طاغيًا ... وانزِلْ بساحتِهم لِهَدْمِ مكانِهِمْ

يا ربِّ، مزِّقْهُم وفرِّق شَمْلَهُمْ ... يا ربِّ، قوِّدهُم إلى ذوبانِهمْ

قد أزْمَعُوا إضْلالَنَا ووَبالَنَا ... فاضْربْ مكَائدَهُمْ على أبدانِهِمْ

وإذَا رَمَيتَ فإنَّ سَهمَكَ قَاتلٌ ... حدٌّ كأسيَافٍ على شُجعانِهِمْ

صِرْنَا حمُولةَ جورِهِمْ وجفَائهِمْ ... زُمَّتْ رِكَابُ الهجْرِ من وثَبَانِهِمْ

لَولا تَعَافِينَا تَعَاقُبَ سبِّهِمْ ... لَرَمَيتُ سَهمَ النَّار عندَ عُثَانِهِمْ

ما يَظْلِمُ الأشرارُ إلاَّ نَفْسَهُمْ
ظنُّوا بأنَّ اللهَ مُخْلِفُ وعدِهِ
وقَبُولُ أمرِ الحقِّ عارٌ عندَهُم
سُودٌ كخافيةِ الغُرابِ قُلُوبُهُم
فارقُبْ إذَا صاحَبتَهُم بمحبةٍ
ولَقدْ دَعَوتُ الربَّ عندَ تَنَاضُلي
يا مُستعانِي، ليسَ دُونكَ مَلْجأي
يا مَنْ يُعيِّرني بموتِ إلهِهم
والله، إن حياةَ عيسى حيَّةٌ
جَعَلَ المُهيمنُ حكمةً مِنْ عندِهِ
كَيف الحياةُ وقَد تُوفِّيَ مثلُهُ
هل غادرَ الحَتْفُ المُفاجِي مُرسَلاً
أتَغيظُ ربَّك لابنِ مَريمَ حِشنةً
فاطلُبْ هُداهُ وما أخالُكَ تطلُبُ
يا مَن تظنَّى البَولَ ماءً باردًا
يا ربِّ، أَرِنِي يومَ كسْرِ صليبِهم
فإذا تَكلَّمْنا فسيفُ قولُنا
ولقد أمِرتُ من المُهيمنِ بعدمَا
ما قُلتُ بَلْ قال المُهيمنُ هكذَا
طَورًا أُحارِبُ بالسِّهامِ وتارةً
بمُهنَّدٍ صافي الحديدِ جذَمْتُهُم
رُوحي بروحِ الأنبياء مُضمَّخٌ
إنَّا نُرجِّعُ صوتَنَا بغِنائِهِم
قوم فَنَوْا في سبلِ مربَعِ ربِّهم
كَمْ مِنْ شَرير أُهْلِكُوا بعنادِهِم
وسيرغِمُ اللهُ القَديرُ أُنوفَهُمْ
اليومَ قدْ فرحُوا برجس تنصُّرٍ
قومٌ تَميلُ مع الهوى أفكَارهُم
ظهرَتْ كأثرِ السمِّ ثورةُ وعظِهم
هل شاهدتْ عيناكَ قومًا مثلَهُم
بطريقةٍ سَنَّتْ لهم آباءُهم
فكأن أبوَاب المكائدِ كُلِّها
قد آثرُوا طُرقَ الضَّلال تعمُّدًا
إن الصليبَ سَيُكْسَرَنْ ويُدَقَّقَنْ
الكِذْب مجبَنَةٌ لكلِّ مُباحثٍ
سمٌّ مبيد مُهلكٌ في لَبنهِم
فَارْبأْ بدِينكَ عندَ رُؤيةِ وَجْهِهِمْ
الموتُ خيرٌ للفتَى من خُبزِهِم
ونضارةُ الدنيا تَزول بطرفةٍ

ستَرى بنَدمِ القَلْب عضَّ بَنانِهِمْ
فبَغَوْا بأرضِ اللهِ مِنْ طُغيانِهِمْ
صعبٌ عَلَى السُّفهاءِ عَطْفُ عِنانِهِمْ
والخَلْقُ مَخْدُوعُونَ من لمعَانِهِم
فِتَنًا بدِينِكَ عندَ إسْتحْسانِهِمْ
والله تُرسِي عندَ ضَربِ سِنانِهِمْ
فانصُرْ وأيِّدْنا لهدْمِ قِنَانِهِمْ
أفلاَ تَرى ما جَدَّ أصْلَ إهانِهِمْ
تَسعَى لتُهلكَ كُل من في خانِهِمْ
في موتِ عيسى قطْعَ عرقِ جِرانِهِمْ
حزبٌ وخيرُ الخَلقِ بعدَ زَمانِهِمْ
أم هَلْ سمِعتَ الحيَّ من أقرانِهِمْ
وتحيْدُ عن مولى إلى إنسانِهِمْ
فَاخْسَأْ وكُن منهُمْ ومِنْ إخوانِهِمْ
أخطأتَ مِنْ جهلٍ باستسانِهِمْ
يا رَبِّ، سلِّطْني على جُدْرانِهِمْ
رُمحٌ مبيدٌ لا كمثلِ بَيَانِهِمْ
هَاجَتْ دُخانُ الفِتنِ مِنْ نيرانِهِمْ
ما جئتُهُم بل جاء وقتُ هوَانِهِمْ
أهوِي بأسيافٍ إلى إثخانهم
وعصايَ قد أفْنتْ قُوى ثُعبَانِهِمْ
جادَتْ عليَّ الجَوْدُ مِنْ فيْضانِهِمْ
إنَّا سُقينَا من كُئُوسِ دِنَانِهِمْ
والعُميُ لا يدرون مطْلَعَ شأنِهِمْ
ورأوْا مُدى نحرٍ وراءَ كبانِهِمْ
ويُرى المُهيمنُ ذُلَّ داءِ خُنانِهِمْ
والحقُ لا يخْطُو إلى آذانهمْ
وعفَتْ نُقوشُ الصِّدقِ من حيطَانِهِمْ
رحلَتْ تُقاةُ الخلْق من إدجانِهِمْ
أم هلْ سمِعتَ نظيرَهُمْ في ذانِهِمْ
يدعُو إلى الجهَلاتِ صوتُ كِرانِهِمْ
فُتحَتْ لفتْنتنَا على رُهبانِهِمْ
ما زَادَ خُسرَانٌ على خُسرانِهِمْ
جاءَ الجيادُ وزَهقَ وقتُ أتانِهِمْ
لكنَّهُمْ تركُوا حياءَ جنَانِهِمْ
مكرٌ مضلُّ الخلق في هدْجَانِهِمْ
واقنَعْ بشوكٍ من جَنَى بُستَانِهِمْ
فاصبِرْ ولا تجنَحْ إلى تَهتَانِهِمْ
فاقْنَعْ ولا تنظُرْ إلى أفنانِهِمْ

النَّار تَسقُطُ كالصواعق عندهم ... فتجافَ يا مَغرُورُ عنْ أحضانِهِمْ
أينَ المفرُّ من القَضاءِ إذا دَنَا ... إلاَّ إلى ربٍّ مزيلِ قِنَانِهِمْ
يَسبُونَ جُهَّالاً برقَّةِ لَفظِهِمْ ... يُصبُونَ قلبَ الخلقِ من إحسانِهِمْ
فلِذَا يُحبُّ مُزوِّرٌ أديارَهُم ... من شُحِّهِ ميلاً إلى مرجانِهِمْ
ولو افتقدتَ جموعَهم في دَيرِهِمْ ... لَوَجدْتَ سِقْطًا شيخَهُم كعَوانِهِمْ
ما الفرق بين المشركين وبينهُم ... بلْ هُمْ بَنَوْا قصرًا على بُنيانِهِمْ
يهوي إليهم كلُّ نِكْسٍ فاسقٍ ... لِيبيتَ شَبْعانًا بلحم جفَانِهِمْ
في قلبِنَا وجعٌ وشوكُ دُعابةٍ ... مِنْ نَخزِهِمْ خُبثًا وطُولِ لِسانِهِمْ
ما إنْ أرى أثَر الدلائلِ عندَهُم ... أصْبَوْا قُلُوبَ الخَلقِ مِنْ عِقيانِهِمْ
قد عاثَ في الأقوامِ ذئبُ شُيُوخِهِمْ ... حَدَثتْ فُنونُ الفِسقِ مِنْ حُدْثانِهِمْ
تعريسُهم آثارُ عزْمٍ رحيلِهم ... يُخفُونَ في الأرْدَانِ حبلَ ظِعانِهِمْ
عارٌ على الفَطنِ الزَّكي طَعامُهُم ... ضارّ لخلقِ الله ماءُ شِنانِهِمْ
للمرءِ قُربُ المُوذياتِ جميعِهَا ... خيرٌ لحفظِ الدين من قُربانِهِمْ
لكَ كُلَّ يومٍ، ربِّ، شأنٌ مُعجبٌ ... فانصُرْ عبادَكَ، ربِّ، في مَيدانِهِمْ
نَقْنِي التضرُّعَ والبُكاءَ تصبُّرًا ... نأوي إلى الرحمانِ من رُكبانِهِمْ
لله سهمٌ لا يطِيشُ إذا رَمى ... للحقِّ سُلطانٌ على سُلطانِهِمْ
أَنزِلْ جنودَكَ، يا قديرُ، لنصرِنَا ... إنَّا لقينَا الموتَ من لُقيانِهِمْ
يا ربِّ، قد بَلَغَ القُلوبُ حناجرًا ... يا ربِّ، نجِّ الخلقَ من ثُعبانِهِمْ
إنَّ القُلُوب من الكُروب تقطَّعتْ ... فارحَمْ وخلِّصْ رُوحنَا من جانِّهِمْ
ودَعِ العِدَا جزْرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُمْ ... واشفِ القُلوبَ بخزيِهِم وهَوانِهِمْ

(نور الحق، الجزء الأول، الخزائن الروحانية ج ٨ ص ١٢٣ إلى ١٣١)

شرح المفردات:

ذانهم: عيبهم
أدران: أوساخ
حَدَب: المرتفع من الأرض وأمواج البحر
ينسلون: يُسرعون
تشذرًا: غضبًا
أوثان: أصنام
أرسان: حِبال
استغزروا: حسبوا غزيرًا
كيزان: جمع كوزة وهو إناء للماء
النوكى: الحمقى
دخيلة: سريرة
لينفضْنَ: لفَضَهُ: حرّكه ليسقط
أردان: جمع ردن وهو أصل كم القميص
مكلوم: مجروح
الحشا: واحدة الأحشاء وهي الأمعاء
غوائل: بلايا ومصائب
الصفا: الحجارة

أزمعوا: صمموا
تعافينا: اجتنابنا
عثان: دخان
خافية: واحدة خوافي وهي ريشات الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيَتْ
قِنان: جمع قن وهو الجبل الصغير
جذّ: قطع
إهان: اعتقاد
حيّة: ثعبان
جران: اعتقاد
حشنةً: حقدًا
استسمان: استسمنَ الدابة ظنها سمينة
أهوي: أسرع
إثخان: القتل بشدة
مهنَّد: سيف هندي
جذمت: قطعت
مضمّخ: مِن ضَمَخَ الجسدَ بالطيب: لطخه به

جادت: مطرت
نرجّع: نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون
دِنان: جمع دن وهو إناء كبير
قوم فنوا..: أي إن الأنبياء قوم ماتوا في سبيل الله
مُدى: جمع مُدية وهي السكين
النحر: الذبح
كبان: مرض
خنان: داء يأخذ في الأنف
عفَتْ: انمحت
إدجان: مكان
كران: الطنبور
الجياد: الخيل السريعة
زهق: تولّى ومضى
أتان: أنثى الحمار
مجبنة: علامة جُبن
هدجان: مشية فيها ارتعاش
إرباً: أُرْقُبْ
جنى: ثمر
تهتان: مطر
ثضارة الدنيا: زخرفها وزينتها
طرفة: لحظة من الوقت
الصواعق: جمع صاعقة
يسبون: يأسرون
يُصبون: يجذبون
شح: شدة الطمع
مرجان: صغار اللؤلؤ
سقط: ما لا خير فيه من كل شيء
عوان: خادم
نكس: دني ء
نخز: نخزه بالحديد: أوجعه بها
دعابة: بمعنى الاستهزاء
عقيان: الذهب الخالص
حدثان: شباب
تعريس: النزول بالليل
ظعان: حبل يشدّ به الهودج
الفطن: الذكي
الزكي: الطاهر
شنان: جمع شنة وهي قربة ماء
نقني: نلتزم
جانٌ: جنّ
جزر السباع: اللحم الذي تأكله الحيوانات المفترسة
يَنْشَنَ: يأكلن

التفسير بقية

(المفردات). سافهت الشراب: إذا أسرفت فيه. فالسفيه الجاهل، المتقلب الرأي، قليل الذكاء في الدين والدنيا، من لا وزن لرأيه، عديم التفكير عند الإنفاق (اللسان).

يعلمون: عَلِمَ: تيقن وعرف، وأتقن، أحاط. والعِلم: إدراك الشيء بحقيقته.

التفسير:

ينظر المنافقون إلى المؤمنين على أنهم يتصفون بالسفاهة، ذلك لأنهم ينفقون أموالهم بسخاء في سبيل الله، ويضحون بحياتهم من أجل دعوة الإسلام، ويتعرضون لمخاطر القتال وعداوة الكفار، وهم على قلة عددهم يتحدَّون الدنيا كلها. ولذلك إذ دُعي المنافقون إلى إخلاص النية وصدق الإيمان قالوا: لا يمكن أن نكون حمقى مثل هؤلاء المؤمنين، وإنما علينا أن نحفظ أرواحنا وأموالنا وجهودنا. وقد أشار القرآن إلى هذه الأمور في مواضع عديدة مثل:

[لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا] (سورة المنافقون: ٨).

[إذ يقول المنٰفقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم] (سورة الأنفال: ٥٠)،

[الَّذين يَلمِزُون المطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقٰت والَّذين لا يجدون إلا جُهْدَهم فَيسخَرون منهم..] (سورة التوبة: ٧٩)،

[فترى الَّذين في قلوبهم مَرضٌ يُسارعُون فيهم يقولون نَخشٰى أن تُصيبَنَا دائرةٌ، فعسى اللهُ أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيُصبِحوا على ما أسَرُّوا في أنفسهم نٰدمين*] (سورة المائدة: ٥٣).

والحق أن الفتح والانتصار لا يستحقها إلا الشجعان البواسل والفدائيون المناضلون. والمؤمنون هم أشجع من في الأرض، لأن أنظارهم تشخص إلى السماء دون الأرض. إن الشعوب التي تتهرب من التضحيات، وتتقاعس عن الفداء. مصيرها الهلاك والدمار. والذين يضنون بأموالهم عن الإنفاق في سبيل الله هم الذين يبددونها باطلا، أما الذين ينفقونها في مواضعها.. فأولئك هم الذين ينمونها ويضاعفونها أضعافا كثيرة.

وترد الآية على المنافقين بأن جبنهم وبخلهم هما السفاهة بعينها، إذ يراهنون على الجواد الخاسر. فالكفار لن ينتصروا بتاتا، وإذن لن يجديهم نفاقهم شيئا، بل إنهم سيخسرون أموالهم وحياتهم في عين الذل والحسرة. ومن كانت هذه حياته ونهايته فقد سفه سفها مبينا. وقد عاش رئيس المنافقين حتى رأى بعينه انتصار الاسلام، وتبين له مَن الحكيم ومن السفيه. يقول تعالى مبينا هذه الحقيقة: [ولا تعجبك أموٰلهم وأولٰدهم. إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا، وتزهق أنفسهم وهم كافرون*] (سورة التوبة: ٨٥).

نعم، إن الحرص الشديد على المال والولد يجعل حياة المنافق عذابا وقلقا وحرمانا، ثم يعقب ذلك الهلاك والخسران.

كذبة ١٩٩٠

إعداد: الأستاذ طه القزق

إكتشاف خطير تكشفه جريدة «المسلمون» العالمية. ولكنها للأسف لم تذكر اسم المكتشف لنرسل له برقيات و رسائل التهنئة على اكتشافه العظيم.

أيها المسلمون، اسمعوا وعوا. لقد طلعت علينا جريدة المسلمون الدولية في عددها ٣٠٠ الجمعة ١٥ ربيع الآخرة ١٤١١هج الموافق ٢ نوفمبر ١٩٩٠م مقالة بعنوان:

(تنسيق تنصيري قاديانى لضرب الإسلام في زامبيا)، وهذا هو المقال ننشره ليطلع عليه المسلمون ويحكموا بأنفسهم على هذه الكذبة، (كذبة الموسم). سميتها كذبة الموسم لأنني أظن بأن هذه السنة (١٩٩٠م) لم يسمع فيها بكذبة أكبر منها إلا إذا ظهرت لا سمح الله، كذبة جديدة أضخم من هذه قبل نهاية هذه السنة.

وهذه هي المقالة:



زامبيا

تنسيق تنصيرى - قاديانى لضرب الإسلام فى زامبيا

القاهرة - «المسلمون»

□ تشير التقارير الواردة من زامبيا انه يوجد بها حاليا ٧٣ منظمة تنصيرية تعمل فى مجال النشاط التنصيرى، وقد قامت هذه المنظمات بانشاء العديد من المدارس التنصيرية فى مختلف أنحاء البلاد.

كما بدأت الجماعات القاديانية فى تنسيق جهودها مع هذه المنظمات الكنسية لتعويق مسيرة الإسلام فى زامبيا. وقد قامت القاديانية مؤخرا بانشاء مدرسة ليلية فى العاصمة لوساكا، ومدرسة أخرى لنشر مبادئها الهدامة عن طريق المراسلة تسمى المدرسة الارسالية الأحمدية، واستطاعت خداع بعض المسلمين فى مدن «اندولا» و«لوانشا» و«كيتورى» و«شباتا».

وذكر تقرير تلقته الادارة العامة للعلاقات الخارجية بوزارة الأوقاف المصرية ان المنظمات التنصيرية والقاديانية فى زامبيا تنشر اباطيلها فى احدى الصحف اليومية التى تصدر فى العاصمة لوساكا. وأشار التقرير إلى ان المدارس الإسلامية التى انشأتها رابطة العالم الإسلامي بالعاصمة تستوعب أبناء المسلمين. كما قامت الجمعيات الإسلامية التابعة للجالية الإسلامية الهندية بنشر الوعي الإسلامي بين المسلمين لحمايتهم من الوقوع فى براثن القاديانية والتنصير، وان هناك اقبالا متزايدا لاعتناق الإسلام وسط القبائل الوثنية، كما بدأت بعض القبائل التى اعتنقت المسيحية فى التخلى عن هذه الديانة.

ويبلغ عدد المسلمين فى زامبيا ٢ر٤٪ من اجمالى عدد السكان وقدرهم خمسة ملايين نسمة.

وفى الوقت نفسه أشارت مصادر مركز الاصلاح والبحث الإسلامي بغانا إلى ان القاديانية قامت بتأسيس معهد فى «سولتبوندا» بغانا لاستقطاب أبناء المسلمين وتحويلهم إلى دعاة للنحلة القاديانية المنحرفة.

وقد أوفد زعماء هذه النحلة بعض الطلاب الغانيين لدراسة القاديانية فى ربوة بالباكستان واعادتهم إلى غانا للعمل على نشر المعتقدات الفاسدة فى الدول الافريقية، كما ان طلابا من نيجيريا وسيراليون وتنزانيا وكينيا وأوغندا وموريشيوس قد تم ارسالهم إلى «ربوة» من أجل هذا الهدف.

وتذكر مصادر فى تنزانيا ان هناك خطة لنقل المقر الرئيسي للقاديانية من «ربوة» إلى سولتبوندا فى غانا، وذلك بعد ان احكمت السلطات الباكستانية حصارا كاملا حولها وحظرا على نشاطها. وتعمل حاليا ١٨٠ مؤسسة قاديانية فى غانا لتضليل المسلمين بأفكارهم المنحرفة ■

أما ردنا فهو استفتاء لكل من يقرأ هذه التهمة.

أولا: من هو المساعد للتنصير، الذي يعتقد بأن المسيح عليه السلام حيٌّ في السماء منذ ألفي سنة، وينتظره لينزل من السماء ويقيم الإسلام مرة أخرى، لأن المسلمين بما فيهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أصبحوا لا يستطيعون أن يقيموا الإسلام مرة أخرى، وأن المسلمين في حاجة إلى نبي من بني إسرائيل (سيدنا عيسى عليه السلام) ليقيم الإسلام، ولأنهم أصبحوا لا خير فيهم؟

أم الذى يعتقد بأن المسيح عليه السلام ميت وهذا هو قبره موجود في كشمير، وأن كل الأنبياء ميتون، والحي الوحيد هو سيدنا محمد ﷺ، بدليل أن دينه وشريعته الوحيدة هي الحية، ويجب أن يكون المنقذ لهذا الدين من أمة محمد ﷺ. أفتونا، أيها العلماء وأيها المسلمون.

ثانيا: من هو المساعد للتنصير، الذي يعتقد بأن المسيح عليه السلام كان يحي الأموات مخالفا نص القرآن الكريم القائل عن الأموات: [ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون]، أم الذي يعتقد بأن هؤلاء الأموات الذين كان يحييهم المسيح عليه السلام إنما كانوا أمواتًا روحيا وليس ماديا، ويثبت ذلك من القرآن الكريم نفسه. أفتونا أيها العلماء وأيها المسلمون.

ثالثا: من الذي يساند التنصير، الذي يعتقد بأن المسيح عليه السلام كان يخلق الطيور مخالفا بذلك نص القرآن الصريح، أم الذي يعتقد بأنه لا المسيح عليه السلام ولا غيره من الأنبياء يستطيع أن يخلق ذبابة. أفتونا أيها العلماء وأيها المسلمون.

رابعًا: من الذي يساند التنصير الذي يعتقد بأن المسيح وأمه عليهما السلام لم يمسهما الشيطان، بينما كل من وُلد ويُولد بما فيهم سيد الخلق محمد ﷺ مسهم الشيطان، (نعوذ بالله من ذلك)؟

أم الذي يعتقد بأن سيدنا محمدًا ﷺ هو أطهر مما وُلد ويُولد.

لقد جعلتم من المسيح إلهًا يُعبد، مخالفين نصوص القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ الصحيحة وأقوال عظماء المسلمين من السلف الصالح، وتدّعون مكابرين معاندين بأن القاديانيين يساعدون التنصير، والله، لو لم يرسل الله سبحانه وتعالى هذا الرجل غلام أحمد القادياني عليه السلام لقُضي على هذا الدين بمعتقداتكم هذه المؤيدة للنصارى.

ثم إنكم تدعون بأن كتب القاديانية فيها الكفر. فلماذا تأمرون الناس بعدم قرائتها وتخفونها عنهم. أظهروها لهم لكي يقرؤا ما بها من كفر، مثلما نحن ننشر مقالتكم هذه على صفحات مجلتنا. أتظنون بأن الأمة الإسلامية والعربية لا يوجد فيها متعلمون؟ أتظنون بأن الأمة الإسلامية لا يوجد فيها أناس يفهمون ويقدرون؟ أتظنون بأن العلم والفهم انحصر تحت العمائم فقط؟! لقد أصبح في الأمة الإسلامية والعربية أصحاب العلوم المختلفة في الطب والهندسة والفلك والتاريخ والجغرافيا والفيزياء والرياضيات و....، ولكنهم يتجنبون المصادمة معكم، لكي لا تتهموهم بما هم منه براء، وتعدوهم مرتدين، وتحللوا دماءهم مثلما تتهمون الجماعة الإسلامية الأحمدية التي كلّفها الله سبحانه وتعالى بحمل الأمانة. وإن حمل الأمانة صعب وثقيل ولا تستطيع الجبال ولا السماء ولا الأرض حمله إلا الإنسان الذي يكلفه الله سبحانه وتعالى بحملها. وسيأتي ذلك الوقت القريب إن شاء الله عندما تخفون رؤوسكم خجلا مما تقومون به من أعمال، ومما تفتون من فتاوي مخالفة لشرع الله وسنة رسوله الكريم ﷺ.

أصحاب الفيل الهندوس

بهذا العنوان كتبت جريدة المسلمون العالمية بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٩٠ تحقيقا صحفيا حول مشكلة المسلمين في الهند ومظالم الهنود الهندوس على المسلمين، وكيف أنهم يريدون هدم المسجد البابري وإقامة معبد «رام» مكانه.

هذه المقالة كانت على صفحة كاملة من الجريدة، وصاحب هذا التحقيق الصحفي هو الأستاذ شريف قنديل.

يقول حضرة الصحفي: لقد حملت قلمي وكمرتي لأسجل وضع الأقلية المسلمة الراهن ربما ساهم في العمل لإيجاد مخرج لأكثر من ١٢٠ مليون مسلم.

وعلى الصفحة ذاتها يُوجد لحضرة الصحفي شريف قنديل صورة رئيس الوزراء الهندي الذي سقطت حكومته من أجل الدفاع عن المسجد المذكور وعدم هدمه. وبخط كبير واضح يقول رئيس الوزراء الهندي لشريف قنديل: «أسقطوا حكومتي لكنهم لم يُسقطوا ضميري، قلت لهم: لن أسمح بهدم المسجد فجرحوني بالسكاكين».

بالحقيقة إن هذه الكلمات من رئيس الوزراء الهندي هي أوسمة شرف تُعلق على صدر هذا الرجل النبيل الشريف مهما كانت ديانته ومهما كانت جنسيته.

إن هذه الحادثة تذكرنا بحادثة مماثلة عندما كان سيدنا محمد ﷺ راجعًا من الطائف بعد أن آذاه أهلها أشد الأذاء، إذ مر في طريقه على زعيم قريشي مشرك يسكن في أطراف مكة، إذ أرسل هذا أولاده وسلحهم وأمرهم أن يرافقوا سيدنا محمدًا ﷺ إلى المكان الذي يبتغيه وقال لهم: لا تسمحوا لأي إنسان يعتدي على هذا الرجل ولو قُتلتم جميعا. لم يكن هذا الزعيم مسلمًا بل كان شريفا من المشركين، وهذا هو العدو الشريف. إن العرب تفتخر

بهؤلاء الأعداء الشرفاء حتى اليوم، وسوف تبقى تفتخر بهم حتى يوم القيامة، بأن العربي إذا كان عدواً فيكون عدواً شريفًا. وفي التاريخ الجاهلي وبعد الإسلام أمثلة كثيرة كهذه. إن العرب تفتخر حتى اليوم بعنترة ابن شداد الجاهلي، ليس بشجاعته فقط بل بشرفه عند اللقاء، وبشرفه عند الامتحان. إذ يقول: عندما تبدو لي جارتي فإني أغض البصر عنها حتى تتوارى. هذه أخلاق إسلامية ظهرت في بعض الناس قبل ظهور الإسلام.

تقول يا سيد شريف قنديل بأنك حملت قلمك و«كمرتك» وذهبت إلى الهند لتسجل وضع الأقلية المسلمية الراهن ربما ساهم في العمل لإيجاد مخرج لأكثر من ١٢٠ مليون مسلم. في الحقيقة عندما يسمع الإنسان أن ١٢٠ مليون مسلم هو أقلية في الهند يتعجب. ألم تفكر يا سيد شريف قنديل لماذا هذا العدد الضخم يعد أقلية. أريد أن أسألك سؤالا كما أسأل غيرك من علماء ومشائخ ومثقفين: هذه الأمة كم كان عدد المسلمين عندما كانوا يحكمون الهند وفارس وإسبانيا وما يقارب نصف روسيا وإفغانستان، وقسما من أروبا بالإضافة إلى البلاد العربية.

كم كان عدد سكان بريطانيا عندما كانت تحكم الهند وكندا وأمريكا وأستراليا والبلاد العربية. لقد كان عدد سكان هولندا سبعة ملايين وكانوا يحكمون سبعين مليون مسلم في أندونيسيا. وهولندا في الغرب وأندونيسيا في أقصى الشرق، كما كانوا يحكمون كثيرا من بلاد العالم.

إن عدد المسلمين في العالم يتجاوز الألف مليون نسمة، منهم ١٢٠ مليون مظلوم في الهند ومنهم ٦٠ مليون مظلوم في روسيا، ومنهم ٥٠ مليون مظلوم في الصين، ومنهم بضعة ملايين مظلومين في أوروبا وباقي المسلمين الموجودين في البلاد الإسلامية مظلومون، بل هم أشد ظلمًا من الآخرين. لأن المسلم في بلاد الأجانب ربما يستطيع أن يقول كلمة حق، أما في بلاد الإسلام فيجب عليه أن يكون منافقًا للحاكم. إذا رأى الحاكم يشرب خمرًا مثلاً يجب على الجرائد أن تكتب في اليوم الثاني: إن الحاكم يفكر في إغلاق حانات الخمر في البلد. وإذا كان الحاكم يلعب القمار يجب على الصحف في اليوم التالي أن تكتب: إن الحاكم يشجع الناس على دفع الزكاة. وإذا اختلف الحكام في مشكلة من المشاكل مثل مشكلة الكويت في الوقت الحاضر فيمكن لكل حاكم أن يأخذ فتوى من العلماء الذين هم تحت حكمه وحسب هواه، لا حسب الشريعة الإسلامية، ولا حسب ضميره. لقد كان أفسد ملك على وجه الأرض هو الملك فاروق، ملك مصر، حتى إنه عند وفاته اقتصرت جنازته على بعض الراقصات، وهذا حسب أقوال الجرائد في ذلك الوقت، لكنه عندما كان ملكًا على مصر التي فيها أكبر جامعة إسلامية وهي جامعة الأزهر الشريف، كانوا كل يوم في شهر رمضان المبارك يضعون صورته في الجرائد وهو يشرب كوب "القمر الدين" عند الإفطار ليشيروا للناس بأن الملك صائم والحمد لله.

وفي أوائل الأربعينات وضعوا له صورة كبيرة وكان يلبس «بنطالون شرط» قصيرًا ويلبس على رأسه «برنيطة» مثل «برانيط» الجنود الإنجليز في ذلك الوقت ويحمل بندقية صيد، وبجانبه كلبه. وكُتب على تلك الصفحة بأن العلماء يفكرون في تنصيبه خليفة للمسلمين.

أقول لك يا سيد شريف قنديل كما أقول لغيرك: إن الله سبحانه وتعالى يقول: ولا يظلم ربك أحدا. فكيف نوفق بين هذه الآية الكريمة والواقع الحاضر. إني أقول لك سلفا لو سألت هذا السؤال لأحد المشائخ فسوف يقول لك بأن الله سوف لن يظلم أحدًا عند الحساب يوم الآخرة، وينهي المشكلة بهذه البساطة. وربما يأمرك بأن لا تفكر أكثر من تفكيره، ولو فكرت أكثر من تفكيره ربما يكفرك ويعدك مرتدًا ويطالب المحكمة بإهدار دمك.

عجيب أمرك يا شريف قنديل، تذهب إلى الهند حاملا قلمك و«كمرتك». كان واجبا عليك أن تمر بباكستان لترى هناك المظلومين من المسلمين الأحمديين الذين هدمت مساجدهم، وبيوتهم التي أُحرقت وهُدمت، لترى هناك كلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، قد طُليت بالدهان الأسود من قبل المسئولين لأنها مكتوبة على مساجد المسلمين الأحمديين، والمشائخ لا يرضون بهذا الوضع. كان واجبًا عليك أن تزور سجون باكستان لترى فيها المسلمين الأحمديين لقولهم: السلام عليكم، لأحد الناس في الشارع لأنهم ممنوعون بأن يحيوا أي أحد بهذه التحية. والمسلمون الأحمديون بالسجون لأنهم رفعوا الأذان للصلاة. الأحمديون بالسجون لأنهم يصلون الصلاة الإسلامية، الأحمديون في السجون لأنهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله. الأحمديون في السجون لأنهم يقرأون القرآن الكريم. كان واجبًا عليك أن تُحصي الشهداء والجرحى، وأصحاب العاهات من شدة التعذيب لأنهم مسلمون أحمديون، وهذه جريمتهم. كان واجبا عليك يا شريف قنديل ليس فقط حمل قلمك و«كمرتك» بل واجب عليك أن تحمل شعار اسمك الذي هو شريف المشتق من الشرف واسمك قنديل حامل النور البسيط الذي بواسطته استفاد كل علماء العالم وفلاسفتها وقوادها وصلحاؤها قبل اكتشاف الكهرباء. لو حملت هذه الأشياء التي ذكرتها لك واستعملتها بشرفٍ لوجدت هناك الضمائر التي سقطت بدون أن تُجرح بالسكاكين وبدون أية مقاومة.

منذ سبع سنوات، وهذه المظالم تجري في باكستان وعلى مرأى العالم وسمعه وبمساعدة الحكومة إرضاءً للمشائخ المتعصبين

المناهضين للأحمدية. أين كانت «كمرتك» وقلمك، وأين الصحافيون أمثالك بكمراتكم وأقلامهم وشرفهم، وأين الضمائر الحية التي تستطيع قول كلمة الحق!!

سؤال أوجهه لجميع الصحفيين والعلماء والمشائخ بل ولجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها: أيجوز وضع إنسان بالسجن لقوله السلام عليكم! أيجوز وضع إنسان بالسجن لقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ أيجوز وضع إنسان في السجن لأنه يقيم الصلاة؟ أيجوز وضع إنسان بالسجن لأنه يقرأ القرآن الكريم! حتى ولو كان هؤلاء من اليهود أو النصارى أو المجوس أو غيرهم من شعوب الأرض.

أين المسلمون؟ أين زعماء المسلمين؟ أين علماء المسلمين؟ والله إن معظمهم أصبحوا بعيدين عن الإسلام بعد الأرض من السماء. إلى متى يبقى علماء المسلمين وقادتهم غافلين عن هذه المظالم. أيظنون بأن الله سبحانه وتعالى سوف ينساهم ولا يحاسبهم. إنهم يدرسون ويخطبون بالمساجد ويقولون للناس: إن الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل. ويقولون للناس: إن سيدنا محمداً ﷺ قال: مثلما تكونوا يُولَّى عليكم.

أيظنون أنهم بعيدون عن الانتقام من الله سبحانه وتعالى؟ إلى متى سيظل علماء المسلمين ينظرون لأخطاء الآخرين ولا ينظرون لأخطائهم. إلى متى سيبقى علماء المسلمين يكشفون عن عورات الآخرين ولا يرون عوراتهم.

إن الله سبحانه وتعالى يقول: [وثيابَك فطَهِّرْ] ولا يقول: «طهروا ثياب الآخرين واتركوا ثيابكم وعليها القذرات». إن الله سبحانه وتعالى يقول: [والذين هم لفروجهم حافظون]، ولا يأمرنا بالمحافظة على فروج الآخرين ونترك فروجنا للفساد.

لماذا كل هذه المظالم تنزل على المسلمين الأحمديين من قبل المشائخ مع أنهم متمسكون بدينهم الإسلام وبرسولهم خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ.

كل هذه المظالم لأنهم يعتقدون بأن المسيح الموعود والمهدي المنتظر الذي وُعد بمجيئه على لسان المصطفى ﷺ قد جاء من الأمة الإسلامية، بينما ينتظر المشائخ مسيحا إسرائيليا في شخصية عيسى عليه السلام الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه: [ورسولا إلى بني إسرائيل]. لقد وضع له المشائخ وظيفة أخرى ورسالة أخرى، ربما نسي الله سبحانه وتعالى أن يذكرها إذ نصبوه نبيا لجميع البشر. إنهم لم يكتفوا بمجيء اليهود إلى فلسطين بل يريدون أيضا مسيحا منهم.

ألا ترضون أيها المشائخ الكرام، إكرام الله سبحانه وتعالى لكم إذ أرسله منكم. إن الله سبحانه وتعالى يريد عزتكم وعزة أمة الإسلام وأنتم تطلبون الذل لكم ولأمتكم. ألا يكفيكم الذل الذي نحن فيه. دويلة اسمها إسرائيل تهدد العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها شمالها وجنوبها وتطلبون مسيحا منهم.

لو فكرتم قليلا يا مشائخ المسلمين بضمير حي وطلبتم من الله سبحانه وتعالى أن يكشف عليكم الحقائق حسب القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ الصحيحة لوجدتم أنكم أكبر أعداء لأنفسكم وأكبر أعداء لسيدنا محمد ﷺ. لو فكرتم قليلا لوجدتم أن أعدائكم أرحم منكم على أنفسكم.

فيا أيها الصحفيون، ويا أيها المثقفون، ويا أيها العلماء، قبل أن تذهبوا إلى الهند لتنظروا هناك ما يقوم به أصحاب الفيل من الهنود المجوس، اذهبوا أولا إلى أصحاب الفيل في باكستان وأصحاب الفيل في السعودية الذين منعوا المسلمين الأحمديين من أداء فريضة الحج، وفتشوا عن أصحاب الفيل من بعض المشائخ الذين هم السبب الأول في هذه الفتن كلها، والذين وصفهم سيد الخلق وخاتم النبيين ﷺ إذ قال: «وعلماؤهم شر من تحت أديم السماء منهم تخرج الفتنة وفيهم تعود».

أنسيتم ما حل ببغداد يوم طوقها هولاكو خان بجيشه الظالم الفتاك، يوم ذهب أهل بغداد لرجل صالح معروف، كان يسكن بطرف المدينة ليطلبوا منه الدعاء ليبعد الله عنهم هذا البلاء القادم. فقال لهم: ارجعوا لي بعد ثلاثة أيام. وعندما رجع إليه زعماء بغداد قال لهم: لقد سمعت نداءً يقول: يا أيها الكفار، اقتلوا الفجار. وبعد بضعة أيام دخل بغداد هلاكو خان الظالم واستباحها وفتك بالآلاف المؤلفة من أهلها وأتلف أعظم مكتبة إسلامية في ذلك الوقت، نصف مليون كتاب أُتلفت في نهر دجلة والفرات، حتى أن الماء صار أسود من كثرة الكتب التي أتلفت.

وهذا جزاء من تكون عنده الكتب ولا يعمل بتعاليمها. فسوف لا تنفعكم كتبكم ولا أقلامكم ولا «كمراتكم» ما لم تحوزوا على تقوى الله سبحانه وتعالى وتستخدموا كل هذه الأشياء بشرف وأمانة.

مصالح الإنجليز في الهند وحماتها الحقيقيون ! !

Hu366.Ta1

ترجمة : عبد المؤمن طاهر عبد العزيز

كان الدكتاتور الباكستاني الراحل ضياء الحق قد أصدر في ٢٦ ، ٤ ، ١٩٨٤ حكما عسكريًا غاشمًا يحرم المسلمين الأحمديين في باكستان حقَّهم في إعلان دينهم الإسلام الذي يدينون به من الأعماق ، أوالنطق بالشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، أو إلقاء تحية الإسلام ، أو الصلاة على النبي ﷺ ، أو رفع الآذان للصلاة ، أو قراءة القرآن الكريم ، أو كتابة أو حيازة آياته ، أو تسمية أنفسهم مسلمين ، إشارة أو صراحة ، شفويًا أو كتابيًا ، أو تسمية مساجدهم مساجد ! !

وبعدها نشرت حكومته كتيبًا باسم «القاديانية.. خطر شديد على الإسلام» لتبرير ما قام به هذا الدكتاتور من إجراءات جائرة منافية لتعاليم الإسلام السمحاء وسنة نبي الرحمة ﷺ ، وسمّته «البيان الأبيض». وكان الأجدر أن يطلق عليه «البيان الأسود» ، لما فيه من أعذار سخيفة لتبرير هذا القرار الفرعوني الغاشم ، تسوّد وتشوه وجه الإسلام الأغر.

ولقد قام إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية سيدنا مرزا طاهر أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز ، بالرد على هذا «البيان الأسود» ، محلّلا ومفنِّدًا بعون الله كل أعذارهم السخيفة عذرًا عذرًا ، في سلسلة طويلة من خطب الجمعة (ثماني عشرة خطبة) ، في أوائل سنة ١٩٨٥ . وبدأت «التقوى نشر هذه الخطب القيمة والهامة جدًا في عدد يناير ١٩٩٠ ، ولقد تم نشر خطبتين أوليين حتى عدد مارس ١٩٩٠ . ولكن انقطع نشرها بعد ذلك للأسف الشديد لأسباب قاهرة. وقد شاء القدر أن تعيد «التقوى» نشرها من جديد (استئنافًا من خطبة ٢٨ ، ٢ ، ١٩٨٥ التي ألقيت في مسجد «الفضل» بلندن) ، وقد استجدت على الساحة العالمية وخاصة العربية أحداث جسام ، ليعرف الجميع من الذي يوالي الاستعمار ، والاستعمار يواليه ويعمل له ، حفاظًا على مصالحه ، ونهبًا لثروات المسلمين ، ونيلاً من الإسلام وأهله. والحمد لله الذي هتك أسرار هؤلاء القابضين على ثروات المسلمين وأعرى هؤلاء المتاجرين بالدين والمحاربين بعباءة الإسلام وبأموال البترول جماعتَنا الشريفة المسالمة التى راهنت نفسها ونفيسها لرفع راية الإسلام في كل العالم. فكان هؤلاء يُغدقون الملايين من أموال البترول على مشائخ «رابطة العالم الإسلامي» وبعض مشائخ الهند وباكستان ، لينشروا دعايتهم المسمومة المشوهة ضدنا في العالم ، وليقولوا له بأن هؤلاء عملاء الإنجليز والاستعمار. وكنا نستنكر ونفنّد بكل شدة دعايتهم المغرضة ، ولكن بسبب وسائلنا المحدودة كانت أموال البترول تحول دون صوتنا ودون العرب الشرفاء الذين كانت آذانهم لا تسمع إلا من طرف واحدٍ. ولما تجاوزوا كل الحدود وبلغ السيل الزبى وجّه إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية في ١٩٨٨ دعوة للمباهلة إلى هؤلاء المتاجرين بالدين «خادمي الاستعمارين الأمريكي والأروبي» ، وسأل المولى عز وجل أن يميز بين الصادقين والكاذبين. فقبل عز وجل تضرعاته وابتهالاته ، وها قد هتك أسرارهم وعلمائهم المستأجرين.

[المحرر]

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم * الحمد لله رب العٰلمين * الرحمٰن الرحيم * مٰلك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين *].

في خطبة الجمعة الماضية كنت تحدثت عن تهمة وجهتها إلينا الحكومة الباكستانية في ما سمته «البيان الأبيض» حيث قالت فيه: لقد أثبت المحققون الجدد أن الأحمدية غراس الإنجليز غرسوها في الهند للحفاظ على الدولة البريطانية هناك. ولقد قمت بالرد على هذه التهمة الشنيعة موضحا لكم حقيقة الغراس، ومن هم الغراس الإنجليزي، ومن «المحققون الجدد». كما كنت أثبت أنه لم يكن هناك أية مصالح للجماعة الإسلامية الأحمدية عند الإنجليز، لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل. أما فيما يتعلق بمصالح الإنجليز فلا علاقة لها بجماعتنا. واليوم سوف أميط لكم اللثام عن من يعملون لحماية المصالح الإنجليزية أو الاستعمارية.

مصالح الإنجليز في الهند

أولا وقبل كل شيء، يجب التحقيق في المصالح البريطانية في الهند. لا شك أنه لم يكن للملكة البريطانية في الهند مصلحة أهم من استتباب حكمها فيها، ومع ذلك أود أن أذكر لكم مصالحهم بكلمات زعمائهم من ذوي السلطة، بدلا من أن أذكرها لكم بكلماتي، إذ أنهم على كل حال أعلم بمصالحهم مني أو من الأحراريين. (١) الذين جاءوا اليوم. فما لم نرجع إلى الإنجليز لمعرفة مصالحهم من المستحيل معرفتها بصورة صحيحة.

اللورد لورنس كان حاكما من الحكام الإنجليز المعروفين بالهند. لقد قام بخدمات بارزة لدولته. هناك كتاب شهير حول حياته باسم (LORD LAWRENCE'S LIFE)، ورد في الجزء الثاني منه:

«قال اللورد لورنس: ليس ثمة شيء أدعى لاستتباب حكمنا في الهند من قيامنا بنشر المسيحية في كل أرجائها» (ص: ٣١٣).

أما السير دونولد مكلود حاكم بنجاب (تلك المنطقة التي تقع فيها قرية قاديان حيث بعث الله فيها سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام للقيام بحروب دفاعية عن الإسلام)، فقال:

«أود أن أؤكد لكم بأننا إذا أردنا استمرار حكمنا في الهند فلا بد لنا من بذل أقصى جهود لتنصير هذه البلاد».

(THE MISSION By R.CLARK P. 47 LONDON 1904)

كما أعلن السير تشارلس وود الوزير البريطاني للهند حينذاك:

«إنني أؤمن إيمانا أكيدا أن كل متنصر جديد في الهند يشكل عاملا جديدا لتقوية الصلة بين الهند والإنجليز» (المرجع السابق ص ٢٣٤).

مع الملاحظة أن هذا الإعلان تم ١٨٦٢م حينما كان سيدنا المهدي عليه السلام لا يزال في بداية شبابه. وفي عام ١٨٦٢م نفسه أدلى اللورد بامرستون رئيس وزراء بريطانيا آنئذ بالبيان التالي:

«أعتقد أننا جميعا متفقون في هدفنا. إنه ليس من واجبنا بل ومن مصلحتنا أيضا أن ننشر المسيحية بكل ما أوتينا من قوة وخاصة نوسع دائرة نفوذها إلى كل نواحي الهند» (المرجع السابق).

هذه هي مصالح الحكومة الإنجليزية في الهند التي يُقال عنها اليوم بأن الإنجليز أقاموا الأحمدية للحفاظ عليها.

هجوم التبشير المسيحي على الإسلام

حصلت هذه الأحداث في زمن نشر فيه المسيحيون شبكة مراكز التبشير في الهند من أقصاها إلى أقصاها، ولم يكن للمسلمين أي قدرة على الاصطدام بالتيار المسيحي الجارف وعلى الكشف عن دجلهم دفاعا عن الإسلام. ولقد ساءت الأحوال لدرجة أن الكثير من الأسر العريقة من السادات وغيرهم وقعت صيدًا في شباك التبشير المسيحي حتى تنصر بعض كبار علماء المسلمين ودراويشهم وصوفيتهم مثل القسيس عماد الدين والمولوي حميد الدين خان والمولوي عبد الله بيغ والمولوي حسام الدين والمولوي القاضي صفدر علي والمولوي عبد الرحمان وغيرهم. وبدأ هؤلاء المتنصرون المرتدون عن الإسلام بتأليف كتب تضمنت طعنًا قذرا على الإسلام ونبيه ﷺ. قاموا بذلك بتحريض من القسيس الشهير فاندر. لقد ملأوا كتبهم هذه بسب فاحش لدرجة أن بعض الجرائد الهندوسية مثل جريدة شمس الأخبار (المجلد السابع، عدد ١٥، أكتوبر ١٨٧٥)، اضطرت للقول بأنه إذا حدثت الآن ثورة كالتي حدثت في سنة ١٨٥٨ فإنما تحدث بسبب هذه الهجمات المسيحية الشرسة على الإسلام. ومن كتبهم مثلا كتاب «أمهات المؤمنين» (للدكتور أحمد شاه شائق، مطبعة شعلة بمحافظة جوجرانوالا، الناشر برشوتم داس المسيحي). ضمنه هذا المسيحي أفحش السب وأقبح التهم ضد سيدنا المصطفى ﷺ وأزواجه المطهرات.

من المدهش حقًا أن يفكر اليوم هؤلاء «المجاهدون المسلمون المزعومون» هذا التفكير المعوج ويرموا بعمالة المسيحية والدولة الإنجليزية رجلاً أهلك إلهُ الإنجليز وشن على أسس المسيحية

هجمات لم يستطيعوا الفرار من وجهها، دعك عن الصمود لها.

هل هذه هي الحيلة التي لجأ إليها الإنجليز حسب زعم أعداء الأحمدية، للحفاظ على مصالحهم الضخمة في الهند ونشر المسيحية وتوطيد دعائم حكومة مسيحية؟ وهل لهذه الأغراض غرسوا غراسهم في صورة شخص قام أول ما قام أن أعلن أن إله الإنجليز قد مات موتًا طبيعيا، وكسّر بهذا الإعلان صليبهم، ثم شرع في نضال بطولي ضد المسيحية لم ينحصر في حدود الهند فحسب، بل بدأ في الانتشار في أرجاء الدنيا ولا يزال في الانتشار. فما من عاقل يتدبر في هذه التهمة المنكرة إلا ويقتنع ببطلانها تماما وبأنها حصيلة رؤوس فارغة فقط. كان عليهم قبل لصق هذه التهمة أن يفكروا في عواقبها. أليس عجيبا أن يقيم الإنجليز للحفاظ على مصالحهم سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام، فحافظ عليها أيما حفاظ أن شن هجمات عنيفة على دينهم قاضيا على ما تتوقف عليه مصالحهم!!

إن الإنجليز أمة شهيرة في المكر والاحتيال وعالمة بمبادئ السياسة، فلم يكونوا يعرفون مصالحهم فقط، بل كانوا يعرفون كيف السبيل إلى الحصول عليها. وبسبب هذه السياسية والدبلوماسية والمكر استولوا على معظم بلاد العالم حتى لم تكن الشمس تغيب على مملكتهم المترامية الأطراف حينئذ. فكيف يسوغ نسبة هذه الخطة الرديئة العارية من الذكاء إلى أمة ماكرة محتالة كالإنجليز؟

صوت ارتفع من قاديان ضد المسيحية

والآن هلم نر ماذا قاله سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وكيف خاطب العالم وكيف أيقظ بقوةٍ المسلمين من سباتهم العميق. من ناحية كانت الأصوات ترتفع من لندن قائلة: إذا أردنا الحفاظ على مصالحنا في الهند فلا بد من نشر النصرانية فيها بأسرع ما يمكن، ومن ناحية أخرى قام رجل في قرية صغيرة في الهند، ونفخ صورًا لإيقاظ أهل الإسلام من غفوتهم قائلاً:

«أيها الغافلون! انظروا كيف أنهم يبذلون جهودًا جبارة لهدم بناء الإسلام وكيف هيأوا لذلك وسائل كثيرة، وكيف رخصوا أرواحهم في سبيل هذا الهدف وأنفقوا المال كالماء بدون هوادة، وأنفذوا كل حيلة حتى لجأوا إلى حيل منكرة خبيثة. لقد اخترعوا أنواع الألغام لنسف بناء الحق وصرح الإيمان، وأوجدوا بكل جهدٍ ومشقةٍ صنوف الحيل الدقيقة من الكذب والخداع لمحو الإسلام... لذلك فلم يبق شك في أن المسيح الدجال الذي يخرج من الكنيسة ليس إلا هؤلاء القوم الذين لا بد من معجزة سماوية لمحاربة سحرهم. وإذا رفضتم قولي هذا فأتوا بنظير لهم من الدجالين من الأزمنة الغابرة» (إزالة الأوهام، الجزء الثاني، ص ٣٦٥، ٣٦٦).

من الذي تحدّى النصرانية

فسيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام هو الوحيد الذي أعلن أن الديانة المسيحية الحالية هي الدجال، وشن عليها هجوما عنيفا، وذلك في حين ارتفعت الأصوات فيه من إنجلترا ناويةً رفع لواء الصليب لا على الهند فحسب، بل وعلى مشارق الأرض ومغاربها، بل أعلنوا بأنهم سوف ينشرون دينهم في أفريقيا والجزيرة العربية، ولن يبرحوا حتى ينصبوا لواء الصليب على المسجد الحرام!؟

فمن ذا الذي سمى هؤلاء القوم دجالاً؟ إنه سيدنا المهدي عليه السلام. من ذا الذي ضحى في سبيل قمع الفتنة الصليبية بالنفس والنفيس؟ إنه سيدنا المهدي المسيح الموعود عليه السلام. أما غيره من المشائخ فقد ارتد العديد منهم عن الإسلام وبدأوا يؤلفون الكتب لتأييد النصرانية وللطعن في نبي الإسلام سيدنا المصطفى ﷺ طعنًا فاحشًا، بينما استمر سيدنا المهدي والمسيح الموعود ﷺ يغير على النصرانية غارات ناجحة ويعلن:

«تذكروا جيدا أنه بدون إثبات موت المسيح الناصري لن تموت العقيدة الصليبية. فما الفائدة من الاعتقاد بحياته خلافًا لتعاليم القرآن. دَعُوه يَمُتْ لتُكتب الحياة لهذا الدين (الإسلام)» (سفينة نوح ص ١٥).

وكذلك قال حضرته عليه الصلاة والسلام في خطابه في الاجتماع السنوي المركزي بقاديان:

«إن وفاة المسيح وحياة الإسلام قضيتان وثيقتا الصلة جدًا. وقد صارت مسألة إثبات وفاة المسيح ضرورية لحياة الإسلام في هذا الزمن».

واستمر قائلا: «إن الفتنة الناتجة عن الاعتقاد بحياة المسيح عليه السلام قد تفاقمت جدا. إن مسألة حياة عيسى كانت بمثابة خطأ فقط في أوائل الإسلام، أما اليوم فقد تحول هذا الخطأ إلى أفعى تريد ابتلاع الإسلام. إن الإسلام اليوم في إدبارٍ وانحطاط، ومسألة حياة المسيح هي السلاح الذي حملته المسيحية للهجوم على الإسلام، وبسببها أصبحت أجيال المسلمين صيدًا للمسيحية... فأراد الله تعالى الآن تنبيه المسلمين لذلك» (الملفوظات ج ١٠، ص ٣٣٦، ٣٣٧ و٣٤٥).

وأضاف قائلا:

«دعوا عيسى يمت فإن في موته حياة الإسلام. واتركوا عيسى المحمدي ليأتي مكان عيسى الموسوي ففيه شرف الإسلام وكرامته»

(المرجع السابق ص ٤، ٥ و٨).

ويقول حضرته في أبيات عربية له:

«وقد جاء يوم الله فاليوم ربنا
يدقق أجزاء الصليب ويكسرُ
وأبغي من المولى نعيما يسرني
وما هو إلا في الصليب يكسَّرُ
ووالله إني أكسِّرن صليبكم
ولو مُزِّقتْ ذرات جسمي وأُكسَرُ».

المشائخ يساعدون النصارى ضد بطل الإسلام

هذا هو بطل الإسلام الذي أقامه الإنجليز بحسب زعم هؤلاء الحمقاء، للحفاظ على مصالح الدولة البريطانية ولاستتباب حكمها!! وبينما كان هذا البطل العظيم وحده خائضا معركة حامية بين المسيحة والإسلام ويناضل لكسر صليبهم، لم يخجل المشائخ من تأييد القساوسة الكبار كلما وجدوا لذلك سبيلاً، وانضموا إلى صفوفهم ضد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. وقد ذكر حضرته هذه الحقيقة المرة مشيراً إلى ما قاله بعض المشائخ في شأن المناظرة التاريخية الحاصلة في أمرتسر بين القسيس الدكتور «هنري كلارك» وبين حضرته عليه السلام ونبه عامة المسلمين إلى فعلة المشائخ هذه وقال:

«لقد وصلتني رسالة مجملة من أمرتسار تفيد بأن بعض المشائخ الكرام يرددون: لو كان النقاش حول حياة ووفاة المسيح قد حصل في هذه المناظرة لكنا أيدنا الدكتور كلارك المحترم.

ها إني أدعو الشيخ (أي الشيخ المولوي محمد حسين البطالوي من علماء أهل الحديث) وزملاءه بل وأناشدهم بالله أن يجربوا حظهم في هذا الشأن». (إظهار حقيقة، ص ٧٤).

فسيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام هو البطل الذي قام بهذا النضال التاريخي ضد المسيحيين، وشن هجماتٍ متكررة على العقائد الصليبية. أما هؤلاء المشائخ الذين يفتون اليوم بقتلنا ويرموننا كذبا وزورا بمعاملة الإنجليز وتأييدهم، فكان سلوكهم عندئذ كالخائن الغادر الذي يطعن في الظهر. فكانوا بكل شدة وقوة يعلنون بحياة المسيح الناصري عليه السلام، ويبيحون قتل سيدنا المهدي عليه الصلاة والسلام، وأعلنوا بكل فخر وتباه بأنهم قد أشعلوا نار الكراهية والعداء ضده من أقصى الهند إلى أقصاها، بل لقد تمكنوا من خلق جو مليءٍ بالكراهية والبغض ضده في مكة المكرمة، بل في كل الجزيرة العربية لأنه يعلن بوفاة المسيح.

فإعلان حضرته عن موت عيسى بن مريم عليه السلام هو السبب وراء اشتعال نيران الكراهية ضده في القارة الهندية. فمن ذالذي قام لتأييد الإنجليز؟ هل الذي قال بحياة إله الإنجليز المزعوم أم الذي أعلن بموته؟ كيف نندب على هذه العقول التي لا تفهم هذا الأمر البسيط!!

يقول سيدنا المهدي والمسيح عليه السلام:

«عندما تجاوز تكذيب القساوسة للإسلام كل الحدود بعثني الله تعالى لإقامة الحجة المحمدية. فأين القساوسة الذين يجرؤون على مبارزتي. إنني لم آت بدون موسم بل جئت حينما ديس الإسلام تحت أقدام النصارى. إئتوني اليوم بقسيس يزعم بأن سيدنا المصطفى ليس له أية نبوءات صادقة. تذكروا أن زمن هذه الأقوال قد ذهب بمجيئي. أما الآن فيريد الله تعالى أن يظهر للعالم أن النبي العربي محمداً ﷺ الذي سُبَّ وأهين اسمه، والذي ألف ونشر القساوسة في تكذيبه مئات الآلاف من الكتب هو الصادق وسيد الأصدقاء» (حقيقة الوحي ص ٢٧٣، ٢٧٤).

ثم يقول عليه السلام:

«فنعم ما حصل ومات إله النصارى. إنه ليس بأقل من حربةٍ ذلك الدليل الذي هاجمت به وبعون الله تعالى وبصفة المسيح ابن مريم على هؤلاء الدجالين الذين أوتوا من الطيبات فخلطوا بها الخبيثات وفعلوا ما يفعل الدجال» (إزالة الأوهام ص ٣٦١ و٣٦٢).

والفضل ما شهدت به الأعداء

هذه هي الكلمات التي أعلن فيها سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بأنه قد قام بكسر الصليب. تعالوا ننظر الآن ما إذا كان أعداؤه أيضا يعتبرونه عليه السلام موفقا في كسر الصليب وقصم ظهر النصرانية بإعلانه عن موت طبيعي لسيدنا المسيح الناصري عليه السلام أم لا.

قبل أي شيءٍ أقرأ على أسماعكم ما كتبهم شيخ من أشد معاندي الأحمدية وهو من جيل كان أكثر ميلا للحق من هذا، فكانوا يعترفون بالحق ولو كان مرا. وهذا العالم هو المولوي نور محمد النقشبندي والتشتي صاحب مطبعة أصح المطابع بدهلي، الهند. يقول الشيخ النقشبندي:

«في تلك الأيام قدم إلى الهند القسيس ليفراي من إنجلترا، مصطحبا مجموعة كبيرة من القساوسة وحالفًا بتنصير الهند كلها في أيام قليلة. وبفضل أموال طائلة ووعود متكررة مؤكدة من الإنجليز بالمساعدة المالية أحدث زلزالا في كل أنحاء الهند».

لاحظوا هذه هي المصالح الإنجليزية. لا ندري كم من الملايين أنفقوا في تلك الأيام على بعث هذا البطل النصراني إلى القارة الهندية، الذي نال من النجاح ما يعتبره المشائخ المسلمون أنفسهم زلزالا عنيفا في بلادهم. ويستمر المؤلف قائلا:

«لقد وجد القسيس في عقيدة حياة المسيح عيسى عليه السلام في السماء بجسده المادي وفي كون غيره من الأنبياء الكرام أمواتًا مدفونين تحت الأرض سلاحًا ماضيًا على عامة الناس. فقام الشيخ

غلام أحمد القادياني للتصدي لهذه الجماعة وقال: «إن عيسى الذي تتكلمون عنه قد مات ودُفن كغيره من البشر. أما عيسى الذي وُعد بمجيئه فهو أنا. فصدقوني إن كنتم من السعداء». وبهذه الحيلة ضيق الخناق على القسيس ليفراي وجماعته حتى صعب عليه التخلص من يده. وأنزل بها هزيمة نكراء بكل القساوسة من الهند إلى أنجلترا» (مقدمة الترجمة القرآنية للمولوي محمد أشرف التهانوي، مطبعة أصح المطابع، دلهي الهند ص ٣٠).

هل هذه هي مصلحة الإنجليز التي حافظت عليها الأحمدية؟ وإذا كانت الأحمدية تدافع عن هذه «المصلحة» فلم لا تساعدونها في هذه العملية؟ فإنها ليست مصلحة الإنجليز ولا مصلحة النصرانية، وإنما هي مصلحة سيدنا المصطفى محمد ﷺ ومصلحة دينه الإسلام.

العجيب كيف أن المشائخ في أيامنا هذه لا يقدرون على تفهم هذا الأمر البسيط، وقد فهمه بالأمس حتى الهندوس. لقد كانوا أذكى من المشائخ فأدركوا حقيقة الأحمدية والأهداف من تأسيسها. أقدم لكم مقتبسًا مما كتبته إحدى الجرائد الهندوسية يحذر فيه محررها الهندوس من الأحمديين وينبههم بألا يستهينوا بأمرهم. كان ذكيًا فكتب في ضوء إنجازات الأحمدية وردود فعل المسيحيين إزاءها ما يلي:

«إذا رجعتم إلى ثلاثة أو أربعة عقود من الماضي حين كانت هذه الجماعة في حالتها البدائية وجدتم الهندوس والمسلمين على السواء ينظرون إليها نظر الازدراء والتحقير... ولكن الأيام أكدت على حمق وجهل المستهزئين بها. أما المبشرون النصارى فكانوا من الذكاء بمكان، حيث قاموا لتصدي الأحمديين بمجرد أن وطأت أقدامهم أراضي أوربا وأمريكا». (جريدة تيج، دلهي، ٢٥ يوليو ١٩٢٧)

والآن تعالوا نر كيف وجد النصارى الأحمدية؛ هل وجدوها حركة هدامة للإسلام، كما يزعم ويروّج معارضونا، أم وجدوها على عكس ذلك، حركة تهدد كيان النصرانية؟ هلم نسمع هذه الحكاية من لسان علماء النصارى القدامى والعصريين:

في ١٩٦٩ شكلت الكنائس في سكندي نيفيا لجنة للبحث في كيفيه مواجهة الحركة الإسلامية الأحمدية، فقال أحد أعضائها (Mr BERTIL WEBERG)، في تقريرها:

«إن الاعتراضات التي تثيرها الحركة الأحمدية ضد ابنية المسيح لتشير بكل وضوح أنها (أي الأحمدية) تعد المسيحية أكبر عدو لها. إنها تحاول جاهدة للقضاء على «عالمية» الديانة المسيحية، ولاسترداد ما كان للإسلام من مجد وعظمة استمرت بعد وفاة نبيه (ﷺ) لقرن كامل، حين كان هذا الدين ينتشر في المناطق الواقعة حول المحيط الهادي انتشار الحريق في الغابات، كما توغل بعيدًا في القارة الأوربية. إن لهم دعاوي واسعة، ولن تنبئ عن مدى نجاحهم فيها إلا الأيام. بيد أن الجهود التبليغية التي بذلها أبناء هذه الحركة لتدل على أن دعاويهم مدعمة بقوة العمل. هذا هو الإسلام متجسدًا في العمل».

هذا رأي قسيس أوربي. إنه يرى أن القوة المدعمة للجماعة الإسلامية الأحمدية هي قوة العمل، وليست الإنجليز. لو كان هذا العالم المسيحي قد أوتي حظًا من المعرفة والفراسة الروحية لأدرك ورأى أن الأحمدية لا تعمل وتزدهر بقوة العمل وحدها، بل أيضا بقوة ودعم الإله القادر المطلق الذي بيده غرس غراس الأحمدية في قاديان. إنها الغراس الإلهي الذي لم يغرسه سوى الله سبحانه وتعالى، وليس بوسع أحد اجتثاثه. إن غارسه هو ربنا، وهو الذي كتب له البقاء والأمان والازدهار.

ويقول كاتب مسيحي آخر (Mr. Herbert Gotts Chalk):

«اليوم لا يستخدم الإسلام السيف لنشر عقائده، والحرب المقدسة إنما موجهة إلى القوى الاستعمارية فقط. ولكن الجماعة الإسلامية الأحمدية المسالمة مشغولة بالمهمات التبليغية في كل قطر من الكرة الأرضية قريبًا... إن هذه الجماعة تركز على بذل مساع جبارة لإدخال المسيحيين في دائرة الإسلام. لقد سبق أن أشرنا إلى ما نواجه من الصعاب في التبشير بين المسلمين، أما الآن فقد أصبحت المسيحية نفسها غرضًا لجهود تبليغية من قبل هذه الجماعة. إنها قد تمكنت بفضل إنشاء المراكز التبليغية في كل المدن الرئيسية قريبًا في أوربا وأمريكا وأفريقيا وآسيا وأستراليا من إحداث صدع ولو بسيط في العالم المسيحي. إنها تتمتع بنظام فعّال للدعاية كإلقاء المحاضرات ونشر الجرائد واستخدام الإذاعة». (WELT BEWE GENDE MATCH ISLAMS).

ويقول المستشرق الألماني البروفسور كيلر هال (KEELER HALL):

«أما الجماعة الاحمدية فهي مختلفة تماما (عن غيرها من المسلمين)، ويمكن أن نطلق عليها اسم «حركة تبليغية عصرية». إنها بحسب دعواها تعزم على نشر الهدى السماوي الأخير رسالة الإسلام في صورتها الحقيقية الأصلية في كل العالم من جديد.

إن الأحمدية هي الحركة الوحيدة غير العادية في كل العالم الإسلامي التي تعمل تحت نظام محكم لنشر الرسالة الإسلامية. إنها كالتبشير المسيحي تبعث الدعاة المؤهلين، وتنشئ المدارس، وتنشر الكتب والمجلات لنشر الإسلام وكسب الناس له».

كان القسيس الشهير د. كريمر الهولندي قد قام بجولة لبلاد الشرق البعيد، زار خلالها قاديان. وكتب بعد الجولة مقالاً ذكر

فيه انطباعاته عن نظام الجماعة وحماسها الشديد لنشر دعوة الإسلام. ولقد نشر هذا المقال في مجلة (MUSLIM WORLD)، في عدد إبريل ١٩٣١. يجب على أعداء الجماعة الذين يعدون أنفسهم اليوم من «أبطال الإسلام»، ويسموننا «خونة الإسلام» أن يقرأوا هذا المقال. لماذا يتعامون عما يقول هؤلاء القساوسة وأعداء الإسلام. يقول د. كريمر:

«تجد عامة المسلمين الهنود مغلوبين باليأس، ولكنك على عكس ذلك، سوف ترى في الجماعة الأحمدية آثار حياة جديدة بصورة ملفتة للنظر. إن أفرادها يركزون جل اهتمامهم على التبليغ، ويبذلون كل طاقاتهم لنشر رسالة الإسلام. لا يتدخلون في السياسة، بل يقولون: على الإنسان الطاعة والوفاء لكل حكومة يعيش في ظلها، بشرط أن تتيح له الحكومة الفرص والتسهيلات لنشر الإسلام. إنهم لا ينظرون إلى الإسلام باعتباره حزبًا دينيا أو سياسيا، وإنما يعتنقونه باعتباره حقيقة صرفة، ثم يسعون لنشره. ومن هذه الناحية تمتاز هذه الفئة بين مسلمي اليوم. ليس لها من هدف إلا رفع لواء الإسلام ونشره. تأثيرهم كبير جدًا مقارنة بعددهم. ولقد اتبع العديد من المثقفين أسلوب استدلالهم في الأمور الدينية، إذ يرون أنه لا بد لهم كمسلمين من الاعتراف بصحة وعقلانية المنطق الديني للأحمديين».

هذه انطباعات من عالم خارجي أجنبي، ذلك العالم الذي يدرك تماما ما يجري اليوم على ساحة الحروب الدينية، والذي يعرف عن الأحمدية وكذلك عن معارضيها من المشائخ المتعصبين الذين لا هم لهم إلا أن يتخذ كل واحد منهم مسجدًا مستقلا له ولو على مساحة شبر، ليقبع فيه في ظلمات نفسه غافلاً عن أحداث العالم الخارجي. دأبهم إساءة الظن ورمي جماعتنا بما لا أساس له من التهم المنكرة مثل أنها غراس الإنجليز!!

احتيال خطير للدجال

في أيام إنشاء المركز الإسلامي الأحمدي في هولندا نشرت جريدة (m. 66)، الكاثوليكية هذا الخبر وأبدت رأيها فينا. ولكن قبل أن أقرأ عليكم رأيها هذا أرى لزامًا عليَّ بيان السبب وراء نشر الخبر. في أيام تأسيس هذا المركز بدأ شخص يُدعى الدكتور هيوبن (Dr. HOUBEN)، بلصق تهم خطيرة بالجماعة، محذرًا العالم المسيحي بخطورتنا، وبين لهم كيف يمكن تحاشي هذا الخطر، فقال لهم: لا تولوهم أدنى اهتمام، فإن المسلمين أيضا لا يعتبرونهم منهم. اسألوهم: من أعطاكم حق تمثيل الإسلام. أما الإسلام نفسه فقد صار جسدًا بلا حياة ولا قوة، فلن تجدوا أدنى صعوبة في القضاء عليه.

هذا ما احتال به أحد الأوربيين، وها نحن نرى إخواننا المسلمين اليوم يلجأون إلى نفس الحيلة.

ولكن رغم هذه الدعاية الخطيرة اضطرت جريدة (m. 66)، الكاثوليكية لقول الحق. فردت على ادعاء الدكتور هيوبن من أن إله الإسلام قد صار قصة من الماضي، لأنه إله جابر قهار غشوم، (والعياذ بالله)، لا يرغب في قبوله عقول هذه الأيام، ومن أن الإسلام غير قادر على تقديم الأدلة العقلية على وجود الإله وبالتالي أصبح دينًا ميتًا. كتبت الجريدة ما يلي:

«إن قول البروفسور الدكتور هيومن بأن الإسلام يقدم إلهًا جابرًا قهارًا غشومًا، وأنه قد فقد قوة الإحياء والتجديد لقول عارٍ من الصحة، لأن الحركة الأحمدية نفسها تشكل دليلاً حاسما على قدرة الإسلام على الإحياء والتجديد، ولعل هذا ما جعل العلماء المسيحيين يخافون جانب هذه الحركة. فقبل فترة ردّد البروفسور (Dr. CAMPS)، أيضا نفس الكلمات وحذر المسلمين من هذه الجماعة.

إن الحركة الأحمدية صورة من صور الإسلام العديدة، تستحق بكل جدارة تمثيل الإسلام. لا شك أنها تعرضت لعداء شديد من المسلمين المعارضين لأفكارها، ولكنهم لا يملكون شيئا من الأدلة العلمية المقنعة، وإنما يملكون ذهنية كذهنية الكاثوليك الذين يسرعون إلى حمل سلاح التكفير ضد المعارضين لرأيهم ويهددونهم بإخراجهم من دائرة الدين».

هذا تحليل من جريدة كاثوليكية اضطرت لقول الحق، وعرَّضَتْ بمناهضي الأحمدية قائلة: إنكم مثلنا مصابون بمرض ضيق الصدر وضيق الفكر، وتكفرون كل معارض لرأيكم كما نفعل بمعارضينا من المسيحيين.

مؤامرة يحيكها المشائخ والقساوسة معًا

الواقع أن العالم المسيحي الدكتور هيوبن هو الذي ناول هذا السلاح إلى أيدي معارضينا من المسلمين بتلقينهم هذه الحيلة. فقد صرح في مقاله بهذا الأمر أيما صراحة، حيث كتب من ناحية أن الإسلام (والعياذ بالله) دين ميت. إنه يعتمد في نشره على السيف، وما دام استخدام السيف غير ممكن له اليوم فقد استحال انتشاره وازدهاره. ومن ناحية أخرى يوجه الطعن إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية ويحذر المسيحيين من خطورتها، ومن ناحية ثالثة يزعم أنها لا تستحق تمثيل الإسلام والدفاع عنه لأن العالم الإسلامي يرفض أفكارها. فيجب ألا نُولي بها أي اهتمام!!

وهذه الدعاية المنكرة تحولت أخيرًا إلى مؤامرة ضد الأحمدية حاكها المسيحيون بمساندة المشائخ المتعصبين، فقاد المشائخ بإيماء من المسيحيين حركات ومظاهرات ضدنا. وفي سنة ١٩٧٤ عندما نشبت الفتن الطائفية ضد الأحمدية في باكستان كشفت إحدى

الجرائد الهندية النقاب عن مؤامرة مماثلة حيث كتبت:

«قبل عشر سنوات نشرت جريدة «نئى دنيا» الدهلوية: بما أن المبلغين القاديانيين (أو الأحمديين حسب تسميتهم) لا يبرحون يكسرون شوكة المسيحية في أوربا وأفريقيا حتى عجز القساوسة عن مقاومتهم، لذلك نراهم (القساوسة) متورطين لحدٍ كبير في الحرب الطائفية الدائرة في باكستان. إن المبشرين المسيحيين ينوون إضعاف الفرقة القاديانية بأيدي المسلمين أنفسهم حتى لا تقوى على مقاومة القساوسة. إنهم يستخدمون لذلك كل حيلة بإنفاق أموال طائلة من حيث لا يفطن المسلمون إلى الذي يلغم أرضهم بالمؤامرات» (جريدة «نئى دنيا» (العالم الجديد) ٢٦ يونيو ١٩٧٤).

الغريب أن هذه الجماعة كلما تحقق إنجازًا هامًا في مجال الدعوة يقوم المسيحيون الباكستانيون بإثارة فتنة ضدهم وبأيدي أهل الإسلام أنفسهم» (جريدة «جديد أردو ربورتر» بومباي، ٢٠ ديسمبر ١٩٨٤، عدد ٢٢، مجلد ٥).

مطالبة غريبة من المسيحيين في باكستان

والآن أسوق لكم حادثًا يشكل دليلاً حاسمًا على صحة ما كتبت هذه الجريدة الهندية، ويبين كيف أن النصارى والباكستانيين منهم خاصة يشيدون بما تبذله الحكومة الباكستانية من جهود لتشويه سمعة الأحمدية وعرقلة طريقها. نشرت جريدة «إمروز» الباكستانية الخبر التالي:

«لقد كان السيد «بطرس جِل» رئيس الحزب القومي للمزارعين المسيحيين الباكستانيين، رفع في ٢ ديسمبر ١٩٨٣ إلى المحكمة العليا بلاهور قضية قال فيها:

نطالب الحكومة بحماية المسيحيين الباكستانيين من مؤامرات ونشاطات المرزائيين القاديانيين واللاهوريين. كما نطالب المحكمة بإجبار الحكومة على اعتبار جميع المرزائيين طائفة غير مرغوب فيها، وعلى مصادرة جميع ما لديهم من كتب ومنشورات، وإغلاق مراكزهم ومعابدهم كلها» (جريدة إمروز، لاهور، ٢٢ يونيو ١٩٨٤).

عجبًا! لم يكن النصارى بحاجة إلى رفع قضية إلى المحكمة لتجبر الحكومة على هذه الإجراءات، إذ أن مطالبهم هي رغبة الحكومة وقرارها، لأنها أيضا كانت تكن نوايا مماثلة. وبالفعل نفذت الحكومة رغبة الممثل المسيحي ضد الأحمدية، واتخذت القرار المنشود. ولما أصدرت القرار التاريخي رحب به المسيحيون الباكستانيون أيما ترحيب. فقد جاء في جريدة «جنغ» ما يلي:

«راولبندي، ٣٠ إبريل، لقد أشاد رئيس لجنة التوجيه والإصلاح المسيحي شودري سليم أختر بالقرار الذي اتخذه الرئيس الباكستاني مؤخرًا ضد المرزائيين، وقال: إن الرئيس الجنرال محمد ضياء الحق لم يكسب بهذا القرار الجريء قلوب الأمة المسلمة فحسب، بل أيضا قلوب الأقليات الباكستانية وصرح شودري سليم أختر في بيانه أن نشاطات هذه الفرقة التي غرسها الإنجليز لا تنافي تعليم الإسلام فحسب، بل أيضا تتنافى مع تعليم المسيحية، ولا تلحق الضرر بالإسلام فقط، بل أيضا تلحق بالمسيحية ضررا فادحًا».

أقول: هذه العبارة جديرة بأن يعيد قراءتها وبإمعان أولئك الذين يطلقون على الأحمدية تسمية غراس الإنجليز. إذا كان مسيحي آسيوي يستطيع أن يدرك جيدًا خطورة الأحمدية على النصرانية، أفلم تعلم الحكومة البريطانية المسيحية أنها تغرس غراسًا سوف يقضي على العالم المسيحي نفسه.

أما قوله بأن الأحمدية خطر على الإسلام فلا شك في بطلانه، إذ أن لإخوانه القساوسة الأوروبيين رأيًا معاكسًا، إذ يرون أن النشاطات التبليغية للأحمدية تهدد النصرانية وتضرها، وتنصر الإسلام وتقويه، وبفضل هذه النشاطات بدأ هذا الدين يظهر كقوة عظيمة. إنها خطر يهدد كيان النصرانية حتى في أوروبا وأفريقيا. فلا غرو أن هذا المسيحي إنما أراد بقوله هذا أن يتملق للحكومة الباكستانية وكسب رضاها. ويستمر الخبر ويقول:

«لقد طالب شودي سليم أختر الرئيس الباكستاني باعتبار منشورات المرزائيين مخالفة للقانون، وبمصادرتها وإحراقها وفرض الحظر على طبعها من جديد» (جريدة «جنغ»، ١ مايو ١٩٨٤).

هذا المسيحي يهنئ الرئيس الباكستاني على اتخاذ هذه الخطوات الحاسمة ضد الجماعة الأحمدية، أما أنا فأهنئ المسيحي على احترام الرئيس لرأيه. فها هو قد بدأ بتنفيذ رغبته بسرعة كبيرة. فهناك عمليات واسعة تجري لمصادرة المنشورات الأحمدية وإحراقها، وإجراءات واسعة للقبض على الأحمديين الذين يُعثر على المنشورات بحوزتهم، يقبضون عليهم ويزجونهم السجون. فالحكومة الباكستانية جاهدة في تنفيذ رغبة المسيحي، بل تعمل أكثر مما أراد، وهكذا تقدم بحسب زعمها خدمة جليلة للإسلام، وكذلك للمسيحية حسب اعتراف المسيحيين.

فلا شك أن تهمة كون الأحمديين غراسًا للإنجليز غرسوه للحفاظ على مصالحهم في الهند لتهمة صريحة البطلان. ذلك أن المحافظين الحقيقيين على مصالح الاستعمار إنما هم أولئك الذين يساعدون على نشر المسيحية وحفظ مصالحها، والذين ينوون القضاء على الأحمدية بترويج دعاية مسمومة كاذبة في العالم ويزعمون أنها غراس الإنجليز ونريد اجتثاثه. على المرء أن يعرف

الذين تم استغلالهم للحفاظ على مصالح النصرانية. إنهم أولئك القوم الذين رمونا بهذه التهمة أمس ولا يزالون يرموننا بها. هناك مَثَل بالأردية ومعناه: يسرق ويتهم الشرطيَّ. في بعض الأحيان يتهم السارق الشرطي بالسرقة فرارًا من العقاب. وكثيرًا من الأحيان يستولي الخادم على أموال السيد ويجبره على خدمته. وفي أحيان كثيرة تستولي على الحكم الجهات المسئولة عن حماية الوطن وأهله الذين أعطوها القوة وسدّوا جوعها، وتجعل أهل البلاد عبيدا لها. وهكذا يصبح الخادم سيدًا، والسيد خادمًا. هذا ما نراه يحدث في عالمنا الدنيوي في كل يوم تقريبًا. فلا غرابة إذا عُوملتْ الأحمدية بنفس المعاملة، واتُّهمت هذه الفئة المباركة التي أقامها الله تعالى للدفاع عن بيضة الإسلام بعداوته وخيانته من قبل هؤلاء الذين كانوا ولا يزالون بالفعل أداة طيعة في أيدي القوى المعادية للإسلام. وإذا كان أحد يتردد في تصديق قولي فليرجع إلى أقوال المشائخ ليتأكد في اعترافاتهم مما أقول. كما عليه أن يرجع إلى تقارير المحاكم لتدله على قوم استغلتهم القوى الاستعمارية بالأمس ولا تزال تستغلهم إلى اليوم.

خيانة الأحراريين

وعلى سبيل المثال فإن مجلس الأحرار، وهو مزيج غريب من فرقة الديوبنديين وفرقة أهل الحديث، كان أداة سهلة في أيدي أعداء الإسلام الذين استغلوها دائما ضد المسلمين وضد باكستان. في ١٩٣٥م هدم مسجد «شهيد غنج» بلاهور بأيدي الهندوس. فثار مئات الآلاف من المسلمين باذلين أرواحهم، معطرين بدمائهم الزكية شوارع لاهور. فقامت هذه الفئة الأحرارية، والمعركة لا تزال ساخنة، وانضمت إلى صفوف أسيادها الهندوس زعماء حزب الكونغرس الهندوسي (خصم «مسلم ليغ» الإسلامي)، منتهكةً بذلك كرامة المسلمين وقداسة المسجد، حيث باعت الفئة الأحرارية المسجد للحكام الإنجليز. ثم قالت وبكل جسارة ووقاحة في الجرائد: أي ضرر ببيع المسجد. نحن شعب عبيد فلا بأس إذا لم تكن مساجدنا حرة. دعوهم يطعون المسجد للسيخ مثلاً، سوف يردونه لنا بعد هدمه. كل هذه البيانات لا تزال محفوظة على صفحات الجرائد. كذلك لا تزال بيانات الهندوس أيضا مسجلة، تلك البيانات التي شكروا فيها الأحراريين على الدفاع عن مصالحهم. فقد نشرت جريدة «بندي ماترم» الهندوسية قول أحد الزعماء الهندوس:

«إنني مسرور جدًا بما فعله «مجلس الأحرار»، وأهنئهم على ذلك، حيث اصطدموا بكل جرأة وثبات حتى بإخوانهم في الدين، دفاعًا عن مصالح الشعب والوطن. إنها لتضحية كبرى أداها أصدقاؤنا الأحراريون، وتوجب على الشعب شكرهم». (جريدة «بندي ما ترم» الهندوسية، ١٣ أكتوبر ١٩٣٥).

كانوا إلى الأمس القريب يستحقون شكر الهندوس، تعالوا نر هل استحقوه بعد تأسيس باكستان.

كان من دأب المودودي القول: لا شك أننا عارضنا بكل شدة فكرة تأسيس دولة باكستان قبل تقسيم الهند، ولكنا قبلناها بعد التقسيم. لقد تبنا الآن. فلا تؤاخذونا على أخطائنا التي صدرت منا في الماضي.

ولكن الواقع أنه لا الأحراريون ولا المودوديون تائبون، وإنما لا ينفكون إلى الآن أعداء لباكستان كما كانوا بالأمس. إن تقرير اللجنة المتكونة برئاسة القاضي منير للتحقيق في فتن طائفية في بنجاب سنة ١٩٥٣ يؤكد مرارًا، وبكل أسف، على أن الأحراريين والمودوديين لم يرضوا بباكسان بالأمس كما لا يرضون بها اليوم، بل لا يزال موقفهم المعادي لها كما هو. يقول القضاة الكرام:

«لا نجد كلمات لينة لبيان موقف الأحراريين. إن سلوكهم منكر ومشين للغاية. ذلك أنهم اتخذوا من قضية دينية سلمًا لنيل منافع دنيوية، وهكذا انتهكوا قداسة هذه القضية الدينية» (Munir Report، تقرير لجنة التحقيق في فتنْ ١٩٣٥، ص ٢٧٨).

لقد اعترف المولوي محمد علي الجالندهري الأحراري في خطاب له بلاهور يوم ١٥ فبراير ١٩٥٣ بمعارضة الأرحراريين لفكرة تأسيس باكستان. لقد دأب هذا الخطيب قبل وبعد تأسيس الدولة الباكستانية على استخدام كلمة «بليد ستان» (أرض الخبثاء) بدل «باكستان» (أرض الأطهار). أما السيد عطاء الله شاه البخاري الأحراري فقال في خطابه: إن باكستان بالنسبة لنا كامرأة مومسة رضينا بها مضطرين» (المرجع السابق).

هذا هو الماضي الأسود لقوم يرموننا اليوم بعمالة القوى الأجنبية. لقد استولوا اليوم على جيش هذا البلد الإسلامي العظيم. فأصبح طوع إشارتهم. كانوا أعداء لباكستان بالأمس وأول الأمس ولا يزالون يعادونها. نعم، إنهم قوم اعتبروها كمومسة ولا ينفكون يعاملونها كما تعامل المومسات.

برودة الأحراريين تجاه مصالح المسلمين

أما مصالح العالم الإسلامي فلم يبدوا فيها أية رغبة، ولم يفكروا أبدًا ما إذا كانت أفكارهم وأعمالهم تقضي عليها أم لا. ما كان في قلوبهم أدنى رحمة لعالم الإسلام. لقد أكد على ذلك قضاة المحكمة. ولقد وجهوا إلى المشائخ الأحراريين سؤالا له ثقله. قالوا لهم: بعد أن وجدتم الحماية والأمان في ظل الدولة الباكستانية التي رضيتم بها رغم أنفكم، بدأتم تقولون: لا مكان هنا للأقليات

غير المسلمة، وتريدون حرمانها من الحقوق الإنسانية الأساسية. لقد كتبوا:

«هناك سؤال هام: ماذا يكون وضع غير المسلمين في باكستان عند تطبيق الدستور الإسلامي فيها. لقد أجاب على السؤال بعض المشائخ الكبار قائلين: إنهم سوف يعيشون في ظل الدولة الإسلامية الباكستانية كأهل الذمة مواطنين من الدرجة الثانية. لن تكون لهم حقوق كحقوق المسلمين. ولن يكون لهم رأي في سنّ القوانين ولا في تنفيذها، كما لن يتقلدوا أية مناصب في إدارة الحكومة. وتشدد المولوي حامد البديواني فقال: لن نقبلهم كمواطنين عاديين ولا ذمّيين ولا مُعاهدين» (المرجع السابق ص ٢٢٩).

فسألهم القضاة الكرام: ما رأيكم في الحكومة الهندية إذا عاملت بنفس الأسلوب الأقلية المسلمة المسكينة العائشة في ظلها، وطبقت عليهم شريعة «منوجي» الهندوسية؟ هل ترونها محقةً في ذلك؟؟ فردّ المولوي محمد أحمد القادري رئيس «جمعية علماء باكستان» بما يلي:

«نعم من حق الهندوس الذين يشكلون الأكثرية في الهند أن يقيموا هناك دولة هندوسية ويطبقوا على المسلمين المقيمين فيها الشريعة الهندوسية، ويعاملوهم بالسوء كما يعاملون الشوادر منهم (الشوادر هم المنبوذون المنتمون إلى أحد الطبقات الأربع في الدين الهندوسي). ولا اعتراض عندي على ذلك» (المرجع السابق).

ومعنى ذلك أنه حينما يتعرض المسلمون لقتل عام في الهند أو لمجزرة وحشية في فلسطين، أو لاضطهادات قاسية في بلد آخر، فلا يشعر هؤلاء المشائخ المنتمون إلى الإسلام على ذلك أي ألم، فضلاً عن أن يعبروا عن حزنهم تعبيرًا عمليًا. وكأنهم في غنى عما يصب على المسلمين في الهند أو في أي قطر من العالم من مظالم. والسبب واضح؛ فما دمنا سوف نعامل الأقليات غير المسلمة في باكستان بالقسوة والازدراء، فغير المسلمين أحق باضطهاد الأقلية المسلمة في بلدهم. كل واحد منا حر. سوف نضطهد هنا غيرنا، وللهنادك أن يعاملوا المسلمين المساكين عندهم بالمثل. ولا بأس بذلك. يا للعجب!!!

وكان ردّ السيد المودودي على نفس السؤال كالآتي:

طبعًا، لن أعترض أبدًا على الحكومة الهندية إذا عاملت المسلمين الهنود كما تعامل «الشودر» عندها، وحرمتهم من الحقوق الأساسية والمناصب الحكومية، تطبيقًا لشريعة «منوجي» الهندوسية» (المرجع السابق ص ٢٤٥).

أما السيد عطاء الله شاه البخاري الأحراري فكان أحضر معه في المحكمة أرقامًا بتعداد المسلمين العائشين تحت ظل دول غير مسلمة وقدمها للقضاة. فقالوا له: يمكن أن تقدر حجم الاضطهاد الذي سوف يواجهه، لا قدر الله، هذا العدد الضخم من المسلمين على أيدي غيرهم، نتيجة لسلوكهم المُزري تجاه الأقليات غير المسلمة في ظل دولة إسلامية. ولكن السيد البخاري لم يكن متهمًا بمصير هؤلاء المسلمين المساكين، فرد على السؤال قائلا:

«يجب على هؤلاء المسلمين البالغ عددهم نحو ٦٤٠ مليونًا أن يقرروا مصيرهم بأنفسهم» (المرجع السابق ص ٣٢٣).

وكأنه يقول: لا يهمنا مصيرهم، إننا أُمرنا بسلب حقوق غيرنا، وسوف نسلبهم إياها، ولو أدى ذلك إلى تعرض ملايين المسلمين في دول غير مسلمة للإساءة والاضطهاد.

وهنا يتساءل المرء: من الذي يعمل للقوى الأجنبية والاستعمارية؛ هل نحن معشر المسلمين الأحمديين، الذين دائما وأبدًا وُجدوا في مقدمة صفوف المدافعين عن العالم الإسلامي كلما هُدد كيانه وخِيف على مصالحه، والذين يتألمون أكثر من أي أحد إذا تعرض المسلمون للاضطهاد والمظالم في أية منطقة من العالم، أم يخدم الاستعمار هؤلاء المشائخ الذين لا يؤلمهم أن يصير المسلمون الهنود، وهم ضعف سكان باكستان، هدفًا لاضطهاد الحكومة الهندوسية، بسبب تطبيق الشريعة الهندوسية عليهم. لا تثور غيرتهم الدينية، ولا تنفطر قلوبهم، ولا ترتد أفئدتهم، وكأنه لم يحدث شيء إذا اعتُدِيَ على أمة المصطفى ﷺ في بلد ما، وأُسيئت معاملته تطبيقًا للشريعة الهندوسية!!

بعض التعاليم الهندوسية الخطيرة

استمعوا الآن إلى بعض التعاليم الهندوسية التي لا يرى السادة المشائخ كالمودودي وعطاء الله شاه البخاري وحامد البديواني بأسًا في تطبيقها على مسلمي الهند. جاء في «فيدا منوجي» الهندوسية:

«إذا زنى البرهمن (وهو الذي ينتمي إلى أعلى الطبقات الأربع في الديانة الهندوسية) بنت رذيل (وهو المنتمي إلى أحط الطبقات فيها، أو الذي ليس هندوسيا) فلا ذنب ولا عقاب على البرهمن».

المعنى واضح صريح: إذا اغتصب البرهمن امرأة من أحط الطبقات الهندوسية فلا يجوز عقابه. والآن إذا قمنا بتحليل بيانات السادة المشائخ المودودي والبخاري والبديواني توصلنا إلى النتيجة التالية: إذا تعرضت نساء المسلمين الهنود للاغتصاب بأيدي الهنادك فلا ضير في ذلك في رأي المشائخ، لن تثور غيرتهم، ولن تبكي عيونهم دمعًا، دعك من دم. يا أسفي على هؤلاء المشائخ المتجردين من أية غيرة على انتهاك حرمة أمهات وأخوات وبنات أمة المصطفى ﷺ؛ إنما تثور ثائرتهم الدينية وغيرتهم الإسلامية لإزهاق أرواح المسلمين الأحمديين الأبرياء ونهب أموالهم وهتك أعراضهم.

ونستمر شريعة «منوجي» الهندوسية وتقول:

«يجب أن لا يُقتل برهمن مهما بلغت شناعة جريمته، فقتله أكبر المعاصي. ويجوز لبرهمن أن يتزوج امرأة من طبقة منحطة، كما يجوز له التصرف في أموالهم وذهبهم وفضتهم وكل شيء نفيس لديهم. ولكن إذا تجرأ أحد من الطبقة المنحطة على ارتكاب هذه الأفعال ضد الطبقات العليا فيجب أن يُكوى على لوح حديدي ساخن حتى الموت. وإذا استمع الشودر من فم برهمن شيئا من فيدا (كتاب الهندوس المقدس) فعقابه أن يُصب في أذنه رصاص مغلي أو شمعة مغلية» (الفيدا، منوجي بوران، فقرة: ٣٨٠).

يبدو أن الشريعة التي يريد المشائخ تطبيقها في هذه الأيام في باكستان هي ليست شريعة القرآن وإنما هي شريعة الهندوس. ذلك أن تعاليم القرآن هي ذات جمال بارع وحكمة بالغة، تؤكد على شرف واحترام الإنسانية، وتُعلم المساواة والرأفة والرحمة، وتنهى عن حرمان البشر من حقوقهم الأساسية. فلا شك أنهم استقوا «مبادءهم» من شريعة منوجي الهندوسية، ويريدون تطبيقها على المسلمين الباكستانيين وكذلك على المسلمين الهنود.

وورد في الفيدا:

«إذا قام برهمن سواء بنفسه أو بمساعدة أحد، بسرق شيئ يحتاجه من بيت الويش والشودر، فعلى الملك ألا يخرج لنصر الشودر، لأن نجاة الشودر إنما هي في خدمة البرهمن، ولن يجديه شيئا غيره من الأعمال. لا يجوز لأهل الطبقة المنحطة جمع الأموال كي لا يصبحوا أثرياء يحكمون الطبقات العليا» (منو سنتا أدهيائي).

ألم يتضح لكم إلى الآن من هم عملاء النصارى، ومن هم عملاء الهندوس، ومن هم عملاء القوى الاستعمارية! هل هم غير هذه الطائفة من المشائخ الذين لا يؤلمهم انتهاك حرمات المسلمات بأيدي أعداء الإسلام. وهل هم سوى هؤلاء الذين لم يرتدعوا، عن إطلاق النار على الفلسطينيين الأبرياء. وهل هم إلا هؤلاء الذين دائما وأبدا ساندوا النصارى ضد الإسلام بعقائدهم السخيفة ومحاولاتهم الفاشلة منذ قرون لأن يثبتوا حياة المسيح الناصري عليه السلام.

أما اتهامهم جماعتنا بعمالة الإنجيز فلن يستطيعوا إثباته أبدا. إن هذه الجماعة قد راهنت بكل ما تملك من غال ورخيص لاسترداد عظمة الإسلام وحمل راية المصطفى ﷺ عالية خفاقة. إنها لم تتردد أبدا في بذل أية تضحية في سبيل هذا الهدف النبيل. وبينما ترون هؤلاء المشائخ لا يتألمون حتى لتعرض إخوانهم المسلمين الذين لا يتشككون في إسلامهم للاضطهاد الشديد، تجدون على النقيض سيدنا المهدي والمسيح عليه السلام حنونًا عطوفًا حتى على ألد أعدائه من أمثال هؤلاء المشائخ المسلمين الذين لا تمل ألسنتهم من سبه عليه السلام، يقول حضرته في بيت شعر بالفارسية:

أى دل تو نيز (حاطرِ ايان نكَاه دار) خاطر ايشان نگاه دار)
كاخر كنند دعوئ حبِ بيمبرم

مما لا شك أن هؤلاء يسبونني ويفتون بتكفيري وارتدادي، ويبيحون عرضي ومالي، ويهدرون دمي، ولكن لا تدع عليهم يا قلبي، لأنهم يدّعون بحب سيدي ومولاي محمد ﷺ. مهما كانوا ضعفاء الإيمان مخطئين في سلوكهم كاذبين في دعوى حبهم لسيدي، فلا تدع عليهم أبدا لأجل حبيبي المصطفى ﷺ.

أليس غريبًا ومدهشًا أن تُعتبر هذه الشخصية العطوفة الحنونة على المسلمين وكذلك أتباعُها «خونة للإسلام»، والعياذ بالله، وأن تلقب هذه الفئة من المشائخ المدعين بحب الإسلام وبالدفاع عنه في مقدمة المجاهدين الأبطال بألقاب «حماة الإسلام». ما هي إنجازاتهم الإسلامية التي حققوها في الدفاع عنه، والتي سوف يقدمونها إلى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

الأحمدية عند العلماء المنصفين

إن الموقف كان مختلفا إلى حد ما بالأمس حينما كان لدى العلماء والمشائخ المسلمين جرأة لقول الحق، حتى أن المولوي محمد حسين البطالوي (أشد المشائخ عداء لسيدنا المهدي عليه السلام) أيضا اضطر للقول بأن العالم لم ير في الأربعة عشر قرنا الماضية بطلا دافع عن حوزة الإسلام كمثل المرزا غلام أحمد القادياني.

يمكن أن يعترض أحد هنا ويقول:

«هذا القول قاله المولوي البطالوي قبل ادعاء المرزا غلام أحمد بكونه المهدي والمسيح الموعود. وأرد على هذا الاعتراض بأن ما قرأته عليكم قبل برهة من أقوال المولوي نور محمد النقشبندي فلم يكن قبل دعواه عليه السلام، وإنما كان بعده. وثمة قول آخر لأحد العلماء المشهورين في الدين والسياسة السيد المولوي أبو الكلام آزاد. يقول المولوي آزاد وهو يبين أهداف سيدنا المهدي عليه السلام ومدى نجاحه في تحقيقها:

«.... إن الأجيال المسلمة سوف تظل تنظر بالإعجاب والامتنان إلى تلك الخدمة الجليلة التي قدمها حضرة المرزا للإسلام حيث أدى فريضة الدفاع عنه متصدرا صفوف المدافعين عنه بالقلم. لقد خلف كتابات سوف تظل حية مشرقة ما جرت في عروق المسلمين دماء الغيرة على الإسلام، وما دامت حماية الإسلام شعارًا قوميا لهم (جريدة «وكيل» أمرتسار، يونيو ١٩٠٨، وجريدة «الملة»، لاهور، ٧ يناير ١٩١١).

ها إني أنبه أنظار مسلمي باكستان خاصة والعالم عامة إلى ما قاله هذا الزعيم المسلم العظيم. أذكرهم بحسن ظنه بهم، وقوله لهم: «إنكم مضطرون للاعتراف بخدمات إسلامية بطولية قام بها سيدنا المهدي والمسيح عليه السلام، ما دامت دماء الحمية الإسلامية تجري في عروقكم وما دامت حماية الإسلام شعاراً قوميا لكم. إن ألسنتكم لن تجد بداً من الإقرار بأن النضال البطولي ضد تيار التبشير المسيحي إنما كان من نصيب المرزا غلام أحمد القادياني. كان من المناضلين الإسلاميين الأبطال الذين لم يكتفوا بالدفاع عن الإسلام بل تقدموا وشنوا على أعدائه غارات هجومية. أين حميتكم الإسلامية: إنني أسأل إخواني المسلمين، ولكل أحمدي حق لتوجيه هذا السؤال إليهم: أين ذهبت هذه الدماء الثائرة غيرة على الإسلام؟ أين غابت حميتكم الإسلامية؟ لماذا تقولون كلاما لا أساس له. كيف ساغ لكم رمي هذا البطل العظيم ضد المسيحية بأنه غراس للإنجليز وأن المسيحية هي التي ربته! هل فكرتم ما الذي امتص منكم دماء الغيرة الدينية. تسمعون قصص الخفافيش التي تثبت أسنانها في رقاب النائمين وتمتص دمائهم من شرايينهم. هل فكرتم في الخفافيش القاتلة التي ثبتت أسنانها في قلوبكم وبدأت تمتص منكم دماء الغيرة الإسلامية من حيث لا تشعرون. والله لو كان دم الحمية الدينية فعلا جاريا في عروقكم لفعلتم ما فعل المولوي آزاد، وظللتم تسلمون على المرزا غلام أحمد المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بدلا من اللعن عليه، وما زلتم تشيدون بنضال هذا البطل العظيم. إنه قام برفع لواء الإسلام بتضحية نفسه وعرضه وماله وآبائه وأولاده. إنه قام وعاش ومات بأمنية واحدة فقط بأن تمحى التعاليم النصرانية الباطلة للأبد، فلا تبقى إلا شريعة واحدة شريعة سيده ومولاه المصطفى ﷺ، وكتاب واحد كتاب سيده ومولاه المصطفى ﷺ، ورسول واحد هو سيده ومولاه محمد العربي ﷺ.

واعجباه، تعتبرون هذا البطل العظيم أكبر عدو للإسلام. إنكم يا معشر المشائخ، أنتم الذين تمتصون دماء الحمية الإسلامية من شرايين أهل الإسلام، ثم تتظاهرون للعالم أنكم أبطاله العظام. والله، لن نترك خديعتكم هذه تنطلي على العالم، بل سوف نكشف له من هو الخائن اللعين للإسلام ومن هو بطله العظيم.

(١) مجلس الأحرار أو الأحراريون فئة من المشائخ وأتباعهم المتعصبين الذين هم أعداء ألداء للجماعة الإسلامية الأحمدية. كانوا عارضوا فكرة تأسيس باكستان، وانضموا، بإغراء من الهندوس إلى حزب الكنغرس الهندوسي المعارض لتأسيس باكستان كدولة مستقلة للمسلمين. كانوا يسمون القائد الأعظم محمد علي جناح مؤسس باكستان (الكافر الأعظم) وهو الذي ترأس حزب «مسلم ليغ» الذي اجتمع تحت لوائه باقي المسلمين الهنود لتأسيس دولة باكستان.

حلم السلام، بقية

بين شمال وجنوب، وإنما تضع مفهوم العدالة ورب العدالة جل وعلا نصب عينها. وبانتهاج هذه العدالة.. لو أنهم حاولوا حل المنازعات العالمية.. فإني أؤكد لكم أن الدنيا عندئذ تفوز بالسلام. ولكن لا يمكن التوصل إلى هذا السلام إلا عن طريق اليد الودودة الحانية.. يد سيدنا محمد المصطفى ﷺ رسول الله تعالى، لأنه النبي الوحيد الذي أعلن الله تعالى أنه المبعوث [رحمة للعالمين]. فالذي بعثه الله جل وعلا رحمة للعالمين.. لكل أمم الأرض.. ولكل العوالم.. إذا لم تسألوه، وإذا لم تنتفعوا منه.. فكيف يتأتى لكم أن تنالوا السلام العالمي؟! يجب على الجماعة الإسلامية الأحمدية أن تشرع في الجهاد العالمي عسى الله تعالى أن يكون معنا! آمين!

الافتتاحية، بقية

الذي سوف يتكبد أكبر الخسائر، ولكن الدول المتقدمة أيضا لن تكون في مأمن من هذه الأضرار.

وصرح حضرته: إنه يقدم وجهة نظره هذه تجاه هذه القضية بناء على مبادئ العدل الكامل والإنصاف الشامل بدون التأثير من أية نظريات ضيقة مبنية على الجنس أو اللون أو القومية أو الدين.

ولقد ناشد حضرته الرئيس العراقي صدام حسين أن يقبل كل حل معقول يطرح له وبالتالي يحمي البشرية من الكارثة.

كما ناشد حضرته كافة المسلين في العالم وخاصة أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية بالتوجه إلى الله والابتهال أمامه ليزيل عز وجل سحب الحرب المروعة من فوقهم ويسود الدنيا الأمن والسلام.

إعداد: رشيد احمد شودرى سكرتير الإعلام بالجماعة

اخبار الجماعة

استشهاد مسلم أحمدي في جنوب الهند

الاسم: السيد، مبشر أحمد ناجاند.

الموطن: ديودارج، قسم لينشور، ناتك، الهند.

مكان الاستشهاد: قرية تيمابور، قسم جلبرجا. وتبعد القرية ٣٠ ميلا من يادجير (دكانا). دكن

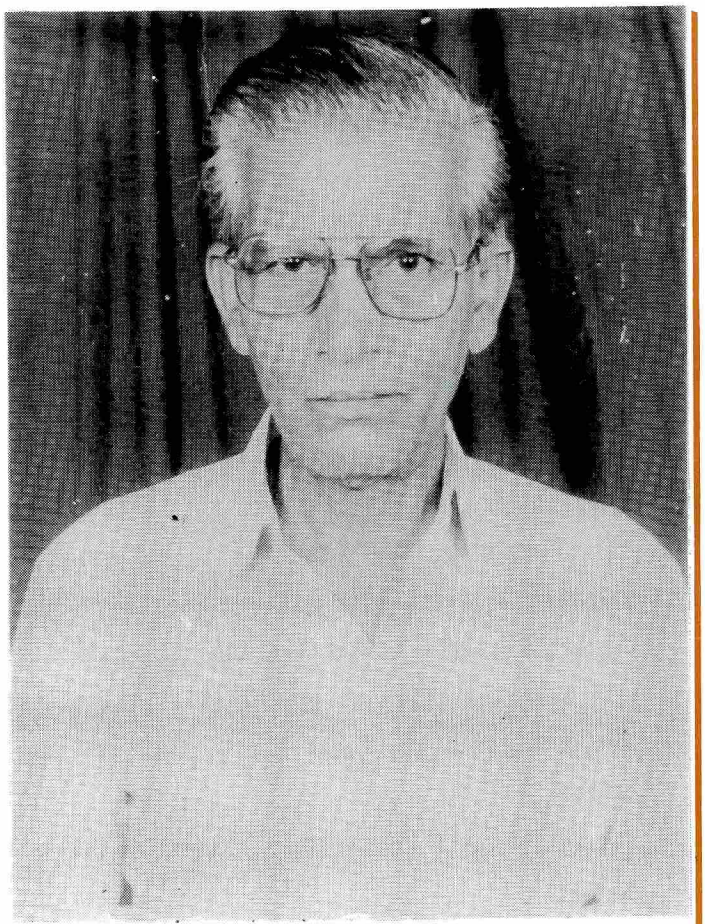
وقت الشهادة: ٢٩، ٩، ١٩٩٠.

تفصيل الحادثة: توفيت سيدة أحمدية من جماعة تيمابور، فذهب عدد من أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية إلى مسجد مكة، وهو مسجد في القرية لغير الأحمديين، ليستعيروا صندوقا خاصا بنقل جثث الموتى إلى المقابر. ومع أن الأحمديين أعضاء قدامى في المجتمع المحلي، ولهم الحق منذ عشرات السنين في استخدام الصندوق المعد لذلك.. إلا أن القوم رفضوا لأن المتوفاة أحمدية. لجأ المسلمون الأحمديون إلى الشرطة كي يتوسطوا في الأمر، ووافق المسئولون بالمسجد على إعارة الصندوق لهم.

عندما وصل المسلمون الأحمديون إلى المسجد برفقة رجال الشرطة لتسلم الصندوق هاجمتهم عصابة يتراوح عدد أفرادها بين ٢٠٠ أو ٣٠٠ مسلحين بالحجارة والعصى. أسفر الهجوم عن مصرع السيد مبشر أجمد ناجاند في مكان العدوان، وإصابة ستة آخرين من الأحمديين بجراح خطيرة.. من بينهم السيد بشارة نجل الفقيد. وقفت الشرطة عاجزة لقلة عددهم عن التدخل لحماية أو إنقاذ الأحمديين.

الواقع أنه منذ أن أعلن إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، سيدنا مرزا طاهر أحمد، تحدي المباهلة المعروف يوم ١٠، ٦، ١٩٨٩م والمعارضة ضد الجماعة في ازدياد. لقد أصيب أعداء الجماعة بنيران الغيرة بسبب ما حققه الله تعالى للجماعة من نجاحات في عام يوبيلها المئوي، وتربصوا يلتمسون أي عذر لخلق المشاكل للجماعة الإسلامية الأحمدية.

والشهيد العزيز، السيد مبشر أحمد ناجاند من مواليد ٦، ١٠، ١٩٣٠م، وكان مهندس كهرباء بإدارة الكهرباء. وبعد تقاعده من الخدمة الحكومية كرس حياته لخدمة الإسلام. كان متحمسا للدعوة، وخرج مرات كثيرة في دورات تبليغية. ولقد خدم الجماعة في مجالات متنوعة، وانتخب رئيسا للجنة الاحتفال باليوبيل المئوي. استشهد في الستين من عمره، وترك وراءه أرملته وأربع بنات وثلاثة أولاد.



الشهيد مبشر أحمد ناجاند

رفعه الله تعالى إلى أعلى عليين، وأسكنه الفردوس الأعلى، وألهم أسرته وذويه الصبر والثبات، ووفقهم للاقتداء بسيرته.

رحم الله شهيدا أحمديًا في جنوب الهند!

ALTAQWA
ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE
Volume 3, Issue No 9, 10, January February 1991

وثيقة المبايعة

والانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم، وعلى عبده المسيح الموعود

حضرة إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، أيده الله بنصره العزيز
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد،

أتشرف أنا
بإحاطتكم علمًا بأني قد اطلعت على عقائد الجماعة الإسلامية الأحمدية وشروط الانضمام إليها، فشرح الله صدري، وحبّب إليّ الانضمام إلى هذه الجماعة المباركة، وأرجو منكم قبول مبايعتي هذه:
أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.
أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أنا الموقع على هذا، أبايع اليوم إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، مولانا مرزا طاهر أحمد، الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وأنضم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية.. وأتوب إلى الله من جميع ذنوبي السابقة.. وسوف أسعى جهد طاقتي لاجتناب الذنوب والمعاصي كلها.. ولن أشرك بربّي أحدا.. ولن أتبع الأهواء النفسانية.. لن أغتاب.. ولن أوذي أحدا من خلق الله. وسوف أوثر الدين على الدنيا.. وأجتهد في العمل بجميع أحكام الإسلام.. وسأسعى جاهدا لتعلم وتعليم وسماع القرآن المجيد، والسنة النبوية، وكتب حضرة المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. وسوف أطيعكم في كل ما تأمرونني به من المعروف.

كما أومن بأن سيدنا ونبينا محمدا ﷺ هو خاتَم النبيين. وأصدق بكل ما ادعى به الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام.

أستغفر الله ربي من كل ذنبٍ، وأتوب إليه.
أستغفر الله ربي من كل ذنبٍ، وأتوب إليه.
أستغفر الله ربي من كل ذنبٍ، وأتوب إليه.
ربِّ إني ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص



ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

المجلد الثالث، العدد ١١، ١٢، مارس، إبريل (آذار، نيسان) ١٩٩١

بسم الله الرحمٰن الرحيم

التقوى

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الإسلامية الاحمدية

مدير الإدارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد

دار النشر والتوزيع
الشركة الاسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

دار الطباعة
«الرقيم»
اسلام اباد ـ بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
جوامع الكلم	٥
كلام الإمام	٦
محاكمة مجرم بأيدي كبار المجرمين !!	٨
قصيدة	٢١
الجهاد في الإسلام وموقف الأحمدية	٢٢
«كذبات معاصرة»	٢٥
الصحوة الإسلامية والكارثة الإسلامية	٢٩
من الصحافة العالمية	٣١

ثمن النسخة : جنيه ونصف £1.5 والإشتراك السنوي £18 او ما يعادل ذلك خارج بريطانيا. ترسل قيمة الإشتراك باسم التقوى الى عنوان المجلة

الافتتاحية

قراءنا الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نهنئكم مع كافة المسلمين بشهر البركة وعيد الفطر المبارك. نقول لكم كل عام وأنتم بخير وقلوبنا مضرّجة بالدماء. فالجروح العميقة التي أصابت العالم الإسلامي من قبل أعدائه وبعض أبنائه لن تنقطع عن النزيف لعشرات السنين. لقد حل بنا ما كنا ندعو الله لإزالته ليل نهار. لقد دمر العراق ويدمر باسم تحرير الكويت بمؤامرة أعداء الإسلام وخيانة بعض أبنائه، الأعداء الذين هم أكبر مجرمي الإنسانية في أي عصر، الذين يرون أن القوة هي الحق وليس الحق هو القوة، والخَونة الذين لا ينظرون إلى أمور هذه الأمة المسكينة إلا بمنظار مصالحهم الشخصية.

أما وقد دمر العراق أو كاد فماذا عسى أن يفعله المسلمون وحكامهم في محنتهم هذه، أقول محنة الحكام لأنني متأكد أنهم أيضا يعلمون في قرارة نفوسهم أن أيامهم معدودة من قبل الدجال الغربي عدو الإسلام إذا لم يستجيبوا له على طول الخط، سواء لحسابهم أو على حسابهم، بغض النظر عن صالح الأمة المسلمة المقهورة.

الجواب على هذا السؤال الهام سوف تجده في خطب إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، ذلك الناصح الأمين للعالم الإسلامي بل للإنسانية جمعاء. لقد بدأنا منذ فترة نشر خطبه القيمة في مجلتكم العزيزة حتى تعرفوا وتعرِّفوا الآخرين بالحلول التي يقدمها حضرته في هذه المحنة العالمية الرهيبة، بناء على أسس إنسانية وفي ضوء تعاليم إسلامية، حتى تعيش الإنسانية بالعمل بها في حب وسلام ووئام.

والسلام.

[المحرر]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

في عالم التفسير

بقلم حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

الآية رقم: ١٥

[وإذا لقوا الذين ءَامنوا قالوا ءامنا وإذا خَلَوا إلى شيٰطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون*].

شرح الكلمات

خَلَوْا: خلا المكان: فرغ ورحل ساكنوه. خلا الرجل: انفرد في مكان. وخلا به وإليه ومعه: اجتمع معه في خلوة. خلا الشيء: مضى. يقال خلا فلان: مات.

شيٰطين: شَطَنَه: خالفه عن نيته ووجْهه، أبعده. شطنت الدار: بعدت. شطن الرجل: بعد عن الحق. الشطن: الجبل الطويل. فالشيطان من هذا الباب هو النائي عن الحق ويسعى لإبعاد غيره. وشاط الشيء: احترق. واشتاط غضبًا: إذا احتدّ في غضبه والْتَهَبَ. فالشيطان من هذا الباب من احترق بغضا وغضبا. وتطلق كلمة شيطان على الروح الشريرة الخبيثة، العاتي المتمرد من إنس أو جن أو دابة، شدة العطش وكل شدة مشابهة، الحية الصغيرة، كل ضارٍّ مؤذ أو يتوقع منه ذلك. وشاط: هلك، وفي الحديث: الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب. فقد سُمي راكب وراكبان بالشيطان لأنهما أكثر عرضة للهلاك على يد السارقين وقطاع الطرق.

مستهزءون: هزأ به واستهزأ به: سخر منه. هزئ الرجل: مات. والمستهزئ بالشيء المستخف به المنكر له. وأهزأه البردُ: قتله.

التفسير:

المراد من الشياطين في هذه الآية رؤساء الكفار والمنافقين الذين ابتعدوا عن الإسلام كبرا وصلافة، ونفروا عن الحضور عند رسول الله ﷺ. وكانوا لا يَدَعون أتباعهم ومن يلونهم من الناس ليتجهوا نحو الصراط المستقيم، فجعلوهم كما حكي القرآن على لسانهم: [ربنا إنا أطعنا سٰدتنا وكبراءنا فأضلُّونا السبيلا*] (سورة الأحزاب: ٦٨). فلا يصح أن يراد هنا بالشيطان إبليس. كما أن كلمة (شياطينهم) ليست سببًا لرؤساء اليهود والمسيحيين، لأن الشيطان، كما بيّنا في معاني الكلمة، هو المخالف عن الوجه والذي يعرض نفسه للأخطار. وثانيا قد خاطب النبي ﷺ أصحابه بقوله: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان والثلاثة ركب». وثالثا جاء في الإنجيل: «فالتفت وأبصر تلاميذه، فانتهر بطرس قائلا: اذهب عني يا شيطان، لأنك لا تهتم بما للّه، لكن بما للناس». (مرقس: ٨، ٣٣)، «أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم» (متى ٢٣: ٣٣)؛ «فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعي، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي» (متى ٣: ٧).

والعجيب أن بعض الكتاب المسيحيين ينتقدون وصف هؤلاء الناس بالشياطين وينسون ما جاء في كتابهم المقدس على لسان المسيح الناصري (عليه السلام).

فكلمة شياطين وردت طبقا للأسلوب العربي المبين، وهي ليست من قبيل الشتائم أبدا. وهذا المعنى الذي أوردناه عن كلمة شيطان واستعمالها ثابت عن الصحابة وكبار العلماء أيضا: نقل ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه: إذا خلوا إلى شياطينهم من اليهود الذين يأمرونهم بالتكذيب. ونقل ابن جرير أيضا عن قتادة أن المراد بقوله [إذا خلوا إلى شيٰطينهم] إخوانهم من المشركين. ونقل عن مجاهد أنهم: أصحابهم من المنافقين والمشركين. ونقل عن عبد الله بن مسعود: أنهم رؤوسهم في الكفر (تفسير ابن جرير).

الآية رقم: ١٦

[الله يستهزئ بهم ويَمُدُّهم في طغيانهم يَعمَهون*]

شرح الكلمات

يمدهم: مدّ الحبل: بسطه، مد المديون: أمهله، مده في غيه: أطال له وأمهله.

طغيان: طغا: جاوز القدر والحد. طغا الرجل: أسرف في المعاصي والظلم. طغا الكافر: غلا في الكفر. طغا الماء: ارتفع.

يعمهون: عَمَهَ: تحير في أمره أو طريقه، تردد في الضلال. عَمِهَ المكان: خلا من العلامات التي يُهتدَى بها. العَمَه عَمَى البصيرة، والأعمى: أعمى العيون.

التفسير

بيّنا في شرح الآية العاشرة أن الأسلوب العربي يعبر عن عقاب الجريمة بنفس لفظ الجريمة، فعقاب المخادعة الخدع، وعقاب

الاستهزاء الهزء، فكأن المجرم وقع في نفس جريمته. وإذن لا وجه للاعتراض على عبارة [الله يستهزئ بهم]، لأن معناها أن الله يعاقبهم بجريمة استهزائهم.

إن روح القرآن الكريم تتعارض مع الاستهزاء والسخرية، وترجمة هذه الآية في بعض التراجم على أساس هذا المفهوم الخاطئ جهل بالأسلوب العربي.

كما أن الاستهزاء يعني الكذب أيضا، وقول الله تعالى بريء من ذلك وقد قال: [وَمَن أَصدَقُ من الله قِيلا*] (سورة النساء: ١٢٣).

وفضلا عن ذلك فإن الكلمة التي تسند إلى الله تعالى وإلى الإنسان تفقد مدلولها المختص بالإنسان إذا أسندت لله عز وجل. فإذا قلنا: إن الله يتكلم، فلا يراد بذلك أبدا أن الله تعالى يتكلم كالإنسان بلسان وشفتين وحنجرة.. وإنما المراد ظهور ألفاظ مسموعة للإنسان بقدرة الله. وقد وصف الله تعالى نفسه بقوله: [ليس كمثله شيء] (سورة الشورى: ١٢).

وعلى ضوء هذا التفسير يكون معنى قوله [الله يستهزئ بهم] أنه يعاقبهم باستهزائهم، ويخزيهم بين أيدي الناس، ويجعلهم أضحوكة لهم.

ومما يجدر بالانتباه أن المنافقين قالوا للمؤمنين: (إنما نحن مصلحون)، بينما قالوا للكفار: (إنما نحن مستهزءون). هذه شهادة فطرة المنافقين على حالة المؤمنين وعلى حالة الكفار. فكانوا يدركون أن المؤمنين لن يقبلوا منهم عذرًا أنهم كانوا يستهزءون بالكفار، وإنما يستاءون من هذا القول. أما عن الكفار، فكان المنافقون يعلمون أن الكفار لكون قلوبهم خالية من التقوى، لن يستاءوا من قولهم: إنما نحن مستهزءون، بل سوف يفرحون بهذا الجواب الساخر لعداوتهم للمؤمنين. فقول المنافقين هذا يشكل شهادة عظيمة على الدرجة العالية من التقوى التي حازها المسلمون، وعلى خلو الكفار من التقوى.

وقوله تعالى: [ويمدهم في طغيٰنهم] أنه يمهلهم، لا ليزدادوا في الضلال.. وإنما لإتاحة الفرصة أمامهم للتوبة والإصلاح، كما قال عز وجل: [ونُقَلِّبُ أفئدتَهم وأبصارَهم كما لم يؤمنوا به أوَّلَ مرَّةٍ ونذَرُهُم في طُغْيٰنِهِم يعمهون*] (سورة الأنعام: ١١١)، [وهم يصطرِخون فيها رَبَّنا أخرِجْنا نَعْمَل صالحًا غيرَ الذي كنا نعمَلُ. أَولم نُعَمِّركم ما يتذكَّرُ فيه من تَذَكَّر وجاءكمُ النذيرُ*] (سورة فاطر: ٣٨).

ففساد أعمالهم، وعدم تذكرهم بآيات الله، وإصرارهم على الإعراض عن النذير، وإهمالهم التدبر فيما أنزل إليهم من ربهم.. يحرمهم معالمَ الطريق الصحيح، ويستمرون في ضلالهم الذي يسوقهم إلى التخبط في مزيد من الضلال. وهذا هو معنى (يعمهون) أي يترددون في الضلال ويضربون في الأرض من دون علامة تهديهم.

كذبات معاصرة، بقية

أما إن كذبت فسنستفيد وحدنا، ولكن ستكون فائدتنا متأخرة قليلا ولكن عندما تكتشف الجماهير كذباتكم ستكون عاقبتكم وخيمة في الدنيا والآخرة وبعد أن نشرتم غسيلكم على الحبال فسوف ترى الجماهير الثوب الوسخ من الثوب النظيف.

لقد أصبحت أيها الكاتب المحترم مثل المرأة التي تعتقد بأن الحجاب هو أهم شيء في الدين. ولكن عندما هبت عاصفة هوائية وأخذت الحجاب عن وجهها ورأسها رفعت ثوبها لتغطي رأسها ووجهها ولم تكن تلبس سروالاً فكشفت عن سوأتها واطمأنت أنها سترت وجهها ورأسها ولكنها المسكينة لم تشعر بأن الناس كانوا ينظرون لعورتها.

وأخيرا وليس آخرا أقول لحضرتك والقائمين على جريدة «المسلمون» الدولية الأسبوعية: ألا يمكنكم احترام اسم جريدتكم (المسلمون) لتنشروا على صفحاتها كلما هو صدق وتنبذوا الكذب.

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، ربنا أنزل غضبك على الكذابين والمكذبين، وألا لعنة الله على الكاذبين.

وارحم عبادك المساكين الذين وصفهم سيد المرسلين: الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة. رجال انقطعوا إلى الله وفي سبيل الله ينتظرون اليوم الموعود، يوم القضاء على إبليس اللعين، الذي طلب من الله سبحانه وتعالى أن يُنظره إلى يوم يُبعثون، ولكن الله سبحانه وتعالى قال له: إنك لمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم.

ونصيحة لك أيها الكاتب المحترم ولزملائك أقدمها لوجه الله سبحانه وتعالى وأضرب لكم مثلا: إن اليهود لم يؤمنوا بسيدنا عيسى عليه السلام، وقال الله سبحانه وتعالى لهم: سوف لا تكون لكم عزة إلا بحبل من الله وحبل من الناس. ومنذ ألفي سنة تركبهم الذلة أينما ثقفوا. ولقد أصبحوا من أكبر علماء العالم ومن أغنى أغنياء العالم ومع ذلك بقوا أذلاء. وهذه العزة المحدودة التي أخذوها بحبل من أميركا وغيرها سوف تزول قريبا إن شاء الله. ولقد أتى مسيح الأمة الإسلامية الذي هو حبل الله فإذا لم تتمسكوا به سوف يكون مصيركم كمصير الذين من قبلكم مهما وصلتم من العلوم ومهما زادت أموالكم، ومهما طولتم لحاكم، ومهما حملتم من شهادات ماجستير ودكتوراه وغيرها. فانتظروا إنا معكم من المنتظرين.

من جوامع الكلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجل: كُلُّ عملِ ابنِ آدم لهُ إلاَّ الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به. والصيامُ جُنَّةٌ، فإذا كان يومُ صومِ أحدكُم فلا يرفُثْ ولا يصْخَبْ، فإنْ سابَّهُ أحدٌ أو قاتَلَهُ فلْيَقُل إنِّي صائمٌ. والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المِسْك. للصَّائم فرحتان يفرحهُما: إذا أفطر فرِحَ، وإذا لَقِيَ ربَّهُ فرِحَ بصومِهِ». (متفق عليه)..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رمضان إيمانًا واحتسَابًا غُفِرَ لَهُ ما تقدَّم من ذنبِهِ». (متفق عليه).

وعنه رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضَانُ فُتحت أبوابُ الجنةِ وغُلِّقتْ أبوابُ النَّار، وصُفِّدت الشياطينُ». (متفقٌ عليه).

وعن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّة بابًا يُقال له الرَّيانُ يدخُلُ منهُ الصَّائمونَ يومَ القيامةِ، لا يدخُلُ منهُ أحدٌ غيرهم، يُقال: أينَ الصَّائمون؟ فيقُومُون، لا يدخُلُ منهُ أحدٌ غيرُهُم. فإذا دَخلُوا أغلق فلَمْ يدْخُل منهُ أحدٌ». (متفق عليه).

عن سلمان الفارسي قال خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس، قد أظلّكم شهر عظيم شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوّعًا. من تقرّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فريضة فيه كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر.. والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن. من فطَّر فيه صائمًا كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء. قلنا: يا رسول الله، ليس كلنا يفطر به الصائم؟ فقال رسول الله ﷺ: يعطى الله هذا الثواب من فَطّر صائمًا على مذقة لبَنٍ أو شربةٍ من ماء. ومن أشبع صائمًا سقاه الله من حوضي شربةً لا يظمأ حتى يدخل الجنة. وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. ومن خفَّف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النّار. (البيهقي).

كلام الإمام

ترجمة:
الأستاذ المرحوم مبارك أحمد الملك

لسيدنا المسيح الموعود والمهدى المعهود عليه السلام

الله جل جلاله وعز اسمه

«إن الله الذي ما زال يتجلى للنبين كافة، هو الذي تجلى لموسى كليم الله بالطور، كما أشرق نوره للمسيح الناصري عليه السلام بجبل شعير، وهو الذي تبلجت أشعته النورانية لسيدنا ومولانا محمد ﷺ من جبل فاران. أجل، إن نفس ذلك الإله المقتدر القدوس قد تفضل عليَّ بتجليه النوراني، وشرفني بكلامه، وأخبرني قائلا: بأنني أنا الإله الذي أرسل جميع الأنبياء لأجل عبادته، وأنني وحدي الخالق المالك، وأنا الذي لا شريك له ولا ند، وأنني أنزه وأسمي من أن أولد وأذوق الموت». (ضميمة الجهاد ص ٨)

«إن الحياة التي ينالها الإنسان بالنجاة من الذنوب والآثام، لهي جوهرة متلألئة لا يملكها أحد، غير أن الله عز وجل وهب لي إياها، وبعثني لكي أرشد الناس إلى سبيل الحصول على تلك الجوهرة الغالية. وإنني لأتحدى تحديا جازما بأن السالك لهذا الطريق سيظفرن بها دون غيره من الناس. وإن ذلك الطريق المستقيم الذي يؤدي إليها ليس إلا معرفة الله الحقة، وإن هذه المعرفة لهي أصعب الغايات وأدقها، لأنها تتوقف على أمر متعذر. إن الفلسفي كما سبق أن قلت حينما يمعن النظر في أنظمة السماوات والأرض وسائر المخلوقات، وتنسيقها المحكم البالغ الإحكام، فلا يعدو نظره عن أن يقر بأن هذا النظام الخارق يقتضي أن يكون له صانع، لكنني أسمو بالناس عن هذه المرتبة، وأدّعي بتحد قاطع وعلى أساس تجاربي الشخصية بأن الله عز وعلا لموجود حقًا».
(ملفوظات حضرة مؤسس الحركة الأحمدية المجلد ٣)

«إن فردوسنا لهو إلهنا الحق، إن أسمى ملذاتنا في إلهنا المحبوب؛ لأننا قد تشرفنا برؤيته، وإننا لوجدناه منبعا لجميع أنواع الحسن والجمال. وإن هذه الثروة الغالية لأجدر بالأخذ ولو بفقد المهج والأرواح، وإن هذه الجوهرة لأحق بالامتلاك ولو بفداء الوجود كله. يا أيها المحرومون، هلموا إلى العين الدفاقة تبرّد غليلكم وتثلج صدوركم. إنها لينبوع الحياة الأبدية التي تنقذكم وتنجيكم. ماذا عساني أن أفعل لأن أثبت قلوبكم بهذه البشرى، وبأي دفّ أضرب وبأي صوت أنادي بأن هذا هو إلهكم الحق لكي يستمع الناس، وبأي دواء أعالج الآذان حتى يزول وقرها فتنفتح لكلامي». (سفينة نوح).

«الله نور السماوات والأرض، أي إن كل نور نراه في أعالي السماوات وفي أعماق الأرض، في الأرواح متجليا كان أوفى الأجسام، ذاتيا كان أو عرضيا، ظاهريا كان أو باطنيا، ذهنيا كان أو خارجيا، ليس إلا عطاء ذلك النور العظيم عز وجل، الأمر الذي يدل على أن نعمه الفياضة تسع كل شيء في الوجود، ولم يخل منها أحد. إنه مبدأ جميع الفيوض ومصدرها، وإنه علة العلل لكل الأنوار، وإنه ينبوع لجميع أنواع الرحمة، وإن وجوده لقيوم حقيقي للعالم أجمع، وإنه لقوام وحيز لكل ما في أعالي السماء وأعماق الأرض، وهو الذي أخرج كل شيء من ظلمات العدم وخلع عليه حلة الوجود.

إن هذه الأرضين والسماوات وما فيهن من الإنسان والحيوان والشجر والحجر والروح والجسم كل أولئك قد استعارت وجودها من رحمته الفياضة» (البراهين الأحمدية ص ١٨١ الحاشية).

«إن إله الإسلام هو ذلك الإله الحق الذي يتراءى في مرآة السنن الطبيعية ويتجلى في صحيفة الفطرة الصافية النقية، ولم يقدم الإسلام إلها جديدا بل إنه لهو نفس الإله الذي هو نور القلوب وصوت الفطرة الصارخ، والذي هو عماد السماوات والأرض (تبليغ الرسالة، المجلد السادس ص ١٥).

وإن كل ذرة من وجودنا وأرواحنا لتخر ساجدة لذلك الإله المقتدر الكامل الحق الذي بيده تم ظهور كل روح وكل ذرة من المخلوقات مزودة بكل القوى، والذي من وجوده استقى كل كائن

وجوده وعليه يتوقف وجود كل الموجودات، والذي لا يخرج عن نطاق علمه ولا عن سلطان تصرفه ولا عن سعة خلقه شيء. وألوف الصلاة والسلام والرحمة والبركة على ذلك النبي المطهر سيدنا حمد المصطفى ﷺ الذي به وجدنا ذلك الإله الحي الذي بنفسه يدل على وجوده بإظهار الآيات، وإنه يتحلى بوجهه الوضاح ذي القوى الخارقة القديمة الكاملة بإراءة الخوارق من آياته. فإننا قد تشرفنا باتباع رسول أخذ بيدنا إلى اجتلاء ربنا الأعلى، وبواسطته آمنا بذلك الإله الذي خلق كل شيء بقدرته. فما أروع قدرته وما أعظمها، التي بدونها لم يملك شيء كيانه، والذي من دونه لا تقوم لشيء قائمة. فتبارك ذلك الإله الحق الذي هو إلهنا، فما أوسع قدرته وما أروع حسنه وإحسانه، لا إله إلا هو» (نسيم دعوة ص٣).

«إن ذات الإله الحق هي غيب الغيب ووراء الوراء وعلى غاية من الخفاء والغموض، وذلك الإله الحق هو الذي لا يمكن أن تدركه العقول الإنسانية بمجرد قوتها، ولا يصح أن يكون أي برهان عقلي دليلا قاطعا على وجوده، إذ أن منتهى العقل وغاية مساعيه أن يقرر ويحكم بعدَ النظر في صنائع العالم بلزوم الصانع، لكن الحكم بضرورة الصانع شيء والإيصال إلى درجة عين اليقين بأن الإله الذي تحددت ضرورته عند العقل هو موجود حقا، شيء آخر، وبما أن الدليل العقلي ناقص يعوزه الكمال ومشتبه ينقصه اليقين، فلذلك لا يمكن لأحد من الفلاسفة أن يظفر بمعرفة الله بمجرد عقله، بل إن معظم أولئك الذين يعتمدون في معرفة الله على عقولهم فقط، يزلهم الشيطان إلى الإلحاد والزندقة، ولا يغنيهم التفكير في السماوات والأرض شيئا. وإنهم ليتخذون أولياء الله هزوا، وإن ادعاءهم بأن في الدنيا ألوفا مؤلفة من الأشياء التي نراها عبثا دون أيما نفع، لم تتحقق عند العقول حكمتها الدالة على الصانع، بل إنما هي باطلة لاغية. وأسفا على هؤلاء الجهلاء السفهاء الذين لا يعلمون أن عدم العلم بشيء لا يستلزم عدمه، إنه ليوجد مئات الألوف من أمثال هؤلاء الذين يزعمون بأنهم هم العقلاء والفلاسفة من الطراز الأول، ولكنهم ينكرون وجود الله أشد الإنكار، ومن البيّن أنه لو كان عندهم برهان قوي ناصع على وجود الله، لما أنكروه، وكذلك لو كانوا متمسكين بدليل عقلي جازم، لما كفروا بوجود الله مستهترين مستهزئين أشد الاستهزاء. وما من أحد ممن ركبوا سفينتهم بناج من طوفان الشبهات، بل إنه لغارق حتما، ولن يغترف من معين التوحيد الصافي غرفة. فالآن، فانظروا، ما أشنع وما أفظع الزعم بأن التوحيد الخالص يمكن أن يبلغه أحد دون أن يتوسل بوجود سيدنا ومولانا محمد ﷺ وأنه بغيره يمكن الظفر بالنجاة. فيا أيها السفهاء، كيف يمكنكم الإيقان بتوحيد الله ما لم توقنوا بوجود الله حق الإيقان؟ فتيقنوا أن التوحيد اليقيني لن يُتلقى إلا باتباع نبينا محمد ﷺ كما نرى أنه ﷺ جعل العرب الملحدين المنحرفين يعتقدون بالله بألوف من الآيات البينات، وإن أتباعه الصادقين الكاملين كانوا ولا يزالون يتمون الحجة على الملحدين بتلك الآيات المعجزات. الحق والحق أقول أن الشيطان لا يفر من قلب الإنسان ولا يدخله التوحيد الخالص ولا يكون معتقدا بالله ما لم يشاهد قوى الحي القويم الخارقة الفياضة بالحياة، وإن ذلك التوحيد الخالص لن ينال إلا باتباع نبينا محمد ﷺ» (حقيقة الوحي ص ١١٧، ١١٨).

الصحوة الإسلامية بقية الإسلامية.

ذكرتني هذه الحوادث بحادثة قديمة. كل العالم يعرف الرجل العظيم الذي دافع دفاع الأبطال عن قضايا المسلمين والعرب في أروقة الأمم المتحدة وفي كل المجالات الدولية. ودفاعه عن قضية فلسطين بصورة خاصة، وهو السير محمد ظفر الله خان رحمه الله. لقد لقبَّه زعماء العرب وكُتابها بذلك الوقت بطل قضية فلسطين. ومما كُتب عنه أنه الوحيد الذي يُصلي الصلوات الخمس بأوقاتها في هيئة الأمم المتحدة وله مكان خاص للصلاة هناك. هذا الشخص تكلم كلمة حق إذ قال إن تدهور أمور المسلمين يرجع إلى تدهور أولي الأمر منهم. هذه الكلمة لم تعجب الملك فاروق في ذلك الوقت. فأصدر أمره لمفتي الديار المصرية في ذلك الوقت السيد حسنين مخلوف بتكفير ظفر الله خان وخروجه من الإسلام. وكان له ما أراد إذ أفتى المفتي بأن ظفر الله خان كافر خارج عن الإسلام. ولكن والحمد لله أن الشعب المصري النبيل استنكر هذه التهمة وعبر عن هذا الاستنكار الأستاذ أحمد أبو الفتح في مقالٍ نشرته صحيفة «المصري» بذلك الوقت، دافع عن السير ظفر الله خان وعن مواقفه الإسلامية المجدية.

أيظن هؤلاء الناس أنهم يستطيعون مقاومة من أرسله الله سبحانه وتعالى وأمره بالمسيرة. ألم يتذكروا فرعون موسى ومكر اليهود للمسيح عليه السلام، وأبرهه صاحب الفيل، وما فعله أبو لهب بمحمد ﷺ؟ ألم يتذكروا بوتو باكستان وفرعونها ضياء الحق. لماذا هذه الفتن يا من تدعون بالإسلام؟ ألم يقل القرآن الكريم: [وإنْ يكُ كاذبا فعليه كَذِبُه وإن يَكُ صادقا يُصِبْكم بعضُ الذي يَعِدكم]. ألا تؤمنون بالآية التي تقول: [ولو تَقَوَّلَ علينا بعضَ الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتينَ فما منكم من أحد عنه حاجزين].

ألم تأخذوا درسا مما يحدث في العالم. هذه الشيوعية سقطت لوحدها أسقطها الله سبحانه وتعالى، حتى أن العالم لا يصدق ما يراه أو ربما تعتقدون أيها المشائخ بأن روسيا سقطت بأسلحتكم وسيوفكم!

محاكمة «مجرم» بأيدي كبار المجرمين!!

ترجمة: الحاج محمد حلمي الشافعي

منذ انفجار أزمة الخليج كان إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية يعلق عليها في خطبه يوم الجمعة وقد بلغ المجموع ١٥ خطبة. ولقد نشرنا ما تم ترجمته منها وسوف نستمر في نشرها حتى يتعرف المسلمون على الحلول التي يقدمها حضرته أيده الله، لمشاكل أهل الإسلام بل لمشاكل العالم كله، على أسس إنسانية وتعاليم إسلامية. وها نقدم إلى حضرات القراء الكرام خطبتين من هذه السلسلة، وقد ألقاهما حضرته بيومي ١١ و١٨ يناير ١٩٩١ بمسجد «الفضل»، لندن. (التقوى)

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم * الحمد لله رب العٰلمين * الرحمٰن الرحيم * مٰلك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين *].

بعد غزوة خيبر وفتح حصنها، عاد الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة مردفًا زوجته السيدة صفية خلفه على ناقته. وقد حفظت لنا كتب الحديث النبوي شيئا بينه ﷺ وبينها وقتئذ. قال: يا صفية، أعتذر لك من أعماق قلبي عما فعلت بقومك، (يقصد غزوه لليهود في خيبر وفتح حصنهم). فاعتذر ﷺ عن أي شدة أبداها نحو اليهود للسيدة صفية.. وهم أهلها وذووها. ولكنه ﷺ أخبرها في نفس الوقت كيف عامله قومها قبل ذلك. وكان الغرض من حديثه ألا تسيء الفهم وتحسبه هاجَمَ خيبرَ بدافع التحيز والظلم. وشرح لها النبي ﷺ الاعتداءات والفظائع التي ارتكبها اليهود، وكيف أطلقوا العنان لطغيانهم منذ البداية. ثم أخبرها عن نفسه خاصة، وكيف دأبوا على التهجم عليه، وقدحوا في شخصه وشتموه. أراد المصطفى ﷺ بذلك ألا يتطرق إلى ذهن السيدة صفية وقد صارت زوجته، أي شيء من سوء الفهم عن شخصيته ﷺ.

أقول ذلك بمناسبة موضوع العراق والكويت، وهو موضوع يدور حوله الجدل. وقد تناولته في خطب سابقة، وذكرت ما تفعله أمم الغرب ببلاد المسلمين.

وهناك أحمديون ينتمون إلى بلاد الغرب هذه، خشِيتُ أن يدور بخلد بعضهم فكرة خاطئة عن التفرقة العنصرية، لأننا جعلنا الغرب هدفا لانتقادنا، وربما ظن أحد أن هناك تعصبًا عنصريًا مكبوتًا عند الأحمديين. فأود بادئ ذي بدء أن يكون واضحًا للجميع أن رسالة سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ.. التي بلَّغها بلسانه، وأكَّد على صدقها بفعاله هي.. أنه لا علاقة بين الدين وبين التفرقة العنصرية. لا يسمح لنا الدين أن نعارض أحدا بدافع التعصب، أو نتعارك مع أحد بأي شكل من هذا المنطلق. والجماعة الإسلامية الأحمدية تتبع تعاليم محمد المصطفى ﷺ، وبالأحرى أنها الجماعة التي قامت لإحياء ما نُسِيَ من السنة النبوية. لقد قامت بعزم وتصميم لإحياء تلك السنة الشريفة بفعالها بعد أن نسي المسلمون جوانبها الطيبة على وجه العموم. فمن هذه الناحية يجب ألاَّ تبقى أية فكرة في ذهن أحد من هذا العالم أن الجماعة الإسلامية الأحمدية تحمل في فكرها أو سلوكها أي نوع من التعصب و التفرقة بين شرق وغرب، أو تمييز بين سود وبيض، نعوذ بالله من ذلك. فالتمييز العنصري لا يتعايش مع الإسلام ولا يتفقان أبدا. فكل انتقاد صدر منا، أو سوف يصدر منا.. إنما يقوم على ضوء المبادئ الأخلاقية السامية للإسلام. ومن هذا المنطق.. كل من يستحق الانتقاد سوف يُنتقد؛ ليس لتجريح أحد.. وإنما لنضع الحقائق أمام الناس ولتوضيح الأمور.

كلما قلت تعليقًا.. فإني أفتش في قلبي، ولا أنتقد أبدا بناء على أي نوع من التحامل، وإنما أُطهر قلبي أمام الله تعالى، وأحاول توضيح الحقائق والوقائع. قد تكون الحقيقة في صورة ما ذات طعم مرير لبعض الناس.. ولكن لا حيلة لنا بإزاء ذلك. لا يمكننا أن نؤيد أحدًا على طول الخط تعصبًا له.. لأننا ننحاز دائما نحو الحق، ونساند دائما كلمة الله تعالى، ونقف دائما مع سنة النبي ﷺ. ألاَ من أراد أن يكون صديقنا إلى الأبد.. فلا مناص له من أن يكون مواليًا لكلام الله تعالى، وموالیا لسنة محمد المصطفى ﷺ، وأن يكون منحازا إلى الأمانة والصدق، وفي هذا الحال يجدنا مؤيدين مناصرين له.

بعد هذا التوضيح الموجز، أود أن أعرض نفس الموضوع أمامكم مرة أخرى.. ذلك الموضوع الذي تناولته في عدد من خطبي، وأعني به الموقف العالمي الذي نشأ بسبب الصراع بين العراق

والكويت. لم تبق سوى أيام قلائل تتسارع فيها الجهود المبذولة من أجل السلام. وفي النهاية نجدهم يتجهون نحو الاقتراح الذي قدمته لهم منذ البداية على ضوء التعليم القرآني. لقد ذكَّرتُ الأمم المتصارعة أن يُبقوا الموضوع على أنه مسألة إسلامية، ينبغي حلّها بين الطرفين على يد العالم الإسلامي، وينبغي على العالم العربي أن يسوي الموضوع، ولكن ليس صوابا أن يجعلوا منه مشكلة عربية. ولسوء الحظ فإن الجهود التي شرعوا فيها بهذا الصدد جاءت متأخرة. ويتجه انتباه القوى الكبرى الآن نحو كونها مشكلة عربية بدلاً من عالمية. أما عن كونها مشكلة إسلامية فقد انعقد منذ أيام قلائل في باكستان مؤتمر وزراء الخارجية حيث أُثير الموضوع، وبذلت محاولات من جانب باكستان تهدف إلى تكاتف دول العالم الإسلامي كي يجدوا حلاً لهذه المعضلة. ولكنهم اتخذوا هذه الخطوة في توقيت متأخر، بحيث لا تجد لها أثرًا يذكر.

والموقف الحالي يتلخص في أن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في مقدمة الدول التي عقدت العزم القوي على تحطيم العراق. وبتوجيههم وقيادتهم تدق طبول الحرب، ولا ينفكون يرددون أن تدمير العراق لازم لإنقاذ العالم. فهم ينفخون في آذان العالم أنه إذا تُرك العراق على قوته الراهنة، وأتيحت له فرصة أخرى.. فلسوف ينهار سلام العالم، بل إن وجود العالم نفسه يتعرض للخطر الشديد! هذا هو ما يروجون له بكل قوة.. في اللقاءات التلفزيونية، وما ينشر في الصحف ردًّا على تساؤلات الناس. يرددون دائما أمرًا واحدًا.. يقولون: انظروا الشناعات التي ارتكبها العراق ضد الكويت؛ كيف يمكن للعالم تجاهل هذه الفظائع التي ارتكبها الطغاة من قتل وسرقة وإحراق.. أي حق لهم في البقاء أحياء؟! إذا لم تتحد كل دول العالم اليوم لمعاقبتهم.. فسوف ينفتح سبيل الظلم، ولن يستطيع أحد وقف أحد عن المضي في طريق الظلم. هذا هو موقفهم بإيجاز.

أمَّا موقف العراق في مقابل هذا فيقول: إنكم تتحدثون عن المبادئ السامية، وتتشدقون بذكر الأخلاقيات الرفيعة، ولكنكم تتناسون ما في بلاد العرب في الشرق الأوسط من اضطراب. أنتم المسئولون حقا عن كل قلق فيه وعدم استقرار يهدد السلام. وكلما تسنح فرصة لحل المشاكل المتعلقة بالشرق الأوسط تضعون أمامها العراقيل. والآن بعد احتلالنا للكويت تقولون: إنه عمل غير شرعي؟ (والعراق لا تراه كذلك). إسرائيل احتلت الضفة الغربية لنهر الأردن في الماضي القريب. وتتحدثون عن الأمم المتحدة.. في حين أن هذه الأمم المتحدة أصدرت قرارات عديدة، وحاولت إلزام إسرائيل بالانسحاب من الضفة الغربية، وفي كل مرة تضع أمريكا بصفة خاصة.. كافة العراقيل في طريق ذلك، وتعترض بحق «الفيتو» على كل الحلول!

يقول العراق لأمريكا وبريطانيا: كفُّوا عن حديث الأخلاقيات والمبادئ العالية! لو أنكم حقا تقدرون هذه المبادئ.. فعليكم وزن المشاكل معًا بنفس المعايير، وتحاولوا حلها بنفس الطريقة.. والمشاكل القائمة تتشابه إلى حد ما مع مشكلة الكويت مع العراق. لو تفعلون ذلك فنحن على استعداد للامتثال وتنفيذ القرار العادل في ظل نفس المبادئ.

هذا جانب واحد لموقفهم أي الغرب؛ والجانب الثاني يقول: إذا سمحنا لبلد أن يحتل بلدًا آخر لأن الأول أقوى من الثاني.. لاضطرب سلام العالم إلى الأبد. ومعنى ذلك أنهم يقدمون جانب الظلم منفصلا عن جانب الاحتلال كما لو كانا شيئين منفصلين.

والشيء العجيب أن الأمم التي تتحدث هكذا.. يقف تاريخهم شاهدا قويا ضدهم بأمور لا توجد في تاريخ الأمم الأخرى! الإدارة الأمريكية الحالية متصلة الأسباب بأوروبا. وذهب هؤلاء الناس إلى أمريكا في بداية القرن السابع عشر بعد اكتشافها لأول مرة، ثم احتلوا شمالها وجنوبها؛ وأطلقوا هناك العنان لفظائع، وأهلكوا الأجناس التي هناك بكيفية يندر أن نجد لها مثالا في التاريخ. لقد أبادوا الهنود الحمر طبقا لخطة منظمة، فلم يبق من أثرهم إلا القليل. هذه الأمم التي تحب الحيوان، وتقرأون في صحافتهم وتشاهدون في إعلامهم برامج تصرخ لما تتعرض له أجناس الحيوان من فناء.. هؤلاء أفنوا كثيرا من قبائل الهنود الحمر التي كانت تملأ براري القارة الأمريكية.. قضوا عليهم بلا رحمة. فلم يعد لهم ذكر إلا في التاريخ، ولا تراهم إلا على شاشة السينما. وكان أسلوبهم في ارتكاب الفظائع قصة لا تحتمل.

وبعد ذلك فإن الأوربيين في هجماتهم واحتلالهم لأفريقيا فعلوا كل الشناعات، وأسروا السكان وباعوهم رقيقا بأعداد كبيرة، وأجبروهم على الأعمال الشاقة.. حيث كان الطلب عليهم كثيرا في أمريكا. واليوم يذكرنا عدد السكان الأفارقة في أمريكا بهذا التاريخ الحالك الذي اقترفتْ فيه تلك المعاملات الفظيعة في حق الإنسان.. بما يقشعر له البدن. لقد زرت بعض الحصون التي كانوا يضعون فيها هؤلاء العبيد، حيث كانوا يحشرون أعدادا كبيرة في أماكن ضيقة تشبه تلك الثقوب الضيقة المظلمة التي قرأنا عنها في الهند، حيث هلك الكثيرون اختناقا. وكانوا يضعون من يبقى حيًا منهم في القوارب كالأنعام. قال مؤرخوهم إن كثيرا منهم هلك من مصاعب السفر، ومن وصل منهم إلى شاطئ أمريكا وصل في حال يثير الشفقة. كانوا يسوقونهم سوق الماشية، ويدفعونهم إلى العمل بضرب السياط. كانوا يدفعون العربات ويجرون المحاريث، ويؤدون أعمال الدواب.

فالأمة التي هذا تاريخها.. تأتي اليوم لتعلن باسم الإنسانية والقيم الأخلاقية أنها مضطرة لتحرير الكويت ومساعدة هؤلاء الضعفاء! يقولون: إننا ملتزمون برفع الراية ضد الفظائع التي ارتُكِبتْ.. لأن قيمنا الأخلاقية العالية تقتضي منا ذلك، وإذا لم نقم لها هلكت الإنسانية في العالم؛ إذا لم نفعل ذلك ضاع الأمان من البلاد الصغيرة، ولن يطمئنوا على حياتهم!

إذا كان هذا صحيحا، مع أنهم فكروا فيه متأخرين جدا، يمكن للمرء أن يوافق على قولهم ويقول: بناء على هذا الفكر الصالح التقي.. ينبغي أن تنسحبوا من أمريكا وتعيدوا لمن بقي من الهنود الحمر أملاك أسلافهم! ولو قال أحد ذلك لرموه بالجنون، وقالوا: «ما هذا الهراء الذي تقول؟ ليس هناك علاقة بين الأمرين. هذا شيء وذلك شيء مختلف تماما». إذ رفضوا اليوم أمرين متماثلين، وصاحوا بأنهما مختلفان تماما.. فما التفسير الممكن لذلك؟

إن بريطانيا التي تبدي حماسا شديدا مع أمريكا ضد العراق، وتسوق أسبابا عديدة لذلك مرارا وتكرارا.. عندما احتلت أستراليا كتبت تاريخا في الفظائع ينكمش أمامه جرائم الأمريكان. هناك فرق ملحوظ بين سكان أستراليا الأصليين وبين الهنود الحمر من سكان أمريكا.. فهؤلاء كانوا قبائل مقاتلة أشداء، يعرفون كيف يقاتلون ويدافعون عن حماهم، ويضحون في سبيل ذلك تضحيات عظيمة؛ أما القبائل البدائية الأسترالية فكانوا مسالمين لا يعرفون القتال. كان البريطانيون يصطادونهم من الغابات كالغزلان، ومن نجوا من الصيد أخصوهم حتى لا يتكاثروا. لقد أبادوهم بأشد الطرق فظاعة. كان عدد اللغات في أستراليا يبلغ (٦٠٠) ستمائة لغة، لم يبق منها سوى عدد قليل. وهناك مساحات صغيرة تقطنها قبائل قليلة، يحفظونهم كما تُحفظ الحيوانات في حدائق الحيوان.. كي يشاهدهم الناس ويتفرجوا عليهم.. ويتعرفوا على من خطفوا منهم بلادهم! ويخبرون العالم أننا نحفظهم الآن من الانقراض!! هذا هو تاريخ بريطانيا.

وإلى جانب هذا.. فإن ما حدث في الهند وحدث في أفرقيا، ليس هناك وقت للاستفاضة في الحديث عنه، ولكن ما أود أن أقول بأنهم عندما يتحدثون عن المبادئ والأخلاق.. ينبغي عليهم أن يستقلوا عن الزمن لأن المبادئ والأخلاقيات غير مرتبطة بالزمن، فيجب ألا يتغيروا مع تغيره. اليوم يتحدثون عن العقوبات، ولكن ضد جنوب أفريقيا، ورغم مضي سنوات لم يظهر لهذه العقوبات أثر يذكر؛ ولكنهم لم يرفعوا الصوت بأن المقاطعة استغرقت وقتا طويلا؛ وأنها لم تفعل فعلها ولم تؤت ثمارها، فلم ينادوا بضرورة توحيد العالم كله لمهاجمة جنوب أفريقيا. بل لم تساند البلاد الغربية، ولا حتى بريطانيا، هذه العقوبة في مناسبات عديدة. ولقد رفع الجمهور البريطاني أيضا صوته احتجاجا على حكومتهم ولكنهم لم يبالوا ولم يتخذوا أي خطوة ضدهم. ليس هذا من التاريخ القديم، بل هو من أحداث العصر الراهن.. ومع ذلك لم يرفع أحد صوتا بأن البلد الذي لا يراعي تطبيق العقوبة لا بد من استخدام القوة العسكرية ضده، وإجباره على مراعاة المقاطعة. كما لم ينادِ أحد بأنه مادامت المقاطعة قد طال زمنها ولم تؤت ثمارها.. فلا بد من التصرف حيال ذلك! أما مع العراق.. فلا يكف البلدان عن رفع الصوت بكل حماس.. أن لا بد من تطبيق عقوبة المقاطعة ضده بكل صرامة، فلا يدخل طعام أو دواء، ولا يخرج شيء. ولقد طبقوها فعلا بكل شدة حتى سدوا الطرق جميعا على العراق من كل جانب، بل وحاصروا الأردن أيضا لاستكمال الحصار على العراق. وعلى مقربة من ذلك.. تحتل إسرائيل الضفة الغربية من الأردن، ولم يطبقوا ضدها عقوبة ما، ولم يرفعوا صوتا في وجهها لما ارتكبته من فظائع ضد الفلسطينيين. ولو كان السبب نفسه الذي برروا به موقفهم ضد العراق مطبَّقًا هناك.. لانفض هذا النزاع من زمن طويل!!

لو تفكرتم في التارخ الحديث لأمريكا، واطلعتم على ما كتبه الأمريكان أنفسهم، وعلى الإحصائيات في كتب أخرى.. تبين لكم أن المخابرات الأمريكية C.I.A، حسب متطلباتها، تدخلت في كل البلاد، ولم يتورعوا عن الإرهاب، ولم يتحاشوا المظالم، واعتبروا ذلك حقا لهم ليفعلوا ما يشاءون! نُشر حديثا كتاب اسمه (الحروب السرية للرئيس)، يخبرنا أنه سُمح لهم، تحت اسم «العمليات السرية» كل أنواع المظالم والطغيان، وأن يفعلوا ما يشاءون من اغتيال وتسميم الطعام، وقتل المواطنين بلا تردد، وأي شيء.. بشرط أن يتم ذلك في خفاء، ويبقى إمكان الإنكار متاحا لهم. وهذا اتجاه جديد يثير الاهتمام.. يعني أنه بالرغم من أن رئيسهم يعطي تصريحا فعليا بعمل كل شيء، على أن يتم في خفاء يُبقى له فسحة الإنكار، إذا انكشف شيء وسئل عنه.. بوسعه أن يتنصل ويدَّعي بأنه لم يأمر بذلك، وأنه تم بدون أمره، وسوف يتحرى الموضوع! وهذا هو ما يسمونه «القابلية للإنكار».

فالإرهاب الذي ينسبونه لبلاد إسلامية.. تقوم أمريكا بإرهاب أشد منه ألف مرة، ناهيك بإسرائيل وفعلها.. ولا يزالون يفعلونه.. بل إن المخابرات الأمريكية نشطة فعالة بهذا الأسلوب. في بعض الأماكن يحدثون انقلابات عسكرية. ولو قرأتم عن نشاطهم الذي مارسوه في فيتنام وكوريا ولاوس وجواتيمالا وإيران لاشتدت بكم الدهشة. لم ينشر هذه الكتب أحد المعارضين، وإنما مؤلف أمريكي.. كتب عددا من الكتب الأخرى عن هذا الموضوع، وهي كتب موثوق بها.

والآن خبِّرونا أين ذهبت هذه المبادئ!؟ الفارق أن تلك البلاد الإسلامية لسوء الحظ تتبع أسلوب السذاجة.. تلك السذاجة التي

تقرب من الحماقة. إنهم لا يعرفون لغة الدبلوماسية. لا يقومون بأعمال خفية، وإنما بدلا منها يجاهرون بأنهم سوف ينتقمون من كذا وكذا.. سوف نقتل سلمان رشدي، وسوف نغتال فلانا وعلانًا.. الإسلام لا يسمح لنا بحسن معاملتكم.. سوف نقضي عليكم بكل وسيلة! يملكون القليل.. ويتسولون السلاح من تلكم الدول، ويعتمدون عليها اعتمادا كاملا، ويعيشون عليها ومع ذلك يصيحون ضدهم بتلك الادعاءات الضخمة، ويقذفون بالتهديدات عن اجتثاث شأفتهم واقتلاع جذورهم.. يهددون بانتزاع جذور بنوا عليها كيانهم! وما هذا إلا حماقة.. بل هي أسوأ درجات الظلم، إذا يخلطون فعلهم بالإسلام، ويخلقون المشاكل في كل أنحاء العالم ليقع فيها الذين يحسبون الإسلام حقا. فهم من ناحيته يجعلون تلك البلاد تواصل ارتكاب الفظائع فوق الشنائع، ويفعلون بالعالم ما يشاءون، وينفذون حكمهم في كل مكان، ويدمرون أي بلد يريدون.. ولكنهم يستخدمون كلمات ومسميات تحت ستارها يسمحون لأنفسهم بكل أنواع الممارسات والأنشطة. أما أولئك الذين لا حول لهم ولا قوة على القيام بأي شيء، فإنهم يستخدمون لغة متطرفة حمقاء، فيلحقون بأنفسهم العار، ويلطخون أيضا سمعة الإسلام.

فرسالتي إلى العالم الإسلامي: استخدموا عقولكم! الأمم التي تريدون حربهم.. تعلموا منهم على الأقل طرائق حربهم! استخدموا الكلمات التي يستعملونها معكم أو مع غيركم!

على أي حال.. كان هذا من شجون القول. وأعود الآن إلى الجزء الثالث.. ذكرت موقف العراق وموقف بلاد الغرب، هناك دول إسلامية أخرى.. اتخذت لها موقفا أيضا، أكثرها أيدت موقف السعودية.. الرامي إلى توحيد جهود الدول الإسلامية في التصميم على تدمير العراق. ولا يقف الموضوع عند هذا الحد، بل يختطون إلى أبعد من ذلك، فيعلنون أن السعودية أرض مقدسة يقع فيها الحرمان الشريفان: مكة والمدينة. فالمسألة اليوم ليست خاصة بالكويت، بل إنها تتعلق بحماية هاتين البلدين.. حماية المقدسات التي عاش فيها النبي الأكرم ﷺ، والتي وطأتها قدماه.. وهكذا يخلعون على الموضوع لونًا ضخمًا من القداسة.. يثيرون بها مشاعر المسلمين. فنُشر مثلا في باكستان مرارًا أنهم سوف يرسلون ألفين أو ثلاثة آلاف أو خمسة آلاف من الجنود.. دفاعًا عن الأرض المقدسة؛ وسوف نضحي في سبيل المقدسات تضحيات عظيمة!

أرى أننا بحاجة إلى رؤية تاريخ تلك الأرض، وماضي أولئك الأقوام الذين يستعملون اسم الأرض المقدسة، ويشيرون إلى النبي الأكرم ﷺ، ويحاولون كسب الرأي العام للمسلمين.. وكيف كان سلوكهم.

الحق أن السعوديين الحاليين هم الذين بدأوا باحتلال أرض الحجاز.. بحد السيف. بدأت العمليات العسكرية عام ١٨٠١م، في زمن عبد العزيز، رأس هذه العائلة؛ ولكن ابنه سعود اكتسب شهرة كبيرة في هذه العمليات الحربية، وكان ذا خبرة في هذا المجال، وكانت هذه الهجمات تحت قيادته. هاجموا العراق أولا واحتلوا كربلاء، ودمّروا أماكن العبادة المقدسة على أنها من الوثنية وليست بذات حرمة.. وأنها لِبناتٌ من الحجارة ينبغي إزالتها. ثم ارتكبوا مذبحة دموية عامة ضد سكان كربلاء.. ومعظمهم من الشيعة. ثم تقدموا إلى البصرة، وسلبوا ونهبوا كل المواقع فيما بين كربلاء والبصرة.. كانوا إما يحرقون البلاد أو يذبحون الأهالي. لقد ارتكبت هذه العائلة من الفظائع أشد مما ينسبونه اليوم إلى العراق. وبعد السيطرة على هذه المنطقة اتجهوا نحو الأرض المقدسة، وبدأوا باحتلال الطائف في إقليم الحجاز. ثم دخلوا مكة والمدينة في عام ١٨٠٣م، حيث قاموا بمذبحة عامة، وهدموا كثيرا من المقابر والمعالم والآثار المقدسة.. منها على سبيل المثال بيت مولد الرسول ﷺ، وبيت أبي بكر رضي الله عنه، وكثير غيرها من الأماكن والقبور.. أحرقوها وانتهكوا حرمتها وقالوا: لا قيمة لها بل هي من علامات الوثنية. وليس هناك سجل محدد لما سفكوه من دماء، ولكن المؤرخين يقولون إنهم قتلوا بلا رحمة عامةَ الأهالي العزل من السلاح ولا ضرر منهم.

وفي عام ١٨١٣م تمكن محمد علي باشا من تحرير المنطقة من سيطرة السعوديين.

ولكن في أوائل هذا القرن عاد السعوديون في هجوم مباغت على الحجاز. في هذه المرة ساندتهم السلطات البريطانية. كان الجنرالات البريطانيون يرسمون لهم خطط الهجوم، وكان البريطانيون يمدونهم بالسلاح والبنادق والذخائر، ونفس البريطانيين أمدوهم بالأموال وعقدوا معهم المحالفات.. وفي عام ١٩٢٤م احتلت الأسرة السعودية بلاد الحجاز مرة أخرى، وانتهكوا حرمة الكثير من الأماكن المقدسة، وسفكوا كثيرا من الدماء في مذبحة عامة. لقد دخلوا بمساعدة الإنجليز. وذكرت الأفلام التسجيلية التي أذاعتها المحطة البريطانية B.B.C أن البريطانيين أعانوهم أيضا قبل عام ١٩٢٤م. وقال مقدم البرنامج أن السعوديين استولوا على المنطقة بمساعدتنا وقوتنا، وهم اليوم كما قال المذيع، يضطرون للدفاع عنها معتمدين علينا.

فإذا نظرنا إلى الموضوع من هذه الناحية.. بدا الموقف مختلفا تماما. فالحكومة السعودية الحالية التي تحكم الأماكن المقدسة. هي التي احتلتها بقوة الإنجليز أو بقوة العالم الغربي، وهم لا يملكون القوة والدفاع عنها، ويستدعون تلك الأمم الغربية مرة

أخرى لنجدتهم. وليس مدلول «بريطانيا» اليوم كما كان وقتئذ.. كانت وقتها تحكم العالم كله. والآن امتزجت بريطانيا مع الأمريكان، واتحد فكرهم عمليا بحيث أن ما هو أمريكي فهو بريطاني في نفس الوقت؛ وما هو بريطاني فهو أمريكي. من هذه الناحية سلمت بريطانيا ميراثها التاريخي لأمريكا. وهذا هو السبب في أن قراراتهم واحدة في هذه الفترة. وتختلف أوروبا شيئا ما، ولا ضرورة للخوض في هذه التفاصيل.

خلاصة كل ذلك.. أن الحديث عن الأرض المقدسة، مكة والمدينة، ومحاولتهم جمعَ الناس دفاعا عنها.. ليس سوى مكر وخداع. فلا علاقة بين اشتراك الجيوش من البلاد الإسلامية وبين الدفاع عن الأماكن المقدسة، لا حاجة بها إليه، ولا صلة بها معه، ولا خطر يتهددها. ولو كان هناك خطر لكان من جانب غير المسلمين. ولو كان هناك خطر يتهددها من جانب المسلمين.. فقد سبقت به المقادير ووقع بالفعل من جانب السعوديين.. وما استطاعوا احتلال هذه الأماكن إلا بمعونة من غير المسلمين!

وواقع الأمر إذن أن الدفاع عن هذه الأماكن قد بات موكولاً إلى غير المسلمين. وسواء شاركت الحكومات المسلمة أم لم تفعل، فلا علاقة لذلك بهذا الدفاع.. أعني الدفاع المحتمل.. إذ ليس هناك موضوع دفاع بعد، بل هو مجرد احتمال. لو تفكرتم بصدق.. ليس هناك أي احتمال لهجوم العراق على السعودية. إن العراق لا يملك القوة للدفاع عن نفسه أمام الهجمات المشتركة لتلك القوى العظمى. والناس كلهم يتعجبون رغم عدم التوازن الواضح، كيف يملك صدام حسين الجرأة على الاستمرار في رفض «الجهود المتكررة» للسلام، ويعلمون أنه تحت هذه الضغوط الهائلة سوف ينسحق كما يطحن القمح في الطاحون، ومستحيل عليه أن يواجه تلك القوى العظمى فيدافع عن الكويت أو حتى عن بلده نفسه. هذا هو رأي الخبراء العسكريين في العالم. والكل يتعجب.. ماذا يحدث؟ ماذا يملك صدام حسين حتى يستمر في رفض كل «محاولات السلام»؟

الواقع أن القوة الغربية هي التي سوف تقوم بكل عمل مؤثر في المنطقة، وهي التي تستطيع ذلك. أما طلب البلاد الإسلامية للمشاركة فهو لسبب آخر، لا صلة له بالدفاع عن الأماكن المقدسة. إنهم طلبوا من الحكومات الإسلامية أن تنضم إليهم ليكونوا رمزا فحسب، وضموا معهم بلادا أوربية كذلك لتشترك بصورة رمزية، وضغطوا كثيرا على اليابان ليشارك معهم، وهكذا حاولوا أن يضموا بلادا أخرى من الشرق ومن الغرب. وليس السبب وراء ذلك أنهم بحاجة عسكرية إليهم، ولكنهم أرادوا تقديم هذا الصراع أمام العالم بصورة أن الرأي العام العالمي يعارض ذلك الطاغية. وإكرامًا لهذا الرأي العالم العالمي يصبحون فوق الملام، مهما ارتكبوا من أعمال العنف. فلو أنهم اتخذوا ضد العراق أشد الأعمال عدوانيةً، وشاركت معهم في هذا باكستان ومصر وتركيا وبلاد إسلامية أخرى.. فكيف يمكن أن تتحول هذه الدول المسلمة إليهم بعد ذلك ويقولوا: لقد جئتم شيئًا منكرًا. فالمشاركة تحميهم من الانتقاد، ولذلك رسموا هذا المكر، واختلقوا ضجيجا شديدا، وجمعوا الرأي العام بطريقة أجبرت العالم على مشاركتهم.. حتى ولو كانت المشاركة شكلية ويجلسوا جانبا في هدوء.

وأرسلت بعض البلاد الإسلامية جانبا من قواتها المسلحة، وأعلنوا صراحةً بأنهم لن يشتركوا في الهجوم، وإنما سيمكثون حول مكة والمدينة للدفاع عن الحرمات المقدسة! لقد أعلنت باكستان هذا الإعلان السخيف.. كما لو أن الهجوم العراقي سوف يكتسح القوى العالمية العظمى، ويقضي عليهم، ويتقدم مئات الأميال ليصل إلى مكة والمدينة؟! ما هذا الفكر الطفولي! لقد قيل لهم: تعالوا.. وامكثوا هنا في كنفنا وحمايتنا بسلام.. لا تقلقوا، فكل ما نريده منكم هو اسمكم.. مشاركتكم الصورية.. تعالوا وانضموا إلينا بالاسم.. فهذا يكفينا! هذه هي الخطة الدولية العظيمة.. وكل هذا الضجيج من الوسائل يكفل تقديم المسألة في إطار جذاب من الخداع.

والسؤال الذي يبرز الآن: كيف يمكن لصدام حسين ألا يفهم هذه الحقيقة البسيطة الواضحة ولا يتعرف عليها؟لماذا يصر قائلا: لا، لن أنسحب من الكويت تحت هذه الشروط؟ بالإضافة إلى أمور أخرى.. لقد أحس صدام بأن هدفهم ليس مجرد إجلاء العراق عن الكويت. لقد قرروا تجريد العراق من السلاح بكل سبيل، وتركه بلا حول ولا قوة، وأن الانسحاب من الكويت هو الخطوة الأولى. ولذلك لا يقولون: لن نهاجم العراق؛ ولا يقولون: سوف ننهي المقاطعة الدولية ونوقف الحصار الاقتصادي. لا يقولون: لن نطالبكم بالمزيد كي تبقى مولدات الطاقة النووية دون إغلاق. ومع عدم إعلان ذلك، فهم يعبرون بهدوء في كل مكان: بعد الانسحاب سوف نفعل شيئا. والعراق يعرف ذلك جيدا، ويدرك أن المسألة ليست مشكلة الكويت فحسب.. بل إن الهدف الذي من أجله يساندون الكويت لا يتحقق بانسحاب العراق منه، ما دام العراق لم يتجرد عن قوته تماما.

فالحاصل أن الرئيس صدام لا يواجه خيارين.. وإنما هو خيار واحد: إذا كان هؤلاء عازمين على تحقيق أهدافهم الخبيثة.. فمن واجبنا أن نموت.. ولكن بحيث نلحق بهم أشد ما يمكن من الضرر.. ونعجزهم إلى الأبد، ونقضي على قوتهم وكبرهم. هذا بحسب ما أرى هو السبب في إصرار صدام حسين على ألا ينسحب من الكويت بشروطهم. من المحتمل خلال مباحثاتهم مع المستر

بيريز دي كويلار، السكرتير العام لمنظمة الأمم المتحدة، أن يتضح بعض الأمور، وآمل عندما تبدأ هذه المباحثات أن يخلصوا إلى نتيجة يحصل بها العراق على تأمين وتأكيد بلسان الأمم المتحدة أنه إذا انسحب العراق من الكويت فسوف نعالج المشكلة العربية في ذات الوقت، وسوف نوليها انتباهنا، ولن تكون هناك تجاوزات بعد ذلك من أي نوع، وسوف تُرفع المقاطعة الدولية، وسوف يَدَعون العراق دون تدخل من جانبهم.

لو أنهم وضعوا هذه الشروط أمام العراق في عبارات واضحة.. فإني على ثقة من أن العراق مستعد للدخول في السلام. ولكن ما أخشاه أن هذين الشرطين يتعارضان مع ما تريده دول الغرب.. تلك الدول التي أثارت الضجة الشديدة في أنحاء العالم، ولا يمكن لها أن تقبل تلك الشروط بأي ثمن. لو لم تكن نيتهم تدمير القوة العسكرية للعراق، ولو لم يكن هدفهم حماية إسرائيل.. ما كانوا ليرفعوا الصوت أبدا بسبب احتلال الكويت، وما كان للكويت عندئذ أي صلة تهمهم. هذان هما الهدفان الذان لأجلهما أثاروا الضجيج. فكيف يمكن أن يقبلوا هذين الشرطين الذين يخالفان هدفهم ويخيبان أملهم ويحبطان خطتهم. هذا هو التحيل النهائي للموقف الراهن.

وأود أن أذكّر الجماعة الإسلامية الأحمدية مرة أخرى.. أننا، وإن كانت هناك فوارق دينية، لا يمكن أن نتخذ قرارا مبنيا على التعصب، ولا نسمح للتعصب أن يدخل قلوبنا.. لأننا نؤمن من قلوبنا وأرواحنا أن من ينطوي على التعصب، أو يقضي بناءً على التحيز.. لا يحق له أن يسمي نفسه مسلمًا بالمعنى الصحيح. الإسلام والتعصب خِلفان كالشرق والغرب لا يلتقيان. يقتضي الإسلام الحق أن يصدر كل قرار، والله تعالى من وراء القصد. هذه هي التقوى، وهي أساس كل شيء. كل قيمة إسلامية تقوم على التقوى. وجمال التقوى أنها ليست حكرًا لدين بعينه، وينبغي أن تكون التقوى هي النقطة المركزية لكل دين، وحولها تدور تعاليم كل دين. التقوى أن يكون كل فكرك تابعا لما يرضى الله تعالى، وكل قرار ينبغي أن ترى قبل صدوره ماذا يريد الله منك. ولذلك أتوقع من الجماعة الإسلامية الأحمدية.. والتقوى نصب أعينهم.. أن يبتهلوا إلى الله عز وجل من أجل البشرية جمعاء.. كي تكون القرارات نابعة من التقوى، وألا يدع الله قومًا يقاسون تلك الآلام التي تكون عادة في مثل هذه الأحوال.. وإنما يؤثر الله في قلوبهم تأثيرا عظيما.. ويجعلهم يتوبون ويصححون موقفهم، ويوفقهم الله عز وجل للعودة إلى الحق.

أُدعوا للعالم كله.. ليهب الله له سلاما؛ وما أعنيه ليس السلام الظاهري.. وإنما سلام العقل.. لأني أرى رؤية الحقيقة الثابتة، أن سلام العالم يتوقف على سلام العقل وسلام النفس. إن الذين حُرموا سلامَ العقل لا يمكن لمجتمعهم البقاء في سلام.. فإما أن يتعرض العالم للأخطار من ناحيتهم، وإما أنهم أنفسهم يتعرضون للأخطار من ناحية العالم. واضطراب الفكر، واضطراب القلب.. يحدثان اضطرابًا داخل الإنسان. فعليكم الدعاء إلى الله تبارك وتعالى كي يصلح طريقة تفكيرهم، ويصلح قلوبهم، ويصلح مجتمعهم، ويمنحهم السلام القلبي، والسلام العقلي.. لينعم العالم بالسلام.

وبالنسبة للموقف الراهن.. ادعوا دعاء خاصًا كي يمنح الله تعالى بلاد المسلمين من العقل ما يصدهم عن الانضمام إلى البلاد الغربية في طغيانهم، حتى لا يدمروا قوة إسلامية كبيرة.. بسبب تطلعاتهم الطامعة المتعلقة بمصالحهم الذاتية. ينبغي ألا يضعوا توقيعاتهم على هذا القرار.. فيسجّل في تاريخ العالم أن دولة كذا وكذا اتخذت أتعس قرار في تاريخها.. قرارًا يكتب بأشأم مداد.. تترتب عليه تغيرات عالمية هائلة.. ويكتب عنه المؤرخون فيما بعد أنه القرار الذي دمر سلام العالم إلى الأبد؛ وأن الحرب التي خاضوها باسم السلام ولدت حروبا لاحقة.. لم يبرح سلام العالم مضطربًا بها. هذا ما سوف يكتبون في صفحات التاريخ، ونراهم اليوم يكتبون.. ما لم تُفِقْ بلاد المسلمين وتتراجع في الوقت المناسب عن الخطوات الخاطئة وتصحح تفكيرها.

على أي حال.. لو أنهم مضوا في هذا الدرب..فسواء دُمّر العراق أم لا، وسيتبين ذلك غدًا، سوف يضطرب سلام المنطقة إلى الأبد، ولن يتمكن العرب من العودة إلى ذلك الحال مطلقا، ولسوف تنهض إسرائيل كقوة أعظم من ذي قبل، ولن تتمكن قوة عربية بعد ذلك أن تقف في وجه إسرائيل.. لزمن طويل على الأقل. ونتيجة لكل ذلك، ستحدث أزمة اقتصادية عميقة. ولما كانت بلاد العالم الثالث نفسها تعاني من الركود الاقتصادي.. لذلك سوف يشتد تدهورها الاقتصادي، وتتولد الآثار السلبية التي تشعل حروبا جديدة، ويستمر سلام العالم في اضطراب يوما بعد يوم. ومجمل القول إن كل هذه البلايا سوف تواجههم في المستقبل إذا لم تصلح بلاد الإسلام من موقفها.

يردد المفكرون الغربيون عبارة: إن الكرة في ملعب العراق الآن ، وفي يد الرئيس صدام أن يضرب الكرة في الاتجاه الذي يريد: إما ناحية الحرب أو ناحية السلام. وهذا القول غير صحيح. لقد قيّدتم يد صدام، وجعلتم الموضوع بحيث لا يكون صدام في مفترق الطرق.. وإنما يواجه طريقا واحدا، إذا خطا فيه لقي الخراب، وإذا تراجع عنه صادف الدمار. إذا مضى إلى الأمام فهلاك مدمر سريع، ولكنه في نفس الوقت يكبد العدو أذى كثيرا، وإذا تراجع فليس له إلا الشنق. أنتم لا تضعون صدام عند مفترق الطرق، ولكنكم أزحتم الطريق الثاني من أمامه. لو أنكم فتحتم له

سبيلا للاتفاق الشريف لأمكن له أن يقرر ويختار أي السبيلين يسلك: الموت الفجائي، أم الهلاك خنقًا وخزيا! فالكرة ليست حقا في ملعبه، وإنما هي في ملعب البلاد الإسلامية. إذا فَهِمَ المسلمون الموقف الراهن فهما صحيحا، وشاءوا أن يدفعوا عن أنفسهم لوم اليوم.. بل ولوم التاريخ، وربما لهذا السبب وحده، لو أنهم راجعوا قرارهم وأعلنوا على العالم: إذا كان علينا تسوية الأمر مع العراق فلسوف نسويه، ولكن ينبغي على القوى الغربية أن تغادر بلادنا.. إذا أراد الغرب أن يساعدنا فليفعلوا معنا ما كانوا يفعلونه مع العراق في الماضي القريب.. عليهم أن يزودونا بالسلاح، اتركوا الأمر لنا كي نسويه بأنفسنا، إذا أعلن المسلمون ذلك اليوم.. فلن تجد قوى الغرب عذرا لمهاجمة العراق بقوتهم العسكرية. ولو أصر الغرب بعد ذلك على استخدام العنف فلن يكون الأمر بهذه السهولة، لأن العرب والعالم الإسلامي سوف يتمردون عليهم.

هذا هو الموقف الصحيح. ابتهلوا إلى الله تعالى كي يمنح المسلمين الذكاء، ويلهمهم انتهاج الفكر السليم، ويوفقهم لاتخاذ القرار الشجاع.. فلا تجد الدول الأخرى ذريعة للتدخل في العالم الإسلامي. ولكني للأسف لا أشهد دلائل ذلك بعد، ويشعرني المدى الذي وصلوا إليه أن أساسه الأنانية الشديدة.. ونتيجة لهذه الأنانية لا تلعب روابط العرب، دعك من الأخوة الإسلامية، أي دور في طريق أفكارهم، فلا يفكرون في جيرتهم، حتى ولا يشعرون بالأخطار التي سوف يعاني منها العالم العربي. كل هذه الأمور بعيدة عن مجرى تفكيرهم. لقد سيطرت متطلبات مصالحهم الأنانية على كل فكر آخر.

لو تأملتم فستندهشون.. لماذا يتمسكون بموعد الخامس عشر من يناير؟ لم يحدد الله جل وعلا هذا الموعد.. فلماذا يحدث كل ذلك؟ كنتم في بادئ الأمر تقولون بتوقيع المقاطعة الاقتصادية، وأنها سوف تحدث أثرها في خلال عام.. وسيكون فعلها مؤثرا حتما في العراق؛ وإن كان من المحتمل ألا يظهر أثرها الكامل في خلال ستة شهور. هكذا كانت أمريكا تتحدث علنا في هذه الأمور، وكان خبراء الغرب يعطون تقديراتهم على هذا النحو. فما الذي حدث هكذا فجأة.. مع أن المقاطعة بدأت بالفعل تؤتي آثارها وقاسى العراق منها كثيرا؟ لماذا بدلا من الانتظار حتى يزداد العراق ضعفا وضيقًا من المقاطعة.. أراكم تتعجلون الهجوم العسكري؟ ما صلة الموضوع بيوم الخامس عشر من يناير؟

تفكرت في الموضوع، وأحسب أنه متصل بأنانية السعودية وحلفائها. تتحمل السعودية نفقات هذه الحرب.. وهم أشد بخلاً على الرغم من ثرائهم الغزير. لعلهم قدّروا، وقالوا لو انتظرنا حتى تنهار مقاومة العراق بفعل المقاطعة فلسوف تنهار أموالنا لأننا ندفع ونتكلف البلايين.. سوف يهلك رصيدنا في البنوك. لذلك أسرعوا وفضلوا مواجهة مخاطر الحرب حتى لا يفلسوا، وضغطوا على أمريكا لتعجل بالحرب. طبعًا، لا يمكن أن تتحدث أمريكا في هذا الأمر علانية وتكشف من يضغطون عليها. فالرئيس بوش يتعرض للفضيحة في بلده، ويسأله الكونجرس عدة مرات: لقد قلت بالأمس أن المقاطعة مؤلمة للعراق بهذا الشكل وذلك الشكل، وسوف يضطر العراق إلى الخضوع في مدى عام.. والآن لم غيرت قراراتك فجأة، ولا تتحدث إلا عن الحرب؟ كيف يمكن للرئيس بوش أن يرد على هذه الأسئلة بأنهم يتصرفون كالمرتزقة الذين يُستأجرون للقتال في هذه الحرب.. وأنهم يأتمرون بأمر سيدهم الذي يدفع لهم؟ كيف يقول إن من استأجرهم يطالبهم بالإسراع، ويقول لهم: هيّا رفاق.. فلا أستطيع تحمل النفقات أكثر من ذلك؟ هذا هو الموقف الحقيقي.

ولذلك، عندما أقول إن الكرة في ملعب البلاد الإسلامية.. فقولي هذا من ناحية المعنى الإجمالي الذي ذكرته لكم، ولكن من ناحية الواقع.. فالسبب الأساسي لقولي هو أن القرار في يد السعودية.. التي يدفعها ارتفاع قائمة تكاليف الحرب إلى الإسراع بتدمير العراق في أقل وقت ممكن.. حتى ينتهي القتال، ويعود الوضع إلى الحال العادي. ولكن هذا من أقصى حماقات تفكيرهم.. أن يتوقعوا عودة إلى الأحوال العادية. بعد الحرب ستكون كل علامات «العادية» قد انمحت تماما. إذا دمر العراق فسوف يتدمر معه كل التاريخ الماضي، وسوف يتبدل المزاج العام في البلاد العربية تبدلا تاما. سوف يتغير تفكير الأمم العربية، وينشأ عصر جديد ومناخ جديد. هؤلاء القوم ذوو الأحلام الحمقاء.. يريدون تسوية النزاع بسرعة كي يعودوا إلى الحال الطبيعي! لن يكون بوسعهم الرجوع أبدا إلى أي حال عادي.. ولكن عجلة التاريخ سوف لا تنفك تدفعهم أمامها.. ليواجهوا أشد المواقف خطورة، ولن يستطيعوا تجنبها. إنهم اليوم يركبون تلك الأمواج التي تجري بهم كسيل الجبال.. ترغي وتزبد وتتلاعب بأضخم السفن.. وعندما تنحدر هذه السيول كالشلالات الهادرة فسوف تحطم أكبر الأشياء وتُحيلها أشلاء صغيرة. هذه هي أمواج الزمان.. يمتطونها الآن، ولا يستطيعون الرجوع عنها. هناك طريق واحد للعودة.. ذلك بالرجوع إلى التقوى، وأن يتخذوا قراراتهم والله تعالى في حسبانهم.. ينبغي أن ينظروا إلى مصالح أمة المسلمين، وأن يوطنوا أنفسهم على التضحية بمصالحهم الأنانية. لو أنهم فعلوا ذلك لأشرق على الإسلام فجر عصر جديد بإذن الله تعالى.. عصر جديد لا يشبه الماضي، وإنما أفضل آلاف المرات من العصور السابقة، ويزداد فضلا كل يوم.

فأرجو أن الله تعالى سوف يهبهم الفهم، وإذا كان لا نصيب

لهم في الفهم بالرجاء.. فأسأل الله تعالى أن يمنحهم فهما استثنائيا. وأذكِّر الأحمديين بأننا جد ضعفاء، ولكن بوسعنا الدعاء، ونعرف كيف ندعو، ولقد ذقنا ثمرات الدعاء من قبل، ولا نزال نذوقها. عندما تقولون في صلاتكم: [إياك نعبد وإياك نستعين]، وكان الموقف الراهن تحت أنظاركم، اسجدوا لله واذكروا أن حرمة مكة والمدينة ترتبط بالعبادة، وستبقى مرتبطة بها. إنهما بلدتان مقدستان لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا المصطفى ﷺ عَبَدَا الله فيهما. ادعوا أن يا ربنا.. نحن الآن عبادك الخاشعين المتضرعين، علينا إحياء تلك الصلوات في هذا العالم.. ليس على نفس المستوى من الروعة والبهاء.. وإنما بالقدر الذي تمكننا منه، ونحن يا رب نسعى لإحياء هذه العبادة وبنفس الطريقة.. نبتهل إليك يا ربنا أن تتقبل دعاءنا وأن تعيننا. اللهم إنك إن لم تُعن أولئك الذين يعبدونك فستختفي عبادتك من الدنيا، وتنمحي السعادة بعبادتك من الأرض. اللّهم تقبل دعاءنا [إياك نعبد]. إننا يا ربنا لا نتطلع إلى أمة من أمم هذه الدنيا.. وإنما نتطلع إليك وحدك. إننا نسجد لك فأعِنّا.

إذا تقبل الله جل وعلا دعاءنا، وإذا صعد الدعاء من أعماق قلوبنا، وإذا دعا الأحمديون جميعا بهذا الدعاء في أنحاء الدنيا.. فليس ببعيدا أبدًا أن يقبل الله هذا الدعاء. وعندئذ ترون بإذن الله تعالى أن الكرة لن تبقى في يد أحد، وإنما ترتد إلى قدر الله تعالى. وسيكون دعاؤكم بحيث تقع يده على قدر الله، أو تمس أنامله قدم التقدير الإلهي.. وعندئذ لن ينفك القدر الإلهي يكون مع دعائكم.

الآن يجب أن تُروا الدنيا هذه الألوان المتغيرة. وتخبروا الدنيا أن الله تعالى لكم، وأنه معكم.. وأن من كنتم معهم كان الله تعالى معهم.

خطبة ١٨ يناير ١٩٩١

بير بكارا.. سياسي قديم مرموق في باكستان، وهبه الله مهارة خاصة لم أشهدها في سياسي باكستاني آخر.. ذلك أنه أحيانا يعبر عن حقائق من الحكمة في لغة فكاهية لطيفة.. لو يُعبَّر عنها بكلمات صريحة لا تحدث نفس الأثر. ويقول أيضا أشياء لا تُعدُّ مناسبةً في بعض المواقف، ولكنه يستطيع التعبير عن أفكاره بلغة رمزية ملفوفة بالفكاهة.. وله فيها باع طويل.

سأله أحدهم منذ فترة: ما رأيك في المشكلة التي يواجهها ما كان يسمى من قبل «باكستان الشرقية»، (يعني بنجلاديش). فأجابه بير بكارا: لماذا تسألني عن أشياء من الشرق، مع أن قبلتنا ناحية الغرب.. وإلى الغرب نسجد؟ لذلك فاسألني عن الأشياء التي من الغرب.

ما ألطف هذا البيان وما أعمق معناه! لا شك أنه ملفوف بالفكاهة، ولكنه ينطوي على حقيقة موجعة للغاية.. ولا تزال تتضح يوما بعد يوم. تلك الأمم التي تعيش في الشرق من بيت الله قبلتُهم إلى الغرب في كل حال.. ولكن بير بكارا لم يكن يقصد هذا، وإنما أراد القول بأن قبلتهم الظاهرة جهة الغرب، ولكن قبلتهم الباطنة في اتجاه آخر. ويذهل الإنسان من سَدَنة بين الله الحرام.. الذين يعيشون في حرمه، ومع ذلك يسجدون ناحية الغرب! وتقتضي حماية المسلمين اليوم من المشاكل العالمية أن يصححوا قبلتهم في المقام الأول.. وإذا لم يفعلوا ذلك.. وإلى أن يفعلوا ذلك.. لن تحل واحدة من مشكلاتنا.

لقد أتى على الأمم الإسلامية زمن انقسمت فيه إلى فريقين: فريق قبلته نحو الشرق، وفريق ثانٍ يتوجه نحو الغرب؛ ولم يتخذ أحد منهم بيت الله الحرام قبلة له. وبحثًا عن حل لمشكلاتهم كانوا إما يتطلعون نحو قوى الشرق أو في اتجاه قوى الغرب. وعلى أثر التغيرات السياسية التي جرت في الاتحاد السوفيتي، وما تم بين أمريكا وروسيا تهدمت إحدى القبلتين.. ولم يبق لهم سوى قبلة واحدة. ولكن القبلة الحقيقية التي لا تنهدم أبدا.. القبلة التي جُعلت سبيل الخلاص للمسلمين في كل الدهور.. لا يولون وجوههم نحوها. فأهم حاجات المسلمين في الوقت الحاضر أن يصححوا اتجاه قبلتهم.

الموقف الرهيب الذي يقف فيه عالم الإسلام والذي يُنزل عليهم بؤسًا وشقاء، يتولد عنه أنواع شتى من ردود الفعل.. سأتناولها بإيجاز أمام الجماعة، ثم أذكرهم بما ينبغي أن تكون عليه استجابتهم في ضوء تعاليم الإسلام.

هناك قطاع كبير من البلاد الإسلامية بقيادة السعودية، يضعون اعتمادهم كلية على القوى الغربية، ولا يجدون غضاضة فيه أو يستشعرون خزيا، ولا يحسون اهتماما أو يبدون اكتراثا تجاه استمرار التمزق في العالم الإسلامي، وازدياد فرقتهم عمقا يومًا بعد يوم. والجماعة الإسلامية الأحمدية.. أبدًا لم تؤيد العراق فيما فعل.. وكما سمعتم في خطبي السابقة.. لم نوافق معه على احتلال الكويت، وموقف الجماعة الإسلامية الأحمدية ثابت لم يتبدل، لأن تعاليم الإسلام توجب على المسلم أن يعين أخاه المعتدي بكف يده عن العدوان. ولقد حاولنا مرة بعد أخرى مساعدة العراق من هذه الوجهة، وبعثنا إليه بالرسائل، وبكل طريق بيّنت الأمور في خطبي، وشرحت له أنك تدخل باب الظلم من ناحيتين.. ولو أردتَ معونة الله تعالى.. لزمك أن تسحب يدك مبتعدا عن العدوان!

أول ما يجب عليك هو انسحاب جيشك من الكويت، بـ ذلك تعرض نزاعك مع الكويت للحل في ساحة الأخوة الإسلامية.. وليس أمام الأخوة العالمية.. ذلك كي يتم الحل في إطار السلام والوفاق. هذه هي تعاليم القرآن الكريم، وعلى ضوئها قدمنا النصح لبغداد.

الأمر الثاني الذي عرضناه عليه أن مواطني البلاد الأخرى الذين يعملون في بلدك ورجال السلك الدبلوماسي وديعة الله عندك، فلا تضيِّع وديعة الله. وبفضل من الله، وصلته رسالتي أم لم تصله، اتخذ العراق قرارا حكيما قائما على العدل، وصحح موقفه السابق، وسلك مسلكا منصفا بأن استغنى عن «الدرع البشري»، وأعلن إطلاق سراح كل الأجانب المقيمين في العراق.. ليعودوا إلى بلادهم وقتما يشاءون، حتى إنه سمح اليوم للصحفيين بتسهيلات لا يحصلون عليها في بلاد الغرب في مثل ظروف الحرب، ودعاهم ليتفقدوا الموقف، ويبعثوا بالأخبار إلى الخارج. فها هو أوقف العدوان من ناحية واحدة.

أما من ناحية احتلال الكويت، فالله تعالى وحده هو الأعلم بما هناك من حكمة أو ضرورة أو إكراه جعله يرفض الانسحاب، ودفعه إلى الإصرار. ونتيجة لذلك يبدو أن الحرب الرهيبة الجارية معركةٌ من جانب واحد، وتكتلت كل القوى ضد العراق، وضموا إليهم بعض المسلمين ليُظهروا أمام العالم أن الحرب ليست بين المسلمين وغير المسلمين، بل إنهم يبذلون التضحيات لمساعدة بلد مسلم في حربه ضد المعتدي.

فما هي حقيقة هذه التضحيات وما صلتها بالواقع.. العالم بأجمعه يعرفها. الواقع أن تضحياتهم من الصنف الذي تصل فوائده الهائلة إلى خزائن الغرب بقدرٍ لا يستطيع الإنسان العادي تخيله. أما الدعايات التي ترددها أجهزة الإذاعة والتلفزيون تختفي في خلفيتها كثير من الحقائق، وبدون فهمها لا يمكن تصور من هو المستفيد من تلك القوى المتحاربة، ومن يلقى الخسران.

وكما تعلمون.. لن يعاني العراق سوى الخسران، وموقفه شديد الألم. ولقد قلت للعراق في خطبي في صراحة ووضوح أنه كان عليكم التريث. لقد أعطاكم الله تعالى قوة، وكان يلزمكم وقت طويل حتى تزداد قوتكم وتكتمل. ولقد كانت قراراتكم قبل نضجها وقبل أوانها وغير سليمة، لذلك عليكم رفع أيديكم من هذا العمل الظالم، والعمل على مزيد من التقدم.

وفي اجتماعنا السنوي الماضي (٨، ١٩٩٠) طلبت من المسلمين أن يدعو الله تعالى كي يهبنا «صلاح الدين». وشاهدت في أخبار التلفزيون منذ وقت قريب أحداث العراق، ثم حولت القناة فوجدت برنامجا يعرض مظاهرة لبعض المشائخ، يهتفون للرئيس صدام حسين على أنه صلاح الدين. ولكن صلاح الدين لم يولد نتيجة للعواطف الثائرة والعلاقات العمياء. لم أقصد بصلاح الدين أن يقيم المسلمون لأنفسهم وثنًا ويطلقوا عليه اسم صلاح الدين. الإنسان بحاجة إلى كثير من القدرات ليكون صلاح الدين، ومع هذه القدرات لا بد من صبر طويل.

كان على السلطان صلاح الدين أولا أن يوحد عالم الإسلام، ولذلك كرس شطرا كبيرا من حياته للعمل على توحيد الحكومات العربية المتشتتة وليقيم حكومة مركزية. وبعدما اطمأن وارتضى بالأحوال الداخلية تحدى العالم الغربي دفاعًا عن فلسطين. ويعلم العالم أنه كما تحالفت قوى الغرب اليوم ضد بغداد.. كذلك فعلوا وقتئذ بشغف وحماس أشد، وبروح الحرب الدينية التي ولدت فيهم نوعا من الجنون، وحاولوا مرات عديدة بقوة وحماس وسعر تحطيمَ قوة صلاح الدين. وبالرغم من أن صلاح الدين كان أضعف منهم نسبيًا في القوة العسكرية، ولم يكن يتميز عنهم بقدرة قتالية غير عادية.. إلا أنه فاز بنصر الله تعالى مرة إثر مرة.

كان صلاح الدين حائزا لبعض الخصال الطيبة.. كان تقيا راضيا مستسلما لإرادة الله تعالى. كان رجلا لم يتمكن أشد أعدائه من الأوروبيين أن يلقوا عليه لوما بسبب ظلم أو سوء سلوك. يقول الباحثون الذين دققوا في تاريخ صلاح الدين أنهم لم يجدوا شيئا واحدا يأخذونه عليه كإساءة إلى الإنسانية أو تجاهل لحقوق الإنسان، أو ممارسة شيءٍ من الظلم أو القسوة، أو اتباع مسلك قبيح. قالوا: لم نجد مثالا واحدا في حياته.. ثم قالوا إنهم وجدوا حادثة واحدة، ولكن كتب عنها نفس المؤلف الأوروبي أنها من اختلاق الغرب ولا صحة فيها. قالوا: إن أميرًا أوربيًا قصد مدينة الرسول ﷺ ليهدمها ويزيل الضريح النبوي فيها. وعندما بلغ مشارفها تمكن صلاح الدين من إلحاق الهزيمة به وتقويض خطته الخبيثة. أُخذ الأمير أسيرا ووقف بين يدي صلاح الدين. أراد الأمير العطشان أن يمد يده ليتناول كأسا من شراب، ولكن صلاح الدين عاجله بضربة من طرف سيفه حطم بها الكأس وحرمه الشراب. لقد انتصر صلاح الدين على جيشه الأكثر من جيشه عددًا وعدةً بمناورات ذكية وكمائن ماهرة في الصحراء.. أرغمت العدو على كثرة التحرك في اتجاهات ترهقه وتبعده عن مصادر الماء. انتصر صلاح الدين بفنون المناورة وليس بقوة السلاح. ولما مثل الأمير أمامه كان في شدة العطش، وحرمه صلاح الدين من الشراب.

هذه هي النقطة السوداء التي يزعمون أنهم وجدوها بعد تنقيب دقيق في حياة صلاح الدين وأخلاقه، وغير ذلك لم يجدوا شيئا يعيبه. يقول المؤلف، وقد قرأت كتابه منذ زمن طويل ونسيت اسمه: من يحسب هذا التصرف خطأ من جانب صلاح الدين لا

يفهم المزاج العربي، ولا يفهم الأخلاقيات العالية في التقاليد العربية. ومن هذه التقاليد الأخلاقية السامية أنهم لا يوقعون العقوبة على من يشرب ماء أو يتناول طعاما من بيتهم مهما كانت فظاعة جرمه. ولكن جريمة هذا الأمير كانت انتهاك حرمة مسجد وضريح المصطفى ﷺ، وهي من القبح والشناعة بحيث لا يمكن أن يغفرها له رجل محب للرسول ﷺ مثل صلاح الدين مهما كان الثمن. فكان صلاح الدين يرى من سوء السلوك أن يسمح للأمير بتناول شراب من فوق مائدته، ثم ينفذ فيه العقوبة، وليس من سوء السلوك أبدا أن يتركه ظامئا للحظات قصيرة قبل موته.

كان صلاح الدين رجلا عظيما.. ذا إدراك عظيم لأخلاقيات الإسلام.. حتى أطلق عليه بعض المؤرخين الغربيين اسم عمر بن عبد العزيز الثاني، وقالوا: لقد انعكست أخلاقيات وروحانيات عمر بن عبد العزيز تارة أخرى في العالم العربي في شخص صلاح الدين.

وإذن لم يُصنع صلاح الدين من ثوران العواطف فحسب، ولكن اسم صلاح الدين نفسه يتطلب صفات طيبة عديدة. ربما استثار البرنامج عواطف بعض الأحمديين، وقالوا في أنفسهم: لقد دعونا الله تعالى ليقوم في المسلمين صلاح الدين.. وها قد استجيب الدعاء وظهر صلاح الدين على الفور! هذه أمور صبيانية، وينبغي أن ينضج تفكيركم، لأنكم خلقتم لقيادة الدنيا كلها، وها أنا أذكركم بمقامكم، لم تُخلقوا لقيادة أمة بعينها أو دين بذاته، وإنما اكتسبتم المقدرة على القيادة من كونكم خدام سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ، وأوتيتم إمكانيات إمامة العالم كله، لأن المصطفى ﷺ بعث لإمامة الدنيا كلها،وأقامه الله ليزود العالم بصادق النصح وسليم التوجيه. ولم يحصل الذكاء الإنساني من قبل على مثل هذا الكمال المحمدي أبدا. كان قلبه(ﷺ) كاملا، وكان فكره كاملا، لم يتدخل هواه قطّ في فكره بما يخالف الشرع.

والموقف الرهيب الذي يواجه العالم اليوم.. ينظر إليه البعض كمباراة في الكريكت، يجلس الصغار والكبار حول التلفاز طوال اليوم يشاهدونها ويستمتعون بها. إنها ليست لعبة الكريكت.. بل هي أشد الحروب فظاعة وإيلاما. لا بد وأنكم سمعتم عن القصف السجادي (Carpet Bombing)، الذي يعني الهدم والتدمير لمنطقة بأكملها. في هذا القصف تلتقي حافات الحفر الناجمة عن القنابل وتتلامس.. وهذا هو نوع القصف المتبع ضد العراق. قالوا إن ما أُلقيَ على العراق في ليلة القصف الأولى من أشد القنابل فتكا يفوق ما أُلقيَ على هيروشيما. ومنذ ذلك الوقت وهذا القصف مستمر بعنف.

في مثل هذا الموقف.. تمتلئ القلوب المسلمة بالآلام.. أعني قلوب أمة الإسلام التي تحب الإسلام، وتحب الإنسانية، وتحب السلام لبني الإنسان، وتود ازدهار القيم الإنسانية.. والتي لا يمكن أن تستشعر السعادة لفوز التعصب من إحدى الأمم. هذا هو عالم الإسلام الذي نتحدث عنه، وهو الذي يقاسي أشد الألم، ويحسون به في قلوبهم ليل نهار. ولا يعني ذلك أبدا أنهم يؤيدون قرارات الرئيس صدام حسين.. أبدا، ليس هذا هو المعنى.

عندما ضرب الرئيس صدام إسرائيل بصواريخ سكود (Scud)، كان الضرر الواقع ضئيلا لا يزيد عن حادثة حافلةٍ عاديةٍ؛ وتُسفرالهزّة الأرضية عن أضرار تفوق ذلك آلافًا ومئات الآلاف من المرات، والإرهابيون الذين يفِدون إلى هنا من إيرلندا يفجرون قنابلهم فيحدثون خسائر أكثر منها بكثير. ولكن هجمة صدام على إسرائيل أزعجت العالم كله! هذه كلمات رئيس الوزارة البريطانية.. قال: لقد انزعجنا. لقد أصابه الذهول، وتألم بصورة غريبة لدرجة أنه لا يجد كلمات للتعبير عن ألمه. تصدر كلمات التعاطف مع إسرائيل من قوى العالم. وفي مثل هذه المواقف تصدر القرارات لاتخاذ خطوات يترتب عليها معاناة العراقيين. ولما كان العراقيون مسلمين، وأغلبهم لا يشاركون وغير مسئولين عن قرار الحرب، لذلك ينبغي على كل إنسان نبيل في هذا العالم أن يشارك في الألم.. مسلما كان أو غير مسلم. أولئك العزّل المساكين بلا حول ولا قوة.. يعانون من الجوع.. ويُمْطَرون القنابل بعدوانية شديدة.. ولا يقول أحد بأنه انزعج لما يحيق بهم، أو ما أشد الضرر الذي ينزل بهم. ولكنهم انزعجوا للحادثة مع إسرائيل، ولعل ذلك لخوفهم من انتقام إسرائيل عندما تنزل بالعراق عقابا فظيعا مضاعفا لما وقع بها! لعل هذه هي الحكمة وراء كلمة «انزعجنا». ولكن هناك أخطار أخرى هي أخطار الأنانية. يخشون من انتقام إسرائيل حتى لا يترتب عليه انقسامات في العالم الإسلامي.. وهم أصلا منقسمون. فإذا ازداد انقسامهم وساندت العراقَ بعض بلاد الإسلام كان في ذلك مزيد من الصعوبات أمام الغرب!

على أي حال، لقد زادت المشاكل على إثر الأفعال التي قاموا بها، ولا يمكن أن يرضى بها أحد في العالم ممن يتعاطفون مع الإنسانية والسلام. لا يليق بأحد أن يرضى عن معاقبة العراق هذا العقابَ المريع، لأن الرئيس صدام أصدر قرارا خاطئا.. لا يرضى بذلك الشخص العادي.. ناهيك عن المسلم. ولكن عندما تشاهد الكويتيين والسعوديين وهم يشاهدون هذه المناظر في التلفاز جالسين عاطلين فوق كنوزهم، ضاحكين مبتهجين في هياج وشغف شديدين تذهل وتندهش.

عندما ترى هذه المشاهد لا تستطيع وصف ما يعتري القلب من ألم، وتنظر بذهول وتقول: من هؤلاء الناس الذين لا يزالون يعلنون

على دقات الطبول أنهم أهل التقوى، وأنهم جند الإسلام من الطراز الأول، وأنهم حملة مفاتيح بيت الله، والقائمون على حماية المقدسات الإسلامية، وأنهم أهل القيادة العظمى للإسلام! هم لا ينفكون عن قول هذه الدعاوي العريضة.. ولكن انظروا حالهم.. وقيمهم الأخلاقية.. التي تتجلى أثناء إنزال أشد الفظائع بالبلد المجاور لهم. عندما يُرفع الستار عن آثار هذه الحرب فيما بعد.. سوف يبكي التاريخ طويلا عند ذكراها. لقد صارت فظائع هولاكو خان من أحاديث الماضي، فالدمار الذي وقع في الحرب العالمية الماضية جعل أعمال هولاكو خان تبدو كالأحلام. وهم اليوم يعترفون بألسنتهم؛ يقولون: دعكم من حديث الحرب العالمية، وحرب فيتنام، فالقصف الجاري في العراق اليوم لا مثيل له في أي عمل عسكري في العالم. وإذن فالضحك لمرأى هذه الفظائع، والابتهاج والسلوك بهذه الطريقة لا يليق بأي إنسان شريف. هذا السلوك المتدني، وهذه الأخلاق الوضيعة.. رأيتُها لأول مرة، واندهشت من هؤلاء القوم.. الذين أتيح لهم هذا الثراء العريض. أهذا هو أدبهم، وهذا هو ذكاؤهم وفهمهم؟

لم يفكر أحد منهم أن تعالوا نسأل الله المغفرة. لم يفكروا في التوبة وتقديم أنفسهم أمام المحكمة الإلهية، والسجود تجاه العتبة الربانية.. والابتهال إليه جل وعلا.. أن يا الله.. ما هذا الشقاء الذي سقطنا فيه حتى صرنا هكذا بلا حول ولا قوة، هذا إذا كانوا حقا يحسون ذلك. يا ربنا، ما هذا الذي أوقعنا في التعاسة حتى ألجأنا إلى قتل إخواننا وتدميرهم. كان عليهم بتقديم الصدقات وإبداء مشاعر التعاطف مع البشر. ينبغي أن يستخدموا ثرواتهم على نحو لائق سليم.. تلك الثروات التي وضعت وديعة في أيديهم. بدلا من فعل ذلك يجلسون إلى التلفزيون وينتظرون الوقت التي تزول فيه قوة العراق من على سطح الأرض.. وبعدها يعودون إلى بلدهم الكويت مزهوين، وتأتي قوى الغرب لتُعيد لهم بناء بلدهم الصغير، وتكون العراق قد بادت من الأرض!

والسؤال الآن: من هو المستفيد حقا من كل هذه العملية ومن المسئول عن هذا الموقف العالمي الرهيب؟ قيل لنائب وزير الدفاع الإسرائيلي هذا الصباح: لقد سقطت صواريخ سكود على بعض منكم، ولم تحدث أذى كثيرا، ولقد امتنعتم عن اتخاذ رد فعل، ولو لا ذلك لتضرر تحالفنا مع العالم الإسلامي ضررا بليغا. أجاب الوزير على المتحدث: ما هذا الهراء الذي تقول؟ ما أسخف هذا السؤال الذي لا أرى فيه أثرًا من الذكاء. هل ترى أي فضل للسعودية في تأييدها لأمريكا أو بريطانيا والدول الأروبية؟ هل تحسب أن للكويت أو مصر معروفا في تحالفهم معكم؟ إنهم جميعًا مدينون لكم بالفضل. وهم لا يبالون مثقال ذرة لو دمرت إسرائيل العراق، أو دمَّره أي بلد آخر. هذه البلاد عبيدكم الآن، ويشعرون بالامتنان لكم، ويعتمدون عليكم تماما. إنهم لا يملكون القدرة على الغضب منكم!!

جواب ينطوي على حقيقة عميقة ولا نكران لذلك.. فهذا هو الموقف الحالي. بيد أني أختلف معه بشدة في أمر واحد. يقول: إنكم أسديتم إليهم معروفا. وهذا كذب محض. إن مشاركة دول الغرب في هذه الحرب ليس صنيعًا بأي حال.. ليس صنيعا للإسلام، ولا للدول الإسلامية التي يحاربون باسمها. ولكن مشاركتهم هذه، كدأبهم، هو أشأم محاولة لاجتلاب المكاسب من كافة الأطراف. وهذا ما كانوا دائما يفعلونه في التاريخ الحديث. كانوا دائما يسعون لذلك، وحيثما اضطرب السلام العالمي، وكلما تأزمت الأمور تحصل الدول المتطورة دائما على النصيب الأكبر من المنافع.

وعلى ضوء هذا البيان الوجيز، لو حللنا الموقف أكثر لتيسَّر لكم فهم ما أقوله عمن هو المستفيد. هذه الأسلحة الكثيرة، وهي من أحدث الأنواع، ترسل إلى أرض المعركة.. وتكلف البلايين لا تستطيعون حقًا تصورها. يكفي أن تتخيلوا جبالاً من الأموال. لقد سمعتم عن شيءٍ واحدٍ اتفقوا عليه.. سوف تدفع السعودية نصف هذه الأموال، ولكنهم لم يذكروا مقدار هذا النصف بالتحديد، ولم يشيروا كيف يسدد النصف الثاني ويوزع على بلاد المسلمين الأخرى، وفي حساب من يضعون. ولكن بإمكاني القول بيقين أن الكويت والبحرين وقطر ودولة الإمارات سوف تدفع القدر الأكبر منه. هذه هي الصورة الواضحة التي تبرز أمام العيون.. قوى الغرب هي التي تستفيد وحدها من الحرب، حتى التي لا تشترك في القتال الفعلي.. وأعني بها إسرائيل.

في مقابلة تمت اليوم مع مفكر أو سياسي غربي.. اعترف الرجل صراحة: كنا من قبل نقول بضرورة تدمير العراق، والآن تعرفون لماذا كنا نقول ذلك. صواريخ سكود هذه التي لم تسدد بإحكام.. لو أنها بقيت سليمة ولم تبدأ الحرب.. فإنها كانت سوف تسدّد إلى إسرائيل في حرب أشد رعبا. وهكذا يتبين أنه فيما يتعلق بالهدف فمنافع هذه الحرب الكريهة تؤول إلى إسرائيل. وفيما يتعلق بالمنافع الاقتصادية فإنها تذهب كاملة إلى الدول الغربية. والسبب في ذلك أن كافة الأسلحة التي تستخدم في هذه الحرب فإنها منذ المسالمة مع الاتحاد السوفيتي، فقدت قيمتها وصارت بلا طائل. هذه الأسلحة تمثل معظم قائمة النفقات المدفوعة. أما عن تكاليف النقل فعلى حساب البترول المجاني. ولو أنهم أعدوا القائمة بنصف التكاليف لضمن لهم هامش ربحهم نسبةً مئوية كبيرة. فالربح الاقتصادي من هذه الحرب تفوز به القوى الغربية.. إذ يستخدمون أسلحة بطل استعمالها، أو سلاحا جديدا يدفع ثمنه طرف آخر. فدول الغرب التي تشارك في هذه

الحرب يخسرون أعدادا قليلة من الأنفس، ويجنون الربح كاملا في النهاية.

إن عالم الإسلام هو الذي يقاسي أضرار بالغة بسبب هذه الحرب، ولو تم تدمير العراق.. فستكون خسارة يبكي لها المسلمون لعشرات السنين.. ولو تجاهلتم هذا الضرر.. فلسوف تكون الصورة بعد الحرب أشد ضررا وخطرا. ومن هذه الأخطار ما قد نواجهه في الحال.. لو أن الرئيس صدام قام بعمل آخر غير مسئول.. بقصد توريط إسرائيل وكسر التحالف بين الدول الإسلامية والدول الغربية، عندئذ تقوم إسرائيل بأعنف أعمالها الوحشية، ولن تعمل قوى الغرب على كف يدها ولن يبدوا أي اكتراث لما يقع. وعندما يحدث ذلك.. فلسوف تتألم قلوب هؤلاء المسلمين الذين لا حول لهم ولا قوة.. الذين في قلوبهم حب عميق للإسلام، ونبيّ الإسلام، ورب الإسلام.. الذين يحبون العدل والسلام العالمي. وبعد ذلك ستكون هناك ضجة شديدة في بلاد المسلمين.

يفوز الغرب في هذه الحرب من ناحية المادة، ولكنهم يبذرون بذور شقاق رهيب، سينمو في كل مكان، وسوف يضطرب سلام العالم مرة أخرى، وستكون البلاد الإسلامية مركز هذه النزاعات. سوف يحاولون في أماكن إسقاطَ الحكومات المسلمة، وفي أماكن أخرى سوف تتفاقم الملاَّوية، أي نظام المشائخ الجهال و محترفي الدين، تلك النظم الفظيعة التي لا علاقة لها بالقرآن الكريم.. وإنما تنتمي إلى نظريات العصور الوسطى المظلمة. وسوف تتعلق هذه الملاّوية بالهوس الديني وليس بحب الله تعالى، ولا حب رسوله، ولا حب القرآن، وإنما تنبثق من أهداف سياسية، ولا تخلق قيادتها سوى الخراب. إن دأبها أن تأخذ الأمة إلى أسوأ حال. سوف تكون هناك مشاكل بلا حصر عقب هذه الحرب، ولن ينقطع توالد الأخطار، وكل خطر سيكون مولِّدًا لأخطار لاحقة تهدد سلام العالم. ومثل هذه الانفجارات التي تنشأ عن الجنون الديني أو عن مشاعر الحرمان السياسي.. تحدث أثرًا واسعا وبعيدا. والآذان التي تسمع صداها توجهها إلى تفتيت القلوب.. ومن ثم إلى العقول.. فتتحول إلى مؤامرات. وسواء وقع هذا الانفجار في الكويت أو في السودان أو في مصر أو في أي بلد من بلدان المسلمين.. سوف يقاسي المسلمون أشد الآلام من صدمات موجاته، وتحدث الفوضى الكبرى، وتتولد حركات كثيرة من أنواع شتى. وإذا اتصل الانفجار بقومية معنية.. تترتب عليه انقسامات بين الأمم. على أي حال.. فالتفاصيل طويلة، لا داعي للمضي في سردها. كلكم يعرف ويدرك أنه عندما ينتهي النزاع الحالي فلن تتوقف النزاعات، وإنما تبدأ على نطاق أوسع.

وثمة خطر ثان.. فمن الممكن أن يتحول هذا النزاع الراهن إلى نزاع عالمي، وتنشب الحرب العالمية التي تقشعر لذكرها الأبدان. وهؤلاء الذين يجلسون خارج بلادهم يُستمتعون بمشاهد التخريب في بلد آخر.. قد يمرون بمثل هذا الموقف ولا يكونون من المتفرجين وإنما من المجرّبين. فالموقف جد خطير ومرعب ومضطرب إلى الأعماق.

أنا لا أطلب من الجماعة الإسلامية الأحمدية.. الدعاء لنصرة هذا الفريق أو ذاك، وإنما أطالبهم بالدعاء للسلام العالمي. ابتهلوا إلى الله جل وعلا: يا رب، نحن المحبون المغرَمون برسالة سيدنا محمد المصطفى ﷺ، المحبّون المولَعون باسمه الكريم أيضا.. لأنه سيدنا وأشد محبيك. يا مالك الأرض والسماء.. لم يحببك مخلوق كحب سيدنا المصطفى ﷺ، ونحن نحب اسمه وعمله وشخصه ودينه، ونحب أيضا بني البشر جميعا. لقد بعثته يا ربنا رحمةً للعالمين، وحبنا له يقتضي أن نذوب لآلام الناس أجمعين، وعلينا أن نعينهم ونسعى لنحسن حالهم. ونحن يا ربنا، لا نملك شيئا سوى الدعاء. نحن يا رب، جماعة من الضعفاء الذين لا حول لهم إلا بك، ونحن يا رب جماعة نلقى الاضطهاد.. ولكننا نسجد بين يديك، ونتوسل إليك بمذلة وحرارة وإلحاح.. أن تنزل رحمتك على أبناء جنس سيدنا من العرب، وأن ترحم جميع بني البشر. أنقِذْهم يا رب من المشاكل العالمية.. ما كان منها من أخطاء البشر.. وما كان منها بقضائك الذي لا نستطيع فهمه. ومهما يحدث يا رب، إن كان هناك نصر فاجعله يا رب من نصيب الإسلام، وإن كان هناك فوز فقدِّره يا رب فوزا للإنسانية، ولتلك القيم الأخلاقية التي اختفت من الشرق والغرب. دَعْها يا رب، تنهضْ وتقم في الدنيا ثانية.. ولتنتصرْ في العالم تارة أخرى.

اللهم حقِّقْ وعدك الذي أنزلته في القرآن.. وقلت فيه: [هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله] (سورة الصف: ١٠)

لن ندعو لفوز أمة بعينها.. ولكن سندعو لانتصار الصدق والأمانة، وفوز الإسلام والحق والقيم الإنسانية.

يا رب، لو لم تسمع دعاءنا اليوم.. فلا سبيل لنا لإنقاذ هذا العالم. يا رب.. في إخلاص كامل وتواضع تام.. نسجد أمامك.. باكين بين يديك. من أجل عبادك وخدام المصطفى ﷺ، حقِّق يا رب، ذلك التغيير الثوري الذي أقمتنا لأجله.

نتوسل إليك أن تُجريَ تلك الثورة.. الثورة الروحية العالمية العظمى وأرِنا إياها، وبيِّن لنا تحقق كل وعودك التي تتصل بهذه الثورة.. التي تتم على يد «الآخرين» الصالحين الأتقياء من أقوام الأيام الآخرة. ونحن يا رب هم «الآخرون». أنت يا رب الذي

أقمتنا.. فصُن لنا شرف وعودك، وأجرِ يا رب تلك الثورة على يدنا.. أي بدعائنا.. والتي لا نجاة للعالم بدونها.. آمين.

وبهذا الخصوص هناك مسألة أساسية أذكركم بها: الدعاء في أيام الشدة يقتضي إخراج صدقه. ولما تفكرت في الموقف الحاضر الذي يواجه بلاد الإسلام.. توجه انتباهي إلى أولئك الذين يموتون جوعًا في أفريقيا.. يهلكون في مساحات شاسعة من بلاد شتى.. في الحبشة والصومال والسودان وتشاد. يموت الناس جوعا في بلاد كثيرة، ولا يبالي أحد بهم ككائنات بشرية. ولو أن أحدا أبدى اهتمامًا نحوهم لكان أهل الغرب. فقد رأيت برامج هنا تعرض مشاهد للجُوعى واليتامى العراة، والمرضى والهياكل العَظمية المعذبة.. بما يثير مشاعر العطف ويتطلب بذل التضحيات لأجلهم، ولكن تلك القوى من أثرياء النفظ.. كدّسوا جبالا من المال جمعوها من عائدات البترول، ومع أنهم ينسبون أنفسهم إلى سيدنا محمد المصطفى ﷺ فقد نسوا روح رسالته، ولا يفكرون أبدا إلى أن لهم جيرانا في أفريقيا يتضورون جوعا. فكلهم سواء.. العراق والسعودية، الكويت والبحرين، قطر والإمارات.. قد جعلهم الله منذ مدة أصحاب ثروات ضخمة.. ومع هذا الثراء والطعام المكدس فلا يستطيعون العناية به. دعْك من ذكر البلاد النائية.. فالسودان جارهم المسلم، يتضورون فيه جوعا ومع ذلك لم يتحركوا لنجدتهم. لم يفكر أحد منهم أن هذه هي السمات المميزة لدين محمد رسول الله ﷺ إذا تحدثنا عن حياته. فقد كان ﷺ بعد حب الله تعالى يحب الناس والفقراء منهم خاصة.. بما يقوم أمام الناس مشهدا لامعا من مشاهد حياته. لا يمكن أن يذكر اسم محمد ﷺ إلا وتقفز إلى ذاكرة الإنسان صور تعاطفه ورقته ورحمته بالفقير، فتبهر العيون بجمالها. وفي نور محمد ﷺ يسري نور عطفه على الفقراء. في إحدى المناسبات قال: إذا طلبتموني فابحثوا عني بين الفقراء، سوف أكون يوم القيامة بين الزهاد والفقراء. اعتنوا بهم لأن بهاءكم وثراءكم بفضل فقرائكم.. فعملهم وجهدهم تؤتي ثماره ويصير ثروة لكم. فأبدوا لهم الحب والتعاطف واللطف على الأقل.

فلا شك أن سيدنا محمداً ﷺ كان أكثر الناس جميعا في تعاطفه مع الفقراء. وبعدما جاءتكم الثروات باسمه، وكنزتم جبال المال، لا تنظرون إلى أخاديد الفقر العميقة في بلاد تجاوركم. فليس من الإنسانية في شيء ألا تطغى مشاعر العطف على قلوبكم. لو أن بلاد المسلمين حافظت على الدعاء واهتمت بالتعاطف مع بني البشر.. فإني على ثقة من أنهم ما كانوا ليتورطوا في هذه المحنة الشديدة الحالية.

وبالرغم من فقرنا المالي.. فسنضرب لهم المثل في كل عمل طيب، ولسوف نقيم لهم مثلا يحتذى في هذا المجال أيضا. فادعوا وذكّروهم بالدعاء، وقدِّموا الصدقات وذكّروهم أن يؤتوا الصدقات، واصبروا وانصحوهم بالصبر.. لأن القرآن الكريم يعلمنا بأن الفائزين في الأيام الأخيرة هم الذين قيل عنهم: [وتواصوا بالصبر.. وتواصوا بالمرحمة] (سورة البلد: ١٨). فهم الصابرون الذين يذكّرون الناس بالصبر؛ وهم الراحمون الذين يذكّرون الناس بالتراحم. ولذلك قررت أن أقدم باسم الجماعة مبلغ عشرة آلاف من الجنيهات الأسترلينية.. أقدمها لبلاد المجاعة في القارة الأفريقية.. وما هي إلا قطرة صغيرة. ولسوف أقدم شخصيا ما أقدر عليه، وعلى الجماعة أن تشارك وتقدم صدقة في اعتماد خاص بالجماعة تدفع من الصدقات أو الزكاة. تدفع للحاجة المحلية بالتأكيد، ولكن فيها بقية يمكن أن تدخل في باب «العفو».. وكما يقول القرآن الكريم: [يسألونك ماذا ينفقون.. قل العَفْوَ] (سورة البقرة: ٢٢٠). فالعفو أيضا ما تستطيع الاستغناء عنه من هذه المخصصات. فأنفقوا منها لمساعدة الفقير عندكم، وأنفقوا منها على الفقراء في أماكن أخرى.

وعلى المستوى الفردي أيضا، ومع أن مال الجماعة كله لله تعالى، وينفق على الأعمال الصالحة في سبيل الله.. فهذا المجال أيضا في سبيل الله. ولذلك لست بصدد نداء محدد، ولكن ندائي بالفعل، بهذا القصد وحده. وأدعو أن يتقبل الله تعالى هذه الصدقة لإقرار السلام في العالم، ولحل مشاكل المسلمين. ولتكن ابتهالاتنا مخصصة لهذين الأمرين، وإلى أي مدى نستطيع تقديم الصدقة.. ينبغي أن تنفق في صالح الأعمال، ولسوف تنفق هذه الصدقة خاصة في بلاد المجاعة بأفريقيا.

اللهم، مكِّن لنا فعل ذلك! وافتح يا رب، عيون إخواننا الذين قعدوا مغمضي العيون مع أن القرآن الكريم يقدم لهم التعاليم الواضحة للتقوى، آمين.

تُسمع هذه الخطبة في اليابان وألمانيا وموريشس وأمريكا، وهنا في بريدفورد بالمملكة المتحدة. لقد تقدمت وسائل الاتصال تقدما مدهشا. ولكن ليعلم الجميع أنه لا ينبغي أن يجعلوا هذه الخطبة جزء من صلاة الجمعة لهم. إنني لا أجيز أن يستمع الناس إلى تسجيل خطبة جمعة تُلقى في مكان آخر، فيتخذوها جزءً من فريضة الجمعة. عليهم أداء فريضة الجمعة منفصلين في وقت صلاتهم. وكما هو الحال في اليابان الآن.. هناك فارق زمني قدره ١١.٣٠ ساعة.. فلا مجال لهم لصلاة الجمعة الآن.

وعلى أي حال، فالذين يسمعون الخطاب الآن في أي بلد.. بوسعهم المشاركة في هذه الدعوة. اذكروا كل هؤلاء في دعائكم.. فإن بهم شوقا وولعا شديدًا بالتقوى، وهم يسعون قدر استطاعتهم للتقدم في كل مناسبة نحو التقوى. اللهم زِدْهم مقدرة على ذلك. آمين!



الحق ليس وفاؤنا كوفاك

أبيات فريدة لسيدنا حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه الابن البكْر والخليفة الثاني لسيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، يناجي فيها ربه الودود. وُلد حضرته في ١٢ يناير ١٨٨٩ حسب نبوءات تلقاها والده قبل ولادته. تعلم القرآن الكريم والحديث الشريف في صغره بشغف نادر، ولكنه لم يستطع تجاوز امتحان الثانوية فيما يتعلق بالدراسة الدنيوية. تشرف بمنصب الخلافة لسيدنا المهدي عليه السلام في ١٤ مارس ١٩١٤ عن طريق الانتخاب. كان قائدا جريئا حازمًا حليمًا، وخطيبًا بليغًا، وشاعرًا مجيدًا، وفوق كل ذلك مفسرًا مبدعًا. له تفسير القرآن الكريم (التفسير الكبير) في عشرة مجلدات باللغة الأردية. انتشرت دعوة الأحمدية تحت قيادته في مختلف أنحاء العالم بسرعة فائقة. بقي في منصب الخلافة حوالي ٥٢ عامًا حافلة بجلائل الأعمال، ولقي رفيقه الأعلى في ٨ نوفمبر ١٩٦٥، رضي الله عنه وأرضاه.

يا رازقَ الثَقَلين أين جناكَا ... جئناك راجين لبعض نداكَا
نشكو أمام الناس غصَّ جفاكا ... والحق ليس وفاؤنا كوفاكا
كنت تنحَّى عنه كلَّ تنحِّي ... يا قلبيَ المجروحُ كيف رمَاكَا
لما يَئِسْتُ وقلت: أين نجاتِيَا ... قالت عنايتُه: هِناك هِناكَا
يا هاديَ الأرواح كاشفَ همِّها ... جئنا ببابك طالبين هُداكَا
يا أيها المنّان مُنَّ برحمةٍ ... وارزُق قلوبَ عبادك تقواكا
أَحييت نفسي بابتسام ونظرة ... غطَّتْ وجودي كلَّه نعماكا
من يُخجل الوردَ الطريَّ بلونه ... عيناي داميتَين أو خدّاكا
منك السكون وكل رَوح وراحةٍ ... من ذا الذي لا يبتغي لقياكا
يا مَن تخاف عدوَّك متزحزحًا ... عند المليك المقتدرْ مثواكا
عطِشت قلوب العاشقين لراحِك ... فأدِرْ كؤوسَك وَاسقِ من سُقياكا

الجهاد في الإسلام وموقف الأحمدية

(القسط الأول) ترجمة: عبد المؤمن طاهر عبد العزيز

كان الدكتاتور الباكستاني الراحل ضياء الحق قد أصدر في ٢٦، ٤، ١٩٨٤ حكما عسكريًا غاشمًا يحرم المسلمين الأحمديين في باكستان حقَّهم في إعلان دينهم الإسلام الذي يدينون به من الأعماق، أوالنطق بالشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، أو إلقاء تحية الإسلام، أو الصلاة على النبيﷺ، أو رفع الأذان للصلاة، أو قراءة القرآن الكريم، أو كتابة أو حيازة آياته، أو تسمية أنفسهم مسلمين، إشارة أو صراحة، شفويًا أو كتابيًا، أو تسمية مساجدهم مساجد!!

وبعدها نشرت حكومته كتيبًا باسم «القاديانية.. خطر شديد على الإسلام» لتبرير ما قام به هذا الدكتاتور من إجراءات جائرة منافية لتعاليم الإسلام السمحاء وسنة نبي الرحمةﷺ، وسمّته «البيان الأبيض». وكان الأجدر أن يطلق عليه «البيان الأسود»، لما فيه من أعذار سخيفة لتبرير هذا القرار الفرعوني الغاشم، تسوّد وتشوه وجه الإسلام الأغر.

ولقد قام إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية سيدنا مرزا طاهر أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز، بالرد على هذا «البيان الأسود»، محلّلا ومفنِّدًا بعون الله كل أعذارهم السخيفة عذرًا عذرًا، في سلسلة طويلة من خطب الجمعة (ثماني عشرة خطبة)، في أوائل سنة ١٩٨٥. وبدأت «التقوى نشر هذه الخطب القيمة والهامة جدًا في عدد يناير ١٩٩٠، ولقد تم نشر خطبتين أوليين حتى عدد مارس ١٩٩٠. ولكن انقطع نشرها بعد ذلك للأسف الشديد لأسباب قاهرة. وقد شاء القدر أن تعيد «التقوى» نشرها من جديد من عدد يناير ١٩٩١، وقد استجدت على الساحة العالمية وخاصة العربية أحداث جسام، ليعرف الجميع من الذي يوالي الاستعمار، والاستعمار يواليه ويعمل له، حفاظًا على مصالحه، ونهبًا لثروات المسلمين، ونيلاً من الإسلام وأهله. والحمد لله الذي هتك أسرار هؤلاء القابضين على ثروات المسلمين وأعرى هؤلاء المتاجرين بالدين والمحاربين بعباءة الإسلام وبأموال البترول جماعتَنا الشريفة المسالمة التى راهنت نفسها ونفيسها لرفع راية الإسلام في كل العالم. فكان هؤلاء يُغدقون الملايين من أموال البترول على مشائخ «رابطة العالم الإسلامي» وبعض مشائخ الهند وباكستان، لينشروا دعايتهم المسمومة المشوهة ضدنا في العالم، وليقولوا له بأن هؤلاء عملاء الإنجليز والاستعمار. وكنا نستنكر ونفنّد بكل شدة دعايتهم المغرضة، ولكن بسبب وسائلنا المحدودة كانت أموال البترول تحول دون صوتنا ودون العرب الشرفاء الذين كانت آذانهم لا تسمع إلا من طرف واحدٍ. ولما تجاوزوا كل الحدود وبلغ السيل الزُبى وجّه إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية في ١٩٨٨ دعوة للمباهلة إلى هؤلاء المتاجرين بالدين «خادمي الاستعمارين الأمريكي والأروبي» وإلى غيرهم من أعداء الحق، وسأل المولى عز وجل أن يميز بين الصادقين والكاذبين. فقبل عز وجل تضرعاته وابتهالاته، وها قد هتك أسرارهم وعلمائهم المستأجرين. فالحمد لله أولا وآخرا.

وهذه الخطبة ألقيت بيوم ١٥ فبراير ١٩٨٥، بمسجد «الفضل» لندن. [المحرر].

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم * الحمد لله رب العٰلمين * الرحمٰن الرحيم * مٰلك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين *].

[أُذن للذين يقٰتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أُخرجوا من ديٰرهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله. ولو لا دفعُ اللهِ الناس بعضَهم ببعضٍ لهُدِّمت صوٰمعُ وبِيَعٌ وصلوٰتٌ ومسجدُ يُذكر فيها اسمُ اللهِ كثيرًا. ولينصرنَّ اللهُ من ينصره، إن الله لقوي عزيز *] (سورة الحج: ٤١ و٤٢).

من بين ما اتهمت به الحكومة الباكستانية في نشرتها «البيان الأبيض» سيدَنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، أنه، والعياذ بالله، غراس الإنجليز، وأن جماعته ليست في الحقيقة إلا من صنع الإنجليز.

لقد سبق أن تحدثت في خطبتي الماضية عن بعض نواحي هذه التهمة المنكرة، وأود اليوم أيضا الحديث عن نواحيها الأخرى.

إنهم ربطوا بين هذه التهمة وتهمة أخرى بأنه نسخ الجهاد وقالوا: بما أن الإنجليز هم الذين أقاموه لحماية مصالحهم بالهند، وكان لا بد لتحقيق هذا الغرض من نسخ نظرية الجهاد عند المسلمين، وما دام قد أقر حضرته بنفسه مرارًا بأنه ينسخ الجهاد، وذلك حسب ما ورد في نشرتهم، فثبت أنه كان عميل الإنجليز ومن صنعهم ليحمي مصالحهم.

التهمة المزيفة المنكرة

إن «حجتهم» هذه تحتاج لدراسة عميقة من عدة نواحٍ، فأولاً: إذا كان حضرته عليه السلام قد نسخ الجهاد في زعمهم حمايةً لمصالح الإنجليز فما هي تلك المصالح يا ترى، وكيف تحققت بواسطته عليه السلام، وثانيًا ما هي الظروف التي أعلن فيها حضرته عن نسخ الجهاد، كما يزعمون، وما هي الأخطار التي في الواقع كانت محدقة بالإنجليز من قبل المسلمين، ثم ما هي الخلفية السياسية لهذا الإعلان. فهناك أمور كثيرة في ذهني سوف ألقي عليها الضوء الكافي في خطبتي، إن شاء الله.

فأقول: إذا كان الإنجليز يريدون نسخ نظرية الجهاد بفتوى من سيدنا الإمام المهدي عليه السلام، ليمتنع المسلمون عن القيام به ضدهم فكان من المستحيل أن يأمروا حضرته عليه السلام بنسخه، ثم يسألوه مع ذلك ليدعي دعاوي تؤجج عليه سخط وعداوة الأمة الإسلامية كلها. لقد كان حضرته قبل دعواه محط أنظار مسلمي الهند حتى أن العلماء كانوا لا يملون من الثناء عليه لدرجة قال أحدهم: إنه لم يُولد بعد المصطفى ﷺ إلى يومنا هذا بطل إسلامي بدرجته، ولكن بعد هذه الدعاوي تغير الوضع تمامًا حتى تحول الأصدقاء إلى أعدائه وصار الأقارب متعطشين لدمائه. فبسبب دعوى واحدة تغير الوضع في ليلة وضحاها حتى لم يعد له صديق واحد في العالم كله.

فهل يعقل أن يأمره الإنجليز بإعلان يجلب عليه سخط الأقارب قبل الأجانب، ومع ذلك يتوقعوا من الناس أن يصدقوه ويؤمنوا بفتواه القائلة بنسخ الجهاد؟! إن فكرة رديئة كهذه يمكن أن تقبلها عقول هؤلاء المتسابقين في عداء الأحمدية، أما غيرهم من الناس فلن يقبلها كل ذي عقل سليم منهم، أعني أن يأمره عليه السلام الإنجليز بإعلان أن إلههم (عيسى ابن مريم عليه السلام) ميت، وأنه جاء كنبي تابع لسيدنا المصطفى ﷺ، مما أسخط جميع المسلمين وجعلهم أعداء له ألداء، كما يعلن أن بابا جورو نانك كان وليًا مسلمًا، فهيّج بذلك ملة السيخ القاطنين حوله في ولاية بنجاب، كما يأمره باصطدام الفرق الهندوسية «الآرية» و«ستاتن دهرم» فيجعلهم أيضا أعداء، كما يعلن للبوذيين أنه مبعوث إليهم أيضا، فيثير غضبهم عليه، ويعلن عن الزردشتيين بما لا يرضون، وباختصار يتحدى جميع الملل والنحل ويقول لهم ما يثقل على أسماعهم ويؤذي قلوبهم!!!

لم ير أحد من الدنيا مدعيًا مثله يدعوهم إلى ما تمجه آذانهم وتتنفر منه طبائعهم، ومع ذلك ينتظر منهم أن يتبعوه ويصدقوه نابذين أفكارهم المتوارثة. الحق أننا لا نجد مثيلاً لمدّعٍ هذا شأنه إلا في أنبياء الله الكرام. اقرأوا القرآن وتصفحوا تاريخ الملل المذكور فيه فلن تجدوا مثل هذا الحادث إلا في تاريخ الأنبياء.. أن يقوم رجل منهم يدعوهم لاتباعه فيما يرفضونه بتاتًا. الواقع أن أشد الأقوال مرارةً، وفي أي عصر، هو دعوى رجل: إني مرسل من الله، مما يحول الأصدقاء أعداء والأقارب عطاشى للدماء.

فالغريب أن الإنجليز يأمرون حضرته عليه السلام بادعاء أمر غير جائز مطلقًا، بحسب زعم أعداء الأحمدية، ومع ذلك يتوقعون أن هذا المدعي بمجرد أن يفتي بنسخ الجهاد سوف ينفض المسلمون على الفور فكرة الجهاد من رؤوسهم وبالتالي يتخلص الإنجليز من الأخطار المحدقة بهم من قبل أهل الإسلام، وسوف تحل كل القضايا وتنتهي المشاكل جميعًا. ما أسخفها من فكرة لا يقبلها أي عاقل إلا هؤلاء الحمقى.

الموقف السياسي بالهند عند استيلاء الإنجليز عليها

الآن نرى الظروف السياسية وقت استيلاء الإنجليز على الحكم بالهند، كما نرى الأحوال التي كان المسلمون يعيشونها

حينذاك، وأيضا ننظر إلى القوى المسلمة التي كان الإنجليز يخافونها. يقول المولوي مسعود عالم الندوي:

«كانت ولاية بنجاب حينذاك تحت الحكم السيخي الغاشم. كان السيخ ينتهكون أعراض المسلمات بلا رحمة ويبيحون دماء المسلمين. حرموا عليهم ذبح البقر، وحولوا مساجدهم إلى حظائر للخيل. فكان هناك سيل عارم من المظالم يجرف بالسكان المسلمين من منطقة الأنهر الخمسة (بنجاب). أما المسلمون الآخرون فكانوا ينظرون إلى هذه المظالم بدون أن تكون بهم قدرة على صدها».

(الحركة الأولى بالهند، ص ٤٥)

كانت كل الهند من شمالها إلى جنوبها مكتظة بالسكان المسلمين، ولكن كانت قواهم عاطلة لدرجة لم يكونوا قادرين على تحريك ساكن تجاه هذه المظالم المنصبة على إخوتهم، وما كانت بهم قوة لأن يرفعوا الصوت ضدها ويعلنوا للظالمين بأن دماء إخواننا حرام عليكم. فلم يعلنوا أي جهاد ضد أولئك الغاشمين الذين أحلوا دماء إخوانهم وحرموا دماء البقر. ولقد استباحوا أعراض المسلمات ولكن المسلمين لم ترتفع منهم يد لحماية أعراض هؤلاء الأمهات والأخوات والبنات من أهل الإسلام.

فمن ذا الذي نجّاهم من براثن هذه المظالم؟ ألم تكن الحكومة الإنجليزية هي التي نجّتهم. من ينكر أنه عند قدوم الإنجليز أمِنَ المسلمون من الاضطهاد السيخي. أيُتوقع من مسلمين كهؤلاء أن يشكلوا خطرًا على الإنجليز الذين انتزعت شركة من شركاتهم الحكم من أيديهم واستولوا على عاصمتهم دلهي وأقاموا بها احتفالات النصر؟ أو كان الإنجليز يخافون من أولئك المسلمين الذين استرد الهندوس ولاياتهم من قبضتهم واستقلوا بالحكم فيها؟ أو من أولئك المسلمين الذين كان الهندوس يصولون عليهم كالذئاب المفترسة من كل صوب بدون أن يتعرضوا لأدنى مقاومة؟؟ أقول: هل كان الإنجليز يخافون هؤلاء المسلمين بأنهم سوف يجتثون جذورهم ويقضون عليهم؟!؟

ثم فكروا أي منطق وعقل في جهاد كهذا! يأتي الإنجليز وينقذون أهل الإسلام من مظالم السيخ، كما ينجونهم من استبداد الهندوس والمراهتة، فيقوم المسلمون فجأة في وجه الإنجليز قائلين: طيب، أنتم الذين أنقذتمونا من هؤلاء الظالمين، سوف نُكافئكم ونلقنكم درسًا كيف تنقذون المظلومين؟؟؟

أليس هذا هو تصور جهادهم؟ راجعوا عقولكم فكروا في موقفكم ودعواكم. بأي وجه تقابلون العالم. هل تقولون: كنا نريد الجهاد ضد الإنجليز الذين أنقذونا من مظالم السيخ، ولكنهم (أي الإنجليز) أعلنوا عن طريق عميل لهم بنسخ الجهاد فلم نحاربهم!!! من ذا الذي يقبل هذا الهذيان؟؟؟

تصحيح الصورة المشوهة للجهاد الإسلامي

والناحية الثالثة من الموضوع هي: أي الجهاد اعتبره سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام حرامًا؟ إن الجهاد أنواع: جهاد بالسيف وجهاد بالنفس وجهاد بتضحية الوقت لخدمة الدين ونشر الإسلام وغيرها من أنواع الجهاد. وموضوع الجهاد واسع ويجب أن تنفحص: أي الجهاد حرمه حضرته عليه السلام. هل هو حرم النظرية الإسلامية الأصلية للجهاد؛أم أنه حرم النظرية المشوهة للجهاد لدى الناس. يجب أن يسمعوا هذا من لسان القائل ويفكروا في قوله ويروا ماذا يحلل وماذا يحرم. إنني أود أن أقرأ عليكم قولا من أقواله عليه السلام في هذا الشأن، ولكن قبل قراءته أبين لكم الخلفية.

إن القساوسة في زمنه عليه السلام، وبالخصوص أولئك الذين تنصروا من المسلمين، كانوا يتهجمون على الإسلام بضراوة شديدة. كانوا من ناحية ينشرون بين الناس أن الإسلام يأمر بالجهاد بالسيف، ومن ناحية أخرى كانوا يثيرون الحكومة الإنجليزية ضد المسلمين ويحرضونها على تدمير قوتهم حتى لا يقدروا على النهوض من جديد، مشيرين إلى عقيدة الجهاد عندهم، حسدًا من عند أنفسهم بالإسلام. وبالرغم من أن المسلمين ما كانت بهم قوة ليثوروا على الإنجليز بذكر الجهاد بعد هزيمتهم أمامهم، وإنما كانوا يتوسلون إليهم بسبب ضعفهم البالغ بألا يسيئوا بهم الظن، ومع ذلك كان القساوسة ينالون منهم من طرف واحد لإضعاف قوتهم وتدميرهم. كما كانوا يقومون بتقوية أيدي الهندوس. وإن الهندوس أيضا كانوا يهمسون في آذان الحكومة أن الخطر الحقيقي المهدد لحكمهم هو من قبل المسلمين، فدمّروا ما تبقى من قوتهم واقضوا عليها نهائيًا حتى لا يفكروا في النهوض مرة أخرى.

وردًّا على مثل هذه التهم التي أثارها القسيس عماد الدين الإمام الخطيب بمسجد آغرا سابقًا، ضد أهل الإسلام يقول سيدنا المهدي المسيح الموعود عليه السلام:

«وأما ما ذكر هذا الواشي قصة جهاد الإسلام وتظنى أن القرآن يحث على الجهاد مطلقًا من غير شرط من الشرائط فأي زور وافتراء أكبر من ذلك إن كان أحد من المتدبرين. فليعلم أن القرآن لا يأمر بحرب أحد إلا بالذين يمنعون عباد الله أن يؤمنوا به ويدخلوا في دينه ويطيعوه في جميع أحكامه ويعبدوه كما أُمروا. والذين يقاتلون بغير الحق، ويُخرجون المؤمنين من ديارهم وأوطانهم، ويُدخلون الخلق في دينهم جبرًا وقهرًا، ويريدون أن يطفئوا نور الإسلام، ويصدّون الناس من ان يُسلموا، أولئك الذين غضب الله عليهم ووجب على المؤمنين أن يحاربوهم إن لم ينتهوا». (نور الحق، الجزء الأول ص ٤٥، الخزائن الروحانية ج ٨).

[يُتبع]

"كذبات معاصرة"

بقلم: الأستاذ طه القزق

كتبت جريدة «المسلمون» الدولية الأسبوعية، بتاريخ ٢٧ جمادي الآخرة ١٤١١ الموافق ٤ يناير ١٩٩١، وعلى الصفحة السادسة مقالة بعنوان «مذاهب معاصرة» (القاديانية).

وهذه هي المقالة نعيد نشرها مصورةً كما هي ليطلع عليها الجميع:

في الحقيقة يجب أن يكون اسم وعنوان هذه المقالة (كذبات معاصرة) وليس مذاهب معاصرة، لأنه لا يوجد في هذه المقالة ولا جملة واحدة من الصدق.

يقول الكاتب: إن القاديانية نشأت سنة ١٩٠٠. بينما الحقيقة إنها نشأت سنة ١٨٨٩. على كل حال هذه كذبة تاريخية بسيطة، تذكرنا بالمثل القائل: الكاذب ضعيف الذاكرة.

يقول حضرة الكاتب المحترم إن القاديانية نشأت بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي، بهدف إبعاد المسلمين عن فريضة الجهاد، وإبعادهم عن دينهم.

أولا: إبعاد المسلمين عن دينهم، هل المسلمون متمسكون بدينهم؟ وإذا كانوا متمسكين بدينهم لماذا الله سبحانه وتعالى يصب عليهم جميع أنواع العذاب.. لماذا أصبحوا أذلاء؟ لماذا لم يستطيعوا التغلب على إسرائيل؟ هل لأنهم متمسكون بدينهم، أم أن الله سبحانه وتعالى يظلمهم والعياذ بالله، وهو يقول: [ولا يظلم ربك أحدا].

لقد أجمع جميع علماء المسلمين بأن المصائب التي ابتُليت بها الأمة الإسلامية سببها ابتعاد المسلمين عن دينهم.

وإليك يا حضرة الكاتب ما قاله سيدك المودودي وسيد أمثالك. لقد قال:

إن تسعة مائة وتسعة وتسعين بالألف منهم لا يعرفون ما الإسلام وما القرآن ولا يقدرون على تمييز الحق من الباطل. ولم يطرأ أى تغيير على سلوكهم الأخلاقي، ولا في اتجاههم الفكرى، نحو التعاليم الإسلامية، وإنما ورث الابن اسم المسلم عن أبيه، وهذا ورثه عن جده. وهكذا هم مسلمون، وإلا فهم لا يقبلوَن الحق لأنه الحق، ولم يكفروا بالباطل لأنه الباطل. ولو ظن أحد أنه لو سلمنا القيادة لأيدي الأغلبية منهم لصارت عجلة الإسلام في طريقها بسلام لم يكن ظنه هذا إلا ضربا من الخبل والجنون.. (أبو الأعلى المودودي، المسلمون والصراع السياسي الراهن، الطبعة السادسة، مكتبة الجماعة الإسلامية، لاهور، ج ٣ ص ١٠٥ و١٢٦).

أما مسألة الجهاد، التي تتبجح بها، كما يتبجح بها أمثالك من المشائخ وغير المشائخ، فهل الإنجليز عندما كانوا يحكمون

مذاهب معاصرة

القاديانية

□ القاديانية حركة نشأت عام ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الانجليزى فى الهند بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لايواجهوا المستعمر باسم الاسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة «الاديان» التى تصدر بالانجليزية.

كان مرزا غلام احمد القادياني (١٨٣٩-١٩٠٨) أداة التنفيذ الاساسية لإيجاد القاديانية. وكان ينتمى إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن. وهو معروف عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الامراض وإدمان المخدرات. وله اكثر من خمسين كتابا ونشرة ومقالا ومن أهم كتبه: «إزالة الاوهام» و«اعجاز أحمدى» و«براهين أحمدية» و«أنوار الاسلام» و«واعجاز المسيح» و«التبليغ» و«تجليات إلهية».

ومن رجال القيادية:

نور الدين: وهو الخليفة الاول للقاديانية وضع الانجليز تاج الخلافة على رأسه فتبعه المريدون ومن مؤلفاته: فصل الخطاب.

محمد على: وهو أمير القاديانية اللاهودية ومنظرها وجاسوس الاستعمار والقائم على المجلة الناطقة باسم القاديانية. قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الانجليزية. ومن مؤلفاته «حقيقة الاختلاف» و«النبوة فى الاسلام». محمد صادق: مفتى القاديانية من مؤلفاته «خادم خاتم النبيين». بشير أحمدبن الغلام: من مؤلفاته «سيرة المهدى» و«كلمة الفصل». محمود احمد بن الغلام وخليفته: ومن مؤلفاته «أنوار الخلافة» و«تحفة الملوك» و«حقيقة النبوة»، وتدور مجموعة الافكار والمعتقدات المحرمة للقاديانية على مجموعة من الخرافات هى:

يعتقدون أن الغلام هو المسيح المولود.. وأن الله يصوم ويصلى وينام ويصحو ويكتب ويوقع، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ويعتقد القادياني أن إلهه إنجليزى لأنه يخاطبه بالانجليزية وتعتقد القاديانية أن النبوة لم تختم بمحمد صلى الله عليه وسلم، بل هى جارية والله يرسل الرسل حسب الضرورة، وان غلام احمد هو افضل الانبياء.

وهم يعتقدون أن جبريل ينزل على غلام احمد ويوحى إليه، ولديهم أنه لاقرآن إلا الذى قدمه المسيح الموعود «غلام»، ويعتقدون انهم اصحاب كتاب منزل واسمه «الكتاب المبين» وهو غير القرآن الكريم. وهم يلغون عقيدة الجهاد ويطيعون الانجليز طاعة عمياء لانهم حسب زعمهم أولو الامر. وكل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية، كما ان من زوج أو تزوج من غير القاديانيين فهو كافر. واخيرا فهم يبيحون الخمر والافيون والمخدرات والمسكرات. وللقاديانية علاقة وطيدة مع اسرائيل، وقد فتحت لهم اسرائيل المراكز والمدارس، وتاثرهم بالمسيحية واليهودية والحركات الباطنية واضح فى عقائدهم وسلوكهم. ومعظم القاديانيين يعيشون فى الهند وباكستان وبعضهم يعيش فى إسرائيل. ■

الهند ومعظم بلاد العالم، حتى أن الشمس لم تكن لتغيب عن دولتهم، هل كانوا محتاجين إلى رجل ضعيف مسكين قضى حياته منزويا في ركن مسجد في قرية مجهولة يصلي ويبكي ويدعو الله سبحانه وتعالى ليصلح هذه الأمة، التي كثر فيها الكذابون أمثال كاتب هذا المقال (مذاهب معاصرة).

إن بريطانيا كان عندها في ذلك الوقت من العبيد المستعدين أن يفدوها بأرواحهم وهم من أسياد هذه الأمة وملوكها وزعمائها الذين إذا مشوا لخدمة الإنجليز تمشي وراءهم الألوف المؤلفة من جهلة هذه الأمة.

أسأل حضرتك أيها الكاتب المحترم وأسأل غيرك ممن يساندونك في رأيك: كم كان عدد المتطوعين في الجيش البريطاني من الهنود المسلمين في الحرب العالمية الأولى، ومن هم الذين حاربوا الخلافة العثمانية في ذلك الوقت، ومن هم الذين كانوا ينقضون على قوافل الجيش التركي في الصحراء السعودية قبل الحرب العالمية الأولى؟ هل كان القاديانيون في الصحراء السعودية في ذلك الوقت؟ ومن هم الذين كانوا يقتلون الحجاج الأجانب من سومترا وجاوا وغيرها من بلاد العالم في ذلك الوقت وينهبون أموالهم ويمثلون بجثثهم؟

وإليك الآن ما قاله أحد أسيادك، عند وفاة الملكة فكتوريا، لقد رثاها الزعيم الكبير محمد إقبال زعيم المسلمين الهنود وشاعرهم العظيم، لقد قال في رثائها ما معناه:

إقبالُ، قُم تعظيمًا لها وكن ترابًا بطريق نعشِها
أيها الشهر، شكلك مثل شكل شهر المحرم
ولا بأس لو سميناك أنت الآخر محرم

يقول إقبال:

لا عجب لو أطلقنا على هذا الشهر الذي تُوفيت فيه الملكة اسم المحرم. إذ أن حادث وفاة الملكة في الواقع لا يختلف كثيرا عن حادث استشهاد مروع لسيدنا الإمام الحسين رضي الله عنه، حفيد الرسول ﷺ في شهر المحرم.

ويستمر إقبال، ويقولون: اليوم يوم العيد. فهنيئا العيد لكم. أما نحن فالموت خير لنا من هذا العيد.

هذا هو مجاهد الأمة الإسلامية وأحد قادتها العظام، وعدو الأحمدية. ويستمر في مدح الملكة فكتوريا ويقول:

بلاد الهند، قد زال عنك ظل الله، حُرمت من التي كانت تُواسي وتعطف على أهلك. هذا البكاء الذي يهتز له عرش الرحمان، هو بكاء الناس إياها، وهذه الجنازة، هي جنازة التي كانت زينة لك، يا بلاد الهند.

ويقول أحد أسيادك المعادي للأحمدية، وهو من أكبر العلماء شمس العلماء المولوي نذير أحمد الدهلوي، عن الإنجليز:

«من مصلحة الهند كلها، أن يحكمها حاكم أجنبي، لا هو هندوسي ولا هو مسلم، إنما يجب أن يكون من أحد سلاطين الغرب (إنه لا يخص الإنجليز فقط، وإنما يقول أي واحد من أهل الغرب). ومن عناية الله العظمى أن الإنجليز تولوا الحكم». (مجموعة محاضرات مولانا نذير أحمد الدهلوي، ط ١٨٩٠، ص ٤ و٥).

ثم يقول: «هل هذه الحكومة قاسية ومتشددة؟ كلا ثم كلا، بل هي أكثر عطفًا وحنانًا من الوالدين» (المرجع السابق، ص ١٩).

ويستمر قائلا: «كنت أنظر بمنظار معلوماتي إلى ولاة الهند عندئذ. كما كنت أجول بفكري إلى بورما، ونيبال، وأفغانستان، بل إلى فارس ومصر، والعرب، فلم أجد في كل هذه البلاد من أقصاها إلى أقصاها أحدًا أسلم إليه حكم الهند (أي في خياله) وما رأيت في من يريدون السيطرة على الحكم أحدًا أحق من هؤلاء. فقررت عندئذ أن الإنجليز هم أحق وأولى بحكم بلاد الهند. ويجب أن يستمر الحكم فيهم» (المرجع السابق، ص ٢٦).

كما يقول السيد شورش الكشميري وهو أحد الأحراريين وهم من أشد الناس عداوة للجماعة الإسلامية الأحمدية ومدير مجلة (تشتان)، وكان هذا الكاتب الشهير نذير أحمد أيضا من الذين قالوا في تلك الفترة المشحونة بالأحداث الخطيرة بنسخ الجهاد، واعتبروا الإنجليز أولي الأمر مؤولين قول الله تعالى أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم. (كتاب عطاء الله شاه البخاري ص ١٣٥).

وإليك ما قاله بطل آخر من أبطال المشائخ وهو من أكبر مشائخ أهل الحديث وأكبر عدو للجماعة الإسلامية الأحمدية، الشيخ محمد الحسين البطالوي، إنه يفتخر بالحكومة الإنجليزية ويقول:

«لا شك أن سلطان الروم ملك مسلم، ولكننا نحن المسلمين لسنا أقل منهم اعتزازا وافتخارا بالحكومة البريطانية نظرا لحسن نظامها وبصرف النظر عن الدين. وإن فرقة أهل الحديث على الأخص بما تتمتع به من أمن وحرية من قبل هذه الحكومة، لتفتخر أمام جميع الدول الإسلامية الحالية، سواء في الروم، أو في إيران، أو في خرسان (مجلة إشاعة السنة، مجلد ١٠، ص ٢٩٢ و٢٩٣).

هكذا قالوا بالأمس القريب!

وأيضا يقول: «نظرا للأمن، والاستقرار، والحرية العامة وحسن النظام التي تتحلى بها الحكومة البريطانية، فإن فرقة أهل الحديث بالهند تعتبرها غنيمة عظيمة، وتفضل أن تكون من رعاياها على أن تكون من رعايا الدول الإسلامية (المرجع السابق).

وما رأيك يا حضرة الكاتب في السيد علي الطنطاوي مفتي جمهورية مصر الحالي الذي طالب رئيس أمريكا بوش مرتين ونُشر

طلبه على كثير من الجرائد، طالب بوش بأن يضرب القوات العراقية وبسرعة لكي ترجع الكويت لأصحابها. ومما قاله لبوش: لا يُوجد حل إلا استعمال القوة لحل هذه المشكلة. هل مفتي جمهورية مصر قادياني؟

وما رأي حضرتك بالذين استدعوا قوات أمريكا، بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، كندا والأرجنتين وغيرها من الدول الأجنبية، حتى أنه يُقال بأن كثيرا من الجنود اليهود موجودون الآن في أقدس بقعة عند المسلمين. هل القاديانيون استدعوا هذه القوات؟

والله إني أخجل من كتابة هذه الأسطر ولكن وقاحتكم تجبر الإنسان أن يبين الحقائق. والله إني أحب أن أستر على جرائمكم ولكن التمادي في الوقاحة أجبرتني أن أقول ما لا أريد. أبعد هذه الموالاة والوفاء للاستعمار الإنجليزي والأمريكي ترمون غيركم وبكل وقاحة أنهم عملاء للإنجليز وإسرائيل.

وليكن في علمك يا حضرة الكاتب وربما تعلم قبل غيرك أن حاخامات اليهود يذهبون من إسرائيل للصلاة مع الجنود اليهود الموجودين في السعودية مع القوات الأجنبية. وأقترح عليكم أن توجهوا الشكر لهؤلاء لأنهم ربما يذهبون هناك ويصلون ويدعون الله أن ترجع الكويت لأصحابها.

يقول الكاتب أن القاديانيين يحللون الخمر والأفيون وغير ذلك من المحرمات.

هذه الكذبة يرد عليها الواقع إذ أن كل الإخوة من المسلمين وغير المسلمين يعرفون أن القاديانيين الذين هم الأحمديون من أطهر الناس في هذا العصر. ولو أن لجنة ذهبت لتقصي الحقائق وفتشت بيوت الأحمديين واجتمعت مع أفرادها، ربما تجد من الخمسة عشرة مليونا منهم عشرة أشخاص أو خمسة عشرة ممن يسمون أنفسهم أحمديين يشربون خمرًا. وفي الواقع إنهم غير أحمديين لأن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية قال: «تارك الصلاة ليس من جماعتي، وشارب الخمر ليس من جماعتي، وشاهد الزور، والكاذب، والخائن، والذي لا يعامل زوجته وأهلها بالإحسان ليس من جماعتي، وكل من خالف شرع سيدنا محمد ﷺ ليس من جماعتي».

أما الظاهر أن كاتب المقال يريد أن يُستِّر على ما يقترفه الأمراء، والزعماء والأغنياء، وخصوصا السعوديين منهم من شرب خمرٍ ولعب قمارٍ وجميع أنواع الفحشاء والمنكر في أوروبا وأمريكا وغيرها. ولكن يا حضرة الكاتب هل يمكن لك أن تستر نور الشمس بغربال؟ إذ أن كلما يفعله هؤلاء يُنشر على صفحات الجرائد وإن كثيرا من المكاتب يُوجد فيها الكتب المؤلفة عن أعمال هؤلاء أسيادك. ويُمكن لك أن تذهب إلى شارع «بيز واتر» (BAIZ WAT-ER)، لترى المكاتب هناك المملوءة من الفضائح على هؤلاء الأمراء والزعماء والملوك.

يقول الكاتب بأن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية غلام أحمد القادياني (عليه السلام) كان فيه بعض الأمراض. أقول لحضرتك ما رأيك في سيدنا أيوب عليه السلام الذي يقول عنه المفسرون: كان الدود يخرج من جسمه لشدة أمراضه، والمثل يقول: «صبر أيوب» لكثرة ما تحمله عليه السلام من الأمراض وصبر عليها. هل تريد أن تُلغي عنه النبوة لأنه كان مريضا.

يقول الكاتب عن أحمد القادياني سنة ١٨٣٩، ١٩٠٨ وهذه كذبة تاريخة أخرى والحقيقة هي ١٨٣٥، ١٩٠٨. فإذا كنت لا تعرف هذه الأشياء البسيطة وتستهتر بإشاعة الكذب الرخيص، فكيف يمكن للناس أن يُصدقوك ان الكذب حذر منه سيدنا محمد ﷺ وهو من أكبر الكبائر وأن الله سبحانه وتعالى يقول دائما: ألا لعنة الله على الكاذبين. فكم لعنة نزلت عليك في هذه المقالة الصغيرة والبسيطة؟

يقول الكاتب ويتهم السيد محمد علي أنه ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ترجمة محرفة. مع أن السيد محمد علي ليس من جماعتنا، ولكني رأيت من الواجب أن أُدافع عنه، لأن كل الذين ترجموا القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات يمكن لأي شخص أن يتهمهم بأنهم ترجموه ترجمة محرفة. لأن القرآن الكريم لا يمكن أن يُكتب حرفيا كما هو في اللغة العربية. لذلك يقول القرآن الكريم: [إنا أنزلناه قرآنا عربيا]، ولهذا السبب كل من ترجم القرآن الكريم إلى لغة أجنبية يكتب أولا الآية في اللغة العربية وبعدها يكتب ترجتمها حتى لا يضيع الأصل، لذلك لا يمكن لنا أن نقول عن أي واحد منهم أنه قد حرَّف القرآن الكريم. أما الكاتب من أجل حقده وحسده وتقصيره أنه لا يستطيع أن يكتب القرآن الكريم ولا حتى في اللغة العربية، ويريد أن يظهر نفسه انتقد هذا الانتقاد وإلا لو كان شريفا ومقصده طاهرًا، لوجب عليه أن يشكر جميع الذين اجتهدوا وبذلوا جهدًا جبارًا في هذا المجال، في حين كنتم تخدمون أسيادكم الإنجليز في الجزيرة العربية.

أما اتهام محمد علي بالجاسوسية للإنجليز، فإني أظن أن بريطانيا عندها فائض من الجواسيس المترامين على أعتابها في الوقت الحاضر وفي الوقت الماضي ومنذ مئات السنين. ولو أن حضرتك تقول لنا من هم الذين كانوا يقتلون جنود الجيش التركي في الأراضي السعودية الصحراوية وبيدهم البنادق الإنجليزية والجنيهات الإنجليزية اللامعة وقبل أن يُخلق محمد علي. أليس هم أسيادك السعوديون؟ فقليلا من الحياء أيها الكاتب وإن اتهام البريئ جريمة كبرى.

يقول الكاتب أن أحمد القادياني يعتقد بأن الله إنجليزي. هذه

الكذبة الحقيرة وهذا التحريف لا يصدقه حتى الأطفال الصغار. والذي يسمع هذه التهمة يقول في نفسه ربما القائل يتكلم عن نفسه، إذ أن الواقع يشهد إن إله السعوديين هو الإنجليز والأمريكان، أو أنه يتكلم من مستشفى المجانين.

يقول الكاتب بأن القاديانيين لا يعتقدون بأن سيدنا محمداً ﷺ خاتم النبيين، ويعتقدون بأن غلام أحمد أفضل الأنبياء.

هذه الكذبة الكبيرة ترد عليها جميع كتب ومجلات الجماعة الإسلامية الأحمدية التي يمنع المشائخ المسلمون من قراءتها، ويخفونها عن أعين الناس كلما ظهرت. وأقول لك ولغيرك يا حضرة الكاتب إنه لم يُخلق ولن يُخلق إلى يوم القيامة شخص أحب سيدنا محمداً ﷺ وعشقه وفنيَ في حبه وعرف قيمته مثلما عرف المسيح الموعود عليه السلام (غلام أحمد القادياني). ولقد انتقده مشائخ الهند قديما عندما قرأوا كتابته وأشعاره في مدح سيدنا محمد ﷺ، واتهموه بأنه يؤلّه محمداً ﷺ وكفروه على هذه المدائح التي لا يستطيعون فهم حقيقتها.

وهذه بعض الأبيات من قصائده في مدح الرسول ﷺ:

يا عينَ فيض الله والعرفانِ ... يسعى إليك الخلق كالظمئانِ
يا بحرَ فضل المنعم المنانِ ... تهوي إليك الزمرُ بالكيزانِ
يا شمسَ مُلكِ الحسن والإحسانِ ... نوّرتَ وجهَ البر والعمرانِ
يا بدرَنا يا آيةَ الرحمان ... أهدَى الهداةِ وأشجعَ الشجعانِ
إني أرى في وجهك المتهلل ... شأنا يفوق شمائل الإنسانِ
والله إن محمداً خير الورى ... رَيق الكرام ونخبة الأعيان
تمتْ عليه صفات كل مزية ... خُتمتْ به نعماء كل زمانِ

ويقول في قصيدة أخرى:

ولم يتقدم مثله في كماله ... وأخلاقه العليا ولا يتأخرُ
له رتبة في الأنبياء رفيعة ... فطوبى لقوم طاوعوه وخُيروا
وعسكره في كل حربٍ مبارز ... إذا ما التقى الجمعان فانظر وننظر
وجاء بقرآن مجيد مكمل ... منير منوّر عالمًا وينوّر
فداً لك روحي يا حبيبي وسيدي ... فداً لك روحي أنت ورد منضّر
وما أنت إلا نائب الله في الورى ... وأعطاك ربك هذه ثم كوثر

هذه الأبيات من بين ثلاثة آلاف وخمس مائة وتسعة وستين بيتًا كلها نُظمت في مدح سيدنا محمد ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، وفي مدح القرآن الكريم وقُسمت على ثلاث وأربعين قصيدة بالعربية فقط. وله أيضا قصائد مماثلة باللغة الأردية والفارسية.

فما رأي حضرتك وحضرات أسيادك في هذه القصائد؟

يقول الكاتب أن القاديانيين عندهم كتاب اسمه الكتاب المبين. أقول أظهره لنا إن كنت من الصادقين، وإن لم تظهره فأكتفي بالقول: ألا لعنة الله على الكاذبين.

يقول الكاتب أن القاديانيين لهم علاقة بإسرائيل، وأن إسرائيل فتحت لهم المدارس والمكاتب. أقول لك ولغيرك الذين يُوافقون على اتهامك يجب على المسلمين أن يشكروا إسرائيل إذا كان هذا الكلام صحيحًا لأن الجماعة الإسلامية الأحمدية هي وحدها التي تنشر الإسلام الصحيح في العالم بالحجة والبرهان لا بالشتائم والتهديد بالسيف، وهي وحدها التي تقف بالخطوط الأمامية للدفاع عن الإسلام منذ مائة سنة أو أكثر عندما كان جميع المسلمين نائمين ولا يأتون بأي حركة تبشيرية، وكانوا يعتقدون بأن التبشير بالإسلام حرام. وحتى اليوم يعتقد الكثير من المسلمين بأن التبشير بالإسلام حرام مثل كثير من الأحزاب الإسلامية المتشددة الذين يتمسكون بتعاليم المودودي الذي يقول في كتابه: "بعد ثلاثة عشر عاما عندما فشلت وسائل الإقناع، استل النبي ﷺ سيفه، ذلك السيف الذي أماط الشر والأذى وأزال النجس والدرن من النفوس، بل وفعل السيف ما هو أكثر من ذلك، لقد أبرأ العمي، فصاروا قادرين على رأية نور الحق، وشفاهم من كبرهم، ذلك الكبر الذي منع الناس من قبول الحق، فانحنت الرقاب الغليظة، والرؤوس المتغطرسة في اتضاع وانصياع". (مولانا المودودي).

هذه الآراء والفتاوي التي يتمسك بها المودودي وكثير من المشائخ جعلت الدول الأروبية كلما شعرت أن دولة إسلامية بدأت تتقوى يفتكون بها بأية طريقة كانت. ولقد أوجدوا إسرائيل في بلاد الإسلام لهذا الغرض. كما إني أظن والله أعلم أن وجود أمثالك من الكُتاب في الأمة الإسلامية هم أخطر على الإسلام من إسرائيل نفسها. وستكشف الأيام في المستقبل إن شاء الله، هذه الحقائق ويستريح الإسلام والمسلمون من هذه المكروبات التي تنخر في عظام الأمة الإسلامية. ومع ذلك ليكن معلومًا لك ولزملائك أن المدرسة الأحمدية الوحدية في فلسطين هي في حيفا الكبابير تأسست سنة ١٩٣٢ تُعلم القرآن الكريم والإسلام الصحيح. كما أن الأحمديين هناك يبشرون بالإسلام اليهود وغير اليهود ويصدرون مجلة اسمها البشرى قبل قيام دولة إسرائيل بسنين عديدة. ولقد انضم إليهم الكثيرون من غير الأحمديين الذين كانوا يصدقون الكذبات المفترية على هذه الجماعة فأصبحوا مسلمين أحمديين مخلصين بعدما عرفوا الحقيقية.

أبعد هذه الموالاة مع الأمريكان والإسرائيليين تتهمون غيركم بأنهم على علاقة مع إسرائيل.

أقول لحضرتك أيها الكاتب إن صدقت نستفيد نحن وأنت،

بقية ص ٤

الصحوة الإسلامية والكارثة الإسلامية

بقلم: الأستاذ طه القزق

إن الله سبحانه وتعالى وعد الأمة الإسلامية بالاستخلاف حسب قوله:

[وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحٰت ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكِّنَنّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدِّلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كَفَرَ بعد ذلك فأولئك هم الفٰسقون*] (سورة النور:٥٦).

كذلك قال الرسول ﷺ: «إن الله سيبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (سنن أبو داود، كتاب المهدي).

إن ظهور المجدد في الإسلام صحوة إسلامية مؤيدة من الله سبحانه وتعالى كانت تظهر دائما في الأمة الإسلامية منذ أربعة عشر قرنًا. كذلك كانت تظهر صحوة مضادة من رجال السياسة والحكام والملوك والزعماء الذين لا هم لهم إلا مصلحتهم الخاصة، ضاربين عرض الحائط مصلحة الإسلام والمسلمين الروحية والأخلاقية. ولو راجعنا التاريخ لوجدنا قولنا هذا صحيحا مائة بالمائة.

ولكني أريد أن أبحث وأبين وأشرح عن الصحوة الحاضرة التي نعيشها.

لقد ظهرت الصحوة التي أقامها الله سبحانه وتعالى منذ مائة سنة على يد رجل من رجال الإسلام. رجل أمضى حياته في التعبد والصلوات والبكاء على حالة المسلمين، يدعو الله سبحانه وتعالى ليل نهار لينقذهم من مخالب الشيطان، هذا الشيطان الذي أصبح يملك الأموال كالجبال والأرزاق كالبحار، ومن الأسلحة ما لا عين رأت وما لا أذن سمعت.. سيطر على البحار، وسيطر على السماء والأرض. يأمر السماء فتمطر، يقطع الإنسان قطعًا ويجمعه مرة أخرى، فيرجع للحياة يبتسم. أصبح يملك جنةً وناراً. أصبح يأمر الشعوب الإسلامية أن تقتتل فيما بينها فتقتتل، ثم يأمرها أن تصطلح فتصطلح. يمشي فتمشي وراءه ملوك المسلمين وأغنياؤهم حاملة أموالها لتضعها في خزائنه والتأمين عليها عنده مطمئنة.

يستخدم هذه الأموال ضد مصالح أصحابها وهم مسرورون بذلك. أصبح المسلمون لهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم قلوب لا يفقهون بها. أصبحوا أعداء للإسلام بما يحملونه من عقائد فاسدة لا توجد في القرآن الكريم ولا يقبلها العقل الرشيد. أصبحوا أعداء لمن يريد إحياءَهم، وأصدقاء لمن يريد إبادتهم. طبعًا ليس المقصود من قولي هذا كل المسلمين ولكن أكثرهم.

لقد قام هذا المنقذ بأمر من الله سبحانه وتعالى وكلفه بأن ينتصر للإسلام حسب وعده وسلَّحه بأسلحة روحية جديدة للقضاء على هذا الشطان الذي يملك الأسلحة المادية التي إذا ما استعملت في الحروب تكون ضحاياها كلهم أو أكثرهم من الأبرياء والمساكين والنساء والأطفال الذين لا ذنب لهم بل وربما تقضي على كل من يدب على هذا الكوكب.قام هذا المنقذ لإثبات أن الإسلام هو دين السلام ولم يكن في يوم من الأيام دين اغتصاب يغتصب العقائد من قلوب الناس، بل أعطى الحرية لجميع الشعوب، كما يُعلن أن هذه الأسلحة المادية يحرم الإسلام استعمالها لنشر الدين أو لقتل الإنسانية تحريما كاملاً وإن الله سبحانه وتعالى سوف يُهلك بها الذين اخترعوها.

هذه الصحوة ظهرت في أوائل هذا القرن واستمرت في تقدمها رافعة راية الإسلام خفاقة، بعد أن لطخ بعض علماء المسلمين سمعة الإسلام بما يعتقدون من عقائد فاسدة مخالفين بذلك نصوص القرآن الصريحة وأحاديث الرسول الكريم الصحيحة وأقوال عظماء السلف الصالح. إنهم ما زالوا يعتقدون بأن الإسلام انتصر بالسيف والقوة.

واستمرت الصحوة المؤيدة من الله سبحانه وتعالى في تقدمها نحو النصر مستعملة الأسلحة الروحية، أسلحة الحجة والبرهان لكل معترض على دين الإسلام وشريعته. فانتصرت على جميع علماء الأديان في مؤتمر الأديان الذي عقد في الهند في مدينة لاهور سنة ١٨٩٦م، واعترف جميع علماء المسلمين وغيرهم على هذا النصر العظيم. وواصلت هذه الصحوة تقدمها إلى أفريقيا وصانت المسلمين هناك من التبشير المسيحي، وجعلت المبشرين المسيحيين لا يجرأون على مناقشة حتى طفل أحمدي لما يملك من

حجج وبراهين على معتقداته. واستمرت في تقدمها فوصلت إلى أوروبا وأمريكا وأستراليا وكندا. وبنت المساجد ومراكز الدعوة الإسلامية. كما وصلت إلى جزر فيجي وموريشس وطوفالو التي لم تسمع بالإسلام من قبل ولم يكن فيها مسلم واحد. كما وإنها انتشرت في جمهوريات الاتحاد السوفياتي من جديد إذ أن الدعاة المسلمين الأحمديين وصلوا هناك منذ أكثر من خمسين سنة، ولكن الحكومة الشيوعية بذلك الوقت اعتقلتهم ووضعتهم في السجون وعذبتهم تعذيبا شديدا. إضافة إلى ذلك فقد بنى المسلمون الأحمديون في أفريقيا المدارس والمستشفيات، وهم أول من بنى مسجدا في أسبانيا بعد خروج المسلمين من هناك منذ سبع مائة سنة.

إن هذه الصحوة التي أقامها الله سبحانه وتعالى على يد سيدنا المرزا غلام أحمد القادياني، المسيح الموعود والمهدي المعهود حسب تسمية سيدنا ومولانا المصطفى ﷺ والذي ينتظره العالم لينقذه من المهالك بواسطة القرآن الكريم وشريعة سيدنا محمد ﷺ لأنه تعلم تفسير القرآن الكريم الصحيح من الله سبحانه وتعالى وليس من أستاذ بشري ، بينما هذه الصحوة تسير في طريقها المرسوم وأصبحت شجرة أصلهاثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وتسير بقيادة الخلافة على منهاج النبوة حسب قول سيدنا محمد ﷺ، ظهرت منذ عشرين سنة تقريبا الصحوة المضادة كالعادة المتبعة الأزلية، فرجعوا بالإسلام مئات السنين وأوقفوا تقدمه. فأصبح شغلهم الشاغل تخريب ما يبنيه الأحمديون وتزييف الحقائق وجعل الحق باطلا والباطل حقًا، صحوة تابعة للسياسة ولأصحاب المصالح الذين لا هم لهم إلا قبض أجورهم وملء بطونهم.

تركوا التبشير المسيحي يصول ويجول في بلاد الإسلام ومنعوا المسلمين الأحمديين من أداء رسالتهم، وحرضوا الحكومة الباكستانية على أن تدعو الأحمديين غير مسلمين، فمنعوهم من الصلاة ورفع الأذان، منعوهم أن يسموا أنفسهم مسلمين، منعوهم من قول السلام عليكم ورحمة الله، منعوهم وضع كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله في بيوتهم أو على مساجدهم. هدموا مساجدهم وأحرقوها، أحرقوا بيوت الأحمديين ونهبوها. وسموا كل هذه الجرائم بالصحوة الإسلامية، كما سموا هذه الأعمال جهادًا. لم تسلم منهم أية دولة إسلامية، ففي مصر مثلاً كل يوم يغتالون شخصا هنا وشخصا هنالك، يضعون قنبلة هنا وقنبلة هناك، يثيرون مظاهرة هنا ومظاهرة هناك. وفي سوريا قتلوا الكثير من موظفي الدولة واغتالوا أكثر من خمسين ضابطافي الكلية الحربية في حلب. وضعوا الأسلحة بالمساجد. وكانوا يغتالون موظفي الدولة من داخل المساجد. فما كان من الدولة السورية إلا أن فتكت بهم وقتلت أكثر من ثلاثين ألفا منهم، وهدمت أكثر من تسعين مسجدًا في مدينة حما وحدها..

جعلوا الحكومات الإسلامية تخاف من كل شخص ذي لحية، ويُصلي ويعبد الله. فبدأت الحكومات الإسلامية تراقب كل من له لحية ويصلي، وتضع عليه رجال المخابرات للمراقبة. فكانت تحصل بعض المظالم من رجال المخابرات وبالعكس من الرجال المدعين بالدين والصحوة الإسلامية.

جعلوا الدول الأجنبية التي عندها رعايا مسلمة أقلية تراقبهم أشد المراقبة، لأنهم أصبحوا يخافون منهم على أمن بلادهم. وبواسطة هذه المراقبة تحصل بعض الأحيان التحرشات، وبعدها تنتقل إلى حروب وثورات، ويُقتل المسلمون بالمئات هنا وهناك مثل الفليبين ويوغوسلافيا وبلغاريا وفي كثير من بلاد العالم. وكل هذه الأشياء حصلت من سوء تصرف هذه الصحوة التي سموها الصحوة الإسلامية، ولكنها بالحقيقة الكارثة الإسلامية.حرضوا الناس للتطوع للحرب في أفغانستان لحرب الشوعية هناك، لأن الشيوعية ضد أمريكا وكأن المسلمين مسئولون في العالم، ولهم القوة الكافية لمحاربة الشيوعية. فكانوا يحاربون الشيوعية دفاعًا عن أمريكا وإسرائيل. أما الحكومة الروسية فهي تفهم أكثر منهم، فكانت تُرسل الجيش الروسي الذي قاتل في أفغانستان كلهم كانوا من المسلمين الروس. فكان الشخص الذي يقاتل في أفغانستان ويقولون عنه مجاهد، كلما كان يقتل جنديا روسيا يكون قد قتل مسلما مغلوبًا على أمره، وحتى الآن المشكلة الأفغانية كما هي ولا يزال المسلمون الأفغان يقتتلون رغم انسحاب الروس. لقد فهمنا هذه الأشياءَ من المسلمين الروس الذين خرجوا من روسيا بعد الانفتاح على العالم الخارجي، وسُمح لهم بالخروج، ولقد قالوا لنا: لقد قُتل أكثر من ٦٠ ألف مسلم في حرب الأفغان من المسلمين الروس. كما قالوا إن روسيا بكل حرب تضع جنودها المسلمين في المقدمة، إذ يوجد هناك ستون مليون مسلم من القزاق والتتر وأزربيجان وغيرها.

والآن هذه الصحوة انقسمت على نفسها بعد اجتياح الجيش العراقي للكويت وبعد أن طلبت السعودية الجيش الأمريكي والبريطاني والفرنسي وجميع جيوش العالم المعادية للإسلام واستدعته للمرابطة في البلاد المقدسة، وعلى بعد خمسة وسبعين كيلومترا من مكة المكرمة، إذ أن مدينة جدة على البحر الأحمر تبعد خمسة وسبعين كلومترا عن مكة المكرمة، بالإضافة إلى ذلك إن مصاريف هذه الجيوش كلها على حساب السعودية وبعض الدول الإسلامية الأخرى.

أما زعماء الصحوة من العلماء فكل واحد منهم أصدر فتوى لمصلحة الحاكم في بلده، وحسب رغبته لا حسب الشريعة

بقية ص ٧

من الصحافة العالمية

ترجمة :
الحاج محمد حلمي الشافعي

نُشر هذا المقال في جريدة (ASIA WEEK)، اللندنية بتاريخ ٢٢ يونيو ١٩٩٠ في صفحة (التاريخ اليوم HISTORY TODAY) للكاتب فرانسس روبنسن FRANCIS ROBINS ON، المحاضر في التاريخ بكلية نيو بدفورد، ومؤلف (أطلس العالم الإسلامي منذ عام ١٥٠٠، فايدون ١٩٨٢). وقد تُرجم المقال كما هو دون التعرض بالتصحيح أو الرد على بعض الآراء المجافية للصواب التي استقاها الكاتب من مصادر **مُعادية** للجماعة الإسلامية الأحمدية.. لا تتورع عن الكذب والمغالطة **ولَيِّ** أعناق النصوص. وقد نشرناها كما هي، وكلنا ثقة في أن القارئ الحصيف، الذي يطلع على عقائد الجماعة وأفكارها في هذه المجلة وغيرها، قادر بفضل الله تعالى على تمييز الحق والباطل. وقد أردنا من نشر هذا المقال أن يتعرف القارئ على بعض الظروف التاريخية والأحوال الجارية في الهند قبل التقسيم وفي باكستان بعد التقسيم، بقلم كاتب غير أحمدي. أما عقائد الجماعة الإسلامية الأحمدية الصحيحة فهي منشورة في آلاف من منشورات الجماعة منذ أول يوم من تأسيسها وحتى هذه اللحظة بفضل الله تعالى. ولأمانة الترجمة لم يُضَف كلمات التسبيح والتنزيه عند ذكر لفظ الجلالة، أو صيغة الصلاة على سيدنا محمد وغيره من الأنبياء، ولا كلمات الإجلال لخلفاء الأحمدية. [المحرر]

«لا كرامة لنبي في قومه»
أحمد والأحمدية

في عام ١٨٩١م قام غلام أحمد، وهو من عائلة قيادية في بلدة صغيرة تدعى قاديان، بمقاطعة بنجاب الهندية.. فأعلن أنه المسيح الموعود، وصرح بأن الله أوحى إليه بأن المسيح عيسى ابن مريم ليس حيا في السماء، على عكس ما يعتقد به المسلمون والنصارى. كانت كلمات الوحي: «المسيح بن مريم نبي الله مَيِّت، وأنت هو الذي يظهر بصفاته طبقًا للوعد، وكان وعد الله مفعولا».

وفي نفس الوقت وصف غلام أحمد في كتاباته فساد حياة المسلمين، ودعا إلى حاجتهم للمسيح، وأبرز أوجه الشبه بين الهند في القرن التاسع عشر وبين فلسطين عند ميلاد المسيح، واحتج بأنه كما ظهر المسيح بعد موسى بثلاثة عشر قرنا، كذلك بعد مرور ثلاثة عشر قرنا على قيام المجتمع الإسلامي يجب أن يظهر المسيح الموعود، مزوَّدًا بروح عيسى وسلطانه. وعلى أساس من معتقدات عميقة في التراث الإسلامي بأن مسيحا ومهديا سيأتيان ليقودا المسلمين ضد الكافرين.. أكد غلام أحمد أن مهمتهما قد تحققتْ في شخصه.

جاءت إلهامات غلام أحمد عن مهمته المسيحية في نهاية عقد برز فيه كشخصية دينية ثار حولها جدل كبير متزايد. ففي عام ١٨٨٠ بدأ نشر كتابه الرئيسي: (**البراهين الأحمدية**)، الذي بيَّن فيه **بوضوح** مبادئ الإسلام. وأحسن المسلمون استقبال عمله هذا، إذ كانوا يحسون بالقهر حيال النشاط التبشيري النصراني والهندوسي. واستمر غلام أحمد يتلقى الإلهامات ردحا من الزمن حتى عام ١٨٨١م عندما أفصح له الوحي مهمته. كتب غلام أحمد:

«كنت ذات ليلة أكتب شيئا، فنمت بين ذلك، فرأيت رسول الله (ﷺ) **ووجهه** كالبدر التام، فدَنا مني كأنه يريد أن يعانقني، فكان من المعانقين. ورأيت الأنوار قد سطعت من وجهه ونزلت عليَّ، وكنت أراها كالأنوار المحسوسة حتى أيقنت أني أُدركها بالحس لا ببصر الروح. وما رأيت أنه انفصل مني بعد المعانقة، وما رأيت أنه كان ذاهبا كالذاهبين. ثم بعد تلك الأيام فُتحت عليَّ أبواب الإلهام، وخاطبني ربي: «يا أحمد! بارك الله فيك.. قل إني أُمرتُ وأنا أول المؤمنين».

وفي عام ١٨٨٣ م أذاع غلام أحمد مهمته على العالم، بأنه المجدد، أي المصلح الذي يعتقد المسلمون بظهوره كل قرن من الزمان ليجدد الدين. وفي عام ١٨٨٦م اعتكف أربعين يوما في دعاء ووصال مع الله تعالى. ثم في ٢٣ مارس عام ١٨٨٩م أنشأ الجماعة الأحمدية، وتلقى البيعة من تابعيه الأوائل. ويشتمل تسعة أعشار شروط المبايعة على القواعد الأساسية للعقيدة الإسلامية، والشرط الأخير منها هو عقد البيعة، وينص على ما يلي:

«يتعهد المبايع أن يعقد مع هذا العبد (أي غلام أحمد) عهد الأخوة خالصا لوجه الله تعالى، على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكثه حتى الممات. ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدلها العلائق الدنيوية، سواء كانت علائق قرابة أو صداقة أو عمل».

ولم تتوقف دعوى غلام أحمد عند إلهام عام ١٨٩١ بأنه المسيح الموعود، ولكنه في عام ١٨٩٩م، وبناء على مصادر كثيرة، أكد أن عيسى بن مريم لم يمت على الصليب، ولكنه أُنزِل منه حيًّا، وشُفي ومضى ليواصل مهمته مع قبائل بني إسرائيل الضالة، والتي يعتقد أن إحداها كانت في أفغانستان. ثم ذهب إلى كشمير حيث مات. ونشر غلام أحمد الكثير من بحثه في كتابه (عيسى في الهند)، ليكشف النقاب عن أن قبرا يهوديا في شارع خان يار بمدينة سري نجار.. هو قبر عيسى بن مريم.

كما لم تتوقف إعلانات غلام أحمد ضد الديانات الأخرى عند هذا الحد، بل ادعى بأنه أيضا رمز لكريشنا المذكور في أشهر كتب الهندوس الدينية بأنه القائم الحازم بواجبات التعليم الروحي للجنس البشري. وبالنسبة للسيخ أعلن غلام أحمد أن بابا ناناك مؤسس السيخية كان وليًّا مسلما. وللتدليل على وجهة نظره هذه كشف على عباءة هذا المعلم الأول في قرية بإقليم جورداسبور، ووجد أنها موشاة بكلمة الشهادة الإسلامية وآيات سورة الفاتحة.

وفي عام ١٩٠١م أذاع غلام أحمد بيانا أزعج المسلمين أكثر من أي شيء آخر، فأعلن أنه مع تسليمه بكون محمد خاتم النبيين، وأنه آخر من يأتي من الله بشريعة للإنسان إلى يوم القيامة.. فهو، أي غلام أحمد، أيضا نبي. إنه مغمور في حب النبي محمد بدرجة جعلت منه انعكاسا له. لقد ذكر القرآن ظهورين للنبي محمد: أحدهما ظهور الجلال باسم محمد، والثاني ظهور الجمال باسم أحمد. وفصل غلام أحمد دعواه هذه على نهج مفكري الصوفية وأئمتها. وشرح الفارق بين النبي كمؤسس لشريعة وبين النبيين المجددين للدين، الذين لا يزالون يُبعثون، وأن استمرار بعثهم هو حقا من أمجاد الإسلام ونبي الإسلام، وأنه لا بد أن يعمل هؤلاء الأنبياء في إطار الشريعة التي أرساها ذلك النبي.

وعند وفاة غلام أحمد عام ١٩٠٨م.. كانت دعاواه الأربع قد باعدت بينه وبين الكتلة الإسلامية الرئيسية. وقد ذكرنا ثلاثا منها، ونضيف إليها إنكاره لعقيدة الجهاد كما يفهمونها بحسب العرف المتوارث؛ فقد أصرَّ غلام أحمد على ضرورة فهم الجهاد في سبيل الله، الذي هو واجب المسلمين المقدس، بمفهوم سلمي، وأن ليس للمسلمين أي حق في السلوك العدواني ونشر الاضطراب والفوضى وسفك الدماء باسم الإسلام. قال: «ظهرت لأفتح، كما فتح المسيح الأول، أبواب السلام».

وعلى خلاف الحركات المسيحية العديدة، فإن الجماعة التي أسسها غلام أحمد، والمعروفة باسم الجماعة الإسلامية الأحمدية، بدلا من الذبول والاضمحلال بعد وفاة مؤسسها.. فإنها تنتشر وتنمو باضطراد. والحق أن معارضيها ومؤيديها يشهدون بإخلاصها ونجاحها في أعمالها التبشيرية. وفي تعداد عام ١٩٢١م وصل عدد أعضاء الجماعة ٢٨٫٠٠٠ في بنجاب وحدها، وكان لها أنصار آخرون في بنغال وجنوب الهند وأفغانستان. وتأسست إرساليات لها في سيلان وموريس وأمريكا وغرب أفريقيا؛ ووجه اهتماما خاصًا للدولة الحاكمة، بريطانيا، وهي أكثرها أهمية، حيث كان المحامي الكبير خواجا كمال الدين أول مبعوث عام ١٩١٢م وإماما لمسجد وكنج(Dr. LEITHNER WOKING-). وكان اللورد هيدلي (البارون الخامس HEADLY) من البريطانيين الأوائل الذين دخلوا في الإسلام، والذي كان يعد مكسبا عظيما، والمستر سبارو SPARROW، الذي انضم للحركة عام ١٩١٤م على أثر مقابلة في لندن بارك تحدث فيها مع المفتي محمد صادق.

واليوم يوجد للحركة الأحمدية حضور في ١٢٠ قطرا، ولها إرساليات عاملة في ٤٨ بلدا، وتدعي بأن عدد متبعيها ١٠ ملايين في أنحاء العالم. ومن المناطق التي أحرزوا فيها نجاحا ملموسا في ضم الأتباع خارج باكستان منطقة غرب أفريقيا؛ وقد زارها إمام الجماعة عام ١٩٨٨م بأسلوب شبه باباوي. ويبلغ أعضاء الجماعة في بريطانيا ١٠ آلاف موزعين في ٤٥ جماعة فرعية بالمدن والبلاد الكبيرة. وفي القلب من هذه الأنشطة يقع مسجد فضل بلندن في واندسورث WANDSWORTH، وقد شُيد عام ١٩٢٤م بكامله من تبرعات سيدات الجماعة في الهند وحدهن. وحديثا أُنشيء مركز كبير آخر على ٢٥ إيكر، في موقع عند تلفورد قرب مدينة جلفورد، محافظة سري TILFORD- GUILF-ORD- SURREY، أسموه إسلام آباد.

ومن أسباب نجاح الجماعة الأحمدية في استمراريتها أنها حلت مشكلة خلافة المسيح الموعود بعد وفاته، ومدى سلطانه. وكان هناك صراع متزايد لست سنوات ابتداء من عام ١٩٠٨م: فمن ناحية كان هناك جماعة صغيرة من ذوي التعليم العالي، فيهم خواجا كمال الدين إمام مسجد وكنج؛ ومن ناحية أخرى كان هناك الخليفة الأول، الحكيم نور الدين، وأسرة غلام أحمد، وعدد ضخم من أعضاء الجماعة في بنجاب من ملاك الأراضي العاديين والموظفين. احتج الفريق الأول أنه بموت غلام أحمد لم يعد هناك تعيين إلهي لإمام الجماعة، ومن ثم لا يمتد عهد البيعة إلى خليفته. وهو إنسان غير معصوم، ولا يمكن أن يصدر تعليمات

ملزمة لهم، ومن الآن فصاعدا تتقرر أمور الجماعة بالمجلس الأعلى، وهو المؤسسة التي تخلف المسيح الموعود. واحتج الفريق الثاني بأن غلام أحمد نفسه بيَّن بوضوح في كتابه (الوصية) عام ١٩٠٥م بأن خلفاءه ينالون بركة النبوة. وقد أقر مولانا نور الدين ذلك، وأصر على أن منصبه تعيين إلهي، وليس باختيار أحد. وأراد هذا الفريق أن يحتفظ لخلفاء المسيح الموعود بكثير من سلطانه.

وصلت المشكلة إلى أوجها عند انتخاب خليفةٍ لنور الدين عام ١٩١٤م، فقد اختارت الأغلبية محمود أحمد بن غلام أحمد، البالغ من عمره ٢٤ عاما، وأبى فريق الأقلية البيعة له، وتسللوا عائدين نحو التيار الرئيسي للمسلمين، وسارع محمود أحمد إلى تأكيد سلطانه المطلق على الجماعة. وفي غضون ٥١ عاما من إمامة الجماعة جعل منها منظمة رفيعة المستوى. وفي عام ١٩٦٥م خلفه ابنه ناصر أحمد الذي أنهى تعليمه في كلية BALLIOL، بأكسفورد. وخلف من بعده أخوه طاهر أحمد ١٩٨٢م الذي درس في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن.

والسبب الثاني لنجاح الجماعة المتواصل هو مستويات تنظيمها الرائعة. وهي بالفعل كجماعة إسلامية قد لا يضاهيها في ذلك التنظيم سوى طائفة الخوجا الإسماعيلية، الذين يقاربونه حجما. ويظهرون ولاء مطلقا لأغا خان. وحتى في زمن غلام أحمد كانت هناك علامات لمستويات تنظيمية غير عادية. فمنذ سنوات التسعينيات المبكرة من القرن الماضي كانت الجماعة تلتقي في مؤتمر سنوي يُعقد في أواخر ديسمبر ببلدة قاديان. وبعد ذلك بعشر سنوات نشرت للجماعة جرائد عديدة، وقبل وفاته تأسس لهم مجلس أعلى لنشر الكتب وتعيين الدعاة والإشراف على إبعاثهم.

وتحت قيادة محمود أحمد تزايد شبه الجماعة بالمؤسسات العالمية متعددة القوميات. والخليفة، أي خليفة المسيح الموعود، هو الرئيس الأعلى للجماعة؛ إرادته كانت أمرا مطاعا عند كل مؤمن. وكان مركزه الرئيسي في قاديان، يعمل تحت قيادته ثمانية أقسام إدارية، وله مجلس شورى ينتخب معظم أعضائه من المنظمات الفرعية. وهذه الأخيرة تكرار للتنظيم الأساسي ولكن على المستوى المحلي. ويدفع كل عضو في الجماعة مبلغا ماليا يمثل ٦ر٢٥ بالمائة من دخله السنوي، وبعضهم يدفع أكثر من ذلك. وعندما هدد بلدة قاديان وقوعها في الجانب الهندي من خط تقسيم لجنة رادكليف.. نقلت الجماعة مركز قيادتها إلى منطقة صحراوية تبعد ٩٥ ميلا إلى الغرب من لاهور، وأسموها ربوة، أي أرض مرتفعة، وهو مسمى قرآني للمكان الذي أوى إليه عيسى بن مريم وأمه، وبذلك يؤكدون على تشابه مؤسس الجماعة بالمسيح بن مريم.

وشيدت الجماعة مدينة مخصصة بكليتها لأهداف الجماعة. ومضى التنظيم يتطور هنا وهناك. وفي الثمانيات من القرن العشرين أصبحت الجماعة تعول ٢٦ مستشفى و٢٦ مدرسة ثانوية في غرب أفريقيا، و١٠ كليات لإعداد الدعاة موزعة في أنحاء العالم. وأنشأت دارًا جديدة للنشر في إسلام آباد بإنجلترا تستخدم نظم الحاسبات الآلية للطباعة بثلاثين لغة.

وثمة عنصر ثالث يلعب بالتأكيد دوره في نجاح الجماعة الأحمدية، ذلك هو مستوى التعليم العالي لأفرادها. لقد أخذت مأخذ الجدية البالغة قول النبي محمد: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، فوصل مستوى التعليم في الأحمديين في باكستان حيث يقيم معظمهم معدلا مرتفعا. وفي مدينة ربوة، كما تقول الجماعة، بلغ مستوى التعليم ١٠٠ بالمائة في سيدات الجماعة، في حين أنها لا تتجاوز ٢٠ بالمائة من النساء فوق الخامسة في المجتمع عامة. وقد سجل الدارسون في الجامعات، شبانا وشابات، نتائج قياسية في نتائج الامتحانات بها. ومن المناسب لذلك تماما أن يكون الباكستاني الوحيد الذي حصل على جائزة نوبل هو البروفسور عبد السلام بكلية إمبريال بلندن IMPERIAL COLLEGE.. عضوا في الجماعة الأحمدية، وقد فاز بالجائزة عام ١٩٧٩ على بحوثه الفيزيائية في التوحيد النظري لقوى الطبيعية الأساسية.

وأخيرا تمرست الجماعة مرة بعد مرة في أتون الحرب العدائية ضدها. وفي عام ١٩٤٨م قدم الأحمديون ١٨ شهيدا، وتزايد الإلحاح على استبعادهم من جسم الأمة الإسلامية. وما أن استقروا في باكستان بعد التقسيم حتى تضاعف هذا المطلب بدعم من جماعات الضغط الدينية في البلد. وكذلك كانت هناك مطالبة ضد شودري ظفر الله خان، أشهر أعضاء الجماعة وأول وزير خارجية لباكستان وذلك لإقالته من منصبه. ووصلت الأمور إلى ذروتها عام ١٩٥٣م عندما اشتعلت أعمال الشغب ضد الجماعة وانتشرت في بنجاب، مما استلزم إعلان الأحكام العسكرية والحكم على مثيري الشغب بالإعدام الذي خفف فيما بعد، وأخمدت بذلك الحركة المناهضة الأحمدية مؤقتا. واستمر ظفر الله خان في منصبه، وكان بذلك أطول من تولى منصب وزارة الخارجية في حكومة باكستان مكثًا.

ولكن أعمال الاضطهاد لم تتوقف بالطبع. وفي السبعينيات ازداد اعتماد حكومة (بوتو) على الأنظمة الإسلامية الحاكمة في الشرق الأوسط، فأثارت المسألة الأحمدية مرة أخرى وفي عام ١٩٧٤م وقعت مصادمات عنيفة عند (ربوة) قتل فيها وما تلاها ٢٠ أحمديا، وأحرق كثير من مساكن الأحمديين ومحلاتهم. وفي

سبتمبر ١٩٧٤م قامت حكومة بوتو، ضد رغبتها فيما كان يبدو، بإجراء تعديل في دستور باكستان استبعد الأحمدية من تعريف المسلم. وبعد ذلك بعدة شهور فصلت الحكومة الباكستانية كبار الضباط الأحمديين من الجيش. وبعد ذلك بعام واحد حُرم الأحمديون من أداء فريضة الحج إلى مكة. وفي نفس الوقت قامت رابطة العالم الإسلامي المتمركزة في السعودية بتحريض الحكومات المسلمة في أنحاء العالم لاتخاذ إجراءات مناهضة ضد الأحمديين، ولقيت استجابة في الشرق الأوسط وغرب أفريقيا.

وفي عام ١٩٨٤م زادت حكومة باكستان من ضغوطها على الجماعة الأحمدية مرة أخرى، ففي ربيع هذا العام كثفت الأحزاب الإسلامية من هجومها وضغوطها على حكومة الجنرال ضياء الحق بسبب تراخيها في اتخاذ مزيد من التدابير القاسية ضد الأحمديين. وعلى إثر ذلك أصدر الجنرال ضياء الحق أمرا عسكريا رقم ٢٠، يحرم على الأحمديين إطلاق الألقاب الإسلامية على قادتهم؛ ويحرم عليهم استعمال صيغة الأذان الإسلامية للنداء على الصلاة؛ وحرم عليهم تسمية دور عبادتهم مساجد؛ وحرم عليهم الانتساب إلى الإسلام كدين لهم؛ وحرم عليهم الدعوة إلى عقيدتهم، وحرم عليهم جرح المشاعر الدينية للمسلمين بأي وسلية أخرى. وكما قال أحد المعلقين على هذا التشريع: «إنه يحيل الكثير من أمور الحياة اليومية للأحمديين إلى جرائم».

على الفور أدرك الخليفة الرابع للمسيح الموعود، طاهر أحمد، ما يعنيه هذا التشريع من مضامين، ففر بعد صدوره بيومين من باكستان إلى لندن حيث اتخذ له مقرا مؤقتا. أما الذين لم يتمكنوا من اقتفاء أثر إمامهم فلا يزالون يعانون بشدة: فاعتقل منهم عدد كبير لأنهم أعلنوا عقيدتهم كمسلمين، وأتلفوا أو دمروا ١٥٥ من مساجدهم، وإلى يوم هلاك جنرال ضياء الحق في أغسطس عام ١٩٨٨م.. كان عدد المتهمين في جرائم لمخالفة الأمر العسكري رقم ٢٠ أكثر من ٣٠٠٠ أحمدي. ولم يكن لعودة النظام الديمقراطي في حكومة (بينظير بوتو) أثر يذكر في تخفيف مطاردة الأحمديين. لقد أعلنت السيدة بوتو: «كيف أستطيع إبطال الخدمة الجليلة التي أداها أبي للإسلام؟ إن حكومتي لن تعطي القاديانيين أي تنازلات، بل يظلون من غير المسلمين». وفي أحدث تعداد تبين أنه وقع ٥٣ اعتداء على حياة الأحمديين منذ القانون العسكري رقم ٢٠ لسنة ١٩٨٤م، أدت إلى مصرع ١٩ أحمديا. وما دامت الجماعة الأحمدية يمارسون عقيدتهم كمسلمين.. فإن حكومة باكستان الإسلامية لن تعترف لهم بمكان، ولا تستطيع فعل قليل أو كثير لضمان سلامتهم.

وتبقى بعد ذلك أسئلة هامة عديدة تتعلق بالمسيح وقبوله. فمثلا، كيف نستطيع تفسير رؤياه الدينية وتوقيت ظهوره؟ لماذا خرج ليخاصم كل الديانات التي في محيطه؟ ولماذا لا تنفك عداوة المسلمين له ولمتبعيه بهذا الدوام ولهذه القوة؟

الجزء الحاسم من أي تفسير لرؤيا أحمد أنه في القرن التاسع عشر المنصرم وبالنسبة لمعظم أهل بنجاب والمسلمين من نفس بيئته بصفة خاصة، كانت الأحوال السائدة مختلطة مشوشة. وكان تاريخ أسرته مثالا تاما لطبقته في ذلك الإقليم: أسرة نبيلة وقعت في ظروف عصيبة. في أوائل القرن التاسع عشر كانت هذه الأسرة تتحكم في ربع ٨٥ قرية، ثم فقدتها بقيام سلطان السيخ تحت حكم رنجيت سنغ. وفي زمن الغزو البريطاني للبنجاب استعاد والد غلام أحمد سيطرته على خمس فقط من تلك القرى، وثبته في سيادته لها الحاكم الجديد. وكانت حملة أبيه لاسترجاع قراه الضائعة تلاحق السنوات الأولى من شباب غلام أحمد، المولود عام ١٨٣٥م. وأخيرا عندما انتهت الجهود بالفشل حمله أبوه على التوظف في المحكمة في إدارة المستعمرات. وفي هذه اللحظة بدأت مواجهته الفعلية مع مبشري النصرانية، ومحاولات أبناء دينه لدفع حججهم ضد الإسلام.

أحس مسلمو بنجاب القرن التاسع عشر على وجه الخصوص بالتهديد من التغيرات التي صاحبت الحكم البريطاني. وكما حدث في كل مكان آخر بالهند استلزمت التحسينات الجديدة تمكنا من المعارف الغربية. وكان عليهم تقرير القدر الذي يضحون به من عالمهم القديم ووسائله كي ينجحوا في الجديد القادم. وبجانب هذا. كان عليهم أن يثبتوا أمام النشاط القوي للبعثات النصرانية في كل أرجاء الهند. ومع ثمانينيات القرن الماضي تغطت منطقة بنجاب بشبكة من الإرساليات تمثل عشرات الآلاف من المرتدين المتحولين إلى النصرانية. وفي نفس هذا العقد تكونت أيضا إرساليات هندوسية، عملت بنشاط شديد، ووجدت تجاوبا من هندوس بنجاب. ونتيجة طبيعية لذلك، وجد المسلمون جيرانهم الهندوس أكثر خشونة في علاقاتهم معهم بعد أن تشربوا الأفكار المناهضة للإسلام من قادة فرقة «آريا سماج». وبعد سنوات قلائل انتقلت العدوى إلى السيخ وشرعوا بدورهم يرتبون للعمل التجديدي الإرسالي. ثم ازداد الإحساس في الإقليم بصدمة التحول الاقتصادي بعد ما قام البريطانيون بإقامة أعظم نظم الري في العالم وقتئذ بغرب بنجاب؛ واستزرعوا بها مساحات هائلة من الأرض.

حاول غلام أحمد وكثير غيره من المسلمين في زمنه، أن يجد وسيلة لمواجهة التحديات التي أتت بها المعارف الغربية والقانون الاستعماري إلى الساحة الإسلامية. وينبغي أن ينظر إليه كمجاهد ينهض بأعباء الرد على تلك المسائل الأساسية في ذلك العهد.. كما فعل السيد أحمد خان، الذي وجد طريقا تقدميا عبر جسر يربط

الإسلام بمعارف ما بعد حركة التنوير الغربية، أو كما فعل الديوباندیون وأهل الحديث والبريلويون الذين اجتازوا سبلا تقدمية أخرى.. تجاهلا لأغلبها علوم الغرب كلية.

ومع العلم بأن ثقل التغيير الذي أحدثه الوجود الاستعماري كان الإحساس به أشد في منطقة غلام أحمد بصفة خاصة، فلا غرابة في أن يستند إلى العقيدة الإسلامية في القرون الوسطى عن المسيح المنتظر. كان المعتقد الشائع بين المسلمين أنه في أزمنة السوء، وعند نهاية كل قرن إسلامي، يظهر مجدد يحيي الدين. وقد يشهد ظهور المهدي.. المندوب الإلهي في شخص عيسى بن مريم، الذي يأتي في آخر الزمان، ويقود المسلمين في حربهم ضد الكفار. وعندما انتهى القرن الهجري الثاني عشر عام ١٧٨٥م، والقرن الثالث عشر عام ١٨٨٢م ظهر عدد من دعاوى المهدوية، ليس أقلها شأنا دعوى المهدي السوداني. فدعوى غلام أحمد بأنه المسيح الموعود، وأن عيسى العهدِ الجديد والقرآنِ يسكن قبرا في كشمير، ودعواه بأنه تجسيد كرشنا، وأن مؤسس طائفة السيخ كان وليًّا مسلما.. كل ذلك كان انعكاسا للتحديات الدينية التي واجهها في محيطه، والتي كان عليه أن يتغلب عليها. وكانت دعواه بأن الجهاد لا يكون إلا بالسلام علامة كي يتبعه المسلمون من دون أن يشكل ذلك تهديدا لجيرانهم من غير المسلمين أو للحكام البريطانيين. وكانت دعواه بأنه نبي تقريرا بأن المسلمين الذين لا يتبعونه يخاطرون.

اجتذب غلام احمد العداوة الشاملة لأهل زمانه، واجتلب مزيدا من العداء بسبب طريقته في تناول التحديات لعقيدته. ربما قد تحاشى جهادا بالعدوان المادي، ولكن لم يكن معنى ذلك أنه أحس بالحاجة إلى تلطيف لهجته. في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر تسابقت الأديان في بنجاب على المراكز.. في كل من الصحافة. واقتضى تصميم غلام أحمد لإثبات تفوق الإسلام أن يُقدم على الإخبار بنبوءات عن خزي أو هلاك أولئك الذين ناهضوه. مثل خصمه القسيس النصراني عبد الله آثم. وكم كان ابتهاج النصارى عندما عاش الرجل المسن فترة الخمسة عشر شهرا التي كان من المفترض أن تتحقق خلالها النبوءة الخاصة به. ثم دخل غلام أحمد في مباهلة مع داعية إنجيلي أمريكي يدعى جون دووي. والذي سرعان ما افتضح أمره كدجال ونزل به الهلاك. وفي عام ١٨٩٣م تنبأ غلام أحمد بميتة عنيفة لعدو خبيث للإسلام يدعى باندت لخ رام، فقتل مطعونا بالسلاح بعد أربعة أعوام.

وبعد وفاة غلام أحمد خمدت الخصومة بين متبعيه وأهل الديانات الأخرى، ومع ذلك استمر عداء المسلمين لهم شديدا، ومن المرجح أن يدوم كذلك. وجزم غلام أحمد باستمرار النبوءة غير التشريعية بعد محمد أثار الشك عن صميم مقام النبوة بالنسبة للبشر. إنه أحب النبي بما لا يقل عن غيره من المسلمين، ولكنهم شعروا بأن دعواه تلطخ كرامة النبي. لم يعد محمد هاديهم الأخير قبل يوم الدين، ولم يعد محمد مستودع الكمال المفرط. ثم إن مجيء الأحمدية لتنظيم أمة المسلمين تحت سلطان مطلق لخلفاء غلام أحمد، الذين يعتقد أن القوى النبوية لا تزال فيهم، قد أضاف الإهانة إلى الأذى. وفوق كل ذلك، هو إهانة مركبة، لإصرار الأحمديين على أن إسلامهم هو الصحيح. وأن القطاع الأكبر من الأمة الإسلامية الذي ينكر المسيح الموعود.. ضالون عن الصراط المستقيم. أما الأمر الذي يحدث أشد مغص عند المسلمين غير الأحمديين، كما يذكرنا بحق يوهانان فريدمان YOHANAN FRIEDMAN، فهو ما يحسون به في دعاوي الأحمديين من نقص الاحترام عندهم للنبي محمد (***). ما برح النبي دائما في بؤرة طاعة المسلم. وعلاوة على ذلك، فإنه لما جاهد المسلمون خلال القرنين الماضيين لمواجهة السيادة الغربية.. تضاعف قدر النبي عاطفيا ونفسانيا. وبهذا الصدد، تجلى عمق مشاعر المسلمين جيدا من مدة قريبة في اهتياجهم بسبب كتاب سلمان رشدي (آيات شيطانية).

وتُرجمت الخصومة في السنوات الأخيرة إلى ممارسات الاضطهاد الكثيرة، لأن الدين قد ازداد تسيُّسًا. في أثناء الحكم البريطاني للهند كانت الأحمدية باعتبارها جماعة غير سياسية آمنة بوجه عام، وعانت من الإيذاء الشديد فقط عندما غامروا داخل أفغانستان. ولكن بقيام الدولة الإسلامية في باكستان أصبحت دعاوي الأحمديين مسائل ذات مضمون سياسي. وكان على جماعات الضغط الإسلامية أن تثير مسألة ما إذا كان من الممكن تسجيلهم مسلمين أم لا، وكان موقفهم معيارا للنقاء الإسلامي في الدولة. ففي الوقت الذي ملكت فيه العناصر العلمانية اليد العليا في السياسة كانت الأحمدية آمنة إلى حد معقول. ولكن عندما ضعفت هذه العناصر، كما حدث في زمن مستر بوتو، أو كما هم اليوم تحت حكم ابنته السيدة بوتو، أو حتى عندما تضعف حكومة ذات ميول إسلامية. كما جرى في حكومة الجنرال ضياء الحق. تكون الأحزاب الإسلامية قادرة على الضغط الناجح للعمل ضد الأحمدية. مثل هذه الأعمال وجدت دعما فوق ذلك في السبعينات. عندما اكتسبت منظمة العالم الإسلامي تناسقا ملموسا، وترتب على زيادة أسعار النفط أن أصبح لأصحاب الآراء المقاومة للتجديد في هذه المنظمة ثروات ذات إغراء ثقيل.

يمكن إلى من أراد زيادة في الاطلاع " الكتب التالية:

١. مرزا غلام أحمد القادياني، آدامه وكنج ١٩٨٩.

٢. الأحمدية أو الإسلام الصحيح، مرزا بشير الدين محمود أحمد، قاديان ١٩٣٧.

٣. دعوة إلى الأحمدية، مرزا بشير الدين محمود أحمد، قاديان ١٩٣٨.

٤. الدين والسياسة في باكستان، بايندر I. BINDER، جامعة كاليفورنيا ١٩٦٣.

٥. الأحمدية، دراسة للإسلام المعاصر في ساحل غرب أفريقيا، فيشر، أكسفورد ٦٣.

٦. النبوءة مستمرة: جوانب الفكر الأحمدي وخلفيته القرن وسطية، فريدمان، جامعة كاليفورنيا، ١٩٨٩.

٧. الحركة الأحمدية، لافان S. LAVAN، دلهي ١٩٨٤م.

٨. القاديانية: دراسة نقدية، أبو الحسن الندوي، لاهور ١٩٦٧.

(* * *) معاذ الله، فإن حب مؤسس الجماعة واحترامه لسيدنا محمد ﷺ لا يعدله حبهم لأي مخلوق آخر، وقد علم خلفاءه وأتباعه هذا الحب والتقدير.

بل بالعكس أعلن حضرته أنه لا يمكن لأحد أن ينال أية مرتبة روحية إلا باتباع كامل لسيدنا المصطفى محمد ﷺ، وأنه عليه السلام لم ينل هذه المرتبة الروحية العظيمة إلا باتباعه الكامل للمصطفى وتفانيه في حبه ﷺ. أما بخصوص كلمة «نبي» فلم يستعمله حضرته عليه السلام لنفسه بنفسه وإنما النبي ﷺ هو الذي نفسه سمَّى المسيح المنتظرَ مجيئه «نبي الله»، وليس مرة واحدة وإنما أربع مرات، وذلك في حديث مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال).

أما فيما يتعلق بحب واحترام حضرته لسيده المصطفى ﷺ فللقارئ الكريم أن يعرف مداه في كلمات حضرته فيما يلي:

«إنا نحن مسلمون. نؤمن بالله الفرد الصمد الأحد قائلين: لا إله إلا هو. ونؤمن بكتاب الله القرآن ورسوله سيدنا محمد خاتم النبيين. ونؤمن بالملائكة ويوم البعث والجنة والنار، ونصلي، ونصوم، ونستقبل القبلة. ونحرم ما حرّم الله ورسوله ونحل ما أحل الله ورسوله. ولا نزيد في الشريعة ولا ننقص منها مثقال ذرة. ونقبل كلما جاء به رسول الله ﷺ، وإن فهمنا أو لم نفهم سرّه، ولم ندرك حقيقته» (نور الحق، الجزء الأول، ص ٥)

«خُلِعت علي هذه الرفعة بفضل اتباعي الكامل لرسول الله ﷺ. ولو لم أكن واحدًا من متبعيه، ولو لم أكن أتبع تعاليمه بإخلاص، لما وصلت إلى هذه الدرجة العالية من قرب الله تعالى، ولو تراكمت أعمالي الصالحة وبلغت ارتفاع الجبال. ذلك لأن النبوءات جميعا قد انتهت، ولا يمكن الآن بعث نبي ذي شريعة، وإنما يمكن دائما أن يبعث أنبياء غير مشرعين بشرط أن يكونوا من أتباع النبي ﷺ. فأنا تابع له ونبي أيضًا» (تجليات إلهية، ص ٢٤)

«ذلك النور الأَبْهَى الذي وهب لإنسان.. أعني الإنسان الكامل، لم يكن ذلك النور لا في الملائكة.. ولا في النجوم.. ولا في القمر.. ولا في الشمس؛ ولم يكن في بحار الأرض.. ولا في أنهارها؛ ولم يكن في اللَّعْل.. ولا في الياقوت.. ولا في الزمرّد.. ولا في الماس.. ولا في اللؤلؤ.. بالاختصار.. لم يكن ذلك النور في أي شيءٍ من الأرض أو السماء، وإنما كان في إنسان كامل.. ذلك الإنسان الذي كان أتمَّ وأكمل وأعلى وأرفع فرد من بني الإنسان.. سيدنا ومولانا سيد الأنبياء.. سيد الأحياء.. محمد المصطفى ﷺ..

(الخزائن الروحانية، ج٥، مرآة كمالات الإسلام ص ١٦٠، ١٦١)

«إنني دائما أنظر بعين الإعجاب إلى هذا النبي العربي.. محمد عليه ألف ألف صلاة وسلام. ما أرفع شأنه! لا يمكن إدراك سمو مقامه العالي، وليس بوسع إنسان تقدير تأثيره القدسي. الأسف، أن الدنيا لم تقدر مكانته حق قدرها. إنه هو البطل الوحيد الذي أعاد التوحيد إلى الدنيا بعد أن غاب عنها. إنه أحبَّ الله غاية الحب، وذابت نفسه تماما شفقة على خلق الله، لذلك فإن الله العالمَ بسريرته فضَّله على كل الأنبياء، وعلى الأولين والآخرين جميعا، وحقق له في حياته كل ما أراد».

(الخزائن الروحانية، ج ٢٢، حقيقة الوحي، ص ١١٨ إلى ١١٩).

«إن ذلك الحادث العجيب الذي جرى في برية العرب.. حيث بُعث مئات الألوف من الموتى في أيام معدودات.. وتحلَّى بالصبغة الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مر الأجيال، وأصبح العمي يبصرون، والبُكْم بالمعارف الإلهية ينطقون.. وحدث انقلاب في العالم لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط.. هل تعرفون كيف حدث ذلك؟ إن تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة.. عبدٌ متفانٍ في الله.. هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلا على يد ذلك الأمي الضعيف الحيلة.

اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وآله.. بعدد همّه وغمّه وحزنه لهذه الأمة، وأَنزِلْ عليه أنوارَ رحمتك إلى الأبد».

(الخزائن الروحانية ج ٦، بركات الدعاء ص ١٠ و ١١).

ALTAQWA

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

Volume 3, Issue No 11& 12 March& April 1991

قال سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

(١)

«إن ذلك الحادث العجيب الذي جرى في برية العرب.. حيث بُعث مئات الألوف من الموتى في أيام معدودات.. وتحلّى بالأخلاق الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مر الأجيال، وأصبح العمي يبصرون، والبُكْم بالمعارف الإلهية ينطقون.. وحدث انقلاب في العالم لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط. هل تعرفون كيف حدث ذلك؟ إن تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة.. عبدٌ متفان في الله.. هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلا على يد ذلك الأمي الضعيف الحيلة.

اللهم صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وآله.. بعدد همّه وغمّه وحزنه لهذه الأمة، وأنزِلْ عليه أنوارَ رحمتك إلى الأبد».

(الخزائن الروحانية ج ٦، بركات الدعاء ص ١٠ و ١١).

(٢)

«إنني دائما أنظر بعين الإعجاب إلى هذا النبي العربي.. محمد عليه ألف ألف صلاة وسلام. ما أرفع شأنه! لا يمكن إدراك سمو مقامه العالي، وليس بوسع إنسان تقدير تأثيره القدسي. الأسف، أن الدنيا لم تقدر مكانته حق قدرها. إنه هو البطل الوحيد الذي أعاد التوحيد إلى الدنيا بعد أن غاب عنها. إنه أحبَّ الله غاية الحب، وذابت نفسه تماما شفقة على خلق الله، لذلك فإن الله العالمَ بسريرته فضّله على كل الأنبياء، وعلى الأولين والآخرين جميعا، وحقق له في حياته كل ما أراد».

(الخزائن الروحانية، ج ٢٢، حقيقة الوحي، ص ١١٨ إلى ١١٩).